

شرح

عين العالم وزير الحكيم

للامام العلامة والمير النابغة الفهامة الشيخ نور الدين
منا على بن سلطان محمد الهروي المعروف بالقاري
صاحب المؤلفات الكثيرة التوفي سنة ١٠١٤ هـ

الجزء الأول

مكتبة الثقافة الدينية

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

المركز الرئيسي، ٥٢٦ شارع بورسعيد، القاهرة

فرع ١٤ ميدان المتبة بالقاهرة

تليفون: ٩٣٦٢٧٧ - ٩٢٢٦٢٠

عين العلم وزير الحكيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العلي العظيم العليم • على ما هدانا الى الطريق القويم • والصلاة والتسليم
على نبيه الكريم • وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحزابه المقيمين المديمين على
الصراط المستقيم •

(أما بعد) فيقول خادم كلام ربه القديم * وحديث رسوله الفخيم • على بن سلطان
محمد القارى • عاملهما الله البارى * بلطفه الخفى • وكرمه الوفى : إن هذا فتح شرح
بجمل مجمل غير مغل. ومطول غير عمل (١) لكتاب عين العلم وزين الحلم الذى من غاية
الابجاز ونهاية الالغاز • كاد أن يكون من أنواع الابهاز • وهو فى الحقيقة مختصر احياء
علوم الدين (٢) لحجة الاسلام. وبرهان الآنام • رجاء أن أستفيض من بركات كلمات العلماء
الأصفياء • وأستفيد من نفحات صفحات (٣) المشايخ الأولياء • وأن أذكى كرفى جملتهم •
وأحشر فى زميرتهم • وإن قصرت فى متابعتهم وخدمتهم • اغترارا بمحبتهم •
واكتفاء بمودتهم * وأقول كما قال القائل من ذوى الفضائل :

لى سادة من عزم • أقدامهم فوق الجباه
أنلم أكن منهم قلى • فى حبهم عز وجاه

(١) فى النسخ جميعها مجمل بجل غير مغل ولا مغل مل وهو تركيب فى المد المنى ولله حصل من النساخ العوام
ساعهم اقه (٢) فى النسخة المطبوعة احياء العلوم واهناموافق لندمية مؤلف الاصل (٣) فى بعض النسخ صفائح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ ثَقَى يَارَبَّ يَارَبَّاهُ بِاسْمِكَ ابْتَدَى وَبِكَ اقْتَدَى وَبِنُورِ قُدْسِكَ أَهْتَدَى.

قال المصنف رحمه الله ونفعنا ببركات علومه وتقواه - وهو من فضلاء الهند وصلحاتهم - على ما صرح به الشيخ ابن حجر في شرح مقدمته ، وقيل : انه منسوب الى بعض علماء بلخ ومشايخهم والله أعلم بتصحيح نيته في تخفية ترجمته : ((بسم الله الرحمن الرحيم)) قد بسطنا الكلام في غير هذا المقام على مفردات البسملة ومركباتها ومبانيها ومعانيها وما ورد فيها وسائر متعلقاتها ((وبه ثقتي)) أى وثوقى واعتمادى بكرمه وجوده لا بغيره اذ لا عبرة بوجوده وشهوده ، وقد اكتفى بالبسملة مبنى لتضمنها الحمدلة معنى ((يارب)) أغثنى فى شدتى وهو على حذف ياء المتكلم وابقاء الكسر دلالة عليها وإشارة اليها ، وفى الابتداء به فى مقام المناجاة والدعاء بالدعاء اشعار بأنه رب العالمين عموماً - كما يفيد فائحة فاتحة الكتاب ورائحة ناختة فصل الخطاب - ورب كل فرد من أفراد بنى آدم خصوصاً كما يرمى اليه حديث « أدبى ربى فأحسن تأديبى » (١) وقول بعضهم : حسبى ربى من كل مربى ، ويدل عليه خبر « رضيت بالله رباً » ثم زاد فى مقام التأكيـد ونظام التأييد لافادة اظهار العبودية فى معرض الربوبية بقوله : ((يارباه)) بلفظ المندوب لمد الصوت المطلوب فى التدبة والمرغوب فى الفجاءة ، والمنادى يحتمل تعلقه بثقتى والأظهر تعلقه بقوله ((باسمك)) أى لا بغيره ((ابتدى)) كما هو واجب على المنتهى والمبتدى ((وبك)) أى بحكمك ((أقتدى)) وبعونك اقتدى ((وبنور قدسك)) أى المظهر المصور فى صدر صدرى الذى هو محل ظهور انسك إشارة الى قوله تعالى : (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) ((أهتدى)) إيماناً الى قوله سبحانه : (من يهد الله فهو المهتدى) وقوله : (قل ان الهدى هدى الله) والمعنى أنه يهـدى به عبده بالقاء نوره فى قلبه فيهدى الى طريق ربه ويفرق

(١) رواه السمعاني فى أدب الاملاء عن ابن مسعود وكذا السكرى فى الامثال وسنده ضعيف وفيه أيضاً غرابة لكن معناه صحيح ، أى علمنى ربى رياضة النفس والتتوف الى معالى الامور ومحاسن الاخلاق وذلك بافضاله على مجيـم العلوم الكسبية والوهمية بالتأيق ولا يحصل نظير ذلك لاحد من خلق الله على الاطلاق فقد حاز صلى الله عليه وسلم جميع اقسام الادب والآداب قال الله تعالى : (وانك لعلى خلق عظيم)

اللَّهُ اللَّهُ إِلَامٌ مُدُّ إِلَى زَهْرَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَيْنِكَ ۞

بين الحق والباطل فيختار الحق ويترك الباطل في اعتقاده وعمله (الله الله) أى اتق الله مرة بعد أخرى فى أمر الدنيا والعقبى واحذر عن مخالفة المولى فلا يراك فيما هناك فان العاقبة للتقوى ، والاعادة المشيرة الى زيادة الافادة كقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خير بما تعملون) أى ظاهرها وباطنها أو التقدير أستغيث بالله وأستعين بطلب رضاه فيما أرجو وأخشاه ، والجاصل لما اهتدى بنور قدسه ودخل فى قلبه بعض أنسه وتبين له الأمر بكمال ظهوره ورأى نفسه متلوة بالدنيا معرضة عن العقبى وغافلة عن المولى حذرهما بقوله : الله الله أى اتق الله اتق الله لقوله سبحانه وتعالى : (ويحذركم الله نفسه) ولقوله عز وجل : (واتقوا الله ويعلمكم الله) وعلامة التقوى هى الزهد فى الدنيا والميل فى العقبى رجاء لمرضات المولى ، ولما كانت النفس بطبعها مائلة الى الدنيا وشهواتها وغافلة عما خلق له من تحصيل عباداتها قال مخاطبا لنفسه أو معاتبها أو خطابا عاما لا سيما اذا كان له مصاحبا : (إلَام) أصله الى ما يحرف الجار وما الاستهامة وكتب الى بالالف هنا لشدّة الاتصال فى مرتبة النظامية وحذف الالف من ما اكتماء بالحركة الفتحية اليبانية واقتفاء برسم المصاحف العثمانية ، والمعنى الى متى أيها المخاطب المعاتب (تمد) أى تطمح وتتوجه (الى زهرة الحياة الدنيا) أى بهجتها وزينتها (عينيك) وفيه اقتباس من قوله تعالى : (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) وقوله سبحانه : (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لاتمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم) وروى انه عليه السلام رأى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون : لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولا نفقةناها فى سبيل الله تعالى فقال ﷺ : لقد أعطيت سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع يعنى قراءتها مع التأمل فى مبانيها والعمل بمعانيها خير من تلك القوافل وما فيها ، بل لا مناسبة بين الأموال الفانية والأحوال الباقية ، ومن هنا قال الصديق فى مقام التحقيق : من أوقى القرآن ورأى أن أحدا أوقى من الدنيا أفضل مما أوقى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا ، وقال أبو القاسم القشيري : غار سبحانه على عينه أن يستعملها فى النظر إلى غيره ، ويقال : إذا لم يسلم له أشباع نظر ظاهره الى الدنيا

وَحَتَامٌ تَنْكُصُ بَعْدَ إِيْنَاسٍ نَارٍ عَلَى عَقِيْكَ * أَيْجِبْهُكَ الشَّهَوَاتُ الْحَسِيْسَةُ لِلْأَحْجَامِ ①
أَمْ يَعُوْكَ الزَّخَارِفُ الْمُموْهُةُ عَنِ الْأَقْدَامِ؟ مَا لَكَ تَسْعَى فِي الْمُبَاهَاتِ وَالْمَجَارَةِ
وَجَمَعَ الْحَطَامِ؟ لِنَشْرِ الصَّيْتِ وَرَفَعَ الْقَدْرِ

فكيف يسلم له سكون قلبه الى غير المولى؟ ﴿ وحتام ﴾ أى وحتى متى ﴿ تنكص ﴾ أى ترجع عن القيام بالأقدام على الله والاقبال على سبيل رضاه، وفيه تلبس الى فعل ابليس وما وقع منه من نوع تلبس كما أخبر الله عنه بقوله: (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم) الى أن قال (نكص على عقبيه) الآية، وتلويح الى قوله سبحانه: (قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون) ﴿ بعد ايناس نار ﴾ أى بعد ابصار نار. واستيناس أنوار. واحساس أسرار. وأخبار من ديار. ليس بها بعض أغيار ﴿ على عقبيك ﴾ أى متوجها الى دار أ كدار فيها أنواع حجب وأغيار وفى الكلام اقتباس من قوله تعالى: (آتس من جانب الطور نارا) أى نار نوردار، والمعنى ابعد ظهور الحق وطريق الصدق آثار وقيل: ايناس النار كناية عن استيناس النفس بالآفات الدنيوية المانعة عن العبادات الاخروية، وهذا على تقدير ان يكون على عقبيك ظرف لايناس، وأما على تقدير كونه متعلقا بتنكص فالمعنى الى متى ترجع على عقبيك عن طريق العبادة وسبيل أهل الارادة الذى يسلك بهم الى مقام السيادة والسعادة بعد ما علمت يقينا نار هداية الحق التى بها من نار جهنم يقينا ﴿ أيجبئك ﴾ من جبهه بالتخفيف أى رده أو بالتشديد أى نكس رأسه، أى ابعدك عن مقام القبول ويقعدك عن طلب الوصول ﴿ الشهوات الحسيسة ﴾ أى المانعة عن المقامات النفيسة والحالات الانيسة واللّهوات الفانية الحاجزة عن الدرجات الباقية ﴿ للاحجام ﴾ أى للاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى ﴿ أم يعوك ﴾ من عاق أو عوق أى او يمنك ويصدك ﴿ الزخارف المموهة ﴾ أى الزينات المثرمة الملفةقة ﴿ عن الاقدام ﴾ على عمل الآخرة الفاخرة المحققة ﴿ مالك ﴾ أى ما حالك أو أى شى حاصل لك فى ما لك حال كونك فى مقام اقبالك زمان استقبالك ﴿ تسعى فى المباهات ﴾ أى المفاخرة فى غير الحالات الفاخرة التى تنفع فى الآخرة، وفى نسخة الممارات أى المجادلة والمخاصمة ﴿ والمجاراة ﴾ أى المسابقة والمقاطعة فى المحاورات ﴿ وجمع الحطام ﴾ أى من أموال الشبهة والحرام ﴿ لنشر الصيت ﴾ أى لانتشار الجاه عند العوام كالانعام ﴿ ورفع القدر ﴾

وَصَرَفُ وُجُوهِ الْأَنَامِ ۖ وَتَنَسَّى نَعِيمَ جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدٍ صَدُوقٍ عِنْدَ
مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ، وَمَا شَأْنُكَ تَرْغَبُ عَنْ عِلْمِ سَمَاءِ رَبِّكَ الْأَعْلَى بِالْفَقْهِ وَالْحِكْمَةِ
وَالنُّورِ وَالْهُدَى ۖ وَتَرْغَبُ فِيمَا أَحْدَثَهُ قُرُونٌ فَشَافِيهَا الْكَذِبُ وَالْبِدْعَةُ وَالْهُوَى ۖ

اى بالعود في مقام الصدر عند معرض القدر (وصرف وجوه الانام) اى بالتردد اليك
في الليالي والايام (وتنسى نعيم جنات) اى بساكنات وعودة للمتقين باقية (ونهر) اى
وانهار جارية فيها عين عافية من آفات سارية (في مقعد صدق) اى مكان مرضى ومجلس
حق (عند ملك مقتدر) اى مقربين في غاية الاعتبار. عند من تعالى امره في الملك
والاقتدار. بحيث اهم على ذوى الانعام والاسرار. فهي عندية منزلة ومكانة لا عندية
منزل ومكان لعلو شأنه ورفعة برهانه ، قال جعفر الصادق : مدح المكان بالصدق
فلا يقعد فيها الا اهل الصدق وهو المقعد الذى يصدق الله فيه مواعيد اوليائه بان
يسبح لهم النظر الى وجهه الكريم ويشرفهم بلقائه ، وقال الواسطى : ليس محل من
اشتغل بنفسه وتلذذ بمطعمه ومشربه وملبسه كمن كان شغله بالحق وانسه والقيام
بامره ونظره الى ربه في مقعد صدق عند ملك مقتدر ، وقيل : الصدق في عبادته من
لا يتعبد على ملاحظة الاطماع والاغراض ومطالبة الاعواض والاعراض (وما
شأنك) اى وما عذرک في مقام حذرک (ترغب) اى تعرض وتبعد (عن علم
سماء ربك الاعلى بالفقه) حيث قال تعالى : (لعلهم يفقهون) وقال : (فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) (والحكمة) حيث قال عز وجل : (يؤتي
الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) ، (والنور) حيث قال
سبحانه : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وقال : (أفمن شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه) (والهدى) حيث قال عز وعلا : (قل ان هدى الله هو الهدى
والسلام على من اتبع الهدى) وهو علم الكتاب والسنة واجماع ائمة بهم يقتدى وهو علم
المعاملة ، اما ما سبق من قوله بنور قدسك اهتدى هو علم المكاشفة لان من كوشف فعرف
الحق يتعين عليه ان يرغب في علم المعاملة الذى يعرف به احكام الله وطريق عبادة مولاه
(وترغب) اى تميل وتخوض (فيما أحدثه قرون) اى طبقات بعد خير القرون من
قرن الصحابة والتابعين واتباعهم (فشافيا) اى شاع وظهر فيما بينهم (الكذب)
اى في حكاياتهم (والبدعة) في اعتقاداتهم (والهوى) اى هوى ارباب النفوس

قَفَا نَبْكَ عَلَى رُسُومِ عُلُومِ الدِّينِ * وَأَطْلَالَ أَعْمَالَ الْيَقِينِ ۝ وَدَمِنْ كَالَاتِ
الْأَحْوَالِ ۝ وَوَارَدَاتِ مُشَاهَدَاتِ الْجَمَالِ ۝ غَدَتِ الدِّيَارُ عَافِيَةً ۝ وَظَلَّتِ الْآثَارُ بَاقِيَةً
وَأَصْبَحَ الْأَصْحَابُ رَاحِلِينَ ۝ وَأَضْحَى الْأَعْرَابُ

ومشيتهم من العلوم التي غير نافعة ولا رافعة بل ضارة دافعة كعلم المنطق والكلام والهيئة
وسائر علوم الفلاسفة (قفا) خطاب لصاحبه كأنه شبه نفسه ان يكون في سفر يسير
مع رفيقه فاذا بلغ منازل الاحباب وقد ارتحلوا ومضوا ودخلوا في مقام الحجاب غلب
عليه وجدفراقهم وحرارة اشتياقهم وغشيه البكاء في ميدان اليبداء فلم يتمالك في مهالك
الآزمنة ان يتجاوز مسالك الامكنة فوقف لديه واستوقف صاحبيه وقال: قفا (نبك)
بالانفاق على حزن الفراق، وقيل: أصله قف قف لحذف الثاني وعوض عنه الالف
لان الفاعل كالجزء من الفعل، وقيل: أصله قفن ابدل نونه ألفا، والمعنى قفا ايها المخاطب مع
الرجل المعاتب نبك (على رسوم علوم الدين) اي آثارها المندرسة في ديارها المنقلبة
بعد اقبالها الى اديارها بقله علماء الشريعة وأخبارها (١) (واطلال اعمال اليقين) اي
وعلى انطماس علامات اعمال أهل اليقين حيث اختلطت بافعال ارباب الرياء والسمعة ولو
كانوا من المجتهدين في امر الدين بفقد المشايخ العاملين الكاملين في مقام الطريقة والجامعين
للاخلاق الواصلين الى مرتبة الحقيقة (ودمن كالات الاحوال) بكسر الدال وفتح
الميم وعلى زوال آثار كمال ارباب الاحوال واصحاب الاقوال بعدم وجود اهل الشهود
في زوايا المشاهد الحقيقة والمعارف الدقيقة (وواردات مشاهدات الجمال) وكذا على
صادرات مطالعات الجلال لغيبة ارباب الحضرة في مقام التوحيد. واصحاب الجذبة
في مرتبة التأيد (غدت الديار) أي صارت ديار العلوم وجدار القنوم (عافية) اي
خربة واهية (وظلت الآثار) اي وصارت آثار الاسلام واخبار الاحكام (باقية)
وفيه ايماء الى قوله عليه السلام «يأتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ومن القرآن
الارسمه مساجدهم عامرة وقلوبهم خربة» (٢) (وأصبح الأصحاب) اي العلماء الكبار الذين
بمنزلة الاصحاب الواردين فيهم «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» (٣) (راحلين)
اي مرتحلين من دار الدنيا الى دار العقبى كما يشير اليه قوله تعالى: (أفلا يرون أنا تأتي
الأرض تنقصها من أطرافها) اي بأخذ العلماء من اكفافها (واضحى الاعراب) اي

(١) في النسخة المطبوعة واخبارها بالجماء المعجمة وهو تصحيف (٣) الحديث رواه الحاكم في تاريخه
باطوله من هذا، والديلمي ولا يخفى عليك مرتبتهما (٤) رواه البيهقي واسنده الديلمي عن ابن عباس

نَازِلِينَ ۖ فَيَأْسَفُ عَلَى مَنَامِ الْقُلُوبِ وَقِيَامِ الْأَلْسَةِ وَمَضَاءِ الْعُلُومِ وَبَقَاءِ الْأَوْعِيَةِ
وَيَاهِنُ عَلَى صِرُورَةِ الْحَالِ كُتُبًا وَرِسَالًا ۖ وَانْقِلَابِ الْعَمَلِ أَجُوبَةً وَمَسَائِلَ ۖ
وَيَاحْسُرُنِي عَلَى انْطِمَاسِ الْمَعْنَى عَنِ الْأَسْمِ ۖ وَانْدِرَاسِ الْحَقِيقَةِ عَنِ الرَّسْمِ ۖ
وَيَاسُوَاتِي عَلَى خُلُوقِ الْقَشْرِ عَنِ الثُّلَابِ ۖ وَاغْتِرَارِ الْقَوْمِ بِلَامِعِ السَّرَابِ ۖ

الجهال الذين بمنزلة الاعراب الوارد فيهم قوله سبحانه : (الاعراب أشد كفرا ونفاقا
وأجدران لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) (نازلين) أى فى مقام العلماء العاملين
وفيه إيماة الى قرب القيامة وعلامات وقوع الساعة التى تورث الندامة لاهل الملازمة كما ورد
فى حديث جبريل « وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان » (١)
(فَيَأْسَفُ) أى تأسف (على منام القلوب وقيام الألسنة) أى على غفلة القلوب القاسية
وحدة الألسنة الراسية ، وفيه إشارة الى ما ورد فى ذم علماء آخر الزمان « أن قلوبهم امر من
الصبر وأستهم أحلى من العسل » (ومضاء العلوم) أى وعلى مضى العلوم الفاخرة
وذهاب علماء الآخرة (وبقاء الأوعية) أى علماء السوء الذين اكتفوا بمجرد حفظ
الرواية دون ضبط الدراية والكتب البالية والحجب العالية (ويلاهف) بفثتين أى
تعطش (على صيرورة الحال) أى حال ذوى الشئانل (كتباً ورسائل) أى مشحونة
بقيل وقال واطهار فضال (وانقلاب العمل اجوبة ومسائل) أى يبحثون فيها ولا
يعملون بها يخوضون فيها ليس تحتها طائل (وياحسرتى) أى تحسرتى (على انطماس المعنى
عن الاسم) أى نحو المعنى المراد عن المبنى والمواد (واندراس الحقيقة عن الرسم)
أى رسم الشريعة والطريقة (وياسواتى) أى فضيحتى (على خلوق القشر) أى العلوم
الآلية من الاعراب والاعراب (عن الثلأب) أى لباب العلوم المأخوذة من الكتاب
الذى يذكره لاوى الالباب فى جميع الفصول والابواب (واغترار القوم) أى أهل الزمان
من أرباب الحجاب (بلامع السراب) أى الاعمال الظاهرة الخالية عن الاحوال
الظاهرة ؛ وفيه تلويح الى قوله سبحانه : (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه

كذا قال المجولون فى كتابه كشف الحفاة ولم يبين مرتبته قال الشوكانى فى رسالته القول المفيد فى أدلة
الاجتهاد والتقليد . هذا الحديث قد روى من طرق عن جابر . وابن عمر رضى الله عنهم وصرح أئمة
المرح والتمديد بانهم يصح منه شئ ، وإنه لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تكلم عليه الحفاظ
بما يشفى ويكفى اهـ (١) هو قطعة من حديث رواه مسلم بن الحجاج فى صحيحه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه

أَمَّا الْخِيَامُ فَانْهَاجَهَا كَيْفَ مَهْمٌ ۝ وَأَرَى نِسَاءَ الْحَيِّ غَيْرَ نِسَائِهَا
 خَطَرَ بِلَالِي أَنْ أَرْيَحَ بِلَالِي بِتَصَفِّحِ تِلْكَ الْعُلُومِ وَأَسْرَارِهَا وَتَتَبِعَ سِيرَ الرِّجَالِ
 وَآثَارَهَا ۝ رَجَاءُ أَنْ أُحِثَّ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ ۝ وَأَنْ أُبْعَثَ فِي أَشْيَاعِهِمْ ۝ فَاثْمَرْتِ أَطِبَاءَ
 الطَّاقَةِ ۝ وَاحْتَمَلْتُ أَعْيَاءَ الْمَشَقَّةِ ۝ وَبَالَغْتُ فِي جَمْعِهَا وَتَهْذِيبِهَا ۝ وَاسْتَقْصَيْتُ فِي ضَبْطِهَا
 وَتَرْتِيبِهَا ۝ مَعَ أَنِّي سَكَيْتُ نَادِي الْبَيَانِ ۝ وَسَكَيْتُ حِلْيَةَ الرَّهَانِ ۝

الظلمات (و الله در القائل من اعلامهم :

لا والذي حجت قریش بيته ۝ مستقبلين الركن من بطحائها

ما ابصرت عيني خيام قبيلة ۝ الا بكيت احبتي بفنائها

﴿ اما الخيام ﴾ جمع خيمة ﴿ فاما كخيامهم ﴾ أى فى منازل الحى ومقامهم ﴿ وأرى نساء
 الحى غير نساها ﴾ أى الاولى التى كن فى نعت الجمال ووصف الكمال من العفة والحياء
 والخدمة والسجاء ، والمعنى انه ظهر السفهاء وصورة الفقهاء والجهلاء فى هيئة المشايخ
 العرفاء ﴿ خطر ببالى ﴾ جواب شرط مقدر أى لما كان الامر كذلك خطر فى خاطرى
 هنالك ﴿ ان أريح ببالى ﴾ أى أدخل فى الراحة قلبى فى ميدان حبرى ، وفى نسخة
 بالزى أى أزيل حزن قلبى وتشتت بالى وتفرق حالى ﴿ بتصفح تلك العلوم ﴾ أى بتفحص
 صفحات العلوم النافعة الذائخة فى الدنيا والآخرة ﴿ واسرارها ﴾ أى ودقائقها
 وحقائقها الفاخرة ﴿ وتبع سير الرجال ﴾ أى سلوك أصحاب الحال ، وفى نسخة مسير
 وفى أخرى « سير » بكسر السين وفتح الياء أى شمائل أرباب الفضائل وأصحاب الفواضل
 ﴿ وآثارها ﴾ أى اللامعة أنوارها تحت أستارها ﴿ رجاء أن أحث ﴾ أن أحرص وأحرص
 ﴿ على اتباعهم ﴾ بتشديد التاء أى على متابعتهم وموافقتهم فى الدنيا ﴿ وأرأيت فى اشياهم ﴾
 أى أحشرف فى اتباعهم فى العقبي ﴿ فامترت اطباء الطاقة ﴾ أى حاولت وعالجت صرف
 الوسع والقدرة ﴿ واحتملت أعباء المشقة ﴾ أى وتحملت أثقال المشاق فى طريق
 الحجة وسبيل المعذرة ﴿ وبالغت فى جمعها ﴾ أى ضبط افرادها ﴿ وتهذيبها ﴾ أى
 تنقيتها وحذف زوائدها ﴿ واستقصيت فى ضبطها وترتيبها ﴾ أى ضبط معانيها
 وحفظ مبانيها ﴿ مع أنى سكيت نادى البيان ﴾ بكسر السين وتشديد الكاف أى كثير
 السكوت ومجلس التبيان ﴿ وسكيت حلبة الرهان ﴾ بضم السين وتخفيف الكاف

وَأَتَحَفَّتْ بِهِ الْفَرْعَ الْعَلَىَّ مِنَ الْأَصْلِ الْعَلَوِيِّ وَالْغُصْنَ السَّنِيَّ مِنَ الشَّجَرِ الْحُسَيْنِيِّ
أَرْفَعَ السَّرَاةَ عَمَادًا وَأَطْوَلَ السَّكْمَةَ نَجَادًا * وَأَكْثَرَ الْكَرَامِ رَمَادًا * وَأَكْبَرَ الْعِظَامِ
وَسَادًا * وَهُوَ ابْنُ نَبِيِّ بَنِي عَدْنَانَ *

المفتوحة ويشدد أى وآخر الخيل في ميدان المسابقة والجولان والجريان يتمحن
فيه الأفراس العشرة على عرف ذلك الزمان ، ويرهن للسبق مال يأخذه من سبق
فرسه ذلك المكان ، وفيه تلويح الى قول من قال : عند الامتحان يكرم المرء أو يهان
(واتحفت به) أى بتصنيفى هذا (الفرع العلى) أى الرفيع (من الأصل العلوى)
أى المنسوب الى على المنيع (والغصن السنى) أى المنسوب الى أهل السنة والجماعة
العزیز الوجود فيما بين السادة أو السنى بفتح فكسر أى الشريف الجلى الحسنى
(من الشجر الحسينى) وفي نسخة الحسنى أى المنسوب الى أحد أولاد فاطمة الزهراء ،
وفيه تنبيه على أن كل علوى ليس بحسينى ولا حسنى كمحمد بن الحنفية وسائر أولاد
على (أرفع السراة) جمع السرى (عماداً) بكسر العين أى أعلى الاشراف اعتماداً
يقال : فلان رفيع العماد أى شريف سنى الذ كر على الصيت ، وقيل : العماد فى الأصل عيدان
يرفع بها البنيان فكنى بذلك عن رفعة نسبه وقوة حسبه ، وقيل : بل يراد بها حقيقتها
أى مرتفع العماد فوق البنيان ليراه الضيفان فيقع عدونه وذو الحاجات فيطلبونه (وأطول
السكامة) جمع السكى (نجاداً) بكسر النون بعمد جيم وهو حائل السيف وهو كناية
عن طول قامته وطول شأنه ، والمعنى أفضل شجمان زمانه استناداً (وأكثر الكرام
رماداً) كناية عن كثرة الجود المستلزم لكثرة الطبخ فى منزل الشهود المستلزم لكثرة
الرماد ولدوام وقود ناره ليلا فى تلال البلاد فيهندى به الضيفان من العباد (وأكبر
العظام وساداً) كناية عن كونه معظماً موقعا فى قلوب العباد والزهاد (وهو ابن
نبي بنى عدنان) فانه عليه السلام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر
ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، والى
هنا من النسب الشريف لا خلاف فيه بين العلماء الأعيان وانما الخلاف فيما فوقه
مختلف البيان ، ولذا يروى أن النبي ﷺ كان اذا بلغ فى النسب الى عدنان أمسك

وَسَمِيَّ جَدَّهُ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ ۝ رُكْنَ الدُّنْيَا الْمُشَارَ إِلَيْهِ ۝ قُطْبَ الشَّرْعِ الْمَدَارَ عَلَيْهِ طَاهِرَ الذَّلِيلِ عَنْ دَنْسِ الْهَوَى ۝ عَازِفَ الْقَلْبِ عَنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا رَاسِخَ الْقَدَمِ فِي شَرِيعَةِ الْمُصْطَفَى ۝ صَارِفَ الْعَنَانِ إِلَى الطَّرِيقِ الْمُرْتَضَى ۝ بَلَّغَهُ اللَّهُ إِلَى الْكَمَالِ الْأَعْلَى ۝ وَأَوْصَلَهُ إِلَى السَّعَادَةِ الْقُصْوَى ۝ وَأَدَامَ الْمَجْدَ بَيْنَ ثَوْبِيهِ ۝ وَأَقَامَ الْكَرَمَ بَيْنَ بَرْدِيهِ ۝

عما بعده من عنان البيان ، وقال : كذب النسابون أى فى هذا الشأن قال تعالى : (وقرونا بين ذلك كثيرا) قال ابن عباس : ولو شاء الله أن يعلمه لملمه ، وقال ابن دحية : أجمع العلماء - والاجماع حجة - على أن رسول الله ﷺ إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوز به ، وفى مسند الفردوس عن ابن عباس أنه عليه السلام كان إذا انتسب لم يتجاوز معدن عدنان ثم يمسك ويقول : كذب النسابون ، وقال السبلى : الأصح فى هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود وقال غيره : كان ابن مسعود إذا قرأ قوله تعالى : (الم يأتكم بنا الذين من قبلكم قوم نوح و عاد و ثمود و الذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) قال : كذب النسابون (١) يعنى أنهم يدعون علم الانساب و قننى الله عليها عن العباد فى الكتاب و عن ابن عباس بين عدنان و اسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون ۝ و سئل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى آدم ؟ فكره ذلك وقال : من أخبره بما هنالك ((وسمى جده خليل الرحمن)) يعنى اسم الممدوح ابراهيم كاسم جده الكريم الخليل أبى ولده الجليل اسماعيل جدينينا ﷺ و شرف و كرم ((ركن الدنيا)) أى المدار عليه ((المشار اليه)) المشهور لديه ((قطب الشرع)) النافع فى العقى ((المدار عليه)) كالتفسير لما قبله مشيراً الى علمه و معرفته ، و الحاصل أنه جامع بين الفضائل الدنيوية و الثمائل الاخروية ((طاهر الذليل عن دنس الهوى)) كناية عن صلاحه و ديانته ((عازف القلب)) أى صارفه ((عن لذة الدنيا)) إشارة الى ورعه و زهده و حسن رعايته ((راسخ القدم فى شريعة المصطفى)) ايماء الى ثباته فى أمر الدين و استقامته ((صارف العنان الى الطريق المرتضى)) انما ربا به على مذهب الصوفى و سلوك طريقته و ايماء الى أنه (٢) متصف بصفات الانبياء و مقامات الاولياء فانه تابع لجده الاعلى و الادنى ((بلغه الله الى الكمال الاعلى)) أى فى الدنيا و الاخرى ((و أوصله الى السعادة القصوى)) أى و السيادة العظمى و هى رضا المولى ((و أدام المجد بين ثوبيه)) أى العظمة فى ذاته ((و أقام الكرم بين برديه)) أى السخاوة فى صفاته ، قال صاحب المفتاح : المجد بين ثوبيه و الكرم بين برديه

فَحَصَلَ بِحُسْنِ لُطْفِ رَحْمَانِي . وَعَمِيمِ فَضْلِ رَبَّانِي . كِتَابٌ حَجْمُهُ عِنْدِي صَغِيرٌ .
 لَيْسَهُلَّ الْحِفْظُ وَالْإِسْتِصْحَابُ . وَعَلَيْهِ عَلَى ظَنِّي غَزِيرٌ . يَغْنَى عَمَّا عَدَاهُ فِي الْبَابِ *
 وَأَبْوَابُهُ عَشْرُونَ قَدْ صَدَرَتْ بِمُقَدِّمَةٍ هِيَ أُخْرَى بِالتَّقْدِيمِ . وَذَلِكَ بِخَاتَمَةِ
 حَقِّ أَنْ يَقَعَ بِهَا التَّثْمِيمُ *

من الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف، أراد القائل ان لا يصرح
 بتخصيص المجد والكرم بالممدوح فجعلهما بين ثوبيه وبرديه تنبيها بذلك على ان
 علمهما ثوبان وبردان وهما مشتملان على الممدوح فتم غرضه بذلك ذكره الطيبي .
 وأنا بحمد الله سبحانه لم أجعل تصنيفي هذا ولا ما سبق لي من تأليف باسم أحد من الامراء
 والوزراء وإنما أردت به ابتغاء وجه الله وشفاعته يوم القيامة ﴿ لحصل بحسن لطف
 رحاني وعميم فضل رباني ﴾ اي بتوفيقه وتسهيله لهذا التأليف وتحصيله ﴿ كتاب حجمه
 عندي صغير ﴾ لانه في أوراق معدودات يتمها الكتاب من غير طريق الاطباب ﴿ ليسهل
 الحفظ ﴾ اي بالجنان ﴿ والاستصحاب ﴾ اي مع الابدان ﴿ وعليه ﴾ اي معلوماته
 ﴿ على ظني غزير ﴾ اي كثير لا شتماله على جميع ما في الاحياء من اربع مجلدات لكمال
 الاستقصاء فهو كالآب . وانما قال : على ظني هضم النفسه في هذا الباب . ولان صاحب
 البيت أدري بما فيه لعدم الحجاب ﴿ يغني عما عداه في الباب ﴾ اي باب التصوف وفصل
 الخطاب ﴿ وأبوابه عشرون ﴾ بابا فيها كفاية لارباب الالباب ، فالباب الاول في الورد .
 والثاني في الاتفاق * والثالث في الصوم * والرابع في السفر * والخامس
 في الزواج * والسادس في الكسب * والسابع في المعيشة * والثامن في الصحبة
 والناسع في الصمت * والعاشر في الاناة * والحادي عشر في العرلة . والثاني عشر
 في التواضع * والثالث عشر في الاخلاص * والرابع عشر في التفويض * والخامس
 عشر في تقى الخواطر * والسادس عشر في التوبة * والسابع عشر في الصبر
 والشكر * والثامن عشر في الخوف والرجاء * والتاسع عشر في الفقر والزهد *
 والعشرون في التوحيد والتوكل واليقين ﴿ قد صدرت ﴾ اي ابتدأت ﴿ بمقدمة ﴾
 في العلم والمعرفة ﴿ هي اخرى ﴾ اي اليق وأولى ﴿ بالتقديم وذيكت ﴾ اي ختمت وانخرت
 ﴿ بخاتمة ﴾ في المحبة ﴿ حق ﴾ اي اجدر واحق ﴿ ان يقع بها التثمين ﴾ لثلايحتاج الى الترميم

وَأَسْمُهُ الْمُطَابِقُ لِلْمَسْمُوعِ عَيْنُ الْعِلْمِ وَزَيْنُ الْحِلْمِ وَأَسَاسُهُ الْكِتَابُ
وَالسَّنَةُ وَشَيْمُ الصَّحَابَةِ الشَّيْمُ مَعْرَى عَمَّا حَدَّثَ مِنْ وَضْعٍ غَيْرِ مَشْرُوعٍ لَا يَسْمُنُ
وَلَا يُغْنَى مِنْ جُوعٍ لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ ۝

نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ
أَعْمَالِنَا ۝ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ۝

(واسمه المطابق للمسمى عين العلم) الذي تبيجته وثمرته أن يكون (زين الحلم) بل هو
معدن اسرار الشريعة والطريقة. ومنبع أنوار المعرفة والحقيقة (وأساسه) أي
مدار بنائه ونبراسه (الكتاب والسنة وشيم الصحابة الشيم) بضم الشين وتشديد الميم
جمع الاشيم أي سير الأصحاب الكبار من ذوى الافتخار، وفيه الاشعار بان اجماع الصحابة
وأكثرهم هو الأول بالاعتبار لانهم من أولى الابدى والابصار (معرى) أي خال
ومجرد (عمّا حدث) أي اخترع وابتدع (من وضع غير مشروع) كالآراء الفاسدة
والأهواء الكاسدة (لا يسمن) ذلك الموضوع أو غير المشروع (لا يغنى من جوع)
أي لا يفيد الزيادة والاستزادة ولا ينفع حين الافادة والاستفادة (ليس التكحل في العينين
كالكحل) بفتح الحين إشارة الى ان تمويه الكتاب بالتكلف من الاعمال المحدثه كالتكحل
صنعة، وتهذيبه على ما اتفق عليه الجمهور من السلف كالعين المكحلة خلقة لا يزول بازالة
احد ولو تكلف في مشقة، وفيه تنبيه نبيه على ان طريق النجاة الانام هو متابعتها عليه السلام
 واصحابه الكرام في جميع احكام الاسلام كما يشير اليه قوله تعالى : (قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحبسكم الله) ويدل عليه حديث « أصحابي كالنجوم بأيهم
اقديتم اهتديتم » وخبر « لا تجتمع أمتي على الضلالة وعليكم بالسواد الأعظم » (١) والله
سبحانه أعلم فالله ازل ولا وابد لا نشرك به احدا (نحمده) في كل آن ونشكره في كل
زمان (ونستعينه) في كل شأنا (وتوكل عليه) في كل مكان (ونعوذ بالله من شرور
انفسنا) أي من الاخلاق الدنيئة (ومن سيئات أعمالنا) من الأحوال الرديئة (ونشهد ان
لا إله) موجود أو معبود أو مشهود (إلا الله) أي الذات المستجمع لكمال الصفات فلا
نعبد الاياه ولا نلتفت الى ما سواه (وحده) مفردا بالذات (لا شريك له) في مال

(١) الحديث لم يصح لفظه ولا سنده كما قال ابن حزم في الاحكام لكن معناه صحيح لاخبار آخر

ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله أعطاه الله تعالى الوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة وبه مقام محمود الذي وعده صلى الله عليه وعلى آله وآله
وسلم تسليمًا

المقدمة في العلم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نتقى

الصفات (ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله) وحبيه وخليله (أعطاه الله تعالى) خبر أو دعاء
(الوسيلة) وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن الوسيلة؟ فقال: هي مرتبة لا ينالها
الا واحد ارجوان أكون أنا فز سألني الوسيلة من الله تعالى حات له الشفاعة
(والفضيلة) أي الزيادة في المرتبة المنيع (والدرجة الرفيعة) أي في المنزلة البديعة
(وبه) أي حشره ونشره (مقام محمود) يحمد الأولون والآخرون ويغبطه
النبون والمرسلون والملائكة المقربون (الذي وعده) أي بقوله: (عسى أزيحك
ربك مقام محمودا) وما وعده لم يكن الا موجودا وانما عبر عنه بعسى للاشعار بأنه لا يجب
على الله سبحانه شيء للعباد وان الأمور انما تكون وفق ما قضاه و اراده صلى الله عليه
اصالة (وعلى آله) أي اهل بيته من أزواجه وأقاربه واحبائه (وآله) أي من يؤل
اليه امره من اتباعه وأصحابه واحزابه (وسلم تسليمًا) أي يقرنه تعظيم وتكريمه
(المقدمة في العلم) وقد ورد العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة أو سنة
قائمة أو فريضة عادلة ، والمراد بها اجماع الأمة واتفاق الأئمة رواه أبو داود وابن ماجه
والحاكم في مستدركه عن ابن عمر ، وفي رواية الديلمي عنه « العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة
ماضية ولا أدري ، وانما لم يذكر اجماع لان مستنده اما الكتاب . او السنة ، والحديث
رواه أبو داود . وابن ماجه عنه مرفوعا ، وقد روى أبو داود . والحاكم وصححه من حديث
أبي هريرة ما أدري اعزيرني ام لا ، وروى احمد وراوى يعلى . والبخاري . والحاكم وصححه
استاده . والطبراني من حديث جبير بن مطعم ، ولا بر حبان . والحاكم وصححه نحوه من
حديث ابن عمر انه لما سئل عن خير البقاع وشربها ؟ قال : لا أدري حتى نزل جبريل ، وفيه
تنبيهه على أن العجز عن ذلك الادراك ادراكه ومنه قول الملائكة (لا علم لنا الا ما علمنا)
وقول الرسل يوم القيامة (لا علم لنا) (بسم الله الرحمن الرحيم) ولا يحيطون به علما

الْعِلْمُ عَلَّانٌ ، عِلْمُ الْمُسْكَشَفَةِ وَهُوَ نُورٌ يَظْهَرُ فِي الْقَلْبِ فَيُشَاهَدُ بِهِ الْغَيْبُ
وَهُوَ مُتَحَقِّقٌ فُورِدَ إِذَا دَخَلَ النُّورُ فِي الْقَلْبِ انْشَرَحَ مِنْ غَيْرِ الرِّيبِ وَأَنْفَسَحَ
اِحْتَمَلَ الْبَلَاءَ وَحَفِظَ السِّرَّ وَلَا يُصْرَحُ بِهِ لَفَقْدِ الرِّوَايَةِ ۞

وهو بكل شئ عليم : (العلم علان) أى علم الآخرة أو المعترف بالاحوال العاخرة أو
النافع والمرتبة الذآخرة أو علم التصوف ، والاحوال الذآخرة نوعان ؛ رقدورد « العلم علان
فعلم فى القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم » رواه ابن ابى
شيبه . والحكيم عن الحسن مرسلا . والخطيب عنه عن جابر مرفوعا (علم المسكشفة)
وهو ما يطلب منه كشف المعلوم فقط المعبر عنه بعلم الباطن مثل علم المحبة والشوق
والرضا والقبض . والبسط . والمحو . والصور . والهيبة والآنس والفناء . والاتقاء واللوامع
والطواع والواجب والروايع والاستنار والاستتار ، ومقابله المعاملة وهو ما يطلب منه
مع الكشف العمل به (وهو نور يظهر فى القلب) اما بالجذبة الالهية أو بالرياضة
الشرعية عند تطهير القلب وتركيبته من الاخلاق الدنية . والصفات الردية (فيشاهد
به الغيب) اى ما غاب عن غيره من العلوم المتعلقة بالرب من وجود ذاته وشهود
صفاته فى مكوناته ومصنوعاته كما يشير اليه قوله عز وجل : (سنريهم آياتنا فى الآفاق
وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) الآية (وهو متحقق) اى ثابت الى يوم القيامة
لاصحاب السلامة من الندامة والملامة (فورد) دليلا لقوله فيشاهد به الغيب (اذا دخل
النور فى القلب انشرح) اى انفتح اى عاين الغيب من غير الريب (وانفسح) اى
انبسط واتسع وانفتح اى (احتمل البلاء . وحفظ السر) اى فى مقام الولاء والابتلاء
وفى المعالم عند قوله تعالى : (فمن ير د الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام) اى لقبول
ما فيه من الاحكام ، ولما نزلت هذه الآية سئل عليه السلام عر شرح الصدر ؟ قال :
نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح ، قيل : فهل لذلك امارة ؟ اى علامة
قار : نعم الانابة الى دار الخنود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول
الموت ، وعن على كرم الله وجهه علم الباطن سر من اسرار الله تعالى عز وجل وحكم
من حكم الله تعالى يقذفه فى قلب من يشاء من عباده رواه أبو داود والديلمى . وأبو عبد الرحمن
السلى (ولا يصرح به) أى لا يمكن التعبير عن علم المسكشفة (لفقد الرواية) اى

وَوَرَدَ « إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ » وَهُوَ أَفْضَلُ لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ وَعِلْمُ الْمَعَامِلَةِ وَهُوَ الْعِلْمُ بِمَا يَقْرُبُ إِلَيْهِ تَعَالَى وَمَا يَبْعَدُ عَنْهُ

أصريحا بل روى أحيانا تلويحا لانه من الأمور الوجدانية فلا يمكن ان يروى وينقل الا بالرموز والاشارات الایمائية الوجدانية فان العاقل يكفيه الإشارة والغافل ما يفيد الا اصريح العبارة ، ولذا قيل : العلم نقطة كثرتها الجاهلون ، ومع هذا كل حزب بما لديهم فرحون . والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة دون علم المكاشفة التي لارخصة في ابداعات الكتب وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر السالكين ، وعلم المعاملة طريق اليه ودليل عليه ولكن لم يتكلم الأنبياء مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد الى الحق ، واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والایماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعداء ورثة الأنبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التأسى ومنهاج الاقتداء * (وورد ان من العلم) أي من جملة علم خفي فيه القنون « كهية المكنون » من الدر المكنون « لا يعلمه الا أهل المعرفة بالله » رواه الديلمي في مستند الفردوس عن أبي هريرة بلفظ « ان من العلم كهية المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا اهل الغرة بالله عز وجل ، وفي هذا المقام قيل : من عرف ربه كل لسانه فان بيان حقائق الذات والصفات تعظم شأنه وتجعل برهانه ، واما قول من قال من عرف ربه طال لسانه فحمول على العلوم الظاهرة والذخائر الفاخرة من سائر الأمور المتعلقة بالدنيا والآخرة ، وقيل : من عرف الله كل لسانه في بيان الذات وطال بيانه في شأن الصفات ، وقيل : من عرفه بالصفات الجمالية طال لسانه ومن عرفه بالنعوت الجلالية كل بيانه « وهو » أي علم المكاشفة « أفضل » أي من علم المعاملة لأن شرف العلم بشرف المعلوم ومن المعلوم أشرفية ما يتعلق به سبحانه من الذات والصفات وما أخبر به من المنهيات « لانه المقصود » الا كل والمقصود بالذات ولذا ينتقل بانتقاله حال الممات بخلاف علم المعاملة فانه ليس مقصودا بالذات بل ليعمل به في سائر الاوقات ولذا ينتهي بانتقال صاحبه الى دار الآخرة حيث لا تكليف فيها « وعلم المعاملة » أي النوع الثاني « وهو العلم بما يقرب اليه تعالى » من المأمورات « وما يبعد عنه » من المنهيات ، وينقسم الى قسمين الى علم ظاهر يتعلق باعمال الجوارح والى باطن يتعلق باحوال القلوب ، ثم الجاري على الجوارح اما عبادة واما

وهو مقدم لانه الشرط فور (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) أصبت فالزم حين أخبر حارثة رضى الله عنه بانكشاف الغيب بعد عزوفه عن الدنيا،

عادة ، والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم (وهو) أى علم المعاملة (مقدم) أى على العمل أو على علم المكاشفة وهو اظهر من حيث دليله الوارد لكن يشكل بقوله (لانه الشرط) فتدبر فانه قد تقدم الجذبة على السلوك في الخدمة اللهم الا أن يقال : انه الشرط الغالي كما يدل عليه استناؤه الآتي (فور) أى في كلامه سبحانه (والذين جاهدوا فينا) أى اجتهدوا في طاعتنا وعبادتنا (لنهدينهم سبلنا) أى طرق معرفتنا ووصلنا أو المعنى والذين جاهدوا فينا بما عرفوا منا لنهدينهم سبلنا التي ما فهموا عنا كما يشير اليه قوله ﷺ : « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم » ويدل عليه قوله تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى) (أصبت) أى وورد أصبت (فالزم حين أخبر حارثة رضى الله عنه بانكشاف الغيب) أى من أحوال العقبي (بعد عزوفه) أى بعد صرف السالك قلبه واعراضه (عن الدنيا) والحديث في الجامع الكبير لشيخ مشايخنا المرحوم جلال الدين السيوطي عن الحارث بن مالك . وحارثة بن النعمان الانصارى ففى رواية الطبراني . وأبو نعيم عن الحارث بن مالك الانصارى قال : « مررت بالنبي ﷺ فقال : كيف أصبحت يا حارث ؟ قلت : أصبحت مؤمنا حقا فقال : انظر ما تقول فان لكل شيء حقيقة وما حقيقة ايمانك ؟ قلت : قد عزفت نفسى عن الدنيا واسهرت لذلك ليل واطمأت نهاري وكأني أنظر الى عرش ربي بارزا وكأني أنظر الى أهل الجنة يترأرون فيها وكأني أنظر الى أهل النار يتضاغون . وفي رواية - يتعاونون فيها فقال : يا حارث عرفت فالزم » قالها ثلاثا ، وفي رواية ابن عساكر قال له عليه السلام : « وأنت امرؤ نور الله قلبه عرفت فالزم » وفي رواية العسكري في الامثال عن أنس « أن النبي ﷺ قال لحارثة بن النعمان : كيف أصبحت ؟ الى أن قال : أبصرت فالزم ثم قال : عبد نور الله الايمان في قلبه فقال : يا نبي الله ادع الى الشهادة فدعا له قال فنودي يوما يا خيل الله اركبي فكان أول فارس ركب وأول فارس استشهد » وفي رواية ابن النجار « فبلغ ذلك امه فجاءت الى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ان يكن في الجنة لم ابك ولم احزن وان يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا فقال : يا ام الحارث او حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة في جنات والحارث في الفردوس الاعلى فرجعت

إِلَّا إِنْ جَذَبَتْهُ الْعُنَايَةُ كَمَا فِي سِحْرَةِ فِرْعَوْنَ وَلَا يَنْفَكُ عَنْهُ فَوْرَدٌ «التَّجَانِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ»

وهي تضحك وتقول : بخ بخ يا حارثة ، (الا) استثناء من قوله مقدم أى لكن قد يؤخر علم المعاملة (ان جذبته العناية كما في سحرة فرعون) فانهم وصلوا الى الحق الحقيق بدون المجاهدة في الطريق فانه روى انهم رأوا في سجودهم الجنة ونازلهم فيها وقد ورد «جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين» (١) وورد «ان الله في أيام دهر كم تفحات الافتعروضوا لها ، والحاصل أن السلوك الى الله تعالى اما بتقديم المجاهدة على الجذبة واما بتقديم الجذبة على المجاهدة كما يشير اليه قوله سبحانه : (الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب) والطريق الثاني سلوك الحكماء وأكثر الأولياء والأول مسلك الأنبياء وبعض الأصفياء كما يدل عليه قوله تعالى : (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) أى تفصيله في الخطاب ومعرض البيان (ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء) أى من أهل العرفان ، وبلغ منه (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك) (ولا ينفك) أى علم المعاملة (عنه) أى عن علم المكاشفة كما قدمنا من لزوم وجود أحدهما مقدما أو مؤخرا ، والحاصل أن بعد الجذبة وحصول المكاشفة يلزم علم المعاملة ، وأما قبل الجذبة فلا بد من المجاهدة فانها شرط وجود المكاشفة ، وخلاصته ان علم المعاملة غير لازم لحصول علم المكاشفة ابتداء ، وأما الدوام فلا بد منه انتهاء كما أن عمر حصل له الجذبة وعلم المكاشفة ثم التزم علم المعاملة والخدمة ولو عاش سحرة فرعون لكان علم المعاملة لازما لهم أيضا لدوام علم المكاشفة ، والمراد بالجذبة هنا الجذبة القوية الالهية الفورية الآتية من عالم الامر والافصاح علم المعاملة ايضا لا يخلو عن نوع جذبة ربانية الا أنها ضعيفة تدريجية من عالم الخلق ، وقد قال تعالى : (ألهه الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) ومن هنا قيل : الطرق الى الله بعدد انفس الخلائق الا أنها تختلف باختلاف حجب الخلائق والعوائق ، ثم اعلم أنه لا يلزم من وجود المعاملة حصول المكاشفة بخلاف العكس في المقابلة وزيدته ان كل من سعى لم يدرك ماتمى لكن ما أدرك ماتمى إلا من سعى لله الآخرة والأولى (فور) أى في الحديث ما يدل على لزوم المعاملة بعد تقدم المكاشفة (التجاني عن دار الغرور) أى التبعثر التزهّد عن الدنيا (والانابة الى دار الخلود) أى الرجوع

(١) هذا من الكلام الذى اشتهر على السنة المتصوفة وأصحاب الطرق ولله من كلام كبار الصوفية المتقدمين رضى الله عنهم وكذلك ما بعده أيضا

حِينَ سُئِلَ عَنْ عَلَامَةِ ذَلِكَ النُّورِ، هَذَا مَا وَرَدَ بِفَضْلِهِ الشَّرْعُ

إلى زاد العقبى والاستعداد للموت قبل نزوله اشتياقا للمولى ﴿حين سئل﴾ أى النبى عليه السلام ﴿عن علامة ذلك النور﴾ كما قدمنا (١) ﴿هذا﴾ أى العلم المنقسم إلى قسمين من المكاشفة والمعاملة ﴿ما ورد بفضل﴾ أى فضل تعلمه وتعليمه ﴿الشرع﴾ أى المطابق للعقل والطبع من الكتاب والسنة وأخبار الأئمة هـ أما الكتاب فكقوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) وقوله: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) عن ابن عباس «للعلماء درجة فوق درجة المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام» وقوله تعالى: (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقوله: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقوله: (قل أنفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وقوله: (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) وقوله: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) وقوله: (ولو رده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعليه الذين يستنبطونه منهم) وقوله: (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) هـ

وأما السنة فكقوله عليه السلام «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» متفق عليه وزاد الطبراني ويلهمه رشده «العلماء ورثة الأنبياء» أبو داود والترمذى: وابن ماجه . وابن حبان في صحيحه من حديث أبى الدرداء «ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجلس الملوك» أبو نعيم في الحلية عن أنس فقد نبه هذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم ان الآخرة خير وأبقى «خصلتان لا يجتمعان في منافق حسن سميت وفقه في الدين» الترمذى عن أبى هريرة «أفضل الناس المؤمن العالم اذا احتجج اليه نفع وان استغنى عنه اغنى نفسه» البيهقى في شعب الإيمان موقفا على أبى الدرداء «الإيمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم والعمل» الحاكم في تاريخ نيسابور عن أبى الدرداء واقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيا فهم على ما جاءت به الرسل» أبو نعيم عن ابن عباس «لموت قبيلة يسر من موت عالم» الطبراني وغيره عن أبى الدرداء «الناس معادن كعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا»

فَالْمُرَادُ الْمُكَاشَفَةُ فِيمَا وَرَدَ «فَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أُمَّتِي»

متفق عليه عن أبي هريرة «يوزن يوم القيامة مداد العلماء بمد ماء الشهداء» فترجح مداد العلماء «ابن عبد البر عن أبي الدرداء» من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها إليهم كنت له شقيماً وشهيداً يوم القيامة «ابن عبد البر عن ابن عمر» من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقي الله يوم القيامة فقيهاً عالماً «ابن عبد البر عن أنس» من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب «الخطيب عن ابن جزء» أوحى الله تعالى إلى إبراهيم يا إبراهيم اني عليم أحب كل عليم «ابن عبد البر تعليقاً «العالم أمين الله في الأرض» ابن عبد البر عن معاذ «صنفان من أمتي اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الأمراء والعقهاء» أبو نعيم عن ابن عباس «اذا أتى على يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم» الطبراني في الأوسط «وابو نعيم في الحلية» وابن عبد البر في العلم عن عائشة «يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» ابن ماجه عن عثمان «ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين» الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة «خير دينكم أسره وأفضل العبادة الفقه» ابن عبد البر عن أنس «اصبحت في زمان كثير فقهاؤه قليل خطبائهم قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسألتني على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطبائهم قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل» الطبراني عن حزام بن حكيم عن عمه ، والمعنى اظهار العمل حينئذ خير من اظهار العلم ليقبلي الناس فلا ينافيه ما سبق من الأحاديث الدالة على أفضلية العلم مطلقاً قيل : يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال : العلم بالله عز وجل فقيل نسأل عن العمل وتجب عن العلم فقيل : ان قليل العمل ينفع مع العلم بالله وان كثير من العمل لا ينفع مع الجهل بالله ، ابن عبد البر عن أنس «يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول : يا معشر العلماء اني لم أضع على فيكم الا لعلني بكم ولم أضع على فيكم لاعدبكم اذ هبوا فقد غفرت لكم» الطبراني عن أبي موسى «فالمراد» أي افراد اشارة «المكاشفة فيما ورد» والفاء للتعليل أي ولان المراد علم المكاشفة «فضل العالم على العابد كفضل علي أمتي» راقط الترمذي. والدارمي عن أبي الدرداء كفضلي على ادناكم وفيه مبالغة لا تخفى أي في حديث مشهور وردورواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه والدارمي وابن حبان ولفظه «ان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه أخذ بحظ وافر» وفي لفظ الترمذي

أَذْغِيرُهُ تَبِعَ لِلْعَمَلِ لُثْبُوتهُ شَرْطًا لَهُ ، وَالْمُعَامَلَةُ طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ لَا مَتَاعَ أَرَادَهُ غَيْرَهَا ۞

عن أبي امامة «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي» وقال : حسن صحيح وورد «فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة» ابن عدى عن أبي هريرة وأبو يعلى عن عبد الرحمن بن عوف ، وروى الأصبهاني في الترغيب والترهيب عن ابن عمر «بين العالم والعابد سبعون درجة» وكذا في مسند الفردوس عن أبي هريرة وأما ما في الأحياء مائة درجة فلا أصل له (أذغيره) أى غير علم المكاشفة وهو علم المعاملة ((تبع للعمل لثبوته)) أى العلم ((شرطه)) أى للعمل فلا عمل بلا علم وقدبو جد علم بلا عمل والمعنى انه كلما وجد العمل لزم وجود العلم بخلاف عكسه فالعمل بغير العلم غير ممكن فعلم ان المراد بالعالم هو العالم بعلم المكاشفة والأقلو أريد منه فضل العالم علم المعاملة لزم تفضيل العالم على العالم أو على العالم العابد وهذا فاسد فتعين ان المراد بقوله فضل العالم هو العالم بعلم المكاشفة هذا حل كلامه ويان مراده ، والظاهر ان المراد بالعالم هنا هو الجامع بين علمى المكاشفة والمعاملة بل المستجمع بين علم الشريعة وعلم الطريقة المؤدى الى مرتبة الحقيقة ثم التحقيق ان العلم بدون العمل غير مفيد والعمل بغير العلم غير صحيح فلا بد للعالم من العمل وللعابد من العلم ، فالمراد بالعالم فى الحديث من يعمل ما يجب عليه ويصرف الى العلم ما يفضل من الاوقات لديه وبالعباد من يعلم ما يجب عليه من العلم ويصرف بقية أوقاته الى العمل وانما فضل العالم على العابد لان نفع العلم متعدد ونفع العمل قاصر ولان العلم اما فرض عين واما فرض كفاية وكلاهما أفضل من التوافل بما لا يخفى على ذوى الفضائل ولان العلم من صفات الله والعمل من صفات العبد ولان الفضيلتين خير من واحدة فان العلم أيضا عمل أى عمل ، وخلاصته ان زيادة العلم خير من زيادة العمل والمراد هنا العالم العامل كإشير اليه قوله عليه السلام نعوذ بالله من علم لا ينفع رواه ابن ماجه بإسناد حسن عن جابر وعن عمر « من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل » ويؤيده حديث « الدال على الخير كفاعله » رواه الترمذى من حديث أنس عن الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم وقال عطاء : دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت : ما يبكيك ؟ قال : ليس أحديسانى عن شئ. ((والمعاملة)) أى والمراد علم المعاملة القلبية الواجبة فيما ورد ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)) رواه ابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقى وغيرهما ((لا متناع ارادة غيرها)) أى غير المعاملة القلبية. أقول : بل الحل على المعنى الاعم هو

أَمَّا التَّوْحِيدُ فَلِلْحُصُولِ، وَأَمَّا الصَّلَاةُ فَلِجَوَازِ أَنْ يَتَأَهَّلَهَا شَخْصٌ وَقَتَ الضُّحَى
وَمَاتَ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَمَّا غَيْرُهُمَا فَظَاهِرٌ ۝

الاتم ليشمل المعاملة القلبية الواجبة وانما يصحح كلام الماتن على قضية نادرة الوقوع
حينئذ يتمتع ارادة غير المعاملة القلبية لان الفرض بعد التوحيد نوعان، أحدهما ما يكون
فرضا على العبد بحكم الاسلام فهو علم المعاملة القلبية واصلاح الباطن لازدياد الانوار
النفسية وازالة الاخلاق الردية. واثبات الشرائط الرضية، وثانيهما ما هو فرض عليه عند
تجدد الحادثة كدخول وقت الصلاة والصوم وجوب الحج والزكاة وعلم البيع والشراء
وسائر المعاملات، واما العباد اذا أسلم في وقت لم يجب عليه هذه الاشياء فليس عليه
أن يعلمها لانه لم يدرك وقتها والم يدرك وقتها لا يكون فرضا عليها اذ لو
قدر موته قبل تجددها لم يطالب يوم القيامة بتعلم علمها وانما يكون الفرض عليه حينئذ
علم المعاملة القلبية وتحصيل الاخلاق الزكية لان العبد بعد الاسلام لا يخلو اما أن يكون
متصفا برذيلة فيجب عليه ازالتها واثبات ضدها مكانها أولا يكون فيجب عليه تحصيل
علم الباطن أيضا لتحصيل ازدياد اليقين ومعرفة خداع النفس وغرورها ودسائسها
الخفية ومعرفة الخواطر الردية وما يكون بينه وبين الله في ذلك الوقت من الاحوال
الباطنة القلبية، فلو وجد فرصة وفراغا بعد الاسلام ولم يشتغل لتحصيل علم المعاملة
القلبية كان تاركا للفرض مسئولاً عنه يوم القيامة وان لم يتجدد له من تلك القروض
الظاهرة شيء كالصلاة ونحوها فافهم والله أعلم، وهذا بيان ما أجمل بقوله: ﴿ اما
التوحيد ﴾ أى علمه ﴿ ف ﴾ ليس المراد به ﴿ للحصول ﴾ أى حصوله لكل مسلم، وفيه
انه لا بد له من بقائه ودوامه وحفظه من تخريب نظامه ﴿ وأما الصلاة ﴾ أى امتناع ارادة
الصلاة به ﴿ فلجواز أن يتأهلها شخص ﴾ أى يصير أهل وجوبها رجل أو امرأة
﴿ وقت الضحى ﴾ بالبلوغ أو الاسلام ﴿ ومات قبل الظهر ﴾ يعنى فلا يجب على كل
مسلم ويدفع بأن هذا أمر نادر على أنه مشروط بشرائط في تلحقها بالحكم بعد تحققها
﴿ وأما غيرهما ﴾ أى من التوحيد والصلاة ونحوه من علم الفقه المسمى بعلم المعاملة
﴿ فظاهر ﴾ أى فى امتناع ارادته والجواب ما تقدم والله أعلم ، وبسط الكلام فى مرام
هذا المقام ان العلماء اختلفوا فى العلم الذى هو فرض عين على كل مسلم فتحزبوا فيه أكثر
من عشرين فرقة وتعصبوا ونزل كل فريق على العلم الذى هو بصده فقال

وَعِلْمُ الْآخِرَةِ مُطْلَقًا فِيمَا وَرَدَ (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) لثَلَاثٍ
يُفَضِّلُ عَلَيْهِ الزَّمَانَ عَلَى الصَّحَابَةِ فَمَجَادِلَةُ الْكَلَامِ وَالتَّعَمُّقُ فِي فِتَاوَى يَنْدُرُ وَقُوعُهَا
مُحَدَّثٌ، وَمَا وَرَدَ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ لِاخْتِصَاصِ الْأَنْذَارِ وَالْحَذَرِ بِهِ، فَالْمُحَدَّثُ مِمَّا
سَبَقَ ذِكْرُهُ يَقْسِي الْقَلْبَ، وَأَيْضًا وَصَفَ الشَّارِعُ الْفَقِيهَ بِأَنَّهُ يَمِثُّ النَّاسَ فِي ذَاتِ اللَّهِ

المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد وبه يعلم ذات الله وصفاته ، وقال
المفسرون والمحدثون : هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها ، وقال
الفقهاء : هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام من المعاملات ، وقال
المتصوفة : المراد به علم الاخلاق وما يتعلق به من علم المعاملة والمكاشفة ، والتحقيق
ان هذه العلوم كلها من فروض الكفاية وأما فرض العين على كل أحد فبعضها مما تجب
به الرعاية (وعلم الآخرة) أى والمراد علم ينفع في الآخرة (مطلقا) أى مع قطع
النظر عن المعاملة والمكاشفة (فيما ورد) أى فى كلامه المجيد (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ
يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (ثلثا يفضل علماء الزمان على الصحابة) وفيه أن الظاهر فى معنى
الآية عدم استواء العلماء والجهلاء ، وأما مراتب العلماء من الأنبياء والصحابة
والتابعين والفقهاء والمشايخ الأولياء فمختلفة بحسب منازل مؤتلفة (فمجادلة الكلام)
أى علم المنطق والكلام (والتعمق فى فتاوى يندُر وقوعها مُحَدَّث) أى بدعة الآن
الأولى مذمومة والثانية فى الجملة محمودة (وما ورد) أى والمراد علم الآخرة فيما جاء
من القرآن (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين) (لاختصاص الأندار
والحذر) فى قوله سبحانه : (ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)
(به) أى يختص بعلم الآخرة (فالمُحَدَّثُ مما سبق ذكره يقسى القلب) أى لعدم
مدخلية فى الأندار والحذر وإنما ينور القلب بذكر الرب وما يتعلق به من الترغيب
والترهيب ، ففى العوارف لما صار الأندار مستفاداً من الفقه والأندار أحياء المنذر بالعلم
والأحياء بالعلم رتبة الفقيه فى الدين صار الفقه فيه أكل رتب المجتهدين وهو علم الزاهد فى الدنيا
الراغب فى العقبى الطالب للبولى وهو الأعلى (وأيضاً) أى بما يؤيد ما قدمناه (وصف
الشارع الفقيه بأنه يمثت الناس) أى يخضعهم بالمعاصى (فى ذات الله) أى لاجل رضاه

وَلَمْ يَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَكْرَهُ لِقَا رَبِّهِمْ وَلَمْ يَرْغَبْ عَنِ الْقُرْآنِ إِلَى غَيْرِهِ وَيَرَى لَهُ وَجُوهًا كَثِيرَةً ۝

﴿ ولم يقنطهم من رحمته ﴾ لقوله تعالى : (لا تقنطوا من رحمة الله) وقوله : (لا يأس من روح الله الا القوم الكافرون) ﴿ ولم يؤمنهم من مكروه ﴾ لقوله سبحانه : (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) بل يجعل نفسه وغيره بين الخوف والرجاء ولو ظهر له مقامات الأولياء لقوله تعالى : (ان الله لا يفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) والانسان لا يخلو من العصيان ولو بالنسيان ﴿ ولم يرغب عن القرآن ﴾ أى وما هو مقتبس منه ﴿ الى غيره ﴾ أى الى غير القرآن من العلوم الحديثة ﴿ ويرى له ﴾ أى للقرآن ﴿ وجوها كثيرة ﴾ أى من ظاهر وباطن وحدود ومطلع وتأويلات عبارات ورموز واشارات لفظ الوارد عنه عليه السلام انه قال : الا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه ؟ قالوا : بلى قال : من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكروه ولم يشبههم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ، أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق . وأبو بكر بن السنى . وابن عبد البر من حديث على ، وقال ابن عبد البر : أكثرهم بوقفونه على على ، وفى حديث آخر : لا يفقه العبد حتى يمقت الناس فى ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ، ابن عبد البر من حديث شداد بن أوس ، وقال : لا يصح مرفوعا ، وروى أيضا موقوفا على أبى الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتا قلت : فيه إيماء الى ما قيل : وجودك ذنب لا يقاس به ذنب ، فظهر أن المراد بالفقه ما يحصل به الانذار والحذر وهو علم الآخرة فقد سأل فرقد السنجى الحسن البصرى عن شئ ؟ فاجابه فقال : ان الفقهاء يخالفونه فقال الحسن : ثكلتك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك ؟ انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة البصير بذنبه المداوم على عبادة الله . الورع السكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن أحوالهم . الناصح لجماعاتهم ۝

ثم اعلم انه ورد فى فضيلة التعلم والتعليم آيات واخبار كثيرة وآثار شهيرة ، منها قوله تعالى : (فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) وقوله عليه السلام : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله تعالى به طريقا الى الجنة » رواه مسلم من حديث أبى هريرة وقوله : « ان الملائكة لتضع اجنحتها الطالب العلم رضى بما يصنع ، أحمد . وابن حبان .

والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال، وقوله: «لأن تغدو فتعلم بابا من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة» ابن عبد البر من حديث أبي ذر، والخبر عند ابن ماجه بلفظ آخر، وقوله: «باب من العلم يتعلمه الرجل خيره من الدنيا» ابن حبان في روضة العقلاء. وابن عبد البر موقوف على الحسن البصري، وجاء مرفوعا بلفظ «خير له من مائة ركعة» رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر وقوله: «اطلبوا العلم ولو كان باليمن» ابن عدى. واليهيقي في المدخل. والشعب بن حديث أنس وقال: متنه مشهور وأسانيده ضعيفة، وقوله «العلم خزائن الله ومفاتيحها السؤال فاستلوا فإنه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحبة لهم» رواه أبو نعيم من حديث علي مرفوعا باسناد ضعيف وقوله «لا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت عن علمه» الطبراني في الأوسط. وابن مردويه في التفسير. وابن السني. وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف. وقوله: «ومن جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحي به الاسلام فينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة» الدارمي. وابن السني في رياضة المتعلمين من حديث الحسن بن علي بن أبي البصري فالحديث مرسل، وأما قول الغزالي في حديث أبي ذر «حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وعبادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل: يا رسول الله ومن قراءة القرآن؟ فقال: وهل ينفع القرآن إلا بالعلم» فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات من حديث عمر، وقال الحافظ العراقي: ولم أجده من طريق أبي ذر قلت قد ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الكبير في مسند أبي ذر «يا أبا ذر لأن تغدو لتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة وأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أولم يعمل به خير من أن تصلي ألف ركعة تطوعا» رواه ابن ماجه. والحاكم في تاريخه عنه، وأما ما ورد في فضيلة التعليم فنه قوله تعالى: (واذا أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وهذا الإيجاب للتعليم، وقوله: (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وهذا دليل على ذم كتمان الحق والتحريم، وقوله: (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا) وقوله: (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله: (ويعلمهم الكتاب والحكمة) ومنه قوله عليه السلام: «ما أتى الله عالما علما الا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ من النبيين أن يبينه للناس ولا يكتمه» أبو نعيم من حديث ابن مسعود، وقوله لما بعث معاذا الى اليمن: «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم» أحمد من حديث معاذه وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد انه قال ذلك لعلي رضي الله عنه * وقوله: «من تعلم بابا

ثم حقه العمل

من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا « الديلمي من حديث ابن مسعود * وقوله « اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين : ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى : أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة » أبو العباس المروزي من حديث ابن عباس ، وقوله : « ان الله لا يبتز ع العلم اتزاعا من الناس بعد أن يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بمامعه من العلم حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جهالا ان سئلوا اقتوا بغير علم فيضلون ويضلون » متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو ، وقوله « من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » أبو داود . والترمذي . وابن ماجه : وابن حبان . والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ، وقوله : « نعم العظيمة ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها الى أخ لك مسلم تعلبها ياها تعدل عبادة سنة ، الطبراني من حديث ابن عباس نحوه ، وقوله « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه أو معلم أو متعلم ، الترمذي . وابن ماجه من حديث أبي هريرة ، وقوله : « ان الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير ، الترمذي من حديث أبي أمامة ، وقوله : « ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه » ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسل نحوه . ولأبي نعيم من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ « ما أهدى مسلم لآخيه هدية أفضل من كلمة تزيد هدى أو ترده عن ردى ، ورواه البيهقي في الشعب أيضا ، وقوله « كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خيرة من عبادة سنة ، ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية يزيد بن أسلم مرسل نحوه ، وقوله : « على خلفائي رحمة الله قيل : ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يحبون سنتي ويعلمونها عباد الله ، ابن عبد البر من حديث الحسن فقيل : هو ابن علي وقيل : ابن يسار البصري فيكون مرسلًا وابن السني . وأبي نعيم في رياضة المتعلمين من حديث علي نحوه ، « وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال : أما هؤلاء فيستلون الله ان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم ، ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو « ثم حقه » أي حق علم المعاملة وهو اثنان وعشرون منها (العمل) والمعنى لا بد للعبد من العمل بالعلم فان العلم بمنزلة الشجرة والعمل في مرتبة

فورد (كبر مقتاً عند الله) الآية «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» والاحتراز عن الفتوى لعدم قيامهم بها إلا بضعة عشر، وورد لا يفتي إلا أمير أو مأمور أو متكلف،

الثمرة فالشرف للشجرة لكونها الأصل لكن الانتفاع بالثمرة التي هي الفرع فكذا حقيقة العلم والعمل في قواعد الشرع والكمال هو الجمع بين العلم والعمل والتعليم لقول عيسى عليه السلام: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» والحاصل أن العالم العامل في منزلة النبيين وإذا انضم إليه التعليم فهو في مرتبة المرسلين (فورد) في ذم ترك العمل (كبر مقتاً عند الله الآية) والمقت أشد الغضب، تمامها (ان تقولوا ما لا تفعلون) وفي معناها (أنأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)؟ وأنشد: لاته عن خلق وتأتى مثله ه عار عليك اذا فعلت عظيم

ثم اعلم أنه كثر في التصانيف الخلافية ذكر الآية والحديث والبيت قبل تمامها فقد يكون الباعث على ذلك اختصار ما هنالك وقد يكون الاستدلال على المطلوب يتوقف على أواخرها وهو محفوظ ومعروف عند أهلها فيذكر صدرها ويشير إلى آخرها بقوله الآية . ونحوها أما بالنصب على اضمار اقرأ وهو الوجه الظاهر ويجوز الرفع بتقدير مبتدأ أو خبر كالمورد والمروى والجر على تقدير إلى آخر الآيات ومثالها (أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه) أي لم يوفقه للعمل به ومن جملة عمله نفع غيره ان احتاج إلى علمه ، والحديث رواه الطبراني في الصغير . وابن عدى في الكامل . والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة ، وورد «ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات» (والاحتراز) أي وحق علم المعاملة اجتناب صاحبه (عن الفتوى) اذ لم يتعين لها (لعدم قيامهم) أي الصحابة (بها إلا بضعة عشر) بكسر الموحدة ما بين الثلاث إلى التسع، وكان قبض عليه السلام عن مائة ألف وأربع وعشرين ألفاً من الصحابة الكرام فهم يسير من كثير من أهل التقوى (وورد لا يفتي إلا أمير أو مأمور أو متكلف) الطبراني عن عبادة بن الصامت، وعن عوف بن مالك أيضاً فالأمير هو الامام وقد كانوا هم المفتون، والمأمور نائبه، والمتكلف غيره وهو الذي يتكلف

وَالِاسْتِبْصَارُ فُورَدَ « اُسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَانْ اَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ »

تلك العهدة من غير حاجة فلا يخلو عن الخطر فينبغي له الحذر كل الحذر ، وعن حذيفة
وانما يفتى أحد ثلاثة من عرف الناس والمنسوخ أو رجل ولى سلطان فلا يجذب دامن
ذلك أو متكلف ، ابن عساكر ، قال الحجة : وقد كان الصحابة يحترزون عن الفتوى حتى
يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق
الآخرة ، وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائى فان من تقلد خطر الفتوى وهو
غير متعين عليه للحاجة اليه فلم يقصده الا طلب الجاه والمال ، وعن أبي حصين قال :
ان أحدهم ليفتى في المسألة ولو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر ابن عساكر ،
وعن ابن سيرين أن عمر قال لأبي موسى : اما بلغني أنك تفتى الناس ولست بأمر قال : بلى
قال فول حارها من تولى قارها (١) عبد الرزاق ، والدينورى في المجالسة . وابن عبد البر في العلم .
وابن عساكر ، وعن عبد الله بن بشير أن علي بن أبي طالب سئل عن مسألة ؟ فقال : لا علم
لى بها ثم قال : واردها على الكبد سئلت عما لم أعلم فقلت : لا أعلم رواه سعدان
ابن نصر ، وسئل مالك عن أربعين مسألة فقال فى ست وثلاثين : لا أدرى ، ومن
يرد غير وجه الله بعلمه فلا تسع نفسه بان يقر على نفسه بأنه لا يدري ، وعن أبي يوسف
سمعت أبا حنيفة يقول : لولا الخوف من الله تعالى ما أفتيت أحد السكون هنا لهم والوزر
علينا ، وسئل عن مسألة فقال : سلوا مولاى الحسن ، وذكر الكردرى منه وناهيك
عن نهى الفتوى قوله عليه السلام : « اجروكم على الفتيا أجروكم على النار » رواه الدارمى
عن أبي عبد الله بن أبي جعفر مرسل (والاستبصار) أى وحق علم المعاملة بعد فتوى
المفتين طلب البصيرة بعين الاعتبار . وأخذ القول بدليل الخاص من غير استبدال
بالنظر من بين اخبار (فورَدَ استفت قلبك وان افتاك المفتون) أحمد من حديث
وابصة . ويؤيده حديث « دع ما يريك الى ما لا يريك » الترمذى وصححه . والنسائى .
وابن حبان من حديث الحسن بن علي ، وحديث « لا يكون الرجل من المتقين حتى
يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس » الترمذى وحسنه . وابن ماجه . والحاكم وصحح
اسناده من حديث عطية السعدي ، وحديث « الاثم حواز القلوب » البيهقى في شعب
الايمان من حديث ابن مسعود ، وهو بتشديد الزاى جمع حازة وهى الامور التى تحز فيها أى

(١) القار باقاف البرد فعمل الحر كتابة عن الشر والشددة والبرد كناية عن الخير والهيئ ،

والمنى ول شرها من تولى خيرها وول شديدها من تولى ميتها

وَلَا نَ الْمُقَلِّدَ وَعَا الْعِلْمَ ، وَالشَّفَقَةَ فِي التَّعْلِيمِ فَرَدْنَا لَكُمْ مَثْلَ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ

تؤثر كما يؤثر الحز والحكم في الشيء وهو ما يحظر فيها من المعاصي لفقد الطمأنينة اليها، ويروى بتشديد الواو أي يحوزها أو يملكها ويغلب عليها ويروى حزاز بزاءين الأولى مشددة فعال من الحز فيعتمد في العلوم على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على صحفه وكتبه ولا على تقليد ما يسمعه من غيره كما أشار إليه بقوله: ((ولان المقلد وعاء العلم)) عطف على فرود لانه في معنى التعليل، والمعنى ان الذي يقبل قول الغير ولو كان مجتهدا انما هو وعاء العلم أي ظرفه بمنزلة الرواية فليس له حظ في الدراية وانما نصيبه الرواية، ومن هنا قال أبو حنيفة، وغيره: لا يحل لاحد أن يقول يقول لنا ما لم يعلم من أين قلنا ((والشفقة في التعليم)) أي ومن حق علم المعاملة على المعلم بالنسبة الى المتعلم ((فرودنا لكم مثل الوالد لولده)) أبو داود، والنسائي، وابن ماجه: وابن حبان من حديث أبي هريرة، وقال تعالى: (الذي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) وفي قراءة شاذة (وهو اب لهم) بل هو أفضل وأكمل من الوالدين منهم (١) فان قصده انقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا، ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد (٢) سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الآخورية الدائمة اعنى معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا واما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله ثم كما ان حق ابناء الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذا حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتواد ولا يكونوا الا كذلك ان كان مقصدهم (٣) الآخرة ولا يكون الاتحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وأبناء الآخرة مسافرون الى الله سبحانه وتعالى وسالكون اليه، والطريق هو الدنيا وسنونها وشهورها منازل الطريق، والتوافق في الطريق بين المسافرين الى الأمصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الأعلى والتوافق (٤) في طريقه الأعلى ولا ضيق في سعادات الآخرة فلذا لا يكون بين ابناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذا لا تنفك عن ضيق التراحم، والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى: (انما المؤمنون اخوة) وداخلون في مقتضى قوله سبحانه: (الاخلاء

(١) سقط لفظ منهم من النسخة المطبوعة (١) في النسخة المطبوعة «فان الولد» وهو غلط (٢) في بعض النسخ مقصودهم وما هنا يناسب ما سيأتي بعد (٣) في بعض النسخ والترافق وما هنا أولى ليناسب ما قبله

فَلَا يَضُنُّ فُورَدَ « مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَجْلَمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » إِلَّا عَنْ غَيْرِ أَهْلِهِ فُورَدَ
« لَا تَطْرَحُوا الدَّرَّ فِي أَفْوَاهِ السِّكَلَابِ » وَالتَّعْرِضُ بِالْمَنْعِ أَبْقَاءَ لِلْهِبَةِ وَهُوَ الْمَأْمُورُ ،

يومئذ بعضهم لبعض عدو (الا المتقين) ومعزولون عن منصب قوله عليه السلام :
« لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ، يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » (فلا يضمن) بفتح الضاد وكسرها
نقيا أو نهيا أى فلا يبخل على أحد بعلمه لأن العلم لا يبخل منه (فورد من كتم علما أجم
بلجام من نار) ابن ماجه وغيره من حديث أبى هريرة (الا) استثناء من قوله فلا
يضمن أى فلا يبخل بالعلم الا (عن غير أهله) وهو الذى يريد أن يتوصل الى المال والجاه
ونحوه (فورد لا تطرحوا الدر في أفواه السكلاب) رواه ابن النجار عن أنس ولفظه
« لَا تَطْرَحُوا الدَّرَّ فِي أَفْوَاهِ الْخَنَازِيرِ » وقال عيسى عليه السلام : لا تعلقوا الجواهر في
أعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجواهر ، ومن كرهها فهو شر من الخنازير ، وقال
أيضا : لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وكونوا
كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء ، وفي لفظ آخر من وضع الحكمة في غير
أهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم ان للحكمة حقا وان لها أهلا فاعط كل ذي حق
حقه وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل : أما سمعت ان رسول الله ﷺ
قال : « مَنْ كَتَمَ عِلْمًا نَافِعًا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْجَمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » فقال : اترك اللجام واذهب
فان جاء من يفقه فكتمته فليجمني ، وقوله تعالى : (وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ فِيهِ نَبِيْهِ
نَبِيْهِ عَلَى أَنْ يَحْفَظَ الْعِلْمَ مِنْ يَدِهِ وَيُضِرَّهُ أَوَّلَى وَلَيْسَ الظُّلْمُ فِي إعْطَاءِ غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ بِأَقْلَ مِنْ
الظُّلْمِ فِي مَنَعِ الْمُسْتَحَقِّ :

فمن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم
(والتعريض) أى لا التصريح (بالمنع ابقاء للهيبة وهو المأمور) أى في المنع
كما ورد في الحديث المأثور ، والمعنى ان من حقوق المعلم أن يزجر المتعلم بالتعريض
اذا وقع منه تقصير وقلة أدب في القول أو الفعل حال تقرير ولا يصرح ما أمكن
وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث
الجرأة على الهجوم بالمخالفة كما روى ابن جرير مرسل انه عليه السلام بينما هو
يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى عليه
السلام عارض الرجل حتى لقيه فقال : يا فلان ما منعك أن تجمع اليوم معنا فقال :

وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى قَدَرِ الْفَهْمِ فَوَرَدَ « أَمَرْنَا أَنْ نُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدَرِ عُقُولِهِمْ ،
وَقَطْعُ الطَّمَعِ فَوَرَدَ (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) وَنِيَّةُ الْعَمَلِ وَالتَّعْلِيمِ

يَا بَنِي اللَّهِ أَنِّي قَدْ جَمَعْتُ مَعَكُمْ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَوْلَمْ أُرْكَ تَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ فَعَرَضَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَنْعِ عَنِ التَّخَطُّي بَآئِهِ يَحْبِطُ أَجْرَ عَمَلِهِ وَلَمْ يَصْرَحْ لَهُ مَعَ مَا فِيهِ مِنْ أَمَالَةِ النُّفُوسِ الذَّكِيَّةِ وَالْأَذْهَانِ الْبَهِيَّةِ إِلَى اسْتِنَابِطِ الْمَعَانِي الْخَفِيَّةِ فَيَفِيدُ فَرَحَ التَّفْطَنِ رَغْبَةً فِي الْعَمَلِ بِهِ بِخِلَافِ التَّصْرِيحِ فَآنَهُ رُبَّمَا يُوَقِّعُهُ فِي الْإَصْرَارِ عَلَى الْقَبِيحِ ، فَقَدَّرُوا لَوْ مَنَعَ النَّاسَ عَنْ فَتِ الْبَعْرِ لَفَتَوْهُ وَقَالُوا : مَا نَهَيْتُنَا عَنْهُ إِلَّا وَفِيهِ شَيْءٌ يُطْلَبُ ، وَقَدْ قِيلَ : الْإِنْسَانُ حَرِيصٌ عَلَى مَا مَنَعَهُ كَمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً : (مَا نَهَاكَ بِرَبِّكَ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَوْ تَكُونَ مِنَ الْخَالِدِينَ) ﴿ وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى قَدَرِ الْفَهْمِ فَوَرَدَ أَمَرْنَا أَنْ نَكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدَرِ عُقُولِهِمْ ﴾ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ بِلَفْظِ « أَنْزَلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ » وَفِي رَوَايَةٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ « نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ أَمَرْنَا أَنْ نَنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ » وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ « كَلَّمُوا النَّاسَ بِمَا تَعْرِفُونَ وَدَعُوا مَا تَسْكُرُونَ » الْبُخَارِيُّ مَوْقُوفًا عَلَى عَلِيٍّ ، وَرَفَعَهُ أَبُو مَنْصُورٍ الدِّيلَمِيُّ فِي مَسْنَدِ الْفَرْدَوْسِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي نَعِيمٍ ، وَيُقَوِّيه حَدِيثُ « مَا حَدَّثْتُ أَحَدًا قَوْمًا بِحَدِيثٍ لَا يَفْهَمُونَهُ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً عَلَيْهِمْ » الْعَقِيلِيُّ فِي الضَّعْفَاءِ . وَابْنُ السَّنِيِّ . وَابُو نَعِيمٍ فِي الرِّيَاضَةِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ ، وَلِلْمُسْلِمِ فِي مَقْدِمَةِ صَحِيحِهِ مَوْقُوفًا عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ نَحْوَهُ ، وَفِي رَوَايَةٍ « مَا أَحَدٌ يَحْدُثُ قَوْمًا بِحَدِيثٍ لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ فِتْنَةً عَلَى بَعْضِهِمْ » وَفِي رَوَايَةٍ لِأَبِي نَعِيمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ « لَا تَحْدُثُوا أُمَّتِي مِنْ أَحَادِيثِ الْأَبْنَاءِ تَحْمِلُهُ عُقُولُهُمْ » وَعَنْ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا تَعْرِفُونَ أَوْ تَرِيدُونَ أَنْ يَكْذِبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الْبُخَارِيُّ ، وَفِي رَوَايَةٍ عَنْ أَبِيهَا النَّاسِ تَحْبُونَ أَنْ يَكْذِبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَدَّثُوا النَّاسَ بِمَا تَعْرِفُونَ وَدَعُوا مَا تَسْكُرُونَ الْخَطِيبُ ، وَفِي رَوَايَةٍ عَنْهُ وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ أَنْ هُنَا لَعُلَّوْا جَمَاعَةً لَوْ وَجَدَتْ لَهَا حَامِلَةً ، وَلَقَدْ صَدَّقَ قُلُوبَ الْأَبْرَارِ قُبُورَ الْأَسْرَارِ ﴿ وَقَطْعُ الطَّمَعِ ﴾ أَيُّ عَنِ الْخَلْقِ خُصُوصًا عَنِ التَّلِيدِ وَهُوَ سَكُونُ النَّفْسِ إِلَى مُنْفَعَةٍ مُشْكُوكَةٍ ﴿ فَوَرَدَ ﴾ أَيُّ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ تَمَامُهَا (أَنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) وَلَنْ فَسَادَ الدِّينِ الطَّمَعُ كَمَا أَنَّ صَلَاحَ الدِّينِ الْوَرَعُ عَلَى مَا رَوَى عَنْ الْحَسَنِ ﴿ وَنِيَّةُ الْعَمَلِ ﴾ بِنَفْسِهِ ﴿ وَالتَّعْلِيمِ ﴾ لِتَغْيِيرِهِ فِي التَّعَلُّمِ أَيُّ لِقَاصِدِ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْأَغْرَاضِ الْفَاسِدَةِ وَالْأَعْوَاضِ السَّكَاسِدَةِ ،

فورد « مَنْ تَعَلَّمَ لِلْمُبَاهَاةِ أَوْ الْمُمَارَاةِ أَوْ لِيَصْرِفَ وَجْهَهُ النَّاسَ فَهُوَ فِي النَّارِ »
وَالْإِنْقِطَاعُ لِشُغْلِ الْعِلَاقِ وَالتَّمَلُّقُ فورد « لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ
التَّمَلُّقُ إِلَّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ » وَالتَّسْلِيمُ لِهَلَاكِ مَرِيضٍ لَا يُسَلِّمُ لِلطَّيِّبِ
وَالْحُضُورُ لِلاتِّقَاعِ فورد (إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ)

وهذا من حقوق تجنب على المتعلم (فورد من تعلم للمباهاة) أى للمفاخرة (أو
المماراة) أى المجادلة (أو لصرف وجوه الناس) أى إليه تعظيما وتكريما (فهو
في النار) ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح ، ولفظه « لا تتعلموا العلم لتباهوا
به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار »
وفي رواية لابن ماجه عن أبى هريرة بلفظ « من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به
السفهاء أو يصرف وجوه الناس اليه أدخله الله جهنم » وفي رواية لآبى داود عنه ومن
تعلم صرف الكلام ليسبى به قلوب الناس لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، وفي رواية
الترمذى عن كعب بن مالك بلفظ « من تعلم العلم ليمارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء
أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار » وقد كثرت طرقه بحيث كاد أن يكون متواترا
(والانتقطاع) عن سائر الأمور التى فيها نوع من النزاع (لشغل العلائق) أى العوائق
بتعلق الخلائق عن خدمة الخالق ، ويشير اليه قوله تعالى : (وتبذل اليه تبذلا) أى
انقطع اليه واعتمد عليه واقصد الحضور لديه ولقوله تعالى : (ما جعل الله لرجل من
قلبين فى جوفه) وقال بعضهم : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا أعطيتك كلك
فانت من أعطائه اياك بعضه على خطر (والتلق) هو الافراط فى التواضع والتذلل
(فورد ليس من أخلاق المؤمن التملق الا فى طلب العلم) رواه الخطيب (والتسليم) أى
تسليم المتعلم للمعلم لأن العالم الربانى يربى المتعلم بصغار العلم قبل كباره ، ولقوله
(هلاك مريض لا يسلم) أى أمره (للطبيب) أى فيما يحتميه وفيما يعينه (والحضور
للاتتفاع) أى ومن حق العلم حضور القلب مع الرب ليحصل له الاتتفاع فى مقام
الكسب (فورد) أى فى قوله تعالى : (ان فى ذلك) أى فيما سبق من أول سورة ق أو فى
القرآن (لذكرى) أى تذكرة أو منفعة وموعظة (لمن كان له قلب) أى حاضر وتام

وَتَرَكُ الْأَسْتِكَافَ لِأَنَّهُ تَكْبِيرٌ. وَالْقِيَاسَ لِاسْتِدْبَالِهِ الْحُضُورَ بِالنَّوَافِلِ
وَاحَالَةَ الْبَحْرِ النَّجَاسَةِ مَاءِ الدُّونِ الْكُوزِ، وَتَقْدِيمَ الْأَهَمِّ فَيَدَأُ بِفَرْضِ الْعَيْنِ وَهُوَ
عِلْمٌ مَائِجِبٌ مِنْ اعْتِقَادٍ وَفَعِلٍ وَتَرَكُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا ثُمَّ عِلْمُ الْآخِرَةِ فَهُوَ الْمُقَرَّبُ
إِلَيْهِ تَعَالَى ۞

الآية (أو ألقى السمع وهو شهيد) أى بجميع حواسه (وترك الاستكاف) أى الأنفة عن
الطلب أو المطلوب منه فإن العلم يؤتى ولا يأتى (لأنه تكبير) أى بغير حق وقد قال تعالى:
(سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن
يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الفنى يتخذوه سبيلا) (والقياس) أى
ومن حق العلم ترك قياس المبتدى على المنتهى فى كثرة الطاعة وقلة اجتناب الشبهة (لاستبداله)
أى لا اختيار المنتهى (الحضور) أى مع الله (بالنوافل) اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن
وتسكن الجوارح الا عن روائب الفرائض فيترامى للتأطرنه كسل وبطالة واهمال وغفلة
وهيات فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور مع الرب (واحالة البحر)
أى ولتغيره (النجاسة ماء دون الكوز) شبه المنتهى بالبحر والمبتدى بالكوز فلا يقاس
الملوك بالحدادين، ومن هنا قال بعض المشايخ: من رآنى فى البداية صار صديقا ومن رآنى
فى النهاية صار زنديقا (وتقديم الأهم) أى من العلوم تعلما وتعلما (فيدأ بفرض
العين) أى المتعين على كل أحد (وهو علم ما يجب من اعتقاد) أى اجمالا أو تفصيلا
تقليدا أو تحقيقا كما بينته فى شرح الفقه الأكبر تدقيقا (وفعل) أى عمل من صلاة
وصوم ونحوهما (وترك) أى من قتل نفس وشرب خمر وأمثالهما وعلمها كتب
الفقه (ظاهرا) وهو ظاهر (وباطنا) كترك ارادة الممصة (ثم علم الآخرة) أى
معرفة تفاصيل أحوالها ومواقفها وأحوالها أو علم لا ينفع الا فى الآخرة وأما لها، والمراد
به علم التصوف وتحسين الاخلاق الباطنية وتزوين الأحوال السرية (فهو المقرب اليه
تعالى) أى ظاهرا وباطنا بخلاف غيره اذ قديعه عنه سبحانه لما يشتمل عليه من
أنواع التقصير. وأصناف التكدير. من الرياء والسمعة والعجب والغرور فى التقرير
والتحرير، ومن هنا قال الامام مالك: من تفقه ولم يتصوف فقد تنسق ومن تصوف
ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق، وقال بعض العارفين: من لم يكن له

نصيب من هذا العلم أخاف عليه من سوء الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق به والتسليم لاهله، وقال آخر: من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة وكبر، وقيل من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم فأقل عقوبة من ينكره أن لا يرزق منه شيئا وأنشد :

وارض لمن غاب عنك غيبته ۞ فذاك ذنب عقابه فيه

هذا ومجمل ما يجب عليك من الاعتقاد على وجه الاقتصاد في مقام الاستفادة أن تعلم أن لك إلهًا عالمًا قادرًا حيا مريدا متكلمًا سميعًا بصيرًا واحدًا أحدًا فردًا صمدًا لا شريك له أبدا ولا ضدله ولا ند ولا شبيه ليس كمثل شيء لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، متصف بصفات الكمال جامعا بين نعوت الجلال والجمال فهو ذو الجلال والاكرام، وصاحب الافضال والانععام، منزها عن الحدوث متفردا بالقدم خالقا لكل شيء من حيز العدم كلامه قديم وإرادته وعلمه مقدسان عن كل نقص وآفة لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدودين ولا تتضمنه الامكنة والجهات ولا تمر عليه الأزمنة والساعات ولا تحمل له الحوادث والعاهات، وإن محمدا عبده ورسوله وخليله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وهو الصادق المصدوق فيما جاء به من الله سبحانه وفيما ورد على لسانه من أمر الآخرة وغرائب شأنه، ويجب عليه اعتقاد ما كان عليه السلف من أن الله سبحانه يرى في الآخرة لأنه موجود لكنه غير محدود، وإن القرآن كلام الله غير مخلوق ليس بحروف مقطعة ولا باصوات مختلفة فهو حال وحادث فينا محفوظ في قلوبنا مقروء بالسنتنا مكتوب بأيدينا ملحوظ بأعيننا، ونعتقد أيضا أن لا يقع في الملك والمملوك فائتة خاطر ولا فتنة ناظر الا بقضاء الله وقدره وفق إرادته ومشئته فمنه الخير والشر والنفع والضرر والايمن والكفر وأنه لا واجب على الله لاحد من خلقه وإن حقه واجب على غيره وهو العبادات، ثم من أتابه فهو بفضل له ومن عاقبه فهو بعدله ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ونعتقد جميع ما ثبت بالسنة من أمور الآخرة كالجنة والنار والحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والصراط والميزان ۞ فهذه أصول الايمان درج السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين على اعتقادها والتمسك بها ووقع الاجماع عليها قبل تنوع البدع وبدو الالواء ۞ وقال الحجة: علم الآخرة ينقسم الى المعاملة والمكاشفة وغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعنى بالمعرفة الاعتقاد الذي تلقنه العوامى رواية بل ذلك نوع يقين من ذراية

فَإِذَا فَرَغَ عَنِ الْقِيَامِ بِفَرْضِ الْعَيْنِ عِلْمًا وَعَمَلًا سَأَغَ أَنْ يَشْرَعَ فِي فُرُوضِ
الْكُفَايَةِ كَالْتَفْسِيرِ وَالْأَخْبَارِ وَالْفَتَاوَى غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ إِلَى النُّوَادِرِ *

هو ثمرة نور يقدفه الله في قلب عبد ظهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان أبي بكر الصديق والله تعالى ولى التوفيقه ومن أهم المهمات معرفة الواجبات ليكتسبها والسيئات ليجنبها اذ كيف تقوم الطاعات ولا تعرف ما هي أو كيف يفعلها مع وجود الملاهي أم كيف يجتنب المعاصي من غير أن يعرف أنها من المناهي فيجب عليك أن تحكم أحكام الشرع من الاصل والفرع فربما أنت مقيم على كفر وبدعة أو على غفلة مما يفسد عليك طهارتك أو صلاتك أو يخرجك عنها عن كونها على وفق السنة، ثم مدار هذا الشأن أيضا على العبادات الباطنة التي هي من فروض الأعيان من التوكل والتفويض والتسليم والرضا والقضاء والتزوية والابانة والصبر والشكر والاخلاص في النية ونحوها مما سيجيء ذكرها ويجب الاتصاف بها وكذا المماصي الباطنة من السخط والغضب والحقد والحسد والبخل وطول الأمل وخوف الفقر والرياء والكبر مما سيأتي بيانها ويجب اجتنابها حتى يصون النفس عما شأنها ويكون منعوتها بمازاتها فان هذه المذكورات كلها فرائض الله سبحانه على الامر بها والنهي عن اضدادها في كتابه القديم وعلى لسان رسوله القويم، فقد قال تعالى: ﴿قَدْ كَلَّوْا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) (واصبروا ان الله مع الصابرين) (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) ونحو ذلك من الآيات كما نص على الامر بالصوم والصلاة فيما بالك أقبلت على العبادات الظاهرة وتركت الطاعات الزائدة والامر بها من رب واحد في كتاب واحد على رسول واحد بل غفلت عنها ولا عرفت شيئاً منها، وعلى الجملة فكل ما لا يؤمن من الهلاك مع جهله فطلب عليه فرض لا يسوغ لاحد تركه (فإذا فرغ عن القيام بفرض العين علماً وعملاً) أي فعلاً وتركه (سأغ أن يشرع في فروض الكفاية كالتفسير) أي وما يتعاقب به من علم القراءة وأسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر، وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضاً وما يتوقف عليه من علم اللغة والصرف والنحو (والاخبار) أي الاحاديث والآثار المسندة وغيرها ومعرفة رجالها وسائر أحوالها (والفتاوى) أي فروع الفقه وأصوله (غيره متجاوز الى النوادر) أي كما نقل عن السلف

وَلَا مُسْتَعْرِقٌ مُسْتَقِلٌّ عَنِ الْمَقْصُودِ ، وَالْاِقْتِصَارُ عَلَى الْوَاقِعِ وَالْقَرِيبِ مِنْهُ
فِي الْمُنَاطَرَةِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ ، وَاخْتِيارُ الْخُلُوةِ لِقُرْبِهَا إِلَى جَمْعِ الْهَمَّةِ وَصَفَاءِ الْفِكْرَةِ
وَالْبُعْدِ عَنِ الرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ هـ

الأكابر فيكفيك من التفسير وجيز الواحدى أو الجلالين ، ووسطه المدارك أو المعالم
ونهايته الدر المنثور في التفسير المأثور ، ومن الحديث يكفيك ما في الصحيحين والوسط
منه نحو المشكاة والنهية وتيسير الوصول إلى جامع الأصول والجامع الكبير للحافظ
السيوطي ، واما الاستغراق في علم واحد طلبا للاستقصاء فممنوع فإن العلم كثير والعمر
قصير ﴿ ولا مستغرق ﴾ أى بكليته في فرض الكفاية وهى كما قال الحجة : كل علم لا يستغنى
عنه في قوام أمور الدنيا كالطب اذ هو ضرورى في حاجة بقاء الأبدان . وكالحساب فإنه
ضرورى في المعاملات وقسمة الوصايا والموارث وغير ها قال : ولا يتعجب من قولنا :
ان الطب والحساب من فروض الكفاية فان أصول الصناعات كذلك كالزراعة
والحياكة والسياسة بل الخجامة وهى أخس الصنائع فإنه لو خلا بلد عن الخجامين
لسارع الهلاك اليهم ولخرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فان الذى أنزل الداء أنزل
الدواء وأرشد إلى استعماله وتواعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله ،
قلت : وأغرب من هذا ان صنعة السرابات أيضا من فروض الكفاية ﴿ مشتغل عن
المقصود ﴾ أى الذى هو الحضور بين يدي المعبود والاستغراق في لجة بحر الشهود فقد قال
الطحاوى : حدثنا ابن أبي عمران قال : حدثنا محمد بن مروان الخفاف قال : سمعت اسماعيل
ابن حماد بن أبي حنيفة يقول : قال محمد بن الحسن : كنت آتى عند داود الطائى فاسئله عن
مسألة ؟ فان وقع في قلبه انها مما احتاج اليه لا مردينى اجابنى عنها وان وقع في قلبه انها على
خلاف ذلك تبسم في وجهى وقال : ان لنا شغلا ﴿ والاقصا ﴾ أى من حقوق علم المعاملة
الاقصا ﴿ على الواقع ﴾ أى من القضايا ﴿ والقريب منه ﴾ أى من الواقع في البلايا
﴿ والمنظرة ﴾ أى بطريق المشاورة ﴿ فهو المأثور ﴾ أى عن الجمهور فان الصحابة ما تناظروا
ولا تشاوروا الا في مسألة واقعة أو قرية الوقوع غالبا ﴿ واختيار الخلو ﴾ أى للمنظرة
﴿ لقربها إلى جمع الهمة وصفاء الفكرة والبعد عن الرياء والعجب ﴾ لان في حضور الجمع
ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه مخفا كان أو مبطلا

وَسَبِيلُ التَّشَاوُرِ وَالتَّعَاوُنِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ فَيَجِيزُ الْإِتِّقَالَ عَنْ دَلِيلٍ وَإِشْكَالٍ
وَلَا يَدْعَى عِلْمَ مَجْهُولٍ وَلَا يَسْكُتُ عَنْ مَعْلُومٍ زَائِعًا أَنَّهُ عَالِمٌ بَعْدَ لُزُومِ الذِّكْرِ فَهِيَ
قَوَاعِدُ مُحَدَّثَةٌ جاذِبَةٌ إِلَى الْمُهْلِكَاتِ يَحْرُمُ التَّمَسُّكُ بِهَا وَيُشْكِرُ لِلْبَصِيبِ وَيَعْتَرِفُ بِالْخَطَا

(وسبيل التشاور) أى واختياره لقوله عز وجل : (وأمرهم شورى بينهم)
والحديث « ما خاب [من استخار ولا ندم] (١) من استشار » (والتعاون) لقوله
تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) (فهو المأثور) لاعلى سبيل المراء والخصومة
والرياء (فيجوز الانتقال) أى فيجوز انتقال خصمه من معاونة ومشاورة (عن
دليل وإشكال) أى الى دليل آخر وإشكال أظهر بان اعتقد اولاه دليل وإشكال
قبل المشورة والتعاون فلم بعد همانه غير دليل وإشكال فينتقل (ولا يدعى علم
مجهول) كما اذا قال أحد المناظرين هذا ما ظهر لى فان ظهر لك ما هو اوضح فاذكره
فيصر المعتبر ويقل : فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفته ولا اذكره اذ لا يلزم ذكره
ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اما كذب ولا يعرف معنى وأما يدعيه تعجيز الخصمه
فهو فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتكون دعواه دعوى علم مجهول، أو قوله صدق
فقد فسق باخفاء ما عرفه من أمر الشرع وقد سأل اخوه المسلم واظهار مثل ذلك واجب كما
لا يخفى فيكون سكوته سكوتا عن معلوم زاعما عدم لزوم الذكروه وقد وجب عليه وهذا
معنى قوله (ولا يسكت عن معلوم زاعما) أى مدعيا (انه عالم بمد) أى بعد سؤال
المنظرة و (لزوم الذكر) كما هو شأن المناظرين اذا قاس المستدل على اصل بملة يظها
فيقال له : ما الدليل على ان الحكم فى الاصل (٢) معطل بهذه العلة؟ فيقول : هذا ما ظهر
لى فان ظهر لك ما هو اوضح وأولى فاذكره الى آخر ما سبق (فبى) أى المذكورات
من عدم اجازة الانتقال والادعاء السكوت (قواعده محدثة) أى اصطلاحات مبتدعة
مستنبجة (جاذبة الى المهلكات) من الحسد والتكبر وكتمان الحق وأذى المسلم وغير
ذلك (يحرم التمسك بها) أى ويجب العمل بخلافها (ويشكر) أى المناظر (لا يصيب
ويعترف بالخطأ) فعن محمد بن كعب قال : سأل رجل عليا عن مسألة فقال فيها فقال
الرجل : ليس هكذا ولكن كذا وكذا قال على : أصبت واخطأت وفوق كل ذى علم عليم

(١) الزيادة من الجامع الصغير ، والحديث رواه الطبرانى فى الاوسط بزيادة فى آخره « ولا عال من
انتعد » وسنده ضعيف (٢) وبعض النسخ الخطية فى الدليل

وَلَا يَهْتَمُّ بِهِ فَهُوَ الْمَأْتُورُ لِأَنَّهُ مُنْشَدُ ضَالَّةٍ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ ظُهُورِهَا مِنْهُ
أَوْ مِنْ غَيْرِهِ، وَيُقَدِّمُ أَحْقَامَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ لِشِدَّةِ مُعَادَاتِهِمَا،

أخرجه ابن جرير . وابن عبد البر ، وقد ثبت ان امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونهته
على الحق وهو في خطبته على ملا من الناس فقال : أصابت امرأة واخطأ رجل ،
واستدرك ابن مسعود على أنى موسى الأشعري فقال أبو موسى الأشعري : لا تسألوني
عن شيء وهذا الخبر بين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله
فقتل فقال : هو في الجنة وكان اذذاك أمير الكوفة فقال ابن مسعود : اعده على الأمير
فلعله لم يفهم فاعادوا عليه وأعاد الجواب وقال ابن مسعود : وأنا أقول : ان قتل فاصاب
الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى : الحق ما قال وهذا كذا يكون انصاف طالب الحق
ولو ذكرتم مثل هذا لقل فقيه لانكره واستبعده وقال : لا يحتاج الى أن يقال انه أصاب الحق
فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظرى زمانك اليوم كيف يسود وجه احدهم اذا
اتضح له الحق على لسان خصمه وكيف ينجل به وكيف يجتهد في مجادته باقصى قدرته
وكيف يذم من ألح به طول عمره ثم لا يستحي من تشبيه نفسه بالصحابه في تعاونهم على
النظر في الحق (ولا يهتم به) أى برأيه الخطأ لان هذا شأن الاجتهاد ولانه اذا أصاب
فله أجران واذا اخطأ فله أجر فلا يخلو عن الخير بالكلية (فهو المأثور) أى المنقول عن
الجمهور قبل : ولا يقدر على هذه الثلاثة الا العالم الربانى أو الولي الصمدانى و (لانه) دليل
آخر لعدم الاهتمام أى ولان المناظر اذا كان طالب حق (منشدة ضالة فلا فرق بين ظهورها
منه أو من غيره) كما يشير اليه قوله عليه السلام : الكلمة الحكيمة ضالة المؤمن فحيث
وجدها فهو راحق بها ، أخرجه الترمذى عن أنى هريرة مرفوعا (ويقدم) أى المناظر
قبل البحث (افحام النفس) أى اسكات نفسه والزامها بان يحكم عليها بانها اماره
بالسوء (والشيطان) وكذا افحام الشيطان (لشدة معاداتهما) قال تعالى : (ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا) وقال عليه السلام : « اعدى عدوك نفسك التى بين جنبك » (١)
ومن لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدوه فلا يزال يدعو الى هلاكه
ثم يشتغل بمناظرة غيره فى مسائل (٢) المجتهد فيها مصيب أو مساهم للصيب فى الاجر

(١) رواه البيهقى فى الزهد باب اسكات ضيف وذكره الجولونى فى كتابه بانظار اعدائك الخ (٢) فى
النسخة المطبوعة فى المسائل

وَالْتَّمَسُكَ فِي الْأُصُولِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْأَعْرَاضُ عَنْ
اعْتِرَاضِ خَاطِرٍ أَوْ نَاطِرٍ لِإِعْتَصَامِهَا عَنِ الْهَوَى وَالْوَسْوَسةِ دُونَ غَيْرِهَا، وَتَأْيِيدُ
الْإِعْتِقَادِ بِالْمُعَامَلَةِ فَهُوَ طَرِيقُ الْمُكَاشَفَةِ وَأَدَلَّةُ الْقُرْآنِ فِيهَا كَانُوا يُحَاجُّونَ
وَيُقَالُونَ مَنْ لَمْ يَقْنَعَهُ فَلَا بَيَانَ بَعْدَ بَيَانِهِ ،

فهو ضحكة للشيطان وعبرة للخاصين في حزب الرحمن والله المستعان ، هذا وقد ورد من
ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربيع الجنة - أى وسطها - ومن ترك المراء وهو محق
بنى الله له بيتا في أعلى الجنة ، الترمذى وحسنه من حديث أنس (والتمسك) عطف
على اختيار الخلوّة أى والاعتصام (في الأصول) أى الاعتقادات (بالكتاب)
إذا كان مقطوع الدلالة (والسنة) أى المتواترة مبنى أو معنى (والاجماع) أى
اجماع الأمة وانفاق الأئمة (والاعراض عن اعتراض خاطر أو ناظر) أى ومن حق
العلم ان يعرض عما اعترض في خاطره أو في قول مناظره إذا كان هذا الاعتراض مخالفا
للأدلة الثلاثة المذكورة (لاعتصامها عن الهوى) أى هوى النفس (والوسوسة)
أى وسوسة الشيطان (دون غيرها) أى بخلاف ما عداها من المفاسد العقلية
ونحوها (وتأييد الاعتقاد) أى تقويته وتأييده (بالمعاملة) والمعنى انه إذا علم
واعتقد شيئا وجبا أوسنة أو مندوبا فن حقه ان يؤيد هذا الاعتقاد بالعمل به وكذا
إذا اعتقد شيئا حراما أو مكروها من حقه ان يؤيد اعتقاده ذلك بالترك (فهو) أى
تأييدها (طريق المكاشفة) أى الموصل الى علم المكاشفة والمشاهدة فن اشتغل بالعلم
بالهدى ولازم طريق التقوى ونهى النفس عن الهوى يفتح له أبواب الهداية وما يوصله
الى مقام النهاية كما يشير اليه قوله سبحانه : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا) وقوله : (والذين اهتدوا زادهم هدى) وقوله عليه السلام : « من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لا يعلم » (وأدلة القرآن) أى وتأييده بأدلة القرآن خصوصا فانها
قطعية لا محالة ويرجع الاجماع والسنة اليها (فيها) أى بالأدلة القرآنية (كانوا) أى السلف
(يحاجون) أى يباحثون من قنعه القرآن (ويقالتون من لم يقنعه فلا بيان) أى
يوجد (بعد بيانه) أى بيان القرآن ، وقد قال تعالى : (هذا بيان للناس) وقال :
(هذا بلاغ للناس) أى كفاية لهم في أمر دينهم ودنياهم وآخرتهم ، وفي الحديث « من

وَصَحْبَةُ الصَّالِحِينَ وَإِصْغَاءُ الْوَعْظِ لِلَّذِينَ وَتَرَكَ مُجَادَلَةَ الْكَلَامِ فَهُوَ صُنْعُهُ جَدَلٌ لِمُعْجِزِ
 الْعَامِيِّ الَّذِي يَضُرُّ ضَرْرَهُ لَتَشْوِيشِهِ الْحَقَّ بِيَعَثِ الشُّبْهَةِ وَتَحْرِيكِ الْعَقِيدَةِ
 وَإِزَالَةِ الْجُزْمِ وَتَوْكِيدِهِ الْبَاطِلَ بِتَأْيِيدِ الْأَصْرَارِ لِلْعَنْتِ الْجَدَلِيِّ وَحَمَلِ الْأَحْكَامِ
 عَلَى قُصُورِ الطَّبَعِ

لم يتغن بالقرآن فليس منا، أى من لم يستغن به عن غيره، وبؤيده قوله تعالى : (أولم يكفهم
 أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)
 ﴿ وصحبة الصالحين ﴾ أى وتأيد الاعتقاد بصحبة الصالحين لانه قد ينكشف لهم نور
 الصلاح ما لم ينكشف لغيرهم من العلوم ، وقد قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
 وكونوا مع الصادقين) ﴿ واصغاء الوعظ ﴾ أى وتأيده باستماع الوعظ ﴿ اللين ﴾
 أى المؤثر للقلوب امامن الوعاظ أو من كتب الصوفية ﴿ وترك مجادلة الكلام ﴾ أى
 وتأيده بترك مجادلة علم الكلام على طريقة المنطقيين والحكام الخارجيين عن دائرة الاسلام
 ﴿ فهو صنعة جدل ﴾ بفتح فكسر أى مجادل أو بفتحتين فان المجادلة مرأه يتعلق
 باظهار المذاهب وهو يعرف بكرأهه اصابة الخصم وارادة خطئه واطهار فضل
 النفس وهو موضوع ﴿ لتعجيز العامى الذى يضر ﴾ بصيغة المجهول ﴿ ضرره ﴾
 أى يضر الجدل مثل ضرر العامى وضرر العامى خلل اعتقاده بواسطة المناظرة بأنه
 يقع فى خاطره ان العلماء لما يترددون فى المسألة كيف نعتقدها على طريق الجزم وهذا
 معنى قوله ﴿ لتشويشه الحق ببعث الشبهة وتحريك العقيدة وإزالة الجزم ﴾ فهذا
 ضرره بالنسبة الى العامى واما ضرره بالنسبة الى العالم فقد بينه بقوله ﴿ وتوكيده ﴾ عطف
 على تعجيزه أى فهو صنعة جدل لتأكيده ﴿ الباطل بتأييد الاصرار ﴾ أى بتقوية
 الاستمرار على المجادلة فى الآيات والاخبار ﴿ للعت الجدلى ﴾ أى لطلب زلة من يجادل
 فى الآيات والاخبار معه ومشقته ﴿ وحمل الاحكام ﴾ أى وبحمل الالتزام ﴿ على قصور
 الطبع ﴾ وذلك لان المماراة تصير عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما لا وينبعث من طبعه
 داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه فى أدلة القرآن والفاظ الشرع فيصرف
 البعض منها بالبعض ، ولذا ذم الجدل فى الكتاب والسنة فقد ورد « ماضل قوم
 بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل » ثم قرأ (ماضر به لك الاجدلا بل هم قوم

وَمِنْ ثَمَّةٍ تَزْعُوعُ عَقِيدَةَ الْمُتَكَلِّمِ الْمُشْتَغَلِ بِالنَّظَرِ دُونَ الْعَامِيِّ الْمُتَقَيِّ إِلَّا
فِي عَامِيٍّ اعْتَقَدَ بَدْعَةً مَسْمُوعَةً وَأَلْفَ الْجَدَلِ حَتَّى لَا يَفِيدَهُ سِوَاهُ فَمِنْ ثَمَّةٍ صَارَ مُبَاحًا

خصمون (الترمذى وابن ماجه من حديث أبى امامة قال الترمذى : حديث حسن صحيح وقال عز وجل : (وكان الانسان أ كثر شىء جدلا) وفي الحديث في معنى قوله تعالى (فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون) الآية هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله تعالى : (فاحذروهم) متفق عليه من حديث عائشة ، وقال بعض السلف : يكون في آخر الزمان قوم يغلق عنهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل ، وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم فيه العمل وسياقنى قوم يلهمون الجدل ذكروه الحجة وقال العراقي لم أجده أصلا وفي الخبر المشهور «أبغض الخلق الى الله تعالى الآلد الخصم» متفق عليه من حديث عائشة ولعله مقتبس من قوله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو آلد الخصام) ومن هنا قيل : اعتقاد العامى الذى لم يشتغل بالكلام راسخ قوى فى احكام الاسلام واعتقاد الجدلى الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيطة مرسل فى الهواء بل يشابه الهباء تلقىه الرياح المختلفة فى الصحراء كما فى الاحياء (ومن ثمة) تكتب بالناء لثلاث تشبه بثم ثم تقرأ بفتح المثلثة من غير تاء وصلاوهاه وفقا وخلاف ذلك عدم غلط العامة كذا فى غاية التحقيق أى ومن أجل ذلك وما يتفرع عليه هنالك (تزعزع) أى تزلزل (عقيدة المتكلم المشتغل بالنظر) أى بالادلة النظرية العقلية فقط (دون العامى المتقى) أى المعتمد على الادلة العقلية والحجج الشرعية فان المشتغل بالكتاب والسنة ومتابعة الصالحين من الائمة لا يتزعزع بل يزداد رسوخا بما سمعه من أدلة القرآن وبما يرد عليه من شواهد الحديث فى ميدان التبيان وبما يسرى اليه من سير الصالحين وسلوك الصادقين (الا) استثناء من قوله لتعجز العامى الذى يضر ضرره اى الا (فى عامى اعتقد بدعة مسموعة) أى من جماعة مبتدعة (وألف الجدل حتى لا يفيد سواه) والغالب انه لا يفيد بل لا يزيده الا ضللا وتبارا كما يشير اليه قوله تعالى : (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) فان القرآن كائيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين كما يرمى اليه قوله تعالى : (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) (فمن ثمة) أى من أجل انه يرجى انه يفيد فى الجملة أو لاقامة الحجة (صار) أى علم المناظرة (مباحا) عند بعضهم

بَلْ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ فِي زَمَانِ الْبَدْعِ صَوْنًا لِلْعَقَائِدِ عَلَى الذِّكْرِ
 الْفَصِيحِ الْمُتَدِينِ الْمُتَجَرِّدِ لَهُ لِيَقْدِرَ عَلَى الْفَهْمِ وَالتَّقْرِيرِ وَالثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ وَالْإِسْتِكْمَالِ
 لِإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ دُونَ الْعَامَّةِ لِأَنَّهُ دَوَاءٌ بِخِلَافِ مَا سَبَقَ فَهُوَ غَذَاءٌ بِكَلَامٍ وَأَضَحٍ
 سَدِيدٍ قَرِيبٍ مِنَ الشَّرْعِ لِيَقْرَبَ مِنَ الْفَهْمِ وَيَبْعَدَ عَنِ وُرُودِ الشُّبْهَةِ وَالْهُوَى
 وَالْوَسْوَسَةِ دُونَ التَّعَمُّقِ الْمُشَوِّشِ

﴿ بل من فروض الكفاية ﴾ أى عند بعض أرباب الدراية ﴿ في زمان البدع ﴾ أى أيام ظهور
 أنواع البدعة ﴿ صونا للعقائد ﴾ أى عن تزلزلها في القواعد وهوانها بما يكون مباحا أو فرض
 كفاية ﴿ على الذكى ﴾ أى الفطن ﴿ الفصيح ﴾ أى القادر على التقرير والتحرير ﴿ المتدين ﴾
 المتجرد له ﴿ أى لتحصيله في هذا الفن ﴾ ليقدر على الفهم ﴿ أى أولا ﴾ (والتقرير) أى التفهيم
 ثانيا ﴿ والثبات على الحق ﴾ أى ثلثا ﴿ والاستكمال لازالة الشبهة دون العامة ﴾ أى
 لا يباح لعامة الناس أن يخوضوا في هذا البحر العظيم فإن فيه من الخطر الفخيم والمراد بالعامي
 هنا من لم يستحكم عقائده بالكتاب والسنة واجماع الأمة وسائر الأدلة العقلية والحجج
 النقلية ﴿ لانه ﴾ أى علم النظر ﴿ دواء ﴾ فيحتاج اليه عند الحاجة كالادوية والعامي ليس
 له معرفة بكيفية استعمال هذا الدواء فلا حاجة اليه بل استعماله وبال عليه ﴿ بخلاف
 ما سبق ﴾ أى من الأدلة الثلاثة التي هي الكتاب والسنة واجماع الأمة ﴿ فهو غذاء ﴾ أى
 فانها كالغذاء للبدن فلا بد للعامي منها فقد قال فتح الموصلي : أليس المريض اذا منع
 الطعام والشراب والدواء يموت ؟ فقالوا : بلى فقال : فكذا القلب اذا منع عنه الحكمة
 والعلم ثلاثة أيام يموت ، وأما دقائق المعتقدات وحقائق الاختلافات فيستغنى عنه العامي
 حتى لومات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم وانه مرئى وانه ليس محلا للحوادث الى
 غير ذلك فقدمت على الاسلام اجماعا ﴿ بكلام واضح ﴾ أى هو من فروض الكفاية
 على الذكى الفصيح بكلام ظاهر ﴿ سديد ﴾ أى مسدد باهر ﴿ قريب من الشرع ليقرب ﴾
 أى ذلك الكلام ﴿ من الفهم ﴾ أى الذى يقتضيه الطبع ﴿ ويبعد عن ورود الشبهة والهووى ﴾
 أى هووى النفس أو هووى البدعة ﴿ والوسوسة ﴾ أى الناشئة من النفس والشیطان ﴿ دون
 التعمق المشوش ﴾ أى ولا يباح لمن ينظر في علم النظر ان يتعمق فيه بحيث يشوش عليه

وَالْتَجَاوُزَ إِلَى هَذَيَانَاتٍ اخْتَرَعَهَا الْمُبْتَدِعَةُ

ما يعنيه ((والتجاوز)) أى دون التعدى ((الى هذيانات)) أى وترهات تؤذى بها
الطباع وتمجها الاسماع ((اختراعها المبتدعة)) أى من الخوارج والروافض والمعتزلة،
ثم اعلم أن المصنف فى هذا المقام تبع حجة الاسلام فى اباحة علم الكلام واقضاء
فى تفاصيل ما ذكره من المرام الا ان السلف الكرام وجماعة من الخلف الفضام اتفقوا
على أن علم الكلام من العلوم المذمومة وهو ما تنصب فيه الأدلة العقلية وتنقل فيه
أقوال الفلاسفة والحكماء الطبيعية والا فعمل العقائد بالحجج الشرعية والبراهين
الثقلية اشرف العلوم الدينية لانه يبحث فيه عما يتوقف صحة الايمان عليه وتتماته
اللازمة لديه، فمن الشافعى لان يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من أن
يلقاه بشئ من علم الكلام ، وذكر فى غياث المقتى عن أبى يوسف أنه لا يجوز الصلاة
خلف المشكك وان تكلم بحق لانه مبتدع ولا يجوز ما خلف المبتدع وكان أبو حنيفة
يكبر الجدال على سبيل الحق حتى روى عن أبى يوسف أنه قال: كنا جلوسا عند أبى حنيفة
اذ دخل جماعة فى أيديهم رجلان فقالوا : ان أحد هذين يقول القرآن مخلوق وهذا
ينازعه ويقول غير مخلوق قال : لاتصلوا خلفهما قلت : اما الاول فنعم فانه لا يقول
بقدم القرآن واما الآخر فاباله لا يصلى خلفه فقال: انهما ينازعان فى الدين والمنازعة
فى الدين بدعة كذا فى مفتاح السعادة ، ومن جملة العلوم المذمومة علم المنطق الذى هو
يسمى بدهليز الكفر فقد صنف شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى رسالة مستقلة
فى تحريره ونقل عن الائمة الاربعة ما يدل على تسليمه ومن جعلها علم السحر كما يدل
عليه قوله تعالى : (واتبعوا ما تلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن
الشياطين كفروا يعدلون الناس السحر) ومنها علم النجوم فقد ورد « تعلموا من النجوم
ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر ثم اتوها » ابن مردويه. والدارقطنى عن ابن عمر « رب
معلم حروف أبى جاد دارس فى النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة » الطبرانى
عن ابن عباس « من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » أحمد
وأبو داود وابن ماجه عن ابن عباس « مثل الناظر فى النجوم كالناظر فى عين الشمس كلما
اشتد نظره فيها ذهب بصره » الديلمى عن أبى هريرة ، وعن الربيع بن سبرة الجنى قال
لما غزا عمر وأراد الخروج الى الشام خرجت معه فلما أراد ان يدلج نظرت فاذا القمر

في الدبران فاردت أن أذكر ذلك لعمر فعرفت أنه يكره ذكر النجوم فقلت له: يا أبا حفص انظر إلى القمر ما أحسن استواءه الليلة فنظر فإذا هو في الدبران فقال قد عرفت ما تريدان - سيرة تقول: إن القمر في الدبران والله ما يخرج شمس ولا قمر إلا بالله الواحد القهار الخطيب وابن عساكر، وعن عبد الله بن عوف بن الاحمر ان مسافرا من عوف بن الاحمر قال لعلي بن أبي طالب حين انصرف من الانبار الى أهل النهروان يا أمير المؤمنين لا أسر في هذه الساعة وسرفي ثلاث ساعات يمضين من النهار قال علي: ولم؟ قال: لانك ان سرت في هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاء وضر شديد وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت بها وظفرت وطلبت فقال علي: ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده هل تعلم ما في بطن فرسي هذه؟ قال: ان حسبت علبت قال: من صدقك بهذا القول كذب القرآن قال الله تعالى: (ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام) الآية ما كان محمد ﷺ يدعى ما ادعيت عليه تزعم انك تهدي الى علم الساعة التي يصيب السوء من سافر فيها قال نعم قال: من صدقك بهذا القول استغنى عن الله في صرف المكروه عنه وينبغي للمقيم بامرك أن يوليكَ الأمر دون الله وبه لانك أنت تزعم هدايته الى الساعة التي ينجو من السوء من سافر فيها فمن آمن بهذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ دون الله ندا وضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا إله غيرك نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة التي تنانا عنها ثم اقبل على الناس فقال يا أيها الناس اياكم اياكم وقلتم هذه النجوم الا ما يهتدي به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدك في الحبس ما بقيت وبقيت ولا حرمك العطاء ما كان لي سلطان ثم سار في الساعة التي نهاء عنها فأتى أهل النهروان فقتلهم ثم قال: لو سرنّا في الساعة التي أمرنا بها فظفرنا أو ظهرنا لقال قاتل سار في الساعة التي أمر بها المنجم ما كان لمحمد ﷺ منجم ولا لنا من بعده ففتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفي ماسواه الحارث والخطيب، وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال يا علي لا تجالس أصحاب النجوم الخرائطي في مساوي الأخلاق والدبلي * ومنها علم الرمل والقال ولو من المصحف فانه من قيل الازلام المنصوص في القرآن انه من الحرام، وعن معاوية بن الحكم مرفوعا «كان نبي من الأنبياء يخط فزوافت خطه فذاك، أحمد ومسلم وأبوداود، ومنها علم النسب والتوغل في الصرف والنحو ونحوهما فعن أبي هريرة مرفوعا «تعلموا من انسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم اتوها وتعلموا من العرية

ما تعرفون به كتاب الله ثم اتهموا البيهقي؛ وعن أبي هريرة مرفوعاً علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر ابن عبد البر، وعن ابن عباس مرفوعاً كذب النسابون قال الله تعالى: (وقرونا بين ذلك كثيراً) ابن سعد وابن عساكر، وفي رواية الديلمي عن عطاء عن ابن عباس. وأبي هريرة «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى جمعا من الناس على رجل فقال: ما هذا؟ قالوا: يا رسول الله رجل علامة قال وما العلامة قالوا أعلم الناس بانساب العرب وبما اختلف فيه العرب فقال النبي ﷺ: هذا علم لا ينفع وجهالة لا تضر» الديلمي، ومنها علم الطلسمات وعلم الشعبة والتليسات كالكيماويات والسيماويات وأما المباح فالعلم بالاشعار التي لا تخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراها، ومنها الشطحيات وهي الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله والوصال المغنى عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم الى دعوى الاتحاد من العبيدة والحلول وغيرهما من أنواع الاتحاد ودعوى ارتفاع الحجب والمشاهدة بالرؤية والمشاهدة بالخطاب فيقولون: قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق وبما حكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحانه سبحاني: وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم واطهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا يعجز الاغنياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم لم يعجزوا أن يقولوا: ان هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس، وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء فقتله أفضل في دين الله من احياء عشرة، واما أبو يزيد البسطامي فلا يصح عنه ما حكى وان سمع ذلك منه فقلعه كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه ذا لو سمع وهو يقول: اننى أنا الله الا أنا فاعبدنى فانه كان ينبغي أن يفهم ذلك منه انه على سبيل الحكاية كذا في الاحياء ومنها قراءة كتاب الفصوص المخالف للفصوص فانه مشتمل على أنواع من كفرات صريحة التي ليس لها تأويلات صحيحة، وقد قال ابن المقرئ في الارشاد: ان طائفة ابن العربي شر من اليهود والنصارى، وقد عملت في هذه المسألة رسالة مستقلة، وقد حرم بعض فقهاءنا مطالعة تفسير الكشف لما فيه من الاعتزال، وكذا ينبغي الاحتراز عن

مواضع في البصائر تبع فيه مذاهب الحكماء والله سبحانه وتعالى أعلم بحقائق الأشياء ومنها الطامات وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى أمور باطنة لا تسبق منها الى الافهام كدأب الباطنية في التأويلات فهذا أيضاً حرام وضرره عظيم فان الألفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع من غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ ويسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ فان ما سبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا يضبط له بل تعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى، وهذا أيضاً من البدعة الشائعة العظيمة الضرر واما قصد أصحابها الاغراب لان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة له ، وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكى الغزالي من مذاهبهم في كتاب المستظهرى المصنف في الرد على الباطنية ، ومثل تأويل أهل الطامات قول بعضهم في تأويل قوله تعالى : (اذهب الى فرعون انه طغى) اشارة الى قلبه ، وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل انسان وفي قوله : (وان ألق عصاك) الى كل ما يتوكلأ عليه وما يعتمد به مما سوى الله فينبغى ان يلقى ، وفي قوله عليه السلام : « تسحروا فان في السحور بركة » أراد به الاستغفار في الاسحار وامثال ذلك حتى تحرفوا القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء ، وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعاً كتزويل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر اليها النقل بوجوده ودعوة موسى له كاذب جهل وأنى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة ومالم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل الى الفاظها وكذلك حمل السحور على الاستغفار فانه كان عليه السلام يتناول الطعام في السحرك كما في البخارى ويقول : « تسحروا واهلموا الى الغذاء المبارك » كما رواه أبو داود وغيره ، فهذه أمور تدرك بالتواتر والحس وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في أمور لا يتعلق بها الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شئ من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع اكدائه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله عليه السلام في الترمذى وسننه « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورأيه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن عليه ويحملة عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية أو نقلية أو لغوية ، ولا ينبغي أن يفهم من الحديث انه يجب ان لا يفسر

وَفِي الْفُرُوعِ بِالْمَجْمَعِ عَلَيْهِ ثُمَّ الْأَحْوَطُ ثُمَّ الْأَوْثَقُ دَلِيلًا ثُمَّ قَوْلٍ مِنْ
ظَنُّ أَنَّهُ أَفْضَلُ

القرآن بالاستنباط والفكر فإن من الآيات ما نقل عن الصحابة والتابعين خمسة معان
وسنة وسبعة وأكثر وتعلم قطعاً جميعها غير مسموعة عن النبي صلى الله عليه وسلم فإنها
قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم وطول الفكر ، ولذا
قال عليه السلام لابن عباس: «اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل» كما رواه أحمد وابن حبان
والحاكم وقال صحيح الإسناد ، ومن يستجيز من أهل الطامات مثل هذه التأويلات مع
علمه بأنه غير مراده بالالفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق الى الحق يضاهي
من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هو في نفسه حق
ولكنه لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسألة يرى أنها حق حديثاً عن رسول الله
ﷺ فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله عليه السلام في الصحيحين
«من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» بل الشر في تأويلات هذه الالفاظ
اطم وأعظم لأنها مبطلّة للفقه بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن
بالكلية ، وأما إذا أورد الالفاظ والمباني على مراد الشرع من المعاني بحسب
العبارات ثم زاد على ظواهرها مما يستفاد من سرائرها بطريق الاشارات فذلك
نور على نور وجمع بين بطون وظهور : (ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور)
(وفي الفروع) عطف على في الأصول أي ومن حق العلم التمسك في علم الفروع المسمى
بالفقه (بالمجمع عليه) أي ان وجد اجماعاً أو بالمتفق عليه بين الأربعة مثل تعجل صلاة
المغرب (ثم الاحوط) كسح كل الرأس فان الخروج عن الخلاف مستحب
بالاجماع ، وكذا اذا كان حنفياً ومس ذكره أو لمس امرأة يتوضأ ، واذا كان شافعياً
لا يتوضأ من القلتين واذا رعى أو اقتصد أو فعل نحوه يتوضأ ، وهذه الطريقة السنية
طريقة الصوفية حتى قيل : ان هذا مذهب خامس في القواعد الفقهية (ثم الاوثق)
أي اذا لم يمكن الاحوط للتعارض فيتمسك بالاقوى (دليلاً) كالاسفار بالفجر
دون الغلس ووضع اليمين دون الارسال وقد بينا الأدلة بيننا وبين المخالفين معنا في
شرح النقاية والله ولي الهداية في البداية والنهاية (ثم قول من ظن) أي اذا لم
يكن مجتهداً او لم يظهر له دليل ولا بدله أن يقلد فيتمسك بقول من غلب على ظنه
(انه أفضل) وفي مقام الفقه أكل لأن نفسه حيثئذ تنقاد الى قوله وتخصم لرأيه

كَأَبِي حَنِيفَةَ عِنْدَ نَافُورَدَ «أَبُو حَنِيفَةَ سِرَاجُ أُمِّي» وَسَمِعَ

وتبادر الى امثال أمره ونهيه، وزاد ابن حجر في نسخة أصله قوله والعمل به أكيد وهذه زيادة فائدة ان صحت لها منفعة عائدة ثم قال، وكل من أبى حنيفة ومالك والشافعي امتاز باقليم لا يعرف فيه غير أتباعه او يكون فيه أتباعه أكثر كاقليم الحجاز واليمن . ومصر . والشام . وحلب . وعراق العرب . والعجم بالنسبة للشافعي، وكالعرب على سعة بالنسبة الى مالك، وكالروم والهند وما وراء النهر بالنسبة لابي حنيفة انتهى ولا يخفى ان المغرب مختص بالامام مالك، واما ما ذكره من اقليم الحجاز وما بعده فمخلوط بالشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية فان الحنابلة موجودون في نجد وتوابعه، وكذا في البصرة وبغداد والحصاء ونواحيها، وأما شمس علم أبي حنيفة فقد أشرق على الشرق وغلب على فرق أكثر الفرق فان كثرة الاروام وغلبة الهندود والاعجام ربما يكون أضغافا مضاعفة على أتباع مالك . والشافعي وأظن أن الحنفية تكون ثلثي اهل الاسلام كما يكون المؤمنون ثلثي أهل الجنة في دار المقام ثم الكثرة أصل معتبر عند العلماء الاعلام كما يشير اليه ماروي «عليكم بالسواد الاعظم» والله أعلم ﴿كأبي حنيفة عندنا﴾ معشر الحنفية وكفيره من الأئمة الاربعة عند غيرنا فقد علم كل اناس مشربهم وتبع كل طائفة مذهبهم ﴿فورد﴾ أي من طرق لكنها كلها واهية ﴿أبو حنيفة سراج أمي﴾ حديث موضوع لما قال الصغاني وغيره بل قال السيوطي : وما يورد في ذكر أبي حنيفة من الاحاديث فباطل كذب لا أصل له نعم أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لو كان العلم عند الثر بالتأول له رجال من أبناء فارس» قال السيوطي هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة وفي الفضيلة التامة له قلت مع زيادة كونه من التابعين اتفاقا على اختلاف في أنه هل روى عن الصحابة أم لا كما بينته في شرح مسند الامام، وقد ورد خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» وما يصالح للاستدلال به على عظم شأن أبي حنيفة ماروي عنه ﷺ انه قال: «ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة» ومن ثمة قال شمس الأئمة الكردي: ان هذا الحديث محمول على أبي حنيفة لانه مات تلك السنة كذا ذكره ابن حجر المكي في الخبرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان، وقد ثبت ان أباه ثابتا ذهب به الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو صغير فدعا له بالبر كفيه وفي ذريته ﴿وسمع﴾ بصيغة المجهول والمعلوم

فِي الْمَنَامِ أَنَا عِنْدَ عِلْمِ أَبِي حَنِيفَةَ، وَسَلَّمَ الْمُخَالَفُونَ سَبْقَهُ فِي الْفَقْهِ ۞

﴿ في المنام ﴾ انه عليه السلام قال بعد ما قيل : أين أطلبك يا رسول الله ؟ ﴿ أنا عند علم أبي حنيفة ﴾ وفي شرح ابن حجر وسمع في المنام الباري تعالى يقول أنا عند علم أبي حنيفة أى بالحفظ والقبول وانزال البركة فيه وفي الآخذين به ﴿ وسلم المخالفون ﴾ كمالك. والشافعي وغيرهما ﴿ سبقه في الفقه ﴾ أى غلبته في هذا الفن أصولا وفروعا فقد قال الشافعي قيل لمالك : هل رأيت أبا حنيفة قال : نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهابا لقام بحجته وهذا من كمال انصاف مالك مع علو مقامه هنالك وغاية مبالغة في بلاغة الامام وبيان المرام في جميع المقام، وقال الشافعي : الخلق كلهم عيال أبي حنيفة في الفقه وفي رواية عنه من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة ، وقال أيضا : من أراد أن يعرف الفقه فليزلم أبا حنيفة وأصحابه ذكره ابن حجر ، و ذكر أيضا أن الشافعي لما دخل بغداد وزار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه في التكبير وفي رواية ان الر كعتين كانتا الصبح وانهم بقنت فقيل له في ذلك فقال ليس ادبنا مع هذا الامام ان نظهر خلافة بحضرته والفضل ما شهدت به الاضداد، وقال النصر بن اسمعيل كان الناس نياما عن الفقه حتى ايقظهم أبو حنيفة ، ودخل على أمير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى العابد الزاهد فقال للمنصور : هذا عالم الدنيا فقال له المنصور : عن أخذت العلم ؟ قال عن أصحاب عمر وعن أصحاب علي وعن أصحاب ابن مسعود فقال له المنصور : لقد استوثقت وكان يقول اذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين وعن أصحابه أخذنا بعض أقوالهم ولم نزاحمهم وعن التابعين فزاحمناهم فهم رجال ونحن رجال وذكر الامام الاسفرائيني باسناده الى علي بن المديني وهو من اسانذة البخاري وهو الذي طعن في حديث القلتين سمعت عبدالرزاق يقول قال معمر : ما أعرف أحدا بعد الحسن أى البصري يتكلم في الفقه أحسن معرفة من أبي حنيفة ، ومجمل الكلام في مرام هذا المقام أن تقليد الافضل أفضل باتفاق العلماء الاعلام وقيل بل يتعين ثم تقليد الاقدم في الاستنباط أولى وأتم فالامام الأعظم والمام الاقدم هو أبو حنيفة فانه أفضل زمانا وأكمل شأنا فانه من التابعين دون سائر المجتهدين ، ثم انه اقدم برهانا وأتم بيانا لتقدمه واختصاصه بتدوين الفقه أصلا وفرعا فانه صور المسائل وأجاب عنها وأوضح الاسباب والعلل منها وبني ما يفرع عليها فهو الذى أخذ الماء من عين المأخذ وعض عليها بالنواجذ وغيره انما التقط ما من افلامه سقط ومع هذا ينبغي أن لا يعتقد

وَكَانَ يَقُومُ كُلَّ اللَّيْلِ وَسَمِعَ هَاتِفًا فِي الْكُتْبَةِ أَنْ يَا أَبَا حَنِيفَةَ أَخْلَصْتَ
خِدْمَتِي وَأَحْسَنْتَ مَعْرِفَتِي فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَمْ تَتَّبِعْكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ *

ان اصحابنا مصيبون قطعاً وان مخالفهم يخطئون جزماً فان المجتهد يخطئ. ويصيب
والحق عند الله واحد على ما ذكر في المصنف وشرح البزدوى ولا يتمكن المجتهد من اصابة
الحق قطعاً بل على غلبة الظن حتى اذا سلطنا عن مذهبنا ومذهب مخالفنا في الفروع نجيب
بان مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب على ما في جواهر
الفقه وغيره ، وهذا لا ينافي قولنا الاجمالي ان مذاهب الاربعة حق لاتفاقهم على ما اخذهم
من الكتاب والسنة واما قول بعضهم يجب ان نجيب بما قدمنا فليس في محله اذ لم يظهر
دليل وجوبه نعم ينبغي ان يقول كذا بناء على غلبة ظنه ثم في الأصول نقول نحن على الحق
ومخالفنا على الباطل كالمعتزلة وامثالهم من أهل البدعة لما بذتهم ظواهر الكتاب والسنة
(وكان يقوم كل الليل) بعد ان كان يحكي نصفه فاشار اليه انسان وهو يمشي فقال: هذا
هو الذي يحكي الليل كله فلم يزل بعد يقوم الليل كله وقال انا استحي من ان اوصف بعبادة
ليست في معنى احتراماً من دخوله في قوله تعالى: (يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا) (وسمع
هاتفا) أى في المنام كما قاله ابن حجر اوبين النوم واليقظة كالالهام (في الكعبة) أى
بعد ان ختم القرآن في ركعتين (ان يا أبا حنيفة اخلصت خدمتي وأحسن
معرفتني فقد غفرت لك ولمن تبعك الى قيام الساعة) ذكر في آخر خزانة المفتين انه
حكى ان أبا حنيفة لما حج حجة الوداع دخل الكعبة وقام بين العمودين على رجله
اليمنى حتى قرأ نصف القرآن وركع وسجد ثم قام على رجله اليسرى وقد وضع
قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى حتى ختم القرآن فلما سلم بكى وناجى وقال: الهى
مأبذك هذا العبد الضعيف حق عبادتك ولكن عرفك حق معرفتك فيه نقصان
عبادته لكالم معرفته فتهف هاتف من جانب البيت قد عرفت وأخلصت المعرفة
وخدمت وأحسنتم الخدمة فقد غفرنا لك ولمن تبعك وكان على مذهبك الى قيام الساعة
اتهى ، ولا يخفى ان الصلاة على قدم واحدة مكروهة فلعل فعله هذا قبل أن يتبين له
هذه المسألة أو المكراهة مختصة بالقرينة فان أمر التوافل مبنى على التوسعة، وههنا
اشكال آخر حيث قال الامام: عرفناك حق معرفتك والمشهور على السنة العوام وسائر
الاعلام ما عرفناك حق معرفتك والجواب أنه أراد حق المعرفة قدراً وأوجه الله تعالى

وتَلَذُّ لَهُ كِبَارُ مِنَ الْمَشَائِخِ *

عليه بحسب الوسع والطاقة وانهم أرادوا نهاية المعرفة وغاية العلم المعبر عنه بالاحاطة وقد قال تعالى : (ولا يحيطون به علما) وقال : (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) : (ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) وأما العبادة حق العبادة المعبر عنه بالقوى حق ثقاته المعبر بان يطاع ولا يعصى ويذكر فلا ينسى ، فكل أحد عاجز عن ذلك كما أخبر الله به عنه بقوله تعالى : (كلا لما يقض ما أمره) فالإنسان محل النسيان والمخلوق في مقام النقصان والله المستعان وهو ضعيف لعموم قوله سبحانه : (فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) وقوله عليه السلام : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ولذا قيل من تبع عالما لقي الله سالما ﴿ وتلذذ له كبار من المشايخ ﴾ مثل ابراهيم بن أدهم . وفضيل بن عياض . وداود الطائي . وابن المبارك . والليث بن سعد . والامام مالك على ما ذكره ابن حجر ونحوهم لكن لا يخفى ان تلمذة مالك لأبي حنيفة غير ظاهرة نعم قديكون كل منهما أخذ عن صاحبه والله أعلم بحقيقة منصبهما ، وأما مشايخه فذكر الكردري ان أبا حنيفة أدرك الامام محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ويسمى محمد الباقر لتبقره في العلوم وتبحره وكذا أدرك ولده الامام جعفر الصادق وكذا زيد ابن أسلم مولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وكذا ربيعة الرأي شيخ الامام مالك وكذا شعبة بن الحجاج الذي يقال له أمير المؤمنين في الحديث ، ومنهم الامام الأوزاعي امام أهل الشام وكان من جلالته ان مالكا والثوري أحدهما يقود حماره والآخر يسوقه ، ومنهم عطاء بن أبي رباح المكسي كان جعد الشعر أسود أفتس أشل أعور ثم عمى بعد ذلك ، قال أبو حنيفة : ما رأيت أفقه من حماد ولا أجمع من عطاء ، ومنهم أبو بكر بن عاصم ابن أبي النجود - بفتح النون وضم الجيم - الامام في القراءة تابعي جليل القدر ، ومنهم عامر ابن شرحبيل الشعبي قال : أدركت خمسمائة من أصحاب النبي ﷺ وكان يعجبه هذا البيت :
ليست الاحلام في حال النهي * انما الاحلام في حال الغضب

قلت وهو مقتبس من قوله عليه السلام : « الصبر عند الصدمة الأولى » وفي الجلة بلغ عدد مشايخ امامنا أربعة آلاف وأما أصحابه فلا تعد ولا تحصى بلا خلاف ، وقد نظم بعضهم هذا المعنى تحسينا للبيئ :

غدا مذهب النعمان خير المذاهب * كما القمر الوضاح خير الكواكب
تفقه في خير القرون مع التقى * فمشربه لاشك خير المشارب

وَتَحْمَلُ لَتَقْلُدِ الْقَضَاءِ مَا تَحْمَلُ وَمَا خَالَطَ الظَّلْمَةَ وَمَاقِبِلَ مِنْهُمْ شَيْئًا

ثلاثة آلاف وألف شيخه هـ وأصحابه مثل الذجوم الثواقب
 ﴿وتحمل لتقلد القضاء﴾ بأن يكون قاضى قضاء جميع الدنيا وكذا التولية مفاتيح
 خزان بيت المال شرقا وغربا وعجما وعربا ﴿ما تحمل﴾ أى من الضرب والحبس
 والشتم إثارا لعذاب الدنيا على عقاب العقبي من كمال التقوى وعن الامام أحمد أنه ذكر
 أباحيفة فقال: كان زاهدا ورعا وضرب على القضاء احدى وعشرين سوطا فأبى، وعن
 سهل بن مزاحم بذلت له الدنيا بجذا فيرها وضرب عليها بالسياط فلم يقبلها من قليلها
 ولا كثيرها ﴿وما خالط الظلمة﴾ أى باختياره ﴿وما قبل منهم شيئا﴾ لكمال
 اقتداره فعن النضر بن محمد الرقي قال: لقيته ببغداد وأنا أريد الكوفة فقال قل لابنى
 حماد قوتى فى الشهر درهمان من سويق وقد حبسته عنى فعجله الى وكان فى ذلك اليوم
 حبسه المنصور للقضاء ببغداد، وروى أن المنصور كان يريد أن يقرب الامام فيقول
 الامام لالانك ان قربتنى افتتنى وان أبعدتنى اخزيتنى وليس عندك ما أرجوك له
 وليس عندى ما أخافك عليه وأنا غنى بمن أغناك فلن أغشاك فيمن يغشاك، ومثله ذكر
 عن الامام محمد بن الحسن أنه قال لعيسى بن موسى الى الكوفة وزادنى آخره مما أنشأ قائلا:
 كسرة خبز وقعب ماء * وفرد ثوب مع السلامة

خير من العيش في نعيم هـ يكون من بعده ندامة

ثم ما ذكرنا من أفعال المنصور بالامام فعل يزيد بن هيرة الى الكوفة مثله
 أيضا فى زمان المراونة كما رواه العسكرى وغيره عن يحيى بن أكرم عن أبى داود قال:
 اراد ابن هيرة أن يولى الامام قضاء الكوفة فأبى خلف ابن هيرة أن لم يقبله بضربه
 بالسياط على رأسه ويجبسه خلف الامام على أنه لا يلى منه قليل له انه حلف على أن
 يضربك قال: ضربه فى الدنيا أهون من معالجة مقامع الحديد فى العقبى والله لا أفعل ولو
 قتلتى قليل: إنه حلف لا يخليك وانه يريد بناء قصر فتول له عدالين فقال: لو سألتى أن أعد
 له أبواب المسجد ما فعلت فذكر للامير فقال أبلغ قدره أن يعارضنى فى اليمين؟ فدعاه
 فشافه وحلف ان لم يقبل يضرب على رأسه عشرين سوطا فقال: اذكر مقامك بين يدى
 الله تعالى فانه أذل من مقامى هذا ولا تهدنى فاقول لاله إلا الله محمد رسول الله
 والله يسألك عنى حيث لا يقبل منك الجواب الا بالحق فارمأ الى الجلاد أن امسك
 وبات فى السجن وأصبح وقد انتفخ وجهه ورأسه من الضربه وعن ابن المبارك أن

وَمَا أَشْتَغَلَ بِالدَّعْوَةِ إِلَّا بِالْإِشَارَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ مَا قَصَدَ الْأَنْزَوَاءَ وَمَا
أَسْتَظَلَ بِحَاظِ الْمَدْيُونِ حِينَ

الرجال في الاسم سواء حتى يقعوا في البلوى فقد ضرب أبو حنيفة على رأسه في السجن حتى يدخل في الحكم فصر على النذل والضرب في الحبس طلبا للسلامة في دينه ، وعن أبي عبدالله بن حفص الكبير البخاري أن الفتنة لما ظهرت بخراسان دعا ابن هبيرة العلماء كابن أبي ليلى وابن شبرمة وداود بن هند وولى كل واحد منهم شيئا من عمله وعرض على أبي حنيفة أن يكون الخاتم في يده لا ينفذ كتابا إلا من تحت أمره فاني خلف الاميرانه ان لم يله نضربه في كل جمعة سبعة أسواط فقال الفقهاء لا بى حنيفة: أنا اخوانك تناشدك على أن لاتهلك نفسك وكلنا نكره عمله ولكن لم نجد بدا منه فقال: لو أراد منى ان أعد ابواب مسجد واسط لم أعد له فكيف وهو يريد منى أن يكتب في دم رجل واختم له والله لا أدخل في ذلك فقال ابن أبي ليلى: دعوه فانه مصيب فخبسه الشرطى جمعتين وضربه أربعة عشر سوطا ثم اجتمع مع الامير فقال: الاناصح لهذا ان يستملنى فأستمله وقال: اشاور اخواني فخلاه فهرب الى مكة في سنة مائة وثلاثين الى أن صارت الخلافة للعباسية أقام بها فقدم الكوفة في زمن المنصور فعظمه وأمر له بجائزة عشرة آلاف ألف درهم وجارية فلم يقبلها وروى أنه كان يتمثل كثيرا:

اعطاء ذى العرش خير من عطاكم * وسيه واسع يرجى وينتظر

انتم يكدر ماتعون منكم * والله يعطى فلا من ولا كدر

وروى أنه لما أرسل اليه أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم على يد الحسن بن قحطبة ولم يمكنه ردها أوصى ابنه حماد انه اذا مات ودفن يردها للحسن ففعل فقال رحمه الله على أيك لقد كان شجيحا على دينه ﴿ وما اشتغل بالدعوة ﴾ أى بدعوة الناس إلى مذهبه ﴿ الا بالإشارة النبوية في المنام ﴾ اليه ليدعوهم إلى مذهبه ﴿ بعد ما قصد الانزواء ﴾ أى الاستخفاء عن الانام وحكاية رؤيا الامام مشهورة بانه ينش قبره عليه السلام ويؤلف العظام الكرام بوضع بعضها في موضع مناسب للمقام فغير ابن سيرين من اجله التابعين المنام ان صاحبها رجل يحى به الله سنن الاسلام بما أميتت فيما بين الانام والظاهر ان يقال: ما تفرقت بين الصحابة الكرام والتابعين العظام لجمعهما الامام ورتبها أصولا وفروعا تلتم به الاحكام على وجه الاحكام ﴿ وما استظل بحاظ المديون حين

أَتَاهُ مُتَقَاضِيًا، وَتَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِ أَتَى بِهِ وَكِيلُهُ لَمَّا خَلَطَ بِهِ ثَمَنُ ثَوْبٍ
مُعِيبٍ مُبِيعٍ خَفِيًّا، وَتَرَكَ لَحْمَ الْغَنَمِ لَمَّا فُقِدَتْ شَاةٌ فِي الْكُوفَةِ إِلَى مَنَاقِبٍ
يَعْسَرَ تَعْدَادُهَا ۝

اتاه متقاضيا ۝ أي طالبا لقضاء دينه فن يزيد بن هارون رأته يوما بقاء دار غريم له
قد قام في الشمس فانكرت فقال: لي على مالكم مال أخاف ان أجلس في ظله، ومثله عن يحيى
ابن زائدة إلا أنه قال حلفته بالله العظيم عن مانع الاستظلال فقال: أخاف ان يكون قرضا
جر منفعة قال وما أراه على الناس لكن على العالم ان يأخذ بعلمه أكثر ما يدعوا اليه، والمعنى
انه ينبغي له أن يعمل بالتقوى لا بظاهر الفتوى كما يشير اليه قوله عليه السلام: «استفت قلبك
وان أفتاك المفتون» وقد أغرب شمس الأئمة حيث رد هذا في كتاب الصرف وقال: انه
من التكلف لا من التزهّد انتهى، وهذا جراحة عظيمة منه وجريمة جسيمة عنه، وما يرد
عليه ما ذكر في صفات الصالحين ان امرأة سألت الامام أحمد ان شموع آل طاهر
تعب من حملنا ونغزل في ضوءه ونحن على السطوح طاقة أو طاقتين فهل يحل لنا من
ذلك الغزل فقال الامام أحمد: من أنت قالت: أخت بشر الحافي قال: ما زال هذا الورع
الصافي يخرج من آل بشر، فعلم بهذا ان دقائق الورع مما لا غاية لها ولا نهاية فلا تقاس
الملوك بالحدادين ۝ وتصدق بجميع مال أتى به وكيله لما خلط به ثمن ثوب معيب مبيع
خفيا ۝ كان حفص بن عبد الرحمن شريك الامام فبعثه الى تجارة وقال له في ثوب كذا
عيب فباعه بلا يئانه وجاء بربيع فصدق بحصته وفاسخه الشر كذا، قال المرغيناني: وكان
الربيع خمسة وثلاثين ألف درهم، وعن ابن الميّم انه قال الامام ما ملكت أكثر من أربعة
آلاف درهم منذ أكثر من أربعين سنة إلا أخرجتها وإنما أمسكتها لقول علي رضي الله
عنه أربعة آلاف درهم وما دونها ففقه ولولا اني أخاف ان ألجئ الى هؤلاء ما تركت
واحدا منها ۝ وترك لحم الغنم ۝ أي اكله ۝ لما فقدت شاة في الكوفة ۝ فعن ابن المبارك
وقعت أغنام من الغارة في الكوفة فسأل عن مدة حياة الغنم فقيل: سبع سنين فما كل اللحم
سبع سنين، وهذه المذكورات بعض مناقبه وندرة يسيرة من جملة مراتبه منضمة ۝ الى
مناقب ۝ أي كثيرة ۝ يعسر تعدادها ۝ أي قصد استيفاء إيرادها، وقد تلخصت مناقبه
العلية ومناقب أصحابه الجليلة وذيلته بطبقات اتباعه الحيفية وسميته بالآثار الحنية
في الاسمار الحنيفة، واختصرت على مناقب الامام هاتبعاً للبصفت اختصاراً وقد أوردت
مناقب الامام في شرح المشكاة استكثارا ۝

البَابُ الْأَوَّلُ فِي الْوَرْدِ

وَرَدَ (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وَهِيَ أَنْوَاعُ مَنِهَا الصَّلَاةُ
فَوَرَدَ «مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ بَعْدَ التَّوْحِيدِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ» «مَنْ تَرَكَ
الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ كَفَرَ» أَيْ قَارَبَ الْكُفْرَ يُقَالُ: دَخَلَ الْبَلَدَ لِمَنْ قَارَبَهَا

الباب الاول في الورد

أصل الورد قصد الماء ومنه قوله تعالى: (ولما ورد ماء مدين) والماء المرشح المعد المهيأ للورود ومنه قوله سبحانه: (بئس الورد المورود) ويسمى كل قول وفعل يأتيه الإنسان في وقت معين على وجه معين ورده وهو المراد هنا، وأما حديث صاحب الورد ملعون وتارك الورد ملعون فباطل لا أصل له (ورد) أي في قوله تعالى تعالى: (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أي ليعرفوني فيعبدوني أو ليعبدوني فيعرفوني كما هرشأن المراد والمريد في مسالك المناسك المعبر عنهما بالمجذوب والسالك (وهي) أي العبادة المأخوذة من يعبدون (أنواع) أي اصناف ستة (منها الصلاة) وهي أفضلها وأكملها واشملها وأجلها (فورد) ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد (أي الايمان بالله ورسوله) (أحب اليه من الصلاة) كذا في الاحياء مع زيادة ولو كان شيء أحب اليه منها لتعبد به الملائكة فمنهم راكم ومنهم ساجد وقائم وقاعد، وقال العراقي: لم أجده هكذا، وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الخاكم من حديث ابن عمر (من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر) البزار من حديث أبي الدرداء باسناد فيه مقال، ذكر العراقي في رواية الطبراني عن ابن عباس من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان، وفي الاوسط عن أنس من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا (أي قارب الكفر) لان المعاصي يريده (يقال دخل البلدة لمن قاربها) فالمراد به المعنى المجازي المعبر عنه بالمشارف خلافا للخوارج ومن تبعهم في حملته على الكفر الحقيقي أو معناه كفر نعمة الله بترك عبادة مولاه أو عمل عمل الكفرة أو كفر في عاقبة أمره أو محمول على مستحل تاركه أو منكر فرضيته، وفي رواية أحمد والبيهقي من حديث أم أيمن ورجال استاده ثقات من ترك الصلاة متعمدا فقد برى من ذمة محمد ﷺ، وفي رواية الطبراني في الاوسط من حديث أنس أول ما يحاسب

وَحَقُّهَا أَنْ يُطَهَّرَ الظَّاهِرُ عَنِ الْحَدَثِ . وَالنَّجَسِ . وَالْجَوَارِحِ عَنِ الْجَرِيْمَةِ
وَالْقَابِ عَنِ الذَّمِّيمَةِ وَالسَّرِّ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالَى هَذَا نَصْفٌ وَالْآخَرُ

به العبد الصلاة فإن فسدت فسد سائر عمله ، والاحاديث في هذا الباب كثيرة شهيرة
وناهيك في شرفها قوله تعالى : (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (وحققها)
أى حق الصلاة الثلاثيها (أن يطهر الظاهر) أى ظاهره (عن الحدث) أى
النجس الحكيم من الاصغر والأكبر بدنا (والنجس) أى الحقيقي المسمى بالخبث
بدنا وثوباء ، والنجس بالفتح عين النجاسة والكسر المتنجس (والجوارح عن الجريمة)
أى واعضائه عن اكتساب الاعمال الظاهرة الذميمة (والقلب عن الذميمة) أى
الاخلاق الباطنة الدنية والاحوال الواردة الردية (والسر) أى الذى لا يطلع عليه الا الله
(عما سواه تعالى) أى يطهره عن حضور غير الله وخطوره لاستهلاك غيره في جنب تجل
نوره والغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته وان تحل معرفة الله
بالحقيقة في السر مالم يرحل ماسوى الله تعالى عنه ، ولذا قال عز وجل : (قل الله ثم ذرهم في
خوضهم يلعبون) لانهم لا يجتمعان في قلب واحد وما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه ،
وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالعقائد السنية وبالشماثل البهية
الرضية ولم يتصف بها مالم يتنظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والاخلاق
الكاسدة ، فظهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذى هو شرط في الثاني فكان
الظهور شطر الايمان بهذا المعنى ، وكذا تطهير الجوارح عن المناهى والملاهى أحد الشطرين
وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني ، وخلاصته ان التخلية نصف الايمان والتخلية نصف
الايقان وبهما يكمل العرفان ، فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة من طبقات الايقان
ولن ينال العبد الطبقة العالية الا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة
السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة مالم يفرغ من طهارة القلب عن الاخلاق
المذمومة وعمارته بالاخلاق المحمودة ولن يصل الى ذلك مالم يفرغ من طهارة الظواهر
عن المناهى وعمارتها بالطاعات كما هي ؛ وكلما عز المطلوب وشرف المحبوب صعب
مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظن أن هذا الأمر يدرك بالمتى وينال
بالهويناء ، قال تعالى : (ليس بآمانيك ولا أمانى أهل الكتاب) الآية (هذا) أى المذكور
من الطهارة في كل رتبة (نصف) أى نصف حق عمل الصلاة (والآخر) أى النصف

هُوَ الْعِمَارَةُ بِالطَّاعَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَوَرَدَ «الطُّهُورُ نِصْفُ الْإِيمَانِ» وَالْأَصْلُ
طَهَارَةُ الْبَاطِنِ فَهُمْ كَانُوا يَابِلُغُونَ فِيهَا وَيُساهِلُونَ فِي الظَّاهِرِ حَتَّى كَانُوا يَمْشُونَ
حُفَاةً فِي الطِّينِ وَيُصَلُّونَ مَعَهُ وَصَلَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُتَعَلِّلاً فَخَبِرَ

الثاني (هو العمارة بالطاعة ظاهراً وباطناً) أى عمارة الجوارح والجوانح بالعبادة
المختلفة من القيام والقراءة والركوع والسجود والقعود وسائر الأحوال المؤتلفة (فورد
الطهور) بفتح الطاء وضمها بمعنى المصدر أو ما يتطهر به (نصف الإيمان) أحمد
ومسلم والترمذى عن أبى مالك الأشعرى فى حديث طويل ، والمعنى أن الإيمان يطهر
نجاسة الباطن . والطهور يطهر نجاسة الظاهر كذا فى النهاية ، وقيل : المراد بالإيمان
الصلاة كما قال تعالى : (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أى صلاتكم الى بيت المقدس
فيراد بنصفها شرطاً وبعضها فانه أقوى شرطها (والأصل) أى فى التطهر
الذى عليه مدار العمل (طهارة الباطن) لانه محل النظر الإلهى حيث ورد أن الله
لا ينظر الى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأحوالكم (فهم) أى الصحابة
(كانوا يابلغون فيها) أى فى طهارة الباطن (ويساهلون فى الظاهر) أى يتساهلون
فى طهارة الظاهر (حتى كانوا) أى أحياناً (يمشون حفاة) أى بلا نعل (فى الطين)
أى طين الازقة ويجلسون عليها (ويصلون معه) أى من غير غسله ويأكلون من دقيق البر
وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون عن عرق الابل والحيل والحمر مع كثرة
تمرغها فى النجاسات ، وقد انتهت الذوبة الآن الى طائفة يعمن أحدهم فى طهارة الظاهر
ويستقصى فى مجاريها ويستوعب جميع أوقانه فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف
الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظناً منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة
المطلوبة المشرفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع المهمل والفكر
فى تطهير القلب وتساهلهم فى أمر الظاهر حتى أن عمر رضى الله عنه مع علو منصبه تواسى
من ماء فى جرة نصرانية وحتى أنهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسمات والاطعمة
بل كانوا يمسحون أصابعهم باخص أقدامهم ، وعدوا الاثنان ونحوه من الغسول
والصابون من البدع المحدثه وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء (وصلى عليه
السلام متعللاً) أى لا يسأله أى مرة (فخبير) أى أخبره جبريل عليه السلام

بَتَلَطُّحٍ فَزَعٍ وَأَتَمٍّ وَلَكِنَّ لِلظَّاهِرِ أَثْرٌ فِي تَوْيِيرِ الْبَاطِنِ كَمَا يُصَادَفُ عِنْدَ
 اسْبَاغِ الْوُضوءِ وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ لِرَبْطِ الْمَلِكِ بِالْمَلَكُوتِ

﴿ بتلطح ﴾ أى باصابة نجاسة ﴿ فزع ﴾ أى فعله بعمل قليل ﴿ وأتم ﴾ أى صلاته من غير استئناف ولا إعادة والحديث رواه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد قال بعضهم: الصلاة في النعلين أفضل إذا لم نزع رسول الله ﷺ نعليه باخبار جبريل عليه السلام له ان عليها نجاسة وخلع الناس نعالهم فقال رسول الله ﷺ: لم خلعت نعالكم قالوا: رأيناك خلعت فخلعنا نعالنا، وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لوان محتاجا جاء فاخذها منكرا لخلع النعال، وأما اهل زماننا فلو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الارض حافيا أو صلى على الأرض أو على بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من آدم ونحوه أو توضأ من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه التكبير ولقبوه بالفذر واستنكفوا من مؤاكلته واستكروهوا من مخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة نظافة، فالنظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه ولم يبق الا اسمه ووسمه ﴿ ولكن للظاهر ﴾ أى لظهارته أيضا ﴿ أثر في توير الباطن ﴾ للارتباط الذي بينهما ولذا قيل الظاهر عنوان الباطل حتى أن المجامع في حال مباشرته لو أدمن النظر إلى بياض مشرف أو حمرة قانية الى أن غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود الى ذلك اللون الذي غاب عليه وان الجنين اذا تحرك في البطن وكانت الأم شاهدة في تلك الحال لصورة حسنة من الجمال بحيث غلبت تلك الصورة الحسية على نفسها في عالم الخيال من باطنها نزع صورة ذلك الجنين الى تلك الصورة الحسنة التي شاهدها أمه، فعلم من هاتين الصورتين ان للظاهر أثرا في عالم الباطن ﴿ كما يصادف ﴾ أى يوجد أثره ﴿ عند اسباغ الوضوء ﴾ بفتح الواو أو ضمها أى كإله واسباغه ﴿ وسائر الأعمال الظاهرة ﴾ أى حيث تتأثر بها الأحوال الباطنة ﴿ لارتباط الملك ﴾ أى عالم الظاهر السفلى ﴿ بالملكوت ﴾ وهو عالم الباطن العلوى كما اذا كان شخص يرشح كل يوم بالماء جانب جداره البراني فلا شك ان أثر ذلك الترشيح يظهر في الجدار من جانب الطرف الداخلى، وقد ورد «مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب

وَمِنْ ثَمَّةٍ تَصَدَّقُ رُؤْيَا مَنْ اعْتَادَ الصَّدَقَ قَدَاوْمٌ عَلَى الْوُضُوءِ *

على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما يبقى ذلك من الدنس، أحد
ومسلم عن جابر، وفي الأحياء أن الإنسان إذا أسبغ الوضوء واستشعر نظافة ظاهره
وجد في قلبه صفاء وانشرحاحاً لم يكن يصادفه قبله وذلك النظافة العلاقة التي بين عالم
الشهادة وعالم الملكوت فإن ظاهر الإنسان من عالم الملك والشهادة وقلبه من عالم
الملكوت والغيب، فإن كنت لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئاً من الصفاء
الذي وصفناه فاعلم أن الجدار الذي استولى على قلبك من كدورات شهوات الدنيا
وشواغلها اقتضى كلال حس القلب نصار لا يحس باللطائف والأشياء الخفية ولم يبق
في قوته الإدراك الأمور الجليلة فاشتغل بجلاء قلبك وتصفية باطنك فإن ذلك أوجب
عليك من كل شيء أنت فيه (ومن ثمة) أي ومن أجل ارتباط الملك بالملكوت (تصدق رؤيا
من اعتاد الصدق) أي وتكذب رؤيا من اعتاد الكذب كما قيل: كل أناة يترشح بما فيه
(فتداوم) تفريع على قوله لكن للظاهر أثر في تنوير الباطن والمعنى إذا كان كذلك
فتواظب به (على الوضوء) فقد ورد دم على الطهارة يوسع عليك الرزق، بل ينبغي أن يحدد
الطهارة لكل صلاة كما كان يفعل عليه السلام نظراً إلى ظاهر الآية وإنما صلى عليه السلام
عام الفتح خمس صلوات بوضوء واحد فسأله عمر عن ذلك فقال عمدا صنعت يا عمر يعني
ليعرف أنه ليس بفرض فتقدير الآية إذا قمتم إلى الصلاة وأتمم محدثون لأن الأصل في
الأمر أن يكون للجواب، والحديث «من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات» أبو داود
والترمذي وابن ماجه من حديث عمر باسناد ضعيف والضعيف يعمل به في فضائل الأعمال
اتفاقاً مع أن كثرة الطرق ترقى الضعيف حسناً وفاقاً، وأما حديث الوضوء على الوضوء
نور على نور فقال العراقي: لم أجده أصلاً وتعقبه العسقلاني بقوله رواه رزين في مسنده
وهو حديث ضعيف وينبغي أن يستجى لمقعده بثلاثة أحجار فإن أنقى بها كفى والآن
استعمل رابعة فإن أنقى بها والاستعمل خامسة لأن الاتفاق واجب والآن استعمل رابعة
عليه السلام «من استجمر فليوتر» متفق عليه من حديث أبي هريرة فإخذ الحجر ويساره
ويضعها على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمر بها بالمسح والإدارة إلى المؤخرة
ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخرة وكذا يمر بها إلى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول
المسربة إدارة ثم يأخذ حجراً كبيراً يمينه والقضيب يساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك
اليسار فيمسح ثلاثاً في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار جازله ذلك

وَيَتَوَضَّأُ بَعْدَ الْغِيَةِ وَالْقَهْقَرَةِ وَأَنْ لَمْ تَكُنْ فِي الصَّلَاةِ وَلِكُلِّ صَلَاةٍ قَبْلَ الْوَقْتِ

الى أن لا يرى الرطوبة في محل المسح ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجي بالماء بان يفيضه على محل النجس ويدلك باليسرى حتى لا يبقى له أثر تدر كالكف بحس المس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك ينفع للوسواس لا كثر الناس ويقول عند دخوله في المطهر: بسم الله اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث واذا فرغ عنه غفر انك الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وأبقى علي ما ينفعني؛ واذا فرغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحسن فرجي من الفواحش، واجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى أنه لما نزل قوله تعالى: (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل قباء ما هذه الطهارة التي أثنى الله بها عليكم فقالوا: كنا نجتمع بين الماء والحجر كذا في الاحياء، وقال العراقي: الحديث في أهل قباء وجمعهم بين الماء والحجر. البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف، ورواه ابن ماجه. والحاكم وصححه من حديث أبي أيوب، وجابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر، فقول النووي تبعاً لابن الصلاح ان الجمع بين الماء والحجر في أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم والله أعلم ﴿ويتوضأ بعد﴾ نحو ﴿الغية﴾ وهي بكسر الغين ان تذكر أخاك بما يكرهه في الغيبة، وقد ورد الغيبة تنقض الوضوء والصلاة رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر، وفي معناها الكذب والنيمة وسائر الأقوال الذميمة بل قال بعض المشايخ: اذا ذكرت الدنيا توضأ واذا ذكرت الآخرة اغتسل، يعني ان الدنيا هي الشهوة الصغرة والعقبى هي الكبرى وكل منهما مانع عن كمال التوجه الى حضرة المولى، وفي شرح السنة والمستحب ان يتوضأ لكل صلاة وان كان على طهارة لا نهر بما جرى على لسانه كذب أو غيبة أو سيئة بها يأثم قلبه فيذبح ان يجدد الوضوء لدفع ذلك كما يتوضأ لدفع الحدث الظاهر فان كان لا يمكنه الوضوء فانه يتيمم وينوي بتيممه رفع الاثم، وفي العوارف تجديد الوضوء مستحب بشرط أن يصلي بالوضوء ما تيسر والا فأكروه ﴿والقهقرة وان لم تكن في الصلاة﴾ أي فانها اذا كانت في الصلاة تنقض الوضوء عندنا ﴿ولكل صلاة قبل الوقت﴾ عملاً بقوله تعالى: (وسارعوا الى مغفرة من ربكم) الآية في شرح السنة من المستحب اذا فرغ من البول أو الغائط ان يتيمم الى أن يبلغ الماء فيتوضأ هكذا روى عن رسول الله ﷺ ففي الاحياء في بيان طول الأمل وقصره انه عليه السلام كان يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة وقال لعلي لا أبلغه، ورحى عن

وَيَمْلَأُ الْإِنَاءَ لِلآتِيَةِ وَيُطِيلُ الْغُرَّةَ وَالتَّحْجِيلَ وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَعِينُ
بِغَيْرِهِ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الدُّنْيَا وَالْبَشَرِ

ذى النون المصرى انه كان على شط النيل يتيمم ويقول: اخاف ان يدر كنى الموت قبل
ان أتوضأ كفى شرح السنة ﴿وَيَمْلَأُ الْإِنَاءَ لِلآتِيَةِ﴾ اى استعدادا للصلاة الآتية ويكره
أن يستخلصها لنفسه كذا فى المراجعية ﴿وَيُطِيلُ الْغُرَّةَ وَالتَّحْجِيلَ﴾ اى عند غسل وجهه
ويديه ومرفقيه والغرة يياض الجبهة والحجل يياض قوائم الفرس ونحوه، وقد ورد
«ان هذه الأمة يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء» وقال عليه السلام:
«من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» متفق عليه من حديث أبى هريرة، وروى تبايع
الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء، أخرجه مسلم من حديثه ﴿وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ﴾
أى حين الوضوء فورد «أشرف المجالس ما استقبل به القبلة» الطبرانى عن ابن عباس
﴿وَلَا يَسْتَعِينُ بغيره﴾ أى مهما أمكن فانه افضل اذا اجر على قدر المشقة ﴿وَلَا يَتَكَلَّمُ
بِكَلَامِ الدُّنْيَا وَالْبَشَرِ﴾ أى فى أثناء الوضوء، وفى فتاوى الحجة التكلم فى أثناء الوضوء
مكروه وفى الاعتسال اشد كراهة، وفى العوارف أدب الصوفية فى الوضوء حضور
القلب فى غسل الاعضاء، سمعت بعض الصالحين يقول: اذا حضر القلب فى الوضوء
يحضر فى الصلاة واذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة فى الصلاة وينوى رفع الحدث
أو استباحة الصلاة أو القربة الى الله سبحانه ويبدأ بتسمية الله فقد ورد لا وضوء لمن
لم يسم الله الترمذى. وابن ماجه من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة، والتسمية فى أول
الوضوء سنة عند الجمهور وواجب عند أحمد بهذا الحديث، ويستحب ان يقدم على
البسملة التعوذ ويقول: أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون
بسم الله العظيم والحمد لله على دين الاسلام، ويغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الإناء
لقوله عليه السلام: «اذا استيقظ أحدكم من منامه فلا يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثا
فان أحدكم لا يدري أين بات يده» مالك والشافعى وأحمد والشيخان والاربعة عن
أبى هريرة، ويقول عند غسل يده: اللهم انى أسألك الجن والبركة وأعوذ بك من الشؤم
والهلكة ثم يتمضمض ثلاثا ويبالغ فيه الا أن يكون صائما كما ورد به الخبر ويقول:
اللهم اعننى على ذكرك وشكرك وتلاوة كتابك، يستشق ثلاثا ويقول: اللهم ارحنى رائحة
الجنة مع الابرار واعذنى بك من روائح أهل النار، ويستنثر ثلاثا فورد: «اذا استيقظ أحدكم

ويفتح العين

من منامه فتوضاً فليستثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت على خياشيمه، الشيخان عن أبي هريرة، ويغسل وجهه ثلاثاً ويقول اللهم يضر وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه أعدائك ﴿ويفتح العين﴾ أي عند غسل الوجه هو غير معروف بل قيل: انه فيه خطر العمى فهو حرج مدفوع عنه نعم يدخل الاصبع في محاجر العينين وموضع الرمض ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روى انه عليه السلام فعل ذلك أخرج أحمد من حديث أبي امامة كان يتعاهد المارقين، وروى الدارقطني من حديث أبي هريرة بأسناد ضعيف «أشربوا الماء أعينكم، أي حوالها لما تقدم والله أعلم، ويغسل اللحية اللطيفة والكثيفة ويخللها فقد ورد: «خللوا لحاكم وقصوا أظفاركم فإن الشيطان يجري بين اللحم والظفر» الخطيب في الجامع، وابن عساكر عن جابر، ويجب إيصال الماء إلى منابت اللحية الخفيفة أعني ما يقبل من الوجه، وأما الكثيفة فلا بل يفيض الماء على ظاهرها ما استرسل من اللحية وقد ورد كان عليه السلام: «إذا توضأ خلل لحيته بالماء»، رواه أحمد والحاكم عن عائشة، وفي رواية أبي داود والحاكم عن أنس «كان إذا توضأ أخذ كفاً من ماء فادخله تحت حنكته فخلل به لحيته وقال: هكذا أمرني ربي» وفي رواية ابن ماجه عن ابن عمر «كان إذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته بأصابعه من تحتها، والعرك المعالجة والدلك، ثم يغسل يديه مع مرفقيه ثلاثاً ثلاثاً فوردانه عليه السلام: «إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه» الدارقطني عن جابر، وفي رواية ابن ماجه عن أبي رافع «كان إذا توضأ حرك خاتمة ويبدأ باليمين ويقول: اللهم أعطني كتابي يميني وحاسبني حساباً يسيراً وعند اليسرى اللهم أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالى أو من وراء ظهري، ثم يستوعب رأسه بالمسح ويقول: اللهم غشني برحمتك وأنزل على من بركاتك وأظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما ويقول: اللهم اجعاني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم اسمعني منادى الجنة ثم يمسح الرقبة لقوله عليه السلام: «مسح الرقبة أمان من الغسل يوم القيامة» أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر وهو ضعيف، ويقول: اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثاً ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل فيه الأقدام ويقول عند غسل اليسرى اللهم أعوذ بك أن تزل قدمي على الصراط يوم تزل أقدام المنافقين في

وَيُسَمَّى فِي كُلِّ عَضْوٍ وَيَتَشَهَّدُ فِيهِ وَبَعْدَ الْفَرَاغِ وَيَشْرَبُ بَقِيَّةَ الْمَاءِ قَائِمًا
مُسْتَقْبِلًا وَيَسْرَحُ اللَّحِيَةَ بَعْدَهُ ۝

النار ويخلل باليد اليسرى من أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى فقد ورد: «خلل أصابع يديك ورجليك» أحمد عن ابن عباس وفي رواية الدارقطني عن أبي هريرة «خللوا بين أصابعكم لا يخللها الله يوم القيامة بالنار» وفي رواية الطبراني عن وائلة «من لم يخلل أصابعه بالماء خللها الله بالنار يوم القيامة» (ويسمى في كل عضو) وقيل ويسلم أيضا على النبي ﷺ (ويتشهد فيه) أى فى كل عضو، ففى المحيط من الأدب ان يقول عند كل عضو أشهد ان لا إله الا الله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله (وبعد الفراغ) أى ويتشهد بعد فراغ الوضوء أيضا فقد ورد: «من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال: أشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا إله الا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك وأتوب اليك فاغفرلى وتب على انك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين واجعلنى عبدا صبوراً شكوراً واجعلنى اذكرك ذكراً كثيراً وأسبحك بكرة وأصيلاً» يقال: ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدهسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة كذا فى الاحياء وقال العراقى حديث: «من توضأ باحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» أبو داود من حديث عتبة بن عامر وهو عند مسلم دون قوله ثم رفع (ويشرب بقية الماء) أى فضل الوضوء كله أو بعضه (قائماً مستقبلاً) لما ورد فى أثر على موقوفاً ومرفوعاً، فعن شمس الأئمة الحلوانى وان شاء قائماً وان شاء قاعداً، وذكر شيخ الاسلام المعروف بخواهر زاده انه يشرب ذلك قائماً ولا يشرب قائماً الا فى موضعين أحدهما هذا والثانى عند زمزم والله أعلم (ويسرح اللحية بعده) أى بعد فراغ الوضوء التزمذى فى الشماثل من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته، وفى الشماثل أيضاً باسناد حسن انه عليه السلام كان يترجل غبا، وعند أنس داود والترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن مغفل النهى عن الترجل الا غبا بأسناد صحيح، وفى الخبر المشهور انه عليه السلام كان لا يفارقه

المشط والمدرى والمرآة في سفر ولا حضر وهي سنة العرب كذا في الاحياء، والمدرى القرن يقال له: أدري رأسه حكمة قال العراقي حديث كان لا يفارق المشط والمدرى في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب عمدة التصوف من حديث أنى سعيد كان لا يفارق مصلاه وسواكه ومشطه ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة واسنادهما ضعيف قال الحجة: وفي حديث غريب أنه كان يسرح لحيته في اليوم مرتين ، وقال العراقي: تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب في الجامع من حديث الحاكم مرسلًا كان يسرح لحيته بالمشط ، وكان عليه السلام كثر اللحية قد ملأت ما بين منكبيه، وكذلك كان أبو بكر ، وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان على عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه ذكره في الاحياء وقال العراقي: حديث كان كثر اللحية الترمذى في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة . وأبو نعيم في دلائل النبوة من حديث على واصله عند الترمذى قال: وفي حديث أغرب منه قالت عائشة رضي الله عنها: اجتمع قوم الى باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج اليهم فرأيتهم يتطلع في الجب يسوى من رأسه ولحيته قلت: أو تفعل ذلك يا رسول الله؟ فقال نعم: ان الله يحب من عبده أن يتجمل لاخواته اذا خرج اليهم قال العراقي ابن عدى وقال حديث منكر هذا ، وقيل لدارد الطائي: لم لا تسرح لحيتك؟ قال: انى اذا لفارغ، وفي قوت القلوب قال السرى: في اللحية شرك ان كان تسريحها لاجل الناس وتركها لاجل اظهار الزهد رياء، وقال: لو دخل على داخل فمسحت لحيته لاجله لظننت أنى مشرك ، وتحقيقه ما قال الحجة: ان الجاهل ربما يظن أن فعله عليه السلام ذلك من حب التزين للانام قياسا على أخلاق غيره في الدين وتشديدها للدلائكة بالحدادين وهيئات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماثورا بالدعوة وكان من وظائفه أن يسعى في تعظيم أمر نفسه في قلوبهم كيلا تزدرية نفوسهم وفي تحسين صورته في أعينهم كيلا تستغفروا عنهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم ، وهذا القصد واجب على كل عالم يتصدى لدعوة الخلق الى الحق وهو ان يراعى من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الأمور على النية فانها في أنفسها أعمال تكتسب الاوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث باللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس مخذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب وشكور، وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتليس غير راجع عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وغيره

وَيَجْتَنِبُ اَنَا. اَيَتَأَذَى مِنْ رِيحِهِ الْمَلَأْتُكَ كَالصُّفْرِ وَالْمَاءُ الْمُشَمَّسَ وَالْاَسْرَافَ
فِي الْمَاءِ وَالضَّرْبَ بِهِ وَنَشْفُهُ عَلَى وَجْهِهُ فَهُوَ يُوزَنُ دُونَ وَجْهِهُ فَهُوَ مَرُوءِي

ويزعم ان قصده الخير فيرى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان
قصدهم ارغام المبتدعة والمخالفين والتقرب الى رب العالمين وهذا أمر ينكشف يوم
تبلى السرائر ويوم يبعث من في القبور ويحصل ما في الصدور فنعند ذلك تتميز السيكة
الخالصة من البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم الفزع الأكبر ﴿ ويجتنب انا. اَيَتَأَذَى
من رِيحِهِ الْمَلَأْتُكَ كَالصُّفْرِ ﴾ ومثله النحاس تبع الاحياء لكن ورد أنه عليه السلام:
« كان يعجبه أن يتوضأ من مخضب من صفر » ابن سعد عن زينب بنت جحش لكن يؤيد
بما في شرح السنة من الادب أن يتوضأ من انا. الخنزف ولا يتوضأ من النحاس والصفر
لان الوضوء به منهي عنه وفيه أيضا روى عن ابن عمر أنه كره الوضوء في انا. صفر،
وفي الشريعة لا يتوضأ من انا. نحاس وصفر قالوا الملائكة يفرون من ريحهما ﴿ والماء
المشمس ﴾ أي ويجتنبه لانه يورث البرص اذا كان في انا. نحو الصفر في بلاد حارة
وهذا في الاواني دون الحياض وفي الاحياء ويكره أن يتوضأ في انا. صفر وأن يتوضأ
بالمشمس وذلك من جهة الطب، وروى عن ابن عمر. وأبي هريرة كراهية الا. الصفر،
وقال بعضهم: أخرجت لشعبة ماء في انا. صفر فأبى أن يتوضأ منه ولعل كراهية ذلك
عن ابن عمر انتهى، وفي الشريعة لا يتوضأ بالماء المسخن بالشمس، وفي درر البحور ولا
يكره الوضوء بالماء المسخن بالنجاسات وبه قال أبو حنيفة خلافاً لما لك وأحمد ولا يما
زمزم وبه قال أبو حنيفة. ومالك خلافاً لاحد ولا بأس بالمشمس في البرك والبحار
والانهار وفقاً ﴿ والاسراف في الماء ﴾ قال تعالى: ﴿ ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾
وتوضأ عليه السلام ثلاثاً وقال: « من زاد فقد ظلم وأساء. أبو داود والنسائي واللفظ له
وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن جده، وقال عليه السلام: « سيكون قوم من هذه
الامة يعتدون في الدعاء والطهور » أبو داود وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله
ابن مغفل ﴿ والضرب به ﴾ أي ويجتنب لطم وجهه بالماء ﴿ ونشفه على وجهه ﴾ أي قول
﴿ فهو يوزن ﴾ أي في ميزان العمل ﴿ دون وجه ﴾ أي قول آخر ﴿ فهو مروى ﴾ في
الاحياء كره قوم التنشيف وقالوا: الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهرى لكن
روى معاذ أنه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروى عائشة أنه كانت له منشفة

وَنَقَضَ الْيَدَ، وَيُؤَاطِبُ عَلَى السَّوَاكِ مِنَ الْأَرَاكِ طُولًا وَعَرَضًا فِي كُلِّ صَلَاةٍ وَوُضُوءٍ وَعِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَغْيِيرِ الْقَمَمِ بِنَحْوِ الْجُوعِ وَالنَّوْمِ

ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة قال العراقي: حديث معاذ الترمذي وقال غريب وإسناده ضعيف، وحديث عائشة الترمذي وقال ليس بالقائم قال: ولا يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء ﴿ ونقض اليد ﴾ أى ويجتنبه فقئ الاحياء ويكره ان ينقض اليد فيرش الماء ﴿ ويؤاظب على السواك ﴾ أى استعماله أو على الاستياك ﴿ من الاراك ﴾ أى خصوصا فهو الافضل الوارد والا فيجوز من كل شجرة مرة لأنه أطيب لنكهة القمم وأكثر إزالة للبلغم وأنقى للصدر وأقوى للبعدة واهضم للطعام وليكن رطبا مستويا قليل العقد طول الشبر وغلظ الخنصر ولا يقوم الاصبغ مقام الحشبة عند وجودها ﴿ طولاً وعرضا ﴾ وان اقتصر فعرضا ﴿ في كل صلاة ﴾ حتى عند بعض أئمتنا أيضا ﴿ ووضوء ﴾ أى في كل وضوء اتفاقا ومحل ابتداء الوضوء كما في الاحياء أو حال المضضفة لأنه من تكميلها وقد قال عليه السلام: « صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك » أبو نعيم في كتاب السواك من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف، ورواه أحمد والحاكم وصححه والبيهقى وضعفه من حديث عائشة بلفظ من سبعين صلاة وقال: « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » متفق عليه من حديث أبي هريرة، وفي رواية لا مرتهم بالسواك مع كل وضوء، والله والشافعي والبيهقى عن أبي هريرة، وفي رواية أحمد والنسائي عن أبي هريرة لا مرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك، وفي رواية الحاكم عن العباس لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء، وفي رواية الحاكم والبيهقى عن أبي هريرة لفرضت عليهم السواك مع الوضوء، وفي رواية أبي يعلى عن مكحول مرسل لا مرتهم بالسواك والطيب عند كل صلاة وفي رواية أبي نعيم عن ابن عمر لا مرتهم أن يستاكوا بالاسحار ﴿ وعند قراءة القرآن ﴾ فقد ورد « أن أفواهم طرق القرآن فطيبوها بالسواك » أبو نعيم في الحلية من حديث علي ورواه ابن ماجه موقوفا على علي وكلاهما ضعيف ورواه البزار مرفوعا وإسناده جيد ﴿ وتغيير القمم بنحو الجوع والنوم ﴾ ونحوهما من طول الصمت أو اكل ما يكره رائحته، فورد « ما لى أراكم تدخلون على قلعها سناكوا » والقلح محر كة صفرة الاسنان البزار والبيهقى من حديث العباس بن عبد

وَيُحَافِظُ عَلَى الْجَمَاعَةِ فِي أَقْرَبِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْأَبْعَدِيَّةِ سَاعِيًا

المطلب أحمد والبقري من حديث تمام بن العباس والبيهقي من حديث ابن عباس وهو مضطرب، وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا مسلم من حديث ابن عباس وهذا يدل على أن السواك مستقل غير متعلق بالوضوء والصلاة، وعن ابن عباس أنه قال: لم يزل صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء. ورواه أحمد وقال عليه السلام: «عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب» البخاري تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائي وابن خزيمة موصولا، وقال على السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على آذانهم الخطيب في كتاب أسماء من روى عن مالك، وعند أبي داود والترمذي وصححه أن زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب، وفي شرح السنة أما كيفية الاستياك فينبغي أن يبدأ بالجانب الأيمن من الأعلى والأسفل ثم باليسر كذلك ثم فيما بين ذلك ويستاك بالوتر لأن الله وتر يحب الوتر، وفي الخلاصة كيفيته أن يعالج السواك بعرضه للاسنان الظاهرة وبطوله لغيرها وبعده للعليا من جانب الأيمن والسفلي من جانبها ثم للعليا من جانب الأيسر ثم للسفلي من جانبها، وفي شرح السنة وأما المنهى فيه فينبغي أن لا يستاك قائما ولا بين القوم ولا في الحمام ويكره عند الشافعية بالعشى للصائم وتحقيقه في غير هذا المقام، وفي الخاتمة عن ابن المبارك لو أنكر أهل بلدة السواك لقاتلهم كما يقاتل المرتدين ﴿ويحافظ على الجماعة﴾ عطف على يداوم على الوضوء أي ويراعى صلاة الجماعة فورد: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة» متفق عليه من حديث ابن عمر ﴿في أقرب المساجد إلا أن يكون في الأبعدية﴾ أي صالحة للعدول عن الأقرب كحضور عالم أو شيخ واعظ وكونه أقدم المساجد أو عمر بالمال الحلال ونحوه من الأحوال ففي الكبرى مسجدان يصلي الرجل في أقدمهما بناء لأن له زيادة حرمة فإن كانا سواء ففي أقربهما وإن استويا فهو غير لأنه لا ترجيح لاحدهما وإن كان قوم أحدهما أكثر فإن كان هو فقيها يذهب إلى الذي قومه أقل ليكثر الناس يذهب به إلى ذلك المسجد وإن لم يكن يذهب حيث أحب رجل في محله مسجد فحضر المسجد الجامع لكثرة جماعته فالصلاة في مسجده أفضل قل أهل مسجده أو أكثر لأن مسجده حقا عليه وليس لذلك المسجد حق عليه فلم يقع الترجيح بكثرة الجمع، وفي الخاتمة إذا كان امام الحى مرايا يأكل الربا له أن يتحول إلى مسجد آخر ﴿ساعيا

إِلَيْهِ بَنِيَّةُ اجَابَةِ النَّدَاءِ خَاشِعًا غَيْرَ مُتَخَطِّ رَقَبَةً وَلَا مَارًّا بَيْنَ يَدَيِّ مُصَلٍّ وَلَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ بِكَلَامِ الدُّنْيَا وَيُودِّي فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ بَازَاءَ الْإِمَامِ أَوْ عَنْ يَمِينِهِ وَيُتِمُّ الْأَرْكَانَ وَيُرَاعِي السُّنَنَ وَالْآدَابَ فُورِدَ

(إليه) أى حال كونه ماشيا الى المسجد طلقا لقوله تعالى: (فاسموا الى ذكر الله) (بنية اجابة النداء) أى نداء الداعى الى عبادة رب السماء قال تعالى: (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) الآية فقد قال ابن عباس: من سمع النداء ثم لم يحجب لم يرد خير اولم يرد به، وقال أبو هريرة: لأن يملا اذن ابن آدم رصاصا مذا باخير له من ان يسمع النداء ثم لا يحجيه (خاشعا) خاضعا متواضعا متذللا فى طريقه (غير متخط رقة) أى عند دخوله (ولا مار بين يدي مصلى) فقد ورد: «لو يعلم المار بين يدي المصلى ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه» مالك وأصحاب الكتب الستة عن أبي جهيم، وفي رواية ابن أبي شيبة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن مرسل «لو يعلم المار بين يدي المصلى لاحب أن ينكسر نخذه ولا يمر بين يديه، والمختار ان المرور حرام اذا وقع بين المصلى ومسجده سواء كان له سترة أولا، ويحمل عليه ما روى الطحاوى من أن المرور بين يدي المصلى بمحضرة الكعبة يجوز أو يحمل على أنه في وقت غير قيام الفرض واعتدال صفة بان يصل في طريق الطائفين فانه لا حرمة له حينئذ واما اذا كان بينهما فرجة فلا بأس لما روى أبو داود والنسائي. وابن ماجه عن المطلب بن أبي وداعة قال: رأيت النبي ﷺ يصل في المسجد الحرام مما يلي باب بنى سهم والناس يطوفون بينه وبين القبلة مما بين يديه ليس بينه وبينها سترة (ولا يتكلم فيه بكلام الدنيا) فروى فى الاثر أو فى الخبر «الحديث فى المسجد يأكل الحشرات كما تأكل البهيمة الحشيش» كذا فى الاحياء وقال العراقى: لم أقف له على أصل قلت: ومعناه صحيح إذ قد ورد: «يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكروهم الدنيا وخبر الدنيا لتجالسهم فليس لله بهم حاجة» ابن حبان من حديث ابن مسعود. والحاكم من حديث أنس وقال: صحيح الاسناد (ويؤدى فى الصف الأول) فانه الأفضل (بازاء الامام) أى بجذائه فهو الأفضل لاخذ الحظ من الجانبين (أو عن يمينه) وقد يكون يساره أفضل اذا كان الناس هناك اقل (ويتم الاركان) أى حد الامكان (وبراعى السنن) أى الرواتب أو سنن الصلاة (والآداب) أى المستحبات فى جميع الابواب (فورِدَ

في الكل فضائل ولا يدافع الإمامة وكان مدافعهم لا يثار الأولى أو خوف السهو أو التشويش وهي أفضل من الاذان، فهو عليه السلام وخلفاؤه اختاروها، وما ورد كن مؤذنا فإن لم تستطع فكُن إماما محمولا على أن القوم كانوا لا يرضون إمامته

في الكل (أي في كل ما ذكر) (فضائل) أي في الصف الأول لقوله عليه السلام: «لو تعلمون ما في الصف الأول ما كانت الاقربة» مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة، وأما في اتمام الاركان فقوله «أتوا الركوع والسجود فوالذي نفسي بيده اني لاراكم من وراء ظهري اذ اركعتكم واذ اسجدتم» أحمد والشيخان عن أنس، وأما في السنن فقوله: «من صلى في اليوم واليلة اثنتي عشرة ركعة تطوعا بنى الله بيتا في الجنة» مسلم وغيره عن أم حبيبة وتفصيله ما ورد في حديث آخر، وركعتان قبل الفجر وبعد الظهر والمغرب والعشاء وأربع قبل الظهر، (ولا يدافع الإمامة) فانه من امارة القيامة فقد ورد: عن سلامة بنت الحرث قالت: قال رسول الله ﷺ: «ان من اشرط الساعة ان يتدافع أهل المسجد لا يجدون اماما يصلي بهم، أحمد وأبو داود وابن ماجه، وروى عبد الرزاق في مسنده حديثا بلفظ «تأزع ثلاثة في الإمامة فيخسف بهم» وعمله اذا علم من نفسه القيام بشروطها والقوم لا يكرهونه وليس وراءه أحدهم أفضل منه (وكان مدافعهم) أي مانعة بعض الصحابة من ذوى التقوى (لا يثار الأولى) أي بذلك المقام الأعلى (أو خوف السهو) أي في المبني (أو التشويش) أي تشويش الخاطر في حضور المعنى واحتياجه الى اخلاصه في تطويل الصلاة وتحسينها لاسيما اذا لم يكن له عادة الإمامة وكان مستحيا في تلك الاقامة (وهي) أي الإمامة (أفضل من الاذان فهو عليه السلام وخلفاؤه) أي أصحابه الكرام (اختاروها) أي من بين الانام (وما ورد) أي كما رواه البخارى في التاريخ والعقيلي في الضعفاء والطبراني في الأوسط عن ابن عباس باسناد ضعيف انه عليه السلام قال لمرجل: «يا رسول الله دلني على عمل أدخل به الجنة فقال (كن مؤذنا فان لم تستطع فكُن إماما) وفي رواية فقال «لا أستطيع فقال كن إماما فقال لا أستطيع فقال صل بازاء الامام فاعلمه (محمول على أن القوم كانوا لا يرضون إمامته) اذا الاذان اليه والإمامة إلى الجماعة وتقديمهم لها ثم بعد ذلك

فوردفيه « أن لا تجاوز الصلاة الرأس » ويراعى الأعمال الباطنة وهى الحضور وهو استغراق القلب بما هو فيه والافراغ عن غيره وهو بصرف الهمة اليه فهى تستتبع القلب وهو بذكر منافعها كقربه تعالى ورضاه والمكاشفة عاجلا والفوز بالسعادة الابدية والنظر الى وجهه الكريم آجلا وخساسة الدنيا ومهماتها، والفهم وهو اشتتاله على المعنى وهو بتوجيه الذهن الى الفكر ومداومة الفكر

توهم أنه ربما يقدر عليها (فورد فيه أن لا تجاوز الصلاة الرأس) أصل الحديث هذا « من أم قوما وهم له كارهون فان صلاته لا تجاوز ترقوته أى حلقه ورأسه، رواه الطبرانى عن جنادة وفي رواية العقيلي عن ابن عمر من أم قوما وفيهم من هو اقرأ منه لكتاب الله وأعلم لم يزل فى سفال إلى يوم القيامة » ويراعى الاعمال الباطنة (فانها أهم ونفعها أتم) وهى (الحضور) أى مع الرب (وهو استغراق القلب بما هو فيه) أى بالركن الذى شرع فيه (والافراغ) أى تفرغ القلب وتخليصه (عن غيره) أى غير ما هو بصده بما يوافقه أو ينافيه (وهو) أى الافراغ انما يكون (بصرف الهمة) أى الاهتمام (اليه) أى إلى ذلك الركن الواجب عليه (فهى) أى الهمة (تستتبع القلب) فى صرفه إلى ذكر الرب (وهو) أى صرف الهمة (بذكر منافعها) أى فوائد الصلاة ومراقفها (كقربه تعالى ورضاه) أى بالمقام الاعلى (والمكاشفة) أى القرينة بالمشاهدة التى هى المرتبة الاجلى (عاجلا) أى فى الدنيا (والفوز بالسعادة الابدية) أى والسيادة السرمدية (والنظر إلى وجهه الكريم) الذى هو أعلى مراتب النعيم (آجلا) أى فى العقبى (وخساسة الدنيا ومهماتها) أى وبذكر كثافتها وانقلاباتها فانها كثيرة الغناء قليلة الغناء دنية الشراء سريعة الغناء عديمة البقاء (والفهم) أى الادراك لمعنى الكلام وهو أمر وراء حضور القلب فر بما يكون القاب حاضرا مع اللفظ والمبنى فاشتتال القلب على العلم ببعض اللفظ هو الذى أريد بالفهم، وهذا معنى قوله (وهو اشتتاله) أى القلب (على المعنى وهو) أى اشتتاله (بتوجيه الذهن إلى الذكر) من الشاء والحمد والقراءة والتسبيح والدعاء ونحوها (ومداومة الفكر) أى فى لفظ الذكر ومبناه

وَدَفَعَ الْخَوَاطِرَ، وَالتَّعْظِيمُ وَهُوَ بِذِكْرِ عَظَمَتِهِ تَعَالَى وَحَقَارَةِ النَّفْسِ، وَالْهِيبَةُ
وَهِيَ خَوْفٌ يَنْشَأُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَهُوَ بِذِكْرِ نَفَازِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى وَقَهْرِهِ مَعَ عَدَمِ
الْمُبَالَاةِ، وَالرَّجَاءُ وَهُوَ بِذِكْرِ عُمُومِ رَحْمَتِهِ وَسَبْقِهَا غَضَبُهُ وَصِدْقِ مَوَاعِيدِهِ *

ليفهم معناه ﴿ ودفع الخواطر ﴾ أى المائلة عن فهم مقتضاه، وهذا مقام يتفاوت
الأساس في أدناه وأقصاه فكم من معان لطيفة ومعارف شريفة يقيم المصلى في أثناء صلاته
وذكره ولم يكن خطر ذلك قبله بياله وفكره، ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية
عن الفحشاء ومأذنة عن المنكر فإن تفهم تلك الأمور يمنع من الفحشاء لاجتماع فقد
ورد : « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداء » الطبرانى
وابن أبى حاتم في تفسيره من حديث عمران بن الحصين . وابن جرير في تفسيره من
حديث ابن مسعود ومن مرسل الحسن . وأحمد في الزهد عن ابن مسعود مرفوعا
﴿ والتعظيم ﴾ أى عرفان المرتبة وعنوان المنزلة المرتبة على المحبة ﴿ وهو بذكر
عظمته تعالى ﴾ مع رفعة الجلالة ﴿ وحقارة النفس ﴾ أى مع رداءتها وكألفاء الرذالة
والسفالة والجهالة وهو أمر وراء الحضور والفهم إذا الرجل يخاطب غيره بكلام هو
حاضر القلب في مبناء ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم أمر زائد عليهما
﴿ والهيبة وهى خوف ينشأ عن التعظيم ﴾ كما روى أنه عليه السلام من رآه لجأه هابه
ومن خالطه أحبه ﴿ وهو ﴾ أى الخوف المسمى بالهيبة ﴿ بذكر نفاذ قدرته تعالى ﴾ وفق
مشيئته وحكمته ﴿ وقهره مع عدم المبالاة ﴾ بجميع من قيد قبضته كما ورد : خلقت
هؤلاء الجنة ولا أبالي وخلقت هؤلاء النار ولا أبالي » وتحقيقه أن من لا يخاف لا يسمى
هابيا والمخافة من المقرب وسوء خالق العبد وما يجرى مجراه من الأسباب الحسية لا يسمى
مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة ، فالهيبة خوف مصدره الالجلال
﴿ والرجاء ﴾ أى الأمل ﴿ وهو ﴾ الوثوق ﴿ بذكر عموم رحمة ﴾ أى شمول رفقته ورأفته
﴿ وسبقها غضبه ﴾ كما ورد : سبقت رحمتي غضبي ، وفي لفظ غلبت ﴿ وصدق مواعيده ﴾
أى عدم تخلف أخباره لبعاده من وعده ووعيده لقوله سبحانه : (ان الله لا يخلف
الميعاد) ولا شك انه أمر زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه إذ يخاف
سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد ينبغي ان يكون راجيا بصلاته ثواب الله كما أنه يخاف
بتقصيره عقاب الله ، ومنه قوله تعالى : (يدعوننا رغبا ورهبا) * (وادعوه خوفا وطمعا)

وَالْحَيَاءُ وَهُوَ بِذِكْرِ الْعِجْزِ وَالتَّقْصِيرِ عَنْ شُكْرِهِ تَعَالَى فَإِنْ تَعَسَّرَتْ الْمُرَاعَاةُ
يَجْتَهِدُ فِي قَطْعِ الْعَلَّاقِ فَظَاهِرًا بِضَمِّ الْعَيْنِ وَالْإِدَاءِ فِي بَيْتٍ مُظْلَمٍ قَرِيبِ الْجِدَارِ
وَالْإِحْتِرَازِ عَنِ الْبَيْتِ الْمُنْقَشِّ وَالْفَرَاشِ الْمَصْبُوغِ وَكَوْنِهِ حَاقِنًا وَحَاقِبًا

﴿ والحياء ﴾ وهو انكسار النفس من الخجل وظهور التقصير ، وعند بعض الصوفية استتار من مشاهدة شدة التنوير ﴿ وهو بذكر العجز والتقصير عن شكره تعالى ﴾ فان العجز عن درك الادراك ادراك لما قاله الصديق ومنه قوله عليه السلام : « سبحانك لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » وهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب وبقصور التعظيم والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب صغير او كبير ﴿ فان تعسرت المراجعة ﴾ بان لم تيسر مراعاة الاعمال الباطنة المذكورة وما يتعلق بها من ظهور الحقائق ﴿ يجتهد في قطع العلائق ﴾ أى العلاقات ودفع العوائق الشاغلات المتعلقة بالخلائق ليتخلص له حضور القلب مع الخالق ﴿ فظاهرا ﴾ بتسعة اشياء ﴿ بضم العين ﴾ أى فى النوافل دون الفرائض وانما كرهه فى الفرائض دون النوافل مع أن التعميس لدفع الشواغل لان مبنى النوافل على الرغبة والنشاط والرخصة ولذا جوز أداؤها قاعدا ورا كبا من غير عذر فيها ﴿ والاداء فى بيت مظلم قريب الجدار ﴾ ومنه الخلاوى الصوفية الابراحتى لا يتسع مسافة بصر النظر ﴿ والاحتراز عن البيت المنقش ﴾ أى بانواع الزينة والكتابة والآنية ﴿ والفراش المصبوغ ﴾ أى بالالوان والاشكال ، وكذا لا يترك بين يديه ما يشغل حسه لديه . وكان ابن عمر لا يدع فى موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه ومسحه وقد قال عليه السلام لعثمان ابن أبى شبة : انى نسيت أن اقول لك : تخمر القدرين اللذين فى البيت فانه لا ينبغي أن يكون فى البيت شئ يشغل الناس عن صلاتهم كذا فى الاحياء وتعبه العراقى بان الحديث رواه أبو داود من حديث عثمان الحجبي وهو عثمان بن طلحة كفى مسند أحمد فقله لعثمان بن أبى شبة وهم ﴿ و كونه حاقنا ﴾ أى محبوس البول الحديث ابن ماجه من حديث أبى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يصلى الرجل وهو حاقن ، ولابن داود من حديث أبى هريرة « لا يخل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلى وهو حاقن » ولابن داود الترمذى وحسنه نحوه من حديث ثوبان ﴿ وحاقبا ﴾

وَحَازِقًا وَجَائِعًا وَغَضُوبًا وَنَحْوَهَا * وَبَاطِنًا يَذْكُرُ الْآخِرَةَ وَمَوْقِفَ الْمُنَاجَاةِ
وخطر المقام ودفع الخواطر وصرف النفس الى الفهم ويبلغ فيه فكانوا
يبالغون حتى لو كان يشغلهم ذكر مال يتصدقون به تكفيراً وان كان خطيراً

بالوحدة محبوس الغائط أو الريح لحديث مسلم عن عائشة «لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان» وأما حديث النهى عن صلاة الحاقب، ففي الاحياء، وقال العراقي لم أجده بهذا اللفظ ﴿وحازقاً﴾ ضيق الخف وفي معناه السروال، وقد ورد النهى عن صلاة الحازق وعزاه رزين الى الترمذى لكن قال العراقي: لم أجده عنده والذي ذكره صاحب الغريب حديث لا أرى لحازق وهو صاحب الخف الضيق ﴿وجائعاً﴾ لحديث «اذا وضع العشاء والعشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء» متفق عليه، وفي معناه اذا كان عطشان وأنحس منهما ان يكون شعبان ﴿وغضوباً﴾ أى ممتلاً بالغضب بحديث «لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مغضب ولا يصلين احدكم وهو غضبان» كذا في الاحياء وقال العراقي: لم أجده ﴿ونحوها﴾ أى من كل فعل خطر للصلى ان يفعله بعد الصلاة فيفعله قبلها ان أمكن ﴿وباطناً﴾ بخمسة أشياء ﴿بذكر الآخرة﴾ وتصور موافقها وأحوالها وشدائد أهوالها وتفاوت ما لها في آمالها ﴿وموقف المناجاة﴾ أى مع قاضى الحاجات فورد: «المصلى يناجى ربه» ﴿وخطر المقام﴾ أى بين يدي الملك العلام المذكري يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴿ودفع الخواطر﴾ أى الشاغلة للسرائر والضمائر ﴿وصرف النفس الى الفهم﴾ أى ودفعها عن خطرات الوهم ﴿ويبالغ فيه﴾ أى في دفع العوائق عن عمل الباطن ومراعاته ﴿فكانوا﴾ أى السلف ﴿يبالغون﴾ أى في تحسين حالته وتزيين مقاماته ﴿حتى لو كان يشغلهم ذكر مال﴾ عن فكر حال ﴿يتصدقون به تكفيراً وإن كان﴾ أى المال ﴿خطيراً﴾ أى عظيماً كثيراً فروى أن أباطلحة الانصارى صلى في حائط له فيه شجر فأعجبه دبسى طار في الشجر يلتمس مخرجاً فاتبعه بصره ساعة ثم لم يذكر كم صلى فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابه من الفتنة ثم قال: يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت رواه مالك عن عبد الله بن أبي بكر وعن رجل آخر أنه صلى في حائط له والنخل مطوقة بشمرها فنظر اليه فأعجبه فلم يذكر كم صلى فذكر ذلك لعثمان وقال: هو صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمان بخمسين ألفاً وكانوا يفعلون ذلك قطعاً لمواد الفكر به وكفارة لما جرى

فَالْأَصْلُ عَمَلُ الْبَاطِنِ فَوَرَدَ (أَقِمِ الصَّلَاةَ لَذِكْرِي . وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى) أَيْ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا أَوْ مِنْ كَثْرَةِ الْهَمِّ ، لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صَلَاةٍ لَا يَحْضُرُ الرَّجُلُ فِيهَا قَلْبُهُ مَعَ بَدَنِهِ إِنَّ الْعَبْدَ لِيُصَلِّيَ الصَّلَاةَ وَأَنْمَا يَكْتُبُ لَهُ مَا عَقَلَ مِنْهَا

من نقصان الصلاة بسببه فإذا أردت الخلاص من الآفات فاقطع شجرة الشهوات فانها إذا تفرعت باغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العاصف الى الاشجار فلا تطمعن أن تصفولك لذّة المناجاة في الصلاة مع تلك الشهوات (فالاصل) أى في مراتب العبادة (عمل الباطن) لانه النافع في مقام الزيادة للسعادة (فورد أقم الصلاة لذكرى) أى لأجل ذكر كم اباى أو لأجل ذكرى اياكم ولذكر الله أكبر فاذكرونى أذكركم أو وقت ذكر كم صلاتى وفكر كم صلاتى ، وفى الاحياء ظاهر الأمر للوجوب والغفلة تضاد الذكرفرغفل فى جميع صلاته كيف يكون مقبلاً للصلاة لذكركه، وقوله سبحانه : (ولاتكن من الغافلين) نهى وظاهره التحريم (لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى أى من حب الدنيا) أو حيارى فى غير ذكر المولى (أو من كثرة الهموم) فى الأمر المقسوم ، وقد ورد من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والآخرة وقوله : (حتى تعلبوا ماتقولون) تعليل لنهى السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق اللهم بالوسواس وافكار الدنيا واشغال الناس (لا ينظر الله إلى صلاة) أى نظر قبول ورحمة أو نظرعناية وعناية (لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه) أى عندعبادة ربه لم أجده أصلاً بهذا اللفظ قاله العراقى (أن العبد ليصل الصلاة وأنما يكتب له ما عقل منها) وفى الاحياء ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها قال العراقى : لم أجده مرفوعاً وروى محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبى دهرش مرسلًا « لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه » ورواه أبو منصور الديلى فى مستند الفردوس من حديث أبى بن كعب ، ولابن المبارك فى الزهد مرفوعاً على عمار « لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه » والتحقيق فيه أن المصلى يناجى ربه متفق عليه والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة فمى يكون فى قوله اهدنا الصراط المستقيم داعياً وسائلاً إذا كان قلبه ساهياً وغافلاً ووردكم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب وما أراد به الا الغافل كذا فى الاحياء ، وقال العراقى : رواه النسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة « رب قائم ليس له من قيامه الا السهر » ولاحمد « رب قائم حظه من صلاته

هَذَا وَإِنَّمَا يَكُونُ الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ عِبَادَةً لِلْبَعْنَى وَالْتَعْظِيمِ دُونَ اللَّفْظِ وَالْحَرَكَةِ
فَإِنْ قُلْتَ: فَعَلَى هَذَا تَبْطُلُ دُونَ الْحُضُورِ وَهُوَ خِلَافُ الْأَجْمَاعِ قُلْتَ: إِنَّهُ مَنُوعٌ
لِبُطْلَانِهَا عِنْدَ سُفْيَانَ فِي رِوَايَةٍ مِّنْ لَمْ يَخْشَعِ قَلْبُهُ

السهر، واسناده حسن (هذا) أى خذ هذا أو الأمر هذا (وإنما يكون القول) كالقراءة ونحوها (والفعل) كالركوع والسجود (عبادة للمعنى) فى القول (والتعظيم) فى الفعل (دون اللفظ) أى غير تلفظ الإنسان باللسان (والحركة) أى التحريك بالجوارح والاركان فقد قال بعض أهل الشأن فى معرض هذا البيان: إن الكلام لفى القواد وإنما جعل اللسان على القواد دليلاً

قيل لما سمع الجليل هذا أعاد صلاة ثلاثين سنة صلاها بلا حضور الجنان وفى الأحياء لو حلف إنسان وقال والله لا أشكرن فلانا ولاثنين عليه ولا سأله حاجة ثم جرت هذه الألفاظ الدالة على هذه المعاني على لسانه فى اليوم لم يبرئ يمينه؛ وكذا لو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الإنسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير باراً فى يمينه إذ لا يكون كلامه خطاباً ونطقاً معه ما لم يكن حاضراً فى قلبه ولو كانت تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر فى بياض النهار إلا أنه غافل لكونه مستغرق بهم بفكر من الأفكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب إليه عند نطقه لم يصير باراً فى يمينه ولا شك فى أن المقصود من القراءة والاذكار الحمد والتسابيح والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة وما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لصقل القلب وتجديد ذكر الرب ورسوخ عقد الإيمان به أه فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب مع الرب (فإن قلت فعلى هذا) الذى ذكرته من جعل القول والفعل للمعنى والتعظيم (تبطل) الصلاة (دون الحضور) أى عند عدم حضور القلب حيث جعلته شرطاً فى صحتها (وهو خلاف الأجماع) أى اتفاق الفقهاء لما سياتى من مخالفة بعض العلماء فالمراد اتفاق الجمهور فإنهم لم يشترطوا حضور القلب فى صحتها إلا عند التكبير الأولى المقررة بالنية الأعلى (قلت أنه) أى ادعاء الأجماع (ممنوع) والاتفاق مدفوع (لبطلانها عند سفیان) أى الثورى (فى رواية) أى كما نقل بشر بن الحارث فى ما روى عنه أبو طالب المسكى عن الثورى أنه قال (من لم يخشع قلبه)

فَسَدَتْ صَلَاتُهُ، وَعَنِ الْحَسَنِ إِنَّهَا بِلَا حُضُورِ الْقَلْبِ تَوْجِبُ الْعُقُوبَةَ وَأَنَّ
كَلَامَنَا فِي الْمَنْفَعَةِ الْآخِرَوِيَّةِ، وَعَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ وَقُوعُ الْأَجْمَاعِ عَلَى
عَدَمِ النَّفْعِ وَأَنَّ اشْتِرَاطَ الشَّرْعِ إِيَّاهُ ظَاهِرٌ غَيْرُ أَنَّ مَقَامَ الْفُتُوى فِي تَكْلِيفِ
الظَّاهِرِ عَلَى حَسَبِ قُصُورِ الْخَلْقِ فَلَوْ اشْتَرَطَ لِلْجَوَازِ لَوْ قُوعُوا

في صلاته (فسدت صلاته) قلت، ويؤيده قوله تعالى : (قد أفلح المؤمنون الذين هم
في صلاتهم خاشعون) (وعن الحسن) أي البصري (أنها) أي الصلاة (بلا حضور
القلب توجب العقوبة) قلت وأي عقوبة أقوى من الغفلة وقديلة الحجاب أشد العذاب
قال تعالى : (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وفي الاحياء روى عن الحسن إنه قال :
كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع ، وفيه ان الصلاة يشترط
فيها النية ولا تحصل النية الا بحضور الطوية وأما استبعاد الحضور فغير مفهوم
من كلامه ومن كلام غيره فيمكن الجمع بين قولهما المذكور وبين قول الجمهور ، وعن
معاذ بن جبل أنه قال : من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له
أي كاملة ، وروى أيضا مسندا كذا في الاحياء وسكت عنه العراقي وقال عليه السلام :
« وان العبد ليصل الصلاة لا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من
صلاته ما عقل منها » أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه
(وان كلامنا في المنفعة الآخروية) هذا جواب آخر ويانه ان الفقهاء لا يتصرفون
في الباطن ولا مطلع لهم على ما في القلوب ولا يتكلمون في طريق الآخرة بل يتبعون
ظاهر أحكام الدنيا على ظاهر أعمال الجوارح فظاهر الأعمال كاف بسقوط تعزير
السلطان فاما انه هل ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه (وعن عبد
الواحد بن زيد وقوع الاجماع على عدم النفع) أي النفع الكامل قال الحجة : فجعله
اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من
أن يحصى والحق الرجوع الى أدلة الشرع والآيات والأخبار والآثار ظاهرة في هذا
الشرط ، وهذا معنى قوله : (وان اشترط الشرع إياه) أي الحضور (ظاهر غير ان
مقام الفتوى في تكليف الظاهر على حسب قصور الخلق) بفتح الحاء والسين أي بتقيد
بقدره (فلو اشترط أي الحضور) (للجواز) أي لصحة الصلاة (لو قوعوا) أي

فِي حَرْجٍ وَأَدَّى إِلَى تَرْكَهَا رَأْسًا وَهُوَ التَّحْقِيقُ ثُمَّ مِنْ أَمْعَنَ فِيهَا وَرَدَّ أَنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَأَمَّا الصَّلَاةُ تَمْسُكُنْ وَتَوَاضِعُ وَتَضَرَّعُ عِلْمُ أَنَّهَا هِيَ الْحَظُورُ

الجمهور (في حرج) أى عظيم يؤدى الى المحذور لعجزهم عن كمال الحضور (وأدى)
أى ولا يفضى اشتراطه (الى تركها رأساً) وهو المحذور (وهو التحقيق) أى فى مقام
التدقيق فانه لا يمكن أن يشترط على الناس كلهم احضار القلب فى جميع الصلاة
فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة
فلا مرد له الا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو كان فى لحظة واحدة وأولى اللحظات
به أول الصلاة فاقصر على التكليف لذلك، ومع ذلك نرجوان لا يكون حال الغافل
فى جميع صلاته مثل حال تارك الصلاة بالسكينة فانه بالجملة أقدم على الفعل ظاهره فاحضر
القلب لحظة وكيف لا والذى يصلى مع الحدث ناسياً فصلاته باطلة عند الله تعالى
ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره، وعلى هذا الرجاء قد يخشى
ان يكون حال الغافل اشر من حال التارك وكيف لا والذى يحضر للخدمة ويتهاون
بالخدمة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر اشد حالاً من الذى يعرض عن الخدمة
ويتهاون بالخدمة، فاذا تعارض أسباب الخوف والرجاء صار الامر بخلاف نفسه
قالك الخيرة بعده فى ترك الاحتياط أو التساهل ومع هذا فلا مطمع لأحد فى مخالفة
الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى الناشئة من عموم
البلوى، هذا وروى «من أحب غير الله فلا تصفوه صلاة عن الخواطر المذمومة» فان
من أحب شيئاً أكثر من ذكره كما ورد فى الخبر، فذكر المحبوب يهجم على القلب
بالضرورة فتدبر فخذ ما صفار دمع ما كدر (ثم من أمعن) أى أشبع النظر واسبع
الفكر (فيها ورد أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأما الصلاة تمسك وتواضع
وتضرع) حيث جاء بصيغة الحصر رواه الترمذى والنسائى من حديث الفضل
ابن العباس باسناد مضطرب (علم انها) أى الصلاة (هو الحضور) أى بكمال
الشعور والافصالة الناقل لا تتمعه عن الفحشاء، وقد انقسم الناس إلى غافل يتم صلاته
ولم يحضر قلبه فى لحظة منها وإلى من يتمها ولم يغيب قلبه فى لحظة عنها بل ربما كان مستوعب
الهم بها بحيث لا يحس بما يجرى بين يديه، ومن هنا لم يحس مسلمة بن يسار بسقوط
اسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها وبمضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من

هَذَا وَالْأُولِيَاءُ أَمَّا يَكْشِفُونَ فِيهَا لَاسِيًّا فِي السُّجُودِ عَلَى حَسَبِ الصَّفَاءِ

على يمينه وشماله وكان وجيب قلب ابراهيم عليه السلام يسمع من ميلين، وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم ﴿ هذا ﴾ اى مضى هذا أوخذ هذا ﴿ والأولياء انما يكشفون فيها ﴾ أى فى الصلاة مع حضورها ودوام نورها ﴿ لاسيما فى السجود ﴾ فانه أقرب مقام إلى واجب الوجود وصاحب الكرم والجود ﴿ على حسب الصفاء ﴾ أى على تفاوت درجات أرباب الوفاء ومن هنا قال بعض الصحابة: يحشر الناس يوم القيامة على مثل هياتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على مامات عليه ويموت على ما عاش عليه، وقد قيل يكاتعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون ، ثم اعلم ان كل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه فليتخلص منه باخراجه عن طينه ليقوم فى مرتبة يقينه كما روى عنه عليه السلام لما لبس الخيصة (١) التى أتاها بها أبو جهم وعليها علم وصلى فيها نزعها بعد صلاته وقال: اذهبوا بها إلى أبى جهم فانها الهتئى عن صلاتى واتوفى بانجانية أبى جهم متفق عليه من حديث عائشة ، وأمر صلى الله عليه وسلم بتجديد شرك نعله ثم نظر اليه فى الصلاة إذ كان جديدا فأمر أن ينزع عنها ويرد الشرك الخلق فيها ابن المبارك فى الزهد من حديث أبى النصر مرسل باسناد صحيح ، وكان عليه السلام قد احتذى نعلا فأعجبه حسنهما فسد جدد فقال : تواضعت لربى كيلا يمتقنى ثم خرج بها فدفعا إلى أول سائل لقيه ثم أمر عليا أن يشتري له نعلين سبتيين جرداوين فلبسهما أبو عبدالله بن خفيف فى شرف الفقراء من حديث عائشة باسناد ضعيف ، وكان فى يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال: شغلنى هذا نظرة اليه ونظرة اليكم كذا فى الاحياء، وقال العراقى أخرجه النسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح ، وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهابا ولا فضة انما هو مطلق .

والحاصل ان الاكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين ولا يتحدثون أنفسهم فيها بشيء من أمور الدنيا فجزوا عن ذلك فاذا لامطمع لأمثالنا خلاف ما هنالك وليته سلم من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس والخواطر المنقلة بالرأس فيكون فيمن خلطوا أعمالا صالحا وآخر سيئا ، وعلى الجملة فهم الدنيا وهم الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح ملؤه فيه خل فيقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج الخل منه لاحالة فلا يجتمعان والله

(١) هى نوب غزاة وصوف معلم، وقيل لاتسمى خيعة الا ان تكون سوداء مملوءة، ورا أبو جهم هذا كان من عظماء قريش ومن الماين بالنسب ومن المعمرين

وَمِنْهَا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فَوَرَدَ «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلِمَهُ» وَحَقَّهَا ابْنُ أَبِي
يُنَاسَ وَحُشَّةُ الدُّنْيَا وَقَضَاءُ حَقِّ الشَّوْقِ إِلَى الْمَوْلَى وَضَبْطُ أَحْكَامِ الْعِبَادَةِ، وَتَوَضُّأٌ
وَيَتَطَيَّبُ وَيَتَأَدَّبُ، وَيَجُوزُ الْاضْطِجَاعُ فَوَرَدَ (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا
وَعَلَى جُنُوبِهِمْ) وَالْأَفْضَلُ فِي اللَّيْلِ فَالْقَلْبُ فِيهِ أَفْرَغُ

المستعان ﴿ومنها﴾ أى من أنواع الورد ﴿قراءة القرآن فورد خيركم من تعلم القرآن وعلمه﴾ البخارى من حديث عثمان، «ومن قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أفضل مما أوتى فقد استصغر ما عظمه الله» الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف ولعله مقتبس من قوله سبحانه: (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم) ومن هنا قال الفضيل: ينبغى لحامل القرآن أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلق فمن دونهم، ويؤيده حديث «من لم يتغن بالقرآن فليس منا» أى من لم يستغن به عن غيره، وورد «من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» الترمذى من حديث أبى سعيد وقال: حسن غريب «أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن» أبو نعيم من حديث النعمان بن بشير «أهل القرآن أهل الله وخاصته» النسائى وابن ماجه والحاكم من حديث أنس باسناد حسن ﴿وحقها﴾ أى القراءة ﴿أن ينوى إيتاس وحشة الدنيا﴾ أى بذكر العقبي والدرجات الحسنى ﴿وقضاء حق الشوق إلى المولى﴾ لأن المناجاة والمكالمة معه تعالى تنتهى به إلى الشوق وزيادة الذوق إلى قربهِ الأعلى ﴿وضبط أحكام العبودية﴾ بحفظ حقوق مقام الربوبية ﴿وتوضأ﴾ أى يتطهر ﴿ويتطيب﴾ بأى طيب كان أو يتنظف فى جميع الأركان ﴿ويتأدب﴾ بقدر الامكان ﴿ويجوز الاضطجاع فورد الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ قال على رضى الله عنه: من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه فى غير الصلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وعن على أقرأ القرآن على كل حال الا وأنت جنب أبو الحسن بن صخر فى فوائده ﴿والأفضل فى الليل﴾ لانه اقرب إلى النيل ﴿فالقلب فيه افرغ﴾ قال تعالى: (ان ناشئة الليل هي اشد وطناً وأقوم قبلاً انك فى النهار سبحا طويلاً) أى شغلا كثيراً

وفي المصحف أفضل فهو يضعف الأجر لأعمال الجوارح ويستظهره فور

فيه «تخفيف العذاب عن الوالدين وإن كانا مشركين» ولا ينسأه فور دانه بذنب

(وفي المصحف أفضل فهو يضعف الأجر لأعمال الجوارح) أى من اللسان والعين والاذن لزيادة حفظ النظر من الحواس وإفادة نقص الوسواس من اشتغال الناس ومع هذا لا بد من حضور القلب وشموره بكلام الرب، وقد قيل: الخنمة في المصحف بسبع وقد خرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته فيهما وكان كثير من الصحابة يقرءون القرآن من المصحف ويكرهون أن يخرجوا يوما ولم ينظروا في المصحف؛ ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي في السحر وبين يديه المصحف فقال: شغلكم الفقه عن القرآن اني لأصلي العتمة وأضع المصحف بين يدي فلا أطبقه حتى أصبح، وقد ورد اعطوا أعينكم حفظها من العبادة النظر في المصحف والتفكير فيه والاعتبار عند عجائبه الحكيم الترمذي، والبيهقي عن أبي سعيد (ويستظهره) أى وحققها أى ويحفظه غيبا ويضبطه قلبا كما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأكثر أصحابه رعاية لقوله تعالى: (أما نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقد قيل: كن حافظا نقيا لا مصحفيا نقيا: (فور) فيه) أى في الاستظهار (تخفيف العذاب عن الوالدين وإن كانا مشركين) لم أجده، وقد روى أبو داود عن سهل بن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم «من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاج يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فإظنكم بالذي عمل بما فيه» وفي رواية «ألبس والداه حلة لا تقوم بها الدنيا وما فيها» وورد: «اقرأ القرآن فإن الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن» تمام في رواية عن أبي امامة مرفوعا «لو كان القرآن في آهاب مامسته النار» أحمد والدارمي والطبراني (ولا ينسأه فور) انه بذنب) أى ذنب كبير فهو خبر أن وزيدت الباء فيه لأن الكلام في قوة أليس نسيان القرآن بذنب، وظاهره قوله تعالى: (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي مخلقهن بقادر) وقد يقال: انه أطلق المصدر وأراد به الفاعل على طريقة رجل عدل أى فور «انه مذنب» وفي نسخة يذنب أى يصير ذا ذنب عظيم وروى من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل آية من القرآن ثم ينسأها قيل: ونزل قوله تعالى في حقه: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشه يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) مع أن العبرة

وَلَا يَخْتَمُ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَوَرَدَ إِنَّهُ يَمْنَعُ التَّفَقُّهَ، وَجَاءَ فِي أَرْبَعِينَ
وَفِي أَسْبُوعٍ، وَالْأَحْزَابِ الْمُرُويَةِ سَبْعَةَ ثَلَاثِ سُوَرٍ خَمْسٌ سَبْعٌ ثُمَّ تَسْعٌ ثُمَّ
إِحْدَى عَشْرَةَ

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ونسيانه عندنا محمول على انه لم يقدر ان يقرأ نظراً، وعند
الشافعي ومن تبعه ان ينسى غالبه حفظاً وهو كبيرة اتفاقاً ﴿ ولا يختتم في أقل
من ثلاثة أيام فورد أنه يمنع التفقه ﴾ ولفظ الحديث «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث
لم يفقهه» رواه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه الترمذي وذلك لأن
الزيادة عليه تمنع الترتيل وتدفع ادراك ما في الترتيل، وقد قالت عائشة لما سمعت رجلاً
يقرأ القرآن هذا: ان هذا ما قرأ ولا سكت ﴿ وجاء في أربعين ﴾ وهو يناسب الاربعينات
الصوفية الصفية وقد ورد «اقرأ القرآن في أربعين» الترمذي عن ابن عمر، ومنهم من يختتم
في الشهر مرة يقرأ كل يوم جزءاً من ثلاثين جزءاً وورد «اقرأ القرآن في كل شهر اقرأه
في عشرين ليلة اقرأه في عشر اقرأه في سبع ولا تزد على ذلك» رواه الشيخان وأبو داود
عن ابن عمر، وفي رواية الطبراني عنه «اقرأ القرآن في خمس» وبعضهم قرأه في اليوم والليلة
مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى الثلاث ﴿ وفي اسبوع ﴾ وقد أمر النبي ﷺ
عبد الله بن عمرو ان يختتم القرآن في كل سبع متفق عليه من حديثه وكان جماعة من
الصحابية يختتمون القرآن في كل جمعة كعثمان . وزيد بن ثابت . وابن مسعود
وأبي بن كعب ففى الختم أربع درجات الختم في كل شهر والختم في كل يوم وليلة وقد كرهه
جماعة وكانه مبالغة في الاختصار كما أن الأول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان
معتدلتان اختارهما الأبرار أحدهما في الأسبوع مرة وهي الأولى والأخرى والثانية
في الأسبوع مرتين تقريباً من الثلاث وهو الرخصة في الكثرة ﴿ والاحزاب المروية
سبعة ﴾ أي الاورد المروية الماثورة سبعة أقسام ﴿ ثلاث سور ﴾ وهي بعد الفاتحة البقرة
وآل عمران والنساء ﴿ ثم خمس ﴾ وهي المائدة . والأنعام . والأعراف . والأنفال .
والتوبة ﴿ ثم سبع ﴾ وهي يونس . وهود . ويوسف . والرعد . وابراهيم . والحجر .
والنحل ﴿ ثم تسع ﴾ وهي سورة بنى اسرائيل . والكهف . ومريم . وطه . والأنبياء .
والحج . والمؤمنون . والنور . والفرقان ﴿ ثم إحدى عشرة ﴾ وهي الشعراء .
والنمل . والقصص . والعنكبوت . والروم . ولقمان . والسجدة . والاحزاب .

ثُمَّ ثَلَاثَ عَشْرَةَ ثُمَّ الْبَاقِي ، وَكَانَ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَبْتَدِئُ
 لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَيَتِمُّ الْمَائِدَةَ ثُمَّ هُودٌ ثُمَّ مَرْيَمُ ثُمَّ طُسُ ثُمَّ ص ثُمَّ الرَّحْمَنُ ثُمَّ الْبَاقِي وَهَذَا
 لِلْعَامِلِ ظَاهِرًا وَأَمَّا صَاحِبُ الْبَاطِنِ فَعَلَى حَسَبِ حَالِهِ وَيُرْتَلُّ لِتَوْقِفِ التَّدْبِيرِ عَلَيْهِ

وسبأ . وفاطر . ويس (ثم ثلاث عشرة) وهى والصفات . وص . والزمزم .
 وحواميم السبع . والقتال . والفتح . والحجرات ، قفى كل مرتبة بزيادة سورتين
 (ثم الباقى) وهى ق الى الناس وينسب الى على كرم الله وجهه انه أشار الى هذا
 الترتيب بطريق الرمز والايماء . حيث قال : فى شوقه فالفاء فاتحة والميم مائدة والياء
 يونس والباء بنى اسرائيل والشين الشعراء والواو والصفات والقافق ، وقد قال
 العراقي : تحزيب القرآن على سبعة أحزاب رواه أبو داود . وابن ماجه من حديث
 أوس بن حذيفة قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن ؟
 قالوا : ثلاث وخمسة وسبع وتسع واحد عشر وثلاث عشرة وحزب المفصل وفى
 رواية الطبرانى فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف كان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزئ القرآن ؟ فقالوا كان يجزئه ثلاثا فذكره مرفوعا
 باسناد حسن (وكان عثمان رضى الله عنه يبتدئ ليلة الجمعة) فانها فى اليالى أفضل
 والقراءة بالليل امثل (ويتم المائدة) أى فى ليلته وبقية يوم جمعة (ثم هود) أى
 يبتدئه فى ليلة السبت أو نهاره (ثم مريم ثم طس ثم ص ثم الرحمن ثم الباقى) وهو
 يحتمل أن يكون باجتهاده حيث لم يبلغه ما سبق مرفوعا وهو رواية أخرى عنه عليه السلام
 وان كان فى الظاهر موقوفا (وهذا) أى التحزيب بهذا الترتيب (للعامل ظاهرا)
 فى مقام التهذيب من الصوم والصلاة والتلاوة والاذكار (وأما صاحب الباطن)
 أى المراعى لأحوال القلب وحضوره مع الرب (فعلى حسب حاله) أى ما يقتضيه
 من الكثرة والقلة فى قراءته كسائر أفعاله فانه ان كان من العابدين السالكين بطريق
 العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين فى الأسبوع وان كان من السالكين بأعمال
 القلب وضروب الفكر أو من المشغولين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر فى الأسبوع على مرة
 وان كان فاقد الفكر فى معانى القرآن ومباني الفرقان فقد يكتفى فى الشهر بمرة لحاجته
 لكثرة التردد والتأمل فى الوعد والوعيد (ويرتل) أى يترسل ويتمهل (لتوقف
 التدبر عليه) وقد قال عز وجل : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا

وَكُونَهُ أَقْرَبَ إِلَى التَّعْظِيمِ وَالتَّأْثِيرِ وَهُوَ الْمُرَوِّى ، وَيَكْنَى فُورِدَ «اتْلُوا
الْقُرْآنَ وَابْكُوا فَإِنَّ لَمْ تَبْكُوا قَبَا كُورًا فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَتَحَازِنُوا» وَهُوَ بِالتَّأْمُلِ
فِي مَوَاعِيدِهِ وَمَوَاقِفِهِ وَالتَّقْصِيرِ فِيهَا

(الالباب) (و كونه أقرب الى التعظيم والتأثير) أى تعظيم الرب وتأثير القلب قال
تعالى : (ورتل القرآن ترتيلا) وهو المستحب فى قراءة ته وقال عز وعلا : (الذين آتيناهم
الكتاب يتلونه حق تلاوته) (وهو المروى) فقد نعت أم سلمة قراءة رسول الله ﷺ
قراءة مفسرة حرة فاحرقة أبو داود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح ، وقال ابن عباس :
لان أقرأ البقرة و آل عمران أرتلها وتدبرها أحب الى من أقرأ القرآن كله
هذرة ، وقال أيضا لان أقرأ اذا زلزلت والقارعة أتدبرها أحب الى من أقرأ البقرة
و آل عمران مهزما (ويكنى) فانه مستحب قال تعالى حكاية عن الانبياء والاصفياء
(اذا تبلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) وقال : (ان الذين أتوا العلم من قبله
اذا تبلى عليهم يخرون للاذقان الى قوله سيكون ويزيدهم خشوعا) ومن هنا قال ابن عباس
اذا قرأتهم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم
فليك قلبه ، قلت : وكذا اذا قرأ سجدة مريم ولا بد من البكاء والتبائى أو الحزن على
قدهما (فوردا اتلوا القرآن و ابكوا فان لم تبكوا قبا كورا) ابن ماجه من حديث سعد
ابن أبى وقاص (فاذا قرأتموه فتحازنوا) صدر الحديث ، ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه
فتحازنوا . أبو يعلى . وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر . بسند ضعيف ويقويه حديث
ان الله يحب كل حزين . الطبرانى والقضاعى بسندهما الى أبى الدرداء مرفوعا ويؤيده
قوله سبحانه : (ان الله لا يحب الفرحين) وبعضه حديث وأقرأوا القرآن بالحزن فانه
نزل بالحزن ، رواه أبو يعلى . وأبو نعيم فى الحلية . الطبرانى فى الأوسط عن بريدة وعن
الحسن « والله ما أصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الاكثر حزنه وقل فرحه وكثر
بكاؤه وقل ضحكته وكثر نصبه ومشغكه وقلت راحته وبطالته » وقال عليه السلام لابن
مسعود : اقرأ على قال فافتحت سورة النساء فلما بلغت (فكيف اذا جئنا من كل أمة
بشيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) رأيت عيناه تذرفان بالدمع فقال لى : حسبك
الآن (وهو) أى وجه احضار الحزن انما يحصل (بالتأمل فى مواعيده) من التهديد
والوعيد (ومواقفه) من العهد الاكيد (والتقصير فيها) أى فى لوازمها من الأوامر

وَلَا فَيْكِي عَلَى فَقْدَانِ بُكَائِهِ فَمَوْءَظُمُ الْمَصَائِبِ، وَيَتَعَوَّذُ فِي الْإِفْتِسَاحِ
فَقَدْ وَرَدَ (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) وَيَفْتَحُ عِنْدَ الْخَتْمِ رَغْمًا لِلشَّيْطَانِ
فَهُوَ مَأْثُورٌ وَيَسْأَلُ أَمْرًا مَرْجُوًّا مَرَّةً عَلَيْهِ وَيَتَعَوَّذُ عَنْ خَوْفٍ وَيُؤَافِقُ ذِكْرًا أَوْ دُعَاءً

وَالزَّوْجَرُ فَيَحْزَنُ لَهُ لِاحْتِمَالِ وَيَكِي (وَالَا) أَيْ قَانَ لَمْ يَحْضُرْهُ حَزْنٌ وَبَكَاءٌ كَمَا يَحْضُرُ
أَرْبَابَ الْقُلُوبِ الصَّافِيَةِ وَالصُّدُورِ الْوَاقِفَةِ (فَيْكِي عَلَى فَقْدَانِ بُكَائِهِ) أَيْ فَلَئِكَ عَلَى
فَقْدِ حَزْنِهِ وَبُكَائِهِ (فَمَوْءَظُمُ الْمَصَائِبِ) فِي مَقَامِ بَلَاءِهِ (وَيَتَعَوَّذُ فِي الْإِفْتِسَاحِ)
أَيْ فِي ابْتِدَاءِ الْقِرَاءَةِ مَطْلَقًا، فَقَدْ وَرَدَ: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ) أَيْ أَرَدْتَ قِرَاءَتَهُ وَقِيلَ بَعْدَ
فِرَاقِهِ وَلَا مَنَعَ مِنَ الْجَمْعِ (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) أَيْ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَالْأَمْرُ لِلِاسْتِجَابِ
عِنْدَ الْجَهْرِ وَقِيلَ لِلِإِجَابِ (وَيَفْتَحُ) أَيْ يَبْتَدِئُ خَتْمَةً أُخْرَى (عِنْدَ الْخَتْمِ) أَيْ
الْخَتْمَةَ الْأُولَى رَغْمًا لِلشَّيْطَانِ (أَيْ وَرِضَاءَ الرَّحْمَنِ وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: (فَإِذَا فَرَغْتَ) أَيْ
عَنِ عِبَادَةِ (فَانْصِبْ) أَيْ فَالْعَبْ فِي أُخْرَى وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (فَهُوَ مَأْثُورٌ)
بَلْ مَرْوِيٌّ مَشْهُورٌ، فَعَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَبِي أَوْفَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «أَنَّهُ سَأَلَ أَيْ الْأَعْمَالَ أَفْضَلَ؟
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحَالُ الْمُرْتَحِلُ أَيْ عَمَلُهُ فَقِيلَ: مَا الْحَالُ الْمُرْتَحِلُ؟ فَقَالَ الْخَاتِمُ الْمَفْتَحُ،
وَفِي رِوَايَةٍ فَتَحَ الْقُرْآنَ وَخَتَمَهُ صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَمِنْ آخِرِهِ إِلَى
أَوَّلِهِ كَمَا حَلَّ ارْتِحَالَهُ وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ بِسَنَدٍ مَرْفُوعًا وَلَفْظُهُ «عَلَيْكُمْ
بِالْحَالِ الْمُرْتَحِلِ» وَوَأَفَقَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي مَسْنَدِهِ فَيَذْبُقُ أَنَّهُ إِذَا قَرَأَ سُورَةَ النَّاسِ إِنْ يقرأ
سُورَةَ الْفَاتِحَةِ وَصَدْرَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ إِلَى الْمَفْلُحُونَ وَيَدْعُو بِمَا كَانَ يَقُولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
عِنْدَ خَتْمِ الْقُرْآنِ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالْقُرْآنِ وَاجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً اللَّهُمَّ
ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ وَارْزُقْنِي تِلَاوَتَهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاجْعَلْهُ
حِجَّةً لِي بِأَرْبَابِ الْعَالَمِينَ» أَبُو مَنْصُورٍ الْمُظَفَّرُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْإِرْجَانِيُّ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ
وَأَبُو بَكْرُ بْنُ الضَّحَّاكِ فِي التَّشَابُهَاتِ كِلَاهُمَا مِنْ طَرِيقِ أَبِي ذَرٍّ الْهَرَوِيُّ مِنْ رِوَايَةِ دَاوُدَ
ابْنِ قَيْسٍ مَعْضَلًا (وَيَسْأَلُ أَمْرًا مَرْجُوًّا مَرَّةً عَلَيْهِ وَيَتَعَوَّذُ عَنْ خَوْفٍ) أَيْ إِذَا وَصَلَ
إِلَيْهِ أَوْ قَرَى، لَدَيْهِ (وَيُؤَافِقُ ذِكْرًا) أَيْ فَيَذْكُرُ نَبْذَةً، وَكَذَا يُؤَافِقُ تَسْبِيحًا وَتَكْبِيرًا
كَمَا إِذَا قَرَأَ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)
فَيَذْكُرُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَوْ أَكْثَرَ وَيَسْبِّحُ كَذَلِكَ (أَوْ دُعَاءً) أَيْ دُعَاءً كَمَا إِذَا قَرَأَ: (ادْعُونِي)
اسْتَجِبْ لَكُمْ هُوَ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) وَكَذَا اسْتَغْفِرُ فِي مَقَامٍ يَلِيقُ بِهِ كَقَوْلِهِ

فَالْكَلُّ مَأْثُورٌ، وَيُسِرُّ إِنْ خَافَ الرِّبَاءَ أَوْ تَشْوِيشَ مُصَلٍّ فُورَدَ «يَفْضُلُ عَمَلُ
السِّرِّ عَلَى الْعَلَانِيَةِ سَبْعِينَ ضِعْفًا» وَالْأَفْجَهُهُ فَهُوَ يَبْنِي الْقَلْبَ وَيَجْمَعُ الْهَمَّةَ
وَيَصْرِفُ السَّمْعَ إِلَيْهِ وَيَنْقِي النَّوْمَ وَالْكَسَلَ وَيَزِيدُ فِي النَّشَاطِ وَيَوْقِظُ الرَّاقِدَ

تعالى : (استغفروا ربكم انه كان غفارا) (فالكل مأثور) بل مروى مذكور قال
حذيفة: صليت مع رسول الله ﷺ فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية عذاب
الاستعاذ ولا بآية رحمة الاسأل ولا بآية تسبيح الا سبح رواء مسلم باختلاف لفظ
(ويسر) أى ويخفى القراءة (ان خاف الرباء) أى على نفسه (أو تشويش مصل)
فى محضره والا فيجوز الجهر به لئلا يذال الاذن بسية وحصول الاستماع لغيره (فورد
يفضل عمل السر على العلانية سبعين ضعفا) اليبقى فى الشعب من حديث عائشة،
وفضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية ، وفى لفظ
آخر الجاهر بالقرآن كما الجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة أبو داود.
والنسائي، والترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر ، وخير الرزق ما يكتفى وخير
الذكر الحنفى. أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص وفى الخبر « لا يجهر بعضهم
على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء » كذا فى الاحياء وقال العراقى: رواه أبو داود
من حديث النياضى دون قوله بين المغرب والعشاء وللبيهقى فى الشعب من حديث
على قبل العشاء وبعدها وفيه الحارث الا عوروه وضعيف ، وسمع سعيد بن المسيب
ذات ليلة فى مسجد النبى ﷺ عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان
حسن الصوت فقال: لعلامه اذهب الى هذا المصلى فقل له: يخفض من صوته فقال
الغلام: ان المسجد ليس لنا والرجل فيه نصيب فرجع سعيد صوته فقال: يا أيها المصلى
ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن
يغفوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ
أمير المدينة (والا) أى وان لم يكن خوف رياء ولا تشويش مصل (فيجهر)
أى جواز أو استحبابا (فهو يبنى القلب) أى يوقظ قلب القارى (ويجمع الهمة)
فى ذكر الرب البارى (ويصرف السمع اليه وينقى النوم والكسل) أى فيتلاذ
باستماعه لديه (ويزيد فى النشاط) أى نشاط النفس اليه (ويوقظ الرائد) أى

وَيُرَغَّبُ فِي الْعِبَادَةِ فَرَدَ « إِنَّ الْمَلَائِكَةَ وَعِمَارَ الدَّارِ يَسْتَمْعُونَ قِرَاءَتَهُ
وَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ » وَالْمُتَعَدَّى أَفْضَلُ، وَتَضَاعَفَ النِّيَّةُ يَضَاعَفُ الْأَجْرُ وَالْأَحَبُّ
النَّظَرُ إِلَى صَلَاحِ الْقَلْبِ فَصَوَّبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا بَكْرٍ فِي الْأَسْرَارِ وَعُمَرَ فِي
الْجَهْرِ بَعْدَ الْفَحْصِ عَنِ النِّيَّةِ

في أول الليل وآخره فيكون هو سبب حياته وباعث ذكره ودعائه (ويرغب في
العبادة) أى من سمعه من أهل الطاعة والسعادة (فورد ان الملائكة) صدر
الحديث اذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فان الملائكة أى الحفظة
(وعمار الدار) بضم العين وتشديد الميم جمع عامر - أى ساكنوها - أى من مسكني
الجن (يستمعون قراءته ويصلون بصلاته) رواه بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار
وانصر المقدسي في المواعظ من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر ومنقطع،
(والمتعدى) أى العمل الذى يتعدى ثوابه إلى الغير (أفضل) من العمل اللازم
القاصر على صاحبه (وتضاعف النية يضاعف الاجر) فمهما حضره شئ من
النيات المتقدمة فالجهر أفضل وان اجتمعت النيات المتعددة يتضاعف الاجر والمثوبة
وبكثرة النيات في العبادات يزكو عمل الابرار ويزيد في الدرجات (والاحب)
في السر والجهر (النظر الى صلاح القلب) أى في حضوره مع الرب (فصوب
عليه السلام أبا بكر في الاسرار وعمر في الجهر بعد الفحص عن النية) روى أنه
عليه السلام مر على ثلاثة نفر من أصحابه مختلفي الأحوال فمر على أبي بكر وهو يخافت
فسأله عن ذلك؟ فقال: ان الذى أناجيهِ هو يسمعى ومر على عمر وهو يجهر فسأله عن
ذلك فقال: أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آية من هذه السورة
وآية من هذه السورة فسأله فقال: اخطط الطيب بالطيب فقال كلكم قد أحسن! أبو داود
من حديث أبي هريرة باسناد صحيح نحوه، وفي رواية أنه عليه السلام قال لأبي بكر:
لم خفضت صوتك؟ فقال: أسمع من ناجيت وقال لعمر: لم رفعت صوتك؟ قال: أوقظ
الوسنان واطرد الشيطان فقال لأبي بكر: ارفع قليلا وقال لعمر: اخفض قليلا وهو
مناسب دليلا لقوله سبحانه: (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ويتق بين ذلك سبيلا)
ولعله عليه السلام دعاها لمقام جمع الجمع فاز الصديق كان في جمع الصرف

وَيَحْسِنُ الصَّوْتُ بِهِ فُورِدَ « مَا أَدْنَى اللَّهِ لَشَيْءٍ أَذْنُهُ لَشَيْءٍ حَسَنِ الصَّوْتِ

بِالْقُرْآنِ » مُكْتَفِيًا عَلَى التَّرْغِيبِ وَالتَّأْثِيرِ

والفاروق في منع التفرقة، وقيل: لئلا يكون كل منهما عاملا في جميع حاله
 ﴿ ويحسن الصوت ﴾ أى بترديد الصوت من غير تمطيط مفرد بغير النظم ﴿ به ﴾ أى
 بالقرآن ﴿ فورد ما أذن الله لشيء ﴾ أى ما سمع وقبل وأقبل ﴿ أذنه ﴾ بفتحين منصوبا ﴿ لشيء ﴾
 أى من المسموعات أى مثل سماعه وقبوله وإقباله ﴿ حسن الصوت بالقرآن ﴾ متفق عليه
 من حديث أبى هريرة بلفظ « ما أذن الله لشيء ما أذن لى يتغنى بالقرآن » زاد مسلم لى
 حسن الصوت وفى رواية « كاذنه لى يتغنى بالقرآن » وقال عليه السلام: « زينوا القرآن
 بأصواتكم » أبوداود والنسائى . وابن ماجه . والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب
 وقال: « من لم يتغن بالقرآن فليس منا » أى من لم يترنم وهو أقرب لغة من معنى الاستغناء،
 وروى: « أن رسول الله ﷺ كان ليلة ينتظر عائشة فابطأت عليه فقال: ما حبسك ؟ قالت:
 يا رسول الله كنت أسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام عليه السلام حتى
 استمع إليه طويلا ثم رجع فقال: هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله » ،
 ابن ماجه من حديث عائشة، ورجال اسناده ثقات، واستمع عليه السلام أيضا ذات ليلة
 الى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر . وعمر فوقفوا طويلا ثم قال: « من أراد أن يقرأ القرآن
 غضا - أى طريا - كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد » ، أحمد والنسائى فى الكبرى من حديث
 عمر، وللترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود أن أبا بكر وعمر بشرا أن رسول الله ﷺ
 قال: « من أحب أن يقرأ القرآن، الحديث قال الترمذى حسن صحيح، وقال عليه السلام لابن
 مسعود: اقرأ على فقال: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل فقال: « أنى أحب أن اسمعه من
 غيرى فكان يقرأ ورسول الله ﷺ عيناه تفيضان متفق عليه من حديث ابن مسعود،
 واستمع رسول الله ﷺ الى قراءة أبى موسى فقال: لقد أوتيت هذا مزمارا من
 مزامير آل داود متفق عليه من حديث أبى موسى، وفى الخبر كان أصحاب رسول الله
 ﷺ إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن، وقال عليه السلام من
 استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نور يوم
 القيامة، أحمد من حديث أبى هريرة ﴿ مكثفيا على الترغيب ﴾ أى على قدر الرغبة ﴿ والتأثير ﴾
 أى وتأثير التسمية: فورد « اقرءوا القرآن ما اتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم

غَيْرِ مُغَيِّرِ نَظْمُهُ وَلَا مُرَاعِ قَوَاعِدِ الْمَوْسِيقَى فِي نَعْمَاتِهَا الْمَذْمُومَةِ الْمُنْسُوبَةِ
إِلَى الْمُبْتَدَعَةِ وَلَا مُشْتَغِلٍ عَنِ التَّدْبِيرِ، وَيَعْظُمُهُ فُورِدَ (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ
عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ
أَحَدًا أَوْتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ فَقَدْ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ، وَيَحْضُرُ الْقَلْبَ لَمَّا سَبَقَ أَنَّهُ
الْأَصْلُ وَبِهِ فُسِّرَ مَا وَرَدَ (يَأْتِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)

فَإِذَا اخْتَلَعْتُمْ فَلَسْتُمْ تَقْرَءُونَهُ، وَفِي بَعْضِهَا «فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقَوْمُوا عَنْهُ» كَذَلِكَ فِي الْأَحْيَاءِ. وَقَالَ
الْعِرَاقِيُّ: مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ جَنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَلِّيِّ بِاللَّفْظِ الثَّانِي دُونَ قَوْلِهِ «وَلَا نَتَّ
جُلُودَكُمْ» قُلْتُ: وَلَعَلَّ الْحَدِيثَ مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا
مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)،
وَوَرَدَ «أَنْ مِنْ أَحْسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى»
ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ بِسَدِّ ضَعِيفٍ «وَلَا يَسْمَعُ الْقُرْآنَ مِنْ أَحَدٍ شَبَّهِ مِنْهُ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ
تَعَالَى» الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (غَيْرِ مُغَيِّرِ نَظْمِهِ) أَيُّ مَبْنَاهُ بِتَغْيِيرِ مَخْرَجِ حُرُوفِهِ وَصِفَاتِهَا
وَتَبْدِيلِ حَرَكَاتِهَا وَسَكَنَاتِهَا وَزِيَادَةِ فِي مَدَّائِهَا وَكَيْفِيَّاتِهَا (وَلَا مُرَاعِ قَوَاعِدِ الْمَوْسِيقَى فِي
نَعْمَاتِهَا الْمَذْمُومَةِ) وَالشَّرِيعَةُ (الْمُنْسُوبَةِ إِلَى الْمُبْتَدَعَةِ) بَلْ إِلَى الْكُفْرَةِ الْفَجْرَةِ كَمَا يَشِيرُ
إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: (أَفَنَ هَذَا الْحَدِيثُ تَعْجِبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) أَيُّ
مَغْنُونٍ أَوْ هَامِدُونَ أَوْ خَامِدُونَ (وَلَا مُشْتَغِلٍ عَنِ التَّدْبِيرِ) فِي آيَةٍ وَآلَائِهِ وَقَصَصِ رُسُلِهِ
وَأَنْبِيَائِهِ وَأَنْوَاعِ بَلَاتِهِ لَاهِلٍ وَلَا نَهْ أَهْلَاكَ أَعْدَائِهِ وَانْجَاءِ أَحِبَائِهِ وَالتَّأَمُّلِ فِي أَحْكَامِهِ
مِنْ أَوَامِرِهِ وَزَوَاجِرِهِ وَالتَّفَكُّرِ فِي مَبْدَأِ أَمْرِهِ وَمُنْتَهَى عَمْرِهِ وَمَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ وَأَحْوَالِهَا
وَدَرَجَاتِ الْجَنَّةِ وَحَسَنِ آمَالِهَا وَمَنَاهَا وَدَرَكَاتِ النَّارِ وَاخْتِلَافِ أَهْوَالِهَا (وَيَعْظُمُهُ)
أَيُّ كَمَا كَانَ عِكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ إِذَا نَشَرَ الْمُصْحَفَ غَشِيَ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: هُوَ كَلَامُ رَبِّي هُوَ
كَلَامُ رَبِّي. فُورِدَ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ (وَتَمَامُ الْآيَةِ)
(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُضْرِبَ بِهَا لِلنَّاسِ لَعْلَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَدًا
أُوتِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ فَقَدْ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ) أَيُّ وَاسْتَصْغَرَ مَا صَغَرَهُ اللَّهُ، وَقَدْ سَبَقَ
الْكَلَامُ عَلَى مَبْنَاهُ وَمَعْنَاهُ (وَيَحْضُرُ الْقَلْبَ) فِي التَّلَاوَةِ (لِمَاسِقٍ) فِي حَقِّ الصَّلَاةِ (أَنَّهُ
الْأَصْلُ) فِي مَعْرِفَةِ الرَّبِّ (وَبِهِ فُسِّرَ مَا وَرَدَ) فِي التَّنْزِيلِ (يَأْتِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)

وَيَتَذَكَّرُ فِيهَا مِزَانُ الْحَقِّ (لِيَذْكُرُوا آيَاتِهِ) وَكَانَ أَهْتَامُهُمْ بِالْفَقْهِ دُونَ اللَّفْقَةِ حَتَّى لَمْ يَسْتَظْهِرْهُ
الْأَبْضَعَةُ عَشْرَ بَلِ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ لَمْ يَحْفَظْ إِلَّا سُورَةَ أَوْ سُورَتَيْنِ

أى بقوة القلب واحضاره في مكتب الرب ((ويتذکر فوردا)) في التزليل ((ليدبروا آياته)) تمامه (وليتذكر أولو الالباب) والتدبر سبب التذكر ((وكان اهتمامهم بالفقه))
أى الدراية ((دون اللفقة)) أى كثرة القراءة والرواية قال على: لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا قراءة لا تدبر فيها، وكان بعضهم يقول: كل آية لا أنفهمها ولا يكون قلبى فيها لا أعد ثوابا لها، وقد روى عن عامر بن قيس أنه قال الوسواس يعترينى في الصلاة فقيل له أفى أمر الدنيا؟ فقال لا، لأن تختلف فى الأسئلة أحب الى من ذلك ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدى ربى وإن أذهب وكيف أنصرف؟ قال الحجة: فانظر كيف عد ذلك وسواسا وهو كذلك لانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا أن يشغله بمهم دينى ولكنه يمنعه عن الافضل، ولما ذكر ذلك للحسن فقال: ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا؟ هذا وقد كثر اعتناء الصحابة بالقرآن من حيث معناه دون حفظ مبناه ((حتى لم يستظهره)) أى لم يحفظ جميعه ((الابضعة عشر)) صحابيا من أكابر الصحابة وأجلاتهم في القراءة كالخلفاء الأربعة وأبى بن كعب، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وسالم مولى أبى حذيفة، وفى الأحياء مات رسول الله ﷺ عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف منهم فى اثنين، قال العراقى: قوله مات عن عشرين الفا لعله اراد بالمدينة والافقد رويناه عن أبى زرعة الرازى أنه قال: قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع انتهى، وأما من حفظ القرآن فى عهده فى الصحيحين من حديث أنس قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الانصار أبى بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد، وأبو زيد قلت: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتى وزاد ابن أبى شيبة فى المصنف من رواية الشعبي مرسلا وأبى الدرداء، وسعيد بن عبيد، وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقرءوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبى حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبى ابن كعب ((بل الكثير منهم لم يحفظ الا سورة)) كالبقرة ((أو سورتين)) كالزهاوين، وكان الذى يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم، وروى ابن الانبارى بسنده الى عمر قال: كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ فى صدر هذه الأمة

ويردده مرارا فقد قام عليه السلام ليلة بآية ويتفهم وهو يتفاوت بحسب صفاء
الباطن وظهور المكشفة فورد «ان للقرآن ظهرا وبطنا» * «لا يفقه العبد

من يحفظ من القرآن السورة أو نحوها الحديث وسنده ضعيف . والترمذى وحسنه من
حديث أبي هريرة قال : بعث رسول الله ﷺ بعثنا وهم ذوو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل
منهم مامعه من القرآن فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال : مامعك يا فلان ؟ قال : معي
كذا وكذا وسورة البقرة فقال : أمعك سورة البقرة ؟ قال : نعم قال : اذهب فأنت أميرهم
الحديث (ويردده مرارا) أى من حق القرآن أن يكرر المقرء مرة بعد مرة (فقد
قام عليه السلام ليلة بآية) واحدة يرددها وهى (ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) النساء . وابن ماجه بسند صحيح عن أبي ذر ،
وقرأ عليه السلام آية بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة أبوذر الهروى فى
معجمه عن أبي هريرة بسند ضعيف ، وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية (أم حسب
الذين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية ، وقام
سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية (وامتنوا اليوم أيها المجرمون) (ويتفهم)
بأن يتكلف ضبط مبانيه وفهم معانيه ويستوضح من كل آية ما يلىق بها اذ القرآن
يشتمل على ذكر ذات الله وصفاته وافعاله ومصنوعاته وذكر أحوال أنبيائه وأوليائه
وبيان حال أعدائه ، وذكر أوامره وزواجره وبيان درجات جنته ودرجات ناره
(وهو يتفاوت بحسب صفاء الباطن) وأنواره (وظهور المكشفة) للقلب
واسراره (فورد ان للقرآن ظهرا وبطنا) تمامه «وحدا ومطلعا» ابن حبان فى صحيحه
من حديث ابن مسعود ؛ وروى عن ابن مسعود مرفوعا أيضا «ان القرآن أنزل على
سبعة أحرف لكل آية منها ظهير وبطن ولكل حرف حد ومطلع» فالظاهر تلاوة المبنى
والباطن تفهم المعنى والحد لإحكام الأحكام والمطلع ما ينكشف من المرام بعد هذا
المقام ، وأخرج النسائى من رواية أبى جحيفة قال : سأنا عليا رضى الله عنه قلنا : هل
عندكم من رسول الله ﷺ شئ سوى القرآن ؟ فقال : لا والذى فلق الحبة وبرىء
النسمة الا أن يعطى الله عز وجل عبدا فهما فى كتابه الحديث وهو عند البخارى
بلفظ «هل عندكم شئ ما ليس فى القرآن» وقال مرة : ما ليس عند الناس (لا يفقه العبد)

حَتَّى يَرَى الْقُرْآنَ وَجُوهًا كَثِيرَةً» * «أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَاتَّقُوا غَرَائِبَهُ»

أى كل الفقه ﴿ حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ﴾ قال أبو الدرداء: لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها ، وعن الإمام جعفر الصادق أن كتاب الله على أربعة أشياء العبارة والاشارة . واللطائف . والحقائق فالعبارة للعوام . والاشارة للخواص . واللطائف للاولياء . والحقائق للانبياء ، أقول : وفي الحقيقة لا يعرف حقائق كلامه ودقائق مرامه غيره سبحانه بتأمله لأن كلامه الازلى من نعته العلى وكما لانهاية لذاته ولا غاية لصفاته فان تحت كل حرف من حروفه بحران بحار الاسرار ونهرا من أنهار الأنوار ، وقد قال عز من قائل إيمان الى عجز معرفة من سواه : (ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) أى طرائق مبانيها ولطائف معانيها ومن هنا قال على : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب ، وقد قيل : لا يكون المريد حتى يحذف القرآن كل ما يريد ويعرف منه نقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد ، وفى الخبر لولا أن الشياطين يحدقون على قلوب ابن آدم لنظروا الى الملكوت ، ومباني القرآن من جملة الملكوت رواه أحمد عن أبى هريرة ﴿ أقرأوا القرآن واتمسوا غرائبه ﴾ ابن أبى شيبه فى مصنفه . وأبو يعلى الموصلى . والبيهقى فى شعبه من حديث أبى هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف ، وعن ابن مسعود من أراد علم الأولين والآخرين فليثور (١) القرآن ، هذا وقد شرط الله عز وجل الانابة فى الفهم والتذكر فى العلم فقال : (تبصرة وذكري لكل عبد منيب) وقال : (وما يتذكر الا من نيب) وقال (انما يتذكر أولو الالباب) والذى أثر غرور الدنيا على سرور العقبي فليس من ذوى الالباب فلذا لا ينكشف له أسرار الكتاب وأنوار الخطاب ، وقد ورده اذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزعت منها هبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرموا بركة الوحي ، قال الفضيل : يعنى حرموا فهم القرآن كذا فى الاحياء وقال العراقي : رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الامر بالمعروف معضلا من حديث الفضيل ابن عياض ، قال : ذكر عن نبي الله ﷺ وقد قال تعالى : (وأوحى الى هذا القرآن لا نذر كم به ومن بلغ) قال محمد بن كعب القرظى : من بلغه القرآن فكأنما كلمه الرحمن وقال بعض أهل الفضائل : هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بهود ولنتدبرها فى الصلوات فنقف عليها فى الخلوات وتعبدها فى الطاعات بالسنة المتبعات ، وكان

«أما ما ورد من فسر القرآن برأيه فليتبوا مقعده من النار»

مالك بن دينار يقول: ما ذرع القرءان في قلوبكم يا أهل القرءان ان القرءان ربيع المؤمن فإنا الغيث ربيع الأرض ، وقال قتادة : لم يجالس هذا القرءان أحد الا قام بزيادة أو نقصان قال تعالى : (وتنزل من القرءان ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) ولذا قيل : من لم يكن متصفا باخلاق القرآن فاذا قرأ القرءان ناداه الله عز وجل مالك ولكلامى وأنت معرض عني ؟ دع عنك كلامي اذلم تنبأ الي ، وبما يدل على أن مدار القرءان على فهمه والعمل بامرء ونهيء مارواه أبو داود . والنسائي في الكبرى . وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو قال : « أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : اقرئني يا رسول الله فأقرأه ما اذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها فقال الرجل : والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدا ثم ادبر الرجل فقال عليه السلام : اطلع الرويجل اطلع الرويجل » ولاحدوا النسائي في الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق انه صاحب القضية وقال : جسي لا بألى ان لا اسمع غير هذه ، وعن جعفر الصادق والله لقد يحكي الله سبحانه خلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون ، وقال أيضا وقد سأله عن حاله الخفية في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له في ذلك فقال : ما زلت أردد الآية في قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدره ، وكان رضى الله عنه تصور أن الله سبحانه جعل لسانه بمنزلة شجرة موسى عليه السلام وأنه نودى في شأنه ما صدر من الكلام في ذلك المقام وفق المرام ، ومن هنا قال بعض الحكماء : كنت أقرأ القرءان فلم أجده حلاوة حتى تلوته كما في اسمعه من رسول الله ﷺ يتلوه على أصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كما في اسمعه من جبريل يلقيه على رسول الله ﷺ ثم جاء الله بمنزلة أخرى فانا الآن اسمعه المتكلم به سبحانه فعندها وجدت له لذة ونعما لا اصبر عنه ، فقال عثمان . وحذيفة : لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن ، وعن ثابت البناني كما بدأت القرءان عشرين سنة تنعمت به عشرين سنة ، وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد متلا لقوله سبحانه : (فقرأوا الى الله) قيل ليوسف بن اسباط : اذا قرأت القرآن بما تدعو ؟ قال : بما اذا ادعوا استغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة فنستغفر الله بما سواه ولا نعبد الاياه ولا نقصد في الدارين ما عداه (اما ما ورد من فسر القرءان برأيه فليتبوا مقعده من النار) أى فليهيء مكانه من

فمحمول على القطع على مراده تعالى والاحتجاج لاثبات الهوى دون الاستنباط
لنقد السماع إلا في بعض آيات واختلافهم على أقوال يمتنع التوفيق بينهما،
وورد (لعله الذين يستنبطونه منهم) اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل

نارجهم رواه الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه ، وهو عند أبى داود في رواية
ابن العبد، وعند النسائى في الكبرى (فمحمول) أى وعبده (على القطع على مراده
تعالى) أى اذالم يعلم انه مراده كفاى الآيات المتشابهات والالفاظ المشتركة فى اللغات
والافن المعلوم ان قوله تعالى : (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أراد الله بهما العبادتين
احدهما بدنية والاخرى مالية خلافا لبعض الملاحدة من الصوفية حيث قالوا : المراد
بالصلاة وصل الصلات وبالزكاة طهارة القلب عن الكائنات (والاحتجاج لاثبات
الهوى) بان يكون له فى الشئ رأى واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على مقتضاه
ليحتج على تصحيح غرضه ومدعاه ولولم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له
من القرآن ذلك المعنى (دون الاستنباط) أى لا يحمل على استنباط المعانى من مدارك
المباني فى الآيات المحتملات (لفقد السماع) أى لعدم سماع جميع المعانى من رسول الله
ﷺ فى تفسير السبع المثانى (الافى بعض آيات) تعدنا دارات فى واقعات (واختلافهم)
أى ولاختلاف الصحابة والمفسرين (على أقوال) أى مختلفة (يمتنع التوفيق بينهما)
أى لا يمكن الجمع بينهما لتناقض مبانيها وتعارض معانيها فعلم على القطع ان كل
مفسر قال فى المعنى ما ظهر له باستنباط فى المبني حتى قالوا فى الحروف التى هى أوائل السور
سبعة أقاويل مختلفة بل سبعين قولاً غير مؤتلفة (وورد لعلمه الذين يستنبطونه منهم)
الآية ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فثبت لاهل العلم استنباطها ، ومعلوم
انه وراء السماع فجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله بشروط
تذكر فى محله الالىق به ، ومن ذلك استخراج أبى بكر رضى الله عنه موت النبى ﷺ
من قوله سبحانه : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) فان الكمال يشير
الى الزوال كوصول الشمس الى وسط السماء فهو استخراج للمعنى لا يفهم من ظاهر
المبنى (اللهم فقهه فى الدين) أى ابن عباس (وعلمه التأويل) البخارى من حديث ابن
عباس فلو كان التأويل مسموعاً كالتنزيل فامعنى تخصيصه بذلك ثم اذا كان الاستنباط
ممنوعاً فينبغى ان لا يقبل ما يقوله ابن عباس : وابن مسعود . وغيرهما من قبل انفسهم على

ويتخلَّى عن الموانع كتحقيق المخارج وأداء اللفظ وقواعد الموسيقى والاصرار على الذنب والاتصاف بالذميمة فوراً (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) ويقدر في كل خطاب فوراً (وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به) «اقرأ القرآن مانهاك»

قدر فهمهم ، ويقال : هو تفسير بالرأى لانهم لم يسمعه رسول الله ﷺ وليس كذلك فافهم فان أكثر القرءان ماتين الا بقوله عليه السلام ثم ماتين باقوال اصحابه الكرام واتباعه العظام من العلماء الاعلام ((ويتخلَّى عن الموانع)) أى ويحتجب عن موانع الفهم ((كتحقيق المخارج)) أى مخارج الحروف وتديق صفاتها ((وأداء اللفظ)) من تريق وتغليظ وروم واشمام ومدقصر وفق مراعاتها بالمبالغة فى تحسين حالاتها والافهام من الواجبات المتعلقة بالقراءة ((وقواعد الموسيقى)) أى ويتخلَّى عنها بان لا يلحن فى القراءة لحناً جليلاً كما لا ينبغي ان لا يلحن فيها لحناً خفياً فى المقدمة الجزرية : والاخذ بالتجويد حتم لازم • من لم يحجود القرءان انتم

فانه به الاله أنزلاه وهكذا منه الينا وصلا

((والاصرار على الذنب)) أى ويتخلَّى عن الاصرار على الكبائر والصغائر فانه لاصغيرة مع الاصرار كمالا كبيرة مع الاستغفار، وقد قال تعالى : (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) ((والاتصاف بالذميمة)) أى من الاخلاق الردية والاحوال الدنية ((فوراً)) أى فى نعت القرآن (تبصرة وذكرى) أى تذكرة (لكل عبد منيب) والاناة هى الرجوع من الغفلة الى اليقظة كما ان التوبة الرجوع من المعصية الى الطاعة فهى الواوبة أخص من التوبة ولذا جاء فى وصف الانبياء والاولياء (انه أواب فاستغفر ربه وخررا كما وأناب) ((ويقدر)) أى يفرض القارىء ويقرر انه المراد ((فى كل خطاب)) من الأمر والنهى وغيرهما كالوعيد . والوعيد فى كلام البارى ((فوراً)) فى التنزيل (وأوحى الى هذا القرءان لأنذركم به) وقد سبق الكلام عليه وما يناسبه المرام لديه ((اقرأ القرآن مانهاك)) أى ما دام بهاك عن الكسل والغفلة ونحوهما من المذمة وتام الحديث « واذا لم ينهك فلست تقرؤه » الطبرانى من حديث

وقصة فهي للتنبيه فوردا (وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهِ فَذَكَرْنَاكَ) ويتأثر باختلاف حال القلب بحسب المعنى فيفرح فيشتاق ويخاف عند آية رحمة وجنة وعذاب ونحوها ويترقى فيه فالأدنى تقديرا أنه يقرأ بين يديه تعالى، ثم انه تعالى يخاطبه ثم رؤية المتكلم وصفاته وأفعاله والأولان لأصحاب اليمين وغيرهما للغافلين، ويرى دخوله فيما ورد في العاصين

عبدالله بن عمرو بسند ضعيف (وقصة) أى ويقدرانه المراد فى كل قصة مشتملة على منحة ونعمة أو محنة وغصة (فهي للتنبيه فوردا) فى التنزيل (وكلا) أى وكل ما يحتاج اليه ويصفه بقوله (نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) بدل كل من كل وإذا كان قلبه الأعلى يحتاج الى التثبيت فغيره أولى ، وورد اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك (ويتأثر) أى القارى . (باختلاف حال القلب) أى قلبه (بحسب المعنى) أى بتفاوت معنى كلامه به (فيفرح فيشتاق ويخاف) كلها لف ونشرها المرب (عند آية رحمة وجنة وعذاب ونحوها) من التوبيخ والتهديد والوعد والوعيد والانذار والابشار (ويترقى فيه) أى فى مراتب التأثير من المقام الأدنى الى المقام الأعلى (فالأدنى) أى فى مقام الترقى (تقدير انه يقرأ بين يديه تعالى) أى كما يقرأ بين يديه معمله قال تعالى : (الرحمن علم القرآن) فيعتقد انه سبحانه ناظر اليه وسامع لما يبدو لديه ويجزى عليه فيفيد هذا الحال التلق والسؤال والتضرع والابتهال (ثم انه تعالى) أى يقدر انه سبحانه (يخاطبه) أى من وراء حجاب فيورثه الهيبة والعظمة وحجارة نفسه ان يكون متكلمًا بكتابه أو مستمعًا لخطابه أو واقفًا بجناحه ومتعلقًا باباه فيفيد التأدب بآدابه (ثم رؤية المتكلم) بان قرأ اسم الذات كاسم الله والحق (وصفاته) كاسم المحي والعليم والسميع والبصير والقدير (وأفعاله) أى كاسماء أفعاله عما أثره محسوس فى مخلوقاته كالمحي والخالق والرازق والمصور والوهاب (والأولان) أى من الأحوال (لأصحاب اليمين) أى المطيعين من المسلمين (وغيرهما) أى من المراتب المذكورة من أنواع حالات الترقى (للغافلين) وقد تقدم تحقيق حصول الأحوال الكاملة للعلماء الكاملين (ويرى) أى وينبغى ان يرى السالك ولو كان فى أعلى المسالك (دخوله فيما ورد فى العاصين

وَالْمُقَصِّرِينَ دُونَ الْمُقَرَّبِينَ وَذَوِي الْيَقِينِ، وَمِنْهَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ فَيُحِبُّهُ وَعُدُّ صَحْبَتِهِ
وَشَفَاعَتِهِ، وَوَرْدَانِهَا صَدَقَةٌ وَحَقُّهَا أَنْ تُقَرَّنَ بِالسَّلَامِ فُورِدَ (صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّوْا
تَسْلِيمًا) وَالصَّلَاةُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ وَالصَّحَابَةِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ

وَالْمُقَصِّرِينَ دُونَ الْمُقَرَّبِينَ وَذَوِي الْيَقِينِ) أَيِ الْمُعْتَبِرِينَ فِي أَمْرِ الدِّينِ (وَمِنْهَا) أَيِ مَنْ
أَنْوَعَ الْوَرْدَ (الصَّلَاةُ عَلَيْهِ) أَيِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ (فَيُحِبُّهُ وَعُدُّ صَحْبَتِهِ) أَيِ رَفَقَتِهِ فِي مَنْزِلَتِهِ
(وَشَفَاعَتِهِ) لِأَهْلِ حُبِّهِ أَمَّا دَلِيلُ الْأَوَّلِ فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَوَّلَى النَّاسِ بِي أَيُّ بَقَرٍ فِي
الْعَقْبِ أَكْثَرُهم عَلَى صَلَاةٍ» أَيِ فِي الدُّنْيَا التَّرْمِذِيُّ. وَابْنُ حِبَّانَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَيُؤَيِّدُهُ
رَوَايَةُ الْبَيْهَقِيِّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ بْنِ كَانٍ أَكْثَرُهم عَلَى صَلَاةٍ كَانُوا أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً
وَأَمَّا الثَّانِي، فُورِدَ إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ثُمَّ سَلُّوا
اللَّهُ لِي الْوَسِيلَةَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ، وَوَرِدَ «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ
مِنْ أُمَّتِي» التَّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَصَحَّحَهُ (وَوَرِدَ أَنَّهَا صَدَقَةٌ) رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى مِنْ
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظٍ «كَثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ فَانْهَازَ كَأْسُكُمْ، أَيِ بِمَنْزِلَةِ زَكَاةٍ وَصَدَقَةٍ
لِفُقَرَائِكُمْ وَأَغْنِيَانِكُمْ وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ نَزَلَ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي
فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ» الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ. وَأَبُو الشَّيْخِ فِي الثَّوَابِ. وَالْمُسْتَغْفِرُ فِي الدَّعَوَاتِ
مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ، وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا «صَلُّوا عَلَيَّ
فَإِنَّ الصَّلَاةَ عَلَيَّ كِفَارَةٌ لَكُمْ فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» وَفِي رَوَايَتِهِ أَيْضًا عَنْ أَبِي
كَاهِلٍ «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَكُلَّ لَيْلَةٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ جَاءَ لِي وَشَوْقًا إِلَيَّ
كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ذُنُوبَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَذَلِكَ الْيَوْمِ، (وَحَقُّهَا أَنْ تُقَرَّنَ)
أَيِ الصَّلَاةِ (بِالسَّلَامِ فُورِدَ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّوْا تَسْلِيمًا) وَظَاهِرُهُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا فِي كُلِّ
مَوْضِعٍ لَكِنْ لَا يَجِبُ كَمَا تَوَهَّمُ النَّوَوِيُّ إِذَا لَوَا لِمَطْلُوقِ الْجَمْعِ فَإِذَا صَلَّى فِي وَقْتٍ وَسَلَّمَ فِي
آخَرِهِ فَخَرَجَ عَنْ عَهْدَةِ الْأَمْرَيْنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) وَقَدْ
جَعَلَتْ فِي الْمَسْأَلَةِ رِسَالَةً مُسْتَقِلَّةً (وَالصَّلَاةُ) بِالْحَقْفِ أَيِ وَيُقَرَّنُ بِالصَّلَاةِ (عَلَى سَائِرِ
الْأَنْبِيَاءِ) أَوْ بِالرَّفْعِ أَيِ مِنْ حَقِّ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ الصَّلَاةُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَكَذَا الْمَلَائِكَةُ
الْمُقَرَّبِينَ أَصَالَةً (وَأَهْلَ الْبَيْتِ وَالصَّحَابَةِ) أَيِ تَبَعًا (فَهُوَ الْمَأْثُورُ) وَعَلَيْهِ الْجَمْعُ، وَرِ
وَقِيلَ: يَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ لِنَيْنَا، وَيَقْتَصِرُ عَلَى السَّلَامِ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ

وَلَا يَذْكُرُ عِنْدَ الْعُطْسَةِ وَالذَّبْحِ وَالتَّعَجُّبِ «وَمِنْهَا الْأَذْكَارُ الْمُرَوِّيةُ الْوَارِدُ فِيهَا الْفَضَائِلُ»

(ولا يذ كر عند العطسة) فيه خلاف (والذبح) وهو مكروه قال صاحب المحيط: لأن فيه إيهام الإهلال له (والتعجب) أى رؤية ما يستغرب فانه ممنوع وفي فتاوى قاضى خان رجل يقرأ القرآن وسمع اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الناطق انه لا يجب عليه الصلاة لأن قراءة القرآن على النظم والتأليف افضل من الصلاة ولو فيها من التشريف فاذا فرغ من القراءة إن صلى عليه كان حسنا وإن لم يصل لم يأثم والله سبحانه اعلم، والظاهر أنه يستثنى ما إذا قرأ أو سمع آية (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) فانه يجب عليه الصلاة والسلام حيثذ ولو في الصلاة كما صرحوا بذلك في حال الخطبة؛ وقد ورد من ذكرت عنده فليصل على، النسائي. والطبراني في الأوسط وأبو يعلى. وابن السني ورواه أحمد. وابن حبان. والحاكم وصححه ومن ذكرني فليصل على، أبو يعلى عن أنس والظاهر ان الأمر للرجوب لكن قال الطحاوى انه يتداخل في المجلس كسجدة التلاوة، وما يبدل على الايجاب حديث «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على» أى ذل في الباب ولصق بالتراب وابتلى بالحجاب رواه الترمذى. وابن حبان. والبخاري. والترمذى. والنسائي عن علي. وابن حبان. والحاكم عن حسين بن علي رضى الله عنهما، والاختار في هذا كثيرة والآثار شيرة وقد ذكرت نبذة يسيرة في شرح الصلاة المحمدية والصلاة الاحمدية (ومنها) أى من جملة الأوراد بل أجل ورد للعباد والعباد في جميع البلاد (الاذكار) ككلمة التوحيد والتمجيد وأسماء الله والتسبيح والتحميد (المروية) في الاخبار المرضية (الوارد فيها الفضائل) أى الكثيرة الشهيرة في الكتاب والسنة المصطفوية، أما الكتاب فقوله تعالى: (فاذكروني أذكركم) قال ثابت البناني: إنى أعلم متى يذكركنى ربى سبحانه وتعالى ففزعوا منه وقالوا: كيف تعلم ذلك؟ قال إذا ذكرته ذكركنى وقوله: (اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) وقوله بحكاية: (كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) وقوله: (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) وقوله (فاذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) قال ابن عباس: أى بالليل. والنهار. والبر. والبحر. والسفر. والحضر: والغنى. والفقر. والمرض. والصحة: والسر والعلاية، وقوله في ذم المباقيين (ولا يذكرون

وَمِنْهَا الدُّعَاءُ فُورِدَ «الدُّعَاءُ مُخِ الْعِبَادَةِ»

الله (إلا قليلا) وقوله: (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقوله: (ولذكر الله أكبر) قال ابن عباس: له وجهان أحدهما أن ذكر الله لكم أكبر من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أكبر من كل عبادة سواه (وأما السنة) فقوله عليه السلام: «ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر الغازي رواه البزار والطبراني في الأوسط عن ابن مسعود، وقوله تعالى: «وانامع عبدى ما ذكرنى وتحركت في شفتاه» ابن ماجه . وابن حبان من حديث أبي هريرة والحاكم من حديث أبي الدرداء وقال: صحيح الإسناد، وقوله «من أحب أن يرتفع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى» ابن أبي شبة في مصنفه والطبراني من حديث معاذ وقوله لما سئل أى الأعمال أفضل قال: «أن تموت ولسانك رطب بذكر الله» ابن حبان والطبراني في الدعاء والبيهقى في الشعب من حديث معاذ، وقوله عز وجل إذا ذكرنى عبدى في نفسه ذكرته في نفسى وإذا ذكرنى في ملاء ذكرته في ملاء خير منه وإذا تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا وإذا تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا وإذا مشى إلى هروا إلى» يعنى بالهرولة سرعة الاجابة لديه ، والحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقوله عز وعلا «من شغلته ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل مما أعطى السائلين» البخارى في التاريخ والبزار في المسند والبيهقى في شعب الإيمان من حديث عمر بن الخطاب وقوله عليه السلام: «لو أن رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله كان الذى يذكر الله أفضل» الطبراني في الكبير عن أبي موسى، وقوله «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت» رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعرى وقوله «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال: «المتنزهات» وما الرتع قلت: «المساجد قلت: وما الرتع يا رسول الله؟ قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وقوله ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها رواه الطبراني وابن السني عن معاذ وقوله «كثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون» أحمد وابن حبان وأبو يعلى وابن السني: والحاكم: والبيهقى من حديث أبي سعيد الخدرى (ومنها) أى من أصناف الورد (الدعاء فورد الدعاء مخ العبادة) الترمذى من حديث أنس، والدعاء هو العبادة أصحاب السنن الأربعة

وَحَقُّهُ أَنْ يَتَرَصَّدَ شَرَائِفَ الْأَوْقَاتِ لِمَا وَرَدَ فِيهِ « فَضِيلَةٌ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وَسَحَرٍ وَجَوْفِ اللَّيْلِ وَعِنْدَ الزَّوَالِ »

والحاكم وقال: صحيح الاسناد وقال الترمذى: حسن صحيح ليس شىء أكرم عند الله من الدعاء، الترمذى وقال غريب وابن ماجه . وابن حبان . والحاكم وقال صحيح الاسناد « ما من مسلم ينصب وجهه لله في مسألة الا أعطاه اياه إيمان يعجلها واما أن يدخرها له » أحمد عن أبي هريرة « الدعاء سلاح المؤمن » أبو يعلى . والحاكم عن علي « من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء » الترمذى . والحاكم عن أبي هريرة وقال: صحيح الاسناد « من لم يدع الله غضب عليه » ابن أبي شيبة في مصنفه من حديث أبي هريرة ونعم ما قيل :

الله يغضب ان تركت سؤاله • وبني آدم حين يسأل يغضب

واختلف هل الأفضل هو الدعاء أو السكوت تحت جريان القضاء مع أن الدعاء لا ينافي الرضاء، فقيل: الأول أفضل لحديث الدعاء من العبادة وقيل الثاني أكمل لقوله عليه السلام من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، ويؤيده قول الخليل عليه السلام عليه بحالى يغنى عن سؤالى، وقيل يختلف باختلاف الأوقات من البسط والقبض والخوف والرجاء ونحوها من الحالات، وقيل ما كان لنفسه فالسكوت أولى وما كان لغيره فالدعاء أحرى ((وحقه)) أى الدعاء ((أن يترصد)) أى ينتظر ((شرائف الأوقات لما ورد فيه فضيلة من يوم)) كيوم عرفة ويوم الجمعة ((وليلة)) كليلة الجمعة وليلة القدر ((وسحر)) وهو قيل الصبح على ما ذكره الجوهري والسدس الأخير على ما قاله الزمخشري والثالث الأخير على ما يفهم من كلام الغزالي لقوله عليه السلام ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فاستجب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له، وقيل إن يعقوب عليه السلام إنما قال لبنه سوف أستغفر لكم ربى ليدعوني وقت السحر فقيل إنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلقه فأوحى الله عز وجل اليه انى قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء، وعن عائشة ما ألقى رسول الله ﷺ السحر الأعلى في بيتى أو عندى الا قائما متفق عليه ولم يقل البخارى الأعلى ((وجوف الليل)) أى وسطه وأثنائه كله أو نصفه ((وعند الزوال)) أى الاستواء فانه بمنزلة نصف الليل ولأنهما غالباً وقت الغفلة أو

وَصُودِ الْإِمَامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ. وَفِي جَلْسَةِ الْخُطْبِ. وَغُرُوبِ الشَّمْسِ فِيهَا.
وَبَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ. وَبَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ. وَالْأَحْوَالِ. وَنَزُولِ
الْمَطَرِ. وَأَدَاءِ الْفَرَضِ. وَخَتَمِ الْقُرْآنِ

بعد الزوال الأخير لما ورد فيه من فتح أبواب السماء ﴿ وصعود الإمام يوم الجمعة
وفي جلسة الخطيب ﴾ أي على المنبر ﴿ وغروب الشمس فيها ﴾ أي وعنده في الجمعة أقوال
في ساعة الجمعة وقد بينها مع غيرها من الأقوال وما ورد فيما سبق من أوقات الدعاء
في شرح الحصن الحصين ﴿ وبين الأذان والإقامة ﴾ يوم الجمعة أو مطلقاً فور
الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد وقد جعله صاحب الحصن في الأحوال والحديث
رواه أبو داود . والترمذي . والنسائي . وابن حبان عن أنس وزاد الترمذي قالوا :
فما تقول يا رسول الله ؟ قال : سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة ﴿ وبين الظهر والعصر
يوم الأربعاء ﴾ لم أجده ، وكان حقه أن يذكر رمضان في أوقات الإجابة فروى البزار
والطبراني عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال يوماً وحضر رمضان -
أنا كم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء
الحديث ﴿ والأحوال ﴾ أي وإن ترصد شرائع الأحوال كالغزو ﴿ ونزول المطر ﴾
رواه الشافعي في الام برسلا ، وقال : قد حفظت عن غير واحد جرب الإجابة عنده
﴿ وأداء الفرض ﴾ ظاهره بعد أدائه ويحتمل وقوعه في اثنا عشر يوماً إن أبواب السماء
تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلاة المكتوبة ،
وروى أبو داود والحاكم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله
ﷺ : « ثنتان لا تردان أو قلتا تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلتمح بعضهم
بعضاً » وفي رواية عنه أيضاً مرفوعاً قال : « وقت المطر أو تحت المطر » ﴿ وختم القرآن ﴾
خصوصاً من القاري فعن العرياض مرفوعاً « من صلى صلاة فريضة فله دعوة مستجابة
ومن ختم القرآن فله دعوة مستجابة » الطبراني في الكبير وعن الحكم بن عتيبة قال مجاهد :
وعنده ابن أبي ليابة « وإناس يعرضون المصاحف فلما كان اليوم الذي أرادوا أن يتحتموا
أرسلوا إلى والي سلبه بن كهيل فقالوا : « أنا كنا نعرض المصاحف فاردنا أن نختم اليوم
فأجبنا أن تشهدونا أنه كان يقال إذا ختم القرآن نزلت الرحمة عند ختمه » رواه ابن أبي

وَالْمَشْيَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَالصَّوْمِ وَالْإِفْطَارِ وَالسَّجْدَةِ وَالرِّقَّةِ وَالتَّقِيطِ لِجَلَالِهِ
تَعَالَى وَالْمَرَضِ وَالْغُرْبَةِ وَقِرَاءَةِ الْإِخْلَاصِ وَالْكَوْنِ فِي الْجَمَاعَةِ تَبْلُغُ مِائَةً
وَالْوُقُوفَ بِعِرْفَاتٍ وَالْمَلْتَزِمَ وَعِنْدَ قَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْكُلُّ مَأْثُورٌ
وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ

شبهة في مصنفه . وأبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف بسند صحيح ﴿ والمشي الى
المسجد ﴾ ، فورد انه عليه السلام اذا خرج للصلاة قال: اللهم اجعل في قلبي نورا وفي
بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا وخلقني نوراً واه الشيخان
وغيرهما عن ابن عباس ، وفي رواية « كان يقول اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك وبحق
عمشى اليك فاني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء واني خرجت ابتغاء مرضاتك واتقيا
مخطئك ان تتقذني من النار وان تدخلني في الجنة مع الابرار ﴾ (والصوم) أى حاله
فورد « الصائم لا ترد دعوته » الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث أنى هريرة
﴿ والافطار ﴾ أى وقته فورد « أن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد » ابن ماجه والحاكم عن
ابن عمر ﴿ والسجدة ﴾ أى حال السجود ، فورد « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو
ساجدا كثيرا من الدعاء ، رواه مسلم ﴾ (والرقّة) أى رقة القلب ، ودمعة العين بذكر
الرب ﴿ والتقيط لجلاله تعالى ﴾ فانهما من علامات الاجابة ﴿ والمرض ﴾ فقد ورد
اذا مرض العبد ثلاثة أيام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أبو الشيخ عن أنس
وعن عمر مرفوعا اذا دخلت على مريض فمره يدعوك فان دعاه كدعاء الملائكة ،
كذا في المشكاة ﴿ والغربة ﴾ فقد روى البزار عن أنى هريرة « ثلاث حق على الله ان
لا يرد لهم دعوة الصائم حتى يفطر والمظلوم حتى ينتصر والمسافر حتى يرجع ﴾ ﴿ وقراءة
الاخلاص ﴾ لم أجده ﴿ والكون في الجماعة تبلغ مائة ﴾ ذكر في الحصن الحصين في احوال
الاجابة اجتماع المسلمين وقال: رواه الجماعة عن أم عطية الانصارية ﴿ والوقوف
بعرفات ﴾ فورد « خير الدعاء دعاء يوم عرفة » الترمذى عن عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده ﴿ والملتزم ﴾ وكذا رؤية الكعبة وعند زمزم ﴿ وعند قبره ﷺ ﴾ وكذا
ومساجده ومشاهده ﴿ والكل مأثور ﴾ والبعض مشهور ، وفي الحصن زيادات عليه
وقد شرحنا لديه من بيان أما كن الاجابة والذين يرجي لهم الاجابة وقد خلط المصنف
بين الاحوال والرجال والامكنة والازمنة ﴿ ويستقبل القبلة ويرفع يديه ﴾ لما

حَتَّى يَرَى مَا تَحْتَ أَبْطَانِهِ ضَامًّا كَفَيْهِ جَاعَلًا بَطْنَهُمَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَهُوَ مَرُورٌ
وَوَرَدَ « أَنَّهُ تَعَالَى يَسْتَحْيِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صَفْرًا » دُونَ الْعَيْنِ فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ
وَيَفْتَحُ بِالتَّحْمِيدِ

روى مسلم عن جابر « أنه عليه السلام أتى الموقف بعرقه واستقبل القبلة ولم يزل يدعو
حتى غربت الشمس » وللنسائي من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع
يديه يدعو ورجاله تقات « حتى يرى ما تحت أبطانه ضاماً كفيه جاعلاً بطنهما نحو السماء
فهو مروي » أي عن أنس كان عليه السلام يرفع يديه حتى يرى يياض أبطنه في الدعاء
متفق عليه لكنه مقيد بالاستسقاء، وعن ابن عباس كان عليه السلام إذا دعا ضم كفيه
وجعل بطونهما على وجهه الطبراني في الكبير بسند ضعيف، وعن عمر كان عليه السلام
إذا مدي يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه . الترمذي وقال غريب والحاكم
في المستدرک وسكت عليه « وورد أنه تعالى يستحي أن يردهما صفرا » بكسر الصاد
أي خالياً، فمن سليمان ابن بكيم حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفرا
أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال اسناده صحيح على شرطهما « دون
العين » أي لا يرفعهما إلى السماء حال الدعاء « فهو منهي عنه » فمن أبي هريرة مرفوعاً
« لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم » رواه
مسلم ولا يبالغ في رفع صوته لما روى أبو موسى الأشعري قال قدمنا مع النبي ﷺ فلما
دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم « فقال أيها الناس إن الذي
تدعون ليس باصم ولا غائب إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم، كذا في الأحياء
وقال العراقي حديث أبي موسى يا أيها الناس إن الذي تدعون ليس باصم ولا غائب متفق
عليه مع اختلاف واللفظ الذي ذكره المصنف لابي داود، وعن عبد الله بن مغفل
مرفوعاً سيكون قوم يعتدون في الدعاء، وفي رواية والطهور أبو داود وابن ماجه
وابن حبان والحاكم ويؤيده قوله تعالى: (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين)
وورد « إذا أحب الله عبداً ابتلاه حتى يسمع تضرعه، وفي لفظ صوته أبو منصور الديلمي
في مسند الفردوس من حديث الحسن فالخفاء في الدعاء أفضل لتلك الآية ولقوله
تعالى ثناء على زكريا: (إذا نادى ربه نداءً خفياً) « ويفتح » أي يبتدى الدعاء « بالتحميد »
كما في سورة الفاتحة وقم التناء قبل الدعاء، وقال سلمة بن الأكوع: ما سمعت رسول الله

وَالصَّلَاةُ وَيَخْتِمُ بِهِمَا لِكُونِهِمَا مَقْبُولَيْنِ فَلَا تُرَدُّ حَاجَتُهُ فِي الْبَيْنِ، وَيَقْدُمُ رَبَّنَا خَمْسًا فُورَدَ فِيهِ (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ) وَحَاجَةُ الْآخِرَةِ لِتَسَارُعِ النَّجَاحِ، وَيَحْتَنِبُ الْجَهْرَ وَالْخُفَاةَ فُورَدَ (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا)

عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْتَفْتِحُ الدَّعَاءَ إِلَّا اسْتَفْتَحَهُ وَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ أَحْمَدَ وَالْحَاكِمِ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ (وَالصَّلَاةُ) أَيُّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فُورَدَ مِنْ حَدِيثِ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يَمَجِّدِ اللَّهَ وَلَمْ يَصِلْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَجَلْ هَذَا ثُمَّ دَعَا فَقَالَ إِذَا صَلَى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَعْدِيدِ رَبِّهِ وَالتَّسْنِئَةِ ثُمَّ يَصِلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَدْعُو بِمَا شَاءَ رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ وَوَرَدَ إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ حَاجَةً فَابْدُؤُوا بِالصَّلَاةِ عَلَى فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمَ مَنْ أَنْ يَسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضَى أَحَدَهُمَا وَيُرَدَّ الْآخَرَى رَوَاهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي كَذَا فِي الْأَحْيَاءِ، وَقَالَ الْعِرَاقِيُّ لَمْ أَجِدْهُ مَرْفُوعًا وَانْمَاهُ مَوْقُوفٌ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ (وَيَخْتِمُ) أَيُّ الدَّعَاءِ (بِهِمَا) أَيُّ بِالْحَمْدِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وَبِالصَّلَاةِ (لِكُونِهِمَا) يَكُونَانِ (مَقْبُولَيْنِ فَلَا تُرَدُّ حَاجَتُهُ فِي الْبَيْنِ) قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ حَاجَتَهُ فَلْيَبْدَأْ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَتَهُ ثُمَّ يَخْتِمُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبَلُ الصَّلَاتَيْنِ وَهُوَ أَكْرَمُ أَنْ يَدْعَ مَا بَيْنَهُمَا (وَيَقْدُمُ) عَلَى دَعَائِهِ (رَبَّنَا) أَيُّ يَارَبَّنَا (خَمْسًا فُورَدَ فِيهِ) أَيُّ فِي حَقِّ تَقْدِيمِ رَبَّنَا خَمْسًا وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ) إِلَى قَوْلِهِ: (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ وَحَاجَةُ الْآخِرَةِ) أَيُّ وَيَقْدُمُهَا عَلَى حَاجَةِ الدُّنْيَا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا كِبَرَهُنَّ (لِتَسَارُعِ النَّجَاحِ) أَيُّ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ (وَيَحْتَنِبُ الْجَهْرَ وَالْخُفَاةَ) أَيُّ بَلْ يَجْعَلْ دَعَاءَهُ وَسُطَّ الْحَالَةَ (فُورَدَ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا) أَيُّ دَعَائِكَ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَتَمَامُ الْآيَةِ: (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا) لَكِنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ الْمُرَادَ بِصَلَاتِكَ بِقِرَاءَتِكَ فِيهَا كَمَا تَقْدِمُ وَهُوَ أَمَا فِي التَّهَجُّدِ، أَوِ الْمَعْنَى لَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ عَلَى الدَّوَامِ وَلَا تُخَافُ بِهَا فِي تَمَامِ الْآيَامِ وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا بِأَنْ تَجْعَلَ بَعْضَ الصَّلَوَاتِ جَهْرِيَّةً كَالصُّبْحِ وَالْعِشَاءِ وَالْجُمُعَةِ وَالتَّرَاوِيعِ، وَبَعْضُهَا سِرِّيَّةً كَالظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَسَائِرِ النُّوَافِلِ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَرَأَ مِنَ اللَّيْلِ رَفَعَ طَوْرًا وَخَفَضَ طَوْرًا أَبُو نَصْرٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،

وَلَا يَتَكَلَّفُ بِالسَّجْعِ فُورِدَ «إِيَّاكُمْ وَالسَّجْعَ فِي الدُّعَاءِ» وَالْأَوَّلَى أَنْ
يَقْتَصِرَ عَلَى الْمَأْثُورِ لِأَنَّ السَّأَلَ مَا لَا صَلَاحَ فِيهِ وَيَتَضَرَّعُ وَيَخْفَى فُورِدَ (ادْعُوا
رَبَّكُمْ تَضَرَّعًا وَخَفِيًّا) وَيَحَقِّقُ الرَّجَاءَ

(ولا يتكلف بالسجع) في الدعاء فان حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه (فوردا ياكم والسجع في الدعاء) وتماه «بحسب أحدكم أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل» وهو غريب بهذا السياق وللبخاري عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون الا ذلك أي عدم تكلف السجع ثم المنع انما هو التكلف في السجع بخلاف ما اذا ورد على مقتضى الطبع والافقي الادعية المأثورة على لسان صاحب الشرع جاءت كلمات متوازنة مؤلفة الا انها غير متكلفة كقوله عليه السلام: «اللهم ذا الجبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفون بالعهود وانك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد» الترمذي من حديث ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملة هذا وقال حديث غريب، وكقوله «اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع» أحمد. وابن حبان. والحاكم عن أنس وزيد في رواية «ومن هؤلاء الأربع» وكقوله «اللهم استر عورتنا وآمن روعاتنا» أحمد في مسنده عن أنس سعيد مرفوعا (والاولى أن يقتصر على المأثور لئلا يسأل ما لا صلاح فيه) فانه إذا جاوزه قد يعتدى فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن في دعوته ولذا روى عن معاذ أن العلماء يحتاج اليهم في الجنة اذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا الدعاء من العلماء، ولانه عليه السلام تعلما لأئمة الكرام ما ترك شيئا مرغوبا الا دعا الله وطلبه ولا امرا مرهوبا الا سأل الله وتعوذ به، وقد جمعت الدعوات المصطفوية مع الدعوات القرآنية وسميته بالحزب الاخيم والورد الاعظم (ويتضرع) أي بالاستكانة والتذلل عنده (ويخفي) أي الدعاء عن غيره (فوردا دعوا ربكم تضرعا وخفية) والقياس على الذ كر أولى لانه أحد أنواعه، وقد ورد (واذا كر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول) وفي الحديث «وخير الذ كر الخفي» (ويحقق الرجاء) أي في اجابة الدعاء لحديث «لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت

فورد «ادعوا الله واتم موقنون بالاجابة» ويلج فورد «ان الله يحب الملحين في الدعاء» وأقله الثلاث، ولا يستعجل فورد «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل» ولا يذكر الطاعة فهو يورث العجب

اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسألة فانه لا مكره له متفق عليه من حديث أبي هريرة وحديث «إذ ادعأ أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء» رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﴿فورد ادعوا الله واتم موقنون بالاجابة﴾ تمامه «واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل» الترمذى من حديث أبي هريرة وقال غريب والحاكم وقال مستقيم الاسناد وقال سفيان بن عيينة «لا يمتنع أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل أجاب دعاء أشرف الخلق ابليس إذ قال رب انظرنى إلى يوم يعثون قال انك من المنظرين» وما أحسن من قال من أهل الحال لو كان فيه خير لقال انظر إلى مكان انظرنى ﴿ويلج﴾ أى يكرر الدعاء ﴿فورد ان الله يحب الملحين في الدعاء﴾ الحكيم وابن عدى والبيهقى عن عائشة أمأماروى من حديث ان الله يفيض السائل الملحف فمحمول على سائل الخلق لمخالفته كلام الحق في مدح الصحابة لا يسألون الناس الحافا ﴿وأقله الثلاث﴾ فعن ابن مسعود كان عليه السلام إذا دعاد عائلاً ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً رواه مسلم وأصله متفق عليه ﴿ولا يستعجل﴾ بأن يستبطل الاجابة ﴿فورد يستجاب لأحدكم ما لم يعجل﴾ تمامه فيقول دعوت فلم يستجب لي متفق عليه من حديث أبي هريرة ، وقال بعضهم : انى أسأل الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما أجابنى وأنا ارجو الاجابة سألت الله ان يوقفنى لترك ما لا يعينى ، وقد ورد « اذا سأل أحدكم ربه مسألة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن ابطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال » البيهقى في الدعوات من حديث أبي هريرة والحاكم نحوه من حديث عائشة مختصراً باسناد ضعيف والبيهقى في كتاب الصفات من حديث حبيب بن أبى ثابت قال حدثنا شيخ لنا ان رسول الله ﷺ كان اذا جاءه شيء يكرهه قال الحمد لله على كل حال واذا جاءه شيء يعجبه قال الحمد لله المنعم المتفضل الذى بنعمته تتم الصالحات ، ﴿ولا يذكر الطاعة﴾ أى طاعته السابقة عند الدعوة ﴿فهو يورث العجب﴾ أى والمقام يقتضى المذلة وفيه نظر اذ جعله صاحب الحصن من آداب الدعاء تقديم عمل صالح كما في حديث أبى بكر رضى الله عنه في صلاة التوبة رواه الأربعة ، وكذا ذكر عمل صالح عند الشدة ويدل عليه

وَلَا الْمُعْصِيَةَ فَهُوَ يَنْفِي الْإِيْقَانَ وَقَدْ جَاءَ النَّذْرُ بِقِصَّةِ مَرْيَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا
وَالْاضْطِرَارُّ فُورِدَ (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) وَالْأَصْلُ التَّوْبَةُ. وَرَدَ الْمُظْلَمُ
وَتَوَجِيهِهِ أَلْهَمَهُ إِلَيْهِ تَعَالَى

حديث الشيخين عن ابن عمر مرفوعا قال «بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فقالوا إلى غار
في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأنطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض:
انظروا أعمالا علمتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال أحدهم، الحديث
الطويل ﴿ولا المعصية﴾ أى ولا يذكرها ﴿فهو ينفي الإيقان﴾ أى بالاجابة وان كان
في حين الامكان والأولى أن يذكرها ويتوب منها ويستغفر عنها ليكون ادعى الى
الاجابة كما ستأتى اليه الاشارة وقد تقدم أيضا في طى العبارة ﴿وقد جاء النذر﴾ أى فى
الكتاب والسنة فجازان يقول مثلاً ان استجاب الله دعائى فله على أن أصلى كذا وأصوم
كذا ونحو هذا ﴿بقصة مريم رضى الله عنها﴾ حيث قالت أمها حنة امرأة عمران : (رب
انى نذرت لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى انك أنت السميع العليم) الآيات، وحيث
قالت مريم انى نذرت للرحمن صوما ولقوله تعالى فى وصف الابرار : (يوفون بالنذر
ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)
الآيات ﴿والاضطرار﴾ عطف على الرجاء أى ويحقق الاضطرار وهو اظهار كمال
الاحتياج والافتقار ﴿فورداً من يجيب المضطر اذا دعاه﴾ وهو يعم الكفار ﴿والأصل﴾
أى فى قبول الاجابة ﴿التوبة﴾ أى حصولها بان يحتسب الحرام فى ما كله ومشربه وملبسه
ومكسبه لما رواه مسلم والترمذى عن أبى هريرة يرفعه «انه ذكر الرجل يطيل السفر اشعث
أغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فانى
يستجاب لذك» ﴿ورداً المظالم﴾ فانه من أركان التوبة وقال سفيان الثورى : بلغنى ان
بنى اسرائيل قطعوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال وكانوا
كذلك يخرجون الى الجبال يكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم لو
مشيتم إلى بأقدامكم حتى تحن ركبتكم وتباع أيديكم عنان السماء وتكل الستكم عن
الدعاء فانى لأجيب لكم داعيا ولا أرحم منكم با كيا حتى ترد المظالم إلى أهلها ففعلوا
فطروا من يومهم ﴿وتوجيه الهمة اليه تعالى﴾ أى تخليص قصد القلب إلى جانب
الرب وعدم الالتفات إلى ما سواه فى المطلب فان همة الرجال تهد الجبال بل هو من

فَالنَّافِعُ هُوَ الْحَاضِرُ إِذَا الْمَقْصُودُ الْإِنْسُ بِهِ تَعَالَى وَبِهِ يَرْجَى خَيْرُ الْخَاتِمَةِ
وَيَلَازِمُهُ فِي الرَّخَاءِ لِيَنْدَفِعَ الْبَلَاءُ، وَيَرْغَبُ فِي دُعَاءِ ذِي فَضِيلَةٍ دِينِيَّةٍ فَوْرِدَ «ثَلَاثَةٌ
لَا تَرُدُّ دَعْوَتَهُمْ» وَيَتَقَى دُعَاءُ الْمَظْلُومِ

أركان الدعاء قال تعالى : (فادعوا الله مخلصين له الدين) وقال : (فاذا ركبوا في الفلك
ادعوا الله مخلصين له الدين) (فالنافع) أى من الدعاء ولو من المأثور (هو الحضور)
أى مع الله في مجلس الانس والسورور (إذا المقصود الانس به تعالى) الموجب للنور
في الصدور وأما الحور والقصور وسائر أنواع الجبور فالالتفات إليها نوع من
التقصير والقصور (وبه) أى بالانس في حضرة القدس (يرجى خير الخاتمة)
اللاحقة التي مدارها على العناية السابقة كما يشير إليه قوله تعالى : (ان الذين سبقتم
منا الحسن) (ويلازمه) أى يلزم مطلق الدعاء (في الرخاء) أى في حال النعماء
والآلاء (ليندفع البلاء) أى في السراء والضراء فورد « من سره أن يستجيب الله له
عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء » الترمذي عن أبي هريرة . والحاكم عن
سلمان وقال : صحيح الاسناد، وروى البيهقي والطيب عن جابر مرفوعا « لقد بارك الله
في حاجة أكثر الدعاء فيها أعطيها أو منعهما » (ويرغب في دعاء ذي فضيلة دينية) أى
من العلماء الأعلام والمشايخ الكرام والامام العادل للانام (فورد ثلاثة لا ترد دعوتهم)
وتماه « الامام العادل . والصائم حتى يفطر . ودعوة المظلوم ، واليهيقي عن أبي هريرة
وثلاثة لا يرد الله دعوتهم اذا ذكر الله كثيرا والمظلوم والامام المقسط » وقد ثبت أنه عليه
السلام « قال لعمر بن اعتمر : شاركني في دعائك يا أخي » وروى مسلم من حديث عمر
« أنه قال لا ويس القرنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : يأتي عليكم أويس بن عامر
مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان فيه برص فبرئ منه الاموضع درهم له
والدة فهو لها برلو أقسم على الله لأبره فلو استطعت أن يستغفرك فافعل فاستغفر لي
فاستغفر له » (ويتقى دعاء المظلوم) فورد « اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام
يقول الله وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين » الطبراني في الكبير والضياء عن
خزيمة بن ثابت والحاكم عن ابن عمر ولفظه « اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء
كانها شرارة » وأحمد والطايعي من حديث أبي هريرة « دعوة المظلوم مستجابة وان
كان فاجرا فنجوره على نفسه » واسناده حسن والظاهر أن المراد بالفاجر الفاسق ويحتمل

وَلَا يَدْعُو عَلَى أَحَدٍ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ ﴿ وَمِنْهَا ﴾ التَّفَكُّرُ فُورِدَ « وَيَتَفَكَّرُونَ
فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » « تَفَكَّرُ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سِتِينَ سَنَةً » وَهُوَ
طَلَبُ الْمَعْرِفَةِ أَوَّلُهُ التَّذَكُّرُ وَهُوَ إِحْضَارُ الْقَلْبِ الْمَعَارِفَ

أن يكون المراد به الكافر لما في رواية دولو كان كافرا، رواه أحمد وأبو يعلى والضياء
عن أنس « اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا فإنه ليس دونها حجاب » ولا بن حبان من
حديث أبي ذر الغفاري قلت يا رسول الله « ما كانت صحف إبراهيم قال: كانت أمثالا
كلها يا أيها الملك المسلط المبلى المغرور أني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض
ولكن بعثتك لتردعني دعوة المظلوم فاني لا أردّها وإن كانت من كافر » (ولا يدعو
على أحد) لئلا يهلك بسبب دعائه أحد ولو كان ظالما لقوله تعالى: (فمن عفا وأصلح
 فأجره على الله) (فالكل مأثور) أي وعامله في كله مأجور (ومنها) أي من جملة
الأوراد (التفكير فورد ويتفكرون في خلق السموات والأرض) أي في مخلوقاتها
أو في كيفية إيجادها أو إبقائها بامدادها وعنه عليه السلام « ويل لمن قرأ هذه الآية
 ولم يتفكر » (تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة) ذكره الفاكهاني من كلام السري
 السقطي وقال: قال ابن عباس وأبو الدرداء « فكر ساعة خير من قيام ليلة » انتهى وأخرجه
الديلمي عن أنس وفي الجامع الصغير للسيوطي « فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة »
أبو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة ف قيل: هو الذي ينقل من المسكارة إلى الحجاب ومن
الرحب والرغبة إلى الزهد والقناعة ، وقيل هو الذي يحدث مشاهدتها نتيجة المراقبة
(وهو) أي التفكير (طلب المعرفة) بنظر الفكرة (أوله التذكّر) أي أول
التفكير تذكر مأنسى من جهة الغفلة (وهو) أي التذكّر (إحضار القلب) من
إضافة المصدر إلى فاعله (المعارف) أي معرفة نعمته الظاهرة والباطنة ، وأعلم أن
المواظبة على الأوراد هو الطريق إلى الله للعباد وخواصهم من الزهاد والعباد لأن
الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله عز وجل وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بان
يموت العبد بحب الله وعارفا بمولاه وإن المحبة والانس لا يحصل إلا من دوام ذكر المحبوب
والمواظبة على فكر المطلوب وإن المعرفة لا تحصل إلا بدوام الذكّر والتفكير فيه وفي صفاته
وأفعاله وليس في الوجود سوى ذاته وصفاته وأفعاله في مصنوعاته ثم لم يتيسر دوام الذكّر
المحبوب والفكر الابتوديع الدنيا وشهواتها والاكتفاء منها على قدر البلغة وضرورتها

وَجَدَّوَاهُ الْعِلْمُ وَهُوَ حُصُولُ الْمَعْرِفَةِ الْمُثْمَرُ لِلْحَالِ وَهُوَ تَأَثُّرُ الْقَلْبِ الْمُثْمَرُ

لِلْعَمَلِ وَهُوَ خِدْمَةُ الْجَوَارِحِ

وكل ذلك لا يتم الا باستغراق أوقات الليل وساعات النهار في وظائف الاذكار ووظائف الافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملالة لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذ اردت الى نمط واحد من الأفعال والأحوال أظهرت الملل والاستفقال، وقد ورد « ان الله تعالى لا يعمل حتى تملوا » فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت من اصل وفرع لتكثر بالاتقال لذتها وتغزر باللذة رغبته وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها، والله در القائل من ذوى الفضائل :

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة هـ الا التقل هذا الطبع للبشر

فاصله أصلا لا يتغير، واما الملائكة فهم لا يسأمون فكل جمع منهم على طاعة مستمرين، ولذا يقسم الاوراد بقسمة مختلفة لاوقاتها وحالاتها والذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الأوقات أو أكثر الحالات فان النفس بطبعها تميل الى ملاذ الدنيا والبطالات فان صرف العبد شطر اوقاته مثلا الى تديرات الدنيا وشهواتها والشطر الآخر الى العبادات وتحسين حالاتها رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها في الطبع والهوى اذ الوقتان متساويان فاني يتقاومان فالطبع لاحدهما مرجح لاحالة اذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويتباعدان عن طريق العقبي، فمن اراد أن يدخل الجنة بغير المحاسبة فليستغرق اوقاته في الطاعة قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْتَرْقِبْ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَعَذَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وورد « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » وقال عز وعلا : (كَفَىٰ يَنفُسَكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) ومن اراد ان ترجح كفة حسناته ويشل ميزان خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامر به خطر ومقتطع ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله تعالى منتظر متوقع فعسى الله أن يغفر له بجوده وكرمه ولطفه وحلمه (وجدواه العلم) أي ثمرة الفكر وفائدته ونتيجته ثلاثة مترتبة وهي العلم والحال والعمل هذا معنى قوله (وهو) أي العلم (حصول المعرفة المثمر للحال وهو) أي الحال (تآثر القلب المثمر للعمل وهو) أي العمل (خدمة الجوارح) أي الأعضاء

وَجَرَاهُ إِمَّا الْمَعَامِلَةَ وَحَقُّهُ أَنْ يَبْدَأَ فِي مَعَاصِيهِ الظَّاهِرَةِ هَلْ هَذَا مُحْظُورٌ ثُمَّ
 هَلْ يُوجَدُ فِيهِ، ثُمَّ مَا التَّدْبِيرُ فِي دَفْعِهِ، ثُمَّ فِي طَاعَتِهِ هَلْ هَذَا مَنْدُوبٌ ثُمَّ هَلْ هَذَا
 مَقْدُورٌ ثُمَّ فِي الْبَاطِنِ كَذَلِكَ، وَإِمَّا الْمُكَاشَفَةَ فَهُوَ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا
 وَمَلَكَوَتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَمَّا الذَّاتُ الْمُقَدَّسَةُ فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِالذِّكْرِ

في الطاعة ، وتوضيحه ان ثمره الفكر ثلاثة العلم والحال والعمل ولكن ثمرته الخاصة هي
 العلم نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغير عمل الجوارح
 فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم تابع للفكر فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح
 للخيرات ، وهذا يكشف لك عن فضيلة الفكر وانه خير من الذكر لان في الفكر ذكر
 وزيادة، وذكر القلب خير من عمل الاركان (وَجَرَاهُ) أي يجري التفكير ومسراه
 شيثان (اما المعاملة) وهو مبدأ السلوك في طريق المجاملة (وحقه) أي حق التفكير
 في المعاملة الظاهرة (أن يبدأ) أي يتبدى بالنظر والتأمل (في معاصيه الظاهرة)
 واحدا بعد واحد ويتفكر في كل (هل هذا محظور) أي حرام او مكروه (ثم هل
 يوجد فيه) أي المحظور المذكور (ثم ما التدبير في دفعه) بالسعي المشكور (ثم في
 طاعته) أي وبعد ذلك يتفكر في أنواع طاعته الظاهرة ويتأمل في كل فرد منها (هل
 هذا مندوب) أي مستحب أو سنة مؤكدة او واجب أو فرض محتم (ثم هل هذا
 مقدور) أي مصور له بانه مستطيع في تحصيله من الزكاة والحج ونحوهما المستغنى عن
 تفصيله (ثم في الباطن كذلك) أي بعد ذلك يتفكر في المعاصي الباطنية من الاخلاق
 الرديئة والاحوال الدنية هل شيء منها يوجد فيه وما علاجه واخراجه حيث يدافع
 المقصود وينافيه؟ وكذا في الطاعات الباطنية من الشرائع المرضية والفضائل البهية نفيا
 وإثباتا (وأما المكاشفة) عطف على المعاملة أي وجره الأعلى الامور المكشوفة
 المتعلقة بالمولى (فهو) أي التفكير الموجب للمكاشفة انما هو (في اسمائه الحسنى وصفاته
 العلى) الواردة في الكتاب والسنة (وملكوت السموات والارض) أي وبواطنها
 المملوءة من العجائب والغرائب في الطول والعرض (أما الذات المقدسة فلا سبيل اليه
 الا بالذكر) لقوله تعالى : (ولا يحيطون به علما) وقال علي : كل ما خطر ببالك فانه
 وراء ذلك، وقال عز وجل : (ليس كمثل شيء) وقال بعضهم : كل اسم للتخلق الا اسم الله

فَوَرَدَ . لَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ وَالْعَقْلُ يَعْجِزُ عَنْهُ عَجَزَ الْخَفَاشِ عَنْ ضَوْءِ
النَّهَارِ، وَحَقَائِقِ الصِّفَاتِ كَذَلِكَ فَلَا يُطِيقُهُ إِلَّا الْخَوَاصُّ أَحْيَانًا وَلَا يَذْكُرُونَ
لِلْعَوَامِّ إِلَّا عَلَى قَدَرِ أَفْهَامِهِمْ، فَعَلَى الْعِبْدَانِ يُدِيمُ الْعِبَادَةَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لِتَحْصَلَ
مَحَبَّتُهُ تَعَالَى إِذْ هِيَ أَهَمُّ *

فانه مجرد التعلق ﴿ فورد لا تفكروا في ذات الله ﴾ ابن أبي شيبة في كتاب العرش عن ابن عباس
موقوفاً وأبو نعيم في الحلية عنه مرفوعاً بلفظ « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله »
ذكره الزركشي، وفي رواية « تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله » وهو موقوف
على ابن عباس وسنده جيد ذكره العسقلاني في فتح الباري في كتاب التوحيد وفي الجامع
الصغير للسيوطي « تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله فان بين السماء
السابعة الى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك » أبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس،
وفي رواية له عن أبي ذر بلفظ « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا » وله
أيضاً عن ابن عباس « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرُونَ قدره »
إيماء الى قوله تعالى : (وما قدر الله حق قدره) أى ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق
عظمته ، وفي رواية « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » أبو الشيخ والطبراني في
الأوسط وابن عدى والبيهقي عن ابن عمر وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس ولفظه « تفكروا في
خلق الله ولا تفكروا في الله » (والعقل يعجز عنه) أى عن ادراك ذاته سبحانه ﴿ عجز
الخفّاش عن ضوء النهار ﴾ أى لضعف بصر الخفّاش وقوة نور الشمس فهو عز وجل من
غاية نوره مخفي عن ظهوره، ومن هنا قيل : العجز عن درك الادراك ادراك ﴿ وحقائق
الصفات كذلك ﴾ أى لا يدرك كنهها هنالك ﴿ فلا يطيقه الا الخواص ﴾ من الانبياء وكل
الاولياء ﴿ أحياناً ﴾ فى اعلى مراتب مقامهم ﴿ ولا يذكرون للعوام الا على قدر افهامهم ﴾
لتقديمهم بتصورات أشكالهم وأمثالهم فى عقولهم وأوهامهم ﴿ فعلى العبد ﴾ السالك
طريق الارادة ﴿ أن يدوم العبادة ﴾ بالصلاة والتلاوة ﴿ ظاهراً وباطناً ﴾ بالذكر
والفكر ويترك المألوف والعادة ﴿ لتحصل محبته تعالى اذ هي أهم ﴾ من المطلوبات
وأتم من المقصودات وقد قال تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)
الآيات، وعن عائشة « من عوده الله عبادة فتر كما ملأ مقتته الله » رواه ابن السني في

فَإِنَّ النَّهَارَ يَشْتَغِلُ بَعْدَ الْفَجْرِ إِلَى الْإِشْرَاقِ لَازِمًا مَكَانَهُ إِلَّا أَنْ يَخَافَ الرِّيَاءَ
أَوَ التَّشْوِيشَ فَيَرْجِعُ وَيَلْزِمُ زَاوِيَةً فَكَانُوا يُبَالِغُونَ فِي رِعَايَتِهِ وَيَعْيُونَ الْمُتَكَلِّمَ
فِيهِ، وَوَرَدَ أَنَّهُ أَحَبُّ مَنْ عَتَقَ أَرْبَعَ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَعْدَ الْعَصْرِ إِلَى
الْمَغْرَبِ كَذَلِكَ، وَكَانَ تَعْظِيمُهُمْ إِيَّاهُ أَكْثَرَ

رياضة المتعبدين موقوفا عليها قال العراقي: وتحقيق هذا الخبر أنه مقتضى الله فتر للملاة
فلولا المقت والاباد ماسطت عليه الملاة (ففي النهار يشتغل) بالاذكار والافكار
(بعد الفجر) أي ظهور الصبح والاسفار (إلى الإشراق) أي طلوع الشمس
وضوء النهار لقوله تعالى: (يسبحن بالعيشى والإشراق) (لازما مكانه) وملازما
شأنه (الأن يخاف الرياء) في عبادة ربه سبحانه (أو التشويش) أي تشويش
الخاطر من الخلق المانع من الحضور مع الحق هنالك (فيرجع ويلزم زاوية) أي
معدة لذلك (فكانوا) أي السلف (يبالغون في رعايته) أي مراعاة هذا الوقت
(ويعيرون المتكلم فيه) أي بكلام الدنيا ويخوفونه بالمقت (وورد أنه) أي إحياءه
(أحب من عتق أربع رقاب من ولد إسماعيل) بفتح الواو واللام وبضم فسكون
أي أولاده واحفاده من العرب (وبعد العصر إلى المغرب كذلك) أي يشتغل بعد
أداء العصر إلى غروب الشمس كما ذكر هنالك، وأصل الحديث: «لأن أقدم مع قوم يذكرون
الله من صلاة الغدوة حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن يعتق أربعة من ولد إسماعيل
ولأن أقدم مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس أحب إلى من أن
أعتق أربعة من ولد إسماعيل» أبو داود بسند حسن عن أنس وفي رواية له: «لأن أقعد في
مجلس ذكر الله من صلاة الغدوة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن يعتق أربعة رقاب»
وروى أحمد . ومسلم . والترمذي . والنسائي . وابن ماجه عن جابر بن سمرة أنه عليه
السلام «كان إذا صلى الغدوة جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس» وفي رواية الترمذي
عن أنس «من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى
ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة تامة تامة» (وكان تعظيمهم) أي
السلف (إياه) أي ما بعد العصر (أكثر) من تعظيم ما بعد الفجر أذ هو وقت
الغفلة وبعد وجود المعصية، والحديث والأعمال بالخواتيم، فينبغي قيامه بالاستغفار وودوامه

ورود (وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ
الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) (وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْأَبْكَارِ) « يَا بَنَ آدَمَ اذْكُرْنِي بَعْدَ
الْفَجْرِ سَاعَةً وَبَعْدَ الْعَصْرِ سَاعَةً أَكْفِكَ مِثْوَةَ مَا يَنْهَمَا » وَيَقْرَأُ الْمُسَبِّحَاتِ الْعَشْرَ
فِي الْوَقْتَيْنِ فَفِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ، وَكَذَلِكَ مَا بَيْنَ الْأَشْرَاقِ

بالاذكار والافكار ومحاسبة ما جرى له من اعمال الفجار ، فعن الحسن كانوا أشد
تعظيماً للعشي منهم لأول النهار، وقال بعض السلف : كانوا يعملون أول النهار للدنيا
وآخره للعقب فليشكر الله على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره فليشتغل بتدارك تقصيره
في أمره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له انتهاء تغرب فيه شمس الحياة ولا يكون له
بعدها طلوع وابتداء وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الاياما
معدودة تقضى لاحالة جهلتها بانقضاء آحادها المحدودة (وورد) في تخصيص فضل
هذين الوقتين (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً) أي صباحاً وعشيّاً (وسبح بحمد
ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وقال تعالى : (واذكر ربك كثيراً) (وسبح
بالعشي والابكار) أي اطراف النهار (يا بن آدم اذكرني بعد) صلاة (الفجر
ساعة وبعد) صلاة (العصر ساعة اكفك مِثْوَةَ مَا يَنْهَمَا) ابن المبارك في الزهد
هكذا مرسل عن الحسن (ويقرأ المسبحات العشر) فانه المستغاث للعصر (في
الوقتَيْن) المذكورين (ففيه فضل كثير) كما ذكره في الاحياء لكن قال العراقي:
حديث كرز بن وبرة عن رجل من أهل الشام عن ابراهيم التيمي أن الخضر عليه المسبحات
العشر وقال في آخرها اعطانيها محمد ﷺ ليس له أصل ولم يصح في حديث قط اجتماع
الخضر بالنبي ﷺ ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا مماته انتهى ، والعشرة هي فاتحة
الكتاب والكافرون والاعمال والمعوذتان وآية الكرسي والصلاة على النبي عليه السلام
واللهم اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واللهم اقبلني وبهم عاجلاً وآجلاً
في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل انك
غفور حلیم جواد كريم رؤوف رحيم كل واحدة من العشرة يقرأها سبع مرات
(و كذلك) أي يشتغل بالعبادة (ما بين الاشرار) وهو أول طلوع الشمس

وَالضَّحَىٰ إِنْ كَانَ مُتَجَرِّدًا لَهَا يَشْتَغِلُ بِمَا سَبَقَ مِنَ الْعِبَادَاتِ يَنْتَقِلُ مِنْ نَوْعِ عِبَادَةٍ إِلَىٰ أُخْرَىٰ عَلَىٰ حَسَبِ صَلَاحِ قَلْبِهِ قَطْعًا لِللَّيْلَةِ، وَالْأَفْضَلُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي قِيَامِ الصَّلَاةِ مُتَدَبِّرًا فِيهِ الصَّلَاةُ وَالتَّلَاوَةُ وَالتَّعْلُمُ وَالْحُضُورُ وَالذِّكْرُ وَبِغَيْرِهِ كَعِبَادَةِ الْمَرِيضِ وَتَشْيِيعِ الْجَنَازَةِ وَإِعَانَةِ الْمُسْلِمِ.

(والضحى) وهو الضحوة الكبرى وهو الربع بالتخمين الاخرى ثم فيه تفصيل بالنسبة الى اهل الارادة (ان كان متجردا لها) أى للعبادة (يشغل بما سبق من العبادات) يعنى التلاوة والذكر والفكر والصلاة ونحوها من الطاعات (ينتقل) حال أو بدل اشتغال أو بيان انتقال (من نوع عبادة الى أخرى على حسب صلاح قلبه) فيما يراه حينئذ أولى وأخرى في الدنيا والأخرى وانما ينتقل في تلك الحالة (قطعا لليلة) ودفعاً للكسالة ورفعاً للبطالة فورد عليكم من الاعمال ما يطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا الطبراني عن عمران بن حصين فقد كان في الصحابة من ورده في اليوم اثني عشر ألف تسيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة الى ستمائة الى ألف ركعة، وقل ما نقل في أورادهم في الصلاة مائة ركعة في اليوم واليلة، وكان بعضهم أكثر ورده القرآن فيختم في اليوم مرتين أو مرة وكان بعضهم يقضى اليوم واليلة في التفكير وفي آية واحدة، وكان كرز بن وبرة مقبلاً بمكة يطوف في كل يوم سبعين أسبوعاً وفي كل ليلة سبعين أسبوعاً وكان مع ذلك يختم القرآن في اليوم واليلة مرتين فحسب ذلك مكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فذلك مائتان وثمانون ركعة وختمتان (والأفضل قراءة القرآن في قيام الصلاة متدبراً) أى ليلاً ونهاراً (ففيه) أى في جميع ما يحصل (الصلاة والتلاوة والتعلم) أى تفهم المبنى وتصور المعنى (والحضور) أى مع المولى (والذكر) أى وانواع الذكروا صناف الفكر في الهيئات المختلفة والحالات المؤتلفة، وهذا في حق المنتهى وأما المبتدى فحقه دوام الذكر المجرد أفضل والقراءة بالنسبة الى المتوسط أمثل على ما قاله العارف السهروردي في المعارف (وبغيره) أى ويشغل بغير ما سبق أيضاً من الحسنات (كعبادة المريض) لاسيما الفقير والغريب (وتشييع الجنابة) خصوصاً للعلماء والأولياء (واعانة المسلم)

وَحُضُورُ مَجْلِسِ الْعِلْمِ فِي عِبَادَاتٍ وَكَانُوا يَفْعَلُونَهَا مَا بَيْنَ الْأَشْرَاقِ وَالضُّحَى
وَأَنْ لَمْ يَكُنْ مُتَجَرِّدًا فَالْعَالَمُ أَوْ الْمُتَعَلِّمُ يَشْتَغِلُ بِالْعِلْمِ فَوَرَدَ «إِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ
رُكْعَةٍ وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ وَعِيَادَةِ أَلْفِ مَرِيضٍ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» غَيْرَ أَنَّ الْمُرَادَ
بِالْعِلْمِ عِلْمُ الْآخِرَةِ لِمَا سَبَقَ فَيَتَفَكَّرُ فِي حَلِّ الْمَشْكِلِ بَعْدَ الْأَشْرَاقِ فَالْقَلْبُ فِيهِ
أَصْنَى لِكَوْنِهِ بَعْدَ الذِّكْرِ قَبْلَ عَمَلِ الدُّنْيَا وَالْمُشْتَغَلُ بِأُمُورِ النَّاسِ كَالْقَاضِي
وَالْوَالِي أَوْ أَمُورِهِ كَالْكَاسِبِ يَشْتَغِلُ بِتِلْكَ الْأُمُورِ مُرَاعِيًا شُرُوطَهَا

وَإِغَاثَتُهُ فِي الْأَمْرِ الْمُهْمِ ﴿ وَحُضُورُ مَجْلِسِ الْعِلْمِ فِي عِبَادَاتٍ ﴾ أَيُ عَظِيمَةٍ وَفِيهَا مَثُوبَاتُ
جَسِيمَةٍ (وَكَانُوا يَفْعَلُونَهَا مَا بَيْنَ الْأَشْرَاقِ وَالضُّحَى) هـ أَيُ فِي غَالِبِ أَحْيَانِهِمْ وَعَرَفَ
أَهْلُ زَمَانِهِمْ (وَأَنْ لَمْ يَكُنْ) هـ أَيُ السَّالِكِ (مُتَجَرِّدًا) هـ لِلْعِبَادَةِ (فَالْعَالَمُ أَوْ الْمُتَعَلِّمُ
يَشْتَغِلُ بِالْعِلْمِ) هـ أَيُ يَشْتَغِلُ بَتَعْلِيمِهِ وَتَعْلَمِهِ (فَوَرَدَ أَنَّهُ) * أَيُ الْإِشْتَغَالُ بِالْعِلْمِ
* (أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ أَلْفِ رُكْعَةٍ وَشُهُودِ أَلْفِ جَنَازَةٍ وَعِيَادَةِ أَلْفِ مَرِيضٍ وَقِرَاءَةِ
الْقُرْآنِ) هـ وَتَقَدَّمَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَا يَصِحُّ فَالْأَوَّلَى أَنْ يَسْتَدِلَّ بِنَحْوِ «فَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ
كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ» ثُمَّ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ إِنَّمَا تَعْدُ مِنَ الْعِبَادَةِ إِذَا كَانَتْ بِمَجْرَدِ تَلَاوَةٍ، أَمَّا
تَعْلَمُهُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْقِرَاءَةِ فَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْعُلُومِ فَإِنْ شَرَفَ الْعِلْمُ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ
﴿ غَيْرَ أَنَّ الْمُرَادَ ﴾ أَيُ الْمَقْصُودُ هُنَا ﴿ بِالْعِلْمِ عِلْمُ الْآخِرَةِ ﴾ أَيُ عِلْمُ نَبْعِ فِي الْآخِرَةِ
كَالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ الْفَاخِرَةِ (لِمَا سَبَقَ) هـ فِي الْمَقْدَمَةِ مِنْ تَقْسِيمِ عُلَمَاءِ الدُّنْيَا وَعُلَمَاءِ
الْآخِرَةِ وَأَنْ غَيْرَ عِلْمِ الْآخِرَةِ يَقْسَى الْقَلْبُ فَضْلًا عَنْ حُصُولِ الثَّوَابِ وَوُصُولِ الْقُرْبِ
* (فَيَتَفَكَّرُ) هـ أَيُ كُلِّ مِنَ الْعَالَمِ وَالْمُتَعَلِّمِ ﴿ فِي حَلِّ الْمَشْكِلِ بَعْدَ الْأَشْرَاقِ ﴾ أَوْ قَبْلَهُ بَعْدَ
إِدَاءِ الْفَجْرِ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ بِالِاتِّفَاقِ ﴿ فَالْقَلْبُ فِيهِ ﴾ أَيُ فِي صُدُورِ النَّهَارِ * (أَصْنَى) هـ أَيُ
أَبْعَدُ مِنَ الْأَكْدَارِ ﴿ لِكَوْنِهِ بَعْدَ الذِّكْرِ ﴾ أَيُ بَعْدَ وَقُوعِ الصَّلَاةِ وَالِإِذْكَارِ (قَبْلَ
عَمَلِ الدُّنْيَا) هـ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الدَّارِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْأَوْزَارِ، وَقَدْ وَرَدَ «اللَّهُمَّ
بَارِكْ لَامَتِي فِي بَكُورِهَا» (وَالْمُشْتَغَلُ بِأُمُورِ النَّاسِ) * أَيُ عُمُومِ الْمُسْلِمِينَ (كَالْقَاضِي
وَالْوَالِي) هـ وَهُوَ الْإِمَامُ وَالْمُتَوَلَّى وَكَذَا الْمُدْرِسُ وَالْمُقْتَى (أَوْ أَمُورِهِ) هـ أَيُ أُمُورِ
نَفْسِهِ (كَالْكَاسِبِ) هـ وَنَحْوِهِ * (يَشْتَغِلُ بِتِلْكَ الْأُمُورِ مُرَاعِيًا شُرُوطَهَا) هـ كَمَا هُوَ
الْمَشْهُورُ، وَقَدْ قِيلَ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يُوجَدَ الْمُؤْمِنُ إِلَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ مَسْجِدٍ يَعْمُرُهُ، أَوْ بَيْتِ

ذَا كَرَفَى أَثْنَاهَا مُحْضَرًا قَلْبَهُ قَاصِرًا كَسْبُهُ عَلَى الْحَاجَةِ إِلَّا لِلصَّدَقَةِ فَقِيلَ هُوَ أَحَبُّ مِنَ الذِّكْرِ لِأَنَّهُ مُتَعَدٍّ وَقِيلَ الذِّكْرُ وَالْأَوَّلَى النَّظَرُ إِلَى صَلَاحِ الْقَلْبِ وَيُدِيمُ الْوَرْدَ فُورَدَ «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» بَلْ يَزِيدُ فُورَدَ «لَا بُورُكَ لِي فِي يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ خَيْرًا» وَيَجْمَعُ بَيْنَ الصَّوْمِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِيَادَةِ وَالتَّشْيِيعِ فُورَدَ مِنْ جَمْعِهَا فِي يَوْمٍ غُفِرَ لَهُ أَوْ ادْخَلَ الْجَنَّةَ *

يُسْتَرَى أَوْ كَسِبَ لَا بَدَمَنَهُ فَيَحْضُرُهُ (ذَا كَرَفَى أَثْنَاهَا) هَلْ قَوْلُهُ تَعَالَى : (رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُ تِجَارَةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) الْآيَةُ (مُحْضَرًا قَلْبَهُ) مَرَاغِبًا رَبَّهُ (قَاصِرًا كَسْبَهُ عَلَى الْحَاجَةِ) أَيْ قَدَّرَ الضَّرُورَةَ لَهُ فِي أَمْرِ الْمَعِيشَةِ مِنَ النِّفْقَةِ (إِلَّا) أَيْ لَكِنَّهُ يَجُوزُ لَهُ الزِّيَادَةُ (لِلصَّدَقَةِ) هَلْ أَيْ لَا جُلَّ أَنْ يَتِمَّدَقَ عَلَى ذِي الْحَاجَةِ (فَقِيلَ هُوَ) هَلْ أَيْ الْكَسْبُ لِلتَّصَدُقِ (أَحَبُّ مِنَ الذِّكْرِ لِأَنَّهُ) أَيْ نَفَقَةُ التَّصَدُقِ (مُتَعَدٍّ) لِلغَيْرِ ، وَالذِّكْرُ قَاصِرُ ثَوَابِهِ عَلَى الذِّكْرِ (وَقِيلَ الذِّكْرُ) هُوَ الْأَفْضَلُ مِنَ التَّصَدُقِ وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ فَقَدْ وَرَدَ «لَوْ أَنَّ رَجُلًا يَقْسِمُ دِرَاهِمَ وَآخِرُ يَذْكُرُ لَكَانَ الذِّكْرُ أَفْضَلَ» وَلَقَوْلُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ «يَا طَالِبَ الدُّنْيَا لَبَرٌّ» تَرَكَكَ الدُّنْيَا أَبْرَهُ وَقَدْ اتَّفَقَ الْمَشَايِخُ عَلَى أَنَّ الْفَقِيرَ الصَّابِرَ أَفْضَلَ مِنَ الْغَنِيِّ الشَّاكِرِ (وَالْأَوَّلَى النَّظَرُ إِلَى صَلَاحِ الْقَلْبِ) أَيْ وَالْهَامُ الرَّبِّ فَقَدْ يَصْلَحُ لِلوَاحِدِ الْكَسْبُ لِلتَّصَدُقِ فَيَكُونُ أَوَّلَى فِي حَقِّهِ مِنَ الذِّكْرِ وَقَدْ يَصْلَحُ الذِّكْرُ لِلْآخِرِ فَيَكُونُ أَوَّلَى مِنَ الْكَسْبِ لِلتَّصَدُقِ ، وَيُشِيرُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : (أَنْ رَبُّكَ يَبْسُطَ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) وَحَدِيثُ «أَنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلَحُهُ إِلَّا الْغَنَى وَلَوْ أَفْقَرَتْهُ لَفَسَدَ حَالُهُ وَأَنْ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَا يَصْلَحُهُ إِلَّا الْفَقْرُ وَلَوْ أَغْنَيْتَهُ لَفَسَدَ حَالُهُ» وَمِنْ هُنَا قَالَتْ عُمَرَةُ الْفَقْرُ وَالْغَنَى مَطْيَانَانِ لَا أَبَالِي إِلَيْهِمَا أَرْكَبُ لَكِنْ الْفَقْرُ اسْلَمَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ (وَيُدِيمُ الْوَرْدَ فُورَدَ) أَحَبُّ الْأَعْمَالِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ (مُتَقًى عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ (بَلْ يَزِيدُ) أَيْ الْمُرِيدُ فِي الْوَرْدِ أَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَزِيدِ كَيْفًا وَكَيْفِيَّةً (فُورَدَ لَا بُورُكَ لِي فِي يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ خَيْرًا) أَيْ عَلِمَاؤُهُ وَعَمَلَاؤُهُ وَحَدِيثُ كَذَا فِي الْأَحْيَاءِ وَقَالَ الْعِرَاقِيُّ : وَرَدَ «عَلِمَاؤُهُ خَيْرًا» قُلْتُ وَأَصْلُ الْحَدِيثِ عَلَى مَا فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ وَأَذَا أَتَى عَلَى يَوْمٍ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عَلِمًا يَقْرُبُنِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَا بُورُكَ لِي فِي طُلُوعِ شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ. وَابْنُ عَدَى. وَأَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيقَةِ عَنْ عَائِشَةَ (وَيَجْمَعُ) فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ (بَيْنَ الصَّوْمِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِيَادَةِ وَالتَّشْيِيعِ) فُورَدَ مِنْ جَمْعِهَا فِي يَوْمٍ غُفِرَ لَهُ أَوْ ادْخَلَ الْجَنَّةَ (

أَمَّا فِي اللَّيْلِ فَالْأَحْوَطُ أَنْ يُؤْتَرَ قَبْلَ النَّوْمِ فَيَحْتَمِلُ أَنْ لَا يَسْتَيْقِظَ أَوْ يَكْرَهُ الْقِيَامَ وَلَوْ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ لَذَهَبَ بِهِ، وَفِيهِ قَصْرُ الْأَمَلِ، وَالْأَقْوَى أَنْ يُؤْخَرَ الْوُتْرُ لِمَنْ يَأْلَفُ الْقِيَامَ وَيَقْرَأُ يَسَّ وَسُجْدَةً وَلَقَامَانَ وَالدُّخَانَ وَالْمَلَكَ

شك من الراوى قال العراقى : حديث « من جمع بين صوم وصدقة وعبادة مريض وشهود جنازة غفر له » وفي رواية « دخل الجنة » مسلم من حديث أبى هريرة « ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة » انتهى، وفي الجامع الكبير للسيوطى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ذات يوم من أصبح اليوم منكم صائما قال أبو بكر انافال : من عاد منكم اليوم مريضاً قال أبو بكر انافال من شيع اليوم منكم جنازة قال أبو بكر انافال وجبت لك الجنة ، رواه البخارى وليس فيه ذكر الصدقة ولعله في رواية أخرى اوسقط من الكتاب ، وفي الجامع الصغير « من أصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا وشهد جنازة وتصدق بصدقة فقد أوجب » البيهقى عن أبى هريرة وفي رواية له ولا بن عدى والبخارى في تاريخه عن جابر « من أصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا واطعم مسكينا وشيع جنازة لم يتبعه ذنب أربعين سنة » (أما في الليل) أى في ورده (فالأحوط أن يؤتر) أى يصلى الوتر (قبل النوم فيحتمل أن لا يستيقظ) إذا النوم أخو الموت (أو) يستيقظ (ويكره القيام) لاستئصال المنام فيتركه (ولو أدركه الموت لذهب به) أى بالوتر فيكون آثما في القوت (وفيه) أى وفي تقديم العمل (قصر الأمل) وفي التأخير آفات لاحتمال قرب الاجل قال أبو هريرة : « أو صائى خليلي ان أوتر قبل ان انام » متفق عليه (والأقوى) أى الأفضل والأولى (ان يؤخر الوتر لمن يألف) أى يعتاد ويشق (القيام) بعد المنام وقد قالت عائشة « أوتر عليه السلام أول الليل وأوسطه وآخره » وانتهى في وتره الى السحر متفق عليه (ويقرأ يس) في كل ليلة والأفضل في التهجد ، فلا بن حبان من حديث جندب « من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له » ، ولا بن منصور الغزنوى من حديث علي « يا على أكثر من قراءة يس » الحديث (وسجدة) الأولى والسجدة فلتترمذى من حديث جابر « كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة . وتبارك الذى بيده الملك » (ولقمان) لم أجده وكذا فى الاحياء لم يذكره (والدخان) فلتترمذى من حديث أبى هريرة « من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » (والملك) وقد سبق ، ولا بن الشيخ فى الثواب من حديث عائشة « من قرأ في ليلة الم

وَالزُّمَرِ وَالْوَاقِعَةِ وَالْمُسَبِّحَاتِ السُّتِّ، وَيَنَامُ عِنْدَ الْغَلْبَةِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ، وَوَرَدَ
(كَأَنَّا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) وَلَا يُصَلِّي بَعْدَهَا فُورِدَ .

تنزيل . ويس . وتبارك الذي بيده الملك . واقتربت كن له نورا، الحديث ((و الزمر))
فللترمذى من حديث عائشة « كان لا ينام حتى يقرأ بنى اسرائيل والزمر » وقال: حسن
غريب ((و الواقعة)) فللحارث بن أبى أسامة من حديث ابن مسعود « من قرأ سورة
الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً)) (والمسبحات الست) أى السور المصدرة بالتسبيح
وهى الحديد . والحشر . والصف . والجمعة . والتغابن . والأعلى ، فللترمذى وقال
حسن . وأبى داود . والنسائى فى الكبرى من حديث عرابض بن سارية « كان يقرأ
المسبحات فى كل ليلة ويقول فيهن انها أفضل من ألف آية » ((و ينام)) أى بعد القيام
(عند الغلبة) أى غلبة النوم ((فهو المأثور)) فقد روى أبو داود والنسائى من
حديث عائشة « ما من امرئ تكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب له أجر
صلاته وكان نومه صدقة عليه ، وفرواية النسائى . وابن ماجه من حديث أبى الدرداء
بسنن صحيح « من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح
كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله ، ((وورد كانوا قليلا من الليل)) أى
من زمانه ((ما يهجعون)) أى الذى يرقدون فيه أو كانوا ما يرقدون قليلا من الليل
فاخر مراعاة للفواصل أو كانوا قليلا من عبادنا ما يرقدون من الليل أى بعضه أو كله ،
وقيل : ما زائدة ويهجعون خبر كان وقليلا ظرف أى ينامون فى زمن سير من الليل
ويقومون أكثره ، والآيات والخبار والآثار فى احياء الليل كثيرة شهيرة منها سورة
المزمل وقوله تعالى : ((تجافى جنوبهم عن المضاجع)) الآيات وفى الحديث « عليكم بقيام
الليل فانه دأب الصالحين قبلكم » الترمذى من حديث بلال . والطبرانى . واليهقى من
حديث أبى امامة بسند حسن ، وعن المغيرة بن شعبة « قام النبى ﷺ حتى اتفتحت قدماه
فقبل له : يا رسول الله قد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر فقال: أفلا أكون
عبدا شكورا » الترمذى فى الشمائل وأصله فى الصحيحين وذكر عنه رجل نام حتى أصبح
فقال ذاك بال الشيطان فى اذنه ، متفق عليه من حديث ابن مسعود ((ولا يصلى بعدها))
أى بعد غلبة النوم « (فورد) » حين قيل إن فلانة تصلى من الليل فاذا غلبها النوم تعلق

«لِيَصِلَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ مَا تَيْسَرُ فَآذَا غَلَبَهُ النَّوْمُ فَلْيَرْقُدْ» لَا تُكَابِدُوا اللَّيْلَ
وَفِيهِ التَّعَبُ عَلَى مَلَالٍ، وَجَاءَ أَثْمُهُ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِ، وَتَحْمِلُ مَا لَا يَطَاقُ وَوَرَدَ
«تَكْلَفُوا مِنَ الدِّينِ مَا تُطِيقُونَ» وَتَبْغِضُ الْعِبَادَةَ إِلَى النَّفْسِ، وَوَرَدَ «لَا تَبْغِضْ
إِلَيْكَ عِبَادَةَ اللَّهِ» *

بجبل هـ (ليصل أحدكم من الليل ما تيسر فإذا غلبه النوم فليرقد) هـ وقد ورد «قيامه عليه
السلام أول الليل إلى أن يغلبه النوم فإذا أتته قام فإذا غلبه النوم عاد إلى النوم فيكون
له في الليل نومتان» كذا في الأحياء قال العراقي : رواه أبو داود والترمذي وصححه
وابن ماجه من حديث أم سبله «كان يصلي وينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم
ينام قدر ما صلى حتى يصبح» وللبخاري من حديث ابن عباس «صلى العشاء ثم جاء فصلى
أربع ركعات ثم نام ثم قام» انتهى وفي الشمايل عن عائشة «كان إذا لم يصل بالليل منعه من
ذلك النوم أو غلبته عيناه صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة» وفي مسلم عنها أنه عليه السلام
«كان إذا نام من الليل من وجع أو غيره فلم يقم من الليل صلى اثنتي عشرة ركعة» أي
تدار كما لما فاتته من التهجد بقوله تعالى : (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن
أراد أن يذكر أو أراد شكورا) وفي صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : «من نام عن حظه من الليل أو عجز شيء منه فقرأ ما بين صلاة الفجر
وصلاة الظهر كان كمن قرأ من الليل» هـ (لا تكابدوا الليل) هـ أي لا تغالبوه فورد «أن
الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة
والروحة وشيء من الدلجة» البخاري والنسائي عن أبي هريرة «عليكم هديا قاصدا عليكم هديا
قاصدا عليكم هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه» أحمد والحاكم . والبيهقي هـ (وفيه) هـ
أي في التهجد بعد غلبة النوم هـ (التعب على ملال وجاء) هـ أي في ذممه هـ (أثم أكبر من نفعه) هـ
اذربما يجري على لسانه موجب ذمه وأثم هـ (وتحمل ما لا يطلق) هـ أي وفيه تكليف
ما لا يستطيع وقد قال تعالى : (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) هـ (ولا يكلف الله نفسا إلا
وسعها) (وورد تكلفوا من الدين) أي الأعمال (ماطيعون) فمن عمران
ابن حصين «عليكم من الأعمال ماطيعون فإن الله لا يمل حتى تملوا» الطبراني (وتبغض
العبادة) أي وفيه ابغاضها (إلى النفس) وفي نسخة بالنون والصاد المهملة أي
تمريرها إليها في شدة تكريرها (وورد لا تبغض) بالوجهين (إليك عبادة الله)

وَيَجْتَهِدُ فِي الْقِيَامِ فُورَدٌ (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا) «صَلَّ مِنْ اللَّيْلِ
وَلَوْ قَدَرَ حَلَبُ شَاةٍ» فَالْأَوَّلَى أَنْ يَقُومَ كُلَّ اللَّيْلِ وَهُوَ لِمَنْ تَجَرَّدَ لَهُ وَقَوَى يَقِينَهُ
فَيَتَلَذَّذُ بِهِ وَيَتَغَذَّى

لم أجده مبنى ويوافقه ما سبق معنى (و يجتهد في القيام) أى بعد المنام (فورد)
في نعت عباد الرحمن (والذين يبتغون لربهم سجدا وقياما) صل من الليل ولو قدر حلب
شاة (رواه أبو يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوعا نصفه ثلثه رבעه
فواق حلب ناقة فواق حلب شاة، ولأبي الوليد بن المغيث من رواية إياس بن معاوية
مرسلا لا بد من صلاة الليل ولو حلبه ناقة أو حلبه شاة) فالأولى أن يقوم كل
الليل (أى أن قدر عليه وفيه أنه بظاهره خلاف الكتاب والسنة ومناف لما تقتضيه
الحكمة في القرآن : (قم الليل الا قليلا) (ومن الليل فتهجد) وفي السنة أنى أنام وأقوم
وأفطر وأصوم ولم يحفظ عنه عليه السلام أنه سهر ليلة كاملة في جميع الايام واما الحكمة
فقد جعل الله النوم سبانا أى راحة للابدان ومن فيه على الانسان حيث قال : (ومن
رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)
(وهو) أى احياء الليل كله (لمن تجرد له) أى لقيامه ومنع النفس عن منامه أو
جعل المنام في نهاره بدلا عن قيامه في مرامه (وقوى يقينه) أى وصلب دينه
(فيتلذذ به ويتغذى) أى روحه بسببه فهو عليه شدة امره ويحول عليه مرارة صبره
ومن الأسباب المعينة على سهره خوف يغلب على قلبه مع قصر أمله يحثه على تكثير
عمله أو رجاء يحمله على تكلفه وتحمله كما قال طاوس : ان ذكر جهنم طير نوم العابدين
ويقابله ان ذكر الجنة طير نوم الراقيدين، وكما قال بعضهم اذا ذكرت النار اشتد خوفى
واذا ذكرت الجنة اشتد شوقى ، ولذى النون المصرى :

منع القرآن بوعده ووعيده * مقل العيون بليها ان تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه * فرقا بهم ذلت اليه تخضعا

ومن أشرف البواعث الحب لله فإنه في قيامه لا يتكلم في حرف من كلامه الا وهو
مناج به حضرة ربه وهو مطلم عليه مع مشاهدة ما خطر بقلبه فاذا كمل في محبة ربه
احب لاحالة الخلوة به وتلذ له المناجاة بسببه فتحمله تلك اللذة على طول القيام
ودفع المنام، وقال بعض الاعلام : ليس في الدنيا وقت يشبه نعم أهل الجنة الا ما يجده أهل

وهو محكى عن أربعين منهم، ثم النصف وواظب عليه من لا يحصى، ثم الثلث ثم السدس، والاحب أن يجعل في الجوف فورد رَكَعَتَانِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَافِيهَا لَوْلَا أَنِ اشْقَ

التلقى في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة، وقال آخر: لذة المناجاة ليست من الدنيا وإنما هي من الجنة أظهرها الله لاوليائه لا يجدها سواهم، وقال علي بن بكار: منذ أربعين سنة ما أحزنتني شيء سوى طلوع الفجر، وقال الفضيل: إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلقى برى وإذا طلعت حزنت لدخول الناس على، وقال أبو سليمان: أهل الليل في ليلهم أذن من أهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا، وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء المشاء ومنهم أبو حنيفة امام الفقهاء (وهو) أى قيام الليل كله (محكى عن أربعين منهم) أى من التابعين قال أبو طالب المسكى: إن ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من وازب عليه أربعين سنة منهم سعيد بن المسيب، وفضيل، وطاوس، ووهب ابن منه، والربيع بن خيثم، وأبو سليمان الداراني، والخواص، ومالك بن دينار، وسليمان التيمي، ويزيد الرقاشي، ويحيى البكا، ومحمد بن المنكدر، وكهس بن المنهال وكان يختم القرآن في الشهر تسعين ختمة ومالم يفهمه رجم، وهذا كاد أن يكون من قبيل خرق العادة من طى اللسان أو بسط الزمان والله المستعان (ثم النصف) أى يقوم نصف الليل (وواظب عليه) أى قيام النصف (من لا يحصى) من السلف (ثم الثلث ثم السدس) فعن عائشة «كان يقوم إذا سمع الصارخ»، يعنى الديك وهذا يكون السدس فما دونه والحديث متفق عليه، وفى الجملة ربما كان عليه السلام يقوم نصف الليل أو ثلثه أو سدسه ففى الصحيحين من حديث ابن عباس «نام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى اتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ، الحديث وهو المطابق لقوله سبحانه وتعالى: (قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه) والموافق لقوله تعالى: (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه) فما ثبت أنه قام الثلثين، ولانى داود «نام حتى إذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ» الحديث، ولمسلم من حديث عائشة «فبعثه الله ما يشاء أن يبعثه من الليل»، (والاحب أن يجعل) أى سهره (في الجوف) أى اوساط الليل (فورد رَكَعَتَانِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَافِيهَا لَوْلَا أَنِ اشْقَ

عَلَى أُمِّي لَفْرَضَتْهَا ۖ ثُمَّ رَكَعَتَانِ أَوْ أَرْبَعَ ثُمَّ أَحْيَاءَ مَا بَيْنَ الْعِشَاءِ وَالْقِيَامِ
 قَبْلَ الصُّبْحِ، وَرَوَى الْمَنَامُ كُلَّمَا غَلَبَ وَالْقِيَامُ كُلَّمَا اسْتَيْقَظَ وَهُوَ أَفْضَلُ لِأَنَّهُ أَشَقُّ
 وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يُكْثِرَ الْأَكْلَ فَهُوَ سَبَبٌ لِكَثْرَةِ الشُّرْبِ الْقَائِدِ إِلَى كَثْرَةِ النَّوْمِ

على أُمِّي لَفْرَضَتْهَا ۖ آدم بن أبي إياس في الثواب، ومحمد بن نصر المروزي في كتاب
 قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلًا ووصله أبو منصور الديلمي في مسند
 الفردوس من حديث ابن عمر قال العراقي : ولا يصح قلت : والضعيف يعمل به في
 الفضائل اتفاقاً ۖ (ثم) أي بعد السدس ۖ رَكَعَتَانِ أَوْ أَرْبَعَ ۖ وكان الأولى أن
 يقول أربع ركعات أو رَكَعَتَانِ وَلَوْ قَعُودًا فَقَدْ ثَبِتَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «مَامَاتِ حَتَّى كَانَ
 أَكْثَرُ صَلَاتِهِ مِنَ النَّوَافِلِ جُلُوسًا» ۖ (ثم أَحْيَاءَ مَا بَيْنَ الْعِشَاءِ) ۖ فقليل نزل : فيه قوله
 تعالى : (تَجَانِبْ جَنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) وعن محمد بن المنكدر «من صلى ما بين المغرب
 والعشاء، فإنها صلاة الاوابين» وعن أبي هريرة «من صلى بعد المغرب ستر ركعات لم يتكلم
 فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة» الترمذي وابن ماجه وفي مسند الفردوس
 من حديث ابن عباس «من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم أحدا رفعت
 له في عليين وكان كمن أدرك ليلة القدر في المسجد الأقصى، ولعل الجمع بين الروایتين
 أن الأربع يراد به المستحب بعد الدركتين من المؤكدة، وورد «من ركب عشر ركعات
 ما بين المغرب والعشاء بنى له قصر في الجنة فقال عمر : إذا تكثرت قصورنا يارسل الله
 فقال عليه السلام أكثر» رواه ابن المبارك في الزهد من رواية عبد الكريم بن الحارث
 مرسلًا، وقال الأسود : ما أتيت ابن مسعود في هذا الوقت الا ورايته يصلي فسألته فقال :
 نعم هي صلاة الغفلة وقال أحمد بن أبي الخوارى قلت لابي سليمان الداراني : أصوم
 النهار وأتعشى ما بين المغرب والعشاء احب اليك او أفطر بالهارواحى ما بينهما؟ فقال
 اجمع ما بينهما فقلت : لم يتيسر فقال : افطر وصل ما بينهما ۖ (والقيام قبل الصبح) أي
 ليترك احياء بعض الليل من أوله وآخره فقد ورد «من صلى العشاء في جماعة فكأنما
 قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله» أحمد. ومسلم عن عثمان
 ۖ (وروى) أي في الحديث ۖ المنام كلما غلب والقيام كلما استيقظ وهو افضل ۖ مما
 ذكر من التقديرات ۖ (لانه اشق) والحديث فيه قد سبق ۖ (والمعين عليه) أي على القيام
 تسعة أشياء ۖ (ان لا يكثر الاكل فهو سبب لكثرة الشرب القائد الى كثرة النوم) ۖ

وَلَا يَتَكَلَّفُ فِي أُمُورٍ تَعْنِي الْأَعْضَاءَ وَتُضَعِفُ الْأَعْصَابَ، وَيَقِيلُ وَلَا يَذْنُبُ فَهُوَ سَبَبُ الْحَرَمَانِ، وَيُفْرِغُ الْقَلْبَ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَيُلَازِمُ الْخَوْفَ مِنْهُ تَعَالَى وَمِنْ أَلِيمٍ عِقَابِهِ وَيَقْصُرُ الْأَمَلَ وَيَذْكُرُ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِهِ

وقد كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة لزيادة الفائدة في أمر الدين ويقول: يا معشر المريدين لاننا كلوا كثيرا فقتربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتحسروا عند الموت كثيرا ﴿ولا يتكلف﴾ بالنهار ﴿في أمور تعني﴾ بالنون من العناية أو بالياء من الاعياء أى تعب ﴿الأعضاء وتضعف الأعصاب﴾ الاجزاء ﴿ويقيل﴾ بفتح أوله من القيلولة فانها من السنن المنقولة، والمراد منها الاستراحة نصف النهار وان لم يكن منها نوم فورد « قيلوا فان الشياطين لا تقيل » الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب عن أنس، وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغتهم ولغوهم وهوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون ﴿ولا يذنب﴾ أى في النهار ﴿فهو﴾ أى الذنب والعصيان ﴿سبب الحرمان﴾ فينبغي أن يحتنب الاوزار بالنهار حتى يقوم بالليل مع الاررار قال رجل للحسن: يا أبا سعيد انى آيت معافى واحب قيام الليل واعد طهورى فابالى لا أقوم؟ قال: ذنوبك قيدتك وقال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب أذنبته قبل وما هو ذلك الذنب؟ قال رأيت رجلا بكى فقلت هذا مرأه، وقال أبو سليمان الداراني لا يفوت أحد صلاة جماعة الا بذنب قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد يجر الى الكثير فكما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة بل هذا هو الاكثر وهذه الأمور المذكورة من الأسباب الظاهرة التى بها تيسر قيام الليل، وأما الأسباب الباطنة فقولہ ﴿ويفرغ القلب من هموم الدنيا﴾ فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا تيسر له القيام بأمر العقبى وان قام في بعض أوقاته فلا يتفكر في صلاته الا في تفاريق مهماته، وفي مثل ذلك يقال: • وانت اذا استيقظت أيضا فئاتم • بخلاف العالم فان نومه عبادة ويقظته افادة وزيادة وكذا نوم الظالم عبادة ﴿ويلزم الخوف منه تعالى﴾ أى من مناقشة حسابه ﴿ومن أليم عقابه﴾ وحجابه من بابه ﴿ويقصر الأمل﴾ بان ينتظر الاجل ليكثر العمل ﴿ويذكر ما ورد في فضله﴾ أى فضيلة القيام من الآيات والاخبار

وَمَا وَعَدَ عَلَيْهِ، وَالْأَصْلُ مَحَبَّتُهُ تَعَالَى وَاسْتِحْكَامُ الْإِيمَانِ لِيَكُونَ مَتَغَذِّيًّا بِهِ
وِيرَاعِي فَوَاضِلَ اللَّيَالِي كَالْأَوْتَارِ مِنَ الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ رَمَضَانَ. وَالسَّابِعَةُ
عَشْرَ مِنْهُ وَالْأُولَى مِنَ الْمُحَرَّمِ وَالْعَاشِرَةُ مِنْهُ وَالْأُولَى مِنْ رَجَبٍ

عنه عليه السلام ﴿ وما وعد عليه ﴾ أى الله سبحانه من القرابة اليه والمثوبة لديه
﴿ والأصل ﴾ أى الذى عليه مدار الاسباب ﴿ محبته تعالى ﴾ والاقبال على المولى
والزهد فى الدنيا والاستعداد للعقبى ﴿ واستحكام الإيمان ﴾ أى بالعرفان والاتقان
﴿ ليكون متغذيا به ﴾ فى جميع الأزمان وكما أن للاشباح غذاء وعشاء فكذلك للارواح
غذاء ودواء فمن أيقن نزول رحمته وحصول مغفرته فى وقت السحر ونحوه لا يفوته
قيام الليل ولا فى سفره فقد روى النسائي عن حميد بن عبد الرحمن ، أن رجلا من أصحاب
النبي ﷺ قال : قلت وأنا فى سفر مع رسول الله ﷺ والله لأرى قن رسول الله ﷺ
فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال : (ربنا ما خلقت هذا باطلا)
حتى بلغ أنك لا تختلف الميعاد ، وفى رواية الى آخر السورة ثم استل من فراشه سواكا
وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام ، الحديث وفى رواية « أخذ سواكا من مؤخرة
الرحل » وهذا صريح فى أنه كان فى سفر ﴿ ويراعى فواضل الليالى كالأوتار من العشر
الآواخر من رمضان ﴾ اذ فيها تطلب ليلة القدر كما فى الاخبار الكثيرة والآثار
الشهيرة لاسيما السبع والعشرين فإن عليه أكثر الصحابة والتابعين ﴿ والسابعة عشر
منه ﴾ فعن ابن الزبير أنها ليلة القدر وهى ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم انقضى الجمعان
فيه كانت وقعة بدر ﴿ والأولى من المحرم ﴾ فانه الشهر المكرم ومبدأ العام المفخم
فاسرار البداية تدل على أنوار النهاية ﴿ والعاشرة منه ﴾ أى من المحرم وهى ليلة
عاشوراء ﴿ والأولى من رجب ﴾ وقد كان عليه السلام اذا رأى هلال رجب قال :
اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان وبلغنى أنه شهر الغفران ويقال فيه
سبعين مرة استغفر الله ذا الجلال والاكرام من جميع الذنوب والآثام ، ثم رأيت
الموتوفى قال وقد افاد صاحب ترغيب الطالب فى أشرف المطالب انه رأى بخط الشيخ
الحافظ كمال الدين الدميرى عن ابن عباس مرفوعا « من قال فى شهر رجب وشعبان
استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه توبة عبد ظالم لنفسه لا يملك
لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا سبع مرات أوحى الله تعالى الى الملكين

وَالْخَامِسَةَ عَشَرَ وَالسَّابِعَةَ عَشَرَ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ. وَالْخَامِسَةَ مِنْ شَعْبَانَ وَلَيْلَةَ
عَرَفَةَ وَالْعِيدَيْنِ وَالْأَيَّامِ كَالْعِيدِ وَالتَّشْرِيقِ وَمَا يَجِيءُ

المروكلين ان احرقا صحيفة ذنوبه ويكفيها في ثبوت وروده اعتناء الحافظ الدميري بنقله
بخطه ساكتا عنه ولو كان موضوعا ليلته فانه امام في هذا الفن واقل مراتبه أن يكون
ضميما والضعيف يعمل به في فضائل الاعمال اتفاقا ﴿ والخامسة عشر ﴾ وهي ليلة
الصف منه ﴿ والسابعة عشر والعشرين منه ﴾ وفي الاحياء وليلة سبع وعشرين منه
قال : وهي ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فورد للمعامل في هذه الليلة حسنة مائة سنة
فمن صلى اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن
ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله أكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي مائة مرة ويدعو لنفسه
بما شاء من أمر دينه وآخرته ويصبح ضامنا فان الله سبحانه يستجيب دعاءه كله إلا
أن يدعو في معصية قال العراقي : ذكر أبو موسى المديني في كتاب فضائل الليالي والايام
أن أبا محمد الخبازي رواه من طريق الحاكم أبي عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن
أبان عن أنس مرفوعا. ومحمد بن الفضل وأبان ضميغان جدا والحديث منكرو من جعلتها
حديث أبي هريرة « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا
وهو اليوم الذي هبط فيه جبريل على محمد ﷺ » أبو موسى المديني من رواية شربن
حوشب عنه ﴿ والخامسة عشر من شعبان ﴾ وفي الاحياء وأماليلة النصف من شعبان
فيصلي فيها مائة ركعة ويقرأ في كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات وفاتحة الكتاب
كانوا لا يتركونها فقال العراقي : حديث باطل نعم لابن ماجه من حديث علي اذا كانت
ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، وفي الآثار عن عمر أنه كان
يقول في ليلة النصف من شعبان : اللهم ان كنت كتبتني من السعداء فائتني وان
كنت كتبتني من الاشقياء فامح واكتبني في السعداء فانك تمحو ما تشاء وثبت وعندهك
أم الكتاب ﴿ وليلة عرفة ﴾ لم أجد له أصلا ﴿ والعيدين ﴾ أي وليتى العيدين
فقدروى « من أحيا ليلتى العيدين لم يموت قلبه يوم تموت القلوب » ابن ماجه باسناد
ضعيف من حديث أبي امامة ﴿ والايام ﴾ أي ويراعى فضائل الايام ﴿ كالعيد ﴾
أي يومي العيدين ﴿ والتشريق ﴾ أي ايامها ولو لم يكن في مني ﴿ وما يجيء ﴾ أي

ان شاء الله تعالى، والأفضل يوم الجمعة وليلته فلا يعطل عصر الخميس فهو
متبرك، ويستعد لصلاة الجمعة بغسل الثياب والأغتسال

في آخر الباب الثالث من الصوم ﴿ان شاء الله تعالى والأفضل يوم الجمعة وليلته﴾
وهو سيد الايام عند الملائكة كما ورد ويوم المزيد في الآخرة لزيادة حصول اللقاء
فيه لأهل الولاء، وورد «غير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة» مسلم عن أبي هريرة
«أن الله تعالى في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار» ابن عدى. وابن حبان في الضعفاء
والبيهقي في الشعب من حديث أنس، وقيل يوم عرفة أفضل، وقيل يوم الجمعة أفضل
أيام الاسبوع ويوم عرفة أفضل أيام السنة، وقد ورد «من مات يوم الجمعة أو ليلة
الجمعة كتب له أجر شهيد ووفى فنة القبر» أبو نعيم في الحلية من حديث جابر،
وللترمذي نحوه من حديث عبد الله بن عمرو. والحكيم في النوادر، وعن عائشة
مرفوعا «إذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة» ابن
حبان في الضعفاء وأبو نعيم وهو ضعيف ﴿فلا يعطل﴾ أى من الطاعة ﴿عصر الخميس
فهو متبرك﴾ أى بقربه ليلة الجمعة وكذا أوله متبرك فلا ين ماجه عن أبي هريرة والطبراني
في الأوسط عن عائشة مرفوعا «اللهم بارك لأمي في بكورها» يوم الخميس وفي رواية
قال عليه السلام: «اغدوا في طلب العلم فإني سألت ربي ان يبارك لأمي في بكورها يوم
الخميس» وأما ما اشتهر في هذا «اللهم بارك لأمي في سبثها وخيسها» فباطل لا اصل له
﴿ويستعد لصلاة الجمعة بغسل الثياب﴾ أى في أول النهار أو في يوم الخميس وهو الأولى
ليقدر على التكبير الأعلى ﴿والأغتسال﴾ وهو سنة مؤكدة للصلاة على الاصح ويشهد
له ماورد من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا، ابن حبان والبيهقي من
حديث ابن عمر، وقيل بوجوبه وهو ظاهر حديث «غسل الجمعة واجب على كل محتلم»،
متفق عليه من حديث أبي سعيد، وعن نافع عن ابن عمر «من أتى الجمعة فليغتسل»،
الشيخان. وابن حبان وقد قال عمر لعثمان لما دخل يخطب ما هذه الساعة؟ منكر اعليه ترك
البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضأت وخرجت فقال: والوضوء
وقد علمت ان رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل «متفق عليه من حديث أبي هريرة
وقد علم جواز ترك الغسل بماورد من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فالغسل
أفضل» أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث سمرة «وكان عليه السلام

وَالطَّبِيبُ. وَتَقْرِغِ الْقَلْبَ عَنِ الشَّوَاعِلِ، وَمَنْ ثُمَّ جَاءَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ
وَيَقْلُمَ الْأَظْفَارَ،

ربما اغتسل يوم الجمعة وبما ترك أحيانا الطبراني عن ابن عباس، وورد «رحم الله من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر» أصحاب السنن وحسنه الترمذي وابن حبان. والحاكم وصححه من حديث أوس بن أوس (والتطيب) أى استعمال الطيب المناسب له فورد «طيب الرجال مظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء مظهر لونه وخفى ريحه» أبو داود. والترمذي وحسنه. والنسائي من حديث أبي هريرة، وقال الشافعي رحمه الله: من نظف ثوبه قل هم ومن طاب ريحه زاد عقله، وورد «حقا على المسلمين أن يغتسلوا يوم الجمعة وليس أحدهم من طيب أهله فإن لم يجد فالماء له طيب» الترمذي عن البراء (وتقريغ القلب عن الشواعل) كاشير إليه قوله تعالى: (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) وفي معناه كل شاغل عنها ظاهرا وباطنا (ومن ثم جاء) أى من أجل تقريغ القلب ورد (أن يأتي أهله) أى يجامع قاصدا الجمعة امرأته أو أمته وحمل عليه رواية غسل بالتشديد أى حمل أهله على الغسل وقال العراقي: ومن اغتسل غسل الجنابة فليفيض الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة فإن اكتفى بغسل واحد جزأه وحصل له الفضل إذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في الجنابة انتهى، ولا يخفى أن تكرار الغسل من غير فصل بعبادة يعد من الاسراف فالأولى أن يغتسل واحدا ونويهما، وفي الأحياء ومن اغتسل ثم أحدث توشأ ولم يطل غسله والأحب أن يحتز عن ذلك انتهى، ولا يخفى أن هذا محمول على أن الغسل لليوم لا للصلاة (ويقلم الأظفار) أى في أول يوم الجمعة فعن ابن مسعود «من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء» وعن أبي هريرة أنه عليه السلام «كان يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يروح إلى الصلاة، البيهقي في الشعب وله أيضا من مرسل أبي جعفر الباقر قال «كان رسول الله ﷺ يستحب أن يأخذ من أظفاره وشاربه يوم الجمعة أو يوم الخميس إذا أراد التكبير» وسئل أحمد عنه؟ فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس وعنه يتخير قال المسقلاني: وهذا هو المعتمد أنه يستحب كيفما احتاج إليه وورده قصرا أظافر كمن الشيطان يجري ما بين اللحم والظفر، الخطيب في الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر، وقد جاء الأمر بتنظيف ما تحت الأظفار في

وَيَتَعَمَّمُ وَلَا يَرْكَبُ وَيُبَالِغُ فِي التَّبَكُّيرِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ

رواية الطبراني من حديث وابصة بن معبد « سألت النبي ﷺ عن كل شيء حتى سألت
عن الوسخ الذي يكون في الأظفار فقال: «دع ما يريك إلى ما لا يريك» ، وسنده ضعيف
وورد أنه عليه السلام «استبطأ الوحي فقبل له: يا رسول الله لقد أبطأ عنك جبريل فقال:
ولم لا يبطل عني وأنتم لا تستنون ولا تقلبون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون
رواجبكم ولا تغسلون براجمكم» ، أحمد من حديث ابن عباس «والرواجب رؤوس الأنامل
وما تحت الأظفار من الوسخ» ، والبراجم معاطف ظهور الأنامل ، قال الغزالي : ولم أر
في الكتب خبراً مروياً في ترتيب قلم الأظفار ولكن سمعت أنه روى عنه عليه السلام
أنه بدأ بالمسححة اليمنى وختم بابهامه اليمنى وأبدأ باليسرى بالخنصر إلى الإبهام وتعبه
العراقي : بقوله لم أجده أصلاً وقد أنكره أبو عبد الله المازني في الرد على الغزالي وشنع
عليه به قلت : لا تشنع عليه حيث أنه يبنى على ما ثبت لديه مع أنه نفي رؤية رواية خبر
مسند إليه ، والحاصل أن التقليم من باب التنظيف فهو وغيره من قص شاربه وتنف
الابطال وحلق العانة يقدم على الغسل (ويتعمم) فمن أتى الدرداء « أن الله وملائكته
يصلون على أصحاب العمام يوم الجمعة » الطبراني . وابن عدي ، وعن ابن عمر مرفوعاً
« صلاة بعمامة تعدل بخمس وعشرين وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة » وعن أنس
مرفوعاً « الصلاة في العمامة بعشرة آلاف حسنة ، الديلمي ، وحكم بعض الحفاظ بضعفه
بل بوضعه لكن في الجامع الصغير للسيوطي وقد التزم فيه أن لا يورده موضوعاً عن
ابن عمر برواية ابن عساكر « صلاة تطوع أو فريضة بعمامة تعدل خمساً وعشرين صلاة
بلا عمامة وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بلا عمامة » (ولا يركب) لأنه أقرب
إلى حسن الأدب والتواضع مع الرب ولظاهر قوله تعالى : (فاسعوا إلى ذكر الله)
ولأنه أشق والأجر على قدر المشقة والقياس على طريق الحج والعمرة (ويبالغ
في التبكير) ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وقيل بالاستواء (فهو المأثور)
أي صح فضل البكور فقد ورد « من راح إلى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب
بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما
قرب كبشا ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة
الخامسة فكأنما أهدى بيضة فإذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلام
 واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فأنما جاء لحق الصلاة

ليس له من الفضل شيء ، متفق عليه من حديث أبي هريرة إلا أن قوله : « ورفعت الاقلام » عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وذكر ابن مردويه في التفسير من حديث علي باسناد ضعيف ، إذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواءه بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة إلى المساجد التي تجتمع فيها يوم الجمعة وأقلاما من ذهب وصحفا من فضة يكتبون الأول فالأول على مراتبهم » وورد « أن الملائكة يفتقدون العبد إذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي أخره عن وقته فيقولون : اللهم إن كان أخره قفر أغثه وإن كان أخره مرض فاشفه وإن كان أخره شغل فافرغه لعبادتك وإن كان أخره هوا فاقبل بقلبه إلى طاعتك » البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند حسن ، ومن فوائد البكور عدم تخطي رقاب أهل الحضور فقد ورد « من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم » الترمذي . وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس ، وروى ابن جريج مراسلا « أن النبي ﷺ بينا هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم مجلس فلما قضى النبي ﷺ عارض الرجل حتى لقيه فقال : يا فلان ما منعك أن تجمع معنا اليوم ؟ فقال : يا نبي الله قد جمعت قال أو لم أرك تخطى رقاب الناس ، ابن المبارك في الرقائق ، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى أحبط عمله وقص أمه ، وفي حديث مسند أنه قال « ما منعك أن تصلي معنا ؟ قال : أو لم ترى ؟ قال : رأيتك أتيت وآذيت » أي تأخرت عن البكور وآذيت الحضور والحديث رواه أبو داود . والنسائي . وابن حبان . والحاكم من حديث عبد الله بن بسر مختصرا ، وقيل لبشر بن الحارث نراك تبرك وأصلي في آخر الصفوف فقال : إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد فأشار به إلى أن ذلك أسلم لقلبه وقيل لسفيان الثوري : ليس في الخبر أن فاستمع فقال : ويحك ذلك للخلفاء الراشدين فأما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر إليهم كان أقرب إلى الله تعالى ، وروى عن علي وعثمان رضي الله عنهما « من استمع وانصت فله أجران ومن لم يستمع وانصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزر ومن لم يستمع ولغا فعليه وزران » وورد حديث أبي هريرة « إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت » متفق عليه ولأبي داود من حديث علي « من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له » ، ولاحمد من حديث ابن عباس « والذي يقول له أنصت ليس له جمعة » وحديث أبي ذر « لما سأل أبا والنبي ﷺ يخطب وقال : متى أنزلت هذه السورة فأومأ إليه أن اسكت فلما نزل النبي ﷺ قال له أي : اذهب فلا جمعة لك فشكاه

وَيُصَلِّي قَبْلَ الْجُلُوسِ فِي الْجَامِعِ أَرْبَعًا بِالْإِخْلَاصِ خَمْسِينَ مَرَّةً فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَنِي الْكُلِّ فَضَائِلُ

أبوذر الى النبي عليه السلام فقال : صدق أبي واطع أياها البيهقي وقال في المعرفة اسناده صحيح ، ولابن ماجه من حديث جابر « ان السائل له أبو الدرداء وأبوذر » ولاحمد من حديث أبي الدرداء « انه سألايا » ولابن حبان من حديث جابر « ان السائل عبد الله ابن مسعود » ولأبي يعلى من حديث جابر « قال قال سعد بن أبي وقاص لرجل : لا جمعة لك فقال له النبي ﷺ لم يأسعد قال لانه كان يتكلم وأنت تخطب فقال : صدق سعد » (ويصلي قبل الجلوس في الجامع أربعا بالاخلاص) أي منضمة بقراءة الاخلاص (خمسين مرة) بعد الفاتحة (في كل ركعة) فقد نقل عن رسول الله ﷺ « ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له » كذا في الاحياء ، وقال العراقي : حديث « من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى أربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائة مرة ، الحديث رواه الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمرو قال : غريب جدا وفي نسخة بعد الحديث الدارقطني في غرائب مالك وقال : لا يصح (في الكل) أي في جميع ما سبق من الغسل الى هنا (فضائل) لارباب الشئائل ، وإذا فرغ من الجمعة قرأ الفاتحة سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا ، وروى عن بعض السلف « ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب أن يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدى يا معيد يا رحيم يا ودود اغني بحلالك عن حرامك وبفضلك عن سواك » كذا في الاحياء وسكت عنه العراقي وقد رأيت الحديث في الجامع الصغير مسندا الى ابن السني عن عائشة بلفظ « من قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبع مرات أعاده الله بها من السوء الى الجمعة الاخرى » فقال : من داوم هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما « انه كان عليه السلام يصلي بعد الجمعة ركعتين » متفق عليه ، وروى أبو هريرة « اربعا » رواه مسلم ، وروى علي وعبد الله « ستا » البيهقي موقوفا على علي وله موقوفا على ابن مسعود « اربعا » ، ولابن داود من حديث ابن عمر « قال اذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا » والكل صحيح في أحوال مختلفة والاكثر افضل

وَيَسْتَغْلِبُ بَعْدَ الْإِقَامَةِ صَلَاةَ جَنَازَةٍ أَوْ تَعْلَمُ أَوْ زِيَارَةَ أَخٍ فِيهِ تَعَالَى، فِيهَا فُسْرٌ مَا وَرَدَ (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) لَا بِاسْتِمَاعِ الْقَصَصِ فَهُوَ بَدْعٌ فَكَانُوا يُخْرِجُونَ الْقُصَاصَ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَيَرِاقِبُ السَّاعَةَ الْمَرْجُوءَةَ الْمَوْعُودَةَ فِيهَا بِالْإِجَابَةِ وَاخْتَلَفَ فِيهَا عَلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ وَالزَّوَالِ وَصُغُودِ الْإِمَامِ وَالْقِيَامِ لِلصَّلَاةِ وَمَتْنِهِ الْاسْتِجَابُ فِي الْعَصْرِ وَالْغُرُوبِ

(وَيَسْتَغْلِبُ بَعْدَ الْإِقَامَةِ) أى بعد فراغ إقامة صلاة الجمعة (صلاة جنازة أو تعلم) لعلوم شرعية (أو زيارة أخ فيه) أى في حبه (تعالى) شأنه (فيها) أى بمثلها (فسر) ما وردوا ابتغوا من فضل الله (قد قال أنس في قوله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) أما أنه ليس ابتغاء المعاش لطلب الدنيا لكن عيادة مريض أو شهود جنازة أو تعلم علم أو زيارة أخ في الله (لا باستماع القصص) أى من الأخبار التي بينت في التواريخ (فهو بدعة فكانوا) أى الصحابة (يخرجون القصاص من المسجد) فقد حضر ابن عمر في المسجد إلى مجلسه فإذا قاص يقص في موضعه فقال له قم عن مجلسي فقال: لا أقوم فقد جلست وسبقك فارسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة فأقامه من مجلسه ولو كان ذلك من السنة لم يستحل إقامته فقد قال عليه السلام كما في الصحيحين: «لا يقيم من أخاه أحدكم من مجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا» وكان ابن عمر إذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه يعود إليه، وروى «أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة فأرسلت إلى ابن عمر أن هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحي فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده» (ويراقب الساعة المرجوة الموعود فيها) أى في تلك الساعة (بالإجابة) أى غالباً في الخبر المشهور «أن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئاً إلا أعطاه إياه» الترمذي وحسنه، وابن ماجه من حديث عمرو بن عوف المزني وفي خبر آخره لا يصادفها عبد يصلي، متفق عليه من حديث أبي هريرة (واختلف فيها) أى في تعيين تلك الساعة (على طلوع الشمس) أى على أقوال قبل عند طلوع الشمس (والزوال) أى عنده أو بعده، وقبل بعد الأذان الأول (وصعود الإمام) أى على المنبر وقعوده (والقيام للصلاة) أى صلاة الجمعة كما بينا دللتها في شرح الحصن (ومتتهى الاستجباب في العصر) أى أوله أو آخره (والغروب) أى وقته فقيل: هي آخر ساعة

وَرَوَى فِيهِ رَعَايَةَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَرَوَاتُهَا تُؤَيِّدُ مَا رَوَى لَا يُوَافِقُهَا عَبْدُ
يُصَلِّي إِلَّا اسْتَجِيبَ لَهُ وَالْمِهْمَةُ كَلِيلَةُ الْقَدْرِ فَيَسْتَفْرِقُ الْيَوْمَ لِرَعَايَتِهِ، وَهُوَ أَصَوَّبُ

من يوم الجمعة وقبل ما بين العصر الى الغروب ((وروى فيه)) أى فى حين الغروب
أوفى ما ذكر من ما بين العصر والغروب والاول انسب لقوله ((رعاية فاطمة رضى الله
عنها)) وكانت ترويه عن أبيها عليه السلام ، وكانت توكل الخادم لتفقد هذا الوقت
لتقوم فى طلب المرام ، وفى رواية « تأمر خادمها ان ينظر الى الشمس فاذا تدلى جناحها
الى اسفل يؤذنها بسقوطها فآخذ فاطمة رضى الله عنها فى الدعاء والاستغفار الى
غروبها » قال العراقى : حديث فاطمة « فى ساعة الجمعة » رواه الدارقطنى فى العلل واليهيقي
فى الشعب وعليه الاختلاف ((وروايتها)) أى رواية رعايتها ((تؤيد ما روى
لا يوافقها)) أى الساعة ، وفى رواية « لا يصادفها » ((عبد)) أى مسلم ((يصلى)) أى
يدعو بقرينة قوله ((الا استجيب له)) وقد قال كعب الأحبار : « انها فى آخر ساعة
فى يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة : كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت
رسول الله ﷺ يقول : لا يوافقها عبد يصلى ولا تحين صلاة قال كعب : ألم يقل
رسول الله ﷺ : من قدم متظرا للصلاة فهو فى الصلاة ؟ قال بلى قال فذلك صلاة فسكت
أبو هريرة ، وكان كعب يقول الا ان هذه رحمة من الله تعالى للقائمين بحق اليوم
وان ارسلها بعد الفراغ من اتمام العمل كذا فى الاحياء وتعبه العراقى بان كعبا هو
القاتل ليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام واما كعب فانما قال انها فى كل سنة مرة
ثم رجع ، والحديث رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان من حديث أبى هريرة
ولابن ماجه نحوه من حديث عبد الله بن سلام انتهى وروى اليهقى فى الشعب عن فاطمة
مرفوعا « ان فى الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا أعطاه اياه اذا
تدلى نصف الشمس للغروب » هكذا رأيت فى هامش نسخة والله أعلم ((والمهمة كليلة
القدر)) وكالصلاة الوسطى والاسم الاعظم ((فيستغرق اليوم لرعايته)) أى مراعاة
ادراكها ((وهو)) أى الابهام ((اصوب)) وفى الاحياء قيل انها تنتقل فى ساعات الجمعة
كتنقل ليلة القدر وهو الاشبه ، وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره لكن ينبغى ان يصدق
بما قال عليه السلام « ان لربكم فى ايام دهركم فتحات ألا فعرضوا لها ، ويوم الجمعة من
جملة تلك الايام فينبغى للعبد فى جميع نهاره ان يتعرض لها باحضار القلب وملازمة ذكر

وَيُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الرب والنزوع من وساوس الدنيا وهو اجس النفس والهوى ففساه ان يحظى بشيء من تلك النفحات انتهى، والحديث رواه الترمذى والحكيم فى النوادر والطبرانى فى الاوسط من حديث محمد بن مسلمة ، ولابن عبد البر فى التمهيد نحوه من حديث أنس ، ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الفرج من حديث أبى هريرة ((ويكثر الصلاة عليه عليه السلام)) أى فى يوم الجمعة وليلتها فقد ورد اكثر الصلاة على فى الليلة الغرام واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض على ، اليهقى عن أبى هريرة . وابن عدى عن أنس ، وفى رواية البيهقى عن أنس ، اكثر واكثر من الصلاة على فى يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيامة ، وفى رواية ابن ماجه عن أبى الدرداء ، اكثر واكثر من الصلاة على يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهد الملائكة وان أحدا لن يصلى على الا عرضت على صلاته حين يفرغ منها ، وفى رواية للبيهقى عن أبى امامة « اكثر واكثر من الصلاة على فى كل جمعة فان صلاة أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم على صلاة كان أقربهم منى منزلة » و كانوا يصلون على النبي ﷺ ألف مرة ويقولون : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ألف مرة ، وروى من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة قيل : يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال : تقول اللهم صل على عبدك ونيك ورسولك النبي الامى وتعقد واحدة ، الدار قطنى من رواية ابن المسيب قال : اظنه عن أبى هريرة وقال حديث غريب ، وقال ابن النعمان : حديث حسن وفى الاحياء وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضا ولحقه اداء واعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه أفضل ما جزيت نبياعن امته وصل عليه وعلى جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين يقول هذا سبع مرات فقد قيل : من قالها سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته وان اراد ان يزيد أى بالصلاة الماثورة فيقول : اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامى بركاتك وشرائع زكواتك ورافتك ورحمتك وتحياتك على محمد رسولك سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين وقائد الخير وفتاح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه فيغبطه به الأولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشائخة المنبئة اللهم اعط محمدًا سؤله وبلغه مأموله واجعله

وَقَرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَيَتَصَدَّقُ بِشَيْئَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ، وَيُصَلِّيُ صَلَاةَ التَّسْبِيحِ، وَفِي الْكُلِّ

أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وتقل ميزانه وأباج حجته وارفع في اعلى درجات المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرة واجعلنا من أهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين يارب العالمين « ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي ﷺ من حديث ابن مسعود بسند ضعيف، ووقفه ابن ماجه على ابن مسعود ((وقراءة القرآن)) اى يكثرها فيه فيقرأ سورة الكهف خاصة فمن ابى سعيد من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نوراً من حيث يقرأ الى مكة وغفر له من الجمعة الى الجمعة وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ويمسى وعوفي من الداء والديلة [اى الداهية] وذات الجنب والجذام والبرص وقتة الدجال « رواه البيهقي ((ويتصدق)) أى يوم الجمعة في غير الجامع أو لغير السائل فيه فقد قال ابن مسعود: اذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى ((بشيئين مختلفين)) كدرهم ودينار أو ثوب وقرص أو خبز وادام أو فاكهتين مختلفتين ، فعن كعب الأحبار « من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع وركرم ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول : اللهم انى أسئلك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله شيئاً الا أعطاه » وفى رواية ابن حبان عن أنس هريرة مرفوعاً « من انفق زوجين من شيء من الأشياء فى سبيل الله دعى من أبو اب الجنة هذا خير وللجنة أبواب » الحديث، ورواه الخطيب عن أنس بلفظه ما من مسلم ينفق زوجين فى سبيل الله عز وجل الا ادعته الجنة هلم هلم ، ولا يخفى ان المتبادر من الزوجين ان يكون الشيئان متفقين لا مختلفين كدرهمين ودينارين وثنيتين ، وعن بعض السلف من اطعم مسكيناً يوم الجمعة ثم غداً وابتكر ولم يؤذ احدائهم يقول حين يسلم الامام : بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم اسألك ان تغفرلى وترحنى وتعافينى من النار ثم دعا بما بدأله استجيب له ((ويصل)) أى يوم الجمعة ((صلاة التسبيح)) وقد بسطت الكلام عليها فى شرح الحصن رواية ودراية وعلماء وعملا وقد علمها عليه السلام لعنه العباس وقال له: صلها فى كل جمعة الحديث أبو داود. وابن ماجه. وابن خزيمة. والحاكم من حديث ابن عباس وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال ((وفى الكل)) أى

فَضَائِلُ وَجَاءَ قِرَاءَةُ نِيسَ وَالسَّجْدَةِ وَالدُّخَانَ وَالْمَلِكُ وَالْمُسَبَّحَاتِ السَّتِّ وَالْأَكْثَارُ
بِالْإِخْلَاصِ فَقَرَأَتْهَا أَلْفَ مَرَّةٍ فِي عَشْرٍ كَعَاتٍ أَوْ عَشْرِينَ أَفْضَلَ مِنْ الْحَتْمِ وَلَا
يُخْصَهُ بِالصَّوْمِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ فَهُوَ مِنْهُ غَنَى وَيَحَافِظُ عَلَى الرَّوَاتِبِ وَسَائِرِ السَّنَنِ

في جميع ما تقدم ((فضائل)) أى واردة عن اصحاب الشرائع ((وجاء قراءة نيس والسجدة
والدخان والملك)) أى فى ليلة الجمعة وقد سبق بيانها وبرهانها ((والمسبحات الست))
أى المتقدم شأنها ((والاكثر بالاخلاص)) أى بقراءة سورة الاخلاص ((فقرأتها
ألف مرة فى عشر ركعات أو عشرين افضل من الحتم)) أى ختم القرآن بدونها وفى
غير الصلاة ، وهذا لم أجده مروي لكن ورد « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد
اشتري نفسه من الله ، الخرائط فى فوائده عن حذيفة ، وأما حديث رقل هو الله أحد تعدل
ثلاث القرآن » فرواه مالك وأحمد والبخارى وأبو داود والنسائى عن أنى سعيد
وجامعة عن جماعة كاد أن يكون متواترا ، وفى الاحياء الاحسن أن يجعل وقته للصلاة
الى الزوال وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعد العصر الى المغرب للتسبيح
والاستغفار وسائر الاذكار وينبغى ان يلزم المسجد حتى يصلى العصر فان وقف
الى المغرب فهو افضل ، ويقال : من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى
المغرب فله ثواب حجة وعمره فالزم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق
الى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يعنى فالأفضل ان يرجع الى بيته ذاكر الله تعالى
مفسكرا فى آلائه شاكر الله على نعمائه من جعلها توفيقه للطاعة خاتما من تقصيره
مراقبا لقلبه واسانه الى غروب الشمس حتى لا تقوته الساعة الشريفة فلا ينبغى فى الجامع
وغيره من المساجد التكلم بحديث الدنيا فانه عليه السلام « قال يأتى على الناس زمان يكون
حديثهم فى مساجدهم بأمور دنياهم ليس لله عز وجل فيهم حاجة فلا تجالسوهم ، اليهقى
فى الشعب من حديث الحسن مرسل واستدله الحاكم من حديث أنس وصححه ، ولا بن
حبان من حديث ابن مسعود ونحوه)) ولا يخص بالصوم وقيام الليل فهو ((أى
التخصيص)) (منهى عنه) روى مسلم عن أبى هريرة « لا تنصوا ليلة الجمعة بقيام من
بين الليالى ولا تنصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام الا ان يكون فى صوم يصومه
أحدكم » وفى رواية أحمد عن أبى هريرة « لا تنصوا يوم الجمعة الا قبله يوم أو بعده يوم ،
(ويحافظ على الرواتب) أى السنن المؤكدة بعد الفرائض وقبلها (وسائر السنن)

كَالتَّهَجُّدِ الضَّحَىٰ وَإِحْيَاءِ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ، وَالْعِيدِ وَيُسْتَعْدَلُ كَالْجَمْعَةِ وَيَرْجِعُ
 مِنَ الْمُصَلَّى فِي غَيْرِ طَرِيقِ الذَّهَابِ فَهُوَ مَرْوِيٌّ، وَالتَّرَاوِيحُ وَيَخْتَمُّ فِيهِ فَهُوَ مَأْثُورٌ
 وَيَخْتَارُ الْإِنْفِرَادُ إِنْ خَافَ الرِّيَاءَ، وَالْجَمَاعَةُ إِنْ خَافَ الْكَسَلَ

أي المستحبة ((كالتَّهَجُّدِ)) في الليل ((والضَّحَى)) في النهار ركعتين أو أربعاً أو ستاً أو
 ثمانية أو اثني عشر، فوردانه عليه السلام «ثان إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى
 ركعتين وإذا انبسطت وكانت في ربيع النهار من جانب المشرق صلى أربعاً أو ثمانياً أو
 والنسائي. وابن ماجه من حديث علي ((وإحياء ما بين العشاءين)) أي بالعبادة أو بعشرين
 ركعة أو ست ركعات مطلقاً في الكل فضائل وبعضها تقدم ((والعيد)) أي ويراعي
 عيد فطر أو أضحي بالتكبير ونحوه ((ويستعدله كالجمعة)) من الغسل والتزين والتطيب
 ((ويرجع من المصلي)) أي مصلي العيد حالة الإياب ((في غير طريق الذهاب فهو
 مروي)) أي من فعله عليه السلام رواه مسلم ((والتراويح)) أي ويراعيا وهي
 عشرون ركعة وأداؤها سنة مؤكدة ((ويختم فيه فهو مأثور)) أي عن الصحابة
 ((ويختار الانفراد)) عن الجماعة ((ان خاف الرياء والجماعة)) أي ويختارها ((ان
 خاف الكسل)) وقيل الانفراد أفضل لقوله عليه السلام: «فضل صلاة التطوع في
 بيته على صلاته في المسجد كفضل الصلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت»،
 آدم بن إياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلًا، ورواه ابن أبي
 شيبة في المصنف لجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي ﷺ موقوفاً.
 وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت «صلاة المرء في بيته أفضل
 من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة» وعن أنس «صلاة في مسجدي تعدل بعشرة
 آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط
 تعدل بالف ألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد في جوف الليل
 لا يريد بهما إلا ما عند الله عز وجل، أبو الشيخ في الثواب، وذكر أبو الوليد الصفاق
 في كتاب الصلاة تعليقاً من حديث الأوزاعي قال: دخلت على يحيى فاستدلى حديثاً
 وهو: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في غيره وصلاة في المسجد الحرام
 أفضل من مائة ألف صلاة في مسجدي وأفضل من هذا كله رجل يصلي ركعتين في
 زاوية بيته لا يعلمه إلا الله»، وقيل: إن الجماعة أفضل لفعل عمر رضي الله عنه فإنه عليه

وَيُخَيَّرُ أَنْ أَمْنُهُمُ النَّضْمُ الْجَمَاعَةُ الْبَرَكَةُ وَالْإِنْفِرَادُ قُوَّةُ الْحُضُورِ وَالْكُسُوفُ
وَكُلُّ مَا وَرَدَ فِيهِ فَضِيلَةٌ كَصَلَاةِ الرَّغَائِبِ وَلَيْلَةِ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ وَهِيَ مِائَةٌ
رَكْعَةً بِالْإِخْلَاصِ مِائَةً مَرَّةً، وَكَانُوا يُوَاطِبُونَ عَلَيْهَا، وَالِاسْتِخَارَةَ

السلام قد خرج فيها ليلتين أو ثلاثاً للجماعة ثم لم يخرج وقال خشيت أن تفرض عليكم
متفق عليه من حديث عائشة، ووجه عمر الناس عليها في الجماعة حيث أمن الوجوب
بأنه طاع الوحي (ويخير) أى في صلاة التراويح مفرداً أو مع جماعة (إن أمنهما)
أى الرياء والكسل وإنما يخير (لنضمن الجماعة البركة) المشتعلة على السرور
(والانفراد قوة الحضور) المتضمن لكثرة النور، والحاصل أن هذه السنة ليست
من الشعائر كالعبدین فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم يشرع فيها جماعة
نعم صلى عليه السلام التراويح بالجماعة ثم تركها خشية أن تكتب على الأمة ثم كان
الناس يصلون فرادى وجماعات مختلفة لجمعهم عمر على إمام واحد وقال نعمت البدعة
أى الحسنة وهى الجماعة المجتمعة المشيرة إلى ألفة الأمة (والكسوف) أى ويراعى صلاة
الكسوف وكذا الخسوف وتفصيلهما فى كتب الفقه، وقد ورد أن الشمس والقمر
آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رآتم ذلك فافزعوا إلى ذكر
الله تعالى وإلى الصلاة، قاله لما مات ولده إبراهيم عليه السلام وخسفت الشمس وقال
الناس: إنما كسفت لموته متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة (وكل ما ورد) أى
ويراعى جميع ما ورد من السنة (فيه فضيلة كصلاة الرغائب) وهى فى أول ليلة جمعة من
رجب يصلى ثنتى عشرة ركعة بست تسليمات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة
القدر ثلاثاً والإخلاص اثنتى عشرة وبعد الفراغ يصلى على النبى عليه السلام سبعين
مرة ويدعو بما يشاء وهى بدعة منكدة كما صرح به النووى وغيره وكذا حديث «ما من أحد
يصوم أول خميس من رجب» الحديث فى صلاة الرغائب أورده رزين فى كتابه وهو
موضوع كما قاله العراقى (وليلة النصف من شعبان وهى) أى صلاتها (مائة ركعة
بالإخلاص مائة مرة وكانوا) أى بعض السلف (يواطبون عليها) قال العراقى:
حديث باطل، ولابن ماجه من حديث على «إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا
لإلهام وصوموا نهارها» واستاده ضعيف (والاستخارة) أى ويراعى صلاة الاستخارة

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْلَمُهَا تَعْلِيمَ سُورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ وَرَكَعَتَي الدُّخُولِ فِي الْمَنْزِلِ
وَالْخُرُوجِ مِنْهُ، وَرَكَعَتَي دَفْعِ النِّفَاقِ فِي السَّرِّ، وَتَحِيَّتَي الْوُضُوءِ وَالْمَسْجِدِ، وَلَا يَتَعَيَّنُ
لَهُمَا التَّطَوُّعُ لِحُصُولِ الْمَقْصُودِ فِي غَيْرِهِ وَهُوَ صَوْنُ الْوُضُوءِ وَالْدُّخُولِ عَنِ
التَّعْطَلِ بِلِ الْفَرَضِ أَفْضَلُ، وَلَا يَنْوِي الصَّلَاةَ لِلْوُضُوءِ بَلْ يُطْلَقُ

أَوْ دَعَاها بعدها ﴿وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْلَمُهَا تَعْلِيمَ سُورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ البخاري من
حديث جابر وبسطنا الكلام عليه في شرح الحصن ﴿وَرَكَعَتَي الدُّخُولِ فِي الْمَنْزِلِ
وَالْخُرُوجِ﴾ أي ورَكَعَتَي ﴿مِنْهُ﴾ من المنزل فمن أبي هريرة قال عليه السلام: «إِذَا خَرَجْتَ
مِنْ مَنْزِلِكَ فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ يَمْنَعُكَ مِنْ خُرُوجِ السُّوءِ وَإِذَا دَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ
يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ السُّوءِ» البيهقي في الشعب. والخرائطي في مكارم الاخلاق. وابن عدي
في الكامل، وفي الحديث إيماء الى قوله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي
مِنْ خُرُوجِ صِدْقٍ) الآية ﴿وَرَكَعَتَي دَفْعِ النِّفَاقِ فِي السَّرِّ﴾ أي بالخفية بأن يصلي رَكَعَتَيْنِ
يقرأ في الأولى بعد الفاتحة قل يا أيها الكافرون وفي الثانية قل هو الله أحد ثم يقول
اللهم اني أعوذ بك من النفاق والشقاق وسوء الاخلاق ولم أجده مروياً ﴿وَتَحِيَّتَي
الْوُضُوءِ﴾ أي المسمى بشمرك الوضوء وهي قبل جفاف أعضائه ﴿وَالْمَسْجِدِ﴾ أي اول
دخوله قبل جلوسه فتحة الوضوء مستحبة لان الوضوء قرينة مقصودها الصلاة
ونحوها والاحداث عارضة بعدها وربما يطرأ الحدث قبل الصلاة فالمبادرة الى
رَكَعَتَيْنِ استبقاء لمقصود الوضوء قبل القوت ولئلا يضيع السعي قبل الموت وعرف ذلك
بحديث بلال اذ قال عليه السلام: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ بِلَالَ فِيهَا فَقُلْتُ يَا بِلَالُ بِمِ سَبَقْتَنِي
إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ بِلَالُ: لَا أَعْرِفُ شَيْئًا إِلَّا أَنِّي لَا أَحْدِثُ وَضُوءًا إِلَّا صَلَّيْتُ عَنْهُ رَكَعَتَيْنِ،
أَوْ بِمَا قَالَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَتَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ سِتَّةٌ وَكُدَّةٌ حَتَّى أَنْهَا لَا تَسْقُطُ
فِي مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ وَإِنْ كَانَ الْخُطِيبُ فِي الْخُطْبَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مَعَ تَأْكِدِ وَجُوبِ الْإِصْفَاءِ
إِلَى الْخُطِيبِ، وَقَدْ وَرَدَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يَصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ، ابْنُ
عَدَى. وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿وَلَا يَتَعَيَّنُ لَهُمَا التَّطَوُّعُ لِحُصُولِ الْمَقْصُودِ فِي غَيْرِهِ﴾
أي غير التطوع ﴿وَهُوَ﴾ أي المقصود ﴿صَوْنُ الْوُضُوءِ وَالْدُّخُولِ عَنِ التَّعْطَلِ﴾ أي البطالة
عن الطاعة ﴿بَلِ الْفَرَضُ أَفْضَلُ﴾ من النافلة فإن ثوابه أكمل ﴿وَلَا يَنْوِي الصَّلَاةَ لِلْوُضُوءِ﴾
أي لا يقول: نويت ان أصلي رَكَعَتَيْنِ لِلْوُضُوءِ ﴿بَلِ يُطْلَقُ﴾ أي ينوي صلاة مطلقة

لأنَّ الوضوءَ للصلاة دونَ العكس، ويحترزُ في الأوقاتِ المكروهةَ ففيها
تعبِدُ الأوثانَ وينتشرُ الشيطانُ وفي الكفِّ يتجددُ الشوقُ إلى العبادةِ أما العارفُ
المستغرقُ همه فيه تعالى فورده الحضورُ بعدَ الفرائضِ والرواتبِ ويغرقُ بأن
لايهمُّ بمعصية ولا يفترُّ بطاعة ولا ينزعجُ بمصيبة

﴿ لان الوضوء للصلاة دون العكس ﴾ اذ ليست الصلاة للوضوء ولكن لو نوى شكرا
لتوفيق الوضوء لا يبعد ﴿ ويحترز ﴾ عن النافلة ﴿ في الأوقات المكروهة ﴾ أى مطلقا
عندنا خلافا للشافعى حيث يجوز اداء صلاة لها سبب متقدم كتحية مسجد وشكرو وضوء
واستثنى الحرم أيضا ﴿ فقيها تعبِد الأوثان ﴾ أى وفيها مضاهاة عبدة الشمس وسائر
النيران ﴿ وينتشر الشيطان ﴾ أى ويكثر الوسواس للانسان ، وقد ورد ان الشمس
لتطلع ومعاقرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقتها فاذا استوت قارنها
فاذا زالت فارقتها فاذا تضيقت للغروب قارنها فاذا غربت فارقتها ، النسائي من حديث
عبد الله الصنابحي وهو مرسل ومالك هو الذى يقول عبد الله الصنابحي ووهم
فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وفي الكف ﴾ أى
الامتناع عن الصلاة في الأوقات المكروهة وهى بعد طلوع الفجر الى طلوع الشمس
وبعد صلاة العصر الى غروبها وبعد غروبها قبل اداء المغرب ، وكذا الأوقات
المحرمة ﴿ يتجدد الشوق الى العبادة ﴾ ويرتفع عنه نوع من الملالة وقد كره دخول
المسجد على غير وضوء أو تيمم وإن دخل لعبور ضرورة أو جلس في أوقات مكروهة
فليقل سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر يقولها أربع مرات فيقال : انها
عدل ر كمتين في الفضل ولعله مأخوذ مما ورد ، اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، وفسر
الرياض بالمساجد والرتع بالكلمات المذكورة على ما تقدم والله سبحانه أعلم ، ثم هذه
الأوراد لانواع السالكين من الزهاد والعباد في استعداد زاد المعاد ﴿ أما العارف
المستغرق همه فيه تعالى ﴾ أى في ورد محبته وورد الحضور في حضرته ﴿ فورده
الحضور ﴾ أى حضور القلب في ذكر الرب في جميع المراتب ﴿ بعد الفرائض والرواتب
ويغرق ﴾ أى هذا العارف في علو المناقب ﴿ بان لا يهم بمعصية ﴾ أى لا يقصدها
﴿ ولا يفتر بطاعة ﴾ أى لا يكسلها ﴿ ولا ينزعج بمصيبة ﴾ أى لا يتزلزل ولا يجزع
ولا يفزع بموت الأولاد والاحفاد وسائر الأقارب من الاخوان والخلائق وذهاب

وَلَا يَنْقَلِبُ بِأَمْرِ عَظِيمٍ ۝

البَابُ الثَّانِي فِي الْأَنْفَاقِ وَالْقَنَاعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَرَدَّ (وَمَنْ يَوْقُ شَحَّ نَفْسَهُ) . (الآيَةُ) . (وَالَّذِينَ يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (الآيَةُ) . « السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى »

الأموال وتغير الأحوال من الأمراض وسائر شدائد الأحوال ﴿ ولا ينقلب ﴾ حاله ومقامه ﴿ بأمر عظيم ﴾ كالقحط . وقتة البلاد . وسائر البلايا العامة للعباد وهو الكريم الرحيم السميع العليم ۝

﴿ الباب الثاني في الانفاق والقناعة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أنفق في الطاعة وأعتق بالقناعة فيما قسم لي إلى قيام الساعة ﴿ ورد ﴾ أي في التنزيل ﴿ ومن يوق شح نفسه ﴾ أي يحفظ ويصان بخلافها فيما يجب عليها ﴿ الآية ﴾ وهي ﴿ فاولئك هم المفلحون ﴾ أي الناجون من النار والفائزون بالجنة اذ ما تعاون الزكاة هم الظالمون أي الواضعون الأشياء في غير موضعها ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ﴾ أي يجمعونها ﴿ ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ أي وزكاتها لا يخرجونها ﴿ الآية ﴾ أي ﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ وفيه تهكم عظيم ﴿ يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم ﴾ لتعبسهم على الفقراء ﴿ وجنوبهم ﴾ لتكبرهم على الضعفاء ﴿ وظهورهم ﴾ لا عراضهم عن العلماء والصلحاء ويقال لهم بلسان المقال اوبيان الحال ﴿ هذا ما كنزتم لأنفسكم فأنفقوا ما كنتم تكنزون ﴾ قال الاحنف بن قيس : كنت في نفر من قريش فربنا أبو ذر فقال : بشر السكاذبين بكى في ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى من قبل اقفائهم يخرج من جباههم ، وعن أبي ذر انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رأيته قال : هم الآخرسون ورب الكعبة فقلت : من هم ؟ فقال : الاكثر من أموال الامن قال بالمال مكذا وهكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم متفق عليه ﴿ السخى قريب من الله تعالى والبخل بعيد من الله تعالى ﴾ رواه الترمذي عن أبي هريرة والبيهقي عن جابر والطبراني في الأوسط عن عائشة بلفظ ﴿ السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة ﴾

«تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدَّرْهِمِ» وَالْفَقْهُ الْإِبْتِلَاءُ فِي دَعْوَى حُبِّ تَعَالَى
وَتَرَكُ الدُّنْيَا وَظُهُورُ الْمَرَاتِبِ فِيهَا، فَالسَّابِقُ كَالصَّدِيقِ حَيْثُ مَا أَبْقَى شَيْئًا.
وَالْمُقْتَصِدُ كَالْفَارُوقِ حَيْثُ أَبْقَى النِّصْفَ. وَالْقَاصِرُ هُوَ الْمُقْتَصِرُ عَلَى الْوَاجِبِ

بعيد من النار والبخل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار
(تعيين عبد الدينار وعبد الدرهم) أي ملك والحديث كذا في صحيح البخاري وفي رواية
الترمذي عن أبي هريرة بلفظ «لعن» (والفقه) أي الحكمة والسرف في تشريع الاتفاق
هـ (الابتلاء في دعوى حبه تعالى وترك الدنيا) أي محبتها فإنها لا تجتمع مع حبه المولى
فإن المحبة لا تقبل الشركة ولا بقدر الحبة وإنما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات
والأموال محبوبة عند الخلق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وشهواتها وبسببها يأنسون
بهذا العالم الدنيوي ولهواتها وينفرون عن الموت مع لقاء المحبوب في الجنة وسائر لذاتها
فامتحنوا بتصدق دعواهم واستزلوا عن المال الذي هو معشوقهم ومهواهم ، ولذا قال
تعالى : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) وذلك
بالجهاد وهو مساحة بالمهجة شوقا إلى لقاء المولى والمساحة بالمال أهون فبذله أولى
(وظهور المراتب فيها) أي دعوى المحبة فقد قيل ما أيسر الدعوى وما أعسر
المعنى (فالسابق كالصديق حيث ما أبقى شيئا) أي لأدرهما ولا دينارا وتبعه جماعة
من أهل التوفيق في إياهم أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم بل فرقوا جميع ماله بهم
لئلا ينسب حب غيره سبحانه إليهم حتى قيل لبعضهم : كم يجب من الزكاة في مائتي درهم
فقال : أما على العوام في حكم ظاهر الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا
بذل الجميع (والمقتصد كالفاروق حيث أبقى النصف) أي وأعطى النصف ، وأصل
الحديث «جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال عليه السلام لعمر : ماذا بقيت
لاهلك؟ فقال مثله وقال لابي بكر : ماذا أبيت لاهلك؟ فقال : الله ورسوله» رواه أبو داود
والترمذي والحاكم وصحاحه من حديث عمر وفي رواية يونس عن الحسن أنه قال لهما
ما بين صدقيكما كما بين كلاميكما (والقاصر هو المقتصر على الواجب) أي على إعطاء
قدره من غير زيادة في أجره ، وفي كلام المصنف تلويح إلى قوله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) فيحتمل أن يقال : القاصر المقتصر أنه الظالم

وَتَنْقِيَةُ الْبَاطِنِ عَنِ الْبَخْلِ وَتَحْلِيَّتُهُ بِالشُّكْرِ وَهُوَ يَقْلَعُ أَسْبَابَ الْخُرْصِ كَحَبِّ
عَيْنِ الْمَالِ وَهُوَ مَرَضٌ مَزْمَنٌ وَالشَّهَوَاتِ

لنفسه وغيره اذا الظالم هو مانع الزكاة ونحوه ، والعوام اقتصروا على قدر
الواجب لبخلهم بالمال وجهلهم بالمآل وضعف حبهم بالمولى وشدة ميلهم الى
الدنيا قال تعالى : (ان يسألوكوها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم) ومعنى يحفكم
يستقصي عليكم فكم بين عبد استبدل منه نفسه وماله بان له الجنة وبين عبد لا يستقصي
عليه لاجل بخله وهناك درجة أخرى دون الدرجتين الأوليين وهم الممسكون أموالهم بعد
اخراج الواجبات المراقبون لاوقات الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في
الادخار الانفاق على قدر الحاجة والقناعة دون التعم والرفاهة وصرف الفاضل عن
الحاجة الى وجوه المبررة وطريق المسرة، وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا
سوى الزكاة كالنخعي، والشعبي، وعطاء، ومجاهد، قال الشعبي: بعد ان قيل له هل في المال
حق سوى الزكاة؟ قال: نعم اما سمعت قوله سبحانه وتعالى : (وآتى المال على حبه) الآية
تمامها (ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة
وآتى الزكاة) حيث عطف آتى الزكاة على آتى المال واستدلوا بقوله عز وجل : (وما
رزقناهم ينفقون) وقوله : (وأنفقوا مما رزقناكم) وزعموا ان ذلك غير منسوخ
بآية الزكاة بل داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا
ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة ولا يعد حمله على صدقة الفطرة والاضحية ونفقة
ذوى الرحم المحرم والله سبحانه اعلم ﴿ وتقية الباطن ﴾ أى ومن جملة الحكمة فى الانفاق
تنظيف القلب وتخليته ﴿ عن البخل ﴾ فورد ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه ، الطبرانى فى الأوسط عن أنس ﴿ وتخليته ﴾ أى تزيين الباطن
وتحسينه ﴿ بالشكر ﴾ أى بشكر النعمة وقد قال تعالى : (لئن شكرتم لأزيدنكم) . (وما
أنفقتم من شيء فهو يخلفه) (وهو) أى ما ذكر من التقية والتحلية ، والانفاق انما يحصل
﴿ بقلع أسباب الخرص كحب عين المال ﴾ لا لغرض يحصل منه ﴿ وهو ﴾ أى حب عين
المال ﴿ مرض مزمن ﴾ أى لا دواء له فى الزمن حيث لا ينفعه لقوات اغراضه واعواضه
من المال ﴿ والشهوات ﴾ و كحب سائر الشهوات كما أشار اليه قوله تعالى : (زين
للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل

وَطُولُ الْأَمَلِ وَخَوْفُ الْفَقْرِ وَقَلَّةُ الْوُثُقِ بِمَجْيِءِ الرِّزْقِ وَهُمْ الْوَلَدُفُورِدُ «الْوَلَدُ مَبْخَلَةٌ» وَطَرِيقُهُ التَّوَسُّطُ فِي النِّفَقَاتِ فَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى عُدَّةٌ مِنَ الْمُنْجِيَّاتِ وَتَقْلِيلُ الشَّهَوَاتِ وَالْوُثُقِ بِإِصَابَةِ الرِّزْقِ الْمُقَدَّرِ وَمَعْرِقَةُ عِزِّ الْقَنَاعَةِ

المسومة والأنعام والحارث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب (وطول الأمل) عطف على حب أي وكطول الأمل يتوهم طول الاجل فانه يورث الملل عن العمل قال تعالى : (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا وباهم الأمل فسوف يعلمون) (وخوف الفقر) قال عز وعلا (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم) (وقلة الوثوق بمجئ الرزق) وقد قال سبحانه (و كآين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) وقد ورد له لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفاصا وتروح بطانا « أحمد والترمذي وابن ماجه . والحاكم عن عمر (وهم الولد فوردا الولد مبخلة) « تمامه مجبنة » أبو يعلى في مسنده عن أبي سعيد . وابن ماجه من حديث عبد الله بن سالم والحاكم وصححه ، ومعنى مبخلة انه مظنة أن يحمل أبويه على البخل فيدعوهما اليه فيخلان لأجله ، ومعنى مجبنة أي يحمل أباه على أن يجنب عن الحروب استبقاء لنفسه من أجله (وطريقه) أي الطريق المحمود في الاتفاق أحد عشر أو طريق قلع أسباب الحرص (التوسط في النفقات) قال تعالى : (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) (فالقصد) أي الاقتصاد والتوسط واعتدال الحالات (في الفقر والغنى عد من المنجيات) وورد « ما عال من اقتصد » الديلمي عن أبي امامة مرفوعا والبيهقي في الشعب عن ابن عمر مرفوعا « الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة » (وتقليل الشهوات) أي الموجب لتقليل النفقات وهو المعبر عنه بالقناعة في بعض العبارات (والوثوق بإصابة الرزق المقدر) فقد قال تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » وورد في حديث مشهور « واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك » (ومعرقه عز القناعة) « فوردا » القناعة كنز لا يفد « وفي رواية « مال لا يفد » وفي أخرى « كنز لا يفنى » القضاء عن أنس والطبراني في الأوسط من حديث جابر ولفظه « القناعة مال لا ينفد كنز لا يفنى » وفي القناعة أحاديث لا تحصى ، وقد قيل : من قنع شبع ، منها قوله عليه السلام « ابن آدم عندك

وَذُلُّ الطَّمَعِ. وَالتَّأَمُّلُ فِي الْبَخِيلِ. وَمَدَحِ السَّخِيِّ وَمَا وَرَدَ فِيهَا

ما يكفيك وأنت تطلب ما يطفئك . ابن آدم لا يقلل تقنع ولا بكثير تشبع . ابن آدم إذا أصبحت معافى في سربك آمنافى بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء . أى التراب ابن عدى . والبيهقى عن ابن عمر ، وفي رواية لهما عن أنى هريرة « إذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف وجرة من ماء القراح وقل على الدنيا وأهلها الدمار ، وروى ابن المبارك عن الاوزاعى معضلاً ما أبالى ما رددت به عنى الجوع وما أحسن مقال بعض أهل الحال : وما هى الا جوعة قد سدتها * وكل طعام بين جنبى واحد وعن سمرة مرفوعاً دأب من الدنيا بالقوت فان القوت لمن يموت كثير ، والعسكى والله در الناظم :

عزيز النفس من لزم القناعة * ولم يكشف لمخلوق قناعه
وفي الحديث اللهم قنعنى بما رزقتى وبارك لى فيه وفسر قوله تعالى : (فلنجينه حياة طيبة) بالقناعة والقيام بالطاعة ، وقوله « قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه » أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجه عن ابن عمر وقوله ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، أبو يعلى والصنبا عن أنى سعيد ، وقوله « خيار امتى القانع وشرارهم الطامع » القضاعى (وذلل الطمع) أى ومعرفة وهو الاحتياج الى الغير من غير ضرورة ، وقد ورد ولا يحل لمؤمن ان يذل نفسه ، قال تعالى : (والله العزة لرسوله وللؤمنين) وهو ينشأ من عدم القناعة وورد عن عمر رضى الله عنه « ان الطمع فقر وان اليأس غنى وان المرء اذا أيس عن شئ استغنى عنه » أحمد فى الزهد وابن أبى الدنيا فى القناعة والعسكى فى المواعظ وروى « أن رجلاً من الأنصار قال يا رسول الله أوصنى واوجز لى قال : عليك باليأس بما فى ايدى الناس وإياك والطمع فانه فقر حاضر ، أبو نعيم (والتأمل فى ذم البخل ومدح السخى) اذ هما فى جلة كل احد من العالى والدنى (وما ورد فيهما) أى من احاديث النبى كقوله عليه السلام « السخاء شجرة من أشجار الجنة أغصانها متدليات فى الدنيا فن يأخذ بغصن منها فاده ذلك الغصن الى الجنة والبخل شجرة من أشجار النار أغصانها متدليات فى الدنيا فن يأخذ بغصن من أغصانها فاده ذلك الغصن الى النار ، الدارقطنى فى الافراد والبيهقى عن على والاربعة عن أنى هريرة ، وكقوله « خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما الله فالسخاء والسماحة واما اللذان يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل ، البيهقى عن ابن عمر ، وكقوله تعالى : « ما من العباد يصبح الا وملكاً يتزلزلان فيه

وَأَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَاخْتِيَارِ التَّشْبِهِ بِهِمْ لَا بِالْمُتَنَعِّينِ مِنَ الْكُفَّارِ
وَالْحَقِّقِيِّ وَالنَّسَخِيِّ وَخِدَاعِ النَّفْسِ بِالصَّيِّتِ وَالْمُكَافَاةِ ثُمَّ اِزَالَةِ الرِّيَاءِ بَعْدَ الْإِعْتِيَادِ

فيقول أحدهما: اللهم اعط منقفا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلغا)) (واحوال
الانبياء والاولياء)) أى وفي أحوالهم واخلق سائر البخلاء والاسخياء)) واختيار
التشبه بهم)) أى بالاصفياء)) فمن تشبه بقوم فهو منهم)) (لا بالمتنعين من الكفار
والحقى)) أى من الجهلة والفجار وقد قال تعالى : (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) (اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا) وورد « اشبعكم في الدنيا أجوعكم في العقبى »)) (والنسخى))
أى تكلف السخاوة والتشبه بهنفس السخى)) (وخداع النفس بالصييت)) أى بحسن
النساء عند الناس والجاه والوجاهة في مقام الايناس)) (والمكافاة)) أى ويتصور
المكافاة فورد « تهادوا تحابوا »)) (ثم ازالة الرياء بعد الاعتقاد)) أى بعد تعوده
بالسخاء فان الرياء في الابتداء قطرة الاخلاص في الانتهاء كما ان المجاز قطرة
الحقيقة، حكى ان ذا القرنين أتى على أمة من الأمم ليس في أيديهم شيء مما يتمتع به الناس
من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا أصبحوا تعبدوا تلك القبور وكنسوها من الفتور
فصلوا عندها بالحضور ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قبض لهم في ذلك معاش من
نبات الأرض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له : اجب الملك ذا القرنين فقال
مالى حاجة اليه فأقبل اليه ذو القرنين فقال ارسلت اليك لتأيننى فأبيت فيها أنا جئت فقال :
لو كان لى اليك حاجة لأتيتك فقال ذو القرنين : مالى أراكم على حالة لم أر أحدا من
الأمم عليها قالوا : وما ذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء من البناء ولا اتخذتم الذهب
والفضة فاستمتعتم بها قالوا : انما كرهناها لان أحدا لم يعط شيئا منها الا تافت
نفسه فودعته الى ما هو أفضل منه فقال : ما لكم احتفرتم قبورا فاذا أصبحتم تعبدتموها
فكنستموها وصليتم عندها قالوا : أردنا اذا نظرنا اليها وأملنا الى الدنيا معنا قبورنا من
الامل قال : وأراكم لا طعام لكم الا البقل من الأرض أفلا اتخذتم البهائم من الانعام
فاحتلبتموها وركبتموها قالوا كرهنا أن نجعل بطوننا قبورا لهاور أينافى نبات الأرض
بلاغا وانما يكفى ابن آدم أدنى العيش من الطعام وان ماجاوز الحنك لم نجد له طعاما
كاثما ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الأرض يده فتناول جمجمة فقال : يا ذا
القرنين اندرى من هذا قال لا ومن هو؟ قال فذلك ملك من ملوك الأرض أعطاه الله

وَكَثْرَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالْإِعْتِبَارُ بِالسَّالِفِينَ وَزِيَارَةُ الْقُبُورِ وَالْأَصْلُ فِيهِ .

الصَّبْرُ ، وَقَصْرُ الْأَمَلِ ، وَالْعِلْمُ بِآفَاتِ الْمَالِ

سلطانا على أهلها فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله ذلك منه قصمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد أحصى الله عليه عمله حتى يجزيه في الآخرة ، ثم تناول ججمة أخرى بالية فقال : يا ذا القرنين هل تدري من هذا ؟ قال : لا ومن هو ؟ قال : هذا الملك ملك بعده قد كان يرى ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع لله وأمر بالعدل في أهل مملكته فصار كما ترى وقد أحصى الله عمله في دنياه حتى يجزيه في آخراه ثم أهوى الى ججمة ذى القرنين فقال : هذه الججمة قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذوالقرنين : هل لك في صحبتي ما نجدك اخا ووزيرا وشريكا ومشيرا فقال : ما اصلح أنا وانت في مكان قال ولم ؟ قال : من أجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال : ولم يعادوني ؟ قال يعادونك على ما في يدك من الملك والمال ولا احد يعاديني لما عندي من الحاجة وقلة الشيء . والفاقة فانصرف عنه ذوالقرنين متعجبا ومتعظا)) وكثرة ذكر الموت)) فانه يهون السخاوة قبل الفوت)) (والاعتبار بالسالفين)) أى الاتعاظ بالسابقين من أهل الاموال في تركهم الدنيا عند الموت فكذا حكم اللاحقين وقد قال تعالى : (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) ومن هنا قالوا : طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الله)) (وزيارة القبور)) فانها تذكرك العقبي وتزهد في الدنيا وفيها عبرة لارباب الصدور ، وروى « اذا تحيرتم في الامور فاستعينوا بأهل القبور »)) (والاصل فيه)) أى في طريق الاتفاق من توسطه المحمود بالاتفاق)) (الصبر)) أى عن المستلذات الفانية)) (وقصر الامل)) أى باستعداد زاد الدار الباقية ، وورد عن علي قال : « انما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة وان اتباع الهوى يصد عن الحق وان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل » ابن المبارك . وأحمد في الزهد)) (والعلم بآفات المال)) أى وتغييراته في المال وانتقالاته في أسوء الحال فقد روى عن جرير عن ليث قال : صحب رجل عيسى عليه السلام فقال أكون معك واصحبك فانطلقا فأتيا الى شاطئ نهر فجلسا يتغذيان ومعهما ثلاثة أرغفة فاكلار غيفين وبقي رغيف فقام عيسى الى النهر فشرب ثم رجع ولم يجد الرغيف

وَهِيَ الْأَقْضَاءُ إِلَى الْمُهْلِكَاتِ كَالْكِبَرِ وَالْكَذِبِ وَالْعَدَاوَةِ وَحُبِّ
الدُّنْيَا وَاقْتِحَامِ الشَّهْوَةِ وَالْحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ وَالشُّغْلِ عَنِ الطَّاعَةِ
بِالْكَسْبِ وَالْحِفْظِ

فقال للرجل : لم أجد الرغبة فقال لا ادرى قال فانطلق معه صاحبه فرأى ظبية
معه خشفان لها فدعا أحدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فأكل هو وذلك الرجل
ثم قال للخشف قم باذن الله فقام وذهب فقال أسألك بالذي أراك هذه الآية من اخذ الرغبة؟
قال : ما ادرى ثم انتهى الى وادى ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فشيا على الماء
ثم جاوزا قال : أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغبة؟ قال : لا ادرى فانهى الى
مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام ترابا وقال : كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه
ثلاثة اثلث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن أخذ الرغبة قال الرجل : فانا أخذت الرغبة
قال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فأتته الى رجلا في المفازة ومعه المال فأرادا
أن يأخذه منه و يقتلاه فقال : هو بيننا أثلاثا قال : فابعثوا أحداكم الى القرية حتى
يشترى طعاما فبعثوا أحدهم فقال : الذى بعث لائى شئ أقاسم هؤلاء فى هذا المال؟
لكن اصنع فى هذا الطعام سما فآتتهما قال : ففعل ذلك وقال هؤلاء لائى شئ نجعل
لهذا ثلث المال ولكن اذارجع اليها قتلناه واقتسمناه بيننا قال : فلما رجع اليهما قتلاه
وأكلا الطعام فاتا فبقى ذلك المال فى المفازة وأولئك الثلاثة قتلى عنده فبر بهم عيسى
عليه السلام فى تلك الحال فقال لأصحابه : هذه الدنيا وهذا المال فاحذروها والافتقلكم
فى المال « (وهى) أى آفات المال من البليات « (الافضاء الى المهلكات) أى
ايصاله الى مهلكات الاخلاق « (الكبر) فانه يغلب على أرباب الاموال « (والكذب) «
أى فى معاملتهم وسائر الاحوال « (والعداوة) أى الناشئة من كثرة القيل والقال
« (وحب الدنيا) « وهو رأس كل خطيئة « كما رواه البيهقى فى الشعب باسناد حسن
الى الحسن البصرى رفعه مرسل « (واقترام الشهوة) « وفى نسخة الشبهة أى ودخوله
من غير ملاحظة لحصوله فى الأمور المضرة من غير وصول المسرة « (والحاجة الى
الناس) « لضرورة الغنى من معاشرة الخلق فى مباشرة أمره بخلاف الفقير فانه غنى بربه
عن غيره « (والشغل عن الطاعة بالكسب) « أى والاشتغال عن العبادة بسبب الكسب
كما هو العادة بخلاف المتوكلين من أرباب الارادة « (والحفظ) « أى وبسبب حفظ

وَدَفَعَ الْحَسَادَ مَعَ اُحْتِمَالِ الْمَشَاقِّ ، وَفَوَائِدِهِ وَهُوَ الْاِتِّفَاقُ عَلَى النَّفْسِ لِلْقِيَامِ
بِالطَّاعَةِ ، كَالْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ وَمَا يُحْتَاجُ اِلَيْهِ كَالْحَجِّ وَالْغَزْوِ وَعَلَى الْغَيْرِ وَهُوَ
صَدَقَةٌ لِلْفَقِيرِ وَمَرْوَةٌ لِلْغَنِيِّ فِي الضِّيَافَةِ . وَالْاِعَانَةُ فَهِيَ تَحْصُلُ الْاِخْوَةَ

الأموال فانه يضيع به ضبط الأحوال ﴿ودفع الحساد﴾ أى ويدفعهم لما فيهم من أنواع
الفساد ﴿مع احتمال المشاق﴾ فى جمعه ومنعه بالاتفاق اذ حلال الدنيا فيه الحساب وحرامها
فيه العقاب بل الحجاب الذى هو أشد العذاب ﴿وفوائده﴾ أى والعلم بفوائد المال
﴿وهو الاتفاق على النفس للقيام بالطاعة﴾ فيما لا بد له منه على طريق القناعة ﴿كالمطعم﴾
وكذا المشرب ﴿والملبس﴾ وكذا المسكن ﴿وما يحتاج اليه﴾ أى الى الاتفاق الزائد عليه
﴿كالحج﴾ وكذا العمرة ﴿والغزو﴾ وكذا اطلب العلم وتحصيل الصلة ﴿وعلى الغير﴾
من الزوجة والخادم ونحوهما من الاجانب والمحارم فورد «أفضل الدينار دينار ينفقه على
عيله» رواه مسلم وكنى بالمرء اثماً أن يضيع من يقوت، أبو داود، وعند مسلم معناه
﴿وهو﴾ أى الاتفاق «(صدقة للفقير)» أى بأى طريقة مع حصول النية «(ومروءة)»
أى فتوة «(للغنى)» فى بعض الأحوال الرضية كما بينه بقوله «(فى الضيافة)» فانها من
الشئائل السنية فورد «الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فهو صدقة» أحمد. وأبو يعلى عن أنس سعيده الضيف يأتي
برزقه ويرتحل بذنوب القوم «الطبرانى عن طارق بن اشيم» صاف ضيف رجلا من
بنى اسرائيل وفي داره كلبه مجح بالحاء المهملة المشددة بعد الجيم أى قرية الولادة فقالت
الكلبة والله لأنج ضيف أهلى فعوى جراؤها فى بطنها قيل: ما هذا فأوحى الله الى رجل
منهم هذا مثل أمة تكون من بعدكم تقهر سفهاؤها علماءها «(والهدية)» فانها من
الفضائل البهية، وقد ورد «الهدية تذهب بالقلب والسمع والبصر» الطبرانى عن عصمة
ابن مالك «الهدية تعور عين الحكيم» الديلمى عن ابن عباس «هدية الله الى المؤمن السائل
على بابه» الخطيب فى رواية مالك عن ابن عمر «(والاعانة)» وكذا الاغاثة قال تعالى:
(وتعاونوا على البر والتقوى) وفى الخبر المشهور «من كان فى عون أخيه المؤمن كان الله
فى عون» وورد «من أغاث ملوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة فيها صلاح
أمره كله وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة» البخارى فى تاريخه والبيهقى عن أنس
«(فهى)» أى المروءة «(تحصل الاخوة)» أى فى الدين والدينار ورد المرء كثير بأخيه،

وَالسَّخَاءَ وَالْفُتُوَّةَ ، وَوَرَدَ فِيهَا الْأَخْبَارُ ، وَوَقَايَةُ لِدَفْعِ الشَّرِّ فَهُوَ بِنَيْ الْغِيَةِ
وَالْعُدَاوَةِ فَوَرَدَ أَنَّهَا صَدَقَةٌ وَاسْتِخْدَامٌ لِتَدْيِيرِ الْمَعَاشِ فَهُوَ يَفْرَغُ لِلْعِبَادَةِ ، وَفِي
نَحْوِ الْمَسْجِدِ . وَالْجَسْرِ . وَالرِّبَاطِ . وَالْحَوْضِ . وَالْبَرِّ فَهُوَ يَبْقَى الذِّكْرُ ،
وَيَحْصُلُ بَرَكَةُ الدُّعَاءِ وَكُلُّ مِنْهَا عِبَادَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ

ابن أبي الدنيا عن سهل بن سعد والمرء مع من أحب وله ما اكتسب ، الترمذى عن أنس
« والمرء على دين خليله فلينظر بمن يخالعه » (و السخاء) * لارباب الصفاء وأصحاب الوفاء
« (والفتوة) وهى لئال الرجال وجمال الانسانية « (وورد فيها) « أى فى المروءة وما يتعلق
بها « (ال اخبار) « فانها من أعمال الابرار ، فورد « من المروءة ان ينصت الاخ لاخته اذا
حدثه ومن حسن الماشاة أن يقف الاخ لاخته اذا انقطع شئ نعله » الخطيب عن أنس
« المروءة اصلاح المال ، الدبلى عن ابن ابان عن أنس « ليس من المروءة الربح على الاخوان »
ابن عساكر عن ابن عمر « (ووقاية) عطف على صدقة أى محافظة « (لدفع الشر) « أى من
أهل الضر « (فهو) « أى الاتفاق على الغير لدفع الشر « (ينى الغيبة) « باللسان
« (والعداوة) « فى الجنان « (فوردانها) « أى وقايته « (صدقة) « قال عليه السلام « ما وقى
به المرء عرضه فهو له صدقة » العسكرى والقضاعى من حديث جابر * « (واستخدام) *
أى أخذ خادم بالشراء أو الكراه « (لتدبير المعاش فهو) * « أى الخادم « (يفرغ للعبادة) «
التي هي زاد المعاد « (وفى نحو المسجد) « أى الاتفاق فى نحو عمارة المسجد وترميمه وتويره
« (والجسر) « أى معبر العامة أو الخاصة فوق البحر أو النهر « (والرباط) « أى الخانات
فى البعد عن العمارات أو القلاع دفعا للكفرة وأرباب الغارات « (والحوض والبر) «
فى البلدان والقنوات والسكل من الخيرات والمبرات « (فهو) « أى الاتفاق فى نحو المسجد
« (يبقى الذكر) « أى الثناء الحسن بعد فناء العمر « (ويحصل بركة الدعاء) « أى
دعوة العامة « (وكل منها) « أى من فوائد المال « (عبادة مستقلة) « لاسيا عمارة
المسجد فقد قال تعالى : (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية ، وورد
« من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة » ابن ماجه عن علي زاد الطبراني عن أبى امامة
« أوسع منه » وفى رواية أحمد عن ابن عباس « من بنى لله مسجدا ولو كفحص قطاة
ليضعها بنى الله له بيتا فى الجنة » وفى معنى المسجد المدارس للعلماء والزوايا للصالحاء ، فعن
أبى هريرة « من بنى بيتا يعبد الله فيه من حلال بنى الله له بيتا فى الجنة من در وياقوت ،

ثُمَّ السَّخَىُّ مَنْ لَا يَمْنَعُ مَا يَجِبُ شَرْعًا وَمُرُوءَةً وَمَانِعُ الشَّرْعِ الْبُخْلُ وَالسَّخَاوَةُ
تَفَارُقُ الْإِثَارَ بَأَنَّهُ بَذَلَ مَعَ الْإِحْتِيَاجِ وَهُوَ الْأَفْضَلُ فَهُوَ مِنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ
يُسْتَكْمَلُ بِهِ الْإِيمَانُ ، وَوَرَدَ (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) *

الطبراني في الاوسط (ثم السخي) في عرف العلماء (من لا يمنع ما يجب شرعا ومروءة)
أى طبعاً وضده البخل وهو ما يمنعهما (ومانع الشرع) أى موجه (البخل) من مانع
المروءة (والسخاوة تفارق الايثار) وهو اختيار الغير بالبر (بانه أى) الايثار
(بذل مع الاحتياج) أى مع غاية الافتقار اليه والسخاوة مع عدمه فافتراقا (وهو)
أى الايثار (الفضل) أى افضل من السخاوة (فهو من ثلاث خصال يستكمل به
الايمان) (والخصلة الثانية ان يحب لآخيه ما يجب لنفسه والثالثة ان يأمن جاره بوائقه
(وورد) (في مدح الانصار) (ويؤثرون على أنفسهم) تمامه (ولو كان بهم خصاصة)
أى شدة حاجة وفاقة أو مجاعة وضرورة الى ما يؤثرون ، وفي البخارى عن أبي هريرة « ان
رجلاً أتى النبي ﷺ فاستضافه فبعث الى نسائه فقلن : ما معنا الا الماء فقال عليه السلام :
من يضيف هذا ؟ فقال رجل من الانصار : أنا فانطلق به الى امرأته فقال : اكرمى ضيف
رسول الله ﷺ فقالت : ما عندنا الا قوت للصبيان فقال : هيء طعامك واصبغى
سراجك ونوى صيانك اذا أرادوا عشاء فبأت طعامها واصبحت سرجهاء ونومت
صيانها ثم قامت كأنها تصلح السراج فاطفأته فجعل يريانه انهما يأكلان فبانا
طاوئين فلما أصبح غدا الى رسول الله ﷺ فقال : ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما »
فأنزل الله عز وجل : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وأخرج الحاكم
عن ابن عمر قال : اهدى لرجل من الصحابة رأس شاة فقال : ان اخي فلانا وعياله احوج
الى هذا منافعت اليه فلم يزل يبعث به واحدا الى آخر حتى تناول سبعة آيات حتى رجع
الى الاول (فنزل الآية) وعن بعض المتعبدين انها وقعت على جبان بن بلال وهو جالس
مع أصحابه فقالت : هل فيكم من أسأله عن مسألة ؟ فاشاروا الى جبان فقالت : ما السخاوة
عندكم ؟ قال : العطاء والبذل والايثار قالت : هو السخاوة في الدنيا فما السخاوة في الدين ؟ قال
ان نعبد الله سبحانه متبرعة سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت : أفتريدون على ذلك
اجرا قال : نعم قالت لم ؟ قال لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله
اذا أعطيتم واحدة واخذتم عشرة فبأى شئ تسخيتم عليه قال : فما معنى السخاوة عندك

والتبذير بأنه حيث يجب الإمساك وهو حرام، فورد (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) لكن البخل الحش والتسخي بأنه مع الكراهة والمروءة بترك المضايقة بالمحقرات فتختلف باختلاف الأشخاص كالغنى والفقر والقريب والأجنبي

يرحمك الله؟ قالت: السخاء عندى أن تعبدوا الله متعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لعبادته لا يريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل ما يشاء بكم فى أولاكم وأخراكم ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم فيها أنكم تريدون شيئا بشيء أن هذا فى الدنيا القبيح، وقال المحاسبى: السخاوة فى الدين أن تسخو نفسك فى محبة ربك ويسخو قلبك يذل مهجتك وأهراق دمك عن سماحة دون كراهة ابتغاء لوجهه غير مرید بذلك عوضا وغرضا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب لأن مولاك يختار لك ما لا يحسن أن تختار لنفسك فى دنياك وأخرتك وفيه تليح إلى قوله سبحانه: (إني الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية (والتبذير) أى السخاوة تفارق التبذير (بأنه حيث يجب الإمساك) أى المنع من بذله لكونه اسرافا أو فى غير محله اللاتقبة (وهو حرام) لقوله تعالى: (وأت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) فورد أن المبذرين كانوا إخوان الشياطين (أى أولياءهم) وكان الشيطان لربه كفورا (أى جحودا نفورا، والمعنى لا تنفق مالك فى المعصية قال مجاهد: لو انفق انسان ماله كله فى الحق ما كان تبذيرا ولو انفق بدائق فى الباطل كان تبذيرا ولذا قيل: لا سرف فى خير ولا خير فى سرف، وقال: شعبة كنت امشى مع أسيحق فى طريق الكوفة فأتى على جدار بنى بجص وأجر فقال: هذا التبذير (لكن البخل الحش) من التبذير لأن البخل مطلقا يذم بخلاف زيادة الكرم (والتسخي) أى ويفارق السخاوة التسخي (بأنه مع الكراهة) أى بالطعم والجلبة بخلاف السخاوة فإنها لا تكون الامع طيبة النفس والمحبة (والمروءة) أى تفارقها السخاوة (بترك المضايقة) وكان حقه أن يقول بالمضايقة ليسكون على منوال المضايقة وفى نسخة والمروءة بالرفع وخبره ترك المضايقة (بالمحقرات فتختلف) المضايقة (باختلاف الأشخاص) أى الذوات الذين يصدر منهم المضايقة أو معهم المضايقة وأيضا يختلف باختلاف ما به المضايقة وتفاوت الأزمنة والحالات (كالغنى والفقر) فإن ترك المروءة فى الغنى أصبح من تركها فى الفقر (والقريب والأجنبي) فإن ترك المروءة

وَالْجَارَ وَالْأَهْلَ وَالضَّيْفَ وَالْمَيْتَ فَمَا يُسْتَقْبَحُ فِي أَحَدِهِمْ لَا يُسْتَقْبَحُ فِي الْآخَرِ
وَالْأَوَّلَى التَّوَسُّطُ ، فُورَدَ (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ
الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا) وَحَقُّ الْعَطَاءِ أَنْ يَعَجَلَ قَبْلَ الْوُجُوبِ مَبَادِرَةً إِلَى
الْإِثْمَارِ وَإِسْرَارًا لِلْمُؤْمِنِ

فِي حَقِّ الْأَقَارِبِ أَقْبَحُ مِنْ تَرْكِهَا فِي حَقِّ الْأَجَانِبِ (وَالْجَارُ وَالْأَهْلُ) مِنَ الزَّوْجَةِ وَالْخَادِمِ
(وَالضَّيْفُ وَالْمَيْتُ) فِي أَمْرِ تَكْفِينِهِ وَتَجْيِيزِهِ وَدَفْنِهِ ، وَكَذَا فِي حَالِ الْعِلَاءِ وَالرَّخَاءِ
وَالسَّرَاءِ وَالضَّرَاءِ وَكَذَا تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الشَّيْخِ وَالصَّبِيِّ وَالشَّابِّ وَالْمَرْأَةِ وَالرَّجُلِ
وَالْعَاقِلِ وَالْجَاهِلِ (فَمَا يُسْتَقْبَحُ فِي أَحَدِهِمَا) أَيِ الشَّخْصَيْنِ أَوْ الْحَالَيْنِ (لَا يُسْتَقْبَحُ فِي
الْآخَرِ) لِتَفَاوُتِ الْأَمْرَيْنِ (وَالْأَوَّلَى) فِي الْإِنْفَاقِ (التَّوَسُّطُ) الْمَحْمُودُ فِي جَمِيعِ
الْإِخْلَاقِ بَأَنَ يَكُونَ مَتَوَسِّطًا بَيْنَ الْبَذْلِ وَالْبَخْلِ فَيُمْسِكُ حَيْثُ يَجِبُ الْحِفْظُ وَيُبْذِلُ حَيْثُ
يَجِبُ الْعَطَاءُ وَانَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَوَّلَى لِأَنَ التَّفْرِيطَ الَّذِي هُوَ الْبَخْلُ مَذْمُومٌ كَالْإِفْرَاطِ الَّذِي
هُوَ التَّبْذِيرُ وَالْإِثَارُ وَإِنْ كَانَ حَسَنًا لَكِنْ الْمَدَاوِمَةُ عَلَيْهِ رُبَّمَا تَوْدَى إِلَى الْحَجَرِ فَكَانَ
الْأَوَّلَى هُوَ التَّوَسُّطُ (فُورَدَ) وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ (أَيِ لَا تُمْسِكْ يَدَكَ
عَنِ النِّفْقَةِ فِي الْحَقِّ كَالْمَغْلُولَةِ يَدُهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى مَدِّهَا) وَلَا تَبْسُطْهَا (أَيِ بِالْعَطَاءِ
(كُلِّ الْبَسْطِ) فَتُعْطَى جَمِيعُ مَا عِنْدَكَ) فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (وَالْمَلُومُ الَّذِي أَتَى مَا يُلُومُ
نَفْسَهُ وَمَا يُلُومُ غَيْرَهُ ، وَمَحْسُورٌ أَيِ مُنْقَطِعًا بِكَ لِأَمْرٍ عِنْدَكَ ، وَفِي الْمَعَالِمِ قَالَ : جَابِرٌ أَنَّى
صَبِي فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أُمِّي تَسْتَكْسِيكَ دِرْعًا وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْإِقْبِصَةُ
فَقَالَ لِلصَّبِيِّ مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ يَظْهَرُ فَعَدَوْقَتَا آخِرَ فَعَادَ إِلَى أُمِّهِ فَقَالَتْ لَهُ : قُلْ لَهُ إِنْ أُمِّي
تَسْتَكْسِيكَ الدِّرْعَ الَّذِي عَلَيْكَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَارَهُ وَنَزَعَ قَبِصَهُ فَأَعْطَاهُ أَيَّامَهُ وَقَعَدَ
عَرِيَانًا فَاذْنَ بِلَالٍ بِالصَّلَاةِ وَانْتَظَرُوهُ فَلَمْ يَخْرُجْ فَشَغَلَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ
فَرَأَاهُ عَرِيَانًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ (وَحَقُّ الْعَطَاءِ) لِأَسْمَاءَ إِذَا كَانَ فَرَضًا (أَنْ يَعْجَلَ قَبْلَ
الْوُجُوبِ) وَهُوَ حَوْلَانِ الْحَوْلِ فِي الزَّكَاةِ وَدُخُولِ عِيدِ رَمَضَانَ فِي صَدَقَةِ الْفِطْرِ
(مَبَادِرَةً إِلَى الْإِثْمَارِ) أَيِ قَبُولِ الْأَمْرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ)
(وَاسْرَارًا لِلْمُؤْمِنِ) فَقَدْ قِيلَ « ادْخَالَ السَّرُورُ عَلَى قَلْبِ الْمُؤْمِنِ أَفْضَلَ مِنْ عِبَادَةِ
التَّقْلِينِ » وَعَنْ جَابِرٍ « أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ سُرُورُ تَدْخُلِهِ عَلَى مُسْلِمٍ » ابْنُ عَدَى ، وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ
« مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ ادْخَالِكَ السَّرُورِ عَلَى قَلْبِ أَخِيكَ الْمُسْلِمِ » ابْنُ النُّجَّارِ

وَحَمَامِيَا عَنْ طُرُقِ الْآفَاتِ وَيَعِينُ لَهُ وَقْتًا فَاضِلًا كَشَهْرِ رَمَضَانَ وَذِي
الْحِجَّةِ وَيُسْرُ أَنْ خَافَ الرِّيَاءَ، فَوَرَدَ « إِنْ الْعَبْدُ لِيَعْمَلْ سِرًّا فَيَكْتُبُ سِرًّا وَأَنْ
أَظْهَرَهُ نُقِلَ إِلَى الْعَلَانِيَةِ فَإِنْ تَحَدَّثَ بِهِ نُقِلَ إِلَى الرِّيَاءِ »، وَكَانُوا يُبَاغُونَ فِيهِ بِحَيْثُ
لَا يَعْرِفُهُمُ الْقَابِضُ، وَيُظْهِرُ إِنْ سُئِلَ فِي مَلَأَ مَعْتَصِمًا عَنْهُ أَوْ أَمَنَهُ

﴿ وَحَمَامِيَا ﴾ أَيُّ تَحَافُظًا ﴿ عَنْ طُرُقِ الْآفَاتِ ﴾ أَيُّ عُدُوثِ طُرُقِ الْآفَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ
الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْوَسَاوِسِ الشَّيْطَانِيَّةِ ﴿ وَيَعِينُ لَهُ وَقْتًا فَاضِلًا ﴾ أَيُّ زَمَانًا كَامِلًا لِيَكُونَ ذَلِكَ
سَبِيلًا لِنَاءِ قَرْبَتِهِ وَتَضَاعُفِ صَدَقَتِهِ ﴿ كَشَهْرِ رَمَضَانَ ﴾ فَمَنْ أُنْسَ أَنَّ أَفْضَلَ الصَّدَقَةِ
فِي رَمَضَانَ الدَّارِمِيُّ فِي جَزَائِهِ، وَقَدْ كَانَ ﷺ أَجُودَ الْخَلْقِ وَأَجُودَمَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ
كَالرَّيْحِ الْمُرْسَلَةِ لَا يَمْسُكُ فِيهِ شَيْئًا، كَمَا فِي الصَّحِيحِينَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿ وَذِي الْحِجَّةِ ﴾
فَإِنَّهُ شَهْرٌ حَرَامٌ وَفِيهِ الْحَجُّ وَمَوْسَمُ الْخَيْرَاتِ وَالْمَبْرَاتِ وَالْأَيَّامُ الْمَعْلُومَاتُ وَهِيَ الْعَشْرُ
الْأُولَى . وَالْأَيَّامُ الْمَعْدُودَاتُ وَهِيَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ وَقَدْ قَالُوا: أَفْضَلُ أَيَّامِ شَهْرِ رَمَضَانَ
الْعَشْرُ الْآخِرُ وَأَفْضَلُ أَيَّامِ ذِي الْحِجَّةِ الْعَشْرُ الْأُولَى ﴿ وَيُسْرُ ﴾ أَيُّ يَخْفَى الْعِطَاءُ
﴿ إِنْ خَافَ الرِّيَاءَ فَوَرَدَ أَنَّ الْعَبْدَ لِيَعْمَلْ سِرًّا فَيَكْتُبُ سِرًّا وَأَنْ أَظْهَرَهُ ﴾ لِغَيْرِهِ بَعْدَ
سِرِّهِ ﴿ نُقِلَ إِلَى الْعَلَانِيَةِ ﴾ أَيُّ دِيَوَانِهَا ﴿ فَإِنْ تَحَدَّثَ بِهِ ﴾ أَيُّ ثَالِثًا ﴿ نُقِلَ إِلَى الرِّيَاءِ ﴾
الْخَطِيبُ فِي التَّارِيخِ مِنْ حَدِيثِ أَنْسَ نَحْوَهُ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ وَالدِّيلِيُّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ
وَلَفْظُهُ أَنَّ الرَّجُلَ لِيَعْمَلَ عَمَلًا سِرًّا فَيَكْتُبَهُ اللَّهُ عِنْدَهُ سِرًّا فَلَا يَزَالُ بِهِ الشَّيْطَانُ حَتَّى
يَتَكَلَّمَ بِهِ فَيَمْحَى مِنَ السَّرِّ وَيَكْتُبُ عِلَانِيَةً فَإِنْ عَادَ وَتَكَلَّمَ الثَّانِيَةَ مَحَى مِنَ السَّرِّ وَالْعِلَانِيَّةِ
وَكُتِبَ رِيَاءً، وَوَرَدَ ثَلَاثُ مَنَ كُنُوزِ الْبَرِّ مِنْهَا اخْفَاءُ الصَّدَقَةِ ، أَبُو نَعِيمٍ مِنْ حَدِيثِ
ابْنِ عَبَّاسٍ « وَصَدَقَةُ السَّرِّ تَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ » الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي إِمَامَةَ وَوَسْبَعَةُ
يُظَاهِمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ أَحَدُهُمْ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَلَمْ تَعْلَمْ شِمَالُهُ بِمَا أَفْتَقَتْ
يَمِينُهُ ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿ وَكَانُوا ﴾ أَيُّ السَّالِفِ ﴿ يُبَاغُونَ فِيهِ ﴾
أَيُّ فِي اخْفَاءِ الْإِعْطَاءِ ﴿ بِحَيْثُ لَا يَعْرِفُهُمُ الْقَابِضُ ﴾ تَحَامِيَا عَنْ السَّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ وَتَحَافُظًا
عَنِ الْمَنِّ وَالْأَذَى فَكَانَ بَعْضُهُمْ بِلِقَائِهِ فِي يَدِ الْأَعْمَى وَبَعْضُهُمْ كَانَ يَصِرُ فِي ثَوْبِ الْعَقِيرِ
وَهُوَ نَامٍ وَبَعْضُهُمْ كَانَ يُوَصِّلُ إِلَى يَدِ الْفَقِيرِ عَلَى يَدِ غَيْرِهِ بِحَيْثُ لَا يَعْرِفُ الْمُعْطَى ، وَكَانَ
يَسْتَكْتُمُ الْمُتَوَسِّطُ بِشَأْنِهِ وَيُوصِيهِ بِأَنْ لَا يَشْفِيهِ فِي زَمَانِهِ ﴿ وَيُظْهِرُ ﴾ أَيُّ الْإِعْطَاءِ ﴿ إِنْ
سُئِلَ فِي مَلَأَ مَعْتَصِمًا عَنْهُ ﴾ أَيُّ مَحْفُوظًا عَنِ الرِّيَاءِ ﴿ أَوْ أَمَنَهُ ﴾ أَيُّ أَوْ أَمَنَ مِنْ

وَقَصَدَ التَّرْغِيبَ ؛ فَوَرَدَ (إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تَخْفُوهَا وَتَوْتُوهَا
 الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) * (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) وَلَمْ يَسْتَرْ الْقَابِضُ
 تَحَامِيًا عَنِ الْهَتِكِ ، فَوَرَدَ « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ » ، وَيَجْتَنِبُ الْمَنَ
 وَالْأَذَى فَوَرَدَ (لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) وَهُمَا الذِّكْرُ بِالْقَلْبِ

السمعة والرياء لاختصاصه بمقام الخواص في الاخلاص ((وقصد الترغيب)) لغيره في
 باب الاعطاء من الاقتداء ((فورد إن تبدوا الصدقات)) أي إن نظهروها ((فنعما هي))
 أي فعمت الخصلة ابدائها أي اظهار اعطائها ((وان تخفوها وتوتوها الفقراء فهو
 خير لكم)) أي من الابداء بالاعطاء ((وأنفقوا)) بصيغة الماضي ((مما رزقناهم سرا
 وعلانية)) أي باختلاف الأحوال من الترهيب والترغيب وتفاوت النية واختلاف
 الطوية والسر مخص بالتواقل والاعلان بالفرائض أو نارة ونارة بحسب ما يليق بالاشخاص
 والاوقات والحالات كما يشير اليه قوله تعالى : (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار
 سرا وعلانية فلم يجرم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) روى مجاهد عن ابن
 عباس قال : نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان عنده أربعة دراهم
 لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية ((ولم
 يستر القابض)) أي لم يكتم ما أخذه بل يظهره ويتحدث به ويدعول صاحبه، فقد ورد
 « من صنع اليكم معروفا فكافؤه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى ترون انكم قد كافأتموه »
 أبو داود . والنسائي من حديث ابن عمر باسناد صحيح « ومن صنع اليه معروفا فقال
 لفاعله : جزاك الله خيرا فقد أبلغ في الشناء » الترمذی . وابن حبان . والنسائي عن أسامة
 « ومن صنع الى أحد من أهل بيتي يدا كافئته عليها يوم القيامة » ابن عساكر عن علي
 ((تحاميا عن الهتك)) أي احترازا عن انتهاك حرمة شكر النعمة ((فورد من لم يشكر
 الناس لم يشكر الله)) الترمذی وحسنه ، وفي رواية عبد الله بن أحمد عن النعمان بن بشير
 « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله
 شكر وتركها كفر » ، (ويجتنب المن) أي الامتنان في الاعطاء والاحسان ((والأذى))
 باليد أو باللسان ((فورد لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى)) أي بكل منهما ((وهما)) أي
 المن والأذى على طريق اللف والنشر المرتب ((الذكر بالقلب)) أي ذكر الصدقة بقلبه

وَالْأَظْهَارُ بِاللِّسَانِ. وَالْإِسْتِخْدَامُ وَالتَّقْرِيعُ بِالْفَقْرِ وَالتَّكْبِيرُ بِالْعَطَاءِ وَالتَّشْدِيدُ
بِالْقَوْلِ، وَالْأَقْرَبُ الْمَنْ أَنْ يَرَاهُ مُحْسِنًا إِلَيْهِ وَيَعْرِفُ بِقُوَّةِ اسْتِبْعَادِ جَنَابَةِ الْقَابِضِ
بَعْدَ الْعَطَاءِ، وَالْمُحْسِنُ هُوَ الْقَابِضُ لَا يَصَالُهُ إِلَى الثَّوَابِ وَالْإِنْجَاءِ عَنِ الْعِقَابِ
وَكَوْنُهُ نَاتِبًا عَنْهُ تَعَالَى فِيهِ، فَرَدَّ «أَنَّهُ تَقَعُ أَوْ لَا يَدُهُ تَعَالَى» وَكَوْنُهَا حَقًّا لَهُ تَعَالَى
أَحَالَ عَلَيْهِ الْفَقِيرَ إِنْجَازًا لِمَا وَعَدَهُ مِنَ الرِّزْقِ *.

((والاظهار)) لها ((باللسان)) في غيبته أو وجهه ((والاستخدام)) الفقير بالعطاء ((والتقريع)) بالفقر ((أو تعبيره)) بأنه من الفقراء ((والتكبير بالعطاء)) أي لانه من الاغنياء ((والتشديد بالقول)) أي بان ينهره ويوبخه بانه من الفقراء ((والاقرب)) أي الى الصواب من بين الاقوال ان يقال ((المن)) أي حد المن ((ان يراه)) أي المعطى ((محسنا اليه)) ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا لديه بقبول حق الله تعالى منه الذي هو طهرته وبه عن النار نجاته وانه لو لم يقبله لبقى مرتبنا به فحقه ان يتقدم منه من الفقير في قبضه واخذه بيد لطفه ، ولذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويمثل قائما عنده يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير فتكون يد الفقير هي العليا ((ويعرف)) أي المن ((بقوة استبعاد جنابة القابض بعد العطاء)) أي بترك الخدمة وعدم التعظيم والحرمة والتقديم في المحافل والمتابعة في المجالس والمناهل ، فلو جنى القابض على المعطى فزاد استنكاره علم ان صدقته لم تخل عن شائبة المنة لانه توقع بسببها هنالك ما لم يكن توقعه قبل ذلك ((والمحسن)) أي في الحقيقة ((هو القابض)) أي الصدقة ((لا يصاله)) أي المحسن ((الى الثواب والانجاء)) أي اخلاصه ((عن العقاب وكونه)) أي وكونه ((ناتبا عنه تعالى فيه)) أي في القبض ((فرود أنها تقع أو لا يده تعالى)) ولفظ الحديث «ان الصدقة تقع بيد الله تعالى قبل ان تقع في يد السائل» الدار قطني في الافراد من حديث ابن عباس واليهيقي في الشعب ((وكونها)) أي ولكون الصدقة ((حقا له تعالى)) أي خاصة اذ ليس له شريك في ملكه ((احال عليه الفقير)) على سبيل الرفق ((انجازا لما وعده من الرزق)) أي وقدره ان يكون على يد الخلق فليتحقق الغنى انه مسلم الى الله سبحانه وحقه والفقير آخذ من الله عز وجل رزقه بعد

وَالْأَذَى التَّعْيِيرُ وَالتَّوْبِيخُ وَالْقَوْلُ السِّيءُ وَالْقُطُوبُ . وَهَتْكَ السِّرَ .
وَالِاسْتِخْفَافُ . وَالِاسْتِحْقَارُ ، وَالسَّبَبُ اسْتِكْثَارُ الْعَطَاءِ وَالتَّكْبِيرُ عَلَى الْقَابِضِ
النَّاشِئَانِ مِنَ الْجَهْلِ ، وَنَسْيَانُ فَضْلِ الْفَقِيرِ ، وَالْمُرَادُ عَدَمُ كَوْنِ ذَلِكَ الْإِعْطَاءِ
صَدَقَةً لَا الْإِبْطَالَ فَهُوَ مَمْتَنِعٌ ، وَيَسْتَصْغِرُ الْإِعْطَاءُ لِعَظَمِ عِنْدَهُ تَعَالَى

صيرورته مسلما الى الله ولو كان عليه دين لانسان فاحال به عليه صاحب الدين عبده
او خادمه الذى هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت مته
سفها وجهلا فان المنه للمحسن اليه المتكفل برزقه فاما هو فقائم بقضاء الدين الذى لزمه
بشراء ما أحبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمين به على غيره (والاذى) أى والأقرب
ان حد الاذى (التعيير والتوبيخ) عطف تفسير أو احدهما مختص بالغيبة والآخر
بالمشاهدة (والقول السيئ) كالذم والشتم ونخشين الكلام (والقطوب) وهو عبوسة
الوجه (وهتك السر) أى ببيان اعطائه له فى الملا حوله (والاستخفاف) أى بقوله
(والاستحقار) بفعله (والسبب) أى الباعث على المن والاذى (استكثار
العطاء) واستنقاله وهو حق لان من كره بذل درهم فى مقابلة ما يساوى ألفا فهو شديد
الجهل ، ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضا المولى والثواب فى دار العقي فلا وجه لكرهيته
أصلا (والتكبر على القابض الناشئان من الجهل) الحاصلان الحادثان من جهله
(باستنقال رضائه تعالى على خسيس فان) أى فى اصل بنائه كما تقدم (ونسيان فضل
الفقير) أى ومن نسيان فضله لانه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الاغنياء
وحظ الفقراء لما استحققر الفقير بل يتبرك بخدمته ويتمنى ان يكون فى درجته ، فصلحاء
الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام فقد ورد « فقراء المهاجرين يدخلون
الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام » الترمذى عن أنس سعيد (والمراد) أى بالبطلان
فى قول الله تعالى : (لا تبطلوا صدقاتكم) (عدم كون ذلك الاعطاء صدقة) أى مقبولة
نافعة كل المنفعة أو صدقة مضاعمة بان يكون كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبل
مائة حبة (لا الابطال) أى الحقيقى فلا يكون له ثواب الصدقة بالكلية ولا حبة كما يقوله
المعتزلة وعلى التنزل فيكون له ثواب الاحسان لانه احسن الى احد من الاخوان
(فهو) أى الابطال من جميع الاحوال (ممتنع) فى صحيح الاقوال (ويستصغر) أى
من حق العطاء ان يستحققر (الاعطاء ليعظم عنده تعالى) فيصير حبة مثل جبل

وَهُوَ بِذِكْرِ التَّوْفِيقِ وَالثَّوَابِ ، وَيُؤَدِّي مُسْتَحْيَا مِنْهُ تَعَالَى لِلْبُخْلِ
الْحَامِلِ عَلَى الْخِفْظِ أَجُودَ الْمَالِ وَابْعَدَهُ مِنَ الشُّبْهَةِ فُورَدَ . (أَنْفَقُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) *

احدو يقال : ان الطاعة كلما استصغرت كبرت و كلما استعظمت صغرت (وهو) أى
استصغاره انما يحصل (بذكر التوفيق) بأن يتأمل بعين التحقيق انه من أين له المال
والى ماذا يصرفه فى المال فالمال لله وله المنه اذا اعطاه اياه ثم وفقه لبذله وصانه عن
بخله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ما هو عين من بعض حقه وهذا ان ارتقى الى الدرجة
العليا بان يكون بذله فى حجة المولى (والثواب) أى وبالأجر والثوبة ان كان مقامه
يقتضى ان ينظر الى الآخرة ومثوبة العقبى فلم يستعظم بذل ما ينظر عليه اضمافه مع انه
بخيل باعطاء بعض ماله فكان ينبغي ان يخجل فى اعماله من نقصان كماله باعتبار ما له ، وهذا
معنى قوله (ويؤدى مستحيا منه تعالى) فهو عطف بالمعنى على بذكر التوفيق
فالتقدير وهو بان يذكر التوفيق وان يؤدى مستحيا منه سبحانه فى مقام التحقيق (للبخل
الحامل على الخفظ) أى على امساك بقية ماله عن مرضاة ماله (اجود المال)
مفعول يؤدى أى يعطى احسن المال (وابعدته من الشبهة) أى واقربه الى الحلال
(فورد أنفقوا من طيبات ما كسبتم) تمامه (وبما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا
الحديث منه تفقون ولستم باخذيه الا أن تمضوا فيه) أى لا تأخذونه الا مع كراهة
وحياء ، وفى الخبر « سبق درهم مائة ألف درهم » النسائي وابن حبان والحاكم وصححه من
حديث أبى هريرة وذلك بان يخرج من اجل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح
يبذله وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيذل ذلك على انه ليس يؤثر الله عز
وجل بشئ مما يحبه كذا فى الاحياء ويحتمل ان يكون معناه ان لاجل درهمين فاخرج
درهما وللاخر سبع مائة ألف درهم فاخرج مائة ألف درهم فيصدق عليه انه غلب
درهم مائة ألف درهم بحسب الرتبة فى مقام الكرم والله سبحانه وتعالى اعلم ، ثم رأيت فى رواية
النسائي عن أبى ذر ، سبق درهم مائة ألف درهم رجل له درهمان اخذ أحدهما
فتصدق به ورجل له مال كثير فاخذ من عرضه مائة ألف درهم فتصدق بها ، وفى
رواية الطبرانى عن أبى مالك الاشجعي ، ثلاثه نفر كان لاجلهم عشرة دنانير فتصدق
بدينار وكان لآخر عشر أواق فتصدق منها باوقية وكان لآخر مائة أوقية فتصدق

(حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) . وَلَآئِهٖ تَعَالَى يَأْخُذُهَا فُورِدَ (يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ) فَلَا
يَدْخُلُ فِيهَا وَرَدَ (وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ مَا يَكْرَهُونَ) لِمَنْ يَكْثُرُ بِاعْطَائِهِ الْآجَرَ بِكَوْنِهِ مُتَقِيًّا
وَعَالِمًا فُورِدَ (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) وَصَادِقًا

منها بعشر اوراق هم في الاجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله، ﴿ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾
في قوله تعالى : (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) فَيَنْبَغِي اَنْ يَنْفِقَ مِنْ مَالِهِ اَجُودَهُ
وَاحِبِهِ وَاحِلَهُ وَاطْيِبَهُ فُورِدَ ، اَنْ اَللّٰهُ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ اِلَّا طَيِّبًا ، اَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ
وَطَوَّقِي لَعْدًا نَفَقَ مِنْ مَالِ اَكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، اَبْنُ عَدِي وَالْبَزَارُ ﴿ وَلَآئِهٖ تَعَالَى يَأْخُذُهَا
فُورِدَ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ اَيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ
الصَّدَقَاتِ) ﴿ فَلَا يَدْخُلُ ﴾ تَفْرِيعٌ لِقَوْلِهِ يُؤْدِي اَجُودَ الْمَالِ اَيُّ حَتَّى لَا يَدْخُلَ فِي الْمَالِ
﴿ فَيَا وَرَدَ ﴾ مِنْ ذِمِّ الْكُفَّارِ ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ اَيُّ مِنَ الْبَنَاتِ حَيْثُ
قَالُوا : الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللّٰهِ وَتَمَامُهُ : (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ اَنْ لَهُمُ الْحُسْنَى) وَهِيَ
الصِّيَانُ ﴿ لِمَنْ يَكْثُرُ ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِؤْدَى اَيُّ يَخْصُ اعْطَاءَهُ لِمَنْ يَكْثُرُ ﴿ بِاعْطَائِهِ الْآجَرَ
بِكَوْنِهِ مُتَقِيًّا ﴾ وَالِاتَّقِيَاءُ الْمَعْرُضُونَ عَنِ الدُّنْيَا الْمُتَجَرِّونَ تِجَارَةَ الْعَقِي فَقَدْ قَالَ تَعَالَى :
(اِنْ اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ اَتْقَاكُمْ) وَوَرَدَ : لَا تَأْكُلْ اِلَّا طَعَامَ تَقَى وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ اِلَّا
تَقَى ، اَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ اَبِي سَعِيدٍ : وَاطْعَمُوا طَعَامَكُمْ اِلَّا تَقِيَاءً ، اَبْنُ الْمُبَارَكِ
فِي الْبِرِّ وَالصَّلَةِ مِنْ حَدِيثِ اَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَهَذَا لِأَنَّ التَّقَى يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى التَّقْوَى
فَيَكُونُ شَرِيكَاهُ فِي طَاعَةِ الْمَوْلَى ﴿ وَعَالِمًا ﴾ فَانْ ذَلِكَ اِعَانَةٌ لَهُ عَلَى الْعِلْمِ وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ
الْعِبَادَاتِ ﴿ فُورِدَ (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) وَوَرَدَ : أَحَبُّ بَطْعَامِكَ مِنْ يَحِبُّهُ اللّٰهُ ،
وَفِي لَفْظِهِ مِنْ تَحِبُّهُ فِي اللّٰهِ ، اَبْنُ الْمُبَارَكِ . وَأَبُو جَوَيْبِرٍ عَنِ الضَّحَّاكِ مَرْسَلًا ، وَكَانَ اَبْنُ الْمُبَارَكِ
يَخْصُصُ بِمَعْرِفَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ فَقِيلَ لَهُ لَوْ عَمِمْتَ فَقَالَ : اِنِّي لَا أَعْرِفُ بَعْدَ مَقَامِ النُّبُوَّةِ أَفْضَلَ
مِنْ مَقَامِ الْعُلَمَاءِ فَإِذَا اشْتَغَلَ قَلْبُ أَحَدِهِمْ بِحَاجَتِهِ لَمْ يَتَفَرَّغْ لِلْعِلْمِ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى التَّعْلِيمِ فَتُفْرِغُهُمْ
لِلْعِلْمِ أَفْضَلَ ، وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُوَثِّرُ فَقَرَاءَ الصُّوفِيَّةِ بِالْعَطَاءِ دُونَ غَيْرِهِمْ فَقِيلَ : لَوْ عَمِمْتَ
بِمَعْرِفَتِكَ جَمِيعَ الْفُقَرَاءِ كَانَ أَفْضَلَ فَقَالَ : هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مَهْمُمُ اللّٰهُ سَبْحَانَهُ فَإِذَا طَرَقَتْهُمْ
فَاقَةٌ تَشَتَّتَ مَهْمُهُمْ أَوْهُمْ أَحَدُهُمْ فَلَأَنَّ أَحَدَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلَى اللّٰهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ اِعْطَاءِ
أَلْفٍ عَنْ هِمَّتِهِ الدُّنْيَا فَذَكَرَ هَذَا الْكَلَامَ لِلْجَنِيدِ فَاسْتَحْسَنَهُ وَقَالَ : هَذَا وَلِي مِنْ أَوْلِيَاءِ
اللّٰهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَ مَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْمُصَنِّفِ ﴿ وَصَادِقًا ﴾

يرى النعمة منه تعالى ،

أى فى تقواه وعلمه بتوحيد مولاه حال كونه ﴿ يرى النعمة منه تعالى ﴾ أى ولم ينظر الى واسطته وتكون همته الله لا ماسواه ، فى وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما وأعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم وسلطانه ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اياه اذ سلط الله تعالى عليه دواعى الفعل ويسر له الأسباب فاعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل فى قلبه بأن صلاح دينه ودنياه فى فعله فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطى من ثناء غيره وشكره فذلك حركة فى اللسان يقل جدواه فى أكثر الزمان واعانة مثل هذا الموحد لا تضع ولا تقع فى مقام النقصان ، وأما الذى يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسينم بالمنع ويدعو بالشر عند الاباء من الاعطاء فاحواله متفاوتة فى السراء والضراء ، وفى هذا المقام قال عليه السلام « لرجل تب فقال أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد فقال ﷺ : عرف الحق لأهله » أحمد والطبرانى من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف ، ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الافك قال : أبو بكر رضى الله عنه : قومى فقبلى رأس رسول الله ﷺ فقالت : لا والله لا أفعل ولا أحمد الا الله عز وجل فقال عليه السلام : « دعها يا أبا بكر » وفى لفظ آخر انها قالت : لآبى بكر « بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك » فلم ينكر رسول الله ﷺ مع أن الوحي وصل اليها على لسان رسول الله ﷺ كذا فى الاحياء ، وقال العراقى : رواه أبو داود ، ومن حديث عائشة بلفظ « فقال أبو اى : قومى فقبلى رأس رسول الله ﷺ فقلت : أحمد الله لا اياك » وللبخارى تعليقا فقال أبو اى : قومى فقلت : لا والله لا أقوم اليه ولا أحده ولا أحد كما ولكن له ، ولمسلم « فقالت لى أمى : قومى اليه فقلت : والله لا أقوم اليه ولا أحد الا الله » والطبرانى « فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك » وله من حديث ابن عباس فقالت : لا بحمدك ولا بحمد صاحبك ، وله من حديث ابن عمر فقال أبو بكر : « قومى فاحتضنى رسول الله ﷺ فقالت : لا والله لا أدنونه » الحديث ، وفيه « انها قالت للنبي ﷺ بحمد الله لا بحمدك » ثم اعلم أن رؤية الاشياء من غير الله تعالى وصف للكافرين قال تعالى : (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستبشرون) ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكأنه لم ينفك عن

وَسَاتِرًا لِّحَاجَتِهِ فُورِدَ (يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنَاءَ مِنَ التَّعْقِفِ) . وَمَعِيلاً وَمَرِيضًا فُورِدَ
 (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وَذَا رَحِمَ فَجَاءَ أَنَّ الصَّلَةَ بِدَرَاهِمِ

الشرك الخفى سره فليترك الله سبحانه في تصفية توحيدهِ في مراتبه عن كدورات الشرك الخفى وشوائبه ومع هذا من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر من يرى الواسطة أصلاً، وهذا مرتبة جمع الجمع في التحقيق والله ولى التوفيق ﴿وساتر الحاجته﴾ أى ومخفياً لفاقته لا يكثربالث والشكوى فى مضرة حالته ﴿فورد يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف﴾ تمامه : (تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الخافاً) أى الخافاً وتصريحاً بل تعريضاً وتلويحاً أو لا يسألون أصلاً فالغنى منصب على القيد والمقيد كقوله سبحانه : (مَالِ الظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍ وَلَا شَفِيعٌ إِلَّا مَنِ اسْتَشْفَعَ لَهُمْ أَصْلًا وَقَطْعًا، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَغْنَاءُ يَقِينُهُمْ وَأَعَزَّةُ بَصِيرُهُمْ وَتَمَكِّنُهُمْ فُورِدَ ، ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس « متفق عليه من حديث أبى هريرة ﴾ (ومعيلاً) بضم الميم أى عاجزاً عن نفقة أهله (ومريضاً) أى مجربوسا المرض مانعاً له من كسبه (فورد للفقراء) أى خصوا صدقاتكم للفقراء (الذين احصروا في سبيل الله) أى حبسوا في طريق الآخرة لعبادة أو ضيق معيشة أو اصلاح قلب في علم وعبادة تمامه (لا يستطيعون ضرباً في الأرض) أى سيرا فيها للتجارة والزراعة والاجارة ونحوها، فبهذه الاسباب كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها، وكان عليه السلام يعطى العطاء على قدر العيلة كذا في الاحياء ، قال العراقي : لم أجد له أصلاً لكن لأبى داود من حديث عوف بن مالك ، أن رسول الله ﷺ كان اذا أتى النقى قسمه في يومه و يعطى الأهل حظين ويعطى العزب حظاً ، وقال أحمد : حديث حسن ، أقول فكان الغزالي نقله بمعناه لعدم استحضار مبناه أو اطلع على ما لم يحده غيره بعده ، وورده ان المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤنة وان الصبر يأتي من الله على قدر المصيبة « الحكيم والحاكم والبرار والبيهقى عن ابن عمر ، وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال قلت : وضعف الحال والافار باب الكمال لو كان الخلق كلهم عياله ولم تنزل قطرة ولم تنبت حبة بجباله ما يبالون فان خالقهم رازقهم وواعدهم فصادقهم (وذا رحم لجاء ان الصلة) أى صلة الرحم (بدرهم

أَحَبُّ مِنَ التَّصَدُّقِ بِعَشْرِينَ إِلَى الْأَجْنِيِّ، وَالْأَوَّلَى طَلَبُ الْجَمَاعِ أَيَّاهَا
أَوْ أَكْثَرَهَا، وَيَتَصَدَّقُ كُلُّ يَوْمٍ وَلَا يَرُدُّ سَائِلًا فَيَسْكُتُ أَنْ لَمْ يَقْدِرْ وَهُوَ الْمَأْتُورُ
الْبَلُطَفُ فَرَدَ (قَوْلُ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى) .

أحب من التصدق بعشرين إلى الأجنبي (فمن على لأن أصل أخا من أخواني بدرهم أحب
إلى من أن أتصدق بعشرين درهما ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلى من أن
أتصدق بمائة درهم ولأن أصله بمائة درهم أحب إلى من أن أعطي رقبة، وأما الأصدقاء
وأخوان الخير فيقدمون على المعارف ثم تقدم الأقارب على الأجانب، وقد
ذكر السيوطي في خماسيته أن ثواب الصدقة خمسة أنواع واحدة بعشرة وهي على صحيح
الجسم وواحدة بسبعين وهي على الأعني والمبتلى وواحدة بتسعمائة ألف وهي على ذى قرابة
محتاج وواحدة بمائة ألف وهي على الأبوين وواحدة بتسعمائة ألف على عالم أو فقيه
(والأولى طلب الجامع أيها) أي طلبه لمن جمع فيه الصفات المذكورة والحالات
المسطورة (أو أكثرها) فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله ويقدر ما يتعنى يحصل له
ما يمتنى فإن وجد من جمع هذه المراتب في أعلى المناقب فهي الذخيرة الكبرى
والغنيمة العظمى (ويتصدق كل يوم) أي يكتب في المتصدقين وقد ورد «يا كروا
بالصدقة فإن البلاء لا يخطي الصدقة» الطبراني في الأوسط عن علي واليهيقي عن أنس
(ولا يرد سائلا) فورد «ردوا السائل ولو بظلف محرق» مالك وأحمد، والبخاري
في تاريخه، والنسائي عن جوامع بنات السكن، وفي رواية العقيلي عن عائشة «ردوا هذمة
السائل أي بغيته وشهوته - ولو بمثل رأس الذباب» العقيلي عن عائشة ولعله مقتبس
من قوله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) (فيسكت أن لم يقدر) أي على
الغطاء (وهو المأثور) فمن محمد بن الحنفية مرسلاته عليه السلام «كان لا يكاد يقول
شيء إلا فإذا هو سئل فأراد أن يفعل قال نعم وإن لم يرد أن يفعل سكت» رواه ابن سعد
ورواه الحاکم عن أنس كان عليه السلام لا يسأل شيئا إلا أعطاه أو سكت (الابلطف)
وهو المشهور عن الجمهور (فورد قول معروف) أي كلام حسن ورد على السائل
مستحسن، وقيل علة حسنة، وقيل دعوة صالحة (ومغفرة) أي ستر خلة أو سد فاقة
ورفع حاجة (خير من صدقة) يدفعها إليه حال كونه (يتبعها أذى) أي يعقبها به
لديه أو من عليه، والأولى أن يستدل بقوله تعالى: (وأما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك

ولا ينهر فأوعديه العذاب في النار ألف عام ويغتم السؤال ويسى الظن بنفسه
عند فقده، ولا يتوقع جزاء أو دعاء أو شكر أو ثناء أو يكافئ بمثله أن دعاه بالخير أو
أنى ويجعلها لوالديه الماضين فالكل مأثور ويقدم نفقة النفس والعيال فهو فرض

ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً (أى ذا يسر ولين وهى العدة أى فعدم وعدا جميلا
وقيل ادع لهم دعاء جزيلاً نحو يرزقنا الله وإياك واعطانا الله وأعطاك) (ولا ينهر)
أى ومن حق العطاء أنه لا يزرجه ولا يقهره ولا يفسر قوله تعالى : (وأما السائل فلا تنهر)
أى إذا سألك فاما أن تطعمه طعاماً لنا واما أن ترده رداً هيناً (فأوعديه العذاب فى
النار ألف عام) لم أعرف له أصلاً (ويغتم السؤال) بالمصدر أى سؤال
الفقير على بابهِ فإنه هدية من الله الى جنبه كما ورد فيها تقدم «ويحتمل أن يكون السؤال
على وزن الجهال جمع سائل» فمن إبراهيم بن آدم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة،
وعن ابن عمر مرفوعاً «هدية الله الى المؤمن السائل على بابهِ» رواه الخطيب (ويسى
الظن بنفسه عند فقده) أى عند عدم وجدان السائل فى باب أنسه (ولا يتوقع)
أى لا يطمع من الفقير حين اعطاه عطاء أن يجازيه (جزاء أو دعاء أو شكر أو ثناء)
قال تعالى حكاية عن الابرار: (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) اما
نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً (ويكافئ) بالهمز أى يجازى
المعطى (بمثله) بنظير دعاء الفقير (أن دعا له بالخير) ونحوه من الجزاء
(أو أنى) عليه بأن مدح فى مقابلة العطاء وكانت عائشة ام المؤمنين كثيرة الخيرات
والمبرات قال عروة بن الزبير : «لقد تصدقت بخمسين ألفاً وان درعها المرقع، وكانت
هى وأم سلة اذا أرسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعوه ثم كانتا تردان
عليه مثل قوله وتقولان: هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء
لأنه يشبه المكافأة وهكذا فعل عمر وابنه رضى الله عنهما (ويجعلها) أى ثواب
صدقة (لوالديه الماضين) أى المتوفين فانهما ينتظران دعوة تلحقهما أو صدقة
تصيهما فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده «ما على أحدكم اذا أراد أن يتصدق أن
يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرها ويكون له مثل أجورهما من غير
أن ينقص من أجورهما شئ» ابن النجار (فالسكل مأثور) وفى كتب الحديث مسطور
(ويقدم نفقة النفس والعيال فهو) أى تقديمهما (فرض) وقد ورد دأباً

وَيَاكُرُّ لِيَادِرَ بِهَا الْبَلَاءُ، وَيَغْتَنِمُ عَلَى مَنْ رَقَّ لَهُ الْقَلْبُ فَهُوَ عِلَامَةٌ صِدْقِ
السَّائِلِ وَلَا يَحْقُرُ مَا عِنْدَهُ

بمن تعمل، متفق عليه «أبد بنفسك فتصدق عليها فان فضل شيء فلاهلك فان فضل
عن أهلك شيء فلذي قرابتك فان فضل من ذى قرابتك شيء فكذا» النساء، وفي
الطبراني من حديث جابر بن سمرة «إذا أنعم الله على عبده نعمة فليبدأ بنفسه وأهل بيته»
«وقدم رسول الله ﷺ نفقة الولد على الزوجة ونفقة الخادم» أبو داود
من حديث أبي هريرة بسند صحيح وابن حبان والحاكم وصححه، ورواه النسائي وابن حبان
أيضا بتقديم الزوجة على الولد، ويجمع بين الحديثين بأن الولد صغير في الأول وكبير
في الثاني، وقال ﷺ «ما لأصحابه: «تصدقوا فقال رجل: عندي دينار فقال: أنفقه
على نفسك قال: ان عندي آخر قال أنفقه على زوجتك قال: ان عندي آخر قال أنفقه على
والديك قال: ان عندي آخر قال أنفقه على خادمك قال ان عندي آخر قال أنت أبصر به»
أبو داود والنسائي واللفظ له وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة (ويا كرم)
أى يخرج الصدقة أول النهار ليدخل في قوله تعالى: (ويسارعون في الخيرات) (ليادر
بها) أى بالصدقة (البلاء) أى دفعه فورده الصدقات بالندوات يذهبن بالعاهات،
الدليل عن أنس؛ وفي رواية البيهقي عنه والطبراني في الأوسط عن علي بن بكر وبالصدقة
فان البلاء لا يتخطى الصدقة، وورد «الصدقة تمنع سبعين نوعا من البلاء أهونها الجذام
والبرص» الخطيب عن أنس «الصدقة تمنع مئة سوء» القضاة عن أبي هريرة
(ويغتنم) الصدقة (على من رق له القلب) لأنه من علامة انه رحمه الرب (فهو)
أى رقة القلب (علامة صدق السائل) وقد ورد «لو صدق السائل ما أفلح من رده،
العقيلي في الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة، وللطبراني نحوه من حديث
أبي امامة. وللبيهقي عن عائشة «لولا أن السؤال يكذبون ما قدس من ردهم لاتردوا
السائل ولو يشق تمره» (ولا يحقر ما عنده) لقوله تعالى: (ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك
حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ولقوله تعالى حكاية عن لقمان (يا بني انما انك مثقال
حبة من خردل) الآية قال يحيى بن معاذ: ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة
من الصدقة، ولقوله سبحانه: (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) فربما يكون خيره عنده
حقيرا ويصير عنده سبحانه عظيما وكبيرا، وفرد «ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة

وَيَحْصُلُ أَنْوَاعُهَا كَارِشَادُ الضَّالِّ وَقَرِيبَانِ الْمَرْءِ لِلتَّعَفُّفِ ،

من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا الا كان الله يأخذها يمينه فيريها كما يرى أحدكم
فصيله او فلوله حتى تبلغ الثمرة مثل احد « البخارى تعليقا ومسلم ، والترمذى . والنسائى فى
الكبرى واللفظ له وابن ماجه من حديث أبى هريرة « واتقوا النار ولو بشق تمرة
فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » متفق عليه من حديث عدى بن حاتم « وتصدقوا ولو بتمرة
فانها تسد من الجائع وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار » ابن المبارك فى الزهد من حديث
عكرمة مرسل . ولاحمد من حديث عائشة بسند حسن « اشتر نفسك من النار ولو
بشق تمرة فانها تسد من الجائع مستدها من الشبعان » وللبزار . وأبى يعلى من حديث
أبى بكر « اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع
موقعها من الشبعان » وقال عليه السلام لا يذر : « اذا طبخت مرقة فاكثر ماها ثم
انظر الى اهل بيت من جيرانك فأصهمهم منه بمعروف » رواه مسلم ، وفى رواية العقيل
« ردوا هذمة السائل ولو بمثل رأس ذباب » ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية
فقال : اترضى فى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله رضى فى الحور العين
بالفلس والفلسين واللقمة واللقمتين ، وعن على « كم من حور ما كان مهره الاقبضة من
حنطة أو مثلبا من تمر » العقيل عن ابن عمر ، وكان عليه السلام : « لا يكل خصلتين الى غيره
كان يضع ظهوره بالليل ويخمر يده وكان يتناول المسكين يده ، الدارقطنى من حديث
أنس باسناد ضعيف وابن المبارك فى البرمرسل « ويحصل أنواعها » أى يجتهد فى تحصيل
أنواع الصدقة حقيقة وهو ظاهر وحكا « (كارشاد الضال) » أى دلالة على صاحبه
اوردته الى يابه فروى الترمذى وغيره عن أبى ذر مرفوعا « تبسمك فى وجه أخيك صدقة
وامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وارشادك الرجل فى الأرض الضالة
صدقة » الحديث او هدايته الى زقاقه فلاحمد والترمذى وصححه من حديث البراء « من منح
منحة ورقا ومنحة لبن » او هدى زقاقا فهو كعتاق نسمة أو دلالة عن جهله وضلالته فورد
« لان يهدى الله بك رجلا خير لك من حمر النعم » أى من صدقتها « (وقربان المرأة) » أى
جماعها « (للتعفف) » أى من اجله أو من اجلها فروى أبوداود عن أبى ذر : « يصبح على
كل سلامى من ابن آدم صدقة تسليمه على من لقي صدقة وامره بالمعروف صدقة واماطة
الأذى عن الطريق صدقة وبضع اهله صدقة ويجزى عن ذلك كعتان من الضحى قالوا :
يا رسول الله احدنا يقضى شهوته ويكون له صدقة قال : أرأيت لو وضعها فى غير حلها

وَالْعَدْلَ بَيْنَ الْأَثْنَيْنِ وَالْحُلَّ عَلَى الدَّابَّةِ وَطِيبَ الْكَلَامِ . وَالْخُطْوَةَ إِلَى الصَّلَاةِ .
وَالِاتِّفَاقَ عَلَى الْعِيَالِ . وَالتَّبَسُّمَ فِي وَجْهِ أَخِيهِ . وَاطْرَاقَ الْفَحْلِ . وَاعَارَةَ الدُّلُو .

الم يكن يأثم؟ وفي رواية النسائي. وابن حبان. وغيرهما عن أبي ذر أيضا « ولك في
جماع زوجتك اجر أرأيت لو كان لك ولد فادرك ورجوت اجره فمات ا كنت تحتسب
به؟ قال نعم قال: أفانت خلقت وأنت هديته وانت رزقته؟ قال لا قال فضعه في حلاله وجنبه
حرامه فان شاء الله أحياء وان شاء أماته ولك أجر » (والعدل بين الاثنتين) من الزوجين
وغيرهما فمن أبي هريرة « كل سلامي من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس
تعدل بين الاثنتين صدقة وتعين الرجل على دابته فتحمل عليها أو ترفع عليها متاعه صدقة »
الحديث. احمد والشيخان (والحمل على الدابة) ه لما سبق من الحديث، والمعنى حمل الغير
أومتاعه على دابته أو دابة نفسه (وطيب الكلام) فمن ابن عباس « الكلمة الطيبة تكلم
بها الرجل صدقة » الطبراني، وفي رواية لمسلم والنسائي عن أبي ذر « فكل تسبيحة صدقة
وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة » الحديث، وتقدم حديث
« اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة » (والخطوة الى الصلاة) فمن
أبي هريرة برواية أحمد، والشيخان « كل خطوة تخطوها الى الصلاة صدقة » (والاتفاق
على العيال) ه فمن جابر « ما اتفق المسلم من نفقة على نفسه وأهله الا كتب له بها صدقة »
الحديث ابن عساكر، وللحاكم في مستدركه عن أنس « ان نفقتك على اهالك وخادمك
صدقة » وفي رواية الخطيب عنه « كل معروف صنعتك الى غنى أو فقر فهو صدقة »
وفي رواية أحمد، وغيره عن أبي أمامة « ما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما أطعمت
ولذك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمتك فهو لك صدقة . وما أطعمت نفسك فهو
لك صدقة » (والتبسم في وجه أخيه) وقد تقدم حديث « وتبسمك في وجه أخيك
صدقة » وفي رواية أحمد وغيره عن جابر « كل معروف صدقة وان من المعروف ان
تلقى أخاك ووجهك اليه منبسط » وفي رواية له عن أبي ذر « لا تحقرن من المعروف
شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » (واطراق الفحل) أي من الابل والخيول - يعني
اعارته للضراب وهو نزوه على الأثني - في مسند أحمد. والترمذي عن أبي أمامة أفضل
الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله عز وجل أو منيحة خادم في سبيل الله عز وجل،
(واعارة الدلو) أي ونحوها الداخلة في ذم منعها حيث قال تعالى: (ويمنعون الماعون)

وَالْتَّقِ بَعْلَهُ وَغَرَسَ وَزَرَعَ وَنَهَرَ وَبَثَرَ وَمُصْحَفٌ وَمَسْجِدٌ وَتَخْلِيفٌ وَلَدٌ
يَسْتَغْفِرُ لَهُ وَأَفْضَلُهَا فِي الصَّحَّةِ وَالْمُحْتَاجِ فِدْرُهُمْ مِنْهُ مِثْلُ سَبْعِينَ ، وَالْقَرْضُ أَفْضَلُ مِنْهَا
فَهُوَ بِثَمَانِيَةِ عَشَرَ لَوْ قَوَّعَهُ فِي كَفِّ الْمُحْتَاجِ ، وَلَا يَنْذَرُ فَلَعَلَّهُ لَا يَفِي وَنَهَى عَنْهُ *

وقد روى البخاري في تاريخه عن أبي ذرٍّ ، وأفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة ، وفي رواية
« ولوان تفرغ من دلوك في إناء المستسقى » (والنفع بعلم) أي شرعى فعن أبي هريرة
« أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه أخاه المسلم » ابن ماجه (وغرس)
فعن أبي الدرداء « من غرس غرسا لم يأكل منه آدمي ولا خلق من خلق الله إلا كان له
صدقة » أحمد (وزرع) فعن خلاد بن السائب « من زرع زرعاً فأكل منه طير
أو عافية كان له صدقة » أحمد ، والعافية السبع (ونهر و بثر و مصحف و مسجد و تخليف
ولد يستغفر له) فعن أبي هريرة « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من
صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » مسلم وغيره (وأفضلها) أي
أفضل الصدقات أن يكون (في الصحة) أي حال العافية ، ففى الصحيحين عن
أبي هريرة « أفضل الصدقة وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل
حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا و لفلان كذا إلا وقد كان لفلان كذا » (وللمحتاج
فدْرُهُمْ مِنْهُ) أي من أجله (مِثْلُ سَبْعِينَ) أي درهما من أجل غير المحتاج وبتفرع
عليه قوله (والقرض أفضل منها) أي من الصدقة (فهو) أي القرض (بثمانية
عشر) أي درجة زائدة على الصدقة التي درجتها عشرة (لوقوعه في كف المحتاج)
كما ورد « دخلت الجنة فرأيت على بابها الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر فقلت:
يا جبريل كيف صارت الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر قال لأن الصدقة تقع في يد
الغنى والفقير والقرض لا يقع إلا في يد من يحتاج إليه ، الطبراني عن أبي امامة
(ولا ينذر) أي الأولى أن لا ينذر فيجب عليه (فلعله لا يفي) بنذره أو يفي
ولكن مع كرهه (ونهى عنه) ففى الصحيحين عن ابن عمر أنه عليه السلام « نهى
عن النذر ، ومحملة على أنه من فعل البخلاء إذ السخى إذا أراد أن يتقرب إلى الله تعالى
استعجل فيه وأتى به في الحال ولم يتركه إلى الاستقبال ، وفي مسلم والترمذي والنسائي
عن أبي هريرة مرفوعاً « لا تنذروا فإن النذر لا يفي عن القدر شيئا وإنما يستخرج به
من البخيل » وورد قال الله تعالى : لا يأتى ابن آدم النذر بشئ لم أكن قد قدرته

ولكن يلقيه النذر الى القدر وقد قدرته له هو شئ استخرج به من البخيل فيوسى عليه مالم يكن يوسى عليه من قبل ، أحمد البخارى والنسائى عن أبى هريرة وأما مامر في آداب الدعاء من الترغيب في النذر فمحمول على ما اذا كان في الاعمال الصالحة، والنهى عن النذر ههنا محمول على النذر في المال لمظنة عدم الوفاء في المال بخلاف النذر في الأعمال فالغالب فيه الوفاء في الاستقبال ، ثم اعلم أنه يذنب للقايض أمور ، منها ان يفهم ان الله سبحانه أوجب صرف الزكاة ونحوها الى الفقير ليكفى همومه ويجعلها هما واحدا هم دينه ، وقد أكثر الله عز وجل الأموال ووضعها في أيدي عبادهم من العمال والبطال لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم الى طاعاتهم ففهم من ابتلاه بالمال وجعله عليه فتنة وبلية فاتفقه في متن الخطر ومنهم من أحبه فخماه الدنيا وما يتعلق بها من الحذر كما يحمى الشفيق مريضه ما في أكله من الضرر فيزوى عنه فضولها وقد ر له حصولها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنياء ليكون شغل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم مع غاية من العناء وفائدته منسبة الى الفقراء مع نهاية من الهناء ليتجددوا لعبادة المولى والاستعداد لزد المعاد الى العقبى ، فلا يصرف عنهم فضول الدنيا ، حتى الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه أكثر مما أعطاه فلأخذ ما يأخذ من الله سبحانه رزقا له وعونا على الطاعة فان استعان به على المعصية كان كافرا للنعمة مستحقا للطرده واللعنة ، ومنها أن ينظر فيما يأخذ فان لم يكن من حل تورع عنه لقوله سبحانه : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) فلا يأخذ من أموال من أكثر كسبه الحرام الا اذا ضاق عليه الأمر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة ، ومنها أن يتوقع مواقع الريبة والشبهة في مقدار ما يأخذ ولا يأخذ الا اذا تحقق له انه موصوف بصفة الاستحقاق وحينئذ يأخذ ما يتم به كفايته من وقت أخذه الى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث أن رسول الله ﷺ : « ادخر لعياله قوت سنة ، متفق عليه من حديث عمر » كان يعزل نفقة أهله سنة ، وللطبرائى في الأوسط من حديث أنس : « كان اذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقي ، فاذا اقصر على حاجة شهر أو يوم فهو أقرب للتقوى في حق الأقرباء ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة ، فمن مبالغ في التقليل الى حد أوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسك بما روى سهل بن الحظلية انه عليه السلام « نهى عن السؤال مع الغنى فقال « غذاؤه وعشاؤه » أبو داود . وابن حبان ، وهو محمول عند الجمهور على السؤال لافي جميع

﴿البَابُ الثَّالِثُ فِي الصَّوْمِ وَكَسْرِ الشَّهْوَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَرَدَّ «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزَى بِهِ»

الآخوال لأن لفظ الحديث «من سأل وله ما يغنيه فأنما يستكثر من جمر جهنم» وقال آخرون: يأخذ على قدر حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة أدم يوجب الله عز وجل الزكاة إلا على الأغنياء فقالوا: له أن يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وبالنسبة آخرون في التوسع فقالوا: له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغنى بها طول عمره أو يهيئ بضاعة ليتجر فيها ويستغنى لأن هذا هو الغنى حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الاعتدال والله أعلم بالأحوال، وقد ورد «ما المعطى من سعة بافضل أجرا من الذي يقبل من حاجة» ابن حبان والطبراني من حديث أنس، ومنها أنه يأخذ ما يعطى له حال الخلاء ولا يأخذ في الملا فقد دفع رجل إلى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده إليه ودفع إليه آخر شيئا سرا فقبله فقبل له في ذلك فقال: إن هذا عمل بالأدب فقبلته وذلك أساء أدبه في عمله فرددته وأعطى رجل بعض الصوفية شيئا في الملا فرده فقال له: لم ترد على الله تعالى ما أعطاك؟ فقال: إنك أشركت غير الله حيث لم تقنع بعين الله فرددت عليك شركك، وقبل بعض العارفين في السر شيئا كان رده في العلانية فقبل له في ذلك قال: عصيت الله في الجهر فلم أكن لك عوناً على المعصية واطعته بالاخفاء فاعتكتك على برك، فقال الثوري: لو علمت أن أحدهم لا يذكرك صلاته ولا يتحدث بها قبلتها، وأيضاً في إظهار الأخذ ذل وإمتنان وليس للؤمن أن يدل نفسه، وأيضاً للاحتراز عن شبهة الشر كذا فردوه من أهدي إليه هدية وعنده قوم فهم شر كانوا فيها، العقيلي وابن حبان في الضعفاء والطبراني في الأوسط والبيهقي من حديث ابن عساكر قال الفضلي: لا يصح في هذا المتن حديثه وأما العارف فلا نظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه واحد واختلاف الحال شرك في التوحيد والتوفيق منه سبحانه والتأييد.

﴿البَابُ الثَّالِثُ فِي الصَّوْمِ وَكَسْرِ الشَّهْوَةِ﴾

أي الذي هو مراد القوم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَرَدَّ الصَّوْمِ﴾ أي فرضه ونقله ﴿لِي﴾ أي مختص لاجل لا يتصور كونه لغيري ﴿وَأَنَا أَجْزَى بِهِ﴾ بصيغة الفاعل وقبل

أَيَّ جَزَاؤُهُ لِقَائِي أَوْ مَعْرِفَتِي ، وَأَنَا خَصَّ الصَّوْمَ بِالْإِضَافَةِ لِأَنَّهُ خَلَقَ صَمْدِي
 أَوْ عَمِلَ سَرِي أَوْ قَهَرَ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْمَعَامَلَةِ *

بالمفعول ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : « كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وانا اجزي به » وفي رواية لهما عنه « كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة أضاعاف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به » وانما قال : وانا اجزي به مع ان جزاء كل العبادات منه تعالى اشارة الى عظم ذلك الاجر لان الكريم اذا تولى بنفسه اقتضى ذلك سعة الجزاء و كأنه لم يذكر ما يجزي به لكثرة يومى اليه قوله تعالى : (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) وقد ورد « الصوم نصف الصبر » أخرجه الترمذى وحسنه « والصبر نصف الايمان » أبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود بسند حسن (اي جزاؤه لقاءى) يعنى رؤيتى فى العقبى (او معرفتى) أى فى الدنيا ولا منع من الجمع (وانا خص الصوم بالاضافة) أى اللامية مع ان كل عبادة مختصة له سبحانه * (لانه) من بين العبادات (خلق صمدى) فان الاستغناء من الاكل والشرب والجماع من الصفات الصمدية والنوعوت الالهية ، وكان الصائم متخلقا بذلك الخلق من اخلاق الله ، وروى « تخلقوا باخلاق الله » وقد قالوا : كل اسم من اسمائه سبحانه للتخلق الا اسم الجلالة فانه للتعليق فلاضافة تشريفية كناية الله وبيت الله وانما قال : انا اجزي به مع ان جزاء كل العبادات منه سبحانه اشارة الى عظم ذلك الاجر به لان الكريم اذا وعد ان يتولى شيئا بنفسه اقتضى ذلك عظمته ، و كأنه لم يذكر ما يجزي به لكثرة ما ونفاسه كما يشير اليه قوله تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون) من اخفاء الاعمال ، وحديث « اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » (او عمل سرى) فانه قصد قلبى مع ترك المفطر الصورى والملائكة الكتبة لا يطلعون على ما لا عمل فيه فهو سر بين العبد وربّه بحيث لا يطلع عليه غيره (أو قهر النفس والشيطان الذى هو) أى قهرهما (اصل المعاملة) فان مدار المعاملة على مخالفتها وموافقة الله ورسوله فى حكمهما ، وأيضا كما ان النفس والشيطان مقهوران مغلوبان فى قبضة الله سبحانه يكونان مقهورين مغلوبين أيضا فى قبضة الصائم فصار الصائم حيثذ متخلقا بخلق الحق فى الجملة ولو كان وصفه سبحانه بنعت الدوام ، ومن هنا ورد « نوم الصائم عبادة »

وَأَذِنَ رَبُّهُ الْكَفَّ عَنْ الشَّهَوَتَيْنِ وَهُوَ مَنَاطُ الْجَوَازِ عَنِ الْأَثْمِ وَهُوَ
مَنَاطُ الْقَبُولِ فَرَدَّ « خَمْسٌ يُفْطَرْنَ الصَّائِمَ الْكَذِبُ وَالْغِيبةُ وَالنِّمَّةُ وَالْيَمِينُ
الْكَاذِبَةُ وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ » *

أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس ، « ولخلف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك
يقول الله تعالى : إنما يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجل فالصيام لي وأنا أجرى به ،
متفق عليه من حديث أبي هريرة وهو موعود بلفائه سبحانه في جزاء صومه إذ ورد
للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، متفق عليه أيضا ، وفي الأحياء
أن الصوم قهر لعدو الله فإن وسيلة الشيطان الشهوات المشغلة عن العبادات وإنما
تقوى الشهوات بالاكل والشرب وسائر اللذات ، ولذا قال عليه السلام : « إن الشيطان
ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع » (وأذن ربه) أي مراتب
الصيام وهو الجواز اعم من أن يكون مقبولا أم لا ناقصا أو كاملا وهو مقام العوام
(الكف عن الشهوات) أي الامتناع عن شهوات البطن والفرج في وقته مقرونا
بالبية المعتبرة المذكورة في محله (وهو مناط الجواز) أي متعلق بجواز الفتوى في
ظاهر شرع الدنيا وهو صوم العموم (ثم كف الجوارح) أي منع الاعضاء من العين
والاذن واللسان وسائر الاعضاء والاركان (عن الاثم) أي مطلق العصيان (وهو
مناط القبول) لقوله تعالى : (إنما يتقبل الله من المتقين) وهو صوم الخصوص
(فورد خمس) أي خصال (يفطرن الصائم) بتشديد الطاء أي يجعلنه مفطرا حكما
لاحقيقة (الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة) الأزدي في
الضعفاء من رواية جابر عن أنس وقول الحجة في الأحياء جابر تصحيف ، وقال أبو حاتم
الرازي : هذا كذب أقول : لكن يقويه رواية الديلمي في مسند الفردوس عن أنس ، ثم
اعلم ان حفظ اللسان عن الهذيان والزامه السكوت أو شغله بالذكر وتلاوة القرآن
هو كال صوم الانسان عند الاعيان ، وقد روى ليث عن مجاهد خصلتان تفسدان الصوم
الغيبة والكذب ، وقال سفيان : الغيبة تفسد الصوم ، وورد « إنما الصوم جنة فإذا كان
أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل أني صائم » متفق عليه
من حديث أبي هريرة ، وجاء في الخبر « إن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ
فجاهدتهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثنا إلى رسول الله ﷺ

« كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ وَهُوَ الْمُفْطَرُ بِالْحَرَامِ،
ثُمَّ كَفَّ الْقَلْبَ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالَى وَهُوَ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ، وَحَقُّهُ أَنْ يَخَافَ
الرَّدَّ وَيَرْجُو الْقَبُولَ؛

في الإفطار فإرسل إليهما قدحا وقال عليه السلام: قل لهما: قِيَّافِيهِ مَا أَكَلْتُمَا فَقَاتِ احِدَاهُمَا نِصْفَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَمَا عَيْطَا لِحَا عَرِيضَا وَقَاتِ الْآخَرَى مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى تَلَا تَاهُ فَجَبَّ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَاتَانِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لهُمَا وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا قَعَدْتَ احِدَاهُمَا إِلَى الْآخَرَى فَجَعَلْتَا تَقَاتِيَانِ النَّاسَ فَهَذَا مَا أَكَلْتُمَا مِنْ لَحُومِ النَّاسِ » أَحَدٌ مِنْ حَدِيثِ عِيْدِ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَنَدٍ فِيهِ يَجْهَلُ وَكَذَا حَكَمَ غَضُ الْبَصَرِ وَكَفَهُ عَنِ الْإِتْسَاعِ فِي النَّظَرِ إِلَى كُلِّ مَا يَعْرِفُ وَيُنْكِرُ وَإِلَى كُلِّ مَا يَشْغُلُ الْقَلْبَ وَيَلْمِزُ عَنْ ذِكْرِ الرَّبِّ فُورِدَ، النَّظَرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سَهَامِ ابْلِيسَ فَنَ تَرَكَهَا خَوْفًا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ آتَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِيْمَانًا يَجِدُ حُلَاوَهُ فِي قَلْبِهِ، الْحَا كَمُ وَصَحَّحَ اسْتِادَهُ مِنْ حَدِيثِ حَذِيفَةَ وَكَذَا حَكَمَ كَفَ السَّمْعِ عَنِ الْأَصْغَاءِ إِلَى كُلِّ مَا يَكْرَهُ مِنْ لَغْوٍ وَلَهْوٍ، وَقَدْ وَرَدَ (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) وَالْمَغْتَابِ وَالْمُسْتَمْعِ شَرِيكَانِ فِي الْإِثْمِ كَذَا فِي الْأَحْيَاءِ وَهُوَ غَرِيبٌ نَعَمٌ لِلطَّبْرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النُّبِيِّ عَنِ الْإِسْتِمَاعِ إِلَى الْغِيَةِ » (كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ) النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ (وَهُوَ الْمُفْطَرُ بِالْحَرَامِ) وَقِيلَ: الْمُرْتَكِبُ لِلْإِثْمِ كَالْكَذِبِ وَالْغِيَةِ وَسَائِرِ الْآثَامِ (ثُمَّ كَفَّ الْقَلْبَ عَمَّا سِوَاهُ تَعَالَى) أَيُّ عَمَّا عَادَا ذَكَرَ الرَّبِّ وَمَا يَتَعَاقَبُهُ (وَهُوَ) أَيُّ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الصَّوْمِ (لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ) وَهُمْ خُصُوصُ الْخُصُوصِ وَفُصُوصُ الْفُصُوصِ، وَتَوْضِيحُهُ أَنْ يَصُومَ قَلْبُهُ وَلَبُهُ عَنِ الْهَمَمِ الدُّنْيَا وَالْأَفْكَارِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَيَكْفَهُ عَنْ مَا سِوَى اللَّهِ بِالْكُلِّيَّةِ وَيَحْصُلُ الْفُطْرُ فِي هَذَا الصَّوْمِ بِالْفِكْرِ فِي غَيْرِ صِفَاتِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَمَصْنُوعَاتِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَقَامَاتِهِ وَبِالْفِكْرِ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهِ وَلَهْوَاتِهِ إِلَّا دُنْيَا تَرَادُ لِلدِّينِ وَضُرُورَاتِهِ فَازْ ذَلِكْ زَادَ الْآخِرَةَ وَمَقَدِّمَاتِهِ حَتَّى قَالَ أَرْبَابُ الْقُلُوبِ: مَنْ تَحَرَّكَتْ هِمَّتُهُ بِالتَّصَرُّفِ فِي نَهَارِهِ بِتَدْيِيرٍ مَا يَسْتَعْمَلُهُ فِي أَفْطَارِهِ كَتَبَتْ عَلَيْهِ خَطِيئَةً مِنْ أَوْزَارِهِ فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ قَلَّةِ الرُّثُوقِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ وَقَلَّةِ الْيَتِيمِ بِرِزْقِهِ وَوَعْدِهِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِحَالٍ يَصْدُقُ أَنْ يَقَالَ فِي حَقِّهِ (قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) (وَحَقُّهُ) أَيُّ الصَّوْمِ عَلَى الصَّائِمِ (أَنْ يَخَافَ الرَّدَّ وَيَرْجُو الْقَبُولَ)

وَيَقُولُ لِمَنْ قَاتَلَ أَوْ شَاتَمَ أَوْ صَاتَمَ فَهُوَ مَأْثُورٌ *

فيكون قلبه بعد الافطار متعلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقرين أو يرد عليه فهو من الممقوتين؟ وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها ، وروى عن الحسن بن أبي الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال: ان الله جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتحلف اقوام فخابوا ، فالعجب كل العجب للضحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون المسارعون وخاب فيه المبطلون المدعون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بطاعته واحسانه والمسيء باساءته وعصيانته اى لكان سرور المقبول بشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك ، وعن الاحنف بن قيس انه قيل له : انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال : انى اعدده لسير طويل والصبر على طاعة الله سبحانه وفي باب اهون من الصبر على عذاب الله وحجابه ، فعلماء الظاهر يعنون بالصحة الجواز والحصول وعلماء الآخرة يعنون بها القبول والقبول الوصول الى المقصود والمأمول ، ومن هنا قال أبو الدوداء : يا حبذا نوم الاكياس وفطرم كيف يعيون صوم الحقا وسهرهم ولذرة من عبادة ذوى التقوى واليقين ارجح من امثال الجبال من عبادة المغترين ، ولذا قال العلاء : كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم * فالفطر الصائم هو الذى حفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب من الحلال دون الحرام ، والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش في الايام ويطلق جوارحه في الآثام (ويقول) اى في جناته او بلسانه (لمن قاتل) اى جادل أو ضارب او خاصم (أوشاتم انى صائم) اى فانا ممسك عمالا يلقى به من الاحكام وفيه تنبيه نبيه على أن الشخص اذا علم من صاحبه عمل الصيام أن لا يتعرض له من كلام الخصام ويشير اليه قوله تعالى : (فاما ترين من البشر أحداً فقولى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا) (فهو مأثور) كما تقدم ، وقد ورد «انما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته» الخراطى في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود في حديث الأمانة في الصوم واسناده حسن ، ولما تلا عليه السلام قوله تعالى : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) وضع يده على سمعه وبصره فقال : السمع أمانة والبصر أمانة ، كذا في الاحياء قال العراقي : أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة دون قوله السمع أمانة ، ثم لولا أن الصوم أمانة لما قال عليه السلام : «فليقل انى صائم» اى انى أودعت لساني لاحفظه عن

وَلَا يُسَالُ عَنْهُ لَأَنَّ الْمُسْؤُلَ إِنَّا أَقْرَأَظْهَرَ وَإِنْ أَنْكَرَ كَذَبَ وَإِنْ سَكَتَ اسْتَحَقَرَ. وَإِنْ أَحْتَالَ لِلدَّفَاعَةِ تَعَبَ، وَلَا يُكْثَرُ الْأَكْلُ تَحَامِيًّا عَنِ الْكَسَلِ فِي التَّهَجُّدِ وَبُطْلَانِ سِرِّهِ وَهُوَ قَهْرُ النَّفْسِ، وَطَرِيقُهُ مَعْرِفَةُ فَوَائِدِ الْجُوعِ

الاشتغال بك فكيف أطلقه بجوابك ﴿ ولا يسأل ﴾ بصيغة المجهول ﴿ عنه ﴾ أى عن صومه أوعن حاله بأن يقال أنك صائم أم لا فانه يوجب على كل تقدير اشكالاً ﴿ لأن المسؤل ان أقر أظهر ﴾ وربما يفرغ عليه الرياء ﴿ وان أنكر كذب ﴾ وهو أعظم البلاء ﴿ وان سكت استحقّر ﴾ أى المسؤل للسائل بسؤاله فيما استحضر وترتب عليه الجفاء ﴿ وان احتال للدفاعه تعب ﴾ أى فيما تفكر وتدبر ووقع في العناء، وورد لا يكذب الكاذب الا من مهانة نفسه عليه ، الديلى عن أبي هريرة مرفوعاً ﴿ ولا يكثر الأكل ﴾ أى حال الافطار بحيث يمتلىء فما وعاء أبغض الى الله من بطن يملأ من الحلال فقد ورد « ماملاً آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » أحمد، والترمذى . وابن ماجه، والحاكم عن المقدم بن معدى كرب، وأكلات بضمتين لقيت في رواية ﴿ تحاميا عن الكسل ﴾ أى فى الطاعة ، وقد ورد « أعوذ بك من الكسل ، لاسيما ﴾ فى التهجد ﴿ لما تقدم من أنه اذا أكثر الاكل أكثر الشرب واذا أكثر الشرب أكثر النوم واذا أكثر النوم ضيع عمره وفسد أمره وينبغى أن لا يكثر النوم فى النهار أيضا ليحس أثر الجوع والعطش والا فتقل نتيجته وثمرته لاسيما مع وجود غفلته، وعن بعض الحكماء خمسة من الاشياء ابتلى الناس بها و كان هلاكهم فيها أولها حب الشبع وفيه قساوة القلب والثانى حب النوم وفيه نقصان العمر والثالث حب الراحة وفيه الافلاس والرابع حب المال وفيه الحساب الطويل فى المآل والخامس حب الثناء وفيه ذهاب الثواب وابطال الأعمال ﴿ وبطلان سره ﴾ أى وتحاميا عن بطلان فائدة الصوم ومنفعة أمره ﴿ وهو قهر النفس ﴾ أى اذلالها للاتقياد فيما خلقت لأجله والافكيف يستفاد من الصوم قهر الشيطان وكسر النفس وتقليل الشهوة اذا تدارك الصائم عند افطاره ما فاتته فى نهاره ، ومن جعل بين قلبه وبين ربه محلاة من الطعام فهو محجوب عن شريف المقام ولطيف المرام ﴿ وطريقه ﴾ أى طريق تحصيل الصوم فى مذهب القوم ﴿ معرفة فوائده الجوع ﴾ فقد قيل : الجوع عز ظه والشبع ذل كله ، وورد

وَهِيَ صَفَاءُ الْقَلْبِ فُورِدَ « مِنْ أَجَاعٍ بَطَنُهُ عَظُمَتْ فِكْرَتُهُ وَفُطِنَ قَلْبُهُ »
 وَرِقَّتْهُ فُورِدَ « مِنْ شَبَعٍ وَنَامَ قَسَا قَلْبُهُ » وَالْإِسْتِلْذَابُ بِالطَّاعَةِ . وَالْإِنْكَسَارُ .
 فَالْبَطَرُ سَبَبُ الْمَعْصِيَةِ . وَالْغَفْلَةُ .

« صمت الصائم تسبيح ونومه عبادة ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف » الدبلي
 عن ابن عمر ؛ وقال بعضهم : « اخترت صوم الدهر لما سألت ستة نفر عن ستة أشياء
 فاجابوا بجواب واحد سألت الاطباء عن أشفى الادوية فقالوا : الجوع وقلة الأكل
 وسألت الحكماء عن أعون الأشياء على طلب الحكمة ؟ فقالوا : الجوع وقلة الأكل
 وسألت العباد عن أنفع الأشياء في العبادة قالوا : الجوع وقلة الأكل وسألت الزهاد
 عن أقوى الأشياء على الزهادة ؟ قالوا : الجوع وقلة الأكل وسألت العلماء عن أفضل
 الأشياء على حفظ العلم وفهمه ؟ قالوا : الجوع وقلة الأكل وسألت الملوك عن أطيب
 الادام والذ الطعام قالوا : الجوع وقلة الأكل » (وهي) أى فوائده ثلاثة عشر
 ﴿ صفاء القلب ﴾ أى ضياؤه وبهاؤه وقبوله لدوام ذكر الرب ﴿ فورد من أجاع
 بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه ﴾ أى وكبرت همته وقلت شهوته وعلقت نهمته ،
 والحديث لم أجده مرفوعا وإنما قال لقمان لابنه : يا بني اذا امتلأت المعدة نامت
 الفكرة وخرست الحكمة وفترت الاعضاء عن العبادة ، وقد ورد « ان من السرف
 أن تأكل كل ما اشتيت » ابن ماجه عن أنس ، وفي رواية البيهقي عن عائشة « أكثر
 من أكلة كل يوم سرف » وعن سلمان « ان أكثر الناس شبعوا في الدنيا أطولهم جوعا
 يوم القيامة » ابن ماجه . والحاكم ، ومن حديث ابن عباس « ان أهل الشبع في الدنيا هم
 أهل الجوع في الآخرة » الطبراني ، وعن يحيى بن معاذ يامعشر الصديقين جوعوا
 أنفسكم لولية الفردوس فان شهوة الطعام على قدر الجوع ﴿ ورقته ﴾ أى ورقة القلب
 وتأثره بذكر الرب ﴿ فورد من شبع ونام قسا قلبه ﴾ لم أعرفه بهذا اللفظ نعم ورد
 « أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر ولا تناموا عليه فتفسد قلوبكم ، أبو نعيم وغيره ،
 ثم يؤخذ بالمفهوم فيفيد ان من جاع وسهر رق قلبه ﴿ والاستلذاب بالطاعة ﴾ أى التلذذ
 بالعبادة كما يعرفه أهل الارادة ﴿ والانكسار ﴾ أى الذل الحاصل من مقام الافتقار
 ﴿ فالبطر سبب المعصية والغفلة ﴾ والفقر باعث التوبة والرجوع الى الحضرة ، وقد
 ورد « عليكم بالصوم فانه محسمة للعروق ومذهبة للآشر ، أبو نعيم في الطب عن

وَذِكْرُ عَطَشِ الْعَرَصَاتِ . وَجُوعِ الْجَحِيمِ . وَكَسْرُ شَهْوَةِ الْفَرَجِ فَاسْتِلاؤُهَا
بِالشَّبَعِ وَدَفْعُ النَّوْمِ فَهُوَ يَكُلُّ الطَّعْمَ وَيَضِيعُ الْعُمُرَ وَيَقُوتُ الْقِيَامَ وَالتَّهَجُّدَ .
وَيَسِّرُ الْمُوَظَّةَ عَلَى الطَّاعَةِ لِحَفَّةِ الْبَدَنِ . وَالْفَرَاغَ عَنِ الْإِهْتِمَامِ بِالتَّحْصِيلِ .
وَالْإِعْدَادِ . وَالْأَكْلِ . وَالْفَرَاغِ . وَدَفْعِ الْأَمْرَاضِ الشَّاعِلَةِ عَنْهَا فَوَرَدَ « الْمَعْدَةُ
يَبْتُ كُلَّ دَاءٍ » وَخَفَةُ الْمُؤْنَةِ .

شداد بن أوس ﴿ وذ كر عطش العرصات ﴾ أى موقف القيامة بحيث تكون الشمس
قريبة من رأسه قدر القامة، وفى الخبر « يوضع للصائم مائدة يوم القيامة من ذهب يأكلون
منها والناس ينظرون » أبو الشيخ. والدليل عن ابن عباس ﴿ وجوع الجحيم ﴾ كما
قال تعالى : (ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمعون ولا يغنى من جوع) وقد ورد
« الصوم يبعد من جر السعير » الطبراني عن أنس ﴿ وكسر شهوة الفرج فاستيلاؤها
بالشبع ﴾ ولذا ورد « من استطاع منكم أن يتزوج فلينزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم
فانه له وجاء » متفق عليه من حديث ابن مسعود ﴿ ودفع النوم ﴾ أى فى الجملة ﴿ فهو ﴾
أى النوم الكثير ﴿ بكل الطبع ﴾ أى يجعله كلاً فى فهم الكلام ﴿ ويضيع العمر ﴾
بقدر المنام ﴿ ويقوت القيام ﴾ بمقاصد المرام ومراصد المقام ﴿ والتهجّد ﴾ وهو
للقيام والناس نيام ﴿ ويسر المواظبة على الطاعة لحفة البدن ﴾ المستلزمة للمواظبة
على العبادة كما يعرفه أرباب السعادة ﴿ والفراغ عن الإهتمام بالتحصيل ﴾ أى تحصيل
الكثير فان أمر القليل يسير ﴿ والاعداد ﴾ أى تهيئة ما يحتاج لأكّل من نحو الطبخ
والنفخ ﴿ والاكل ﴾ أى نفسه من الفعل ﴿ والفراغ ﴾ بالجر أى والفراغ عن
الفراغ من قضاء الحاجة الانسانية ﴿ ودفع الامراض الشاعلة عنها ﴾ أى عن
العبادة الكاملة ﴿ فورد المعدة ﴾ بفتح فكسرو بكسرو فكون ﴿ بيت كل داء ﴾ أخرج
الخلاد من حديث عائشة مرفوعاً بلفظ « و الا زم دواء والمعدة بيت الداء وعودوا
بدنا ما اعتاد » ذكره السيوطى، و الا زم الحمية. وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت عن
وهب بن منبه قال : اجتمع الاطباء على أن رأس الطب الحمية قلت : واجتمعت
الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت ﴿ وخفة المؤنة ﴾ فانها مطلوبة فى مقام

وَالْاِكْتِفَاءُ بِالْقَلِيلِ . فَطَلَبُ الزِّيَادَةِ يُورِثُ الْمَذَلَّةَ . وَتَحْصِيلُ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ ، وَإِمْكَانُ الْإِثَارِ بِالْفَاضِلِ لِيَكُونَ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ التَّقْلِيلُ بِالتَّجْرِيدِ إِلَى مَا يَحْصُلُ بِهِ الْقَوَامُ وَإِنْ لَمْ يُطَقْ فَلَا كُلَّ بَعْدَ صَدَقِ الشَّهْوَةِ ، وَيَعْرِفُ بَأَنَّ لَا يَنْتَظِرُ الْإِدَامَ . أَوْلَا يَقَعُ الذُّبَابُ عَلَى الْبَرَّاقِ . وَالتَّرْكُ مَعَ بَقَائِهِ ، وَالْأَصُوبُ الْاِكْتِفَاءُ بِمَا يَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ فَهُوَ الْمَأْثُورُ . وَهُوَ يَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ ، أَمَّا الْوَقْتُ فَكَانُوا يَطْوُونَ

المعونة ﴿ والاكْتِفَاءُ بِالْقَلِيلِ ﴾ فإن الكثير قل ان يكون حلالا ولحديث وقيل يكفيك خير من كثير بطغيك ﴿ فطلب الزيادة يورث المذلة ﴾ أى فى كسبها ﴿ وتحصيل الحرام ﴾ بسببها ﴿ والشبهة ﴾ أى بلا شبهة فى حبها ﴿ وامكان الايثار بالفاضل ﴾ أى الزائد على قدر كفايته وفق قناعته ﴿ لىكون فى ظله ﴾ أى ظل ما ينفقه فى سبيل الله ﴿ يوم القيامة ﴾ فروى « ان الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس » القضاغى عن عقبه بن عامر « ان ظل المؤمن يوم القيامة صدقته » ابن زنجويه عن بعض الصحابة ﴿ ثم التقليل بالتدريج الى ما يحصل به القوام ﴾ وهو طريق رياضة المشايخ الكرام ، وعن بعضهم ان ما يعين على الجوع يا صمد من غير شبيه ولا شيء كمثل ثلاثمائة وستين مرة وهو عجيب مجرب غريب ﴿ وان لم يطق ﴾ أى التقليل وهو الانسب أو ما يحصل به القوام وهو الاقرب ﴿ فلا كل بعد صدق الشهوة ﴾ أى تحقق الرغبة ﴿ ويعرف ﴾ الصدق ﴿ بان لا ينتظر الادام ﴾ بعد حضور الخبز فى المقام ﴿ ولا يقع الذباب على البراق ﴾ فانه علامة عدم بقاء مادة الطعام فى معدته بالاتفاق واما اذا كان يشتهى خبزا مخصوصا أو مع الادام فهو كاذب فى جوعه واما الجوع المفرط ففسد للفكرة ومعدل للخيالات المنكرة ﴿ والترك ﴾ بالرفع أى ترك الاكل ﴿ مع بقاءه ﴾ أى بقاء الميل فى اثائه ﴿ والاصوب ﴾ أى الاقرب الى الصواب فى هذا الباب ﴿ الا كتفاء بما يقوى على العبادة ﴾ فانها هى المقصودة من اولى الالباب ﴿ فهو المأثور ﴾ عن الجمهور ﴿ وهو ﴾ أى ما يقوى ﴿ يختلف بحسب الاحوال ﴾ وكذا تفاوت امرجة الرجال ﴿ اما الوقت ﴾ أى قدر زمن الجوع والتقليل ﴿ فكانوا ﴾ أى بعض السلف ﴿ يطوون ﴾

يَوْمَيْنِ فَصَاعِدًا إِلَى خَمْسِينَ، وَالْاِقْتِصَادُ هُوَ الْاَكْلَةُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ وَهُوَ
الْوَسْطُ الْمَرْوِيُّ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فُورِدَ « أَنْ أَكَلْتَيْنِ فِي يَوْمٍ مِنَ السَّرَفِ »
وَالْأَحَبُّ التَّسْحَرُ بِهَا لِيَتَجِدَ عَلَى فَرَاغِ الْمَعْدَةِ . وَيَتَقَوَّى عَلَى الصَّوْمِ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ
وَأَنْ مَنَعَ الْحُضُورَ يُفْطِرُ بِنِصْفٍ وَيَتَسَحَّرُ بِآخِرِ اسْتِعَانَةٍ عَلَى الطَّاعَتَيْنِ

يومين فصاعداً أي ثلاثة (إلى خمسين) يوماً وهذا درجة أرباب كمال الاجتهاد
(والاقتصاد) في الأكل بحسب الوقت المناسب لأكثر العباد من الزهاد والعباد (هو
الأكلة في اليوم) أن لم يكن صائماً (والليلة) حين افطاره (وهو الوسط المروى عنه
عليه السلام) أي في بعض المقام، وفي الخبر إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغدى أبو نعيم
في الحلية عن أبي سعيد (فورد أن أكلتين في يوم من السرف) وقد تقدم ما أخرجه
البيهقي وضعفه عن عائشة قالت : « رآني النبي عليه السلام وقد أكلت في اليوم مرتين فقال
يا عائشة أما تحبين أن يكون لك شغل إلا في جوفك ألا أكل في اليوم مرتين من الأسراف والله
لا يحب المسرفين، وفي رواية له أيضاً يا عائشة اتخاذاك الدنيا يطنك أكثر من أكلة كل يوم
سرف والله لا يحب المسرفين، إلا أن المعروف في شمائله أنه عليه السلام كان غالباً يأكل مرتين
المعبر عنه بالغداء والعشاء، وفي الصوم الفطور والسحور المسمى بالغداء المبارك في
الحديث المشهور وهو المذكور في قوله سبحانه في حق أهل الجنة (ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا) وهو الطريقة الخفيفة السهلة فالحديث محمول على أكلتين مشبعتين أو على
أكلتين في نهاروا كلة في ليلة (والأحب التسحر بها) أي تلك الأكلة أن كان يكتفي
بها فهو أولى من أول الليلة (ليتجدد على فراغ المعدة ويتقوى على الصوم وهو المروى)
أي مع انضمام الأكلة أول الليلة، وفي الخبر « تسحروا فإن في السحور بركة » متفق
عليه « واستعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل » ابن ماجه.
والحاكم عن ابن عباس، وقيل المروى هو ما ورد في حديث عائشة « كان عليه السلام يواصل
إلى السحر » وفي حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة « وقال: ما واصل عليه
السلام وصالحكم هذا قط غير أنه آخر الأكل إلى السحر » (وأن منع) أي الجوع
(الحضور) بالطاعة من التجدد وغيره (يفطر بنصف) أي من قرصه أو من
قدر عادته في حال شعبه (ويتسحربا آخر استعانة على الطاعتين) أي طاعة الباطن
وهو الحضور في مقام السرور وطاعة الظاهر وهي الطاعة بالجوارح فيبقى نور على

فَالْجُوعُ الشَّاعِلُ عَنْهُ تَعَالَى مَذْمُومٌ ، وَأَمَّا الْجِنْسُ فَلَا عَلَى مِنَ الْخَبْزِ الْبَرِّ
الْمَنْخُولِ . ثُمَّ الشَّعِيرُ الْمَنْخُولُ . وَالْبَرُّ الْغَيْرُ الْمَنْخُولُ . ثُمَّ الشَّعِيرُ الْغَيْرُ الْمَنْخُولُ
وَمَنْ الْإِدَامُ اللَّحْمُ

نور (فالجوع الشاغل عنه تعالى مذموم) كما أن الشبع الشاغل عنه سبحانه مشرؤم
وقد ورد اللهم انى أعوذ بك من الجوع فإنه بشئ الضجيع . وقد أشار صاحب البردة
الى هذه الزبدة بقوله « قرب مخضبة شرمن النخم » (وأما الجنس) أى جنس
المأكول (فلا على من الخبز البر المنخول) وفيه سعة (ثم الشعير المنخول)
وفيه رخصة (والبر الغير المنخول) فهو توسط (ثم الشعير الغير المنخول)
وهوسنة ، وعن ابن عباس أنه عليه السلام « كان يبيت الليالى المتابعة طالويا وأهله
لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير » أحمد بن الترمذى ، وابن ماجه ، وفى الشئان
عن عائشة أنها قالت « ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متابعين حتى
قبض رسول الله ﷺ » وفى شمائل الترمذى عز سهل بن سعد أنه قيل له : أكل عليه
السلام النقى ؟ - يعنى الحوارى - فقال سهل : ما رأى عليه السلام النقى حتى لقي الله عز وجل
فقيل هل كانت لكم مناخل على عهدك عليه السلام ؟ قال : ما كانت لنا مناخل فقييل
كيف تصنعون بالشعير ؟ قال : ننفضه فيطير ما طار ثم نعبجه ، لا يقال المنخل بدعة حدثت
بعد رسول الله ﷺ فانا نقول : ليس كل ما ابتدع منياعته بل المنهى عنه ابداع بدعة
مضادة سنة ثابتة فقد تكون بدعة حسنة وقد تكون واجبة وقد تكون مباحة ، ومنها
المنخل فان المقصود منه تطيب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التعم المفرط قال تعالى :
(قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) أى المستلذات للخلق
(ومن الادام) أى والاعلى من الادام (اللحم) وقد ورد « سيد طعام أهل
الدنيا وأهل الجنة اللحم » رواه ابن ماجه . وابن أبى الدنيا من حديث أبى الدرداء مرفوعا
وسنده ضعيف لكن له شواهد منها عن على رفعه بلفظ « سيد طعام الدنيا اللحم ثم
الارز » أخرجه أبو نعيم فى الطب النبوى ، وعن صهيب بلفظ « سيد الطعام فى الدنيا
والآخرة اللحم ثم الارز » أخرجه الديلمى من جهة الحاكم ، وعن بريدة أيضا مرفوعا
سيد الادام فى الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب فى الدنيا والآخرة الماء وسيد الرياحين
فى الدنيا والآخرة الفاغية ، رواه الطبرانى وكذا أبو نعيم لكن بلفظ آخر ، وما يقويه حديث

وَالْحُلُوءُ ثُمَّ الدَّهْنُ . ثُمَّ الْمِلْحُ وَالْخَلُّ ، وَالْمَحْمُودُ الْوَسْطُ فَالطَّرْفَانِ شَاغِلَانِ
فُورِدَ (وَالَّذِينَ إِذَا أَتَقَفُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) «خير
الأمور أوسطاً»

« فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » أخرجه الترمذى وغيره ، وفي الشئان أن عليه السلام « أكل الدجاج ولحم جبارى وجنباً مشوية وكان يحب الذراع ويقول : إن أطيب اللحم لحم الظير » ، وفي الأحياء عن علي كرم الله وجهه من ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يوماً قسا قلبه (والحلواء) من التمر وغيره فمن عائشة « كان عليه السلام يحب الحلواء والعسل » ، رواه أصحاب الكتب الستة « وكان يعجبه الحلو البارد » كما في الشئان وأما حديث « المؤمن حلوى والكافر خمرى » فقال ابن حجر العسقلانى : باطل لا أصل له « وكان يحب الدباء » ، كما في الشئان وغيره عن أنس « وكان يحب القثاء » ، كما رواه الطبرانى عن الربيع بنت معوذ (ثم الدهن) وفي معناه السمن فقد ورد « كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة » ، وفي لفظ « فإنه مبارك » أحمد والترمذى وابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على شرطهما (ثم الملح) فعن أنس مرفوعاً « سيد أدامكم الملح » ابن ماجه وأبو يعلى والطبرانى (والخل) فمن عائشة أنه عليه السلام قال : « نعم الإدام الخل » الترمذى ورواه مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ « سأل أهله الإدام فقالوا ما عندنا إلا خل فدعا به فجعل يأكل وهو يقول نعم الإدام الخل » وعن أم سعد مرفوعاً « نعم الإدام الخل اللهم بارك في الخل » ، وفي رواية « أنه كان إدام الأنبياء من قبلى وفي حديث « لم يفقر بيت فيه خل » ، رواه ابن ماجه ، وأما حديث « خير خلكم خل خمركم » فرواه البيهقى في المعركة عن جابر مرفوعاً وقال أنه ليس بالقوى (والمحمود الوسط فالطرفان) أى الأعلى والأدنى (شاغلان) عن العبادة للتجرد الزاهد وأما العارف فكل حلال له طيب قال تعالى : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) وقال : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون) (فورد والذين إذا اتفقوا لم يسرفوا) أى لم يبدروا (ولم يقتروا) أى لم ييخلوا (وكان بين ذلك قواماً) ولا شك أن قوام كل قوم بحسب ما يقوم عندهم (خير الأمور أوسطاً) رواه البيهقى عن عمرو بن الحارث بلاغا ولعله مأخوذ من قوله

وَالْأَوَّلَى أَنْ لَا يُؤَاطَبَ عَلَيْهِ وَيَتْرَكَ الْمَشْتَهَى قَطْعًا لِلنَّاسِ بِالدُّنْيَا، وَوَرَدَ
 (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا) «شَرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ غَدُوا بِالنَّعِيمِ وَنَبَتَ عَلَيْهِ
 أَجْسَامُهُمْ» وَأَمَّا هَمَّتُهُمْ أَنْوَاعُ الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ الشَّهْوَتَيْنِ قَضَاءٌ وَلَا بَيْنَ
 الشَّبَعِ وَالتَّوَمِ فَهُمَا غَفْلَتَانِ «فُورَدَ» أَذْيُوا طَعَامَكُمْ بِالصَّلَاةِ

تعالى : (و كذلك جعلناكم أمة وسطا) وقوله : (كنتم خير أمة) (والاولى أن
 لا يؤاطب عليه) أى على الادم فى جميع الليالى والأيام (ويترك المشتهى) أى
 وأن يترك ما تشتهى النفس (قطعاً للناس بالدنيا) وطعماً لمجلس القدس فى العقبى
 وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين، وورد « اللهم لا تعيش إلا تعيش الآخرة فان عيشها
 عيشة راضية فاخرة » (وورد) أى فى توبيخ الكفار (أذهبتم طيباتكم)
 أى مستلذاتكم (فى حياتكم الدنيا) والظاهر انها محمولة على المحرمة اذ لا تبعة
 فى المباحات أو مختصة بالكفار لكن قد يقال : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
 السبب فيتناول الفجار حيث صرفوا نعم الله سبحانه فى المعصية دون الابرار فانهم
 استعانوا بنعمه على الطاعة (شرار أمتى الذين غدوا) بصيغة المجهول من الغذاء
 بالمعجمتين أى تربوا (بالنعيم) من غير فرق بين الحلال والحرام (ونبت عليه
 أجسامهم) وظل جسدت من أكل الحرام فالنار أولى به كما فى رواية (وانما همتهم أنواع
 الطعام واللباس) أى من غير تفرقة بين الجواز وعدمه فان محط نظرهم ما يرون من فعل عامة
 الناس والحديث رواه ابن عدى فى الكامل، ومن طريقة البيهقى فى شعب الايمان من
 حديث فاطمة بنت رسول الله ﷺ رضى عنها ، وروى من حديث فاطمة بنت
 الحسين مرسل قال الدار قطنى فى العلل : هو شبه بالصواب ، ورواه أبو نعيم فى الحلية
 من حديث عائشة بأسناد لا بأس به (ولا يجمع بين الشهوتين) أى المشتاتين
 كاللحم والفاكهة أو الفاكهتين (قضاء) أى اداء لشهوة النفس ومرادها فيجوز أن
 يجمع بنية ادراك خاطر المضيف وغيره، وقد ثبت فى الثمائل انه كل اللحم مرتين وجمع
 بين اللحم والرطب وبين البطيخ والرطب، وفى رواية بين الخبز والرطب وفى اخرى
 بين القناء والرطب وقال برد هذا بحر هذا (ولا بين الشبع والنوم فهما غفلتان)
 وفى كثرتهم حسرتان وخسارتان (فورد أذيووا طعامكم) أى اضمموه (بالصلاة

وَالذِّكْرَ وَلَا تَتَمَوَّاعِلَيْهِ فَتَقْسُو قُلُوبُكُمْ» وَيَكْتَنِي بِالْتَّمْرِ تَحْرُزًا عَنِ التَّفْكِهِ،
وَيُؤْلِمُ النَّفْسَ فِي ابْتِدَاءِ الرِّيَاضَةِ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحِبُّ الْعَسَلَ وَعَمَرَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ يَحْتَنِبُهُ وَيَأْمُرُ ابْنَهُ بِأَكْلِ الْخَبْزِ يَوْمًا مَعَ اللَّحْمِ ثُمَّ اللَّبَنِ ثُمَّ الدَّهْنِ ثُمَّ
الزَّيْتِ ثُمَّ الْمَلْحَ ثُمَّ وَحْدَهُ وَلَا يَأْكُلُ فِي الْخَلَاءِ مَا يَتْرُكُهُ فِي الْمَلَأِ فَهُوَ شَرُّ شَيْءٍ *

والذكر) واعلاء التلاوة (ولا تتموا عليه) أى على الشيع من غير طاعة ربكم
هـ (فتقسو قلوبكم) أبو نعيم وغيره عن أنس هـ (ويكتني بالتمر تحرزا عن التفكه) هـ أى
التعم فغن النعمان بن بشير « رأيت رسول الله ﷺ وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه » الترمذى
في شمائله، وقيل: معنى الاكفاء بالتمر عن التفكه انه يأكل التمر بدلا من الخبز وكذا
يكتني بكل فاكهة اشتهت نفسه من الطعام فأكلها بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون
تفكها لان التفكه انما يكون اذا شبع من الطعام ثم أكل الفاكهة اما اذا اكتني بالفاكهة
بدلا عن الطعام فلا يكون ذلك تفكها بل يكون قوتا يقتضى قوة ويناسبه ما حكى عن
بعضهم انه نظر الى رجل يأكل خبزا وتمرا فقال له ابتدى بالتمر فان قامت به كفايتك والا
أخذت من الخبز بقدر حاجتك (ويؤلم النفس) أى يؤدها ويهذبها هـ (فى ابتداء
الرياضة) هـ قال تعالى : (والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبيلا) هـ (فكان عليه السلام
يحب العسل) هـ أى والحلواء ونحوهما ويستعملهما لانه كان فى مرتبة العرفان وأيضا
اراد أن يقتدى به جميع افراد الانسان هـ (وعمر رضى الله عنه يحتنبه) هـ أى العسل او
الادام تر كاللذة واختيارا للرياضة وعملا بالافضل كما هو شأن الاكمل هـ (ويأمر
ابنه) * أى عبد الله على ما هو الظاهر هـ (بأكل الخبز يوما مع اللحم ثم اللبن) هـ أى يوما
هـ (ثم الدهن) هـ أى دهن الزيت ونحوه أو السمن ويؤيده قوله هـ (ثم الزيت) هـ اللهم
الا أن يقال المراد به الزيتون مجازا وفيه ان الزيت والزيتون كلاهما كان عزيزا فى المدينة
هـ (ثم الملح ثم وحده) هـ أى الخبز من غير ادام معه هـ (ولا يأكل فى الخلاء ما يترك) هـ أى
شيئا أو قدرا يتركه هـ (فى الملا) هـ فانه من باب السمعة والرياء، وكذا لا يعبد فى الملا
ما يترك فى الخلاء فانه من اخلاق أهل النفاق (فهو شرك خفى) وقد قال سبحانه وتعالى :
(فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) وفى الحديث
القدسى « انا أغنى الشر كاهن عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تر كنهو شركه »

وَلَا يُرِيدَانِ يَعْرِفَ بِالتَّقْلِيلِ فَهُوَ أَحْسَنُ مِنَ الْكَثَارِ ، وَيُؤْخِرُ السَّحُورَ ،
وَيَعْجَلُ الْإِفْطَارَ ، وَيَبْتَدِئُ بِالْتَّمْرِ أَوِ الْمَاءِ ، وَيَفْطُرُ صَائِمًا فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ ، وَيَسْتَعِدُّ
فِي شَعْبَانَ بِالتَّوْبَةِ ، وَرَدَّ الْمَظْلَمِ ، وَتَرَكَ الشَّوَاغِلَ ، وَيَخْصُ رَمَضَانَ بِالصَّدَقَةِ .
وَالْتَّلَاوَةِ . وَالْإِعْتِكَافِ لِأَسْمَاءِ الْعَشْرِ الْآخِرِ ، فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاطْبَ عَلَيْهِ

مسلم وابن ماجه عن أنى هريرة (ولا يريد) أى وينبغى ان لا يريد (ان يعرف) بين
الناس (بالتقليل) أى بتقليل الاكل وكذا بتكثير العلم والعمل (فهو) أى التقليل
رياء (الحش) أى أقبح (من الاكثار) مطلقا فانه حينئذ ترك شهوة الحلال واختار
شهوة الحرام (ويؤخر السحور) وهو يفتح السين ما يتسحر به وبالضم التسحر وهو
الأكل في السحر وهو السدس الاخير من الليل (ويعجل الافطار) هـ فى كل منهما
وردت الآثار فعن ام حكيم «عجلوا الافطار واخروا السحور» الطبرانى، وعن أنس
«بكروا بالافطار واخروا السحور» ابن عدى، وعن ابن عباس «انا معاشر الأنبياء
امرنا ان نعجل افطارنا ونؤخر سحورنا ونضع أيما ناعلى شمالتنا فى الصلاة، الطيالسي،
وعن أبى ذر «لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الافطار واخروا السحور» رواه أحمد
هـ (ويبتدىء بالتمر) هـ والرطب أفضل (أو الماء) عند عدمهما وزمزم أفضل ولا منع
من الجمع، وعن أنس «كان عليه السلام يفطر على رطبات قبل ان يصلى فان لم تكن رطبات
فتمرات وان لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء» (ويفطر صائما) واقله واحد
وورد «من فطر صائما كان له مثل أجره غير انه لا ينقص من أجر الصائم شيء» أحمد
والترمذى وابن جبان عن زيد بن خالد هـ (فالكل مأثور) هـ وفى ضمن الشرح مسطور
هـ (ويستعد فى شعبان) هـ لاستقبال رمضان (بالتوبة) أى الاستغفار والتندامة
(وردا المظالم) أى مظالم العباد وكذا اداء حقوق الله (وترك الشواغل) أى الموانع
عن الصيام والقيام من العماراة والسفر للتجارة والكسب الزائد على الحاجة (ويخص
رمضان بالصدقة) أى بزيادتها فانها أقرب الى القبول والغفران (والتلاوة) أى
قراءتها أو مدارستها فانه شهر نزل فيه القرآن (والاعتكاف) أى فى المسجد قال تعالى:
(وأتموا كفون فى المساجد) (لأسماء العشر الاواخر) فالاعتكاف فيه سنة مؤكدة
وفى غيرهما مستحبة (فهو عليه السلام واطب عليه) أى على الاعتكاف فى العشر الاخير

وَأَمَّا نَابِ التَّمَّاسِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِيهَا، وَيُرَاعَى سَائِرُ الْأَعْمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْفَاضِلَةِ كَالْأَشْهُرِ الْحَرَمِ
لَا سِيَّمَا عَرَفَةَ . وَعَاشُورَاءَ . وَالْعَشْرِينَ .

ففي الصحيحين عن عائشة ؓ « كان إذا دخل العشر الاواخر أحيى الليل وايقظ أهله وجد وشد المنزرو كان لا يخرج الا لحاجته » وفي رواية أبي داود بزيادة ولا يسأل عن المريض الا مارا، (وأما نَابِ التَّمَّاسِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِيهَا) أى في العشر الاواخر وأوتارها اشبه ، والجمهور على أنها ليلة السابع والعشرين (ويراعى سائر الاعمال في الايام الفاضلة) أى بالصوم فيها قدر طاقته واستطاعته في تكثير طاعته (كالاشهر الحرم) وهى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، أما المحرم فورد فيه « ان كنت صائما بعد شهر رمضان فصم المحرم فانه شهر الله » الحديث رواه النسائي عن علي ؓ ولانه ابتداء السنة فبناؤه على الخير احب وأرجى لدوام البركة ، وفي المعجم للطبراني من حديث ابن عباس ؓ « من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون حسنة » وعن أنس ؓ « من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخيس والجمعة والسبت كتب الله عز وجل له عبادة تسعمائة سنة » الأزدى في الضعفاء ، وفي رواية ابن شاهين في ترغيبه . وابن عساكر عن أنس ؓ « كتب له عبادة مبعائة سنة » وفي رواية الطبراني في الأوسط عن أنس ؓ « عبادة سنتين ، وأما رجب فورد فيه « صوم اول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين . والثاني كفارة سنتين . والثالث كفارة سنة ثم كل يوم شهر » رواه أبو محمد الحلال عن ابن عباس (لاسيما عرفة) أى يوم عرفة فورد « من صام يوم عرفة غفر الله له سنتين سنة امامه وسنة خلفه » ابن ماجه بسند حسن عن قتادة بن النعمان وإذا كان بعرفات ان لم يضعف عن العبادة ولم يسئ خلقه فالصوم افضل والا فالانطار ، وقد ثبت انه عليه السلام افطر بعرفة في حجة الوداع وكأنه تهوين على الأمة منشؤه الشفقة والرحمة بل ورد انه عليه السلام « نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة » أحمد . وأبو داود . وابن ماجه . والحاكم عن أبي هريرة (وعاشوراء) والافضل صوم تاسوعاء (والعشرين) بالفتحتين أى العشر الاول من ذى الحجة ومن المحرم فورد « ما من أيام العمل فبهن افضل واحب الى الله من أيام عشر ذى الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر » الترمذى . وابن ماجه من حديث أبي هريرة ، وعند البخارى من حديث ابن عباس ؓ « ما العمل في أيام افضل من العمل في هذا العشر قالوا ولا الجماد قال ولا الجهاد الارجل خرج يحاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء »

وَشَعْبَانَ وَالْأَيَّامَ الْبَيْضَ . وَالْجُمُعَةَ وَالْخَمِيسَ . وَالْاِثْنَيْنِ ، وَيُفْطِرُ فِي آخِرِ
شَعْبَانَ اسْتِعَانَةً عَلَى صَوْمِ رَمَضَانَ ، ثُمَّ السَّرُّ فِيمَا وَرَدَ «أَفْضَلُ الصَّيَامِ صِيَامُ أَخِي دَاوُدَ»
شِدَّةُ انْكَسَارِ النَّفْسِ بِنَقْضِ الْعَادَةِ

﴿وشعبان﴾ كله أو أكثره فكان عليه السلام يكثر صيام شعبان حتى كان يظن أنه من رمضان ، متفق عليه من حديث عائشة ﴿والايام البيض﴾ أى التى ليالها البيض وهى الثالث عشر . والرابع عشر . والخامس عشر على الأشهر من الأقوال ، والايام التى تبيض جسم آدم بصومها لما خرج من الجنة وكان قد اسود من جهة الخطيئة ، وعن ابن عباس «كان عليه السلام لا يدع صوم أيام البيض فى سفر ولا حضر» الطبرانى (والجمعة) والافضل ان لا يصوم فيها مفردا لما ورد عن جنادة الأزدي «لا تصوموا يوم الجمعة مفردا» أحمد والنسائي ، والحاكم وفى رواية لأحمد عن أنس بن مالك «لا تصوموا يوم الجمعة الا قبله يوم أو بعده يوم» (والخمس والاثنين) لانهما يومان متبركان ، وورد «كان يصوم الاثنين والخميس فليله فقال الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر لكل مسلم الا المتهاجرين فيقول آخروهما» أحمد عن أنس بن مالك «يفطر فى آخر شعبان استعانة على صوم رمضان» واستبعادا عن التقدم فى الزمان ، وورد «إذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان» الأربعة من حديث أنس بن مالك وصححه الترمذى ، وفى رواية «إذا انتصف شعبان فلا صوم حتى رمضان» أحمد والداريمى . والأربعة وصححه . وابن حبان . وأبو عوانة وغيرهما مرفوعا فان وصل شعبان برمضان لجائز كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة كما رواه الأربعة من حديث أم سلمة «لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان» ولأن داود . والنسائي نحوه من حديث عائشة ، وفصل مرارا كثيرة كما رواه أبو داود من حديث عائشة قالت : «كان رسول الله ﷺ يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام ، واخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين كذا ذكره الحجة ومخرجه ولا يخفى عدم دلالة الحديث على المدعى (ثم السرف فيما ورد) من حديث عبد الله بن عمرو فى الصحيحين (أفضل الصيام صيام أخى داود) وتماهه كان يصوم يوما ويفطر يوما (شدة انكسار النفس) وما لها من الارادة (بنقض العادة) فانه لب العادة ، ومن ذلك ما ورد فى الصحيحين أيضا من

بِخِلَافِ صَوْمِ الدَّهْرِ قِيلَ يَجْتَهِدُ أَنْ يَصُومَ نِصْفَ السَّنَةِ أَوْ ثُلُثَهَا مَعَ رِعَايَةِ
الْأَيَّامِ الْفَاضِلَةِ، وَقِيلَ لَا يُفْطَرُ إِلَّا أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ مُتَوَالِيَاتٍ أَعْتَابَرًا بِأَيَّامِ النَّحْرِ وَالتَّشْرِيقِ

منازله عليه السلام لعبد الله بن عمرو في الصيام وهو يقول: أريد أفضّل من ذلك فقال عليه السلام له: صم يوماً وأفطر يوماً فقال أريد أفضّل من ذلك فقال عليه السلام: لا أفضّل من ذلك لأنه أشد على النفس والهوى وفي قمع قهرها أقوى ولأن العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال عليه السلام: « عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا كنوز الأرض وقلت اجو ع يوماً واشبع يوماً أحمدك إذا شبعمت وأنزع ع اليك إذا جعت » الترمذى من حديث أبى امامة وحسنه، وفيه تنبيه على أن الكمال هو الترية بين تجلى صفى الجمال والجلال، وقد ورد أيضاً « الإيمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر » وقال عز وجل: (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) ﴿ بخلاف صوم الدهر ﴾ فإنه يصير العبادة له كالعادة على أنه شامل لكل مع الزيادة، وللسالكين طرق هنالك ففهم من كره ذلك إذ وردت فيه أخبار كثيرة تدل على كراهيته، منها: من صام الأبد - أى الدهر فلا صام ولا أفطر - أحمد والنسائي والحاكم وابن ماجه عن عبد الله بن الشخير، وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو ولا صام من صام الأبد، ولمسلم من حديث أبى قتادة « قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر؟ قال لا صام ولا أفطر » وللنسائي من حديث عبد الله بن عمر وعمران ابن الحصين، وفي الاحياء الصحيح انه انما يكره لشيئين أحدهما أن لا يفطر فى العيدين وأيام التشريق وهو الدهر كله وثانيهما أن يرغب عن السنة فى الافطار ويجعل الصوم حجراً على نفسه مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه وإذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه فى صوم الدهر هنالك فليفعل وقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين، وقال عليه السلام فيما رواه أبو موسى الأشعرى « من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين » معناه ليس له فيها موضع والحديث رواه أحمد والنسائي فى الكبرى وابن حبان وحسنه أبو على الطوسى ﴿ قيل يجتهد أن يصوم نصف السنة ﴾ وهو صيام داود ويمكن أن يكون غيره ﴿ أو ثلثها ﴾ فإذا صام ثلاثة أيام من أول الشهر وثلاثة من وسطه وثلاثة من آخره فهو ثلث بانفراده وأما ﴿ مع رعاية الأيام الفاضلة ﴾ بأن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من النصف ﴿ وقيل لا يفطر الا أربعة أيام متواليات اعتباراً بأيام النحر والتشريق ﴾

وَالْأَصْلُ الْعَمَلُ بِحَسَبِ صَلَاحِ الْبَاطِنِ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «يَصُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَفْطُرُ وَكَذَا يُفْطِرُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَصُومُ وَيَقُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَنَامُ وَيَنَامُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَقُومُ» *

الباب الرابع في السفر والحج والغزو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * السَّفَرُ إِمَادِينِي وَهُوَ عَلَى قَصْدِ التَّعْلَمِ فُورِدَ

وفي الاحياء كره بعض العلماء أن يوالى بين الافطار أكثر من أربعة أيام تقدير اياموم العيبد وأيام التشريق وذكروا ان ذلك يقسى القلب ويولد ردىء العادات ويفتح أبواب الشهوات قال: ولعمري هو كذلك في حق أكثر الخلق لاسيما من يأكل في اليوم مرتين ﴿والأصل العمل بحسب صلاح الباطن﴾ أى اذا صلح باطنه بالصوم صام واذا صلح بالفطر أفطر لأن المقصود صلاح القلب للحضور بين يدي الرب فتارة تقتضى دوام الصوم وأخرى دوام الفطر وأخرى مزجه وهو الأنسب ﴿فكان عليه السلام يصوم﴾ أى النفل متابعا ﴿حتى يقال﴾ وفي رواية حتى نقول، بالنون والغيبة والخطاب ﴿لا يفطر﴾ أى أبدا ﴿وكذا يفطر﴾ أى مواظبا ﴿حتى يقال لا يصوم﴾ بعد هذا أصلا ﴿ويقوم﴾ أى في الليل متواليا ﴿حتى يقال لا ينام وينام﴾ أى كثيرا ﴿حتى يقال لا يقوم﴾ كذا في الاحياء ، قال العراقي: حديث «كان يصوم حتى يقال لا يفطر» الحديث اخرجاه من حديث عائشة . وابن عباس دون ذكر القيام والنوم، وللبخارى من حديث أنس «ثان يفطر من الشهر حتى يظن أنه لا يصوم منه ويصوم حتى يظن أنه لا يفطر منه شيئا وكان لا تشأ تراه من الليل مصليا الارأيته ولا نائما الارأيته» قلت : والحديث أيضا في شمائل الترمذى وقد شرحته وكان ذلك المقام له عليه السلام بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات واختلاف الحالات .

﴿الباب الرابع في السفر والحج والغزو﴾

تخصيص بعد التعميم للتعميم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ المعين للمسافر والمقيم ﴿السفر﴾ أعم من الشرعى واللغوى ﴿امادينى وهو على قصد التعلم﴾ من علماء الشريعة أو من مشايخ الطريقة فيستفيد من معارفهم في الحقيقة ﴿فوردا﴾ أى من رواية

«مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ» وَالتَّجَارِبِ
لِإِصْلَاحِ الْأَخْلَاقِ فَهُوَ مِنْهُمْ؛

الترمذى والضياء عن أنس ((من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله)) أى
الجهاد مع أعداء مولاة أو في طريق رضاه ((حتى يرجع)) أى من سفره الى حضرته قال
المظهرى وجه مشابهة طلب العلم بالمجاهدة في سبيل الله انه احياء الدين وفيه ارضاء الرحمن
واذلال الشيطان، وعن أنس «طالب العلم أفضل عند الله من المجاهد في سبيل الله، الدبلى،
وعن جابر بن عبد الله أنه رحل من المدينة الى مصر لحديث بلغه ان عبد الله بن أنيس
يحدث به عن رسول الله ﷺ، وقيل في تفسير قوله تعالى: (السائحون) انهم طلاب
العلم المسافرين، وعن أبي هارون قال: «كنا نأتى أبا سعيد: فيقول مرحبا بوصيته عليه
السلام كان يقول: ان الناس لكم سبع وان الرجال يأتونكم من اقطار الارض
يتفقون في الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا» وعن كثير بن قيس قال: كنت
جالسا مع أبى الدرداء في مسجد دمشق فجاء رجل فقال: يا أبا الدرداء انى جئتك من
مدينة الرسول ﷺ لحديث باغنى أنك تحدّثه عن رسول الله ﷺ ما جئت
لحاجة-اي غير أن أسمع منك الحديث-قال: فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة
لتضع اجنحتها رضا الطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض
والحياتان في جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا
العلم فمن اخذه أخذ بحظ وافر» رواه احمد والترمذى. وأبو داود وابن ماجه والدارمى
والحديث في المشكاة وشرحه في المرقاة ((والتجارب)) أى وقصد التجربة في اما كن
الشدة ((لاصلاح الاخلاق)) أى المستحسنة في حكم الخلاق ((فهو مهم)) والسالك
بسيره متم ومنه قوله عليه السلام «أخبر تقيه» ابن عدى من حديث أبى الدرداء مرفوعا،
وفي رواية له «وجدت الناس اخبر تقيه» أخرجه الطبرانى. وأبو يعلى وأبو نعيم وفي النهاية
أى جرب الناس فانك اذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم
لفظه أمر ومعناه خبر، أى من جربهم واختبرهم أبغضهم والهاء في تقيه للسكت، ومعنى
نظم الحديث وجدت الناس مقول فيهم هذا القول، قيل: ويضرب هذا مثلا في قلة وقم

وَالسَّعَرُ يَسْفِرُ عَنْهَا لِلْبُعْدِ عَنِ الْمَالُوفَاتِ ، وَالتَّفَكُّرُ فِي لَطَائِفِ أَفْعَالِهِ
تَعَالَى ۝ وَالْحَجُّ فُورِدَ (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ) الْآيَةُ « مِنْ حُجِّ الْبَيْتِ وَلَمْ
يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » ۝ وَالْجِهَادُ فُورِدَ « لِعُدْوَةٍ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٍ خَيْرٍ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » وَزِيَارَةُ الْمَدِينَةِ

الخير عند الناس ((والسفر)) وسعى به لانه ((يسفر عنها)) أى يكشف عن الاخلاق
الرضية والذنية في اختلاف الحالات ((للبعد عن المألوفات)) وعدم وجود المعروفات
((والتفكر في لطائف أفعاله تعالى)) في مصنوعاته ((وعظيم صفاته)) أى الدالة على
عظمة ذاته كما يشير اليه قوله تعالى : (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلكم) فهو اما بسير الباطن أو بانضمام سير الظاهر ، وقوله عز وعلا :
(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) وقوله (أو لم ينظروا في ملكوت السموات
والأرض وما خلق الله من شيء) واختلف أحوال الصوفية في سلوك سير الظاهر ،
فمنهم من سافر في بدايته وأقام في نهايته وهو الأظهر ، ومنهم من أقام ولم يسافر وهو
الأكثر ، ومنهم من استدام على السفر ((والحج فورد لله على الناس حج البيت
الاية)) أى (من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) ((من حج
البيت ولم يرفث)) أى لم يجامع في الاحرام ولم يذكر النساء في مجامعهن ((ولم يفسق
خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)) أحمد. والبخارى والنسائي. وابن ماجه عن أنى هريرة
بلفظ « من حج لله فلم يرفث » الحديث « ومن مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا
وان شاء نصرانيا ، ابن عدى من حديث أنى هريرة والترمذى من حديث علي وقال:
غريب وفي اسناده مقال « ومن خرج من نيته حاجا أو معتمرا فأتى الله له أجر
الحاج والمعتمر كل سنة الى يوم القيامة » البيهقي في الشعب ((والجهاد)) مع الكفار
((فورد لغدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها)) أحمد. والشيخان.
والترمذى . وابن ماجه عن أنس ((وزيارة المدينة)) ففي الخبر « من زار قبري وجبت
له شفاعتي ، ابن عدى . والبيهقى . وابن أبى الدنيا . والطبرانى . والدارقطنى عن
ابن عمر وهو في صحيح ابن خزيمة ، وللطياىلى عن عمر مرفوعا « من زار قبري كنت
له شفيعا أو شهيدا ، قال الذهبي : طرقها كلها لينة لكن يقوى بعضها بعضا لأن من
الرواة من هو متهم بالكذب قال : ومن أجودها اسنادا حديث حاطب « من زارني

وَيَبْتَئِ الْمَقْدِسَ، فَوَرَدَ « لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى مَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى »، وَمُلَاقَاةُ الْكِبَرَاءِ لِلْإِسْتِفَادَةِ مِنْ مُشَاهَدَةِ الْأَحْوَالِ

بعد موتي فكمن زارني في حياتي » أخرجه ابن عساكر وغيره قلت: حديث « من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي » رواه ابن عدى . والطبراني . والدارقطني . والبيهقي من حديث ابن عمرو « من جاني زائراً لا يهيمه إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً ، الطبراني من حديث ابن عمرو صححه ابن السكن « ومن وجد سعة ولم يفر إلى فقد جفائي ، ابن عدى . والدارقطني . وابن حبان . والخطيب من حديث ابن عمر ، وفي رواية « من حج ولم يزرني فقد جفائي » ، وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث أنس « ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر » (وبيت المقدس) فعن ابن عمران سليمان بن داود عليهما السلام « لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلافاً ثلاثة سأل الله حكماً يصادف حكمه فأوتيه وسأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه وسأل الله حين فرغ من المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه أن يخرج من خطيبته كيوم ولدته أمه أما اثنان فقد أعطيتهما وأرجو أن يكون قد أعطى الثالثة ، أحمد . والنسائي . وابن ماجه . وابن حبان . والحاكم ، وقد صح أنه عليه السلام صلى فيه ورحل ابن عمر إليه ودخل فيه وصلى ركعتين ثم رجع ، وعن ميمونة مرفوعاً « من لم يأت بيت المقدس يصلى فيه فليعت بزيت يسرج فيه » البيهقي (فورد) أى فى الصحيحين وغيرهما من حديث أبى هريرة . وأبى سعيد (لا تشد الرحال) أى لا تطلب بركة البقاع بالسفر إليها (إلا إلى مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى) ولا يمنع هذا زيارة قبور الأنبياء والأولياء لأن الحضر فى حق المساجد دون سائر المشاهد ومسجد قيام ونحوه فى المدينة من منازل الكرام داخل فى جنس مسجده عليه السلام ، ثم لفظ الحديث على ما هو المشهور عند المحدثين الاعلام « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى » ، وهذا هو الترتيب المناسب لتفاوت المساجد فى فضيلة ومسجدي هذا والمسجد الأقصى ، وهذا هو الترتيب المناسب لتفاوت المساجد فى فضيلة مضاعفة الصلاة فيها ، فمن جابر « صلاة فى المسجد الحرام مائة ألف صلاة وصلاة فى مسجدي ألف صلاة وفى بيت المقدس خمسمائة صلاة » البيهقي (وملاقاة الكبراء) من المشايخ والعلماء وهم أحياء (للاستفادة من مشاهدة الأحوال) ومعاينة الأقوال

فَلَسَانُ الْحَالِ أَنْصَحُ ، وَزِيَارَةُ قُبُورِهِمْ ،

(فلسان الحال أنصح) من بيان المقال وليس الخبر كالمعاينة ؛ وقد ورد أولياء الله الذين أذاروا ذكرا الله الحكيم ، عن ابن عباس فقد ينفعه لحظ الرجال ما لا ينفعه لفظ الرجال ، ومن هنا قيل [من لم ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه] وهذا القول له معنيان أحدهما ان الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله أكثر مما يكلمهم بلسان قوله فاذا نظر الصادق الى تصاريفه في مودده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر اليه فهو نفع اللحظ عليه ومن لم تكن أفعاله هكذا فلفظه أيضا لا ينفع لانه يتكلم بهواه ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة في طاعة الرب المعبر عنها بالشرعية في الأعمال الظاهرة وبالطريقة في الاخلاق الباهرة وبالحقيقة في الأحوال الذاخرة المستمرة حتى في الدار الآخرة . والثاني ان نظر العلماء الراسخين والرجال البالغين ترياق نافع ينظر أحدهم الى الرجل الصادق فيستشف بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستهالة المواهب لله تعالى الخاصة للموافق فتقع في قلبه محبة المريد الصادق وينظر اليه نظرة محبة لله تعالى عن بصيرة فيكتسب بنظره أحوالاً سنية ويرى آثاراً رضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله سبحانه أن يجعل هذه الخاصة في نظر بعض خواصه من عباده كما جعل في بعض الافاعي من الخاصة انه اذا نظر الى انسان يهلكه ، وما يدل على تأثير الصحبة كسير نظر الأثير ما حصل لاجل الاف العرب حيث كان أحدهم ممن يبول على عقبه فينظره صلى الله عليه وآله وسلم وقد آمن به فصار في لحظة واحدة من كل الاولياء والاصفياء حيث لم يبلغه أحد من المشايخ والعلماء ، وأبلغ من هذا قضية كلب أصحاب الكهف حتى وصل مرتبته الى أن ذكره الله في كتابه القديم مرات بنعت التعظيم والتكريم ، وقد وقع تأثير نظر الشيخ نجم الدين الكبرى الى كلب كان حول الفقراء ، وذكرك صاحب عوارف المعارف الشيخ شهاب الدين السهروردي عن عمه الشيخ نجيب الدين صاحب آداب المريدين انه كان يطوف في مسجد الحثيف بمنى ويتصفح وجوه الناس ههنا وههنا فقبل له في ذلك فقال: ان الله عبادا اذا نظروا الى شخصا كسبه السيادة قانا اطلب تلك السعادة ، وحكاية الشيخين مع السيد عبد القادر مشهورة وفي غير هذا المحل مسطورة (وزيارة قبورهم) أي الكبراء فانهم بمنزلة الشهداء لا يموتون ولكن ينتقلون من دار الفناء الى دار البقاء ، وقد ورد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورو القبور فانها تزهدي

وَالْفَرَارُ عَمَّا يُشَوِّشُ الْعِبَادَةَ . كَالْجَاهِ . وَالْمَالِ * وَإِمَا دُنْيَوِي كَالْفَرَارِ مِنَ
الْفِتْنَةِ . وَالْقَحْطِ إِلَّا عَنِ الطَّاعُونَ فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ

الدنيا وتذكر الآخرة ، ابن ماجه عن ابن مسعود ، وفي رواية الحاكم عن أنس ، كنت
نهيتمكم عن زيارة القبور الأفروروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ،
الحديث (والفرار عما يشوش العبادة) أو ينقصها أو يمنعها (كالجاه) أى الوسع
(والمال) أى الكثير ، وعن سفيان هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف
بالمشهورين هذا زمان ينقل الرجل من قرية الى قرية ليغير دينه من الفتنه ومن أفضلها
الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام ومن دار البدعة الى دار السنة ومن دار المعصية
الى دار الطاعة فى الصحيح ، من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله
ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه ، فالمدار
على تصحيح النية وتخليص الطوية فى جميع الاعمال الدينية والدنيوية لتصير وسائل فى
رفعة الدرجات الآخروية (وإما دنيوى كالفرار من الفتنه) أى الدنيوية (والقحط)
ونحوه من الغلاء وسائر البلية (ولا حرج فيه) أى فى هذا النوع بل هو مباح أو مستحب
فقد قال أبو نعيم : رأيت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه وقتله يده فقلت : الى
أين يا أبا عبد الله ؟ فقال : الى بلد أملأ فيها جرابي بدرهم ، وفى حكاية أخرى بلغنى خبر قرية
فيها رخص أقيم فيها فقلت تفعل هذا يا أبا عبد الله ؟ فقال : نعم اذا سمعت برخص فى بلدة
فاقصدها فانه أسلم لدينك واقل لهلك فالاولى للمريد اذا كان طالبا للزهد ان يلزم
مكانه ويحفظ شأنه بماشائه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم بهما سلم له حاله فى
وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ
للقلب وايسر لعبادة الرب فهو افضل المواضع له قال تعالى : (يا عبادى الذين آمنوا
ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون) وروى « البلاد بلا دالله والخلق عباد الله فإى موضع
رأيت فيه رفقا فاقم واحمد الله ، أحمد . والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف ، وفى الخبر
« من رزق من شيء قليلزمه ، ابن ماجه من حديث أنس بسند حسن » واذا سبب الله
لاحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو يتنكر له « ابن ماجه من حديث عائشة
بسند فيه جهالة واحد بسند حسن (الا عن الطاعون فهو) أى الفرار منه (منهي عنه)
بلفظ « اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وأنتم بارض فلا تخرجوا

أَوْطَلَبَ الْمَالَ وَنَحْوَهُ فَيَنْوِي فِيهِ نَحْوَ التَّعَطُّفِ عَنِ السُّؤَالِ . وَالتَّعَطُّفِ
عَلَى الْعِيَالِ لِيَصِيرَ عِبَادَةً ، ثُمَّ إِنْ كَانَ وَاجِبًا كَالْحَجِّ . وَطَلَبَ الْعِلْمَ فَيَتَعَيَّنُ وَلَا
فَالَا سْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ بِحَسَبِ صَلَاحِ الْحَالِ ، فَالْفَوَائِدُ وَالْآفَاتُ مُتَعَارِضَةٌ ،
وَالْمَقْصُودُ هُوَ الْمَعْرِفَةُ ، وَالْأَنْسُ بِهِ تَعَالَى ، وَالْمُعَيَّنُ فِي الْبَدَايَةِ السَّفَرُ لِلتَّعَلُّمِ ، وَفِي
النَّهَايَةِ الْإِقَامَةُ فَقِيهِ شَوَاغِلٍ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الْمَالُوفَاتِ ، وَحِفْظِ النَّفْسِ وَالْمَتَاعِ ،
وَاحْتِمَالِ الشَّدَائِدِ ، وَالْهَمُومِ ، وَحَقُّهُ أَنْ يَتُوبَ ، وَيُرَدَّ

منها فرار منه » أحمد . والشيخان . والنسائي عن أسامة بن زيد (أطلب المال) أي
و كطلبه (ونحوه) من النكاح وغيره من المباحات (فينوي فيه) أي الخيرات
والمبرات (نحو التعطف عن السؤال) في طلب المال (والتعطف على العيال) في النكاح
(ليصير عبادة) لأن تصحيح النيات يجعل العادات عبادات كما حقق في شرح حديث
« إنما الأعمال بالنيات ، ومن هنا ورد « نية المؤمن خير من عمله » (ثم إن كان) أي
السفر (واجبا) أي فرض عين (كالحج وطلب العلم فیتعين) أي فعله (والا) أي
وإن لم يكن واجبا (فالاستفتاء من القلب) متعين في فعله وتركه (بحسب صلاح
الحال) وفساده في الحضور مع الرب (فالقوائد) أي المنافع (والآفات) أي
المضار (متعارضة) في أمر السفر وغيره من الحالات (والمقصود) أي الأعلى
(هو المعرفة والأنس به تعالى) في جميع المقامات (والمعين في البداية السفر للتعلم)
أن لم توجد العلماء في بلده أو لم يقدر على تحصيله لشغله بأهله (وفي النهاية الإقامة) لاسيما
مع الكبر فإنه لا يتحمل الضرر (فقيه) أي في السفر (شواغل) عن الذكر والفكر
(من) النظر إلى المألوفات وحفظ النفس والمتاع (من الآفات) واحتمال الشدائد
والهموم (باختلاف الحالات وتفاوت الأوقات وتباين المقامات ، ومن هنا ورد
« السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى أحدكم نهمته من
وجهه أي حاجته من جهته فليعجل الرجوع إلى أهله ، مالك . وأحمد . والشيخان . وابن ماجه
عن أبي هريرة (وحقه) أي المسافر (أن يتوب) عن الذنوب من الصغائر والكبائر
في الظواهر والضمائر ويؤدى حقوق الله من فوات صوم وصلاة ونحوهما (ويرد

الْمَظَالِمَ وَيُؤَدِّي النَّفَقَاتِ وَيَأْخُذُ الزَّادَ ، وَيَطْلُبُ الرَّفِيقَ الصَّالِحَ الْمُعِينَ عَلَى الْخَيْرِ

المظالم ﴿ أى حقوق العباد أو يتحلل من أحمالها ويقضى الديون ويدفع الامانات الى أربابها ، فى القنية رجل عليه حق وغاب عن صاحبه بحيث لا يعلم مكانه ولا يعلم أحوال ميت لا يجب عليه طلبه فى البلاد ، وفيه أيضا رجل عليه ديون لأناس لا يعرفهم من غصوب ومظالم وجنابات يتصدق بقدرها على الفقراء بنية القضاء ان وجاهد مع التوبة الى الله فيعذر ، وفى فتاوى قاضى خان رجل له خصم فوات ولا وارث له يتصدق عن صاحب الحق بقدر ماله ليكون وديعة عند الله يوصله الى خصمائه يوم القيامة ﴾ (ويؤدى النفقات) أى كل من تلزمه نفقته الى حين رجعته ﴾ (ويأخذ الزاد) من المال الحلال لذهابه وإيابه من غير تقدير وتعيين فى بابه بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد مع الرفقاء والرفق بالضعفاء والفقراء ، قيل : وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعائة ، قال ابن عمر : من كرم الرجل طيب زاده فى سفره وكان يقول : افضل الحاج اخلصهم لله وازكاهم نفقة وأحسنهم يقينا ، وورد الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل : يا رسول الله وما بر الحج ؟ قال : طيب الكلام واطعام الطعام ، وذكر ابن الحاج ان من يخرج للحج بغير زاد ولا مركوب يطرأ عليه أمور عديدة ، منها عدم القدرة على اداء الصلاة وهو متعب فى ذلك ، ومنها عدم القوة والقدرة على تحمل المشقة ، ومنها يكلف الناس أن يقوموا بهوته وسقيه وربما آل أمره الى الموت وهو الغالب فتجدهم فى اثناء الطريق مرضى مرمين أو طرحى ميتين بعد ان خالفوا أمر الله فى حق أنفسهم وأوقعوا اخوانهم من علم بحالهم من أهل الركب فى انهم وكذلك يأثم كل من اعانهم بشئ لا يكفيهم فى أول امرهم أو يسعى لهم فيه من غيرهم اللهم الا أن يعلم ان غيره يغنيهم بشئ يتم به كفايتهم فى الذهاب والاياب فلا بأس فان لم يعلم بذلك حرم عليه الاعطاء لهم لان ذلك سبب لدخولهم فيما لا قدرة لهم من العطش وغيره والافضاء الى الموت ونحوه فيكون شريكا لهم فيما وقع بهم ، وهذا بخلاف ما اذا كانوا فى الطريق على هذا الحال فانه يتعين على من علم بحالهم اعانتهم بما تيسر له ولو بالشرية والشربتين واللقمة واللافتين ويعرفهم ان ما ارتكبوه يحرم عليهم لا يجوز لهم ان يعودوا لمثله ﴾ (ويطلب الرفيق الصالح المعين على الخير) المجرب فى الخير والشر والسفر والحضر فقد قيل : الرفيق ثم الطريق واللهولى التوفيق ، ووصف الرفيق بأنه ان نسى الخير ذكره وان ذكره اعانته وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره وسلاوه كونه

وَيَتَّصِقُ قَبْلَ الْخُرُوجِ ، وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، وَيَسْتَخِيرُ فِي غَيْرِ الْوَاجِبِ
وَيُودِعُ الْأَخْوَانَ . وَيَرْغَبُ فِي دُعَائِهِمْ . وَيَعْرِضُ الْأَشْيَاءَ عَلَى الْمُسْكِرِ ،
وَيَرْضِيهِ ، وَيَخْرُجُ فِي بُكُورِ الْخَمِيسِ وَالسَّبْتِ ، فَرَدَّ «دُعَاؤُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمَا»

من الاجانب أولى من الاقارب عند بعض الصالحين تبعدا عن ساحة الوقعة الموجبة
للقطيعة ويحتمل صحة المتكبرين والجهال (ويتصدق قبل الخروج) ولو بشيء
قليل فان الصدقة تدفع البلاء (ويصلي ركعتين) للوادعة أو للاستخارة (ويستخير
في غير الواجب) من السفر وغيره ، والتحقيق ان يستخير في الواجب أيضا الا انه لاني
فعله وتر كبل يستشير ويستخير في متعلقاته من خروجه في هذا الوقت أو غيره أو في
شراء الدابة وكرائها ونحوه (ويودع الاخوان) ويقول لهم: استودع الله دينكم
واما تشكم وخوانيم عملكم كما رواه أبو داود والترمذي وصححه والنسائي من حديث ابن عمر
(ويرغب في دعائهم) ويستحب لهم ان يقولوا له في حضرته: زدك الله التقوى وغفر ذنبك
ووجهك للخير أينما توجهت كما رواه أبو داود والترمذي والطبراني في الدعاء من حديث أنس
وهو عند الترمذي وحسنه وفي غيبته ، اللهم اطو له البعد وهون عليه السفر ، وفي الخبر
« اذا أراد أحدكم سفرا فليسلم على اخوانه فانهم يزيدونه بدعائهم الى دعائه خيرا »
الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة (ويعرض الاشياء) أي جميعها (على المسكرى)
بضم الميم أي المسكرى ولو كان قد ركب مكتوب ونحوه فقد قال رجل لابن المبارك: احمل لي
هذا الكتاب معك لتوصله فقال: حتى استأمر الجبال فاني قد اكرت منه قال الخجة:
فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه
اذا اقتتح باب سير انجر الى الكثير، أقول ولا يبعد ان يراد بالكتاب ماله وزن فيستند
يجب التوقف على الاذن (ويرضيه) بحمله ان كان زيادة على معتاده (ويخرج في
بكور الخميس) فوردانه عليه السلام « كان يستحب ان يسافر يوم الخميس ، الطبراني
عن أم سلمة » والسبت فورد دعاءه عليه السلام فيهما (أي في الخميس والسبت) اما في
مطلق البكور بقوله عليه السلام: « اللهم بارك لامتى في بكورها » اخرجه الاربعة
وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان من حديث صخر بن وداعة الغامدي مرفوعا به واما
في خصوص الخميس فلا بن ما جاء عن أبي هريرة والطبراني في الأوسط عن عائشة مرفوعا
« اللهم بارك لامتى في بكورها يوم الخميس » وفي رواية « قال: اغدوا في طلب العلم فاني

وَالْاِثْنَيْنِ، فَهُوَ اَيْضًا مَأْثُورٌ، وَيَكْثُرُ السَّيْرُ فِي اللَّيْلِ، فَوَرَدَ «عَلَيْكُمْ بِالْجَلَّةِ»
فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطَوَّى بِاللَّيْلِ أَمَّا لَا تُطَوَّى بِالنَّهَارِ» وَلَا يَنْزُلُ مَا لَمْ يَصِرَ الْيَوْمُ
حَارًّا وَيُصَلِّي عِنْدَ الرُّكُوبِ وَالنَّزُولِ فِيهِ، وَيَكْبَرُ فِي كُلِّ صُعُودٍ وَيُسَبِّحُ
فِي كُلِّ هُبُوطٍ.

سألت ربي أن يبارك لامتى في بكورها يوم الخميس، وعن أم سلمة، كان يجب أن يسافر يوم
الخميس، الطبراني، وأما ما اشتهر في هذا «اللهم بارك لامتى في سبتها وخميسها واللهم
بارك لامتى في بكورها واجعل ذلك في سبتها وخميسها باطل لا أصل له كما أفاده الحافظ
ابن الملقن في أدلة التنبيه ((والاثنين)) أى ويخرج في الاثنين ((وهو أيضا مأثور))
فقد ثبت أنه عليه السلام هاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وولده
يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين ومات يوم الاثنين ((ويكثر السير في الليل)) أى ينبغي
أن يكون أكثر سيره بالليل ((فورد عليكم بالجلّة)) بضم فسكون وهى السير فى أول الليل
وقيل فى آخره وهو الاظهر لما فى جميع المناسك ويستحب السير فى آخر الليل وذكر
بعضهم سيره أول الليل انتهى، ولا يخفى أن ذلك مختلف باختلاف البلاد والعباد ((فإن
الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار)) أبو داود والحاكم والبيهقى عن أنس وبدون
ما لا تطوى بالنهار، وهذه الزيادة فى الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسل ((ولا
ينزل)) أى فى المنزل ((مالم يصير اليوم حاراً)) فأن السير فى البرد أيسر
((ويصلى)) استحباباً ((عند الر كوب)) من المنزل ((والنزول فيه)) قياساً على
الركعتين عند دخوله بيته وخروجه منه؛ فقد اخرج الطبراني عن فضالة بن
عييد وأنه عليه السلام كان إذا نزل منزلاً فى سفر أو دخل بيته لم يجلس حتى يركع
ركعتين، وللبیهقى عن أنس «كان عليه السلام إذا نزل منزلاً لم يرتحل حتى يصلى فيه
ركعتين ويقول عند نزوله (رب أنزلنى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) وعند سيره
وبسم الله التكلان على الله لا حول ولا قوة الا بالله، كما رواه ابن ماجه، والحاكم، وابن السنى
عن أنى هريرة، وفى رواية للطبراني عن أنى سعيد «بسم الله توكلت على الله، الحديث
((ويكبر فى كل صعود)) يصعد عليه من شرف اظهاراً لكبريائه ولو مكائته وارتفاع
شأنه ((ويسبح فى كل هبوط)) أى حذر يهبط اليه بأن نزل من علوالى سفلى تنزيهاً له
سبحانه عن الزوال والنزول، فقد ورد «إذا علانية كبر وإذا هبط سبح» البخاري

وَحَدُوثٌ وَحِشَّةٌ، وَيُؤْمَرُ أَحَدًا لَاتَنْظَامَ الرَّأْيَ، وَلَيْكِنَ الْأَمِيرَ أَحْسَنَهُمْ خَلْقًا
وَمُؤَاَسَاةً، وَوَرَدَ « إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فِي السَّفَرِ فَأَمْرُوا أَحَدَكُمْ » وَيَعِينُ الرِّفْقَةَ
وَيُؤَاَسِي عَلَيْهِمْ، وَيَرْفُقُ بِالرَّاحِلَةِ *

والنسائي عن جابر . وأبو داود عن ابن عمر ، وفي رواية لأصحاب الكتب الستة عن أبي
موسى إذا أشرف على واد هال وكبر أى قال لا إله إلا الله والله أكبر ، وفي رواية لأحمد
وأبي يعلى . وابن السني عن أنس « إذا أشرف على مكان مرتفع قال اللهم لك الشرف على
كل شرف ولك الحمد على كل حال ، أى لك العلو على كل عال كما قال تعالى : (وهو القاهر
فوق عباده) » (وله الكبرياء في السموات والأرض) » (وحديث وحشة) أى ويسبح
عند ظهور وحشة من خوف ومحنة ولم أره مأثورا وإنما ورد « إذا خاف قوما قال :
اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » أبو داود . والنسائي . وابن حبان
والحاكم عن أبي موسى الأشعري ، وفي الفردوس للدبلي عن شداد بن أوس مرفوعا
« حسبي الله ونعم الوكيل أمان لكل خائف » (ويؤمر أحدا) أى يجعل أميرا إذا كان
المسافر متعددا « لا تنظام الرأي » وعدم التنازع في الأمر « وليكن الأمير أحسنهم
خلقا » بضمين أى أكثرهم علما وأظهرهم حلما « ومواساة » أى أوسعهم موافقة
ومداراة وهو بأن يكون أزهدهم في الدنيا وأشهرهم في التقوى وأصبرهم على البلوى
وأشكرهم في النعمى وأتمهم مروءة وأعمهم شفقة وأقوامهم خدمة ، فقد نقل عبد الله
المروزي أن أبا علي الرباطي صحبه فقال عبد الله لابي علي : على أن تكون أنت الأمير أو أنا
فقال أبو علي بل أنت فيحمل الزاد لنفسه ولابي علي على ظهره وأمطرت السماء ذات
ليلة فبات عبد الله طول الليل على رأس رفيقه يغطيه بكسائه عن المطر وكذا قال : لا تفعل
يقول : ألسنت الأمير عليك الاتقياد والطاعة « وورد إذا كنتم ثلاثة في السفر
فامروا أحداكم » عن أبي سعيد إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم واحقهم بالامامة
أقرؤهم ، أحمد . ومسلم . والنسائي ، ولعل قيد الثلاثة للأشعار بأنه أقل الكمال في الجماعة
والرفقة « ويعين » أى الأمير « الرفقة » بضم فسكون أى رفقاه بما يقدر عليه من
اللطف والرفق « ويؤاسى عليهم » بزيادة الاحسان وسعة الرزق « ويرفق بالراحلة »
أى الدابة بأن لا يحملها مالا طاقة لها ولا يرضى بأن صاحبها أيضا يحملها فوق طاقتها
في عرفها أو عاداتها قال أبو الدرداء : يبر له عند الموت : يا أيها الأمير لا تخاصمني في ركبك

وَيَنْزِلُ أَحْيَانًا فِيهِهِ أَقَامَةٌ لِلْسَّنَةِ وَتَرَفٌ فِيهِ لِلدَّابَّةِ وَإِسْرَارٌ لِلْمَكَارِي وَرِيَاضَةٌ
لِلنَّفْسِ وَتَحَرُّزٌ عَنْ ضَعْفِ الْأَعْصَابِ وَلَا يَنَامُ عَلَيْهَا إِلَّا نَوْمَةٌ خَفِيفَةٌ وَلَا يَتَوَقَّفُ
فَورَدَ « لَا تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ كِرَاسِيَّ » وَلَا يَنْفَرِدُ عَنِ الرَّقَّةِ وَيَحْرُسُ بِالنُّوبَةِ

فاني لم أكن أحملك، وعلى الجملة في كل كبد حر أجري أعني حق الدابة وحق المكارى
جميعاً (وينزل أحياناً ففيه إقامة للسنة) إذ كان عليه السلام « ينزل أحياناً عن
الدابة » في الأوساط للطبراني من حديث أنس باسناد جيد أنه عليه السلام « كان
إذا صلى الفجر في السفر مشى ، ورواه البيهقي في الأدب وقال: مشى قليلاً وناقته تقاد
وقال علماؤنا: ويستحب أن يريح الدابة بالنزول عنها غدوة وعشية وعند عتبة إذا أطاق
وقال الطرابلسي يجب إذا كانت الدابة مستأجرة في المواضع التي جرت عادة مثله بالنزول
فيها الآن يرضى صاحبها وكانت الدابة مطيقة ، ولا يحل له أن يستلقي على ظهر الدابة
ولا يتكىء عليها بل يكون راكباً على العرف والعادة في مثلها ذكره صاحب السراج
الوهاب (وترفيه للدابة) أي تهوين لها عن دوام المشقة (واسرار للمكارى)
حيث يفرح بالخفة (ورياضة للنفس) أي تهذيب لها ليعرف قدر النعمة (وتحرز
عن ضعف الأعصاب) وما يترتب على دوام الركوب من اليوسة (ولا ينام عليها
إلا نومة خفيفة) إذا حصلت ضرورة إذ النوم عليها يؤذيها ويثقل عليها لو كان
أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود (ولا يتوقف) راكباً عليها
زماناً طويلاً (فورداً لاتخذوا ظهور دوابكم كراسي) والحديث رواه أحمد من حديث
سهل بن معاذ ورواه ابن حبان والحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه مثل
كراسي في دوام القعود عليها ولعله محمول على محمولة مثقلة بخلاف الخيل والناقة التي
هي غير مزملة ، وعلى كل تقدير فيستثنى عشية عرفة في الوقفة فإنه يستحب الوقوف على
الدابة (ولا ينفرد عن الرقة) أي لا يمشى منفرداً خارج القافلة لأنه ربما يفتال
أو ينقطع كذا لا ينفرد عنهم في المنزل (ويحرس) أي متاعه وامتنعه أصحابه (بالنوبة)
فاذا نام أحدهم حرس الآخرة و السنة أخرجه البيهقي من طريق ابن اسحق من حديث
جابر في حديث فيه « فقال الأنصاري للهاجرين أي الليل احب إليك ان اكفيك أوله
أو آخره » قتال: لا بل اكفي أوله فاضطجع المهاجري ، والحديث عند أبي داود أيضا

وَيَنَامُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ جَاعِلًا رَأْسَهُ عَلَى الْعَضُدِ وَفِي آخِرِهِ عَلَى الْكُفِّ
وَيَقِيمُ الْعَضُدَ لثَلَاثَةَ نَوَاحٍ فَهُوَ مَأْثُورٌ وَلَا يَصْحَبُ جَرَسًا وَلَا شَاعِرًا وَلَا سَاحِرًا
وَلَا كَاهِنًا وَلَا جَلَالََةً

لكن ليس فيه قول الأنصارى للمهاجرى بل فيه تناوب الرفيقين فى الحراسة فإذا نام
أحدهما حرس الآخر ﴿ وينام فى أول الليل جاعلا رأسه على العضد ﴾ بان يفتش
ذراعه ﴿ وفى آخره ﴾ أى الليل ﴿ على الكف وقيم العضد ﴾ بان ينصب ذراعه
نصبا ويجعل رأسه فى كفه ﴿ لثلا يشد النوم ﴾ فتفوت صلاة الصبح ﴿ فهو مأثور ﴾
رواه أحمد. والترمذى فى الشئبان من حديث أبى قتادة باسناد صحيح، وكذا ابن حبان.
والحاكم عنه بلفظه كان اذا عرس وغلبه ليل توسد يمينه واذا عرس قبيل الصبح وضع
رأسه على كفه اليمنى واقام ساعده، والتعريس النزول فى الليل، قال العراقى وعزاه أبو مسعود
الدمشقى والحيدى الى مسلم ولم اراه فيه ﴿ ولا يصحب جرسا ﴾ لقوله عليه السلام:
« لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس، أحمد. ومسلم. وأبو داود. والترمذى
عن أبى هريرة لقوله عليه السلام: « الجرس مزامير الشيطان، أحمد. ومسلم.
وأبو داود عن أبى هريرة، وفى رواية لابی داود عنه « لا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس »
﴿ ولا شاعرا ﴾ أى من شعراء الجاهلية الذين قال تعالى فى حقهم: (والشعراء يفتنونهم الغاؤون
ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وذكروا الله كثيرا واتصروا من بعد ما ظنوا) والحاصل ان الشعر كلام
لحسنه حسن وقبيحه قبيح يستوى فيه السفر والحضر ﴿ ولا ساحرا ﴾ فانه اما ان يكون
فاجرا أو كافرا ﴿ ولا كاهنا ﴾ وهو من يدعى علم الغيب بواسطة الجن أو غيره فقد ورد
« من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فيه برى، بما أنزل على محمد، أحمد. والأربعة عن أبى هريرة،
وفى رواية الطبرانى عن واثلة من أتى كاهنا فسأله عن شئ، حجبته عنه التوبة أربعين
ليلة فان صدقه بما قال كفر ومن أتى عرافا فسأله عن شئ، فصدقه لم تقبل له صلاة
أربعين يوما، رواه مسلم عن بعض أمهات المؤمنين، وللحاكم. وأحمد عن أبى هريرة
« من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد ﷺ »
وفسر العراف بمن يدعى معرفة السارق ومكان الضالة فهو اخص من الكاهن، وفى
معناه المنجم والرمال وسائر أصحاب القال ﴿ ولا جلاله ﴾ وهى دابة تأكل النجاسة

وَلَا كَلْبًا وَيُؤْذَنُ أَنْ ضَلَّ الطَّرِيقَ ، وَوَرَدَ « إِذَا اخْتَلَفَ عَلَيْكُمُ الطَّرِيقُ
فَعَلَيْكُمْ بِذَاتِ الْإِيمَانِ فَإِنَّ عَلَيْهَا مَلَكًا يُسَمَّى هَادِيًّا » وَلَا يَدْخُلُ بِلَدَةٍ لَيْسَ فِيهَا
سُلْطَانٌ . وَلَا سَائِسٌ وَمَا فِيهَا طَاعُونَ ، وَيُصَاحِبُ الْمَرْأَةَ

فإن الملائكة ينفرون من رائحتها، وأخرج الدولابي في الكنى وابن منده والطبراني
وابن عساكر عن أبي رابطة بن كرامة المذحجي « قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لقوم سفر لا يصحبكم جلالة من هذه النعم ولا يضمن أحدكم ضالة ولا
يردن سائلا إن كنتم تريدون الربيع والسلامة ولا يصحبكم من الناس إن كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر ساحر ولا ساحرة ولا كاهن ولا كاهنة ولا منجم ولا منجمة ولا
شاعر ولا شاعرة » الحديث « (ولا كلبا) لما تقدم « (ويؤذن أن ضل الطريق) أو غاب عن
الرفيق ورأى أشياء منكرة. أو تخيلت له خيالات مستنكرة. أو تلونت له أجسام مكروهة
مزورة، فقد ورد « إذا نقول الغيلان نادى بالآذان » رواه مسلم عن أبي هريرة « فإن
الجن والشياطين يفرون من الآذان وتحضره الملائكة والابdal من الأعيان وإذا انقلبت
دابته فليناد أعينوا يا عباد الله » رواه ابن أبي شيبة من قول ابن عباس موقوفا « وإن أراد
عونا فليقل: يا عباد الله أعينوني يا عباد الله أعينوني يا عباد الله أعينوني » رواه الطبراني
عن زيد بن علي عن عتبة بن غزوان عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا ضل أحدكم
شيئا أو أراد عونا وهو بارض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني يا عباد الله أعينوني
يا عباد الله أعينوني فإن الله عابدا لا نراهم « (وإذا اختلف عليكم الطريق فعليكم بذات
الإيمان) أي تيمنا وتحاميا « (فإن عليها ملكا يسمى هاديا) لم أعرف له راويا « (ولا
يدخل بلدة ليس فيها سلطان) أي خليفة أو نائبه من أمير أو قاض « (ولا سائس)
أي شحنة وحاكم سياسة لأنه عند عدمهما تكثر الفتنة وتعدى الظلمة « (وفي الخبر إذا
مررتم ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلوها إنما السلطان ظل الله ورمحه في الأرض،
اليهقي عن أنس « (وما فيها) أي ولا يدخل بلدة فيها « (طاعون) لما تقدم وروى
بعض الصحابة « أن رسول الله ﷺ نزل منزلا في بعض أسفاره فقام على بطنه وعبد
أسود يغمز ظهره فقلت: ما هذا يا رسول الله؟ فقال: إن الناقة تقحمت بي أي رمت بي
أو هزت بي، والحديث رواه الطبراني في الأوسط من حديث عمر بسند ضعيف،
(ويصاحب المرأة) بكسر الميم ومد الهمة آلة الرؤية، وكان عليه السلام إذا نظر

وَالْمُكْحَلَةَ . وَالسَّوَاكَ . وَالْمَشْطَ . وَالْمَقْلَمَ . وَالْمُوسَى . وَالرَّكُوعَ . وَالْحَبْلَ .
وَالْأَبْرَةَ . وَخِطْطَهَا . وَيَحْتَبُ الْغَرَةَ فَهُوَ يَذْهَبُ الْبَرَكَةَ وَيَتَبَرَّكُ بِزِيَارَةِ الْأَحْيَاءِ
وَالْأَمْوَاتِ ، وَيَعْجَلُ الْأَوْبَةَ بَعْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ ، وَوَرَدَ « مَنْ كَانَ مُسَافِرًا إِذَا
قَضَى نَحْبَهُ فَلْيَرْجِعْ إِلَى أَهْلِهِ ، وَيَأْتِ بِالتَّحْفَةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَالْأَقَارِبِ وَلَا يَقْدُمُ بَعْتَهُ

إلى وجهه في المرأة قال : اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وحرم وجهى على النار
البارع عن عائشة (والمكحلة) محل الكحل ومروده فانه عليه السلام كان يكتحل
كل ليلة ثلاثا في كل عين ، كما في شمائل الترمذى وغيره (والسواك) للوضوء
والصلاة وقد تقدم (والمشط) أى لتسريح شعر اللحية والرأس (والمقلم)
وهو المقص أو السكين فانه بهما يقلم الظفر ويقص الشارب (والموسى) لخلق العانة
(والركوة) أى الدلو ونحوها من المطهرة (والحبل) فانهما من ضرورة الشرب
والطهارة (والأبرة وخيطها) لترقيع ثوب يستتر العورة (ويحتنب الغرة)
بكسر الغين المهجمة وتشديد الراء أى يحترس من أن يغرق أحد أو يغرق أحد بالمسكرو الحيلة
(فهو يذهب البركة) أو المعنى لا يصاحب شخصا لا يعرفه ولا يسلك طريقا
لا يعرفه ولا يترك السلاح مواضع الخفاة اغترارا بشجاعته ولا يأكل من ثمار
البرارى التى ما عهدا كله في عاداته (ويتبرك بزيارة الاحياء) من العلماء والاولياء
(والأموات) من الأنبياء والأصفياء (ويعجل الأوبة) أى الرجعة (بعد قضاء
الحاجة) اسراراً لقلب أهله واظهاراً لطيب محله ، وفى نسخة زيادة (وورد من
كان مسافرا اذا قضى نَحْبَهُ فَلْيَرْجِعْ إِلَى أَهْلِهِ) لم أجده لكن تقدم ما يدل على أصله
وورد « اذا قضى أحدكم حجه فليجعل الرجوع الى أهله فانه أعظم لاجره ، الحاكم
واليهقى عن عائشة (ويأتى بالتحفة) أى بالهدية (لأهل البيت والأقارب)
حقيقة وحكما فقد ورد « اذا قدم أحدكم من سفر فليقدم معه أى بهدية ولو يلقي
في مخلاته حجرا » ابن عساکر عن أبى الدرداء ، قيل أراد حجرا الزناد ، وفى رواية اليهقى
عن عائشة « اذا قدم أحدكم على أهله من سفر فليهد لأهله فليطرقهم ولو كان حجرا ،
(ولا يقدم) من سفره على أهله (بعتة) أى فجأة فى الصحيحين من حديث
جابر « كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال :

وَلَا لَيْلًا وَالْأَحَبُّ وَقْتُ الضَّحَى، وَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ وَلَا يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ فَالْكَلِّ
مَأْثُورٌ وَيُقَدِّمُ لَهُ الضَّحَى فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَدِمَ نَحَرَ جُزُورًا أَوْ بَقْرَةَ وَحَقَّ
الْحَجُّ أَنْ يُخْلِصَ فِي النِّيَّةِ

أهلوا حتى تدخلوا ليلا- أى عشاء- كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة ، ولا أحد من
حديث ابن عمر بسند جيد أنه عليه السلام قال قبل دخول المدينة : لا تطرقوا أهلكم
ليلا تخالفه رجلان فسعىا الى منازلهما فرأى كل واحد في بيته ما يكره ، (ولا ليلا)
لأنه وقت الوحشة فقد ورد « اذا طال أحدكم النية فلا يطرق أهله ليلا ، أحمد . والشيخان
» (والاحب وقت الضحى) « لكمال الظهور وجمال النور وجمال السرور » (ويدخل
المسجد) « أى مسجد بلده » (أولا ويصلي ركعتين) « تحية المسجد شكر الله سبحانه
فمن أتى ثعلبة كان عليه السلام اذا قدم من سفره بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم
يشئ بغاطمة ثم يأتي أزواجه ، » (فالكل مأثور) « وفي كتب الحديث مسطور
» (ويقدم) « أى من سائر الافعال » (له) « أى لقدومه » (الضحى) « بفتح فكسر
فتشديد أى طعام الضحى ولو شاة أو طبخ لحم ومرقة » (فكان عليه السلام اذا قدم نحر
جزورا) « أى بعيرا » (أو بقرة) « لم يحضر في الآن مخرجه » (وحق الحج) « أى
أداء كاله » (أن يخلص في النية) « ويحسن الطوية بأن يتبرأ من الرياء والسمعة ولا
يقصد التجارة والنزعة فقد روى في خبر من أهل البيت « اذا كان آخر الزمان خرج
للحج اصناف أربعة سلاطينهم للنزعة واغنياؤهم للتجارة وقراؤهم للمسألة وقراؤهم
للسمعة » الخطيب من حديث أنس قال علمناونا : من أتى بعبادة لغرض دنيوى بحيث
لو فقد تركها فليست بعبادة بل معصية وان وجد عليها باعث الدين والدنيا فان كان
باعث الدنيا أقوى أوهما متساويان فهي باطلة وان كان باعث الدين أقوى فذهب
بعضهم الى أنها باطلة وجماعة الى أنها صحيحة وهو الاظهر بقوله تعالى : (ليس عليكم
جناح أن تبغوا فضلا من ربكم) أى تبغوا عطاء و رزقا منه يريد الربح بالتجارة
على ما ذكره البيضاوى وغيره ، ثم من حقه أن يعجله بعد الاستطاعة في التأخير آفات
مانعة عن الطاعة على أن المسألة خلافية في أن الفرضية على التراخي أو فورية ففي
الفورية اذا أخره عن أول سنى الامكان سقطت عدالته وعد من الفساد الى أن يحج
ثم لو حج في آخر عمره سقط عنه اجماعا وارتفع اثمه اتفاقا وان مات قبل الحج لقي

وَيَحْتَالَ فِي دَفْعِ تَسْلِيمِ الضَّرِيَّةِ لِقَطَاعِ الطَّرِيقِ وَيَرْجِعُ إِنْ لَمْ يَقْدِرْ فِي النَّفْلِ
فَالْإِعَانَةُ عَلَى الْعُدْوَانِ أَفْحَشُ

الله عاصيا بترك حجه و كان الحج في ذمته عندنا فيجب عليه وصيته، وعند الشافعي في تركه فيحج عنه وان لم يوص به كسائر ديونه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامر به شديد وفي حقه ورد وعيدا اكيد منه قوله تعالى : (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) حيث وضع من كفر موضع من لم يحج ووضع العالمين موضع عنه للبالغة عن غناه سبحانه واستغنائه عن ترك الحج وأدائه لأن منفعة راجعة الى عباده وامائه ، وقد ورد : من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرا نياهم رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة مرفوعا ، وقيل في تفسير قوله تعالى : (لا تعبدن لهم صراطك المستقيم) انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها لينمئ الناس من الوصول اليها ، وقال عمر رضي الله عنه - وهو يومئذ أمير المؤمنين - : لقد هممت ان اكتب الى الولاة في الامصار ان تضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سيلا ، وعن سعيد بن جبيرة . و ابراهيم النخعي . وطاوس . ونجاشد لو علت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصليت عليه ، وبعضهم كان له جار موثر فمات ولم يحج فلم يصل عليه ، وكان ابن عباس يقول : من مات ولم يترك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله تعالى : (رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فاما تترك) وكذا ورد عنه أيضا في قوله تعالى : (وأنفقوا بما زرقناكم من قبل ان يأتي أحدكم الموت) الآية (ويحتال في دفع تسليم الضريبة) أي الاموال المعينة (لقطاع الطريق) أي من الاعراب وغيرهم (ويرجع) عن طريق الحج (ان لم يقدر) على الاحتيال (في النفل) أي لافي الفرض (فالإعانة على العدوان) أي الظلم والعصيان (الخش) من الرجوع عن طريق الحج اذالم يكن من فروض الاعيان واما في الفرض فلا يرجع اذالاتم في مثله على الآخذ لا المعطى على ما عرف من تقسيم الرشوة في كتاب القضاء ولكون المعصية منهم ولا يترك الفرض لمعصية عاص ، وهذا التفصيل حسن خلافا لمن أطلق جواز اعطائه للضرورة ولمن أسقط الحج وجوبه اذا كان في الطريق يؤخذ من ماله ظلما ، وفي الاحياء ولا تعاونوا أعداء الله بتسليم المكس وهم الصادقون عن المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين في الطرق والابواب فان في تسليم المال اليهم تيسيرا لاسباب

وَيَمْشِي رَاجِلًا إِنْ قَدَرَ وَالْأَفْضَلُ كُوبُ أَفْضَلُ، وَقِيلَ هُوَ الْأَفْضَلُ فَفِيهِ مَوْئِدٌ
الْإِنْفَاقِ وَالْبُعْدُ عَنْ تَشْوِيشِ الْهَمُومِ وَالْقُرْبُ مِنَ السَّلَامَةِ وَالْإِتِمَامِ، وَيَمْشِي
أَشْعَثَ أَغْبَرُ غَيْرَ مُتَزِينٍ وَلَا مَائِلٍ لِلتَّكَاثُرِ،

الظلم عليهم ﴿ ويمشي راجلا ﴾ أى ويذهب في طريق الحج ماشيا ﴿ ان قدر ﴾ على
المشي فانه أفضل قال تعالى : ﴿ واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا ﴾ أى مشاة تقدمهم
سبحانه على قوله ﴿ وعلى كل ضامر ﴾ أى وركبانا على بعير مهزول ، وقال مجاهد وغيره
من العلماء : ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقنهم الملائكة فسلوا على ركبائب الابل
وصالحوا على ركبائب الخمر واعتقوا المشاة اعتقا ، وأوصى عبد الله عباس بنه عند موته
فقال : يا بني حجوا مشاة فإن للحجاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من
حسنات الحرم قيل : وما حسنة الحرم ؟ قال الحسنة بمائة ألف ﴿ والا ﴾ أى وان
لم يقدر على المشي أو يسىء خلقه به أو لم يبق له حضور الذكر بسببه ﴿ فالركوب ﴾
في حقه ﴿ أفضل ﴾ بل هو متعين فتأمل ﴿ وقيل : هو الأفضل ﴾ أى مطلقا لفعله
عليه السلام وأصحابه الكرام ، ويحجب عن اختيارهم الركوب الشفقة على ضعفاء الأمة
فذهبوا مذهب أضعف القوم في الهمة كما هو شأن الأئمة ﴿ ففيه مَوْئِدٌ الْإِنْفَاقِ ﴾
أى زيادته وفيه انه يمكن للماشي أن يتفقه في سبيل الله ومرضاته فقد سئل بعض العلماء
عن العمرة المشي فيها أفضل أو يكثر على حمار ؟ فقال ان كان وزن الدرهم أشد عليه فالكرام
أفضل من المشي وان كان المشي أشد عليه كالأغنياء فالمشي أفضل ، وكأنه ذهب فيه
الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن ما قدمناه أولى في مقام الجمع كما لا يخفى ﴿ والبعد
عن تشويش الهوم ﴾ أى غموم الخواطر الرديئة الناشئة من آتاعب الأعضاء البدنية
﴿ والقرب من السلامة ﴾ من غير الملامة ﴿ والاتمام ﴾ لخطر الماشي أى يمنه مانع
عن تحصيل المرام الحرام ولهذا كان بعض الكرام يمشون وتقاد دوابهم مع الخدم
﴿ ويمشي أشعث أغبر ﴾ أى ويذهب حال كونه أشعث الشعر أغبر البدن لكنهما
مختصان بحال الاحرام لما ورد أنه عليه السلام « سئل أى الحج أفضل ؟ فقال : الشعث
التفل » مع ان المسافر لا يخلع عن نوع شعث شعر وغبار بدن خصوصا اذا كان من الفقراء
فورد « رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره » ﴿ غير متزين ﴾
في نفسه ولا في دابته ﴿ ولا مائل للتكاثر ﴾ أى في نعمته والتفاخر في حشمته لخدمته

فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعَلَ كَذَلِكَ، وَأَخْبَرَ عَنْ مُبَاهَاتِهِ تَعَالَى بِهِ، وَيَتَقَرَّبُ رَاقَةً
 دَمَ وَإِنْ لَمْ يَجِبْ فُورِدَ (وَمَنْ يَعْظُمُ شَعَائِرَ اللَّهِ) . الْآيَةُ وَلَا يُمَا كَسُ فِي شِرَاءِ الْهَدْيِ
 وَالْأَضْحِيَّةِ ۝

(فهو عليه السلام فعل كذلك) أي ترك الزينة وقانه عليه السلام حج على راحلته
 وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم، وكان عليه السلام في سفر فنزل
 أصحابه منزلاً فسرحت الابل فنظر إلى أكسية حمر على الاقتاب فقال: أرى هذه الحمر
 قد غلبت عليكم قالوا: قمنا إليها فنزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل، أبو داود
 من حديث رافع بن خديج «وفي رجل لم يسم» (وأخبر) أي النبي عليه السلام (عن
 مباهاته تعالى به) أي بالحاج الشعث الاغبر ففي الحديث «انما الحاج الشعث النفل
 يقول الله تعالى: انظروا إلى زوار بيتي قد جاؤني شعثاً غبراً من كل فج عبق» الترمذي.
 وابن ماجه من حديث ابن عمر (ويتقرب براقه دم وإن لم يجب) أي وإن لم يكن
 واجبا عليه (فورد ومن يعظم شعائر الله) أي الهدايا التي تذبح في الحرم وهي جمع
 شعيرة وهي ما يشعر به تعظيم بيت الله ويعلم به تكريم حرم الله (الآية) أي (فإنها من
 تقوى القلوب) وفسر تعظيمها بتحسين البدنة وتسمينها، وسئل عليه السلام ما بال الحج؟
 فقال: العج والتج، والعج هو رفع الصوت بالتلبية والتج هو نحر البدن. الترمذي واستغربه
 وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي في الباز واللفظ له من حديث أبي بكر، وقال الباقر
 الحج أفضل، وعن عائشة أنه عليه السلام قال: «ما عمل ابن آدم يوم النحر أحب إلى الله
 سبحانه من إهراقه دماً وإنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها فإن الدم يقع من الله
 عز وجل بمكان قبل أن يقع في الأرض فطيبوا بها نفساً» الترمذي وحسنه. وابن ماجه
 وابن حبان. وابن خزيمة، وفي الخبر ولكم بكل صوفة من جلد حنة وكل قطرة من
 دمها حسنة وإنها لتوضع في الميزان فأبشروا، ابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقي من
 حديث زيد بن أرقم، وروى أبو الشيخ في كتاب الضحايا عن علي «أما أنها يجاء
 بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع في ميزانك يقول عليه السلام: «لفاطمة، وفي
 رواية له من حديث أبي سعيد قال: «لك باول قطرة تقطر من دمه أن يغفر لك ما سلف من
 ذنوبك» يقول لفاطمة (ولا يما كس) أي لا يضايق بل يسامح (في شراء الهدى
 والأضحية) ونحوهما عما يكون في التقرب إليه صحة النية فقد كان السلف لا يقولون في

فَالْمَقْصُودُ هُوَ تَزَكِيَةُ النَّفْسِ وَتَحْلِيَّتُهَا وَتَحْلِيَّتُهَا بَعْظِيمَةٌ تَعَالَى، فَوَرَدَ (لَنْ يَنَالَ
اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا) . الْآيَةُ، وَيَتَوَى فِي الذَّبْحِ قَدَاءَ نَفْسِهِ اقْتِدَاءً بِالذَّبْحِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ. وَيُنْفَقُ فِي الطَّرِيقِ وَمَكَّةَ مَا اسْتَطَاعَ فَمِنْ عِلَامَاتِ الْقَبُولِ طَيْبُ الْكَلَامِ
وَعَدَمُ الْاِغْتِمَامِ بِهِ وَبِمَا أَصِيبَ فِي الْمَالِ، فَدَرَاهِمُ مِنْهُ يَعْدِلُ سَبْعِمِائَةَ تَنَفَّقَ فِي سَبِيلِهِ
وَتَرَكَ مَعَاصٍ كَانَ يَرْتَكِبُهَا وَتَبْدِيلُ إِخَاءِ الْفُسَّاقِ بِالصَّالِحَاءِ.

ثلاث و يكرهون المكاس فيهن الهدى والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاها ثماناوانفسه
عند الله يمتا و روى ابن عمر ان عمر اهدى نجيحة فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل
رسول الله ﷺ ان يبيعها و يشتري بثمانها بدنا ؟ فنهاه عن ذلك وقال: بل اهدها ۞
اخرجه أبو داود وأقال: انحرها، وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون، وفي
ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيه تكثير اللحم وليس هو المراد (فالمقصود) الاصل
من الذبيح (هو تزكية النفس) أى تطهيرها (وتحليتها) عن رذيلة البخل (وتحليتها)
بالحلم المهمة ويحتمل الجيم أى تصفيتا وتزيينا (بتعظيمه تعالى) فانه الفضل في
مقام الفصل (فوردلن ينال الله لحومها ولادماؤها الآية) أى (ولكن بالله التقوى
منكم) وذلك يحصل بمراعاة التفاسى في القيمة كثر العدد أم قل فتأمل (وينوى في الذبيح)
اى اذا كان تطوعا (قداء نفسه اقتداء بالذبيح عليه السلام) وهو اسماعيل أو اسحق
على خلاف طويل بين الاعلام قال تعالى: (وقديناه بذبيح عظيم) (وينفق في الطريق)
أى طريق الحج (ومكة) أى وفي مكة مدة الإقامة (ما استطاع) ويكون طيب
النفس بما تنفقه من نفقة وبما أصابه من خسارة ومصيبة ان أصابه ذلك فانه من باب
الضيافة من الله لعبده حال الزيارة وان ذلك من دلائل قبول حجه هنالك (فن
علامات القبول) أى قبول الحج وبره (طيب الكلام) أى وإطعام الطعام وكنان
طاعته عن الانام (وعدم الاغتمام به) أى بالاتفاق في ذلك المرام (وبما أصيب) من
ضياع وسرقة (والمال) وكذا المصيبة في البدن وباقي الحلال (فدرهم منه) أى
من مال المصاب أو من الاتفاق في الحج للاحتساب (يعدل سبعمائة تنفق في سبيله)
أى غير الحج والله سبحانه يضاعف لمن يشاء من فضله (وترك معاص كان يرتكبها) قبل
حجه (وتبدل إخوانه الفساق) أى مؤاخاة السفهاء والجهلاء (بالصلحاء) من العلماء

وَجَالَسَ اللَّهَ بِالذِّكْرِ وَيَلْزَمُ الْخُشُوعَ فِي آدَاءِ الْمَنَاسِكِ فَهُوَ الْأَصْلُ لِأَسِيْمَا
فِي الطَّوَافِ وَالْوُقُوفِ فَهَذَا رُكْنَاهُ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ مُسْتَشْفِيًا بِهِ، وَيَصْبُهُ
عَلَى رَأْسِهِ وَجَسَدِهِ مُتَبَرِّكًا بِهِ وَمُسْتَجِجًا أَوَّطَارَهُ، وَيَغْتَمُّ الْمَوْتَ فِي طَرِيقِهِ
فَيُكْتَبُ لَهُ أَجْرُهُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، وَيَتَلَقَّى الْحَاجُّ بِالترَّحُّيبِ *

والأولياء (وَجَالَسَ اللَّهَ) أي وتبدلها (بِالذِّكْرِ) أي بمجالس الذكر ومحافل
أهل اليقظة والفكر (وَيَلْزَمُ الْخُشُوعَ) وهو غاية الخضوع (فِي آدَاءِ الْمَنَاسِكِ)
فانه من أدب السالك (فَهُوَ الْأَصْلُ) أي المدار عليه في جميع المسالك (لِأَسِيْمَا فِي
الطَّوَافِ) فانه بمنزلة الصلاة هناك (وَالْوُقُوفِ) بعرفات فانه بمنزلة الوقوف
بين يدي رب العالمين يوم اجتماع خلق الأولين والآخرين (فَهَذَا رُكْنَاهُ) أي الحج
باتفاق المجتهدين (وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ) فقد ورد «ماء زمزم لما شرب له» ابن
ماجه باسناد جيد من حديث جابر مرفوعا والحاكم وصححه وقد بسطنا الكلام عليه
في فضائل المشاعر الحرام وكذا في الحرز الثمين شرح حصن الحصين (مُسْتَشْفِيًا بِهِ)
أي طالبا لشفاء ظاهره وباطنه قائلا: اللهم اني أسألك رزقا واسعا وعلمنا نافعا وشفاء من
كل داء» ويتضلع منه فورد «آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم»
البخاري في تاريخه وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس ويستقى يده ويشرب من مائه
فقد قال عليه السلام: «لو لان تغلبوا الزعت معكم» (وَيَصْبُهُ عَلَى رَأْسِهِ وَجَسَدِهِ مُتَبَرِّكًا
بِهِ) وقد ثبت مثل هذا عن فعله عليه السلام (وَمُسْتَجِجًا أَوَّطَارَهُ) أي قاضيا حاجاته
(وَيَغْتَمُّ الْمَوْتَ فِي طَرِيقِهِ فَيُكْتَبُ لَهُ أَجْرُهُ) أي ثواب الحج على تلك الطاعة (إِلَى
قِيَامِ السَّاعَةِ) قال تعالى: (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) وورد «من خرج من بيته حاجا أو معتمرا أجرى له أجر
الحاج المعتمر إلى يوم القيامة» البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة «ومن مات
محرمًا حشر مليا، الخطيب عن ابن عباس «ومن مات في أحد الحرمين استوجب
شفاعتي وكان يوم القيامة من الأمنين» الطبراني. والبيهقي عن سلمان، وفي رواية
لهما من حديث عائشة «من مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل: له
أدخل الجنة» (وَيَتَلَقَّى الْحَاجُّ بِالترَّحُّيبِ) أي بالتهظيم والتكريم مع التسليم

وَيُصَافِحُهُمْ مُتَبَرِّكًا وَيُرْوِحُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ مُكَثِّرًا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَيُزُورُ قَبْرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقُبُورَ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ وَسَائِرَ مُشَاهِدِهَا رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ *

المقرون بقوله مرحبا بمن جاء من زيارة بيت الله العظيم ونيه الكريم)) ويصافحهم
متبركا)) أى بأكرمهم التى أصابت المنازل الشريفة والمحافل المنيفة منها الحجر الأسود
الذى ورد فى حقه ، انه يمين الله فى أرضه يصافح بها عباده، فهذه المصافحة الثابتة واما
المصافحة التى يذكرها بعضهم عن مشايخهم بطريق التسلسل اليه عليه السلام فلا أصل له
ولافى الكيفية التى ذكرها بعض الصوفية نعم ورد فى فضل المصافحة عند الملاقة
أخبار كثيرة وآثار شهيرة ليس هذا المقام موضع بسط الكلام)) ويروح الى
المدينة)) أى الطيبة السكينة قبل دخول مكة الامينة أو بعد وصولها وبإلحصولها
« مكثرا » أى فى طريقه « الصلاة عليه عليه السلام » فانه كلما كان أقرب اليه
كان بالاجابة أنسب لديه « ويوزور قبره عليه السلام » فانه من شعائر الاسلام.
بل هو من واجبات الاحكام. وقد تقدم فى فضله بعض الكلام وقد ورد عنه عليه
السلام « ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته » هذا فى حق
من لم يحضر قبره فكيف من فارق أهله ووطنه وقطع البوادي شوقا الى لقائهم واكتفى
بمشاهدة مشاهد الكريمة اذا فاته مشاهدة طلعت العظيمة، وقد قال تعالى: (ولو أنهم
اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحاما)
وروى « ان من توضأ واتى الروضة وصلى واتى القبر الشريف قال: اللهم انى أسألك
وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى لتقضى لي
اللهم فشفعه فى » وسأل حاجته قضيت باذن الله ، كذا فى الحصن « وقبور الصحابة »
لا سيما الشيخين الضجيعين « وأهل البيت » كفاطمة وعائشة وسائر أزواجه أمهات
المؤمنين وصفية عمته وأولاده وبناته اخوات المسلمين وعمه العباس . والحسن بن على .
وعلى بن الحسين . ومحمد بن على الباقر . وجعفر بن محمد الصادق فى القبة الشريفة والمنزلة
المنيفة « وسائر مشاهدها » من سائر أهل البقيع وأجلهم عثمان بن عفان (رضى
الله عنهم أجمعين) ويوزور سيد الشهداء حمزة ومن معه، وورد « أحد جبل يحبنا
ونحبه » البخارى عن أنس وغيره عن جماعة، وفى رواية زيادة « فاذا جئتموه فكلوا

وَيُصَلِّي فِي مَسَاجِدِهَا وَيَتَبَرَّكُ بِآبَارِهَا *

من شجره ولو من عضاهه، ﴿ وَيُصَلِّي فِي مَسَاجِدِهَا ﴾ وأجلها المسجد النبوي مع ما فيه من الروضة والمنبر واسطواناتها ثم، فورد « ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي » متفق عليه من حديث أبي هريرة . وعبد الله بن زيد ، ثم مسجد قباء . ومسجد الجمعة . وذى القبلتين . والمساجد الأربع ونحوها ، وقد ورد أنه عليه السلام « كان يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا وقال : من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء وصل في فيه كان كعدل عمرة ، النساءى . وابن ماجه في حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح ، وقد ذكرنا آداب الزيارة في رسالة مستقلة وسائر ما فيها من أسباب الفضيلة ﴿ وَيَتَبَرَّكُ بِآبَارِهَا ﴾ أى التي كان عليه السلام يتوضأ ويتسلل ويشرب منها وهى سبعة آبار مشهورة : بئر أريس . وبيرحاء . وبئر رومة . وبئر غرس . وبئر بضاعة . وبئر البصة . وبئر السقياء أو العهن أو بئر جمل ، والله در ناظمها في قوله :

إذا رمت آبار النى بطيبة • فعدتها سبع مقالا بلاوهن

أريس وغرس ورومة وبضاعة • كذا بصة قل يبرحاء مع العهن

ومواضعها معروفة وعند أهل المدينة مكشوفة ، فحديث بئر أريس بفتح فكسر رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري في حديثه منه حتى دخل بئر أريس قال جلست عند بابها وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته وتوضأ منها ، وحديث يبرحاء متفق عليه من حديث أنس قال أبو طلحة : أكثر الانصار بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله إليه يبرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحديث ، وحديث بئر رومة بضم الراء رواه الترمذى . والنسائى من حديث عثمان أنه قال : أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال : من يشترى بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال الترمذى : حديث حسن ، وفي رواية « من يشترى الشرب رواه في الجنة » وفي رواية لها ، هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد الا بمن فابتعتها فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل ، الحديث وقال حسن صحيح ، وروى البغوى والطبرانى من حديث بشير الاسلمى قال : لما قدم المهاجرون المدينة استكروا الماء وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة وكان

يبيع منها القربة بمد الحديث، قيل: انه اشترأ بمائة بكرة ثم تغطت منافع النصف الثاني على صاحبها فباعه أيضا من عثمان بثمان يسير لانه كان يبيع ماءها فاستكنى الناس بوقف عثمان وهي قديمة قيل شرب منها تبع وحدثت سنة سبعمائة وخمسين، وحديث بئر غرس بضم المعجمة رواه ابن حبان في الثقات من حديث أنس انه قال: «اتوني بماء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله ﷺ يشرب منها ويتوضأ، ولا ين ماجه باسناد جيد من حديث علي مرفوعا «اذا أنا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئر غرس»، وفي تاريخ المدينة لابن النجار «انه عليه السلام توضأ منها وبرزق فيها وغسل منها حين توفي، وفي رواية شرب منها وتوضأ وكب فيها بقية الدلو واهدى له غسل فصبه فيها وقال: اني رأيت الليلة اني أصبحت على بئر من الجنة فاصبح عليها وقال: يا علي اذا أنا مت فاغسلني من بئر غرس بسبع قرب لم تحلل او كيتن ففعل كذلك جددت سنة خمس وخمسين وسبعائة، وحديث بئر بضاعة بضم الموحدة رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري «انه قيل لرسول الله ﷺ: اتوضأ من بئر بضاعة؟» وفي رواية «انه نستقي لك من بئر بضاعة فقال: خلق الله الماء طهورا لا ينجسه الا ما غرطعنه أولونه او ريحه، الحديث، قال يحيى بن معين: اسناده جيد وقال الترمذي حسن والظاهر ان من حديث أبي اسيد «بصق النبي ﷺ في بئر بضاعة»، وفي رواية شرب منها وبصق فيها وبرك ودعا لها وكان اذا مرض المريض غسلوه بماء منها فكا كما نشط من عقال، وحديث بئر البصة بضم الموحدة وتشديد المهملة رواه ابن عدى من حديث أبي سعيد الخدري «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال: هل عندكم من سدر اغسل به رأسي؟ فان اليوم الجمعة قال: نعم فاخرجه له مدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله ﷺ رأسه وصب غسالة رأسه ومراقة شعره في البصة، وحديث بئر السقيا رواه أبو داود من حديث عائشة «أن النبي ﷺ كان يستعذب له من يوت السقيا» زاد البزار في مسنده «وأمن بئر السقيا، وأحمد من حديث علي «خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى اذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص قال رسول الله ﷺ: اتوني بوضوء فلما توضأ قام، الحديث وأما بئر جمل ففي الصحيحين من حديث أبي الجهم وأقبل رسول الله ﷺ من نحو بئر الجمل، الحديث وصله البخاري وعلقه مسلم «قيل وهي بئر العن بالعالية، وروى «أنها اليسيرة سماها عليه السلام بعد ان كان اسمها العسيرة توضأ منها وبصق فيها وبرك ودعا لها، والمشهور ان آبار المدينة سبعة وقيل عشرون، وقد روى الدارمي من حديث عائشة «أن النبي ﷺ قال في مرضه: صبا علي من سبع قرب

وَيَتَصَدَّقُ وَيُسْتَحَبُّ لَهُ الْأَقَامَةُ بِمَكَّةَ مُرَاعِيًا حُقُوقَهَا ، فُورِدَ « يَنْزِلُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ رَحْمَةً سِتُونَ لِلطَّائِفِينَ ، وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ وَعِشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ * وَأَنَّكَ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ بِلَادِهِ إِلَى وَلَوْ لَا أَنِّي أَخْرَجْتُ مِنْكَ لَمَّا خَرَجْتُ » ، وَبِالْمَدِينَةِ فُورِدَ فِي الصَّبْرِ عَلَى لَأَوَانِهَا وَفِي الْمَوْتِ بِهَا شَفَاعَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَشَهَادَتُهُ

من آبار شتى، الحديث ((ويتصدق)) بالمدينة على سكانها ويعظم جيرانها)) ويستحب له الاقامة بمكة)) حال كونه ((مراعيًا حقوقها)) من القيام بالجماعة والجمعة وملازمة الطواف ومداومة الحرمة وعدم الملالة والسامة مع السلامة من كل الحرام والشبهة والا فالاقامة بها حرام أو مكروه)) فورد ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة)) أى من رحمته الخاصة ((ستون للطائفين)) لزيادة طوافهم على المصلين والناظرين ((وأربعون للمصلين)) لاشتغال صلاتهم على حال الناظرين ((وعشرون للناظرين)) أى المكثفين بالنظر حوله من المعتكفين العاجزين الواقفين فى مقام الشهود وقد قال تعالى : (أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) فى تقديم الطائفين إماما الى ما تقدم وأشعار الى ان الطواف تحية هذا المسجد المحترم والله سبحانه أعلم، والحديث رواه ابن حبان فى الضعفاء واليهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بأسناد حسن وله شواهد ((وانك)) يامكة ((لخير أرض الله)) لكونها منشأ حبيبه وفيها قبله خلقه قريبه وبعيده ((واحب بلاده الى)) لكونها مهبط وحيه ومربط وصله، وأما حديث « حب الوطن من الايمان » فلا أصل له ((ولولا انى اخرجت منك)) أى امرت بالخروج والهجرة عنك)) لما خرجت)) باختيارى فان الخروج منها شاقوة والدخول فيها سعادة حيث تضاعف فيها العبادة وتضعف فيها النفس الشهوة والارادة، والحديث رواه الترمذى وصححه النسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث عبد الله ابن عدى بن الحمرأ بلفظ « انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الى الله ولولا انى اخرجت منك لما خرجت » وقد ورد « من صبر على حر مكة ساعة تباعد من نار جهنم مائتى سنة » اخرجها العقيلي فى الضعفاء عن ابن عباس ((وبالمدينة)) أى ويستحب ايضا الاقامة بها مع القيام بأدائها ((فورد فى الصبر على لأوانها)) أى شدة عنايتها ومشقة بلاتها ((وفى الموت بها شفاعته عليه الصلاة والسلام)) الخاصة باهل الاسلام)) وشهادته

يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نُقِلَ عَنْ أَرْجَاعِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحَجَّجِ بَعْدَ الْفَرَاغِ
إِلَى الْمَسَا كُنْ تَحَامِيًّا عَنِ الطَّاعَةِ وَأَرْتَكَابِ الذَّنْبِ فَلَا تُنْمِ فِيهِ مُتَضَاعَفٌ تَضَاعَفَ
الثَّوَابُ حَيْثُ عُلِقَ الْعَذَابُ بِمَجَرَّدِ الْقَصْدِ فَيَأْوَدُ (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ)
الآيَةَ حَتَّى قَبِلَ مِنْهُ الْاِخْتِكَارَ. وَقَبِلَ الْكُذْبَ. وَقَبِلَ شَتْمَ الْخَادِمِ. وَتَجَدِيدًا
لِلْاِشْتِيَاقِ، وَالْأَوَّلَى

يوم القيامة) أى بانه من أهل الاكرام فورد « لا يصبر على لأوائها وشدتها احد الا
كنت له شفيعا يوم القيامة » مسلم من حديث أبى هريرة وابن عمر. وأبى سعيد « ومن
استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنه لا يموت بها احد الا كنت له شفيعا أو شهيدا
يوم القيامة » الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر، وقال الترمذى: حسن صحيح (وما
نقل من ارجاع عمر رضى الله عنه) أى رده او امره بالرجوع (الحجيج بعد الفراغ)
من الحج والزيارة (الى المسا كن) أى مسا كنهم الاصلية حيث كان يقول لهم: يا أهل
اليمن يمسكنم ويا أهل الشام شامكنم ويا أهل العراق عراقكنم (تحاميا) أى للاحتراز
والاحتباس (عن السائمة) أى الملالة فى الإقامة (وارتكاب الذنب) لمن لم يكن
من أهل الاستقامة (فلا تنم فيه) أى فى حرم مكة (متضاعف) أى فى العقاب
كيفية لا كمية ثلاثا فاض اطلاق قوله تعالى: (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها)
(تضاعف الثواب) أى تتضاعفه فى الكمية والكيفية للفضل فى هذا الباب
والعدل على ما فى الكتاب وانما يضاعف العذاب أو العقاب (حيث علق العذاب
بمجرد القصد) فى الذنب فى ذلك الجنب (فما ورد) فى نص الكتاب (ومن
يرد فيه بالحاد) أى بميل عن الجادة فى العصيان والبلاء صلة فى مقام البيان
(الآية) تمامها (بظلم) أى عدوان بدل تفسيره وبيان (نذقه من عذاب أليم)
أى مؤلم فى مقام المهجران (حتى قبل منه الاختكار) أى قصد حبس الطعام
لبقل فيبيع غالبا ويتضرر به الا نام (وقيل الكذب) أى قصده الحاد أيضا (وقيل شتم
الخادم) والحاصل ان ما يكون صغيرة فى غيره تصير كبيرة فى حرمه لكمال تقصير المجاور
وجرمه وعدم العمل بعلقه (وتجديدا للاشتياق) عطف على تحاميا أى ولتحصيل
حدة الشوق وشدة الذوق الى وصال الحرمين بعد مرارة حرارة الفراق (والاولى

الاستفتاء من القلب . والتوطن في موضع أقرب من الخول . وسلامة الدين . وفراغ القلب . ويسر العبادة ، فورد « البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فاقم به وأحمد الله تعالى » وحق الجهاد أن ينوى نصرته الدين . وبذل النفس في رضائه تعالى ، فورد « أفضل الجهاد أن يعقر جوادك ويهراق دمك » ويخرج له يوم الخميس . ولا يغتم بما يصيب

الاستفتاء من القلب) في اقامته ورحلته (والتوطن في موضع أقرب من الخول) فانه أنسب لحصول الوصول وفيه الراحة من مصاحبة أهل الفضول وأبعد من الشهرة فان فيها الآفات بكثرة (وسلامة الدين) لانها لم توجد مع مسالة أهل الدنيا فقيل : كن وسطا واهش جانبنا (وفراغ القلب) أى للذكر والحضور مع الرب (ويسر العبادة) أى سهولته لأهل الارادة قال تعالى : (يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فايما يعبدون) (فورد البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا) أى مصلحة وسهولة للعبادة فانه مقام السعادة (فاقم به) أى فاختر الإقامة فيها (وأحمد الله تعالى) على ثباتك عليها والحديث رواه احمد والطبرانى من حديث ابن الزبير (وحق الجهاد) أى القتال مع الكفار (أن ينوى نصرته الدين) ومعاونة الابرار قال تعالى : (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (وبذل النفس في رضائه تعالى) قال عز وعلا : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية (فورد أفضل الجهاد أن يعقر جوادك) أى يقتل فرسك أو يهلك (ويهراق دمك) أى يصب وتخرج روحك الطبرانى . وأحمد وجماعة عن جابر . والطبرانى عن أبى امامة أفضل الشهداء من سبك دمه وعقر جواده وهو فرض عين أن هجم الكفار فتخرج المرأة والعبد بلاذن وفرض كفاية بدأ (ويخرج له) أى للجهاد (يوم الخميس) روى كعب بن مالك انه عليه السلام « كان يحب أن يخرج اذا غزا يوم الخميس » احمد . والبخارى (ولا يغتم بما يصيب) أى في طريق الجهاد من نقص في ماله أو جرح في جسده أو فرع في قلبه وتشويش في

فَقِيَ الْكُلَّ أَجْرٌ عَظِيمٌ حَتَّى يَكُونَ عَلفُ دَابَّتِهِ . وَرَوْثُهَا . وَبَوْلُهَا .
وَنَوْمُهُ . وَيَقْظَتُهُ فِي هِيزَانِ حَسَنَاتِهِ ، وَيَجْتَنِبُ فَرَسًا مُخَالَفٌ لِأَحَدَى قَوَائِمِ
الثَّلَاثَةِ . وَلَا يَتَمَنَّاهُ

حاله ﴿ فقي الكل أجر عظيم ﴾ وثواب جسيم، وقد قال تعالى: (ولنبلو نكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال) الآية، وورد «إذا رجف قلب المؤمن في سبيل الله تحانت خطاياه كما تحانت عذق النخلة» الطبراني . وأبو نعيم في الحلية عن سلمان «ومن راح راحة في سبيل الله كان له بمثل ما أصابه من الغبار مسكا يوم القيامة» ابن ماجه . والضياء عن أنس «وما من مجروح يجرح في سبيل الله - والله أعلم بمن يجرح في سبيل الله - إلا جاء يوم القيامة وجرحه كميثته يوم جرح اللون لون الدم والريح ريح المسك» ابن ماجه عن أبي هريرة ﴿ حتى يكون علف دابته وروثها وبولها ونومه ويقظته في ميزان حسناته ﴾ ففي مسند أحمد . وصحيح البخاري . وسنن النسائي عن أبي هريرة مرفوعا «من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده كان شعبة وريه وروثه وبوله حسنات في ميزانه» وفي رواية لابن ماجه . وابن حبان عن تميم الداري «من ارتبط فرسا في سبيل الله ثم عالج علفه يده كان له بكل جبة حسنة» ﴿ ويجتنب فرسا يخالف إحدى قوائمه الثلاثة ﴾ من القوائم الأربعة فقد روى أحمد . ومسلم : والأربعة عن أبي هريرة أنه عليه السلام «كان يكره الشكال» قال أبو داود . والترمذي أي محجل اليد اليمنى والرجل اليسرى أو العكس، وقال النسائي: محجل ثلاثة قوائم مطلق واحدة أو العكس وليس الشكال إلا في الرجل، ويؤيده ما رواه الحاكم . والطبراني . والبيهقي عن عتبة بن عامر «إذا أردت أن تغزو فاشتر فرسا أغر محجلا مطلق اليد اليمنى فانك تسلم وتغنم» وفي رواية أحمد . والترمذي . وابن ماجه . والحاكم عن أبي قتادة «خير الخيل الأدهم الإقراج الأدهم الإقراج المحجل الثلاث مطلق اليمنى فان لم يكن أدهم فكسيت على هذه الشبة، وفي النهاية أن الأدهم الأسود الإقراج - بالقاف - الذي في جبهته يياض يسير دون القرة، والأدهم الذي أنفه أبيض وشفته العليا والمحجل الذي يرتفع اليياض في قوائمه في موضع القيد ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين لأنها مواضع الاحجال وهي الخلاخيل . والقيود ، والكسيت بضم الكاف هو الذي لونه بين السواد والحرمة يستوى فيه الذكر والأنثى ﴿ ولا يتمناه ﴾ أي

وَيَسْأَلُهُ الثَّابِتُ عَنْهُ فُورِدَ «لَا تَتَمَنَوُا لِقَاءَ الْعَدُوِّ فَإِنْ لَقِيتُمُوهُ فَاقْتَبُوا» وَيَكْثُرُ ذِكْرُهُ تَعَالَى . وَيَكُفُّ عَنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ . وَالْأَوْلَادِ وَالْأَمْوَالِ . وَالْأَوْطَانِ . فَهُوَ يَقْتَرُهُ : وَيَغْتَنِمُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فُورِدَ (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا) الْآيَةُ « إِنْ أَرْوَا حَ الشَّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَسْرَحُ وَتَأْكُلُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ تَشَاءُ وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ معلقةً مِنَ الْعَرْشِ »

الجهاد فالعافية أوسع لاكثر العباد (ويسأله الثابت عنه) أى عند وجوبه أو وجوده (فوردا لاتتمنوا لقاء العدو) وفي رواية زيادة « وسولوا الله العافية ، وفي أخرى فانكم لاتدرون ماتيتلون به ، وقال عز وعلا في مقام التوبيخ : (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) (فان لقيتموه فاقبوا) وفي رواية زيادة « واكثروا ذكر الله ، وفي أخرى زيادة فان أجلبوا وضجوا فعليكم بالصمت ، النسائي ، والحاكم . والطبراني عن ابن عمر وفي رواية للحاكم عن جابر « فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تغشاهم أنت ثم الزموا الأرض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا » (ويكثر ذكره تعالى) لقوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا اذلقتم فتمة فاقبوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) وقال تعالى في الحديث القدسي : « ان عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملاقى قرنه ، » (ويكف عن ذكر النساء) أى ويمتنع عن تذكرهن (والأولاد والأموال والأوطان) وسائر تدبرهن وتفكرهن (فهو يقره) أى يجنبه ويضعف همته عما هو بصدده ومن هنا ورد « الولد مجنبه » (ويغتني الشهادة في سبيل الله) فانه من أكبر السعادة عند مولاه (فوردا ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية) أى (بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عاينهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين) (ان أرواح الشهداء في حواصل طير) أى أجواف طيور (خضر تسرح) أى تسير (وتأكل من الجنة حيث تشاء) من غير منع لها (وتأوى الى قناديل معلقة من العرش) ومع هذا لها تعلق بجسدها في القبر وأمور الآخرة كلها مبنية على خرق العادة فلا ينبغي أن يستغربها أهل الارادة ، والحديث رواه مسلم . والترمذى عن ابن مسعود بن زيادة فاطلع اليهم

وَيُودُونَ الرَّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا لِلْإِسْتِشْهَادِ وَيَتَمَنَّاها فَهُوَ سَبَبُ نَيْلِ مَزَلَّتِهِمْ
وَإِنْ مَاتَ عَلَى الْفَرَاشِ ، وَلَا يَخْرُجُ الْمُسْتَغْلُ بِتَعَهْدِ الْأَهْلِ . وَخِدْمَةُ الْأَبْوِينَ فَهُوَ
مَقْدَمٌ ، وَيَخْدُمُ الْغَزَاةَ وَلَوْ كُلَّهُمْ .

رَبِّهِمْ اِطْلَاعُهُ فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيْ شَيْءٍ نَشْتَهُى وَنَحْنُ نَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ
حَيْثُ شَتْنَا فَيَفْعَلُ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ يَتْرَكُوا أَنْ يَسْأَلُوا قَالُوا:
رَبِّ نَزِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَنَقْتُلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى
فَلَمَّا رَأَوْا أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ لِمَا تَرَكُوا ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ (وَيُودُونَ الرَّجُوعَ) أَيْ يَتَمَنُّونَ الْعُودَ
إِلَى الدُّنْيَا لِلْإِسْتِشْهَادِ (أَيْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، وَوَرَدَ مَا مَنِ أَحَدٌ دَخَلَ الْجَنَّةَ يَحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ
(إِلَى الدُّنْيَا) لِأَنَّ الشَّهِيدَ فَإِنَّهُ يَحِبُّ أَنْ يَقْتُلَ مَرَّةً أُخْرَى ، ابْنُ حَبَّانٍ عَنْ أَنَسٍ ، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ
عَنْهُ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيَقْتُلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكِرَامَةِ ، (وَيَتَمَنَّاها)
أَيْ يَتَمَنَّى السَّالِكَ الشَّهَادَةَ وَلَوْ كَانَ فِي مَوْطِنِ الْعِبَادَةِ (فَهُوَ سَبَبُ نَيْلِ مَزَلَّتِهِمْ) أَيْ
حَصُولِ مَرْتَبَتِهِمْ (وَأَنْ مَاتَ) أَيْ الْمَتْنَى (عَلَى الْفَرَاشِ) لِأَنَّ نِيَّةَ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ
فَعَنْ مَعَاذٍ مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ مَخْلَصًا اعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ شَهِيدٍ ، وَأَنْ مَاتَ عَلَى فَرَاشِهِ (وَلَا
يَخْرُجُ الْمُسْتَغْلُ بِتَعَهْدِ الْأَهْلِ) أَيْ الْعِيَالُ لَا شُغْلَ الْبَالِ فَلَا يَحْصُلُ مَعَهُ الْكَمَالُ فِي
الْحَالِ وَلِضَرُورَةِ مَعِيشَةِ الْأَهْلِ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَالِ ، وَقَدْ وَرَدَ ، إِذَا حَرَّمَ أَحَدُكُمْ الزَّوْجَةَ وَالْوَلَدَ
فَعَلَيْهِ بِالْجِهَادِ ، الطَّبْرَانِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ وَعَنْ ابْنِ الْمُبَارَكِ - وَهُوَ مَعَ إِخْوَانِهِ فِي الْغَزْوِ -
تَعْلَمُونَ عَمَلًا أَفْضَلَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ؟ قَالُوا: لَا نَعْلَمُ ذَلِكَ قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ ذَلِكَ رَجُلٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عَائِلَةٍ
قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَنَظَرَ إِلَى صَدِيقَانِهِ نِيَامًا مُتَكَشِّفَيْنِ فَسَتَرَهُمْ وَغَطَّاهُمْ فَعَمَلُهُ أَفْضَلُ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ *
(وَخِدْمَةُ الْأَبْوِينَ فَهُوَ مَقْدَمٌ) أَيْ عَلَى الْجِهَادِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فَرَضٌ عَلَيْهِ فَعَنْ ابْنَ عُمَرَ إِذَا
كَانَ الْجِهَادُ عَلَى بَابِ أَحَدٍ فَلَا يَخْرُجُ إِلَّا بِإِذْنِ أَبِيهِ ، وَرَوَاهُ ابْنُ عَدَى (وَيَخْدُمُ
الْغَزَاةَ) أَيْ يَطْبِخُ طَعَامَهُمْ وَغَسَلَ ثِيَابَهُمْ وَخِدْمَةُ دَوَابِهِمْ (وَلَوْ كُلَّهُمْ) وَهَذَا صَاحِقٌ
عَلَى مَنْ يَخْدُمُهُمْ وَهُوَ مَعَهُمْ كَمَا وَرَدَ « سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ » ابْنُ مَاجَهٍ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ
وَالْخَطِيبِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي تَارِيخِهِ ، وَابِيهْتَمَى عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ وَلَفْظُهُ
« سَيِّدُ الْقَوْمِ فِي السَّفَرِ خَادِمُهُمْ » فَمَنْ سَبَقَهُمْ يَخْدُمُهُمْ لَمْ يَسْبِقُوهُ بِعَمَلِ الْإِسْتِشْهَادِ ، وَفِي رِوَايَةٍ
الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ « أَفْضَلُ الْغَزَاةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَادِمُهُمُ الَّذِي يَأْتِيهِمْ بِالْأَخْبَارِ وَأَخَصُّهُمْ
عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةُ الْأَصْنَامِ أَوْ يَخْلُقُهُمْ وَيَخْدُمُ أَهْلَهُمْ » فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ . وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ

ويجهزهم . ويعظم أفراسهم ويعيدها ليوم اللقاء ، ففي الكل فضائل .
 ويتعلم الفروسية . والمسابقة لامتحان الكرم . والرمي فهو سنة . ولا يترك ،
 فورد « من ترك الرمي بعد ما علمه فإثمها نعمة كفرها »

« أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج » (ويجهزهم)
 أي يهيئ أسباب سفرهم فورد « من جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل أجره حتى
 يموت أو يرجع » ابن ماجه عن عمر (ويعظم أفراسهم) جمع فرس فقدورد الخيل
 معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة الاجروالمغنم ، احمد والشيخان وغيرهما كما
 ان يكون متواترا ، وفي رواية لاحد عن جابر زيادة « وأهلها معانون عليها فامسحوا
 بنواصيها وأعدوا لها بالبركة وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار » (ويعيدها) بضم
 فسكس فشد أي يربطها (ليوم اللقاء) أي لوقت ملاقات الأعداء قال تعالى : (وأعدوا
 لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الآية (ففي
 الكل فضائل) لأرباب الشرائع (ويتعلم الفروسية والمسابقة لامتحان الكرم)
 أي الطبع المكرم في المجاهدة والملاحقة فقدورد « أحب الله إلى الله تعالى أجرا الخيل
 والرمي ، ابن عدي عن ابن عمر ، وقيل المراد بالكرم كرم الفرس بان يكون كريم
 الطرفين أركبوا واتصلوا وان تنصلوا أحب الى الحديث الطبراني في الأوسط عن
 أنس هريرة « لاسبق الا في خف أو حافر أو نصل ، أحمد والاربعة عن أنس هريرة ، فالمراد
 بالخف الابل وبالحافر الفرس والبغل والحمار والنصل الرمي ، وفي رواية « كانت المسابقة
 بين الصحابة في الخيل والابل والرجل » (والرمي) أي ويتعلمه (فهو سنة) فعن
 عقبة بن عامر مرفوعا « الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي ، أحمد .
 ومسلم وأبو داود وابن ماجه « ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه
 يحتمسب به في صنعة الخير . والرامي به . ومنبله » أحمد والثلاثة عن عقبة بن عامر « من رمى
 بسهم في سبيل الله كان كمن أعتق رقبة » ابن حبان عن كعب بن مرة ، وفي رواية للنسائي
 عنه « من بلغ العدو سهمه رفعه الله بها درجة اما انما ليست كعتبة املك ولكن ما بين
 الدرجتين مائة عام » (ولا يترك) أي الرمي لثلاث ينسى (فورد من ترك الرمي بعد ما علمه)
 أي رغبة عنه كما في رواية (فإثمها نعمة كفرها) الطبراني وجماعة عن عقبة بن عامر ،
 وفي رواية ابن ماجه عنه « فقد عصاني » وفي رواية مسلم عنه « فليس منا » وفي رواية أحمد

﴿الباب الخامس في الزوج والتخلي﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * فِي النِّكَاحِ فَوَائِدُ، حِفْظُ النَّفْسِ مِنَ الشَّيْطَانِ ،
فورد « من تزوج فقد أحرز شطر دينه »

والترمذى والبيهقى عنه « فقد كفر الذى عليه » وعن أبي هريرة « من تعلم الرمى ثم
نسيه فهي نعمة جعدها » ابن النجار .

﴿الباب الخامس في الزوج والتخلي﴾

أى التجرد عنه والتبرى منه اختيارا للتخلي واستيثارا للتجلى، اعلم ان العلماء اختلفوا
في فضل النكاح فبعضهم بالغ فيه حتى زعم انه افضل من التخلي لعبادة الله تعالى، وعكس
جماعة وقال آخرون: الافضل تركه في زماننا وقال بعضهم: افضل من الجهاد لان الجهاد
سبب اعدام الكافر والتزوج موجب ايجاد المؤمن وهذا كله اذا لم يكن هناك توقان
للفنفس يشوش الحال واما اذا كان فيتعين تحمل العيال والتوكل على الله المتعال في
الاستقبال ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الذى رحمته شاملة للتخصيص والتعميم ﴿ في
النكاح فوائد ﴾ كثيرة ومنافع شيرة ذكر منها احدى عشرة ﴿ حفظ النفس من
الشیطان ﴾ أى صيانتها عن وسوسته واغوائه ﴿ فورد من تزوج فقد أحرز شطر
دينه ﴾ تمامه ﴿ فليقل الله في الشطر الثاني ﴾ وفي رواية « في الشطر الآخر » ابن الجوزى في
العلل من حديث أنس بسند ضعيف وهو عند الطبرانى بلفظ « استكمل نصف الايمان،
وفي المستدرک وصحح اسناده بلفظ « من رزقه الله امرأة صالحة فقد اعانه على شطر دينه »
وهذا لان حفظ أصل الدين غالبا يتعلق بنصفه بقضاء شهوة البطن ونصفه بقضاء شهوة
الفرج، وقال ابن عباس: لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج، وكان ابن مسعود يقول: لولم
يبق من عمرى الا عشرة ايام لاجبت ان اتزوج لكيلا ألقى الله عزابا، ومات امرأتان
لما ذبن جبل في الطاعون وكان هو أيضا متهما فقال: زوجوني فاني أكره ان ألقى الله عزابا،
وعن أبي هريرة مرفوعا « شراركم عزابكم وركعتان من متأهل خير من سبعين ركعة من
غير متأهل » ابن عدى، ورواه أحمد عن أبي ذر « شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم »
وقد تزوج يحيى ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لينال الفضيلة من اقامة السنة، وقيل: لفض
البصر وخوف العنت واما عيسى فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له كذا

وَيَزِيدُ إِلَى الْأَرْبَعِ أَنْ لَمْ يَعْتَصِمْ بِوَاحِدَةٍ ،

في الاحياء ، والحاصل ان غلبة الشهوة محنة عامة قل ان يتخلص منها أحد ، قال قتادة : في قوله تعالى : (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) ان ذلك هو الغلبة وهي غلبة الشهوة ، وعن عكرمة . ومجاهد انهما قالوا في معنى قوله : (وخلق الانسان ضعيفا) : انه لا يصبر عن النساء ، وقيل في قوله تعالى : (وان تصبروا خير لكم) ان الصبر عن النساء أيسر من الصبر عليهن والصبر عليهن أيسر من الصبر على النار ، وقال ابن نجيم : اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول : ذهب ثلث دينه ، وفي نوادر التفسير عن ابن عباس في قوله : (ومن شر غاسق اذا وقب) قال : قيام الذكر ، وفي دعائه عليه السلام « اللهم اني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيتي » أبو داود . والنسائي . والترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث شكل بن حميد وقال : « أسألك ان تطهر قلبي وتحفظ فرجي » البيهقي في الدعوات من حديث أم سلمة ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « كل من وقع بصره على امرأة فتأقت اليها نفسه ان يجامع اهلها لان ذلك يدفع الوسواس عنه ، رواه أحمد من حديث أبي كبشة الانصاري حين مرت به امرأة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فاتى بعض ازواجه وقال : وكذلك فافعلوا فانه من أمائل اعمالك اتيان الحلال واستاده جيد ، فروى جابر انه عليه السلام « رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال : ان المرأة اذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان واذا أدبرت أدبرت في صورة شيطان فاذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت اهلها فان معها مثل الذي معها ، رواه مسلم . والترمذي واللفظ له وقال : حسن صحيح ، وروى انه انصرف الناس يوما عن مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح فقال : هل لك من حاجة ؟ قال : نعم اردت ان أسأل عن مسألة فاستحييت من الناس وانا الآن اهابك واجلك فقال ابن عباس : ان العالم بمنزلة الآب فما افضيت به الى أيك فافض به الى فقال : اني شاب لازوجتي وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال : اف وتف نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا » (يزيد) النساء » الى الاربع ان لم يعتصم بواحدة » و كان الأولي ان يقول ان لم يعتصم بالاقل وهذا لقوله تعالى : (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) والواو بمعنى أو أي اثنتين اثنتين أو ثلاثة ثلاثة أو اربعا اربعا ، وعن ابن عباس « خير هذه الأمة اكثرها نساء يعني النبي صلى الله عليه وسلم » رواه البخاري . وقال سفيان بن عيينة : كثرة النساء ليست من الدنيا

وَيَبْدُلُ بِأُخْرَى إِنْ تَنَفَّرَ الطَّبَعُ ، وَزِيَادَةُ الرَّغْبَةِ فِي لَذَاتِ الْجَنَّةِ فَلَذَةُ الدُّنْيَا
أَنْمُودَجٌ وَقَطْعُ الْمَلَالَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ دَوَامِ الْعِبَادَةِ ، فَوَرَدَ « لِكُلِّ شَرِّهِ فِتْرَةٌ فَمَنْ
كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَهْتَدَى »

لان عليا رضى الله عنه كان ازهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان له أربع
نسوة وسبع عشرة سرية، وقد نكح بعد فاطمة بسبع ليال، ويحكى عن ابن عمر - وكان من زهاد
الصحابه وعلمائهم - انه يفطر من الصوم على الجماع قبل الأكل وربما جامع قبل أن يصلي
المغرب ثم يغتسل ويصلي، وروى انه جامع ثلاثا من جواريه قبل العشاء في رمضان قبل
العشاء الأخيرة ((ويبدل باخرى ان تنفر الطبع)) فان المقصود هو الاعتصام بالشرع
ويقال: ان الحسن بن علي كان منكاها نكح زيادة على مائتي امرأة وكان ربما عقد على
أربع في عقد وربما طلق أربعاً في وقت واحد واستبدل بهن ((وزيادة الرغبة في لذات
الجنة فلذة الدنيا أنموذج)) بضم المدة والميم معرب فمونه أى عينه تدل على صفة
يبنة، وقد أكثر الله سبحانه في كتابه مدح الحور العين والازواج المطهرة في ذلك
المكان الأمين ((وقطع الملالة الحاصلة من دوام العبادة)) وذلك بترويح النفس
وابتناسها بالمجالسة والظرو والملاعبة والمؤانسة ولذا قال تعالى: (ليسكن اليها) فالنفس
اذا كلفت المداومة بالا كراه على المخالفة جمحت وتأبت واذا روحت باللذات في بعض
الأوقات قويت ونشطت ومنه كلبني يا حيراء، وعن علي روحوا القلوب عن الذكر
فانها اذا كرهت عميت ففي الاستيناس بالنساء من بين الناس من الاستراحة عن
الوسواس ما يزيل الكرب ويفرج القلب وينشط لذكر الرب فينبغي ان يكون
لنفوس ارباب العبادات استراحات الى المباحات وفي الخبر « على العاقل ان يكون له ثلاث
ساعات ساعة يناجى فيها ربه. وساعة يحاسب فيها نفسه . وساعة يخلو فيها لمطعمه
ومشربه » أى وما يقضى انسه والحديث رواه ابن حبان من حديث أبى ذر في حديث
طويل « ان ذلك في صحف ابراهيم » وفي لفظ آخر « لا يكون العاقل العامل ظاعنا الا في
ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أولذة في غير محرم » رواه ابن حبان من حديث أبى ذر الطويل
ان ذلك في صحف ابراهيم ((فور لكل شره)) بكسر المعجمة وتشديد الراء أى كد وجد
في طاعة ونشاط ورغبة في حاجة ((فترة)) أى كسل وملالة وغفلة ونفرة ووقفة
للاستراحة ((فن كانت فترته)) من الفرض ((الى ستنى فقد اهتدى)) أحمد. والطبراني

وَهُوَ لَا يَعْمُ لَا تَقْطَاعَهَا لِلْبَعْضِ بِالْمَاءِ وَالْبُسْتَانِ وَفَرَاغُ الْقَلْبِ مِنْ تَدْيِيرِ الْبَيْتِ
لِلْعِبَادَةِ ، فَوَرَدَ « زَوْجَاتِي أَعَوَانِي عَلَى الطَّاعَةِ » وَهُوَ يَخْصُ لِمَنْ لَا يَدْبِرُ فِيهِ . وَلَا

من حديث عبد الله بن عمر رواه البيهقي « ومن كانت الى خير ذلك فقد هلك » وللترمذى
نحوه من حديث أبي هريرة وقال: حسن صحيح، ولفظه « لكل عامل شرة ولكل شرة
فترة » الحديث، وللترمذى عن أبي هريرة « لكل شيء شرة ولكل شرة فترة فان كان
صاحبها سدا وقارب فأرجوه وأن أشير اليه بالأصابع فلا تعدوه » والحاصل ان لكل
نشاط في العبادة ابتداء يكون كسلا فيها انتهاء أو أثناء فينبغي للسالك أن يصرف تلك
الفترة الى عبادة أخرى أو شهوة مباحة موافقة للسنة من النساء وغيرها ؛ ولذا قال
﴿ وهو ﴾ أى قطع الملالة بمصاحبة النساء ﴿ لايعم ﴾ جميع السالكين ﴿ لا تقطاعها ﴾
أى الملالة ﴿ للبعض ﴾ أى بعض العاملين ﴿ بالماء ﴾ أى الجارى ﴿ والبستان ﴾ أى
المستمل على الخضرة ، فعن ابن عمر مرفوعا « ثلاث يجلين البصر النظر الى الخضرة والى
الماء الجارى والى الوجه الحسن » أخرجه الديلمى ، وعن علي أيضا بمعناه . وعن ابن عباس
أنه عليه السلام « كان يعجبه النظر الى الخضرة والماء الجارى » أبو نعيم . وابن السنى
وفى روايتهما عن علي « كان يعجبه النظر الى الاترج والى الحمام الاحمر ، وللترمذى
عن معاذ انه عليه السلام « كان يستحب الصلاة فى الحيطان أى البساتين المشيرة الى
الجنان » ﴿ وفراغ القلب ﴾ أى لذكر الرب ﴿ من تدوير البيت للعبادة ﴾ كما هو جار
فى العادة من شغل الطبخ والكس والفرش للبانى وتنظيف الاوانى وتهئية أسباب
المعيشة المعينة للمعانى ، وفى الحديث « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ »
وقد فسر قوله تعالى : ﴿ ربنا آتانا فى الدنيا حسنة ﴾ بالمرأة الصالحة ﴿ وفى الآخرة حسنة ﴾
بالحور العين ﴿ وقنا عذاب النار ﴾ بالمرأة السليطة ، وقيل : فى تفسير قوله تعالى ﴿ فلنجينه
حياة طيبة ﴾ أى نزوجها صالحة ، وعنه عليه السلام « ليتخذ أحدكم قلبا شاكر اولسانا
ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته » الترمذى . وابن ماجه من
حديث ثوبان ﴿ فورد زواجى أعوانى على الطاعة ﴾ الخطيب فى التاريخ من حديث
ابن عمر ولفظه « فضلت على آدم بمحصلتين كانت زوجته عوناه على المعصية وأزواجى
أعوان لى على الطاعة وكان شيطاناه كافرا وشيطانى مسلم لا يأمر الا بخير » ﴿ وهو ﴾
أى الفراغ المذكور ﴿ يخص لمن لا يدبر فيه ﴾ أى فى البيت بنفسه لعجزه ﴿ ولا

يُشَوِّشُهُ حَقَّ الزَّوْجِيَّةِ فِي أَمْرِهِ . وَكَثْرَةُ الْعَشِيرَةِ لِيُدْفَعَ بِهِمُ الشَّرَّ فَيَسْلَمَ .
وَالرِّيَاضَةُ بِالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ . وَاحْتِمَالُ جَفَائِهِمْ ، فَرَدَّ فِيمَنْ أُحْتَمَلَهَا « كَانَ
مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ » وَهُوَ يَخْصُ بِالْمُبْتَدَى لاحتياجه إلى الرياضة وبظاهر العمل
فَالانْفَاقُ أَوَّلَى لِأَنَّهُ مُتَعَدِّ بِخِلَافِ صَاحِبِ الْبَاطِنِ فَعَمَلُهُ أَشْرَفُ ،

يشوشه حق الزوجية في أمره وكثرة العشيرة يدفع بهم الشر أي ضرر أهل الفساد
ومنازعة أهل العناد (فيسلم) أي فارغ القلب في طلب الخير، ولذا قيل: ذل من
لأنصر له (والريضة) أي تهذيب النفس (بالقيام بحقوقهم) من نفقتهم وكسوتهم
(واحتمال جفائهم) من أياضهم وبلائهم والصبر على سوء أخلاقهم والسعي في إصلاح
أحوالهم وإرشادهم إلى طريق الدين وإبلاغهم والقيام بقرية الأولاد وصياتهم عن
الفساد، وفي كل هذه الأحوال فضائل عظيمة وشمال وسيمة فإنها رعاية ولأية وحماية
وقد ورد « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » متفق عليه من حديث ابن عمر
« ويوم من والعدل أفضل من عبادة سبعين سنة » الطبراني . واليهي من حديث
ابن عباس (فررد فيمن احتملها كان معي في الجنة) لم أر يخرج به؛ وفي بعض الحواشي
« من تحمل كليات جفاء أهله فله ثواب سبعين شهيدا » وفي رواية « من تحمل من امرأته
كلمة واحدة أعطاه الله ثواب ألف شهيد ودفع عنه ظلمة قبره وضيقة » وذكر في الأحياء
أن في أخبار الأنبياء أن قوما دخلوا على يونس فاضافهم فكان يدخل في منزله ويخرج
فتؤذيه امرأته فتطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال: لا تعجبوا فإني سألت
الله فقلت: ما أنت معاقب لي في الآخرة فعجله في الدنيا قليل : أن عقوبتك بنت فلان
فتزوجت بها وأنا صابر على ماترون منها (وهو) أي الارتياض (يخص بالمبتدئ .
لاحتياجه إلى الريضة) أي تهذيب النفس عن الأخلاق الذميمة (وبظاهر العمل)
أي ويخص أيضا بالذي من أهل العمل الظاهر (فالانفاق أولى) أي في حق
(لأنه متعد) أي نفقه والعمل الظاهر نفقه قاصر، ومن هنا قال عليه السلام:
« ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة » الشيخان عن ابن مسعود . وإن الرجل ليؤجر
فرفع اللقمة إلى في امرأته » الشيخان عن سعد بن أبي وقاص (بخلاف صاحب
الباطن فعمله أشرف) لأنه علم ومعرفته وحال وحضور مع الرب وهو مقام عال

وَالْوَلَدُ وَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَصْلِيُّ فَقِيهِ مَحَبَّتِهِ تَعَالَى بِتَحْصِيلِ حِكْمَتِهِ تَعَالَى . وَهِيَ
بَقَاءُ جِنْسِ الْإِنْسِ . وَالتَّحَرُّزُ عَنْ تَعْطِيلِ الْأَعْضَاءِ مِنَ الْمَقَاصِدِ ،

ولكنه نادر بين الرجال، ولذا ورد أكثر الأحاديث في مدح الأعمال، منها قوله عليه السلام « ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال » ابن ماجه من حديث عمران بن حصين، وقوله: « اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله بالحنن ليكفرها » أحمد من حديث عائشة، وقوله « من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة » الطبراني في الأوسط. وأبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة، وقال بعض العلماء: عمل الابدال كسب الحلال والنفقة على العيال ((والولد هو المقصود الاصل)) من هذا الحكم الفرعي ((فقيه)) أى فى تحصيل الولد بالنكاح أربعة أمور ((محبة تعالى)) أى اثر محبة ((بتحصيل حكمته تعالى)) وهى بقاء جنس الانس ((فى ملكته)) وفق ارادته ((والتحرز عن تعطيل الاعضاء من المقاصد)) التى خلقت لتلك الاشياء فكل عضو من بنى آدم صالح لطاعته فاللسان للذكر . والقلب للفكر . والاذن للاستماع . والعين للنظر . واليد للبش والرجل للسعى، وفى الاحياء هذا أدق الوجوه وأبعدها عن افهام الجماهير وأقواها عند ذوى البصائر النافذة فى عجائب صنع الله تعالى ومجارى حكمته، ويانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهىأله أرضا مهيأة للحراثة وكان العبد قادر على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليه فان تكاسل العبد وعطل آلة الحرث وترك البذر ضائعا حتى فسد ودفع المؤكل عن نفسه بنوع من الخيل كان مستحقا للقت والعقاب من سيده ، فآله سبحانه خلق الزوجين وخلق النطفة فى الفقار وهىأله فى الاثنين عروقا ومجارى وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط تقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والأنثى فهذه الأفعال والآلات شهدت بلسان ذلق فى الاعراب عن مراد خالفها وتنادى أرباب الالباب بتعريف ما عادت له هذه الأسباب هذا ان لم يصرح الخالق على لسان رسوله عليه السلام بالمراد فكيف وقد صرح بالأمر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل لما خلق الله من الآلة المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلق المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهى ليس برقم حروف وأصوات يقرؤها كل من له بصيرة ربانية نافذة فى ادراك دقائق الحكمة الازلية انتهى ، ولا يخفى ما ورد من أمر الشارع حيث قال تعالى :

وَحَبَّتْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْإِسْتِنَانِ ، فَوَرَدَ «النِّكَاحُ سُنَّةٌ» وَتَكَثِيرُ
الْأَمَةِ ، فَوَرَدَ «تَنَاحُوا تَكَثَرُوا فَإِنَّ أَبَاهِي بِكُمْ الْأَمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

(وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وأمائكم) وورد «من استطاع منكم
الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فإن الصوم له وجاء»
متفق عليه من حديث ابن مسعود « من كان ذا طول فليتزوج ، ابن ماجه من حديث
عائشة ، من ترك التزويج خافة العيلة فليس منها » الديلمي من حديث أبي سعيد . والدارمي
في مسنده . والبغوي في معجمه وأمله مقتبس من قوله تعالى : (إن يكنزوا فقراء يغنهم
الله من فضله والله واسع عليم) وقد ورد « التمسوا الرزق بالنكاح » الديلمي وغيره عن
ابن عباس مرفوعاً ، وللثعلبي عن ابن عجلان ، أن رجلاً أتى النبي ﷺ فشكى إليه
الحاجة والفقر فقال له : عليك بالباءة ، أي النكاح والله تعالى يقول في كتابه : (إن
يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) ، وأما الذي يدور على السنة العوام تزوجوا فقراء
يفنكم الله ، فإنما هو معناه ، وروى الديلمي . والدارقطني في العلل . والحاكم .
وابن مردويه من حديث عائشة ، تزوجوا النساء فانهن يأتين بالمال ، وعن الحسن
ابن علي رأيت الغنى في النكاح والطلاق أما النكاح فقوله سبحانه : (إن يكنوا فقراء
يغنهم الله من فضله) وأما الطلاق فقوله تعالى : (وإن يفرقا يغن الله كلاماً من سمعته) وقد قيل في
حق بشر : انه تارك للسنة فقال : أنا مشغول بالفرض عن السنة فعوتب مرة أخرى فقال :
ما يمنعني من التزوج الا قوله تعالى : (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) (ومحبته عليه
الصلاة والسلام بالاستئنان) أي بالعمل للسنة (فورد النكاح سنّة) تمامه ، فمن أحب
فطرق فليستن بسنّتي ، أبو يعلى من حديث ابن عباس بسند حسن ، وفي رواية الشيخين
عن أنس ، فمن رغب عن سنّتي فليس مني ، (وتكثير الأمّة) أي التي بكثرت فيهم الأمّة
(فورد تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم) أي في الكثرة (يوم القيامة)
ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر . وعبد الرزاق في جامعه عن سعيد بن أبي بلال
مرسلاً ، وفي رواية تناكحوا تناسلوا أباهي بكم يوم القيامة ، وفي رواية أبي داود . والنسائي .
والبيهقي وغيرهم من حديث معقل بن يسار مرفوعاً ، تزوجوا الودود الولود فإني
مكاثر بكم الأمم ، ولأحمد . والبيهقي وصححه ابن حبان . والحاكم عن أنس ، كان
رسول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهى عن التبطل نها شديد ويقول : تزوجوا الولود والودود

وَلَوْ بِالسَّقَطِ، وَبِرَكَّةِ الدُّعَاءِ أَنْ بَقِيَ بَعْدَهُ، فَعَدَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « مِنْ أَعْمَلِ
 الْبَاقِي بَعْدَ الْمَوْتِ » وَالشَّفَاعَةُ أَنْ مَاتَ قَبْلَهُ، فَوَرَدَ « إِنَّ الطِّفْلَ يَجْرُ بِأَبَوَيْهِ إِلَى
 الْجَنَّةِ » وَأَفَاتٌ وَهِيَ كَسْبُ الْحَرَامِ فَالْمَعْلُ يُضْطَرُّ إِلَيْهِ لِلتَّوَسُّعِ، وَوَرَدَ فِيهِ أَنَّهُ
 هُوَ الَّذِي أَكَلَ عِيَالَهُ حَسَنَاتِهِ، وَفَوَاتُ الْحُقُوقِ،

فَأَيُّ مَكَائِرِ بَكِّ الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ولو بالسقط) وهو الولد الذي خلق بعضه، وقد ذكر
 البيهقي هذه الزيادة في المعرفة عن الشافعي أنه بلغه (وبركة الدعاء أن بقي) أي الولد (بعده)
 أي بعد والده (فعدّه عليه السلام من العمل الباقي بعد الموت) أي حيث قال: « كل عمل
 ابن آدم ينقطع الاثلاثة فذكر فيه ولد صالح يدعوله، ورواه مسلم من حديث أبي هريرة
 (والشفاعة) أي ببركة الشفاعة (أن مات) الولد (قبله) أي قبل والده فقد قيل نعم
 الولد أن عاش نفع وإن مات شفع (فورد أن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة) ابن ماجه من
 حديث علي وقال: السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ أن الطفل ليجرامه يسره إلى الجنة،
 وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة « يأخذ بثوبه كما أنا الآن أخذ بثوبك، وورد أيضا
 « أن المولود يقال له: ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محببنا - أي مبتلنا غيظا
 وغضباً - ويقول: لا أدخل الجنة الا بأبواي معي فيقال: ادخلوا أبويه معه الجنة، ابن حبان
 في الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وللنسائي من حديث أبي هريرة يقال لهم:
 ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤنا فيقال: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم، واسناده
 جيد وقد قيل: في تفسير قوله تعالى (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شئتم) وقدموا
 لأنفسكم تقديم الأطفال للآخره (وأفات) أي كثيرة ذكر منها ثلاث (وهي كسب
 الحرام فالمعيل يضطر إليه) أي إلى كسبه أو أكله (للتوسع) في الطعام (وورد فيه) أي
 أي في حق من كسب الحرام لعِيَالِهِ (أنه هو الذي أكل عِيَالَهُ حَسَنَاتِهِ) قال في الاحياء
 في الخبر أن العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية
 عِيَالِهِ والقيام بهم وعن ماله من أين اكتسبه وفيما انفقه حتى يستفرغ تلك المطالبات
 كل أعماله فلا يبقى له حسنة فتأدى الملائكة هذا الذي أكل عِيَالَهُ حَسَنَاتِهِ في الدنيا وارتحن
 اليوم بعمله، قال العراقي: لم أقف له على أصل، وقال بعض السلف: إذا أراد الله بعد شرا
 سلط عليه في الدنيا آياتا بانتهشه - يعني العيال - (وفوات الحقوق) أي الزوجية بالقصور

فورد « كُنِيَ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مِنْ يَمُولٍ » وَالشُّغْلُ عَنْهُ تَعَالَى بِتَدْيِيرِ
الْمَعِيشَةِ ، وَجَمْعُ الْمَالِ . وَالْإِدْخَارُ . وَالتَّفَاخُرُ . وَالْإِسْتِغْرَاقُ بِالْتَمَتُّعِ وَالْمُؤَانَسَةِ
فَإِنْ تَحَقَّقَتِ الْفَائِدَةُ . وَانْتَفَتِ الْآفَةُ يَتَعَيَّنُ النِّكَاحُ وَإِنْ اِنْعَكَسَ يَتَعَيَّنُ التَّجَرُّدُ .
وَأَنْ تَقَابَلَا

عن القيام بحقوقهن وعدم الصبر على اخلاقهن وعدم احتمال الاذى عنهن ﴿ فورد
كنى بالمرء اثما ان يضيع من يعول ﴾ أبو داود والنسائي بلفظه من يقوت وهو عند
مسلم بلفظ آخر وروى ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الآبق لا يقبل الله له صلاة
ولا صياما حتى يرجع اليهم، ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو هارب
عنهن ؛ وقال تعالى : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ امرنا أن نقيم النار كمانق أنفسنا
والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه فاذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف
اليه نفس أخرى والنفس اماره بالسوء واذا كثرت كثرت السوء غالبا وبذلك اعتذر
بعضهم عن التزوج وقال : انامبتلى بنفسى فكيف اضيف اليها نفسا اخرى لم تسع الفأرة
في جحرها علقت المكسر في دبرها، وكان سفيان يقول : يا حبذا العزبة والمفتاح ومسكن
تخرقه الرياح لاصخب فيه ولا صباح ﴿ والشغل عنه تعالى بتدبير المعيشة ﴾ ومنه
قوله تعالى : ﴿ شَغَلْنَاهُمْ أَموَالُهُمْ لِيُؤْمِنُوا فَاسْتَفْرَغْنَا ﴾ ﴿ وجمع المال ﴾ في الحال ﴿ والادخار ﴾
الاستقبال ﴿ والتفاخر ﴾ بالتكاثر بالاموال والاولاد بين الرجال وكل ما شغل عن
الله فهو مذموم في الحال والمآل، ومن هنا قال بعض الفضلاء : ضاع العلم في اتخاذ النساء،
وقال ابن ادم : من تعود اتخاذ النساء لم يحى منه شيء اى من مقامات الاولياء، وقال
أبو سليمان من تزوج ركن الى الدنيا اى واشتغل عن المولى وعن زاد العقبى ﴿ والاستغراق
بالتمتع ﴾ اى الاتفاح بالنساء ﴿ والمؤانسة ﴾ اى بالاجتماع معهن في المسكلمة والمجالسة
اذا عرفت ذلك وميزت بين الفوائد والآفات هنالك ﴿ فان تحققت الفائدة ﴾ بجميع
افرادها ﴿ وانتفت الآفة ﴾ بتمام موادها ﴿ يتعين النكاح ﴾ لمن قدر عليه بان كان له مال
حلال وخلق حسن وجد في الدين بان لا يشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب
محتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج الى تدبير المنزل والمعيشة ﴿ وان انعكس ﴾
بان انتفت الفائدة وتحققت الآفة ﴿ يتعين التجرد ﴾ فلا يميل اليه ﴿ وان تقابلا ﴾ اى

يَأْخُذُ بِالرَّاجِحِ . فَقَوَاتُ الشُّغْلِ بِهِ تَعَالَى وَطِيبَ اللَّقْمَةِ أَحْشُ مِنْ فَوَاتِ
 الْوَلَدِ لِأَنَّهُ لَا يَجْبِرُهُمَا وَلَا نَهْيُهُمَا مُوْهُومٌ وَهُمَا نَاجِرَانِ ، وَكَذَا الزَّنا أَحْشُ مِنْ
 كَسْبِ الْحَرَامِ لِأَنَّهُ قَتْلٌ حَكْمِيٌّ بِتَحْصِيلِ وَلَدٍ لَيْسَ بِهِ مَنْ يَقُومُ بِحَقِّهِ . وَلَا نَهْيُ
 حَرَامٍ لِعَيْنِهِ . وَالْكَسْبُ لَغَيْرِهِ بِخِلَافِ النَّظَرِ . وَالْهَمُّ لِدَوَامِ الْكَسْبِ وَسِرَايَةِ
 شَرِّهِ إِلَى الْغَيْرِ

الجنسان من الفوائد والآفات ﴿ يأخذ بالراجح ﴾ من الحالات ﴿ فقات الشغل به ﴾ تعالى و طيب اللقمة أحش من فوات الولد ﴿ بترك النكاح ، وصورته ان شخصا اذا تزوج يفوته الشغل بالمولى ويقع في لقمة الحرام من كسب الدنيا لكن يحتمل انه يحصل الولد له فينفعه في العقب فالراجح عدم الزوج ﴾ (لانه) أي وجود الولد على الفرض والتقدير ﴿ لا يجبرهما ﴾ أي لا يني بمقابلة فوت الشغل و طيب اللقمة ﴿ ولانه ﴾ أي الولد ﴿ موهوم ﴾ وجوده ﴿ وهما ﴾ أي فوتهما ﴿ ناجران ﴾ أي نافذ كل واحد في مرتبة شهوده ﴿ وكذا الزنا ﴾ أي وقوعه ﴿ افحش من كسب الحرام ﴾ وصورته ان شخصا اذا تزوج وقع في كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع في الزنا فالراجح الزوج ﴿ لانه ﴾ أي الزنا ﴿ قتل حكى بتحصيل ولد ليس به من يقوم بحقه ﴾ لان ولد الزنا كل احد يكرهه ولا اعتبار لنسبه وحسبه ﴿ ولانه ﴾ أي الزنا ﴿ حرام لعينه ﴾ أي لذاته مع عدم ملاحظة سائر جهاته . (والكسب) أي لان كسب مال الحرام حرام . (لغيره) أي لالذاته بل لاجل انه تعلق به حق غيره ، والحاصل ان كسب الحرام اهن الشرين في هذا المقام . (بخلاف النظر والهـم) أي القصد بفعل الزنا ، وصورته ان شخصا اذا تزوج وقع في كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع في النظر والهـم فالراجح عدم الزوج فهما ليسا بأحش من كسب الحرام بل هو أحش منهما . (لدوام الكسب) أي وندور النظر والهـم ولان كسب الحرام كبيرة وكل من النظر والهـم صغيرة . (وسراية شره) أي شر كسب الحرام . (الى الغير) من الزوجة والولد ونحوهما ، وأيضا النظر زنا العين ولكن اذا لم يصدق الفرج فهو اقرب الى العفو من أكل الحرام الا أن يخاف من افضاء النظر إلى معصية الفرج فيرجع ذلك الى خوف الغت بخلاف النظر والهـم من حيث لا يتعدى شرهما الى الغير فاذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهي ان يقوى على غض

وَعِنْدَ الْأَمْنِ؛ فَالْأَوَّلَى الْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعِبَادَةِ وَهُوَ عِنْدَ عَظَمِ الْقُوَّةِ كَمَا كَانَ
لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ لَمْ يَقْدِرْ فَالنِّكَاحُ لِصَاحِبِ الظَّاهِرِ وَالْعَزُوبَةِ
لِصَاحِبِ الْبَاطِنِ كَالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ثُمَّ الْأَصْلُ تَرْكُ الشَّاعِلِ عَنْهُ تَعَالَى فَيَنْظُرُ

البصر لكن لا يقوى على دفع الأفكار الشاغلة للقلب فالأولى ترك النكاح لأن عمل القلب إلى العفو أقرب فأنما يراد فراغ القلب لعبادة الرب ولا يتم العبادة مع كسب الحرام والله وإطعامه في العبادة (وعند الأمن) من الآفات (فالأولى الجمع بينه) أي بين الزوج (وبين العبادة) فإنه أكل الحالات وأفضل المقامات (وهو) أي الجمع (عند عظم القوة) في الدين كقوة النبوة والولاية فنقبت شوكة همته وعلت صولة نهيمته فلا يشغله شاغل عن ذكر الرب والتوجه إلى حضرته (لما كان لرسول الله ﷺ) وصحابته (وان لم يقدر) أي على الجمع بينهما (فالنكاح لصاحب الظاهر) أي لمن يشتغل بالعمل الظاهر أولى ومنهم أرباب العبادة (والعزوبة لصاحب الباطن) أي عمله ومنهم أصحاب المعرفة أقوى (كالمسيح عليه السلام) وتحقيقه ما قاله حجة الاسلام ان نيينا عليه الصلاة والسلام مع تسع من النسوة كان متخلياً للعبادة ومتخلياً لتجلى الحضرة فكان قضاء الوطر بالنكاح في حقه عليه السلام غير مانع له من المرام فلا يكون قضاء الحاجة في حق العوام من المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعاً لهم من تدبيرهم حتى أنهم يشتغلون في الظاهر بقضاء حاجاتهم وقلوبهم مستغرقة بهم غير غافلة عن مهماتهم فكان عليه السلام لعلومه من الدرجات في المقام لا يمنعه أمر هذا العالم عن حضور القلب مع الرب فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته ومتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره في حالته فلا ينبغي ان يقاس عليه من لا مناسبة له إليه وأما عيسى عليه السلام فإنه أخذ بالحزم في طاعته لا بالقوة في حالته ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال بالأهل والعيال أو يتعذر معهم طلب الحلال أو لا يتيسر له الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة على وجه الكمال فأثر التخلي للعبادة في عموم الأحوال وهم اعلم بأسرار أحوالهم وأحكام اعصارهم في مطالب انوارهم، وسبحان من اقام العباد فيما اراد (ثم الأصل) أي الذي عليه مدار العمل في النكاح والعزوبة ونحوهما (ترك الشاغل عنه تعالى) فقد قل عزوعلا: (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) (فينظر) أي يتفكر ويتأمل

وَيَخْتَارُ بِحَسَبِ الْبَاطِنِ . وَصَلَحَ الْقَلْبُ وَيَجْتَدِ الْمُتَخَلِّي فِي تَرْكِ أَغْذِيَةٍ تُحَرِّكُ
الشَّهْوَةَ وَقَطْعُهَا بِالصَّوْمِ الدَّائِمِ وَالِاقْتِصَارِ عِنْدَ الْإِفْطَارِ وَغَضُّ الْبَصَرِ وَهُوَ
بِالْإِعْتَزَالِ ، وَوَرَدَ (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) وَجَعَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لِكُلِّ عَضْوَةٍ ، هَذَا وَالنَّظَرَ يَهْجِجُ الْوَسَاوِسَ . وَرَبَّمَا يَتَعَلَّقُ الْقَلْبُ وَيَتَعَذَّرُ
الْوُصُولُ فَيَفِضُ إِلَى التَّعَبِ الشَّدِيدِ مَا يَسْتَوْفِي الْقَلْبَ . وَأيضاً كُلُّ عَضْوَةٍ يَصْلُحُ
لِنِعْمَةٍ أُخْرَى

(وَيَخْتَارُ) ما هو الاولى من النكاح وتركه (بحسب الباطن) أى صفاته (وصلاح
القلب) أى وضيائه (وَيَجْتَدِ الْمُتَخَلِّي) أى المتجرد للعبادة باختيار العزوبة (في
ترك اغذية) جمع غداء وهو ما يتغذى به من غداء وعشاء (تحرك الشهوة) أى
تقويها من هريسة ونحوها (وقطعها بالصوم الدائم) فانه لها وجاء أى دواء ثا تقدم
واصل الوجارض الخصيتين (والاقْتِصَارِ) أى بالاختصار (عند الإفطار) على
التوسط فى الاكل (وغض البصر) عن المحرمات (وهو بالاعتزال) يحصل على
وجه الكمال والافتعسر فى جميع الأحوال (وَوَرَدَ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ)
تمامه (ويحفظوا فروجهم) وفى عطف الجملة الثانية إشارة الى ان مدارها على الاولى فى
المحافظة (وجعل عليه السلام لكل عضو زنا) فعن ابن مسعود « العيان تزنيان واليدان
تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزني » أحمد والطبرانى (هذا) أى خذ هذا أو هذا
مضى (والنظر يهيج الوسواس) أى يبعثها ويحرك الهوا جس (وربما يتعلق
القلب) بالمنظور اليه (ويتعذر الوصول) بما لديه (فيفيض) ذلك التعلق (الى
التعب الشديد بما يستوفى القلب) من التعلق بالمطلب ويمتنع بالكلية عن ذكر الرب فعن
عيسى عليه السلام انه قال : اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب الشهوة كفى بها صاحبها فتنة
ولقد احسن القائل من أهل الفضائل حيث قال :

وانت اذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

رأيت الذى لا كله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر

(وأيضاً كل عضو يصلح لنعمة اخروية) فالرجل للشى فى رياض الجنة وقصورها

فَالْعَيْنُ لِلْقَائِنَةِ تَعَالَى حَقِيقٌ أَنْ تُصَانَ، ثُمَّ الصَّوَابُ فِي الْكَفِّ أَنْ قَدَّرَ وَلَا
فَالنَّجَاءُ وَلَا إِيَّاهُ إِنْ فَقَدَ الْقَصْدَ ، فَوَرَدَ «لَكَ الْأَوَّلَى وَعَلَيْكَ الثَّانِيَةُ» وَالضَّرَرُ فِي
الْأَمْرِ أَشَدُّ لِمَتَاعِ الْوُصُولِ فِي الشَّرْعِ ، وَيُرَاعَى الْمُتَزَوِّجُ الْإِعْتِدَالَ فِي الْوَقَاعِ
فَالْأَفْرَاطُ فِي الْجَمَاعِ يَقْهَرُ الْعَقْلُ بِصَرْفِ الْهَمَّةِ إِلَى التَّمَتُّعِ . وَيَحْرَمُ عَنِ الْمَقْصُودِ .
وَيُفْضَى إِلَى تَنَاوُلِ الْأَشْيَاءِ الْمُقَوِّيةِ لِلشَّهْوَةِ . وَهُوَ كَتْنِيهِ السَّبْعِ الضَّارِي وَالْعَشْقِ
وَهُوَ يَجْعَلُهُ أَضَلَّ مِنَ الْإِنْعَامِ .

واليد لكأس الشراب من طهورها وتناول ثمارها وحورها ﴿ فالعين للقائنه تعالى
حقيق ان تصان ﴾ أي تحفظ عما ليس في رضائه، والله در القائل :

وكيف ترى ليلي بعين ترى بها سواها وما طهرتها بالمدايع
وتظفر منها بالكلام وقد جرى حديث سواها في خروج المسمع

﴿ ثم الصواب ﴾ أي الطريق العدل للتخلي ﴿ (في الكف) ﴾ أي كف النظر وامتناع
البصر ﴿ (ان قدر) ﴾ على ذلك ﴿ (والا فالنجاه) ﴾ أي الفرار عما هنالك ﴿ (ولا ائتم ان فقد
القصد) ﴾ في النظره ﴿ (فورد) ﴾ أي انه عليه السلام قال لعلی : ﴿ (لك الأولى وعليك الثانية) ﴾
أي لك النظرة الأولى مباحة من غير قصد وعليك ضرر الثانية اذا كانت عن قصد
﴿ (والضرر) ﴾ أي ضرر النظر ﴿ (في الأمر أشد) ﴾ أي أقوى من المرأة ﴿ (لامتناع
الوصول في الشرع) ﴾ وزيادة القبح في العرف والفرع ﴿ (ويراعى المتزوج الاعتدال
في الوقاع) ﴾ أي الجماع وهو في كل اربع من الايام والليالي كما سيأتي ﴿ (فالافراط
في الجماع يقهر العقل) ﴾ أي يغلبه ﴿ (بصرف الهمة) ﴾ أي تمامها ﴿ (الى التمتع) ﴾ بالشهوة
ونظامها ﴿ (ويحرم عن المقصود) ﴾ الذي هو القيام بالعبادة ﴿ (ويفضى الى تناول
الاشياء المقوية للشهوة) ﴾ من المعاجين والأدوية والمركبة والمفردة ﴿ (وهو) ﴾ أي
تناولها ﴿ (كتنيه السبع الضاري) ﴾ أي الصائل على من يقربه والراحة في البعد
عنه أو القرب اليه مع نومه ﴿ (والعشق) ﴾ أي ويفضى اليه ﴿ (وهو) ﴾ أي العشق المعبر
عنه بفرط المحبة ﴿ (يجعله اضل من الانعام) ﴾ حيث لا يفرق بين الحلال والحرام وربما
يصير مجنوناً فيما بين الانام ، وانما قال: اضل منها لانها ترضى بقضاء شهوتها في أي

وَيَبْلُغُ الْخُطْبَةَ . وَإِنْ كَانَ تَزْوِيجُهَا لِلْوَلِيِّ وَيَنْظُرُهَا قَبْلَهُ تَقْرِيبًا لِلْأَلْفَةِ .
وَيَعْقُدُ فِي الْمَسْجِدِ ، فَوَرَدَ «اجْعَلُوهُ فِي الْمَسْجِدِ» وَفِي شَوَالٍ فَقِيهِ كَانَ نِكَاحُ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

جَلَّ كَانَ مِنْ نَهْمَتِهَا وَهَذَا لَضِيْقُ عَقْلِهِ لَا يَرْضَى إِلَّا فِي غَيْرِ مَحَلٍّ وَيَحْصُرُ مَوْضِعَ قَصْدِهِ
وَلَا يَمِيلُ أَبَدًا إِلَى غَيْرِهِ هـ (وَيَبْلُغُ) هـ عَطَفَ عَلَى يَرَاعَى أَيْ وَيُوصِلُ ﴿الْخُطْبَةُ﴾
بِالْكَسْرِ أَيْ الرِّسَالَةَ بِظَاهَرِ الرِّغْبَةِ لَكِنْ لَا فِي حَالَةِ عِدَّةِ الْمَرْأَةِ وَلَا فِي حَالِ سَبَقِ غَيْرِهِ
بِالْخُطْبَةِ أَذْنَبِي عَنْ الْخُطْبَةِ عَلَى الْخُطْبَةِ ، فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ هـ وَلَا يَخْطُبُ
عَلَى خُطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَتْرُكَ الْخَاطِبُ قَبْلَهُ أَوْ يَأْذَنَ لَهُ هـ (وَإِنْ كَانَ تَزْوِيجُهَا لِلْوَلِيِّ) بَانَ
كَانَتْ صَغِيرَةً هـ (وَيَنْظُرُهَا) هـ أَيْ وَيُرَى وَجْهَ الْمَخْطُوبَةِ ﴿قَبْلَهُ﴾ أَيْ قَبْلَ الْعَقْدِ ﴿تَقْرِيبًا
لِلْأَلْفَةِ﴾ فَيَسْتَحِبُّ النَّظَرَ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أُخْرِيَ أَنْ يُؤَلَّفَ بَيْنَهُمَا ، فِي الْخَبَرِ إِذَا وَقَعَ اللَّهُ فِي نَفْسِ
أَحَدِكُمْ مِنْ امْرَأَةٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَيْهَا ، ابْنُ مَاجَهٍ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمَةَ ،
وَلِلْتَرْمِذِيِّ . وَحُسْنُهُ . وَالنَّسَائِيُّ . وَابْنُ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ هـ أَنَّهُ خُطِبَ
امْرَأَةً فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أُخْرِيَ أَنْ يُؤَدَّمَ بَيْنَكُمَا ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ هـ «أَنْ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا فَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَزَوَّجَ مِنْهُنَّ فَلْيَنْظُرْ
إِلَيْهِنَّ» قِيلَ كَانَ فِي أَعْيُنِهِنَّ عَمَشٌ وَقِيلَ صَغُرَ أَوْ صَفُرَ ، كَانَ مِنَ الْوَرَعَيْنِ مَنْ لَا يَنْكِحُ
كَرِيمَتَهُ إِلَّا بَعْدَ النَّظَرِ احْتِرَازًا مِنَ الْغُرْرِ وَعَمَلًا بِالْخَبَرِ ، وَقَالَ الْأَعْمَشُ : كُلُّ تَزْوِيجٍ يَقَعُ
عَلَى غَيْرِ نَظَرٍ فَآخِرُهُمْ وَغَمٌّ ، وَلَعَلَّ وَجْهَ الْإِكْتِفَاءِ بِالنَّظَرِ لِأَنَّ الْغَالِبَ اجْتِمَاعُ حَسَنِ
الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ فَإِنَّ الظَّاهِرَ عُنْوَانَ الْبَاطِنِ هـ وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ
«خَيْرُ نِسَائِكُمْ الَّتِي إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا زَوْجُهَا سَرَّتَهُ وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ وَإِذَا غَابَ عَنْهَا
حَفِظَتْهُ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ» وَفِي رِوَايَةٍ وَلَا تَخَالَفُهَا «فِي نَفْسِهَا وَلَا مَالِهَا» (وَيَعْقُدُ فِي الْمَسْجِدِ)
مَعَ احْتِضَارِ جَمْعٍ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ فِي الْمَشْهَدِ (فَوَرَدَ اجْعَلُوهُ) أَيْ عَقْدَ النِّكَاحِ
(فِي الْمَسْجِدِ) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ عَنْ عَائِشَةَ مَرْفُوعًا بِسَنَدٍ حَسَنٍ . وَابْنُ حِبَّانٍ مِنْ حَدِيثِ
عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةِ الضَّمْرِيُّ بَلْفَظٍ هـ «أَعْلَنُوا النِّكَاحَ وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسْجِدِ وَاضْرَبُوا عَلَيْهِ
بِالدَّفِّ» (وَفِي شَوَالٍ) قَدْ يَتَبَادَرُ مِنْ قَوْلِهِ فِي شَوَالٍ أَنَّهُ عَطَفَ عَلَى فِي الْمَسْجِدِ فَيَكُونُ
الْأَمْرُ بِهِ وَارِدًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ هُوَ عَطَفَ عَلَى فِي الْمَسْجِدِ أَيْ وَيَعْقُدُ فِي شَوَالٍ رَدًّا
عَلَى مَنْ كَرِهَ الْعَقْدَ بَيْنَ الْعَبْدَيْنِ (فَقِيهِ) أَيْ فِي شَوَالٍ (كَانَ نِكَاحُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)

وَزَفَافُهَا . وَيَقْدُمُ الْخُطْبَةُ . وَالتَّحْمِيدُ . وَالصَّلَاةُ فِي كُلِّ مِنَ الْإِجَابِ
وَالْقَبُولِ . وَلَا يَتَزَوَّجُ لِعَزِّهَا وَمَالِهَا وَجَمَالِهَا فَقِيهِ وَعَيْدٌ ، وَيَخْتَارُ الْمَتَدِينَةَ لِثَلَا
تُفْسِدَ الدِّينَ ، فُورِدَ « عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ » وَالْحَسَنَةُ الْخُلُقِ

أى عقدها (وزفافها) أى وصولها فقى صحيح مسلم عن عائشة « تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال وبنى فى شوال » (ويقدم الخطبة) بالضم - يعنى المعروفة فى السنة - وهى الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدى الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) رواه الأربعة . والحال . وأبو عوانة عن ابن مسعود (والتحميد والصلاة) أى على النبى عليه السلام (فى كل من الإيجاب والقبول) فيقول المزوج : الحمد لله والصلاة على رسول الله زوجتك ابنتى فلانة على صداق كذا فيقول الزوج : الحمد لله والصلاة على رسول الله قبلت نكاحها لنفسى على هذا الصداق (ولا يتزوج) أى امرأة (لعزها) أى جاهها (ومالها وجمالها) فورد « وتنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين ، متفق عليه من حديث أبى هريرة (فقيه وعيد) وهو « من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم ماله وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله ماله وجمالها » كذا فى الاحياء . ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس « من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله الا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزد الله الا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله الا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يردبها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه » ورواه ابن جبان فى الضعفاء « لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يردبها » ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمرو بسند ضعيف (ويختار المتدنية لثلاث : تفسد الدين) على زوجها (فورد عليك بذات الدين) كما تقدم (والحسنة الخلق) بالضم أى السيرة فانها أحسن من الحسنة الخلق بالفتح وهو

لِيَحْصُلَ الْفَرَاغُ، وَالْجَمِيلَةُ فَالْصَّيَانَةُ فِيهِ أَكْثَرُ. وَالْمَنْعُوعُ هُوَ الْأَكْتَفَاءُ بِالْجَمَالِ
إِلَّا أَنْ يَكُونَ زَاهِدًا فَيَعْرِضُ عَنْهُ لِأَنَّهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَقَلِيلَةُ الْمَهْرِ، فَوَرَدَ « خَيْرُ
النِّسَاءِ أَرْخَصُهُنَّ مَهْرًا » يَمْنُ الْمَرْأَةُ خَفَةَ مَهْرَهَا وَيَسِرُ نِكَاحَهَا وَحَسَنُ خَلْقِهَا.

الصورة (ليحصل الفراغ) أي فراغ الخاطر، وهذا أصل مهم في الدين والدنيا بحسب
الباطن والظاهر (والجميلة) أي الحسنة الصورة (فالصيانة فيه) أي في هذا
النوع (أكثر) والقناعة فيه أظهر، وقد أخرج الحكيم الترمذي في نوادره أن
ذكرها عليه السلام « تزوج فتاة جميلة رائعة قد أشرق لها البيت حسنا فليل في ذلك
فقال: أكف بها بصرى واحفظ بها فرجى » (والمنعوع) على ما تقدم (هو الأكتفاء
بالجمال) مع قطع النظر عن صلاح الدين والكمال (إلا أن يكون) استثناء من
قوله ويختار الجميلة (زاهدا) أي غير راغب في لذات الدنيا (فيعرض عنه لأنه
من الدنيا) بل أكبر لحواتها وأعظم شهواتها ولأنه يقل مؤنة غير الجميلة وآفاتنا
وكان مالك بن دينار يقول: يترك أحدكم أن يتزوج بتيمة فقيرة فيؤجر فيها أن اطعمها
وكساها وتكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان - يعني أبناء
الدنيا - فتشتمى عليه الشهوات فتقول: اكسني كذا وكذا « وقال أبو سليمان الداراني:
الزهد في كل شيء حتى في المرأة تزوج الرجل بعجوز أثارا للزهد في الدنيا، واختار
أحمد بن حنبل عورا على أختها وكانت أختها جميلة فسأل عن عقلها فقيل العورا
فقال: زوجوني إياها » (وقليلة المهر فورد خير النساء أرخصهن مهرا) ابن حبان
من حديث ابن عباس ولفظه « خيرهن أيسرهن صداقا » (يمن المرأة خفة مهرها
ويسر نكاحها) ابن حبان من حديث عائشة « من يمن المرأة تسهيل أمرها
وقلة صداقها أي مهرها ، وقد جعل صداق فاطمة أربع مائة درهم وهي أفضل النساء
من جهة النسب والحسب إجماعا » (وحسن خلقها) يحتمل الضم والفتح وهو
أظهر لما روى أبو عمر التوفاني « أن أعظم النساء بركة أصبحن وجوها وقلبن
مهورا » ولفظ الأحياء « أرخصهن مهرا وأحسنن وجوها » ولأحمد والبيهقي « أن
أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا » وإسناده جيد، وفي لفظ لهما من حديث عائشة
« من يمن المرأة أن تيسر خطبتها وأن تيسر صداقها وأن تيسر رحبها قال عروة يعني
الولادة وإسناده جيد، وورد أنه عليه السلام « تزوج بعض نسائه على عشرة دراهم

وَالْوُلُودَ لِأَنَّ الْوَلَدَ هُوَ الْمَقْصُودُ، وَوَرَدَ «عَلَيْكُمْ بِالْوُلُودِ» وَالْبَكَرَ،
فَوَرَدَ «هَلَّا بَكَرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ» وَفِيهَا شِدَّةُ الْحُبِّ وَالْأَلْفَةِ وَالْثِيْبُ تَبْغِضُ
صَفَاتٍ تُخَالِفُ مَا لَوْ قَاتَهَا. وَيَمِيلُ طَبْعُهَا إِلَى الْأَوَّلِ. وَيَنْفَرُ الزَّوْجُ الثَّانِي
لَوْ ذَكَرَتْهُ. وَالنَّسِيَةَ مِنْ

وأثاث بيت و كان رحي يدوجرة ووسادة من آدم حشوها ليف، كذا في الاحياء وقال
المراقى: رواه أبو داود الطيالسي. والبخاري من حديث أنس «تزوج رسول الله
ﷺ على متاع قيمته عشرة دراهم، قال البخاري: روايته في موضع آخر «تزوجها على
متاع بيت و رحي قيمتها أربعون درهما، ورواه الطبراني في الأوسط، ولا أحد من حديث
علي «لما تزوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة آدم حشوها ليف ورحاين. وسقاء
وجرتين»، ورواه ابن حبان. والحاكم وصححه استاده. وابن حبان مختصره و كان عمر
ينهى عن المغالات ويقول: ما تزوج ﷺ ولا زوج بناته بأكثر من أربع مائة درهم،
رواه أصحاب السنن الأربعة وصححه الترمذي، وقد تزوج عبد الرحمن بن عوف على وزن
نواة من ذهب وتقويمها بخمسة دراهم، وأصل الحديث متفق عليه من حديث أنس
وزوج سعيد بن المسيب ابنته من عبد الله بن وداعة على درهمين ثم حملها هو إليه ليلا
فادخلها من الباب ثم انصرف فجاءها بعد سبعة أيام يسلم عليها (وَالْوُلُودَ لِأَنَّ الْوَلَدَ
هُوَ الْمَقْصُودُ) أَيْ الْأَعْظَمُ مِنَ النِّكَاحِ وَهُوَ التَّنَاسُلُ فَاتَّقَدَّمَ (وَوَرَدَ عَلَيْكُمْ بِالْوُلُودِ)
أَبُو دَاوُدَ. وَالنِّسَاءُ مِنْ حَدِيثِ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ «تَزَوَّجُوا الْوُلُودَ وَالْوُلُودَ»، وَاسْنَادُهُ صَحِيحٌ.
وَالْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ مَرْسَلًا خَيْرَ نِسَائِكُمُ الْوُلُودَ وَالْوُلُودَ، وَابْنُ
حَبَانَ مِنْ حَدِيثِ يَزِيدِ بْنِ حَكِيمٍ «سَوْدَاءُ وَلَوْ دَخِيرٌ مِنْ حَسَنَاءٍ لَا تُلِدُ»، وَعَنْ عُمَرَ الْخَضِيرِ
فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ خَيْرُ امْرَأَةٍ لَمْ تُلِدْ (وَالْبَكَرُ فَوَرَدَ هَلَّا بَكَرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ) مُتَّفَقٌ
عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَقَدْ نَكَحَ ثِيْبًا (وَفِيهَا شِدَّةُ الْحُبِّ وَالْأَلْفَةِ) لِمَا فِيهَا مِنْ عَدَمِ
الْخِلَاطَةِ وَالْكَلْفَةِ (وَالْثِيْبُ تَبْغِضُ صَفَاتٍ) فِي الزَّوْجِ الثَّانِي (تُخَالِفُ مَا لَوْ قَاتَهَا) وَتَبَايَنَ
مَا كَانَتْ تَلْقَى فِي أَزْوَاجِهَا مِنْ مَعْرِفَاتِهَا (وَيَمِيلُ طَبْعُهَا إِلَى الْأَوَّلِ) فَاقْبَلِ :

هـ ما الحب الا للحبيب الأول هـ ولذا قيل: المرأة التي تزوجت بمتعدد تكون في الجنة مع
الأول، وقيل مع الثاني، وقيل مع أحسنهم خلقا وهو الأخير (وَيَنْفَرُ الزَّوْجُ الثَّانِي لَوْ
ذَكَرَتْهُ) أَيْ الزَّوْجُ الْأَوَّلُ يَبْغِضُ مَحَاسِنَهُ كَمَا فِي الْعَكْسِ (وَالنَّسِيَةَ) الْكَاتِنَةَ مِنْ

أَهْلُ الدِّينِ لَيْسَ الصَّلَاحُ إِلَى الْوَلَدِ ، فَوَرَدَ « أَيَاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ »
 أَيْ الْحَسَنَاءَ مِنْ مَنبَتِ السُّوءِ . وَغَيْرِ الْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ فَهِيَ تَنْقُصُ الشَّهْوَةَ ، وَنَهَى
 عَنْهُ مُعَلَّلًا بِأَنَّ الْوَلَدَ خُلِقَ مَهْزُولًا ، وَجَاءَ الْاجْتِنَابُ عَنِ الطَّوِيلَةِ الْمَهْزُولَةِ .
 وَالْقَصِيرَةِ الدِّمِيمَةِ . وَالْمُسْنَةِ . وَالْمُكْثَرَةِ وَذَاتِ وَلَدٍ

أهل الدين) كبتات العلماء والاشراف والصالحاء دون الظلمة والامراء وسائر الاغنياء
 (ليسرى الصلاح الى الولد) فان الولد سراهيه (فورد اياكم وخضراء الدمن) تمامه
 « فقيل وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء ، الدار قطنى في الافراد من
 حديث أبى سعيد الخدرى قوله : (أَيْ الْحَسَنَاءَ مِنْ مَنبَتِ السُّوءِ) من أصل الحديث
 لا من تفسير المصنف ، وذكر صاحب تحفة العروس عن عمر موقوفاً ولفظه « اياكم
 وخضراء الدمن فانها تلد مثل أصلها وعليكم بذات الاعراق فانها تلد مثل أبيها وعمها
 وأخيها ، هو الدمن جمع دمنة بكسر الدال المهملة وهى البعر ، شبهت المرأة الحسناء الفاسدة
 بالنبات ينبت على البعر في الموضع الحديث فان ظاهره حسن وباطنه فاسد ، والاعراق
 جمع عرق والمراد به الأصل ، وقد ورد « تخيروا لنطفكم » ابن ماجه من حديث
 عائشة مختصراً والدليل فى مسند الفردوس من حديث أنس « تزوجوا فى الحجر
 الصالح فان العرق دساس » (وغير القرابة القريبة فهى تنقص الشهوة) لأن ميل
 النفس غالباً الى القريبة ولذا تضعف الشهوة بالنسبة الى العتيقة وتقوى عند رؤية
 الجديدة فتضعف الشهوة يستلزم الهزال فى الولد ، وهذا معنى قوله (ونهى عنه معللاً
 بأن الولد خلق مهزولاً) فعن عمر انه قال لآل السائب « قد اضويتم فانكمحوا فى
 التراب » رواه ابراهيم الحربى فى غريب الحديث ، وقال : معناه تزوجوا الفرائب
 ويقال : اغتربوا لا تضروا ، وللطبرانى عن طلحة بن عبيد الله « لنا كح فى قومك كالعشب
 فى داره » وفى اسناده سليمان بن أيوب بن سليمان الطلىحى ، قال ابن عدى : « عامة احاديثه
 لا يتابع عليه أحد » ، ورواه يعقوب بن شعبة فى مسنده وقال : أحاديثه عندى صحاح
 ورجحها الضياء المقدسى فى المختارة (وجاء الاجتناب عن الطويلة المهزولة والقصيرة
 البهيمية) بالمهملة أى القسيحة وبالمعجمة أى المذمومة (والمسنة) أى العجوز الكبيرة
 (والمكثارة) أى الكثيرة الكلام (وذات ولد) أى من غيره ، وفى مسند الامام

ثُمَّ رِعَايَةُ تِلْكَ الْأَوْصَافِ فِي الزَّوْجِ أَوَّلَى

أنى حنيفة عن حماد عن إبراهيم قال: أخبرني شيخ من أهل المدينة عن زيد بن ثابت أنه جاء إلى النبي ﷺ وقال له هل تزوجت يا زيد؟ قال: لا قال: تزوج تستمع مع عفتك ولا تتزوجن خمساً قال: ما هن؟ قال لا تتزوجن شهيرة ولا نهيرة ولا هيرة ولا هيرة ولا لغونا قال زيد: يا رسول الله لا أعرف شيئاً مما قلت قال: بلى أما الشهيرة فالزرقاء البدينة وأما النهيرة فالطويلة المهزولة، وأما الهيرة فالعجوز المديرة، وأما الهيرة فالقصيرة الدميعة وأما اللغوت فذات الولد من غيرك، قال الشيباني: ضحك أبو حنيفة من هذا الحديث طويلاً قلت والحديث رواه الديلمي عن أبي هريرة، وقال بعض العرب: لا تنكح من النساء ستاً أئنة . ولا منانة . ولا حنانة . ولا براقة . ولا حداقة . ولا شدافة فالأئنة التي تكثر الأئنين والمنانة التي تمن على زوجها بخدمتها أو مالها والحنانة التي تمنح إلى زوج آخر أو لها ولد مزوج آخر والحدافة التي ترمى كل شيء لحداقتها فتشبهه وتكلف الزوج بشرائه بما لا طاقة له فيه، والبراقة التي تكون طول نهاره في تصقيل وجهها وتزيين بدنها والشدافة المتشدقة الكثيرة الكلام، ويحكى أن السائح الأزدي لقي الياص عليه السلام في سياحته فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل وقال: لا تنكح أربعة المختلعة والمبارية والعامهرة والناشرة والمختلعة هي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب وعلة، والمبارية المباهية لعزها المفاخرة بمالها والعامهرة الفاسقة والناشرة المرتفعة بنفسها على زوجها والمخالفة في أمرها ونهيها (ثم رعاية تلك الأوصاف في الزوج أولى) فإن الطلاق بيد من له الساق فالوقوع في تصرفه أقوى كما لا يخفى، وعن عائشة واسماء بنتي الصديق « النكاح رقي فليظن أحدكم أين يضع كريمته » قال البيهقي: روى ذلك مرفوعاً والموقوف أصبح وورد « من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمتها » ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه الثقات من قول الشعبي بإسناد صحيح وروى ابن بلال وأوصهيا أتيا أهل بيت من العرب فخطبا إليهم فقبل لهما: من اتما؟ فقال بلال أنا بلال وهذا أخي صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكناعملو كين فاعتقنا الله وكناعائلين فاعانانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان رددمونا فسيحان الله فقالوا: بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال: لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ فقال: اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق، وكما تكره المغالاة في المهر من جهة المرأة يكره سؤال الرجل أيضاً عن مالها، قال الثوري: إذا تزوج الرجل وقال أي شيء للبرأة فاعلم أنه لص، وقال رجل للحسن قد خطب ابنتي

ويهادى ، فورد « تهادوا تحابوا » ويولم فهو مروى عنه عليه السلام
 قولاً وفعلًا ، ويعجل بها فهي في اليوم الأول سنة . وفي الثاني متعارف ، وفي
 الثالث رياء ،

جماعة فمن أزواجهما قال : بمن يتقى الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها ، وعن
 علي شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة اذا كانت
 بخيلة حفظت مالها ، وقال زوجها اذا كانت مزهوة استخفت ان تكلم كل احد بكلام
 لين مريب في حقها وان كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها قبل واذا كانت
 المرأة حسنة خيرة الاخلاق سوداء الخدقة والشعر كبيرة العين يضاء اللون محبة لزوجها
 قاصرة الطرف عليه . فهي على صورة الجور العين فان الله عز وجل وصف نساء الجنة
 بهذه الصفات في قوله : (خيرات حسان) أراد بالخيرات حسن الاخلاق وفي قوله : (قاصرات
 الطرف) وفي قوله (عربا ترايا) فالمعروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبذلك
 تتم اللذة ، والجور البيض والجوراء شديدة يياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر
 والعيناء الواسعة العين هذا ، وفي الحديث ، لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر
 بكم الادم ، الطيراني . والحاكم عن عياض بن غنم ، وللشيرازي وعليكم بشواب النساء
 فانهن اطيب افواها وانتقبطونا أي ارحاما واسخن اقبالا ، (ويهادى) أي كل منهما
 صاحبه قبل التزوج أو الرجل لانه أولى ان يكون في هذا الفعل هو البادى (فورد تهادوا
 تحابوا) البخاري في كتاب الادب المفرد والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند جيد
 « واذا أهدى شيئا فلا ينبغي ان يهدى ليضطرم الى المقابلة بأكثر منه » وكذا
 اذا هدوا اليه فنية طلب الزيادة فاسدة كما يشير اليه قوله تعالى : (ولا تمنن تستكثر)
 أي لا تعط لتطلب أكثر (ويولم) أي يصنع الوليمة وهي طعام العرس للمرأة النكيسة
 (فهو مروى عنه عليه السلام قولاً) وهو قوله عليه السلام لابن عوف « أولم ولو
 بشاة » مالك والجماعة عن أنس والبخاري عن ابن عوف (وفعلًا) ففي البخاري من
 حديث عائشة « أولم على بعض نساءه بمدين من شعير » وفي السنن الأربعة من حديث
 أنس « أولم على صفية بسويق وتمر » ولمسلم لجعل الرجل يجي بفضل التمر وفضل السويق
 وفي الصحيحين ، التمر والاقط والسمن ، (ويعجل بها فهي في اليوم الأول سنة) أي
 مؤكدة قربة الى الواجب (وفي الثاني متعارف) أي استحبابه (وفي الثالث رياء.)

وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ فَهُوَ إِذَاءٌ، وَيُعْلَنُ فَوْرَدٌ «أَعْلَنُوا النِّكَاحَ»
وَيَنْثُرُ السُّكْرَ وَاللُّوزَ عَلَى رَأْسِهَا. وَيَنْتَهَبُ الْقَوْمَ فَهُوَ سَنَةٌ

اي وسمعة في بابه فعن ابن مسعود مرفوعا «طعام أول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة» الترمذي والمعنى «إذا أحدث الله تعالى نعمة لعبده فله ان يحدث شكرا» واستحب ذلك في الثاني جبر المايقع من نقصان في الزوم الاول فان السنة مكمله لواجب واما اليوم الثالث فليس الارياء وسمعة، ومن هنا قالوا: يجب الاجابة على المدعو في الاول وتستحب في الثاني وتحرم في الثالث ثم يستحب التهنئة له بان يقال له بارك الله لك وعليك وجمع بينكما في خير كما رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه عن أبي هريرة «ولا يخطب على خطبة أخيه» وقد تقدم ماورد من نهيه عليه السلام «فهو إإذاء» أي للثمن وهو حرام قال تعالى: (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) وورد «من آذى مسلماً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله» الطبراني في الأوسط عن أنس «ويعلن» اي خطبة النكاح فان الخطبة يستحب اسرارها «فورد أعلنوا النكاح» تمامه واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدف، الترمذي من حديث عائشة وحسنه، وفي صحيح البخاري عن الربيع بنت معوذ «جاء رسول الله ﷺ فدخل على غداة ليلة نبي في مجلس على فراشي وجويريات لنا بضر بن بدوفهن ويندن من قتل من آبائي الى ان قالت احداهن وفتنا نبي يعلم ما في غد فقال لها: اسكتي عن هذا وقل ما كنت تقولين قبلها» وللترمذي وحسنه والفسائي وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب فضل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت أي فرق ما بينهما بحسب الظواهر عند العامة فان العقد بحضرة الشهود غالبا يكون في السرائر مع الخاصة، وقال الفقهاء: المراد بالدف مالا جلاجل له اذ وقع على خلاف القياس فيقتصر على موره اذ لم يكن في دف زمانه عليه السلام جلاجل. وأيضا فهي زيادة مستغنى عنها بحصول المقصود بدونها «وينثر السكر واللوز على رأسها وينتبه القوم فهو سنة» فقد أخرج أبو جعفر الطحاوي بسنده، وكذا البيهقي عن معاذ بن جبل «أن رسول الله ﷺ حضر ملاك رجل من الأنصار فجاءت الجوارى معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فامسك القوم أيديهم فقال عليه السلام: لم لا تنتهبون؟ قالوا: انك نهيت عن النهبة قال: أما العرسان فلا قال: فرأيت رسول الله ﷺ يجاذبهم ويجاذبونه واحتج

وَيَغْسِلُ الزَّوْجَ رِجْلَيْهَا. وَيَرْمِي الْمَاءَ فِي زَوَايَا الْبَيْتِ لَتَدْخُلَهُ الْبَرَكَةُ وَيَنْوِي
فِي الْمُبَاشَرَةِ تَحْصِينَ الْفَرْجِ. وَتَفْرِغِ الْقَلْبَ. وَيُسَمِّي فِي ابْتِدَاءِ الْوَقَاعِ. وَيَقْرَأُ
الْفَاتِحَةَ. وَيَسْأَلُهُ تَعَالَى الذَّرِيَّةَ الطَّيِّبَةَ. وَمُجَانِبَةَ الشَّيْطَانِ فَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ.

به الطحاوى على أن الثمار غير مكروه كما ذهب اليه أبو حنيفة وخص به على الاحاديث
التي فيها النهى عن النبهة ﴿ ويغسل الزوج رجليها ويرمي الماء في زوايا البيت
ليدخله البركة ﴾ لم أجده أصلا وإنما أخرج أحمد في المنائب من حديث أبي يزيد
المدني وقال : فأرسل النبي الى علي أي بعد عقد فاطمة لا تقرب حتى آتيك لجاء النبي
ﷺ فدعا بماء فقال ماشاء الله أن يقول ثم فاضح منه على وجهه ثم دعا فاطمة فقامت
اليه تعثر في ثوبها ورجلها قال في مرطها من الحياء ففضح عليها أيضا، وفي رواية ابن حبان
عن أنس انه عليه السلام لما زوج عليا فاطمة دخل البيت فقال لفاطمة : آتيني بماء
فقامت الى قعب في البيت فأتت فيه بماء فأخذه ووج فيه ثم قال لها : تقدمي فتقدمت
ففضح بين نديها وعلى رأسها وقال : (اللهم اني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم) ثم قال لها : أدبري فأدبرت فصب بين كتفيها وقال : ما قال أولا ثم قال لعلي :
آتيني بماء فأتى به ففضح بين ندييه ثم قال : اللهم اني أعيدته بك وذريته من الشيطان
الرجيم، ثم قال أدبر فأدبر فصب بين كتفيه ودعا بما تقدم ثم قال له ادخل بأهلك
بسم الله والبركة ﴿ وينوي في المباشرة ﴾ أي الجماع ﴿ تحصين الفرج ﴾ وكذا
العين لقوله سبحانه : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم)
﴿ وتفريغ القلب ﴾ أي عما يشغله عن ذكر الرب ﴿ ويسمى في ابتداء الوقاع ﴾
أي قبيل الجماع ﴿ ويقرأ الفاتحة ﴾ لم أجده الا في الاحياء من غير بيان الانباء. ويسأله
تعالى الذرية الطيبة ﴿ اقتداء بذكرها عليه السلام حيث قال : (قال رب هب لي من
لذلك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) ﴾ ومجانبة الشيطان فهو مأمور به ﴿ فروى الجماعة
عن ابن عباس « أنه اذا أراد الجماع قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان
مارزقتنا فانه لو قضى بينهما ولد لم يضره، وفي رواية البخاري « لم يضره شيطان أبدا،
ولابن أبي شيبة عن ابن مسعود ووقوفه قال واذا أنزل قال اللهم لا تجعل للشيطان فيما
رزقني سبيلا » ومن آذابه أن ينحرف عن القبلة اكراما لها ويغطي نفسه وأهله بثوب
فقد قال عليه السلام : واذا جامع أحدكم امرأته فلا يتجردا تجرد البهيمين ، ابن ماجه

وَيَحْتَبُ اللَّيْلَ الْأَوَّلَ مِنَ الشَّهْرِ . وَالْآخِرَ . وَالْوَسْطَ فَهُوَ أَوْقَاتُ حُضُورِ
الشَّيْطَانِ . وَأَوَّلَ اللَّيْلَةِ لِيَكُونَ النَّوْمُ عَلَى الطَّهَارَةِ . وَيَلْبِثُ بَعْدَ الْفَرَاغِ لَتَفْرُغَ ،
وَيُبَاشِرُ كُلَّ أَرْبَعٍ لَيَالٍ فَهُوَ الْاِعْتِدَالُ اسْتِدْلَالًا بِأَبَاحَةِ الْأَرْبَعِ .

من حديث عتبة بن عبد يسند ضعيف، ويقدم المكاملة والملاعبة والقبلة، فلديلي في
مسند الفردوس من حديث أنس « لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقعن البهيمة وليكن
بينهما رسول قيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال: القبلة والكلام » () ويحْتَبُ اللَّيْلَ
الْأَوَّلَ مِنَ الشَّهْرِ وَالْآخِرَ وَالْوَسْطَ فَهُوَ () وفي نسخة نهى () أَوْقَاتُ حُضُورِ الشَّيْطَانِ ()
ويقال: إن الشياطين يحضرون الجماع في هذه الليالي ويقال: إن الشياطين يجامعون فيها،
وروى كراهية ذلك عن علي . ومعاوية . وأبي هريرة كذا في الأحياء () وَأَوَّلَ اللَّيْلَةِ ()
أى ويحْتَبُ أَوَّلَ كُلِّ لَيْلَةٍ () لِيَكُونَ النَّوْمُ عَلَى الطَّهَارَةِ () فانه أولى من أن يكون
نومه على جنابة وإن جاعع فيها فيستحب أن يغتسل أو يتوضأ أو يتيمم ثم يرقده، ففي
حديث عمر قات النبي ﷺ: « أَيْتَامُ أَحَدِنَا وَهُوَ جَنْبٌ؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا تَوَضَّأَ » متفق عليه،
وعن عائشة « كَانَ يَنَامُ جَنْبًا لَمْ يَمْسُ مَاءً » أبو داود . والترمذى . وابن ماجه
() وَيَلْبِثُ بَعْدَ الْفَرَاغِ () أى ويمكث الرجل بعد فراغ منه () لَتَفْرُغَ () أى المرأة
من انزال منها فان انزالها ربما تأخر فتتهيج شهوتها ثم القعود عنها يكون إيذاء لها
() وَيُبَاشِرُ كُلَّ أَرْبَعٍ لَيَالٍ فَهُوَ الْاِعْتِدَالُ اسْتِدْلَالًا بِأَبَاحَةِ الْأَرْبَعِ () فقد روى أن
امراً جاءت الى عمر رضى الله عنه وعنده كعب بن سور فقالت: يا أمير المؤمنين إن
زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وأنا أكره أن أشكوه فقال عمر: نعم الرجل زوجك
فرددت كلامها وعمر لا يريد على ذلك فقال كعب يا أمير المؤمنين إنها تشكو زوجها
في هجرة فراشها فقال له عمر: فكما فهمت اشارتها فاحكم بينهما فأرسل الى زوجها فجاء
فقال لها كعب: ما تقولين؟ فقالت :

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الْحَكِيمُ أَرْشَدُهُ • أَلْهَى خَلِيلِي عَنْ فَرَاشِي مَسْجِدُهُ

زَهْدُهُ فِي مَضْجَعِي تَعْبِدُهُ • نَهَارُهُ وَلَيْلُهُ مَا يَرْقِدُهُ

وَلَسْتُ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ أَحَدُهُ

فَقَالَ لَزَوْجِهَا: مَا تَقُولُ؟ فَقَالَ :

وَيَزِيدُ لِحَاجَتِهَا فَتَحْصِيْنُهَا وَاجِبٌ، وَيَتَّخِذُ كُلُّ مِنْهَا خَرْقَةً لِإِزَالَةِ الْإِذَى،
وَيُضَاجِعُ الْحَائِضَ. وَيُؤَاكِلُهَا. وَيُشَارِبُهَا مَخَالَفَةً لِلْجَوْسِ. وَلَا يَأْتِيهَا جَانِبَ الدُّبْرِ
فَهُوَ اللَّوَاطَةُ الصَّغْرَى.

زهدي فراشها وفي السكك . اني امرؤ اذهلني ماقد نزل
في سورة النجم وفي السبع الطول

فقال له كعب :

ان لها عليك حقا يارجل . نصيبها في أربع لمن عقل
فاعطها ذاك ودع عنك الملل

فقال له عمر من أين لك هذا؟ قال: لأن الله تعالى أباح للحر أربع زوجات فلكل واحدة
يوم ويلة فأعجب ذلك عمر وجعله قاضي البصرة كذا في الشمني شرح النقاية مختصر الوقاية
وهو ولي الهداية في البداية والنهاية ﴿ وي زيد لحاجتها ﴾ وكذا لحاجته ﴿ فتحصينها
واجب ﴾ وكذا تحصيله بل أوجب في مقام دينه وحال يقينه ﴿ ويتخذ كل منهما خرقه ﴾
أي نظيفة ﴿ لازالة الإذى ﴾ وهو المني لأنه نجس عندنا وعلى القول بطهارته
كما هو في مذهب الشافعي فلا يخلو عن كراهة الطبيعة مع أن الخروج عن الخلاف
مستحب باجماع علماء الشريعة ﴿ ويضاجع الحائض ﴾ أي ويرقد معها ولا يحتب
عن أن يعاقبها ﴿ ويؤاكلها ويشاربها مخالفة للمجوس ﴾ واخوانهم من الروافض
النحوس ﴿ ولا يأتيا جانب الدبر فهو ﴾ وفي نسخة فهي ﴿ اللواطه الصغرى ﴾ ولو جانب
لفظ الجانب إمكان أحسن في تعيين المراتب فانه تعالى قال : ﴿ نسأوكم حرث لكم فأتوا
حرثكم أني شئتم ﴾ أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات ، وللتزمذي عن ابن عباس وقال
حسن صحيح أن عمر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هلكت قال: وما
الذي أهلكك؟ قال: حولت رحلي الباردة فلم يرد عليه شيء وأوحى إليه ﴿ نسأوكم
حرث لكم فأتوا حرثكم أني شئتم ﴾ يقول أقبل وادبر واتق الدبر والحیضة كذا
في المعالم وفي الصحيحين أن قوله ﴿ نسأوكم حرث لكم ﴾ الآية نزلت ردا لليهود كانت
تقول في الذي يأتي المرأة من دبرها في قبلها أن يكون الولد أحول، ثم المراد بالحرث موضع
الزراعة ومنبت الولد، وأما الدبر فهو محل الروث والقرث وإنما قال: اللواطه الصغرى

وَلَا يَدُومُ عَلَى تَرْكِ الْوُطْءِ فَهُوَ يُضْعَفُ الْقُوَّةُ . وَلَا يَبَاشِرُ بَعْدَ مُبَاشَرَةٍ أَوْ
اِحْتِلَامٍ إِلَّا أَنْ يَغْسِلَ نَفْسَهُ أَوْ يَبُولَ . وَلَا يَعْزِلُ فَهُوَ كَالْجُلُوسِ فِي الْمَسْجِدِ بِلَا
عِبَادَةٍ . وَالْإِقَامَةُ بِمَكَّةَ بِلَا حَاجٍ . وَلَا يَأْتُمُّ بِهِ إِنْ نَوَى اسْتِيقَاءَ الْمَلِكِ فِي الْجَارِيَةِ .
وَالْحُسْنِ . وَالسَّيِّئَةِ لِلتَّمَتُّعِ . وَالْحَيَاةِ بِالتَّحَرُّزِ عَنِ الْخَاضِ .

فان الكبرى انما هي مع الرجال ، ولا خلاف بين السلف والخلف في ان غشيان المرأة
والجارية في دبرها ملعون فاعله ونص مالك بحرمة فما نقل عنه افتراء ليس فيه
امتراء، كيف وغشيان الخائض حرام لكونه اذى واذى الدبر اشد واقوى ، وقد
ورد عن أحمد في المسند وأبي داود عن أبي هريرة مرفوعا « ملعون من أتى امرأة
في دبرها » وفي رواية لاحد وأصحاب السنن الأربعة عنه أيضا « من أتى كاهنا فصدقه
بما يقول أو أتى امرأة حائضا أو أتى امرأة في دبرها فقد بريء » بما أنزل على محمد ﷺ ،
(ولا يدوم على ترك الوطء فهو يضعف القوة) أي على قواعد اهل الحكمة
ولعل هذا بالنسبة الى كثير الشهوة (ولا يباشر بعد مباشرة او احتلام الا ان يغسل
نفسه) اي ذكره (او يبول) فانهما يقطعان المني فاذا خرج بعدهما شيء يكون مذبا
(ولا يعزل) والمعتمد ان يستأمر الحرية في العزل دون الأمة وكره جماعة العزل مطلقا
لما ورد من قوله عليه السلام : هو الواد الخفي كافي مسلم من حديث جذامة بنت وهب
فانه القتل الحكي (فهو) أي العزل (كالجلوس في المسجد بعبادة) لانه طاعة
في موضع ليس فيه اثر فائدة سعادة (والاقامة بمكة بلا حرج) أي في كل سنة وكذا بلا
طواف في كل يوم ووليلة فالمراد بالكراهة ترك الاولى والفضيلة وبغير العزل الواد
الجلي بان الثاني جناية على موجود أو مشهود ولذا قال على كرم الله وجهه لا تكون مؤودة
الا بعد سبع أي سبعة اطوار وتلا الآية الواردة في اطوار الخلقة وهي قوله تعالى :
(ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين) الى قوله
(ثم أنشأناه خلقا آخر) أي نفخنا فيه الروح (ولا يأتُمُّ به) أي بالعزل (ان نوى
استيقاء الملك في الجارية) بترك الاعتاق ثم اذ قطع اسبابه ليس بمنهى عنه (والحسن
والسيئة للتمتع) أي واستيقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع بها (والحياة
أي واستيقاء الحياة) بالتحرز عن الخاض (وهو وجع النفاس حال الطلق ، وهذا أيضا

وَالْخَوْفَ مِنَ الْإِفْضَاءِ إِلَى كَسْبِ الْحَرَامِ فَكَانُوا يَعْزِلُونَ وَمَانُوا عَنْهُ. وَإِنْ كَانَ فِيهِ تَرْكُ الْفَضِيلَةِ. وَهُوَ التَّوَكُّلُ، فَوَرَدَ «مَنْ تَرَكَ النِّكَاحَ خِفَ الْعِيْلَةَ فَلَيْسَ مِنَّا»، وَيَأْتِيهِمْ أَنْ خَافَ وَلَادَةَ الْبِنْتِ فَهُوَ عَادَةُ الْجَاهِلِيَّةِ. أَوْ أَرَادَ بِالْمَبَالِغَةِ فِي النِّظَاقَةِ فَهُوَ بَدْعٌ.

ليس منها عنه ﴿والخوف﴾ أى وان نوى المخافة ﴿من الإفضاء الى كسب الحرام﴾ بسبب كثرة الأولاد وما يترتب عليه من كثرة الخروج في البلاد ودخول مداخل السوق ومحافل الفساد ومشاركة أهل العناد ومباعدة الزهاد والعباد وهذا أيضا ليس بمنهى عنه ﴿فكانوا﴾ أى الصحابة ﴿يعزلون وماهوا عنه﴾ فى الصحيحين عن جابر «كنا ننزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل» زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله فلم ينهنا، وفى رواية لمسلم من حديث أبى سعيد رآهم سألوه عن العزل فقال: لا عليكم ان لا تفعلوا، ورواه النسائي من حديث أبى صرمة، وفى صحيح مسلم عن جابر أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال ان لى جارية وهى خادمنا وسانيتنا فى النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال: اعزل عنها ان شئت فانه سيأتها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال: ان الجارية قد حبلت فقال قد اخبرتك انه سيأتها ما قدر لها، وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد «ما من نسمة قدر كونها الا وهى كاتنة» ﴿وان كان فيه﴾ أى ولو فى العزل خوفا من الإفضاء الى كسب الحرام ﴿ترك الفضيلة وهو التوكل﴾ والضمان بثقة الله عز وجل حيث قال: (وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها) ﴿فورد من ترك النكاح مخافة العيلة فليس منا﴾ أى من اخلاقنا وقد سبق الكلام عليه ﴿ويأتهم ان خاف ولادة البنت﴾ لما فى تزويجهم من المعرفة ﴿فهو﴾ أى خوفها ﴿عادة الجاهلية﴾ فى قتلهم البنات ووأدهن فى حال الحياة كما أخبر الله سبحانه عنهم فى الكتاب (واذا بشر احدكم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب) ﴿أواراد به المبالغة فى النظافة﴾ بتعزوها وكما تميزها من الطلق والنفاس والرضاع وما يتبعها فيأثم بالعزل اذا نواها ﴿فهو﴾ أى العزل بهذا القصد ﴿بدعة﴾ لانها عادة الخوارج لمبالغتهم فى استعمال المياه حتى كن يقضين صلاة ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهى نية فاسدة، وقد استأذنت

وَيَفْرَحُ بِالْمَوْلُودِ، فَرَدَّ «أَنَّهُ نُورٌ فِي الدُّنْيَا وَسُرُورٌ فِي الْآخِرَةِ» وَلَا يَغْتَمُّ
بِالْبَنَاتِ لِأَنَّ الصَّلَاحَ مُسْتَوْرٍ. وَيَزْدَادُ فَرَحًا مَخَالِفَةً لِلْجَاهِلِيَّةِ، وَوَرَدَ «بِرَكَّةِ الْمَرْأَةِ
تَبْكِيرُهَا بِالْبَنَاتِ مِنْ ابْتِلَى مِنْهُنَّ بَشْيٌ فَاحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»

واحدة منهن على عائشة لما قدمت البصرة فلم تأذن لها ﴿ويفرح بالمولود﴾ فانه
المقصود في ميدان الوجود وايوان الشهود ﴿فوردانه نور﴾ أي للعين ﴿في الدنيا
وسرور﴾ أي للقلب ﴿في الآخرة﴾ أي عند شفاعته في العقبى ولم أجده أصلاً، وقد
قيل الولد إذا عاش نفع وإذا مات شفع، وقد ورد «الولد ثمرة القلب وانه مجبنة محزنة
مبغلة» أبو يعلى الموصلي عن أبي سعيد، وفي رواية الجسيم عن خولة بنت حكيم «الولد
من ريحان الجنة» وفي الجملة هو هبة من الله كما يشير إليه قوله سبحانه (يهب لمن يشاء آناً
ويهب لمن يشاء الذكور) ﴿ولا يغم بالبنات لان الصلاح مستور﴾ اذ قد يكون
الابن صالحاً والبنات بخلافه وقد يكون الأمر بالعكس أو يراد بالصلاح النفع والنجاح
وهو أيضاً مبهم كما يشير إليه قوله تعالى: (آبؤكم وأبنؤكم لا تدرؤن أيهم أقرب لكم
نفعاً) ﴿ويزداد فرحاً﴾ أي لولادة البنات بالتكليف فيه بإظهاره ﴿مخالفة للجاهلية﴾
حيث قال تعالى: (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم)
وورد «من خرج الى سوق من أسواق المسلمين فاشترى شيئاً لحمله الى بيته فخص به
الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه» الخرائطي بسند ضعيف
وفي رواية له «فيبدأ بالاناث قبل الذكور» ﴿وورد بركة المرأة تبكيرها﴾ أي اول
ولادتها ﴿بالبنات﴾ الدليل على عائشة وائلة كلاهما مرفوعاً بلفظ «من بركة
المرأة تبكيرها بالاناث» وحكاة ابن عطية عن الثعلبي موقوفاً على وائلة بلفظ «من
يمن المرأة تبكيرها بالاناث قبل الذكر لان الله تعالى بدأ بالاناث يعني قوله تعالى
(يهب لمن يشاء آناً)» وعن ابن عباس «ان رجلاً دعا على بناته بالموت فقال النبي
ﷺ: لا تدع فان البركة في البنات» ذكره السخاوي ﴿من ابتلى منهن﴾ أي بالبنات
﴿بشيء﴾ أي قليلاً أو كثيراً ﴿فاحسن اليهن﴾ بالترية ﴿كن له سترًا من النار﴾
أي حجاباً بأحمد والشيخان والترمذي عن عائشة بلفظ «من ابتلى من هذه البنات»
الحديث، وعن ابن عباس «ما من احد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا
أدخلتهما الجنة» ابن ماجه، والحاكم، وقال: صحيح الاسناد، وعن أنس «من كان له ابنتان

وَيُؤْذَنُ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى . وَيَقِيمُ فِي الْيُسْرَى ، فَوَرَدَ فِيهِ «دَفَعَتْ عَنْهُ أُمُّ
الصَّيَّانِ» وَيَقْطَعُ سَرْتَهُ . وَيَمِيطُ الْأَذَى . وَتَرْضِعُهُ الْأُمُّ فَمَوْسِنَةٌ . وَلَا تَسَامُ .
وَلَا يَتَبَرَّمُ . وَلَا يَتَضَجَّرُ

أو اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت أنا وهو في الجنة كمتين، الخرائطي في مكارم
الآخلاق بسند ضعيف، ورواه الترمذي بلفظ «من عال جارتين» وقال: حديث
حسن غريب، وعن ابن مسعود «من كانت له ابنة فأدبها فأحسن أدبها وغذاها فأحسن
غذاها واسبغ عليها من النعم التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى
الجنة» الطبراني في الكبير والخرائطى في مكارم الآخلاق، وعن أبي هريرة «من
كانت له ثلاث بنات أو اخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن ادخله الله الجنة بفضل
رحمته إياهن فقال الرجل واثنان يارسول الله قال واثنان فقال رجل أو واحدة فقال
أو واحدة، الخرائطي واللفظ له والحاكم ولم يقل أو اخوات وقال: صحيح الاسناد
(ويؤذن في أذنه اليمنى) أي في أول ما يلد ليكون أول ما يقرع سمعه ذكر الله عز وجل
ودعوة الداعي إلى طاعته وعبادته (ويقيم في اليسرى) فيكون سببا لحضوره في
المسجد واداء الصلاة بجماعة، وعن أبي رافع «رأيت رسول الله ﷺ اذن في اذن الحسين
حين ولدته فاطمة» أحمد واللفظ له وأبو داود والترمذي وصححه إلا أنهم قالوا الحسن
مكبرا (فورد فيه) أي فيما ذكر من الأذان والاقامة أو في جمعهما (دفعت عنه أم
الصيان) فإنها من جنس الشيطان وهم يبعدون عن الأذان لكمال العدوان، وعن
الحسين بن علي «من ولد له مولود فاذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى دفعت
عنه أم الصيان، أبو يعلى الموصلي وابن السني «في اليوم واليلة» واليهيقي في شعب
الايمان (ويقطع سرتة ويميط الأذى) أي يزيله وهو الدم ونحوه عز بدنه لما سيأتي
(وترضعه الأم) أي ولو مرة فانه أول تربية فيختص بأشفق الناس وأرحمها وليصدق
على أمه ما قال تعالى: (حلت أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)
ولتخرج عن عهدة ظاهر الأمر في قوله سبحانه: (والوالدات يرضعن أولادهن)
الآية، وقوله (فهو سنة) لم أجد لها أصلا (ولا تسام) أي لا تمل الأم، وفي
نسخة ولا تسام بصيغة المعلوم للثبوت أو المجهول للمذكر (ولا يتبرم ولا يتضجر

أَحَدُ بَيْكَاتِهِ فَهُوَ ذَكَرٌ كَأُورَدَ ، وَجَاءَ الْاِخْتَانُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ ،
وَقِيلَ : يُؤَخَّرُ عَنْهُ مَخَالَفَةُ لِلْهُودِ . وَتَحَامِيًّا عَنِ الْخَطَرِ ، وَوَقْتَهُ سَبْعَ سِنِينَ
وَتَحْنُ الْاِثْنَى فُورَدَ « أَنَّهُ مَكْرَمَةٌ » وَهُوَ يَنْضُرُ الْوَجْهَ وَيَقْتَرُ الشَّهْوَةَ . وَيُلْذُ
الْوَقَاعَ . وَيَحْبِبُ إِلَى الزَّوْجِ . وَلَا يَبَالُغُ فِيهِ . وَيَحْسُنُ الْأَسْمَ ، فُورَدَ « حَسَنُوا
أَسْمَاءَ أَوْلَادِكُمْ »

أحد بيكاته فهو ذكر كأورد) عن ابن عمر مرفوعاً « بكاء الصبي إلى شهرين شهادة أن
لا إله إلا الله وإلى أربعة أشهر الثقة بالله وإلى ثمانية أشهر الصلاة على النبي عليه السلام
ولستين استغفار لوالديه » أخرجه الدليل بسند ضعيف ، وفي لفظ لغيره « بكاء الصبي
في المهد أربعة أشهر توحيد وأربعة أشهر صلاة على نبيكم وأربعة أشهر استغفار لوالديه »
ذكره السخاوي في القول البديع) وجاء الاختتان في اليوم السابع) فانه مهما
كان صغيراً يبقى القطع يسيراً ، وقد روى الطبراني في الصغير من حديث جابر بسند
ضعيف « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة
أيام » ورواه الحاكم وصححه اسناده والبيهقي من حديث عائشة) وقيل يؤخر
عنه) أي حتى يصير كبيراً) مخالفة لليهود) فانهم يعجلون في هذا الأمر) وتحمياً
عن الخطر) أي خطر المولود عن الموت فان الخطر في حال الصغير أكثر من زمان الكبر
« (ووقته) أي وقت غاية تأخيرته » (سبع سنين) « أو عشر سنين أو ما يطاق الم فيه
وقد اختن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين وذلك لانه أمر حينئذ فهو أول من
اختن ويترك لو ولد شيئاً بالختن » (وتحن الأثنى) « أي البنت » (فورد انه
مكرمة) « أي سبب كرامة عند أزواجهن عن ابن عباس » الختان سنة للرجال ومكرمة
للنساء ، الطبراني « (وهو) أي اختان الأثنى « (ينظر الوجه) أي يحسنه « (ويفتر
الشهوة) أي يسكنها « (ويلذ الوقاع) أي الجماع « (ويحبب إلى الزوج) وهو سبب
محبة الزوجة « (ولا يبالغ) بصيغة المجهول « (فيه) أي في الختان أو في ختانها بالخصوص
(ويحسن الاسم) أي اسم ولده فانه من جملة حقوقه على والده « (فورد حسنوا
أولادكم) أبو داود من حديث أبي الدرداء قال التوى باسناد جيد ، وقال البيهقي :
انه مرسل ولفظه « انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسماءكم

وَالْتَعِيدُوا حُبًّا، فَوَرَدَ «إِذَا سَمِيتُمْ فَعَبَدُوا» وَاحِبُ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ . وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ اسْمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُنْيَتِهِ، فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ، وَقِيلَ: كَانَ ذَلِكَ فِي عَهْدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُبَدِّلُ الْأِسْمَ السَّيِّئَ فَبَدَّلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْمَ الْعَاصِي بِعَبْدِ اللَّهِ . وَبَرَّةٌ بَزِينَبَ، وَقَالَ: تَزَكَّى نَفْسَهَا . وَنَهَى عَنْ أَفْلَحَ، وَنَافِعَ . وَبَرَكَةٌ تَحَامِيًا عَمَّا قِيلَ لَيْسَ فِي الدَّارِ بَرَكَةٌ، وَيُسَمَّى السَّقَطُ وَإِنْ جُهِلَ صِفَتُهُ فِيمَا

وورد ، حق الولد على والده ان يحسن اسمه وبوجه اذا أدرك ويعلمه الكتابة ، أبو نعيم والدليل عن أبي هريرة وفي رواية زيادة والسباحة والرمية ، (والتعيد) اضافة العبد الى اسماء الرب (احب) أى افضل (فورد اذا سميت) أى اردتم أن تسموا اولادكم (فعبدوا) الطبراني من حديث عبد الملك بن زهير عن أبيه (واحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن) مسلم من حديث ابن عمر (ولا يجمع بين اسمه عليه السلام وكنيته فهو) أى الجمع بينهما (منهى عنه) لحديث وسموا باسمي ولا تكونوا بكنتي ، متفق عليه من حديث جابر ، وفي لفظ وسموا ، قيل النهى عن التكنية وحدها ، وكان هذا المنع في عصره اذا كان ينادى يا أبا القاسم فلا بأس بعده نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته لما رواه أحمد وابن حبان من حديث أبي هريرة ، ولا في داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث جابر ، من تسمى باسمي فلا يكتنى بكنتي ومن تكتنى بكنتي فلا يتسمى باسمي ، (وقيل كان ذلك) أى النهى عن الجمع بينهما (في عهده عليه السلام) أى في زمانه لعله الالتباس وأما اليوم فلا (ويبدل الاسم السيئ) أى يغيره بغيره من الاسم الحسن (فبدل عليه السلام اسم العاصي بعبد الله وبرة) بفتح الموحدة (بزينب وقال) باستفهام مقدار انكارها لها (تزكى نفسها) فان برة مبالغة بارة وهى عاملة البر بالكسر رواه الشيخان عن أبي هريرة نحوه (ونهى) أى عليه السلام (عن افلح) أى عن التسمية بافلح (ونافع وبركة) رواه مسلم من حديث سمرة بن جندب الا أنه جعل مكان بركة رباحا (تحاميا عما قيل) أى يقال (ليس في الدار بركة) يعنى أو نافع أو افلح واماثال ذلك (ويسمى السقط وان جهل صفته) أى من الذكورة والانوثة (فيما) أى فيسمى

يَصْلَحُ لِلذَّكَرِ . وَالْإُنْثَى . كَحَمْزَةٍ . وَطَلْحَةٍ . وَلَا يُكْنَى بِأَبِي عَيْسَى إِذَا لَابَّ لَهُ . وَنَهَى عَنْهُ . وَيَعْقُّ عَنِ الْإِبْنِ بِشَاتَيْنِ . وَعَنِ الْبِنْتِ بِشَاةٍ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ . فَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ ، وَعَقٌّ عَنِ الْحَسَنِ بِشَاةٍ . وَيَحْلُقُ رَأْسَهُ . وَيَتَصَدَّقُ عَلَى وَزْنِ شَعْرِهِ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً . فَأُمِرَتْ بِهِ فَاطِمَةُ فِي الْحُسَيْنِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ .

باسم ((يصلح للذكر والأنثى)) بان يكون في آخره تاء ((كحمزة وطلحة)) فعن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية قال: بلغني أن السقط يوم القيامة وراءه والديه يقول: أنت ضعيتي أنت تركنتي لا اسم لي فقال عمر بن عبد العزيز كتيف وقد لا يرى أنه غلام أو جارية فقال عبد الرحمن: من الأسماء ما يجتمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وعندسة ((ولا يكنى بأبي عيسى إذا لآب له)) أى لعيسى عليه السلام ((ونهى عنه)) أى عن التكنى المذکور لما يؤهم من خلاف المرام في سماع العوام في الأحياء سمى رجل أبا عيسى فقال عليه السلام إن عيسى عليه السلام لا أب له فذكره ذلك انتهى ولم يتعرض له بخرجه ((ويعق عن الابن بشاتين وعن البنت بشاة)) ولا بأس بالشاة ذكرًا كان أو أنثى ((في اليوم السابع)) من الولادة ((فهو مأمور به)) روت عائشة أنه عليه السلام د امر في الغلام بشاتين مكافئتين وفي الجارية بشاة، الترمذي وصححه ((وعق عن الحسن بشاة)) واحدة وهذا رخصة في الاختصار على شاة واحدة، والحديث رواه الترمذي من حديث علي وقال ليس إسناده بمتصل ووصله الحاكم وصححه إلا أنه قال حسين، ورواه أبو داود، من حديث ابن عباس إلا أنه قال كبشاً، والبخاري من حديث سلمان بن عامر الضبي د مع الغلام عقيقته فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى وعن عائشة د لا يكسر للعقيقة عظام، كذا في الأحياء وأمل وجهه تفاؤلاً بصحة الأعضاء وقال قتادة د إذا بحت العقيقة أخذت صرقة منها فاستبل بها أو داجها ثم توضع على يافوخ الصبي حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعده، كذا في الأحياء ((ويحلق رأسه)) أى في السابع لما سياتى أوفى الأربعين كما عليه عمل أهل الحرمين ((ويتصدق على وزن شعره ذهبا أو فضة)) وهي المعروف كما سياتى ((فأمرت به فاطمة في الحسين في اليوم السابع)) قال العراقي: حديث أمر فاطمة ويوم سابع حسين أن يحلق شعره ويتصدق بزنة شعره فضة د الحاكم وصححه من حديث علي وهو عند

وَيُطْلَى السَّكْرُ . أَوْ التَّمْرُ الْمَمْضُوعُ فِي لَهَانِهِ فَعَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الزَّيْبِرِ حِينَ جَاءَتْ بِهِ أُمُّهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

﴿الباب السادس في الكسب والورع﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَرَدَّ « مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا حَلَالًا تَعَفَّقًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ

وَسُعْيًا عَلَى عِيَالِهِ . وَتَعَطُّفًا عَلَى جَارِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَوَجْهَهُ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » ، وَمَنْ

طَلَبَ الدُّنْيَا مُفَاخِرًا

الْتِمَذَى مُنْقَطِعٌ بِلَفْظِ حَسَنٍ وَرَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ ﴿ وَيُطْلَى السَّكْرُ ﴾
أَيُّ يُلَطِّخُهُ أَنْ تَيْسَرَ أَوْ الْعَسَلُ ﴿ أَوْ التَّمْرُ الْمَمْضُوعُ فِي لَهَانِهِ ﴾ بِفَتْحِ اللَّامِ أَيْ أَقْصَى
خَلْقِهِ مِنْ حَنْكَةٍ ﴿ فَعَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ حِينَ جَاءَتْ بِهِ أُمُّهُ أَسْمَاءُ
بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَسْمَاءَ وَوَلَدَتْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّيْبِرِ بَقَاءَ
ثُمَّ أَنْتَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ فِي حَجْرِهِ ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ لَمْضَغُهَا ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ
فَنَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ دَخَلَ جَوْفَهُ رَيْقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ حَنْكَةً بِتَمْرَةٍ ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَرَكَ
عَلَيْهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ فِي الْإِسْلَامِ قَفَرَحُوا بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا لِأَنَّهُمْ قِيلَ لَهُمْ : إِنْ الْيَهُودَ
قَدَسَحَرْتُمْ فَلَا يُولِدُ لَكُمْ ، وَبَقِيَّةُ حَقِّكَ الْوَلَدُ ذَكَرْتُ فِي بَابِ الصَّحْبَةِ ❁

﴿الباب السادس في الكسب والورع﴾

أَيُّ الْمَتَرَبِّ عَلَيْهِ قَطْعُ الطَّمَعِ ، وَبَعْضُ الْأَكَابِرِ قَوَامُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ الْعِلْمُ وَالْكَسْبُ
فَنْ رَفَضَهُمَا وَقَالَ : ابْتَغِ الزُّهْدَ لَا الْعِلْمَ وَالتَّوَكَّلْ لَا الْكَسْبَ وَقَعَ فِي الْجَهْلِ وَالطَّمَعِ كَذَا
فِي بَيْعِ الْإِبْرَارِ لِلزُّخْرَى . ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ وَبِهِ أَسْتَعِينُ فِي كُلِّ أَمْرٍ
كَرِيمٍ ، قَالَ تَعَالَى : (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) (وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) أَيُّ رِزْقِهِ (وَانْفَقُوا
مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ) الْآيَةُ ﴿ وَرَدَّ مِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا حَلَالًا ﴾ أَيُّ حَالٍ كَوْنِ الْمَطْلُوبِ
حَلَالًا ﴿ تَعَفَّقًا عَنِ الْمَسْأَلَةِ ﴾ أَيُّ لِأَجْلِ عَفَّةٍ نَفْسَهُ عَنْ سُؤَالِ مَخْلُوقٍ مِثْلَهُ ﴿ وَسُعْيًا
عَلَى عِيَالِهِ ﴾ مِنْ زَوْجَتِهِ وَأَوْطَالِهِ ﴿ وَتَعَطُّفًا ﴾ أَيُّ تَرَحُّمًا وَتَلَطُّفًا ﴿ عَلَى جَارِهِ ﴾ مِنْ
الْفُقَرَاءِ فِي تَحْسِينِ حَالِهِ وَتَزْيِينِ بَالِهِ ﴿ لَقِيَ اللَّهَ ﴾ أَيُّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي مَأَلِهِ ﴿ وَوَجْهَهُ كَالْقَمَرِ
لَيْلَةَ الْبَدْرِ ﴾ مِنْ حَسَنِ جَمَالِهِ وَكَمَالِ مِثَالِهِ ﴿ وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا مُفَاخِرًا ﴾ أَيُّ حَالٍ كَوْنِهِ

مُكَاتِّرًا لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ « فَالْكَسْبُ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ . وَالْأَوْلِيَاءِ . وَفِيهِ سِتْرُ الْحَالِ . وَهُوَ أَوْلَى لظَاهِرِ الْعَمَلِ مِنَ الْإِخْذِ بِالسُّؤَالِ وَبَغْيِهِ فَالْفَارِغُ سَائِلٌ بِلِسَانِ الْحَالِ ،

متفخرا بتحصيل ماله (مكاترا) على أقرانه وأمثاله (لقي الله وهو عليه غضبان) والله المستعان ، والحديث رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب . وأبو نعيم في الحلية . والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة « ومن الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهمة في طلب المعيشة » الطبراني في الأوسط . وأبو نعيم في الحلية ، وعن لقمان الحكيم قال : « لا بد لابنه استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما أفقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب لمروته وأعظم هذه الثلاث استخفاف الناس به » وكان عمر يقول « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » وكان زيد بن سلفة يفرس في أرضه فقال عمر أصبت استغن عن الناس تكن أصون لدينك واكرم لوجهك كيف قال صاحبك أحيحة :

فلن أزال على الزوراء أمرها * أن الكريم على الإخوان ذو المال (فالكسب سنة الأنبياء) منهم داود عليه السلام لقوله تعالى : (وعليناه مننعة لبوس لكم) وأول من زرع آدم عليه السلام وأول من نجر نوح عليه السلام ، يقال أول من خط أدريس عليه السلام (والأولياء) ومنهم أكثر الصالحاء (وفيه) أي في الكسب (ستر الحال) أي بما فيه من العلم والأعمال فيكون من الأتقياء الأصفياء ، وعن قال عز وجل فيهم : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) الآية (وهو) أي الكسب (أولى لظاهر العمل) أي المشغول بالأعمال الظاهرة من التلاوة والعبادة فالكسب في حقه أخرى (من الإخذ بالسؤال وبغيره) كالطمع في أموال الرجال (فالفارغ) من الكسب لتحصيل الحلال (سائل بلسان الحال) إن لم يكن سائلا ببيان المقال ، وربما لسان الحال اكتشف في تحصيل المال ، ومن هنا ورد « أن الله يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال » الدليل على ذلك ، وفي رواية ابن عدي عن ابن عمر « أن الله يحب المؤمن المحترف » ، وورد « من فتح على نفسه باباً من السؤال فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر » الترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري

وَأَمَّا صَاحِبُ الْبَاطِنِ . وَالْعَالَمُ النَّافِعُ لِلنَّاسِ . وَالْمُشْتَغَلُ بِمَصَالِحِهِمْ كَالْقَاضِي
فَإِنْ أَعْطُوا الْكَفَايَةَ مَنْ يَبْتَ الْمَالُ وَلَا يُقَابِلُ فَضَائِلَ الْكَسْبِ بِمَا فِيهِ مُعْنًا
وَيَعْمَلُ بِحَسَبِ الصَّلَاحِ * وَحَقُّهُ أَنْ يَنْوِيَ التَّعَفُّفَ . وَالتَّعَطُّفَ .

وقال: حسن صحيح، وعن ابن مسعود داني لا كره أن أرى الرجل فارغا لا في أمر دينه ولا في أمر دنياه وجاءت ربيع عاصف في البحر فقال أهل السفينة لابراهيم ابن آدم: أما ترى هذه الشدة؟ فقال: ماهذه شدة إنما الشدة الحاجة إلى الناس، وقيل لأحمد ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال: لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي؟ فقال أحمد: هذا رجل جهل العلم أما سمع قوله عليه السلام: إن الله جعل رزقي تحت رجلي، وفي مسند أحمد من حديث ابن عمر «جعل رزقي تحت ظل رجلي»، واسناده صحيح، وأما سمع قوله عليه السلام حين ذكر الطير «فقال تغدو وخماصا وتروح بطانا»، فذكر أنها تغدو في طلب الرزق، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخلهم ثم قال: أحمد والقدوة بهم، والحديث الثاني رواه الترمذي . وابن ماجه من حديث ابن عمر وقال الترمذي: حسن صحيح (وأما صاحب الباطن) وهو العارف بالله المراقب لفيض مولا المعروض عما سواه (والعالم النافع للناس) افتاء . وتصنيفا . وتدريسا (والمشغول بمصالحهم كالقاضي) وفي معناه الخليفة والمؤذن . والامام . وفقهه الأنام (فإن أعطوا الكفاية من بيت المال) أي من وجه الخلال أو من أيدي الناس من الصدقات أخذوها واشتغلوا بما هو أفضل في حقهم من الاشتغال بكسب المال فهو غاية الكمال (والا) أي وإن لم يعطوا (يقابل) كل منهم (فضائل الكسب) أي الأحاديث التي وردت في فضائله (بما فيه) أي من فضائل العلم والحكومة ومنافع الرجال (بمعنا) أي حال كونه مبالغا في تمييز ما فيه الفلاح (ويعمل بحسب الصلاح) فإن فيه النجاح، وقد أشار الصحابة على أبي بكر بترك التجارة لماولى الخلافة إذ كان ذلك يشغله عن المصالح، وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك أولى، نعم لما توفي أوصى برده إلى بيت المال، والحاصل أنه إن كان الصلاح في الكسب اختاره وترك ما هو فيه لغيره وإن كان الصلاح فيما هو فيه من الأمر المهم اشتغل به وتوكل على الله في أمر رزقه (وحقه) أي حق الكسب على ما ذكره ثلاثون (أن ينوى التعفف) أي عفة نفسه عن المسألة (والتعطف)

وإِقامَةُ فَرَضِ الْكِفَايَةِ فِي صِنَاعَاتٍ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا الْعِيشُ ، وَيَأْكُرُ فُورِدَ
« أَنْ فِي الْغُدُوبِ بَرَكَةٌ وَنَجَاحٌ » ، وَيَجْتَنِبُ مَا يَضُرُّ النَّاسَ كَالْإِحْتِكَارِ ،

أى الترحم على غيره بزيادة النفقة لما تقدم ولما روى أن عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ما تصنع؟ فقال : أتعد قال : من يعولك؟ قال اخي قال أخوك أعبد منك ﴿ وإقامة فرض الكفاية ﴾ أى بنوياً ﴿ فى صناعات يتوقف عليها العيش ﴾ أى المعيشة كالزراعة والتجارة والحياطة والنجارة ، وفى الخبر تسعة عشر الرزق فى التجارة ، الحرب فى الغريب من حديث نعيم بن عبد الرحمن وتقدم نفع الزراعة ، وروى أحمد من حديث أبى هريرة « خير الكسب كسب العامل إذا نصح » واسناده حسن ﴿ وبأكر ﴾ أى يسعى فى أول النهار ﴿ فوردان فى الغدو بركة ونجاحا ﴾ أى فوزا وفلاحا وظفرا بالمراد وصلاحا ، والحديث رواه الطبرانى فى الأوسط وابن عدى عن عائشة « بأكر » فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح ، وقد ورد اللهم بارك لأمى فى بكرورها وروى الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة أنه عليه السلام كان جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكى يسعى فقالوا : ويح هذا لو كان جلده فى سبيل الله فقال عليه السلام : لا تقولوا هذا فإنه ان كان يسعى على نفسه ليكفيها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويلبثهم فهو فى سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان ، ﴿ ويجتنب ﴾ أى من الصنائع ﴿ ما يضر الناس كالاحتكار ﴾ فباتع الطعام يدخره منتظرا غلاء السعر وهو ظلم عام وصاحبه مذموم شرعا وعرفاء فورد « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » الحاكم فى صحيحه وابن ماجه فى سننه عن ابن عمرو « من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره » أبو منصور الديلى فى مستند القردوس من حديث على والخطيب فى التاريخ من حديث أنس ، وروى أحمد والحاكم بسند جيد من حديث ابن عمر « من احتكر الطعام أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منه » وعن على أنه أحرق طعاما محتكرا بالنار وكذا فى الاحياء ، وفى حديث مسلم ولا تحتكر الا غاطىء ، ولا ابن ماجه والجالب مرزوق والمحتكر ملعون » قيل ومدته أربعون لما رواه ابن عساكر عن معاذ « من احتكر طعاما على أمتى أربعين يوما وتصدق به لم تقبل منه » وفى رواية لأحمد وابن ماجه عن عمر « من احتكر

وَيُلَوِّثُ الْبَاطِنَ كَالْجَزْرِ فَهُوَ يَقْسِي الْقَلْبَ وَالصِّيَاغَةَ فَهُوَ يَزِينُ الدُّنْيَا وَالظَّاهِرَ
كَالْحِجَامَةِ . وَالِدِّبَاغَةَ .

على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس ، وفي رواية له وللحاكم عن أبي هريرة
« من احتكر حكرة يريد أن يغلب بها على المسلمين فهو خاطيء » وقد برئت منه ذمة
الله ورسوله ، وقوله خاطيء بالهمز وفي رواية فهو ملعون ، واستدل به مالك بعموم
الحديث على أن الاحتكار حرام في المطعوم وغيره ، وهو رواية عن أبي يوسف
والجمهور على أن الاحتكار مختص بالآقوات وحملوا الحديث عليها والله أعلم ، وروى
ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن مسعود « ما من جالب يجلب طعاما الى بلد من
بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وبالجملة التجارة
في الآقوات مما لا يستحب ولذا أوصى بعض التابعين رجلا وقال : لا تسلم ولدك في بيعتين
ولا في صنعتين بيع الطعام . وبيع الأكفان فانه يتمنى الغلام وموت الناس واما الصنعتان
فان يكون جزارا فانها صنعة تقسى القلب أو صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب .
والفضة ، وهذا معنى قوله « ويلوث الباطن » أي ويحتجب مما يلوث باطنه ولو لم يلوث
ظاهره « كالجزر » وهو صنعة الجزار ويقال القصاب « فهو يقسى القلب والصياغة
فهو يزين الدنيا » وهي مبنوسة الرب ، وأيضا يكره كسر الدرهم الصحيح والدينار
الاعتد شك في جودته أو حال ضرورته فقد قال أحمد بن حنبل : وردني عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وأصحها به في الصياغة وأنا أكره الكسر وقال يشتري بالدينارين دراهم
ثم يشتري بالدرهم ذهبا ويصوغه أي خروجا عن الربا ، وحديث النهي عن كسر
الدينار والدرهم رواه أبو داود . والترمذي . وابن ماجه . والحاكم من رواية علقمة
ابن عبد الله عن أبيه قال : نهى رسول الله ﷺ أن يكسر سكة المسلمين الجائزة
بينهم الا من بأس زاد الحاكم ان يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل
ذهبا وضعفه ابن حبان « والظاهر » أي ويحتجب مما يلوث ظاهره ولو لم يلوث
باطنه « كالحجامة والدباجة » وفي معناهما الكناسة فان تلوث الظاهر يؤدي الى
تلوث الباطن كما ان طهارة الظاهر تورث طهارة الباطن وقد نهى عليه السلام عن
كسب الحجام رواه ابن ماجه بسند حسن عن ابن مسعود « يحمل على نهى التنزيه
لانه عليه السلام احتجم وأعطى الحجام أجرته ولو كان حراما لما أعطاه وكيف لا

وَمَا يَعْسُرُ فِيهِ رِعَايَةُ الْاِحْتِيَاظِ كَالْصَّرْفِ . وَالْاِدْلَالَةُ وَمَا يُكْرَهُ فِيهِ قَضَاؤُهُ
تَعَالَى كَشْرَاءَ الْحَيَوَانِ . وَسَلَامَةُ النَّاسِ :

والحجامة من الصنائع التي عدت من فروض الكفاية فلا بد من قيام بعض هذه
الصناعة لئلا يقع الناس في ضياعة اذلو تركت التجارات والصناعات لبطلت المعاش
وضاعت الحالات فانتظام أمر الكل بمعاونة الكل وتكفل كل فريق بعمله يلقى
ولو أقبلوا كلهم على صنعة لتعطلت البواق بمرة وعلى هذا حمل بعضهم قوله عليه السلام
« اختلاف أمتي رحمة، أى اختلاف مهمهم في الصناعات وسبحان من أقام العباد فيما
أراد و كل حزب بما لديهم فرحون قال تعالى : (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة
الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير
ما يجمعون) والله در القائل :

رضينا قسمة الجبار فينا • لنا علم وللإعداء مال

فإن المال يفنى عن قريب • وإن العلم يبقى لا يزال

﴿ وما يعسر ﴾ أى ويحتمل ما يصعب ﴿ فيه رعاية الاحتياط كالصرف ﴾ لأن
الاحتراز فيه عن دقائق الرباعيسر علما وعملا ولأنه طالب لدقائق الصفات فيما لا يقصد
من أعيانها وإنما يقصد رواجها وقل ما يتم للصيرفي ربح الا باعتبار جهالة معامليه بدقائق
النقد فقل ما يسلم الصيرفي من الربا وإن راعى غاية الاحتياط وفى الجملة يجب على الصيرفي
أن يحتمل من الفضل في المتجانسين ومن النسبة مطلقا ، وورد « لو اتجر أهل الجنة
لاتجروا في البرزوا تجر أهل النار لاتجروا في الصرف ، الديلى من حديث أبي سعيد
وأبو يعلى الشطر الأول من حديث أبي بكر ﴾ (والدلالة) بالفتح ويكسر وقد كره
ابن سيرين الدلالة وكره قتادة أجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استثناء الدلال عن
الكذب فقد قيل : رأس مال الدلال الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها
ولأن العمل لا يتقدر فقد يقل ويكثر ولا ينظر في مقدار الاجرة الى عمل بل الى قيمة
قدر الثوب وهذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغي أن ينظر الى قدر التعب فإن الأجر
على قدر المشقة كذا في الاحياء ﴿ وما يكره ﴾ أى ويحتمل ما يكره ﴿ فيه قضاؤه
تعالى كشراء الحيوان ﴾ أى العبيد ونحوه لأجل التجارة فإن المشتري يكره قضاء
الله تعالى فيه وهو الموت الذى بصده ولا محالة خلق لأجله ﴿ وسلامة الناس ﴾

كَيْعِ الْكَفَنِ ، وَمَا يَحْرُمُ اسْتِعْمَالُهُ كَقَبَاءِ الْإِبْرِسِمِ . وَآنِيَةِ الذَّهَبِ .
وَالْفُضَّةِ . وَالْمِزْمَارِ . وَرَفْعِ الْبِنَاءِ . وَتَزِينِهِ بِالْجِصِّ ، وَيَعْمَلُ مَتَدِينًا لَا يَسْتُرُ
حَالَهُ إِعَانَةً عَلَى الْبَرِّ لَا فَاسِقًا لِثَلَاثِينَ عَلَى الْإِثْمِ ، وَلَا يُبَالِغُ فِي مَدْحِ الْمُبِيعِ . وَذَمِّ
الْمُشْرَى . وَإِنْ صَدَقَ ،

أى ويحْتَبِ ما يَكْرَهُ فِيهِ عَاقِبَةُ النَّاسِ ﴿ كَيْعِ الْكَفَنِ ﴾ عَلَى مَا تَقَدَّمَ وَفِي مَعْنَاهُ حَفَرُ
الْقَبْرِ وَغَسْلُ الْمَوْتَى وَحُلْمُهُم بِالْأَجْرَةِ وَتَشْيِيعُ الْفُقَرَاءِ وَأَعْلَامُهُمْ وَأَذْكَارُهُمْ مِنْ غَيْرِ
أَذْكَارِهِمْ ﴿ وَمَا يَحْرُمُ ﴾ أَى وَيَحْتَبِ مَا يَحْرُمُ ﴿ اسْتِعْمَالُهُ كَقَبَاءِ الْإِبْرِسِمِ ﴾ أَى
الْحَرِيرِ وَهُوَ ثَوْبُ الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ ، وَفِي الْخَبَرِ « مِنْ لِبَسِ الْحَرِيرِ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ
فِي الْآخِرَةِ » رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَنَسٍ ، وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ عَنْ جُورِيَّةَ « مَنْ لَبَسَ
الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبًا مِنْ النَّارِ » ﴿ وَآنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ ﴾
فَانَهُمَا يَحْرُمَانِ مُطْلَقًا وَفِي الْخَبَرِ « أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الْفُضَّةِ » إِنَّمَا يَحْرَجُ فِي
بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أُمِّ سُلَيْمَةَ زَاوِةِ الطُّبْرَانِيِّ أَنَّهَا يَتُوبُ ﴿ وَالْمِزْمَارِ ﴾
فَانَهُ حَرَامٌ بِاتِّفَاقِ الْأُئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ كَسَائِرِ الْأَوْتَارِ وَإِنَّمَا خَالَفَ الرَّافِعِيُّ مِنَ الشَّافِعِيِّ فِي الْقَضْبِ
﴿ وَرَفْعِ الْبِنَاءِ ﴾ أَى زِيَادَةَ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ فَانَهُ يَقَالُ لَهُ : « أَلَيْسَ بِفَاسِقٍ ؟ »
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ عَمَلٌ شَدِيدٌ فِي بِنَاءِ قَصْرِهِ وَعَمَلُ فِرْعَوْنَ فِي بِنَاءِ صَرْحِهِ ﴿ وَتَزِينِهِ بِالْجِصِّ ﴾
وَكَذَا بِالنُّورَةِ وَالطِّينِ فَانَهُمَا مَكْرُوهَانِ أَوْ حَرَامَانِ لِإِسْرَافِ الْمَالِ وَتَضْيِيعِ الْحَالِ ،
وَرَوَى الدَّارِ قُطْنِي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « سَأَلَ أَنْ يَكْحَلَ الْمَسْجِدَ - أَى
بِالنُّورَةِ وَغَيْرِهَا - فَقَالَ : لَا عَرْشَ كَعَرْشِ مُوسَى ، ﴾ وَيَعْمَلُ ﴿ عَظْفٌ عَلَى يَحْتَبِ ﴾ مَتَدِينًا
لَا يَسْتُرُ حَالَهُ ﴿ أَى فِي التَّدِينِ فَيَكُونُ ظَاهِرَ الدِّيَانَةِ ﴾ إِعَانَةً عَلَى الْبَرِّ لَا فَاسِقًا ﴿ وَكَذَا
لَا ظَالِمًا وَلَا أَحَدًا مِنْ أَعْوَانِهِ ﴾ لِثَلَاثِينَ عَلَى الْإِثْمِ ﴿ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى
الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) وَقَدْ دَخَلَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ عَلَى الْمُهْدِيِّ
وَيَدُهُ دَرَجٌ أَيْضٌ فَقَالَ : يَا سَفِيَانُ أَعْطِنِي الدَّوَاةَ حَتَّى أَكْتُبَ فَقَالَ أَخْبِرْنِي أَيْ شَيْءٍ تَكْتُبُ
فَانَ حَقًّا أَعْطَيْتُكَ ﴿ وَلَا يُبَالِغُ فِي مَدْحِ الْمُبِيعِ ﴾ أَى أَنْ كَانَ بَانِعًا ﴿ وَذَمِّ الْمُشْرَى ﴾
أَى الْمُشْتَرَى أَنْ كَانَ مُشْتَرِيًا ﴿ وَإِنْ صَدَقَ ﴾ أَى وَلَوْ كَانَ صَادِقًا فِي مَدْحِهِ وَذَمِّهِ فَالْبَالِغَةُ
فِيهِمَا مَذْمُومَةٌ لِأَنَّهُ نَمَّا لَا يَعْنيهِ فَمَوْبِهِ مَلُومٌ وَمَذْمُومٌ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ

وَلَا يَخْلِفُ، فَهُوَ جَعَلَهُ تَعَالَى عَرْضَةً لِلْإِيمَانِ لِتَرْوِيجِ الدُّنْيَا الْحَسِيسَةِ، وَوَرَدَ
 «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْفَقٍ سَلَعَتْهُ يَمِينُهُ، وَيُظْهِرُ عَيْبَ الْمَيْعِ» وَقَدَرَهُ وَسَعَرَ
 الْوَقْتَ، وَمَا سُوِّحَ بِهِ فِي الصَّفَقَةِ الْأُولَى فَالْأَخْفَاءُ خِيَانَةٌ،

الالديه رقيب عتيد (وقال عز وعلا : (والذين هم عن الغلو معرضون) وورد من
 حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه) (ولا يخلف) ولو كان صادقا في يمينه من غير
 ضرورة في أمر دينه (فهو جعله تعالى) (أى جعل الخالف اسمه سبحانه في هذا الخلف
) (عرضة للإيمان) أى كالعرضة التى أعدها القصاب لازالة مايتلوث به يده أو
 كالمهدف الذى يرمى الرامى فى كل ساعة سهمه اليه (لترويج الدنيا الحسيسة) (باسمه
 الذى هو من الاشياء النفسية وأما قوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم ان تبروا وتتنقوا
 وتصلحوا بين الناس) فمعناه لا تجعلوا الخلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى بان
 يدعى أحدكم الى بر فيقول حلفت أن لا أفعله بل ينبغى أن يفعله ويكفر عن يمينه (وورد)
 كما في صحيح مسلم (لا ينظر الله الى منفق) (بتشديد الفاء المكسورة) (سلعت) أى
 مروجها (يمينه) أى بخلفه فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهى من
 الكبائر التى تترك الديار بل اقع وان كان صادقا فقد أساء فيه اذ الدنيا أخس من أن يقصد
 ترويحها بذكر اسم الله من غير ضرورة ، وفى الخبر « ويل للتاجر من بلى والله ولا والله
 وويل للصانع من بعدوغد » كذا فى الاحياء ذكره صاحب مسند الفردوس من حديث
 أنس بغير اسناده نحوه ، وفى الخبر « اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ، حققة للكسب » متفق
 عليه (و يظهر عيب المبيع) أى فى نفسه خفية وجلية (وقدره) أى ويظهر مقداره من
 الطول والعرض (وسعر الوقت) أى قيمة مثله فقد نهى عليه السلام عن تلقى الركب ان
 متفق عليه من حديث ابن عباس وأبى هريرة ، وفى رواية عن تلقى البيوع كما فى الترمذى
 وابن ماجه عن ابن مسعود ، وفى رواية ابن ماجه عن ابن عمر نهى عن تلقى الجلب وهو
 أن يستقبل الرقعة ويتلقى الامتعة ويكذب فى سعر الأزمئة ، وقد ورد « لا تلقوا
 الركبان فصاحب السلعة بالخيار بعد أن يقدم السوق » (وما سوح به) أى ويظهر
 ما سامح بانه الأول مع الثانى (فى الصفقة الأولى) وهى تكون فى بيع التولية ، وصورته
 ان يبيع شيئا بمقام عليه فيظهر ما سوهل به الشئ معه من تأجيل ثمنه وقبول ثمنه مع
 نقصان فى قدره ووصفه (فالأخفاء خيانة) (فإن الابداع ديانة ، فمن واثلة) لا يحل

وردد « دَنْ غَشْنًا فَلَيْسَ مِنَّا » ، (وَيْلٌ لِلْمُطَفِّقِينَ) الْآيَةُ ، وَلَا يَرْجُحُ

الزَّيْفَ بَلْ يُلْقِيهِ فِي الْبُشْرِ .

لاحدان يبيع يعالايين مافيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه « السهقي والحاكم وقال صحيح الاسناد » (ورد من غشنا فليس منا) الترمذى عن أبى هريرة بسند صحيح موزاد الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود « والمكر والخداع فى النار ومن المكر والخديعة عرض الثياب فى موضع الظلمة » وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة انه عليه السلام « مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فيه فرأى بللا فقال: ما هذا؟ فقال أصابته السماء قال: فهذا جعلته فوق الطعام ليراه الناس من غشنا فليس منا » (ويلى للمطففين) أى الهلاك لاهل التطفيف فى الكيل والوزن وهو نقصان الخفيف فى الميزان والمكيال فكيف الحال فى أخذ الاحمال من أموال النساء والرجال (الآية) وهى (الذين اذا اكلوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين) وفيه وعيد فى غاية التهديد ولقد كان بعضهم يقول لا تشتري الويل من الله بحبة فكان اذا أخذ نقص نصف حبة واذا أعطى زاد حبة ويقول: ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والأرض، ويؤبده انه عليه السلام « اشترى شيئا وقال للوزان زن وارجح » كما رواه أصحاب السنن الأربعة وقال الترمذى: حسن صحيح وقد قيل كل مكلف فهو صاحب موازين فى أفعاله وأقواله وخطرات أحواله فويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة فى مقام الفصل (ولا يروج الزيف) وهو مالا نقرة فيه أصلا بل هو بموه عملا أو مالا ذهب فيه من الدنانير اماما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء فى المعاملة عليه قال الغزالى: وقد رأينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة أو لم يعلم وان لم يكن نقد البلد لم يحز الا اذا علم قدر النقرة فان كان فى ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معاملة وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويح فى جملة النقد بطريق التلبس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد واعانة عليه فهو كبيع العنب من يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محذور، وفيه اعانة على الشر (بل يلقى فى البئر) فقد قال: بعضهم انفاق درهم زائف أشد من سرقة مائة درهم لأن السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق الزيف بدعة أظهرها فى الدين

وَلَا يَخْلُطُ التُّرَابَ بِالطَّعَامِ . وَمَا لَا يَعْتَادُ بِاللَّحْمِ فَهُوَ وَأَمثَالُهُ حَرَامٌ ، وَلَا
يَقْدُمُ عَلَى شَيْءٍ لَا يُرِيدُ بِمَا فَوْقَ ثَمَنِهِ تَرْغِيًا لِلشُّتْرِى . وَالْأَصْلُ أَنَّ لَا يُرِيدُ لغيره مَا لَا يُرِيدُ
لِنَفْسِهِ ، وَهُوَ بِاعْتِقَادِ أَنَّ الْخِيَانَةَ لَا تَزِيدُ فِي الرِّزْقِ . وَالِدِيَانَهُ لَا تَنْقُصُ . وَأَنَّ الْآخِرَةَ

وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعد موته الى مائة سنة ومائتي سنة الى
أن يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص من أموال الناس بسببه فطوبى لمن اذا
مات مات معه ذنوبه والويل لكل الويل لمن يموت وتبقى ذنوبه ، ففي صحيح مسلم عن جرير
ابن عبد الله مرفوعا « من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من
عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء » وبالجملة التجارة محك الرجال وبها يتبين مقام دينهم
في الأحوال وقد قال بعضهم : لا يغرنك من المرء قميص رقعته او أزار فوق كعب
الساق منه رفعة أو جبين لا ح فيه اثر قد قلعه فلذى الدرهم فانظر غيه أو ورعه (ولا يخلط
التراب) أى ونحوه من التبن وغير الجنس (بالطعام) أى الجيوب (وما لا
يعتاد) أى خلطه (باللحم) كالدم والغدة والجلد الرقيق و كذا اللحم المكتمر بالضأن
والضعيف بالسمن (فهو) أى ما ذكر (وأمثاله) كخلط الماء باللبن والدهن بالسمن
والدبس بالمسل (حرام) لأنه ظلم في حق الانام (ولا يقدم على شيء) أى سوم
شيء (لا يريد) أى لا يقصد شراؤه (بما فوق ثمنه ترضيا للشترى) فانه النجس
المنهى عنه في المتفق عليه عن ابن عمر (والأصل أن لا يريد لغيره ما لا يريد لنفسه)
كما ورد « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه » أخرجه الشيخان وغيرهما
وفي رواية « وحتى يكره لآخيه ما يكره لنفسه » (وهو) أى حصول هذا المقام انما
يكون (باعتقاد ان الخيانة لا تزيد في الرزق والديانة) أى الموجهة للامانة (لا تنقص)
أى في الرزق فاذن لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة صادرة عن امانة وديانة
ومن لا يعرف الزيادة والنقصان الا بالميزان فهو لم يصدق بهذا الحديث وهو في غاية
من الخسران ومن عرف ان الدرهم الواحد قدير لك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان
في الدين والدنيا والآلاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى يكون سبب هلاك
مالكها في الدنيا والاخرى صدق بقولنا ان الخيانة لا تزيد في المال والصدقة لا تنقص
منه في المال وقد قال تعالى : (يحق الله الربا ويربى الصدقات) وورد « الامانة
تجر الرزق والخيانة تجر الفقر » القضاعى عن علي (وان الآخرة) أى وباعتقاد ان

أَوَّلَى مِنَ الدُّنْيَا، فَوَرَدَ «لَا تَزَالُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَدْفَعُ عَنِ الْخَلْقِ سَخَطَ اللَّهِ مَا لَمْ يُوْثِرُوا صَفَقَةَ دِيْنَاهُمْ عَلَى آخِرَتِهِمْ» وَيَحْسَنُ بَانَ لَا يَغْنِي عَنْهُ مُعْتَادٌ، وَإِنْ أَعْطَى الْمُشْتَرَى لِرَغْبَةٍ أَوْ حَاجَةٍ، وَيَحْتَمِلُهُ مِنْ ضَعِيفٍ أَوْ فَقِيرٍ،

العقبى ﴿أولى من الدنيا﴾ كما قال تعالى : (والآخرة خير وأبقى) فيختار نفع العقبى على نفع الدنيا لثبوتها لما يبقى على ما يبقى ﴿فورد لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن الخلق سخط الله﴾ أى آثار غضبه ﴿ما لم يوثروا﴾ أى مدله يختاروا (صفقة دينايم على آخرتهم) أى عقدا يوجب جلب الدنيا على عقد يورث نفع العقبى، والحديث رواه أبو يعلى والبيهقى فى الشعب عن أنس وفى رواية للحكيم الترمذى فى النوادر وحتى نزلوا بالمنزل الذى لا يبالون ما نقص من دينهم اذا سلبت لهم دينايم ، وللطبرانى فى الأوسط نحوه من حديث عائشة والكل ضعيف إلا أنه يقوى بعضها ببعض، ويؤيده حديث «من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها؟ قال تحجزه عما حرم الله» الطبرانى من حديث زيد بن أرقم باسناد حسن ﴿ويحسن﴾ أى البائع فى المعاملة ويعنى بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل فى باب العدل وترك الظلم وقد قال تعالى : (ان الله بأمر بالعدل والاحسان) فالعدل سبب للنجاة والاحسان موجب لنيل الدرجات، ويدرك الاحسان الكامل بسنة أمور ﴿بان لا يغبن﴾ أى المشتري غبناه (غير معتاد) سواء كان فاحشا أم لا ﴿وان اعطى المشتري﴾ أى ولو دفع ثمنه مع زيادة (لرغبة) أى زائدة (أو حاجة) أى ملجئة لقوله تعالى : (واحسن كما أحسن الله إليك) وفى الاحياء قد ذهب بعض العلماء الى ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان أن يحيط ذلك الغبن، وفى الخبر «غبن المسترسل حرام» الطبرانى من حديث أبى أمامة بسند ضعيف والبيهقى من حديث جابر بسند جيد وقال «ربا بادل حرام»، وقال الزبير بن عدى: أدركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم من أحديهم يشتري لحما بدرهم فغبن هؤلاء المسترسلين حرام وعدوان وان كان من غير تليس فهو من ترك احسان ﴿ويحتمله﴾ أى وبان يحتمل الغبن (من ضعيف) بائع أو مشتري بان يكون مريضا أو عن الكسب عاجزا (أو فقيرا) أى ظاهر الفقر بان لم يكن صاحب نصاب فيكون به محسنا وأما ما ورد من ان الكمال ان لا يغبن ولا يغبن فهو محمول على غير محل الاحتمال

فورد « رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَهْلَ الْبَيْعِ سَهْلَ الشَّرَاءِ » لَا مِنْ غِبْنٍ لِأَنَّهُ تَضْيِيعٌ
لِلْمَالِ أَذْ لَا أَجْرَ وَلَا أَحَدَ . وَيُسَاحُ فِي قَبْضِ الثَّمَنِ . وَالْدَيْنِ - بِنَقْصِ بَعْضِهِ .
وَتَرْكِ طَلَبِ فَقْدٍ أَحْسَنَ : وَأَمْهَالٍ : وَقَبُولِ حَوَالَةٍ ؛ فورد « رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا
سَهْلَ الْقَضَاءِ سَهْلَ الْإِقْضَاءِ مَنْ أَنْظَرَ مَعْسِرًا أَوْ تَرَكَ لَهُ حَاسِبَهُ اللَّهُ حَسَابًا يَسِيرًا »

وهذا معنى وصف بعضهم عمره بأنه كان أكرم من أن يخدع وعقل من أن يخدع، وكان
أياس بن معاوية قاضي البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول : لست بخب وخب والخب
لا يغبنني ولا يغبن « ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن أبو يعلى يعنى معاوية
ابن قرة قلت : ومقام الحسن أيضا حسن لقوله عليه السلام « المؤمن غر كريم والفاجر
خب لثيم » أبو داود . والترمذي . والحاكم عن أنى هريرة ، وكان الحسن والحسين
وغيرهما من الصحابة يستقصون في الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فليل
لبعضهم تستقصى في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير فقال : ان الواهب يهب فضله
وان المغبون يغبن عقله ، وقال بعضهم انما أغبن عقلى وبصيرتى فلا أمكن الغابن منه
واذا هبت فأعطى لله ولا استكثرله شيئا ، (فورد) في البخارى عن جابر مرفوعا
(رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَهْلَ الْبَيْعِ سَهْلَ الشَّرَاءِ) تمامه سهل القضاء سهل الإقضاء (لا من
غبن) أى لا يَحْتَمِلُ الغبن من غبن تاجر يطلب الربح زيادة على تجارتها فاحتمال
الغبن منه ليس في محله (لانه تضييع للمال) وتأسف في المآل (اذ لا أجر) في العقبى
(ولا أحد) في الدنيا فقد ورد في حديث من طريق أهل البيت « ان المغبون لا محمود
ولا مأجور » الترمذي الحكيم في النوادر من رواية عبد الله بن الحسن عن أبيه عن
جده . وأبو يعلى من حديث الحسين بن على يرفعه (ويسامح في قبض الثمن والدين)
أى وفي قبضه (بنقص بعضه) من الثمن والدين . (وترك طلب فقد أحسن وأمهال
وقبول حوالة) فورد رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَهْلَ الْقَضَاءِ سَهْلَ الْإِقْضَاءِ . وهو تيسر الحديث
المتقدم فليغتنم دعاؤه عليه السلام ، وقد ورد أيضا في هذا المقام ، اسمع يسمع لك «
الطبرانى من حديث ابن عباس ورجاله ثقات « (من أنظر معسرا) أى أمهله (أو
ترك له) أى أسقط عنه كله أو بعضه ولو حقيره (حاسبه الله) يوم القيامة
(حسابا يسيرا) وفى لفظ آخر ، أظله الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله ، أحد

وَيُبَادِرُ فِي اعْطَاءِ الْأَجْرَةِ وَقَضَاءِ الدِّينِ قَبْلَ الْأَجْلِ بِأَحْسَنِ مَاشَرَطَ .
وَيَنْوِي الْقَضَاءَ كَذَلِكَ أَنْ عَجَزَ فُورِدَ « أَنْ الْمَلَائِكَةُ يَدْعُونَ لَهُ حَتَّى يَقْضِيَهُ »

ومسلم باللفظ الثاني من حديث أبي اليسر وهو كعب بن عمرو، وفي رواية الطبراني عن ابن عباس « انظره الله بدينه الى توبته » وفي رواية لاحد . وابن ماجه . والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين عن بريدة . ومن أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة قبل أن يحل الدين فاذا حل الدين فانظره فله بكل يوم مثله صدقة . وأصله قوله تعالى : (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا) أى بكله أو بعضه : (خير لكم ان كنتم تعلمون) والتصدق سنة وهنا أفضل من الانظار الذى هو فرض وذكر عليه السلام رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقبل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا انى كنت رجلا اداين الناس وأقول لفتيانى ساحبوا الموسر وانظروا المعسر ، وفي لفظ آخر « تجاوزوا عن المعسر » فقال الله تعالى (نحن أحق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له) ، رواه مسلم من حديث أبى مسعود الانصارى وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة (ويبادر فى اعطاء الأجرة) فى الخبر اعطوا الاجير أجره قبل أن يحف عرقه ، ابن ماجه عن ابن عمر (وقضاء الدين قبل الأجل) أى قبل حلوله فانه يعد من احسان العمل وبطلان الأمل (باحسن ماشرط) أى فى العقد الاول بأن يؤدى الجيدو كان الشرط مزيوا فانه يوجب معروفه يقتضى كون صاحبه مالوفا فورد « خيركم أحسنكم قضاء » متفق عليه من حديث أبى هريرة (وينوى القضاء كذلك) أى باحسن ماشرط (ان عجز) مهما قدر (فورد ان الملائكة يدعون له) أى لمن ينوى القضاء بأن يقدر الله تعالى له (حتى يقضيه) والحديث فى الاحياء بلفظ « من ادا دينه وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه » ورواه أحمد عن عائشة « ما من عبد كانت له نية فى أداء دينه الا كان معه من الله عون وحافظ » وفي رواية له « لم يزل معه من الله حارس » وفي رواية للطبراني فى الأوسط « الامعة عون من الله عليه حتى يقضيه » وفى الاحياء كان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر قلت : وفى جواز هذا لا يخلو من النظر لما فيه من نوع الفرر وصنف الخطر اللهم الا أن يحمل على شراء شئ الى الاجل المقرر

وَيَسْتَدِينُ فِي ضَعْفِ قُوَّةٍ فِي سَبِيلِهِ تَعَالَى . وَتَكْفِينِ مَيِّتٍ مُقَلٍّ وَنِكَاحٍ
يَتَعَفَّفُ بِهِ عَلَيْهِ تَعَالَى فَهُوَ يَقْضِيهَا وَيُقِيلُ أَنْ نَدَمَ الْبَائِعُ فَوَعَدَ عَلَيْهِ أَقَالَتُهُ تَعَالَى
يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَثْرَتُهُ « وَيُعَامِلُ الْفَقِيرَ نَسِئَةً عَلَى عَزَمِ التَّرَكِّ إِنْ لَمْ يَظْهَرْ غِنَاهُ .
وَيَكِيلُ الطَّعَامَ أَخْذًا وَإِعْطَاءً ،

فتدبر ﴿ ويستدين ﴾ أى يستقرض ويتدين ﴿ فى ضعف قوة فى سبيله تعالى ﴾ بأن
يكون فى حج أو غزوة وفى زاده أو مات مر كوبه ﴿ وتكفين ميت مقل ﴾ أى
فقير قريباً كان أو بعيداً ﴿ ونكاح يتعفف به ﴾ أى يطلب عفة نفسه عن الزنا بسببه
﴿ عليه تعالى ﴾ أى متوكلاً عليه ومستنداً إليه تحسبنا للظن لديه أن يرزقه ما يقضيه
﴿ فهو يقضيه ﴾ أى جميع ما عليه من الديون الثلاثة بكرمه أما فى الدنيا وأما يرزق
صاحبه فى العقبى ﴿ ويقيل ﴾ من الأقاله أى يرد اليعة ﴿ ان ندم البائع ﴾ على شرائها
وكذا حكم المشتري وغيره فالعبارة الحسنة الجامعة ما فى الأحياء ويقيل من يستقبله
فانه لا يستقبل الا متندم يستضر بالبيع ونحوه فلا ينبغي أن يرضى لنفسه أن يكون
سبب استضرار غيره ﴿ فوعده عليه ﴾ أى على أقالته النادم ﴿ أقالته تعالى ﴾ أى
عفوه ﴿ يوم القيامة عثرته ﴾ أى ذنوبه وزلته، وكان الاولى ان يقول فورده ﴿ من أقال
نادما صفقته أقال الله عثرته يوم القيامة ، أبو داود . والحاكم من حديث أبي هريرة
وقال: صحيح على شرط مسلم ﴾ ويعامل الفقير نسيئة ﴾ أى صبراً عليه ﴿ على عزم
الترك ﴾ أى ترك المطالبة أو الأخذ ﴿ ان لم يظهر غناه ﴾ بأن يحقق فقره اليه فيكون
فى هذا محسناً اليه فانه لا ينبغي للتاجر أن يشغله معاشه عن زاد معاده فيكون عمره
ضائعاً وصفقته خاسرة اذ ما يفوته من الربح فى العقبى لا يفى به ما يناله فى الدنيا فيكون
من اشترى الحياة الدنيا بالأخرى بل العاقل ينبغي أن يشفق على نفسه وغيره وصفقته
على نفسه بحفظ رأس ماله وصلاح شأنه وحاله ورأس ماله حفظ دينه وتجارته فيه
صدق يقينه قال بعض السلف: أولى الأشياء بالعاقل أحوجه اليه فى العاجل وأحوج
شئ اليه فى العاجل أحمد عاقبة فى الآجل وقد قال تعالى : (ولا تنس نصيبك من الدنيا)
أى لا تنس نصيبك فى الدنيا نصيبك منها للعقبى فان الدنيا مزرعة الآخرة والآخرة
مخزنة الذخيرة الفاخرة ﴿ ويكيل الطعام ﴾ أى الجبوب ﴿ أخذوا إعطاء ﴾ أى حال

فَفِيهِ الْبَرَكَةُ . وَيَخْتَارُ حَرْفَ السَّلَفِ كَالْحَرْثِ . وَالْحَمْلِ . وَالنَّجْرِ . وَالْخِيَاطَةِ
وَالْقَصْرِ . وَالْخَصْفِ . وَالرَّعْيِ . وَالْكِتَابَةِ .

أخذ وحال اعطاء (ففيه البركة) وفي الخبر « كيلوا طعامكم يسارك لكم فيه ، أحمد
والبخاري عن المقدم ، وفي رواية ابن النجار عن علي « كيلوا طعامكم فان البركة
في الطعام المكيل » وروى الزار عن أبي هريرة أنه عليه السلام نهى عن بيع الطعام
حتى يجرى فيه صاعان صاع البائع وصاع المشتري فيكون لصاحبه الزيادة وعليه
النقصان ، وتحقيق هذه المسألة وما فيها من الرعاية في شرحنا للنقاية مختصر الوقاية
والله ولي الهداية (ويختار حرف السلف) فكان غالب أعمال الاخير من السلف
عشر صنائع ، الحرز . والتجارة . والحمل : والخياطة . والقصارة . وعمل الخفاف .
وعمل الحديد . وعمل المغازل . ومعالجة صيد البر والبحر . والوراقة (كالحرث)
وهي الزراعة وهي صنعة آدم أولا ، وقد قال عليه السلام : « التمسوا الرزق في خبايا الأرض »
والمراد الزرع والشدوا :

تتبع خبايا الأرض وادع مليكها * لعلك يوما أن تجاب وترزقا
ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى : (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها
وكلوا من رزقه واليه النشور) ولا يبعد ان يراد بالآية والحديث المعنى الاعم الشامل
للزراعة والتجارة والله سبحانه أعلم (والحمل) أى حمل الامتعة من محل الى محل
بأجرة معينة وبنان الحال كان من أهل الكمال (والنجر) أى التجارة ، وفي مسند أحمد
وصحيح مسلم عن أبي هريرة كان زكريا نجارا (والخياطة) قيل انه من صنعة ادريس
(والقصر) وهو غسل الثياب ومنه الحواريون (والخصف) أى خرز النعل والقربة
ونحوهما وصح أنه عليه السلام كان يخصف نعله (والرعي) أى رعى الغنم والابل
ونحوهما ، وهو من صنعة الانبياء والاولياء (والكتابة) ففي حرفة العلماء والمشايخ
الاصفياء لاسيما كتابة المصحف القديم وحديث النبي الكريم ففيهما بقاء الدين القويم
والمنهج المستقيم ، قال عبد الوهاب الوراق قال لى أحمد بن حنبل : ما صنعتك ؟ قلت :
الوراقة قال : كسب طيب لو كنت صانعا يبدى لصنعت صنعتك وهو يحتمل أن يكون
معناها الكتابة أو صنعة الورق بمعنى الكاغد الذي تتوقف عليه صنعة الكتابة كشغل
المداد فانه آلة الكتابة ، وقد ورد « يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد

فورد « خير تجارتكم البز وخير صناعاتكم الخرز » ويلزم مارزق فيه . ويترك ما اتجر فيه ثلاثا فلم يرزق . ويتخذ الغنم . والدجاج ونحوها للدر والنسل ففيها عشر الرزق ،

العلماء (فورد خير تجارتكم البز وخير صناعاتكم الخرز) الدليلي عن علي تعليقا ويقال : أربعة من الصناعات موسومة عند الناس بضعف الرأي الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلون ، ولعل ذلك لأن أكثر مخالطتهم مع النسوان والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول بضعف العقل كما أن مخالطة العقلاء يزيد في العقل فان الصحة تؤثر فورد « المرء على دين خليله فلينظر بمن يخال » وعن مجاهد ان مريم عليها السلام مرت في طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق فارشدها غير الطريق فقالت : اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاءها ، وذكره السلف أخذ الأجرة على كل ماهو من قبيل العبادات في فروض الكفايات كغسل الأموات وحفر القبور ودفنهم وكذا الأذان والاقامة وتعليم القرآن والفقه وان حكم المتأخرون بجواز ذلك اذ لم يروا من يقوم بهذه الأمور احتسابا هنالك (ويلزم مارزق فيه) أي من أنواع الصناعة واصناف التجارة فلا ينتقل منها الى غيرها ، ففي الخبر « من رزق في شيء فليزمه » البيهقي عن أنس ، وفي رواية ابن ماجه من حديث أنس وعائشة « من بورك له في شيء فليزمه » وفي رواية له عن أنس بلفظ « من أصاب من شيء فليزمه » (ويترك ما اتجر فيه ثلاثا) أي ثلاث مرات (فلم يرزق) أي لم يربح فيه فان علامة الاجازة تيسير الأمور وتيسيرها ، وفي الخبر « اليسرين والعسر شؤم » الدليلي عن رجل ، وينتقل الى غيره (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) وفي الخبر « ان يغلب عسر يسرين » وفيه تحقيق وتدقيق ليس هذا محله الذي ذكره يليق (ويتخذ الغنم) ففي مسند الفردوس للدليلي عن أبي هريرة « الغنم أموال الانبياء » وفي رواية الخطيب عن أبي هريرة « الغنم من دواب الجنة فامسحوا رغامها وصلوا في مرابضها » وفي رواية أبي يعلى عن البراء « الغنم بركة » (والدجاج ونحوها) كالناقة والبق والفرس والبط والحمام (للدر) أي اللبن (والنسل) أي التاج (ففيها عشر الرزق) أي ويسر الرزق ، وروى « وفي التجارة تسعة اعشار الرزق » وفي سنن ابن ماجه « ان النبي ﷺ أمر الاغنياء باتخاذ الغنم وامر الفقراء باتخاذ الدجاج ، وقال عند

فَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْرَانِ . وَغَنِمَ مِنْ لِبْنَهَا قُوتُ أَهْلِهِ وَيَخْتَارُ صَنْفَ السُّودِ وَالْبَيْضِ . وَلَا يَحْرُسُ ، فَوَرَدَ « شَرُّ الْبَقَاعِ السُّوقُ وَشَرُّ أَهْلِهَا أُولَٰهُمُ دَخُولًا وَآخِرُهُمْ خُرُوجًا » *

اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله بهلاك القرى وقد بينا وجهه في هجة الانسان في مهجة الحيوان ﴿ فكان له عليه السلام بعران ﴾ بضم أوله جمع بعير ﴿ وغنم من لبنها قوت أهله ﴾ وفي المواهب اللدنية كانت له خمسة وأربعون لقحة أرسل بها إليه سعد بن عبادة وكانت له مائة شاقو كانت له سبعة أعنز منابيح ترعاها أم ايمن ، وورد خذ الحبة من الحب والشاة من الغنم والبعير من الابل والبقرة من البقر ، أبو داود . وابن ماجه . والحاكم عن معاذ ﴿ ويختار ﴾ أى من الغنم ﴿ صنف ﴾ أى نوعا مجتمعا فيه ﴿ السود والبيض ﴾ كما حكى في غنم شعيب عليه السلام ورعى الكلم في ذلك المقام ﴿ ولا يحرس ﴾ على تحصيل الدنيا وتعطيل العقبي فلا يباكر بالسوق ونحوها ﴿ فورد شر البقاع السوق ﴾ لانه محل الغفلة والعصيان ولو بالخطأ والنسيان وموضع راية الشيطان وجنوده أعداء الانسان ﴿ وشر أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا ﴾ رواه أبو نعيم من حديث ابن عباس بلفظ « أبغض البقاع الى الله الأسواق وأبغض أهلها الى الله أولهم دخولا وآخرهم خروجا » وقد تقدم حديث « شر البقاع الأسواق وخير البقاع المساجد » فينبغي أن لا يمتعه سوق الدنيا عن سوق العقبي وأسواق الآخرة المساجد ونحوها من المدارس والمعابد والمشاهد ، وكان عمر يقول للتجار اجملوا أول نهاركم لاخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون أول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤس بكرة الا الصديان وأهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعده ، وفي الخبر « أن الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد في أول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيئ الأعمال » أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف ويقويه قوله تعالى : (وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) ويؤيده حديث « تلتقى ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو أعلم : كيف تركتم عبادي فيقولون : تركناهم يصلون وجئناهم وهم يصلون فيقول الله : أشهدكم اني قد غفرت لهم » متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد جازى تفسير قوله تعالى : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) أنهم كانوا حدادين وخرادين

وَلَا يَرْكَبُ الْبَحْرَ إِلَّا لِحَاجٍّ أَوْ عَمْرَةٍ أَوْ غَزْوَةٍ، وَيَتَوَرَّعُ، فُورِدَ «أَمَّا الْوَرَعُونَ
فَأَنِّي أَسْتَحْيِي أَنْ أَحَاسِبَهُمْ»

فكان أحدهم إذا رفع المطرقة أو غرز الأشفار فسمع الأذان لم يخرج الأشفار المغرورين ولم يقع المطرقة ورمى بها وقام إلى الصلاة، وقد قيل: من أحب الآخرة عاش ومن أحب الدنيا طاش واللاحق يندو ويروح في لاش والعاقل في دينه قئاش ﴿ولا يركب البحر إلا لحج أو عمرة أو غزوة﴾ رواه أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو فكان حقه أن يقول ورد ويقال من ركب البحر للتجارة فقد استقصى في طلب الرزق، والمعنى أنه يدل على كمال حرصه وعدم القناعة في أمره فكان من السلف من إذا ربح داتقا أنصرف قناعة بهو كان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر، ومنهم من لا يعمل في الأسبوع الا يوما أو يومين ﴿ويتورع﴾ أي عن الشبهات ولا يكتفي بالتحرز عن المحرمات وقد حمل إلى رسول الله ﷺ لبن فقال: من أين لكم هذا؟ قيل من هذه الشاة فقال: ومن أين لكم هذه الشاة؟ قيل: من موضع كذا فشرب منه ثم قال: أنا معاشر الأنبياء أمرنا أن لا نأكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا الطبراني من حديث أم عبد الله أخت شداد ابن أوس بسند ضعيف، ويقويه قوله تعالى: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) ويؤيده قوله عليه السلام: ان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) وعن أبي هريرة كان إذا أتى بطعام من غير أهله سأل عنه، الحديث رواه أحمد من حديث أبي هريرة باسناد جيد، وله من حديث جابر: ان رسول الله ﷺ وأصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة، الحديث، وفيه فاخذ رسول الله ﷺ لقمة فلم يستطع أن يسيغها فقال: هذه شاة ذبحت بغير إذن أهلها، الحديث واسناده جيد، والحاصل انه عليه السلام كان لا يسأل عن كل ما يحمل إليه الا اذا ظهر له ما يدل على رية لديه، وفي البخاري من حديث عائشة: كان لا يبي بكر غلام يخرج له الخراج وكان يأكل أبو بكر من خراجها يوما بشيء فأكل منه أبو بكر فقال الغلام: أتدري ما هذا؟ فقال: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لانا في الجاهلية فاعطوني فادخل اصبعه فيه وجعل يقي، وفي بعض الأخبار انه عليه السلام لما أخبر بذلك قال: او ما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا، فعني قوله ويتورع أي يطلب الورع من نفسه ويبالغ في ترك حظه فان الورع أصل الدين كما أن الطمع فساده في مقام المجتهدين ﴿فورد اما الورعون فاني استحي ان احاسبهم﴾ أي

وَأَدْنَىٰ رُتْبَةٍ إِلَّا حَرَامٌ وَهُوَ الْوَرَعُ . ثُمَّ عَنِ الشَّهْوَةِ وَهُوَ التَّقْوَىٰ ،
 فَوَرَدَ « دَعَّ مَا يَرِيكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيكَ » وَهُوَ كُلُّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ وَالْأَخْذُ مِنْ
 عِلْمٍ أَنَّ فِي مَالِهِ حَرَامًا . أَوْ عَلَيْهِ عَلَامَةٌ عَدَمُ الْمُبَالَاةِ ، وَصَلَةُ السُّلْطَانِ إِنْ اشْتَبَهَ
 بَيْتُ الْمَالِ . وَاسْتِحْقَاقُ الْأَخْذِ أَوْ قَدْرُهُ . وَالْأَوَّلَىٰ فِي مِثْلِهِ السُّؤَالُ عَنِ الْغَيْرِ .
 وَالتَّعَلُّلُ لَا يَتَأَذَىٰ فَاسْرَارُ الْمُؤْمِنِ أَهْمٌ مِنَ الْوَرَعِ

فانهم حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا الحديث لم أعرفه ﴿ وأدنى رتبة ﴾ أى
 مراتب الورع ﴿ الاحتراز عن الحرام وهو الورع ﴾ الخصوص به فى عرف الاعلام
 * (ثم عن الشهوة) أى شهوة النفس وهواها و كان الظاهر ان يقول ثم عن الشبهة
 ولعله سهو فى النسخة * (وهو التقوى) * أى ذالها وجمالها * (فورد دعى ما يريك) أى
 ما يوقعك فى الريبة والشبهة * (الى ما لا يريك) * النساقى والترمذى والحاكم وصحاحه من
 حديث الحسن بن على * (وهو) * أى المريب * (كل ما) * وفى نسخة كما * (اختلف فيه) عند
 العلماء بالحل والحرمه والكراهة والخلوعنها كأ كل الضب ونحوها * (والاخذ) * بالرفع
 أو الخفض أى ثم الورع عن الأخذ والمريب كالأخذ * (عن علم) * أى ظنا غالبا * (ان فى
 ماله حراما) * بان يكون أكثره حراما * (أو عليه) * أى وان على نفسه * (علامة عدم
 المبالاة) * فى المعاملات فكل منسوب الى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله وكذا فى
 الاجناد والظلمة من الأمراء والوزراء وأصحابهم وأعوانهم من العلماء وفى الخبر * من لم يبال
 من أين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من أين أدخله النار ، الدبلى عن أنس
 * (وصلة السلطان) * أى ثم الورع عن أخذها أو كصلته واعطائه * (ان اشتبه
 بيت المال) * أى التبس مال الحرام بالحلال * (واستحقاق الأخذ) * أى أخذه
 فى تلك الحال وهو يحتمل المصدر واسم الفاعل ويؤيد الاول قوله * (أو قدره) *
 أى من جملة المال * (والاولى فى مثله) * أى فى مثل ما ذكر من مواضع الاشتباه * (السؤال
 عن الغير) * أى من أهل الانتباه فان رأى العليل عليل والنفس بالطبع الى هوسها
 وهواها تميل * (والتعلل) * أى والاولى فى مثله حال الامتناع اظهار الاعتذار
 * (كيلا يتأذى) * أى صاحبه فى الاسرار * (فاسرار المؤمن) * أى ادخال السرور فى
 قلبه بقبول ماله ولو بشبهة فى حاله * (أهم من الورع) * فى اظهار فعالة فمن ابن عمر

أَمَّا الْوَهْمُ الْغَيْرُ النَّاشِ عَنْ دَلِيلٍ كَالْاِحْتِرَازِ عَنِ الصَّيْدِ لِاحْتِمَالِ كَوْنِهِ
مَلَكًا لِلْغَيْرِ وَلَا أَثَرَ عَلَيْهِ. فَوَسُوسَةٌ وَيُنِي فِيهِ عَلَى ظَاهِرِ الْحَالِ تَحْسِينًا لِلظَّنِّ. فَوَرَدَ
(إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ) ثُمَّ عَمَّا لَا بَأْسَ بِهِ مَخَافَةً مَابَهُ بِأَسْ. وَهُوَ الصَّدَقُ فِي التَّقْوَى
كَتَرَكَ. الْعَزَبُ الشَّبَعُ وَالْعَطْرُ لِنَحْرِ يَكُهُمَا الشَّهْوَةُ. ثُمَّ عَمَّا لَيْسَ لَهُ تَعَالَى وَهُوَ
الصَّدَقُ الْمَطْلُوقُ كَتَرَكَ خَطْوَةً أَوْ لَقْمَةً لَيْسَ فِيهِمَا نِيَّةٌ

« ما من شيء أحب الى الله من ادخال السرور على اخيك المسلم » ابن النجار * (اما
الوهم الغير الناشئ عن دليل) هـ أى عما يشعر بعلّة شبهة وريبة هـ (كالاحتراز عن
الصيد) هـ أى مطلقا هـ (لاحتمال بونه ملكا للغير) هـ أى سببا هـ (ولا أثر عليه) هـ
أى على الصيد من علامة دالة على أنه للغير هـ (فوسوسة) هـ ويسمى شبهة الشبهة
هـ (ويبنى) هـ أى أمر الورع هـ (فيه على ظاهر الحال) هـ أى حال المسلم لما ورد ونحن
نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وهو أعلم بالضمائر ، (تحسينا للظن) أى بأخيه
المؤمن (فورد ان بعض الظن اثم) وهو الذى لا علامة فيه عما يوافقه أو ينافيه ،
واما ماورد من ان الحزم سوء الظن فمحمول على ما يوجد فيه امارة وفي الآية أيضا
الى هذا المفهوم اشارة ، وعن سلمان اذا كان لك صديق عامل أو تاجر تعارف
الربا فعداك الى طعام أو نحوه أو أعطاك شيئا فاقبل فان الهناء لك وعليه الوزر فاذا ثبت
هذا فى المرابى فالظالم فى معناه (ثم) أى ثم الورع (عمالا بأس به مخافة مابه
بأس) فى سنن ابن ماجه « لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة
مابه بأس » (وهو الصدق فى التقوى) أى المسمى به ، ومنه أنه عليه السلام « أرق ليلة
فقال له بعض نسائه اركت يا رسول الله ؟ فقال : أجل وجدت تمرّة فأكلتها فخشيت ان
تكون من الصدقة ، احدى من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده باسناد حسن
(كترك العزب الشبع) أى المفرط (والعطر) أى الطيب الكثير وهما مالا بأس
بهما (لنحر يكهما الشهوة) التى بها بأس فتكون باعثة له على الرية والشبهة (ثم)
أى ثم الورع (عما ليس له تعالى) أى خالصا لوجهه وان كان مباحا فى أصل
أمره (وهو الصدق المطلق) وصاحبه الصديق المحقق (كترك خطوة أو لقمة)
وكذا ترك نظرة . وخطرة . وسكون . وحركة (ليس فيهما) وفى أمثالهما (نية)

عِبَادَةٌ فَهُمْ كَانُوا يَقْتَصِرُونَ عَلَى لَقِيَمَاتٍ يَقْوِينَ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْتَحْقِيقِ أَنَّهُ كَلَّمَ
يُشَدُّ فِي الْإِحْتِيَاظِ يَكُونُ سَبِيلًا لِلتَّخْفِيفِ، وَالْأَصْلُ الْإِسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ * »

عبادة) وقصد سعادة) فهم) أى أهل هذا المقام وهم الصديقون) كانوا يقتصرون
على لقيمات يقوين على العبادة) أبدانهم، وروى عن عمر « أنه كان يأكل سبع لقم
أو تسعاً، وقد أشير إليه بقوله لقيمات فإنه أقل جمع القلة وهو ما دون العشرة وفي هذا
بيان الحكمة وفي تصغيرها إيماء إلى تقليلها في الكيفية) والتحقيق أنه كلما يشدد
في الاحتياط يكون سبباً للتخفيف) أى لتخفيف الحساب وتقليل العذاب) والأصل
الاستفتاء من القلب) والاستخارة في كل أمر من الرب فورد « استفت قلبك وإن
افتاك المفتون وماخاب من استخار » ثم اعلم أن أغلب أموال السلاطين حرام
في هذه الأعصار والحلال في أيديهم معدوم أو عزيز في الديار ، وقد اختلف الناس في
هذا فقال : قوم كل ما لا يتيقن أنه حرام فله أن يأخذه وقال آخرون لا يحل أن يأخذ
ما لا يتيقن أنه حلال فلا تحل شبهة أصلاً ، والاعدل أن الحكم للأغلب فإذا كان
حراماً حرم وإذا كان حلالاً بقي بحله وحكم الورع بتركه إلا أن هذا الزمان لم يوجد
إلا الشبهات لفقد الخالص من الحلالات الطيبات ، ولقد احتج من جوز أخذ أموال
السلاطين إذا كان فيه حلال وحرام مهما لم يتحقق أن عين المأخوذ حرام بما روى
عن جماعة من الصحابة أنهم أدر كوا أيام الأئمة الظلمة وأخذوا الأموال منهم
كأبي هريرة . وأبي سعيد الخدري . وزيد بن ثابت . وأبي أيوب الأنصاري . وجريير
ابن عبد الله . وجابر . وأنس . والمسور بن مخرمة فأخذ أبو سعيد . وأبو هريرة من
مروان . ويزيد بن عبد الملك ، وأخذ ابن عمر . وابن عباس من الحجاج وأخذ كثير
من التابعين منهم كالشعبي . وإبراهيم . والحسن . وابن أبي ليلى ، وأخذ الشافعي من
هارون الرشيد ألف دينار في دفعة ، وأخذ مالك من الخلفاء أموالاً جمّة وقال على كرم
الله وجهه : خذ ما أعطاك السلطان فإن ما يعطيك من الحلال وما يأخذه من الحلال
أكثر وإنما ترك من ترك منهم العطاء تورعاً لا ترى إلى قول أبي ذر لا خف بن قيس
خذ العطاء ما كان نخلة فإذا كان أئمان دينكم فدعوه ، وقال أبو هريرة إذا أعطينا قبلنا
وإذا منعنا لم نسأل ، وعن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه كان إذا أعطاه معاوية
سكت وإن منعه وقع فيه ؛ وروى نافع عن ابن عمر أن المختار كان يبعث إليه المال فيقبله

ثم يقول: لا أسأل أحدا ولا أورد مارزقي الله، وعن نافع أنه بعث ابن معمر إلى ابن عمر سبعين ألفا فقسمها على الناس ثم جاء سائل فاستقرض من بعض من أعطاه وأعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي على معاوية فقال: ألا أجيزك بجائزة لم أجزها أحدا من العرب قبلك ولا أجيزها أحدا بعدك من العرب قال فأعطاه أربع مائة ألف فأخذها، وعن جعفر عن أبيه أن الحسن والحسين كانا يقبلان جوائز معاوية، وقال حكيم ابن جبير: مررت على سعيد بن جبير وقد جعل عاشر من أسفل الفرات فأرسل إلى العشارين أطعمونا بما عندكم فأرسلوا بطعام فأكل منه وأكلنا معه وزعمت هذه الفرقة أن ما ينقل من امتناع جماعة من السلف من العطاء لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين. وأبى ذر وغيرهم من الزهاد فإنهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاؤه إلى محذور ورعاه، وما نقل عن سعيد بن المسيب أنه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع نيفا وثلاثين ألفا وما نقل عن الحسن أنه قال: لا أتوضأ من ماء صيرفي وإن ضاق وقت الصلاة لأنني لأدري أصل ماله كله ذلك ورع لا ينكر، ومن هذا القبيل أن أبا بكر حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم ففرقها لبيت المال وإن عمر كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له واخذت درهما من المال فنقض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن أحد منكبيه ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فأدخل عمر أصبعه في فيها فأخرجه وطرحه على الخراج وقال أيها الناس: ليس لعمر ولا لآل عمر إلا ماله سلهين قريبهم وبعيدهم؛ وكشع أبو موسى الأشعري بيت المال فوجد درهما فربى لعمر فأعطاه أياه فرآه عمر في يد الغلام فقال اعطانيه أبو موسى فقال يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت أن لا يبقى من أمة محمد ﷺ أحد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم إلى بيت المال، وقال عمر: اني لم اجد نفسي في مال بيت المال الا كوالى مال اليتيم أن استغثت استعفت وإن افتقرت اكلت بالمعروف، وعن ابن عمر أنه قال في أيام الحجاج ما شبت من الطعام منذ انتهت الدار إلى يومى هذا، وروى عن علي كرم الله وجهه أنه كان له سويق في أناء محتوم يشرب منه قليل له: اتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه؟ فقال: أما اني لا اختمه بخلافه ولكن كره أن يجعل فيه ما ليس منه وأكره أن يدخل بطني غير طيب، وعن ابن المبارك أن الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بآبى عمر. وعائشة ما يقتدون بهما لأن كلامهما كان يفرق ما يأخذنه في مجلسه وكذا جابر ابن زيد وقيل يتصدق بهو كان يقول رأيت أن آخذ منهم واتصدق أحب إلى من أن ادعاه في

أيديهم وهكذا فعل الشافعي بمقابلته من هارون الرشيد فإنه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة فن استجراً على أموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين والائمة المجتهدين فقد قال الملوك بالحدادين (ثم اعلم) ان الغنى الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر ما يدل على ان لكل مسلم حقاً في بيت المال لكونه مسلماً مكثراً جمع المسلمين ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كفاية بل على مخصوصين بصفات فإذا ثبت هذا فكل من يتولى أمراً يقوم به ويتعدى صاحبه الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وكذا طلبة هذه العلوم فيه يدخلون ويدخل فيه العمال الذين ترتبط مصالح الدنيا بأعمالهم وهم الاجناد والمرتبة الذين يجرسون الممالك بالسيوف والسهام من أعداء الاسلام ويدخل فيهم الكتاب والحساب والعمال على أموال الحلال ، وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع وجود الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والأنصار ولم يعرفوا بالحاجة والافتقار وليس يتقدر أيضاً بالمقدار بل هو الى اجتهاد الامام في الاختيار ، فله ان يوسع بالعبادة ويقتصر على الكفاية بحسب ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد كان عمر رضي الله عنه يعطى الجماعة لكل واحد اثني عشر ألف نقرة في السنة واثبت لعائشة وجماعة في هذه الجريدة لكل واحد عشرة آلاف وجماعة ستة آلاف وهكذا واعطى عائشة في جريدة اخرى اثني عشر ألفاً وزيب عشرة آلاف وجويرة ستة آلاف وكذا صفية وسوى ابو بكر رضي الله عنه في زمانه فراجع عمر فقال: انما فضلم عند الله وانما الدنيا بلاغ فالسلطان اذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق كما في زماننا فهل يجوز للواحد ان يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على اربع مراتب فعلاً بعضهم وقال: كل ما يأخذ فالمسلمون فيه شركاء ولا يدرى أن حصته منه درهم أو دنانير او حبة فليترك الكل وقيل : له ان يأخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقيل : له ان يأخذ قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق في هذا المال فكيف يتركه وقيل : انه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لأن المال ليس مشتركاً بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الاقربين لأن ذلك صار ملكاً لهم وهذا لو لم تنفق قسمة حتى مات هؤلاء لم

﴿البَابُ السَّابِعُ فِي الْإِتِّبَاعِ وَالْمَعِيشَةِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَرَدَ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي) * (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) فَأَلْصُقُ اتِّبَاعُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ لِأَنَّهُ يُصِيرُ الْعَادَةَ عِبَادَةً وَيُنَوِّرُ الْبَاطِنَ وَيَذْكُرُ الْعِبُودِيَّةَ وَيُقَرِّبُ إِلَى الْإِرْتِيَاضِ ، فَالْمُسْتَرَسِلُ فِي اتِّبَاعِ الْهُوَى يُشَبِّهُ الْبَهَائِمَ ، هَذَا

يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يتمتع لظلم المالك بقية الاصناف لمنع حقهم، وقد وقع الاطئاب في هذا الباب لانه مهم لدوى الالباب في معرفة الخطأ والصواب •

﴿البَابُ السَّابِعُ فِي الْإِتِّبَاعِ فِي الْمَعِيشَةِ﴾

أى لاجل المعاش في أمر الدنيا وأخذ زاد المعاد في العقبى، وهذا الباب مشتمل على أنواع من الآداب كالأكل . والشرب . واللبس . والمنام . والسلام وما لا يستغنى عنه الأناام ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ مفتاح كل كتاب كريم ﴿وردد قل ان كنتم تحبون الله﴾ أى وتبتغون رضاه ﴿فاتبعونى﴾ فى كل ما قدره وقضاه وأمره ونهاه تماماً (يحبيكم الله) أى يثبكم فيما خلقه من دنياه وأخراه (ويغفر لكم ذنوبكم) فى عقباه (والله غفور رحيم) لمن عصاه ثم اتقاه ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ أى من أوامره تماماً (وما نهاكم عنه فانتهوا) من زواجره ﴿فالأصل﴾ أى الذى عليه نظام الاحكام ﴿اتباعه عليه السلام فى جميع الأمور﴾ من أحوال الأناام ﴿لأنه﴾ أى اتباعه ﴿يصير العادة عبادة وينور الباطن﴾ ونوره يوجب سعادة ﴿ويذكر العبودية﴾ أى التى هى القيام بحقوق الربوبية ﴿ويقترب الى الارتياض﴾ أى تهذيب الأخلاق عن الأوصاف الدنائة ﴿فالمسترسل فى اتباع الهوى يشبه البهائم﴾ كما أشار اليه قوله تعالى: (أولئك كالأنعام بل هم أضل) لأنها ليس لها استعداد الأناام ويأكلون كما تأكل الأنعام حيث لم يفرقوا بين الحلال والحرام (هذا) أى خذ هذا

وَإِنَّمَا عَدَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَبَاحٍ إِلَى آخِرٍ لَا طَّلَاعَهُ بِنُورِ النُّبُوَّةِ عَلَى فَائِدَةٍ فِيهِ
فَتَرَكَهُ لِلتَّكْذِيبِ كُفْرًا . وَدُونَهُ حَقٌّ ، وَحَقُّهُ أَنْ يَغْسِلَ الْيَدَيْنِ قَبْلَ الْأَكْلِ وَبَعْدَهُ
تَنْظِيفًا وَتَعْظِيمًا ، وَوَرَدَ « الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْبِئُ الْفَقْرَ وَبَعْدُهُ يَنْبِئُ اللَّيْمَ »

السَّلامُ) وَإِنَّمَا عَدَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَبَاحٍ إِلَى آخِرٍ لَا طَّلَاعَهُ بِنُورِ النُّبُوَّةِ عَلَى فَائِدَةٍ
فِيهِ) دُونَ الْآخِرِ اتِّقَالًا وَفَقِ اتِّتِفَاعُ الْهُدَى لَا اسْتِرْسَالًا فِي اتِّبَاعِ الْهُدَى) (فَتَرَكَهُ)
أَيَّ تَرَكَ الْإِتِّبَاعَ) (لِلتَّكْذِيبِ كُفْرًا) بِالْإِجْمَاعِ) (وَدُونَهُ) أَيَّ وَتَرَكَهُ بِدُونِ التَّكْذِيبِ
(حَقٌّ) أَيَّ جِهَالَةٍ وَضَلَالَةٍ مِنْ غَيْرِ النَّزَاعِ) (وَحَقُّهُ) أَيَّ وَحَقِّ اتِّبَاعِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فِي اتِّتِفَاعِهِ بِالطَّعَامِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ مَعَاشِ الْإِنَامِ) (أَنْ يَغْسِلَ الْيَدَيْنِ) إِلَى الرَّسْغَيْنِ
فَيُغْسِلُ الْيَدَ الْوَاحِدَةَ أَوَ الْأَصَابِعَ غَيْرَ كَافٍ لِلْقِيَامِ بِالسَّنَةِ كَمَا هُوَ مُصْرَحٌ بِهِ فِي الْعَوَارِفِ .
وَالْغَنِيَّةُ) (قَبْلَ الْأَكْلِ وَبَعْدَهُ) فَمِمَّا سَتَانِ كَمَا فِي السَّرَاجِيَةِ وَلَوْ غَسَلَ يَدَيْهِ بِالطَّعَامِ أَوْ
عَنْهُ يَصِيرُ الْمَاءُ مُسْتَعْمَلًا لِأَقَامَةِ السَّنَةِ بِخِلَافِ مَا لَوْ قَصَدَ غَسْلَهُمَا مِنَ الْوَسْخِ كَنَافِي الْجَامِعِ
الصَّغِيرِ الْخَافِي) (تَنْظِيفًا) أَيَّ تَطْهِيرًا عَنِ التَّلَوُّثِ نَظَرًا إِلَى الثَّانِي) (وَتَعْظِيمًا) لِلنَّعْمَةِ
نَظَرًا إِلَى الْأَوَّلِ فِي السَّكَّامِ لَفٍ وَنَشْرٍ مَشْوَشٍ) (وَوَرَدَ الْوُضُوءُ) الْمُرَادُ بِهِ اللَّفْظُ
وَقِيلَ الشَّرْعِيُّ) (قَبْلَ الطَّعَامِ يَنْبِئُ الْفَقْرَ) لِاسْتِقْبَالِ النَّعْمَةِ بِالتَّطَاهَرِ وَالنَّظَافَةِ) (وَبَعْدَهُ
يَنْبِئُ اللَّيْمَ) أَيَّ إِصَابَةِ الْجَنُونِ مِنْ قَتُورِ الْعَقْلِ وَظُهُورِ الْغَمِّ أَوْ إِصَابَةِ الْحَسْرَةِ
السَّامِ وَقِيلَ صَغَائِرُ الذَّنُوبِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (الْإِلَهَمَّ) وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَنْ تَغْفِرَ
اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لِي مَا أَيْ عَبْدُكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » وَفِي نَسْخَةٍ مِنَ الْأَحْيَاءِ يَنْبِئُ الْهَمَّ قَالَهُ ، وَفِي رِوَايَةٍ
« يَنْبِئُ الْفَقْرَ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ » قَالَ مَخْرَجُهُ : رَوَاهُ الْقَضَاعِيُّ فِي مُسْنَدِ الشَّهَابِ مِنْ
رِوَايَةِ مُوسَى الرِّضَا عَنْ آبَائِهِ مُتَّصِلًا بِالْفِظِّ الْأَوَّلِ ، وَلِلطَّبْرَانِيِّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ
ابْنِ عَبَّاسٍ « الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ وَبَعْدَهُ مِمَّا يَنْبِئُ الْفَقْرَ » وَهُوَ مِنْ سَنَنِ الْمُرْسَلِينَ . وَلَا بَيِّنَ
دَاوُدَ . وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ « بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ »
اتَّهَى وَرَوَاهُ أَحْمَدُ . وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ ، وَفِي رِوَايَةِ الْحَاكِمِ فِي تَارِيخِهِ عَنْ عَائِشَةَ
« الْوُضُوءُ قَبْلَ الطَّعَامِ حَسَنَةٌ وَبَعْدَهُ حَسَنَتَانِ » وَاعْرَبَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ فِي قَوْلِهِ : يَكْرَهُ
غَسْلَ الْيَدَيْنِ قَبْلَ الطَّعَامِ وَلَعَلَّهُ يَحْمُولُ عَلَى أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ نَظِيفَةً بِلَارِيَّةٍ وَلِذَا قِيلَ : يَدُ
الْمَصْلِيِّ طَاهِرَةٌ لِحَيْثُ نَزَدَ غَسْلُهَا إِسْرَافًا وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مَأْخُذُهُ مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الشَّمَاثِلِ

وَيَفْتَحُ بِالْمَلْحِ وَيَحْتَمُّ بِهِ ، فَفِيهِ مَغْفَرَةُ الذُّنُوبِ . وَدَفْعُ سَبْعِينَ بَلَاءً .
وَيَأْكُلُ عَلَى السَّفَرَةِ الْمَوْضُوعَةِ عَلَى الْأَرْضِ ، فَالْخَوَانُ . وَالْمُنْخُلُ . وَالْأَشْنَانُ .
وَالشَّبْعُ مِنَ الْبَدَعِ . وَأَنْ لَمْ تَكُنْ مَذْمُومَاتٍ غَيْرَ الشَّبْعِ

عن ابن عباس أنه عليه السلام «خرج من الحلاء فقرب اليه الطعام فقالوا: الا تأنيك بوضوء؟ فقال: انما أمرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة ، وروى أيضا فيهما أنه عليه السلام «خرج من الغائط فأتى بطعام فقيل له الاتوضأ؟ فقال عليه السلام : أصلي فأتوضأ ، فاخذ بظاهره مالك . وسفيان فيكرهان الوضوء قبل الطعام والشافعي استحبه تركه والتحقيق ان المراد من الوضوء المنفى هو الوضوء الشرعي فلا ينافي الوضوء اللزوي العرفي من غسل اليدين مع أنه عليه السلام أراد بيان جواز تركه والتصريح بعدم وجوبه كما في الترمذي عن سليمان قال: قرأت في التوراة ان بركة الطعام الوضوء بعده فذكرت ذلك له عليه السلام وأخبرته بما قرأته في التوراة فقال عليه السلام: «بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده ، انتهى فهو عليه السلام بعث لاتمام مكارم أخلاق الانام ثم مسح اليدين بعد الطعام مستحب ولا يمسح يديه بالمندبل ونحوه قبل الطعام بل يتركه حتى يجف ليكون أثر الغسل قائما عند الأكل كذا في الحانية (ويفتح) أى يتبدى بعد التسمية (بالمالح) أى الخالص (ويحتم به فقيه) أى فيما ذكر من الاقتراح والاختتام به (مغفرة الذنوب) أى الصغائر (ودفع سبعين بلاء) أى عن الطواهر أو الضمائر وهذا لم أجده أصلا (ويأكل على السفرة) أى من الجلد أو الخرق (الموضوعة على الأرض) فهو أقرب الى أدبه عليه السلام وتواضعه لمقام الانعام فورد «كان اذا أتى بطعام وضعه على الأرض» أحمد في كتاب الزهد عن الحسن مرسلا . والبرار من حديث أبي هريرة نحوه ، وفي البخارى عن أنس ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا في سكرجة فليل فعلى ماذا كنتم تأكلون؟ فقال: على السفروهي جمع السفرة الدالة على السفر المذكور لسفر الآخرة وزاد متاعها الفاخرة (فالخوان) أى استعمال الموائد (والمنخل والاشنان والشبع من البدع وان لم تكن) أى ولولم تكن هذه البدع الأربع (مذمومات غير الشبع) فانه مذموم بالشرع والطبع قال بعض الحكماء: ثلاثة يفضهم الناس البخل . والمتكبر . والاكول ، وقال أبو سليمان الداراني: من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة . وقصور حفظ الحكمة .

مُتَادِبًا . فُورِدَ « لَا آكُلُ مُتَكَنًّا

وحرمان الشفقة على الخلق لأنه اذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع . ويقبل الطاعة : وأن يدور المؤمنون حول المساجد . والمحافل وهو يدور حول المظاهر . والمزابل ويقال ان في قلة الأكل منافع كثيرة منها أن يكون أصح جسما وأجود حفظا وأزكى فهما . وأقل نوما . وأطيب نفسا . وأخف بدنا . والطف حسنا، وفي كثرة الأكل مضار كثيرة وهي اضداد ما تقدم ويتولد منها الأمراض المختلفة ويقال: اذا كانت العلة من قلة الأكل صلت بمؤنة قليلة واذا كانت من كثرة الأكل تحتاج الى مؤنة كثيرة تدفعها، ثم ليس كل ما ابتدع منها عنه بل المنهى عنه ابداع بدعة تضاد سنة، قال الحجة: وليس في المائدة الارفع الطعام عن الارض ليتيسر الأكل وأمثال ذلك مما لا كراهة فيه، أقول: وإنما الكراهة من حيث أنه يخالف للسنة وشعار أهل النعمة وطريق أهل الكبر والنخوة قال والاربعة التي ذكرناها انها مبتدعة ليست متساوية بل الاثنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب والاشتان أتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يمتدع عندهم أو لا يتيسر وكانوا مشغولين بأمورهم أهم من المبالغة في النظافة وقد كانوا لا يغسلون الايدي أيضا وكانت مناديلهم أنخص أقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا قلت: ثبت الغسل بالاخبار فلا ينافي ما فعلوه احيانا في حال الاضطراب، وفي الجملة ليست المبالغة في النظافة من عمل السلف الاخيار، وفي الثانية عن أن حنيفة . وأبي يوسف لا بأس بغسل اليد بعد الأكل بالمعجون والدقيق فهما بمنزلة الاثنان وهو قول محمد فبالغاسول والصابون ونحوهما أولى فان النظافة بهما اتقى، وفي الازهار شرح المصاييح قال العلماء: ورد عنه عليه السلام انه غسل قبل الطعام وبعده وترك الغسل في الحالين، وورد مسح اليدين بالمنديل والحصابة الا أن يريد أكل شيء رطب وقد انتقض طهارته فيكره، ومن هنا قيل يد المصلي طاهرة واختلاف الروايات لتفاوت الأطعمة والحالات وأكثر أحواله الغسل قبل الطعام وبعده أو الاكتفاء بالغسل في آخره والله أعلم قال: وأما المنخل فالمقصود منه تطيب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التعميم المفرط، واما الشبع فهو أشد هذه الأربع فانه يدعو الى تبييع الشهوات والاهواء وتحريك الادواء في الاعضاء (متأدبا) أى يأكل حال كونه متأدبا في هيئة جلوسه (فورد لا آكل متكئا) أى متمكنا في مقعده سواء يكون مستندا أو متكئا على أحد شقيه أو متربعا أو مضطجعا، والحديث رواه

أَنَا عَبْدُ كُلِّ كَيْفَ يَا كُلُّ الْعَبْدِ « إِلَّا الْفَاكَةَ عَلَى سَبِيلِ التَّفَكُّهِ فَيَجُوزُ مُتَكِنًا . وَمُضْطَجِعًا ، وَيَجْلِسُ عَلَى الرَّجْلِ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ الْيَمْنَى ، فَهُوَ مَسْنُونٌ . وَيَنْوِي بِهِ الْقُوَّةَ عَلَى الطَّاعَةِ دُونَ التَّلَذُّذِ ، وَيَقْدُمُهُ عَلَى الصَّلَاةِ إِنْ أَمِنَ فَوْتَهَا

البخارى من حديث أبي جحيفة ، وفي السراجية : لا بأس بالأكل متكئا إذا لم يكن عن تكبر ، وكذا في الاختيار مثله ﴿ أنا عبد آكل كل كَيْفَ يَا كُلُّ الْعَبْدِ ﴾ البزار من حديث ابن عمر وزاد أحمد في الزهد من حديث عطاء بن أبي رباح ومن حديث الحسن مرسلًا « واجلس كما يجلس العبد ، وورد بسند ضعيف أنه عليه السلام « زجر أن يتمدد الرجل بيده اليسرى عند الأكل » ﴿ إلا الفاكهة ﴾ استثناء من قوله لا آكل متكئا ﴿ على سبيل التفكه ﴾ أى التقل من الحبوب ﴿ فيجوز متكئا ومضطجعا ويجلس على الرجل اليسرى وينصب اليمنى فهو مسنون ﴾ وروى أبو الحسن المقرئ في الشمايل من حديث أنس « كان إذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى ثم قال : أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأفعل كما يفعل العبد وفيه تنبيه عليه على أن الأكل على المائدة كرهه وربما جثا للأكل على ركبته وجلس على ظهر قدميه ، فقد روى أبو داود من حديث عبد الله بن بسر في أثناء حديث « أتوا بذلك القصة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله ﷺ الحديث وله للنسائي من حديث أنس « رأيت يا كل وهو مقع من الجوع » وفي القاموس أقمى فى جلوسه تساند الى ماوراءه ، وروى عن علي « انه أكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال : منبطح على بطنه والعرب قد تفعل ذلك إذا لم يكن مانع هنالك ، وأما ماورد من نهيه عليه السلام عن أكل الرجل وهو منبطح على بطنه كما رواه أبو داود وابن ماجه . والحاكم فهو محمول على التنزيه وكذا يكره الأكل قائما ﴿ وينوى به ﴾ أى بالأكل ﴿ القوة على الطاعة دون التلذذ ﴾ وقصد الشهوة ومن دعاه السلف بعد الأكل اللهم اجعله عونا على طاعتك ولا تجعله عونا على معصيتك ، ومن ضرورة هذه النية تقليل الأكل في القضية وفي الخبر « ماملا ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيات تقمن صلبه فان لم يفعل فثلك للطعام وثلك للشراب وثلك للنفس ، الترمذى وقال حسن . وابن ماجه من حديث المقدم بن معدى كرب ﴿ ويقدمه ﴾ أى الأكل ﴿ على الصلاة ان أمن فوتها ﴾

لَتَلَا يَبْرِدُ وَلَا يَلْتَفِتُ الْقَلْبُ إِلَيْهِ ، وَوَرَدَ « إِذَا حَضَرَ الْعِشَاءُ وَالْعِشَاءُ
فَاقْبَدُوا بِالْعِشَاءِ » ، وَيَكْثُرُ الْأَيْدَى ، فَوَرَدَ « اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ يَارِكَ لَكُمْ
فِيهِ » وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَأْكُلُ وَحْدَهُ فِيهِ تَقْلِيلُ الْأَكْلِ وَالْإِنْفَاقُ وَالْجَمْعُ
فِي الْقِصَّةِ الْوَاحِدَةِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

أى بخروج وقتها وإنما يقدمه (لألا يبرد) إذا قعد لديه (ولا يلتفت القلب إليه)
فالأكل المخلوط بالصلاة خير من الصلاة المخلوطة بالطعام (وورد إذا حضر العشاء)
بفتح العين أى طعام الليل (والعشاء) بكسره أى صلاته (فأبدوا بالعشاء) وهو
يشمل العشاءين وكذا إذا اتفق وقت العصر وهكذا حكم الغداء عند الظهر نظرا إلى العلة
وهي الشاغلة والحديث كذا في الأحياء قال العراقي في شرح الترمذى: لأصل له في كتب
الحديث بهذا اللفظ وأصل الحديث في المتفق عليه بلفظ «إذا وضع العشاء وأقيمت
الصلاة فأبدوا بالعشاء» والجمهور على أن الأمر للنذب فقيل: إنه مقيد بمن كان محتاجا
إلى الأكل وهو المشهور وقيل على إطلاقه وإلى ذهب ابن عمر ولقد كان ربما سمع قراءة
الامام فلا يقوم عن عشاءه ، وقيل المراد به صلاة المغرب لرواية فابدهوا به قبل أن
تصلوا المغرب ولرواية إذا وضع العشاء وأحدكم صائم وقيل وهو الاظهر ينبغى حملها
على العموم نظرا إلى العلة وهي التشوق المفضى إلى ترك الخشوع وذكر المغرب
لا يقتضى الحصر فيها لأن الجائع غير الصائم قد يكون أشوق إلى الأكل من الصائم ،
ثم الحمل على العموم إنما هو بالنظر إلى المعنى الحاقا للجائع بالصائم لا بالنظر إلى اللفظ
الوارد كذا في فتح البارى شرح البخارى (ويكثر الأيدى) أى على الطعام ولو
من أهله وولده والخدام (فورد اجتمعوا على طعامكم ياركة لكم فيه) بصيغة
المجهول أبو داود . وابن ماجه من حديث وحشى بن حرب باسناد حسن قيل: الأكل
مع العيال أفضل من الأكل وحده والأكل مع التير أفضل من الأكل مع العيال
(وكان عليه السلام لا يأكل وحده) الخرائطى في مكارم الأخلاق عن أنس (وفيه
تقليل الأكل) أى غالبا (والانفاق) أى الإيثار المحمود بالاتفاق (والجمع في
القصة الواحدة أحب إلى الله تعالى) فعنه عليه السلام «خير الطعام ما كثرت عليه
الأيدي» كذا في الأحياء رسكت عنه مخرجه ، وعن عمر مرفوعا «كلوا جميعا ولا تفرقوا

وَيَحْتَبُ الْقَصْعَةَ الصَّغِيرَةَ فَلَا بَرَكَةَ فِيهَا . وَنَحْوُ الصُّفْرِ . وَالنَّحَاسِ .
وَالْحَزْفِ وَيُسَمَّى فِي الْإِبْتِدَاءِ : وَالْأَحْبُ فِي كُلِّ لُقْمَةٍ . وَيَجْهَرُ تَذْكِراً لِلغَيْرِ ، وَلَا
يَعِيبُ مَا كُولاَ فَهُوَ الْمَأْثُورُ . وَلَا يَتَجَاوَزُ عَمَّا يَلِيهِ ، فَرَدَّ « كُلُّ مَا يَلِيكَ إِلَّا
فِي الثَّمَارِ فَهُوَ مَرْوِيٌّ مُعَلَّلٌ بِأَنَّهُ لَيْسَ نَوْعًا وَاحِدًا ،

فإن البركة مع الجماعة » ابن ماجه (ويحتنب القصعة الصغيرة فلا بركة فيها) لعدم
اتساع الأيدي (ونحو الصفر والنحاس) أى ويحتنب الأكل فيما (فالمنسون
الحشب والحزف) وأما الصينى فهو غاية النعم ولم يكن يستعمله السلف (ويسمى
في الابتداء) فهو سنة مؤكدة فمن عائشة « إذا أكل أحدكم طعاما فليذكر اسم الله فان
نسى أن يذكر اسم الله في أوله فليقل بسم الله على أوله وآخره ، أبو داود . والنسائي :
والحالم وقيل : التسمية واجبة ويحمد في الانتهاء فانه مستحب (والاحب في كل لقمة)
أن يسمى في أولها ويحمد في آخرها وفي الأحياء يقول مع اللقمة الأولى بسم الله ومع
الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم ، فعلى هذا يقول مع الأولى
الحمد لله ومع الثانية زيادة رب العالمين ومع الثالثة زيادة الرحمن الرحيم (ويجهز)
أى بالتسمية (تذكيرا للغير) وتحريضا له على الخير (ولا يعيب ما كولا) من
المباح (فهو المأثور) أى المتفق عليه من حديث أبى هريرة انه عليه السلام « كان
لا يعيب ما كولا ان أعجبه أكله والا تركه فذهب بعضهم الى أن العيب ان كان من
جهة الخلقة يكره وان كان من جهة الصنعة فلا يكره ، وقال العسقلاني : والذى يظهر
التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قلت : لكن قد يراد به التنبيه والتعليم ، ومن الأدب
أن يأكل يمينه (ولا يتجاوز عما يليه فورد كل مما يليك) متفق عليه من حديث
عمر بن أبى سلمة وهو ربيبه عليه السلام انه قال له اذن وسم الله وكل يمينك بما يليك
(الا في الثمار) أى الفواكه (فهو) أى استثنائه (مروى معلل بأنه ليس نوعا
واحدا) اذ يوجد فيه ماهونى ومنضوج وبين ذلك ، وأيضا اذا كان في الطبق
أنواع من الثمار ففي كل نوع له حق فلا يكره أن يأكل من غير ما يليه والحديث رواه
الترمذى . وابن ماجه . وابن حبان من حديث عكراش بن ذئب وفيه « جالت يد
رسول الله ﷺ في الطبق فقال يا عكراش كل من حيث شئت » فانه غير لون واحد

وَلَا يَأْكُلُ مِنْ ذُرَّةِ الْقِصْعَةِ . وَلَا مِنْ وَسْطِهَا وَوَسْطِ الْخُبْزِ وَلَا بِأَصْبَعَيْنِ
فَهُوَ تَكْبَرٌ . وَلَا بِأَرْبَعٍ فَهُوَ شَرٌّ وَالسَّنَةُ ثَلَاثٌ وَلَا بِالشِّمَالِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ
بِهِ وَلَا يَقْطَعُ الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ بِالسَّكِينِ فَهُوَ مَنَى عَنْهُ لِلتَّشْبِهِ بِالْعَجَمِ فِي التَّرْفَعِ .

﴿ولا يأكل من ذروة القصة﴾ أي أعلاها ﴿ولا من وسطها﴾ أي ولولم يكن مرتفعاً بل من جانبها فعن ابن عباس «كلوا في القصة من جوانبها ولانا كلوا من وسطها فان البركة تنزل في وسطها» أحمد . والبيهقي ، وفي رواية أبي داود . وابن ماجه عن عبدالله بن بسر «كلوا من حوايلها وذروا ذروتها يبارك فيها» وفي رواية لابن ماجه عن واثلة «كلوا بسم الله من جوانبها واعفوا رأسها فان البركة تأتيها من فوقها» ﴿ووسط الخبز﴾ أي ولا من وسط الخبز بل يأكل من استدارة الرغيف قياساً على القصة الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز ﴿ولا بأصبعين﴾ أي الا اذا كان لا يحتاج الى ثالثة ﴿فهو تكبر﴾ وكذا بأصبع فان الأكل بها مع انه فعل المتكبرين لا يستلذه الاكل ولا يستدري به لضعف ما يناله منه كل مرة فهو كمن أخذ حبة حبة ﴿ولا بأربع فهو شره﴾ أي حرص على الطعام الا اذا احتاج به فقد قيل انه عليه السلام ربما كان يستعين في الأكل بأربع أصابع وكان لا يأكل بأصبعين وقال الشيطان يأكل كل بهما ﴿والسنة﴾ أي المعروفة والعادة المألوفة له عليه السلام ﴿ثلاث﴾ فقي الشائل للترمذي عن كعب بن مالك أنه عليه السلام يأكل بأصابعه الثلاث فقد قال العلماء : يستحب الاكل بثلاث أصابع ولا يضم اليها الرابعة والخامسة الا للضرورة وامامنا أخرجه سعيد بن منصور من مرسل ابن شهاب ان النبي ﷺ كان اذا أكل اكل بخمس فحمول على القليل النادر لبيان الجواز أو على الماتم ﴿ولا بالشمال﴾ أي ولا يأكل بها ﴿فان الشيطان يأكل به﴾ أي بهذا العضو فعن جابر «لانا كلوا بالشمال فان الشيطان يأكل بالشمال» ابن ماجه وعند الضرورات تباح المحظورات ﴿ولا يقطع الخبز واللحم بالسكين فهو منى عنه للتشبه بالعجم في الترفع﴾ أي التكبر والتعم في أزمته جاهليتهم أما النهي عن قطع الخبز بالسكين فرواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أبي هريرة . وابن حبان من حديث أم سلمة وهو أيضاً مناف لا كرامه كما سيأتى بيانه في مقامه ، وأما حديث النهي عن قطع اللحم بالسكين فرواه أبو داود . والبيهقي في شعب الإيمان من حديث عائشة مرفوعاً «لا تقطعوا اللحم بالسكين فانه من

وَيَحْضُرُ الْبَقْلَ فَهُوَ يُحْضِرُ الْمَلَائِكَةَ . وَيَطْرُدُ الشَّيَاطِينَ وَالْحُلَّ فَهُوَ يَنْفِي
الْفَقْرَ وَيَغْطِي الْحَارَّ حَتَّى يَبْرُدَ فَهُوَ أَعْظَمُ

صنيع الأعاجم وانهشوه فانه أهنا وامراً ه وللتزمذى . وأحمد . والحاكم من حديث صفوان بن أمية وقال انهشوا اللحم نهشا فانه أشهى وأهنا وامراً وفيه إيماء الى جواز القطع ففى السائل عن المغيرة بن شعبة قال: ضفت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فأتى بجنب مشوى ثم أخذ الشفرة فخرلى بها منه ، وفى الصحيحين أنه عليه السلام « احتز من كتف شاة فدعى الى الصلاة فلقى السكين التى يحتز بها ثم قام يصلى ولم يتوضأ » . وفى البيهقى أن النبی عن قطع اللحم بالسكين فى لحم قد تكامل نضجه هذا وقد ورد « اخلعوا نعالكم عند الطعام فانها سنة جميلة » رواه الحاكم عن أنس وفى رواية له ولغيره « فانه أروح لاقدامكم » (ويحضر البقل) أى يجعله حاضرا فى السفرة (فهو يحضر الملائكة) أى اذا لم يكن له رائحة خبيثة (ويطرده الشياطين) لانهم ما يجتمعون مع الملائكة فى محل واحد لكن لم أعرف له أصلا وفى الاحياء يقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل ، وفى الخبران المائدة التى أنزلت على بنى اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند رأسها خل . وعند ذهابها ملح وسبعة أرغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان ، وعن على رضى الله عنه من ابتدأ غداءه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ومن أكل كل يوم احدى وعشرين زبيدة حمراء لم يرفى جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب ، والسفارجات أى السكريات أو المهضمت من المعجنات تعظم البطن وترخى الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنه دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن يتداوى الناس بشيء مثل السمن ولن تستشفى النفساء بشيء افضل من الرطب ، والسماك يذيب شحم الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليأكل بالغداء وليقل من العشاء . وليلبس الحذاء أى التعل وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين أى من الغرماء ولو كانوا من الكرماء (والخل) أى ويحضره (فهو ينفى الفقر) فقد ورد ما افتقر من آدم بيت فيه خل « الطبرانى . وأبو نعيم عن عائشة (ويغطفى الحار) أى يستره لتلا يقع فيه شيء . ولا يلتفت اليه (حتى يبرد) أى يسهل أكله (فهو أعظم

بركة وهو السنة . وَيُكْرَمُ الْخُبْزُ ، فورد « اكرموا الخبز فان الله انزله من
 بركات السماء » فلا يمسح به اليد ولا يضع عليه القصة . ولا ينظر الادم .
 ويكسر باليدن ويقدم المكسور على الصحيح . ولا يلتفت يمينا وشمالا .
 ويصغر اللقمة ويجود المضغ . ويستعين

بركة وهو السنة) أى ثابت بها لقوله عليه السلام « ابردوا بالطعام فان الحار
 لا بركة فيه » رواه الحاكم وغيره ، ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهى عنه بل يصبر
 الى أن يسهل أكله ، والحديث عند أحمد عن ابن عباس وهو عند أبي داود . والترمذى
 وصححه . وابن ماجه الا أنهم قالوا فى الاناء وللترمذى وصححه من حديث أبى سعيد
 نهى عن النفخ فى الشراب أى لئلا ينفصل من ريقه شيء ويقع فيه فيفسد الطبع منه ،
 (ويكرم الخبز فورد اكرموا الخبز) أخرجه الحاكم فى مستدركه عن عائشة ، وفى
 رواية « فان الله أكرمه ومن أكرم الخبز فقد أكرم الله » وفى رواية (فان الله أنزله
 من بركات السماء) أخرجه البغوى فى معجم الصحابة بكأله من حديث عبد الله
 ابن زيد مرفوعا والطبرانى من حديث أبى سكينه وفى رواية زيادة « واخرجه من بركات
 الأرض » رواه الحسكيم (فلا يمسح به اليد) ولا السكين لأنه نوع اهانة (ولا
 يضع عليه القصة) ولا الملححة لأنه قلب الموضوع (ولا ينظر الادم) لأن
 العيش به تمام فى مقام النظام فطلب الزيادة حرص من خصال اللثام ، والله در القائل
 من الكرام :

وما هى الاجوعة قد سدتها . وكل طعام بين جنبى واحد

(ويكسر باليدن) لا يد واحدة كالمسكبين (ويقدم المكسور على الصحيح)
 أى فى أكله (ولا يلتفت يمينا وشمالا) لأنه يوجب اختيالا (ويصغر اللقمة)
 ايماء الى القناعة كما يشير اليه حديث يكفى ابن آدم اقيامت بصيغة التصغير (ويجود
 المضغ) فانه يعين على سرعة الهضم ومالم يتلعها فلا يمد يده الى غيرها اشمارا بعدم
 الشره وطول الامل واحتمال قرب الاجل وأما حديث الأمر بتصغير اللقمة وتدقيق المضغة
 فقال النووى : لا يصح ذكره الزركشى ، وكذا حديث « صغروا الخبزوا كثروا عدده
 يبارك لكم فيه » ضعفه ابن حبان رواه الديلمى بسند عن عائشة مرفوعا (ويستعين

بِالْيُسْرِ عِنْدَ الْحَاجَةِ . وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْإِدَامِينَ فَالْكُلْ مَأْثُورٌ ، وَيَلْعَقُ
الْأَصَابِعَ فَلَا يَدْرِي فِي أَيِّ جُزْءٍ مِنْهُ الْبَرَكَةُ . وَالْقَصْعَةُ فَهُوَ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ . وَيَأْكُلُ
السَّوَاقِطَ فَهُوَ مَأْثُورٌ ، وَوَرَدَ « فَهُوَ مَهْوَرُ الْحُورِ » وَسَبَبُ سَعَةِ الْعَيْشِ
وَالْعَافِيَةِ فِي الْوَلَدِ وَيَخْلُلُ الْأَسْنَانَ

باليسرى (أى من اليمين) (عند الحاجة) أى الملمجة المياقى الطبراني عن عبد الله بن جعفر
قال رأيت في يمين النبي ﷺ قناه وفي شماله رطباً وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة
(ولا يجمع بين الإدامين) فإنه نوع من الترفه فالتمى للتزهد وكذا ما في تحفة الملوك من
أن الجمع بين الأطعمة حرام أى ممنوع منع تنزيه عند السلف الكرام والافقد قال تعالى: (قل
من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وقد ورد « أنه جمع التمر والقناه
كما رواه النسائي ، وأخرج أبو داود . وابن ماجه « قدم علينا رسول الله ﷺ فقدمنا له
زبدًا وتمرًا وكان يحب الزبد والتمر » (فالكل مأثور) وعند أهل الآثار مشهور والعامل به
ما جور (ويلعق الأصابع) أى الثلاث ، يتنبى بالوسطى (فلا يدري في أى جزء منه
البركة) فى صحيح مسلم من حديث أنس . وجابر ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلحق أصابعه
فانه لا يدري فى أى طعامه البركة (والقصعة) أى ويلحسها (فهو كعتق رقبة) فى
الاحياء يقال : من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له كعتق رقبة ، فى الطبراني
عن العرابض من لعق الصخرة ولحق أصابعه اشبعه الله فى الدنيا والآخرة (ويأكل
السواقط) جمع الساقطة ، ومنه قولهم لكل ساقطة لافطة (فهو مأثور) فى صحيح مسلم
« اذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها فليعط ما كان بها من اذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان »
وورد « اكرموا الخبز فانه من بركات السماء والارض ومن أكل ما سقط فى السفرة
غفر له ، الطبراني (وورد فهو مهوور الحور) فى الاحياء يقال التقاط الفتيات مهوور
الحور العين (وسبب سعة العيش) أى الرزق فى الدنيا حيث عظم نعمة المولى
(والعافية فى الولد) أى ذريته من الفقر والبلاء ، فى الاحياء من أكل ما يسقط
من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده ، قال المخرج رواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب
من حديث جابر بلفظ « آمن من الفقر . والبرص . والجذام وصرف عن ولده الحق ،
وفى رواية « اعطى سعة من الرزق ووفى الحق فى ولده وولد ولده » (ويخلل الاسنان)

وَيُخْرِجُ مَا بَقِيَ مِنْهُ . وَيَمْضِضُ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ . وَيَحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى إِنْ
عَرَى عَنِ الشَّهْبَةِ وَالْأَيْسَغَفَرِ وَيَغْتَمُ وَيَبْكِي . وَيَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .
وَيَقْرَأُ الْإِخْلَاصَ . وَالْقُرَيْشَ . وَلَا يَقُومُ قَبْلَ الرَّفْعِ . وَيَدْعُو لِصَاحِبِهِ أَنْ أَكُلَ
طَعَامَ الْغَيْرِ . وَيَقْدُمُ الْأَفْضَلَ فِي الْغَسْلِ . وَالْأَكْلِ . وَالشَّرْبِ .

أى تنظيفاً ﴿ ويخرج ﴾ أى بالخلال ﴿ مابقى منه ﴾ أى ولا يبلعه الا اذا تخلله بلسانه
﴿ ويمضض ﴾ أى بعد التخلل مبالغة فى النظافة واللطافة ﴿ فالكل مأثور ﴾ وبعضه
فما قدما مذكور وفى الاحياء فقيه أثر من أهل البيت ﴿ ويحمد الله تعالى ﴾ بان يقول
« الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى والحمد لله الذى أطعمنا
وسقانا وجعلنا من المسلمين والحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقني من غير حول
منى ولا قوة وأمثال هذا » بما قد ورد فى السنة ﴿ ان عرى ﴾ أى خلا الطعام ﴿ عن
الشبهة ﴾ أى القوية ﴿ والا يستغفر ﴾ ويندم ﴿ ويغتم ﴾ حزنا على ما أكل منه
فورد « كل لحم نيث من سحت فالنار أولى به ، البيهقى فى شعب الايمان من حديث
كعب بن عجرة ﴾ ويبكى ﴿ فليس من يأكل ويبكى كمن يأكل ويلهى ﴾ ويقول الحمد
لله على كل حال ويقرأ الاخلاص ﴿ أى سورة قل هو الله أحد ﴾ والقريش ﴿
صوابه قريش أى سورة ايلاف قريش كذا فى الاحياء ، ولعل الاولى للايمان الى توحيد
الذات وتفيد الصفات لاسيما النعت الصمدى بالوصف الاحدى الابدى والثانية الاشعار
الى تذكار أوصافه سبحانه بنعت الاحسان والامتنان حيث قال : ﴿ فليعبدوا رب هذا
البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ وأقول : وقراءة سورة الفاتحة
المشتملة على الحمد والدعاء بالاستقامة الفاتحة كما هو المتعارف بين العامة مستحسن خلافا
لمن منعه ﴿ ولا يقوم ﴾ أى عن السفرة ﴿ قبل الرفع ﴾ أى للطعام الا اذا كان عاد ذلك
المقام ﴿ ويدعو لصاحبه ان أكل طعام الغير ﴾ فيقول . اللهم بارك له فيما رزقته واغفر له
وارحمه وان افطر عند قوم قال : افطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت
عليكم الملائكة ﴿ ويقدم الأفضل ﴾ أى فى السن والرتبة كالعالم والسيد ﴿ فى الغسل ﴾
أى فى غسل اليد آخر او يؤخره او لامرعاة لحشمته فيهما ففى السراجية ان من السنة
ان يبدأ بالشباب قبل الطعام ثم بالشيوخ وبعد الطعام بالعكس ﴿ والاكل والشرب ﴾

وَيَقْبَلُ الْإِكْرَامَ كَتَقْدِيمِ الطَّسْتِ فَالْكَرَامَةُ لَا تَرُدُّ، وَلَا يُطِيلُ أَنْتِظَارُ
الْجَمْعِ، فَوَرَدَ (فَالْبَيْتُ أَنَّ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٌ) وَلَا يَسْكُتُ فَهُوَ سِيرَةُ الْعَجْمِ
وَيُرَافِقُ الرَّفِيقَ. وَيَتَعَهَّدُهُ غَيْرَ مُلْحٍ وَلَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثٍ فَهُوَ مَرُورِي. وَلَا يَحْلِفُ
بِجَاءِ الطَّعَامِ أَهْوَنُ مِنْ

أى ويقدمه فيه، مطلقا لقوله عليه السلام: «إذا وضع الطعام فليبدأ أمير القوم أو صاحب
الطعام أو خير القوم»، ابن عساكر عن أنى إدريس الخولاني مرسلًا (ويقيل) أى
الضيف (الأكرام كتقديم الطست) من المضيف أو غيره أصله الطس أ بدل من
أحدى السنين تأوه حكى بالثين المعجمة كذا فى القاموس، والظاهر أنه أعجمى (فالكرامة
لا ترد) بل تقبل، وقد اجتمع أنس بن مالك. وثابت البناني وهو تليذه التابعى فقدم
أنس الطست إليه فامتنع ثابت فقال له أنس: إذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا
تردها فانما يكرم الله عز وجل، وروى أن هارون الرشيد دنا بأبامعاوية الضرير فصب
الرشيد على يديه فى الطست فلما فرغ قال: يا أبامعاوية أتدرى من صب على يدك الماء؟
فقال: لا فقال: صبه أمير المؤمنين فقال يا أمير المؤمنين إنما أكرمت العلم واجلسته
فاجلك الله وأكرمك كما أجلت العلم وأهله (ولا يطيل انتظار الجمع) أى إذا كان
هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغي له أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اجتمعوا إلا كل
وتهيؤوا له (فورد لما لبث أن جاء بعجل حنيد) أى مشوى وفيه أنه لم يكن هناك
من ينتظر فلا استدلال به فيه نظر (ولا يسكت) أى حين الأكل (فهو سيرة
العجم) من الجوس لكن لا يتكلم كثيرا أيضا فانه يوجب الهم وهو سيرة العجم
بل يتكلم بالمعروف ويتكلم بحكايات الصالحين فى الأطعمة وغيرها بما يناسب المقام
(ويرافق الرفيق) أى بان يؤثره أحسن الأطعمة ولا يقصد أن يأكل زيادة على
ما يأكله فان ذلك حرام أن لم يكن موافقا لرضى رفيقه مهما كانت الطعام مشتركا
(ويتعهده) أى يتفقد فى الجملة (غير ملح) أى فى عزمه على الأكل فيقول
له كل (ولا يزيد على ثلاث) أى ثلاث مرات (فهو مروي) فقد كان عليه
السلام «إذا خوطب فى شئ ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث» رواه أحمد من حديث جابر
واسناده حسن، وفى البخارى من حديث أنس «كان يعيد الكلمة ثلاثا» (ولا يحلف)
بتشديد اللام معلوما أو مجهولا (لجاء) أى عن الحسن بن على (الطعام أهون من

أَنْ يُحْلَفَ عَلَيْهِ . وَلَا يُجَوِّهُ إِلَى التَّعَهُدِ ، وَيَجْمَعُ مَاءَ الْكُلِّ فِي طَسْتٍ مَا أَمَكَنَ
فُورَدَ « أَجْمَعُوا وَضَوْءُكُمْ جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَكُمْ »

ان يحلف عليه) لان القسم انما يكون لامر يصعب لديه ولا يهون اليه (ولا يجوجه)
اي رفيقه او مضيفه (الى التعهد) قال بعض الادباء احسن الآكلين اكلا من الرفقاء من
لا يجوج صاحبه الى تفقده في أكله وحمل بفعله عن أخيه مؤنة قوله وكان ابن المبارك
يقدم فاخر الرطب الى اخوانه فيقول من أكل أكثر اعطيته بكل نواة درهماء كان
يعد النبوى فيعطى كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لزيادة النشاط في بساط
الانبساط، وقال جعفر بن محمد: أحب اخواني الى أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة وأنقلهم
على من يجوجني الى تعاوده في الأكل * (ويجمع ماء الكل في طست ما أمكن) هـ
أى مهمما وسع * (فوردا اجمعوا وضوءكم) هـ بالفتح أى ماء الوضوء وهو يشمل الغوى
والشرعى (جمع الله شملكم) هـ أى تفرقكم ، والحديث رواه القضاعى من حديث
أبى هريرة باسناد لا باس به ، وكان حق المصنف أن يأتى بهذه الجملة قريبا مما سبق
ليكون متعلق غسل اليدين على طبق النسق، والحاصل ان الاجتماع على غسل الأيدي
في الطست الكبير لا باس به اذا كانت في حالة واحدة بل هو أقرب الى التواضع
والانكسار وأبعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي أن يصب ماء كل واحد
لما يفعل ببعض المتكبرين من الاعجام لما تقدم ولقول ابن مسعود : اجتمعوا على غسل
الأيدي في طست واحد ولا تستنوا بسنة الأعاجم ، وكتب عمر بن عبدالعزيز الى الامصار
ولا يرفع طست من بين أيدي القوم الاعلوة ولا تشبهوا بالعجم ويؤيده ما أخرجه
البيهقى . والخطيب . والدبلى عن ابن عمر مرفوعا ترعوا الطسوس وخالفوا المجوس
وهو بالناء قبل الراء أى املؤها، والخادم الذى يصب الماء على الأيدي كره بعضهم
أن يكون قائما وأحب أن يكون جالسا أى باركا ليكون أقرب الى التواضع وكره
بعضهم جلوسه وأحب قيامه وفي الطست آداب وهى أن لا يهتق فيه . وأن يقدم فيه
المتبوع . وأن يقبل الاكرام بالتقديم وأن يدارى يمينه وأن يجتمع فيه جماعة وأن يجتمع
الماء فيه وأن يكون الخادم قائما مائلا . وأن يمج الماء فيه ويرسله من يده يرفق حتى
لا يرش على الفراش وعلى أصحابه ويصب صاحب المنزل يده الماء على بدنيته كما فعل
مالك بالشافعى في أول نزوله عليه وقال : لا يركع مني ما رأته مني بخدمة الضيف فرضي .

وَيَحْتَرِزُ عَمَّا يَكْرَهُ الرِّفِيقُ قَوْلًا وَفِعْلًا كَالنَّفَخِ . وَالنَّظَرَ إِلَى أَكْلِهِ وَنَقْضِ
الْيَدِ . وَتَقْرِيبِ الرَّأْسِ . وَاخْرَاجِ شَيْءٍ مِنَ الْقَمِّ مُتَوَجِّهًا . وَأَخْذِهِ بِالْيَمِينِ
وَجَعْلِ اللَّقْمَةِ الْمَضْوَغَةِ فِي الْقَصْعَةِ . وَالدهَيْنِ فِي الْحُلِّ وَالْعَكْسِ وَالتَّكْلُمِ
بِالْقَاذُورَاتِ وَالْأَهْوَالِ وَالْإِسْتِزْدَانِ وَالْإِمْتِنَاعِ قَبْلَ امْتِنَاعِهِ .

قلت : ولعله مأخوذ من قوله تعالى : (وهل أتاك حديث ضيف إبراهيم المسكرين)
وقوله عليه السلام : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » وقوله « إذا جاءكم
الزائر فأكرموه » الخراطلي في مكارم الأخلاق من حديث أنس (د) ويحترز عما يكره
الرفيق قولاً (أي بما لا يعجبه ويكون سبباً للدورة خاطره) (وفلا كالنفخ)
أي في الطعام أو الشراب لما تقدم ، وكذا لا يشم الطعام فانه من عمل الأنعام ولا يأكل
في الظلمة فهو منهي عنه ولا قائماً أو ماشياً لأن فيه دناءة إذا جعله عادة (والنظر إلى
أكله) أي فيستحي من عمله بل يشتغل بنفسه إلا إذا أكل مع أهله (ونقض
اليَدِ) أي في القصعة (وتقريب الرأس) أي وتقديمه عند وضع اللقمة في فيه
(وخراج شيء من القم متوجهاً) أي إلى رفيقه أو طعامه (وأخذه باليمين) فيبغى
أن يخرج الشيء من القم صارفاً وجهه وأخذاً يساره (وجعل اللقمة المضغوغة)
في القصعة (فانه سبب ينفر الطيبة) والدهين في الحل (أي ولا يغمس اللقمة
الدسمة بالدهن وغيره في الحل) (والعكس) أي ولا الحل في الدسم فقد يكره غيره
وكذا اللقمة التي قطعها بسنه فلا يغمس بقيتها في المرقة والحل ونحوهما (والتكلم
بالقاذورات) أي الحسية والمعنوية (والاهوال) أي الأحوال من الخوفات
كذكر الموت وتذكر الأموات (والاستئذان) أي طلب الإذن في التقديم أي
تقديم الطعام بل يقدمه من غير الإعلام كما يشير إليه قوله تعالى : (فراغ إلى أهله
فجاء بعجل سمين) أي ذهب إليهم بخفية ، قال الثوري : إذا زارك أخوك فلا تقل أنا أكل
أو أقدم إليك ولكن قدم فإن أكل والا فارفع (والامتناع) أي امتناع المضيف
والرفيق عن الأكل (قبل امتناعه) أي امتناع صاحبه فلا يمسك قبل أخوانه إذا
كانوا يحتشمون إلا أكل بعده بل ينبغي أن يعيده ويقبضها ويتناول قليلاً قليلاً إلى
أن يستوفوا فإن كان قبل الأكل توقف في الابتداء وقل الأكل حتى إذا تروا

وَالرَّفْعُ قَبْلَ اسْتِيفَانِهِ . وَالتَّكْلُفُ كَالْاِسْتِقْرَاضِ .

في الطعام أكل منهم آخراً وقد فعل ذلك كثير من الصحابة وإن امتنع بسبب فليعتذر منهم دفعا للخجالة عنهم ﴿والرفع﴾ أى رفع الطعام ﴿قبل استيفائه﴾ أى استيفاء الضيف غرضه في ذلك المقام بل يقتسم اطالة المجلس مع الأصحاب الكرام والاجاب الفخام فقد قال جعفر بن محمد: إذا قدمت مع الاخوان على الموائد فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم ، وقال الحسن: كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فن دونهم يحاسب عليها العبد الانفة الرجل على اخوانه في الطعام فان الله يستحي أن يسأله عن ذلك ويؤيده حديث جابر عند الازدى في الضعفاء «ثلاثة لا يسألون عن التعميم الصائم . والمتسحر . والرجل يأكل مع ضيفه» وروى الديلمي نحوه من حديث أبي هريرة وقد ورد «لا تزال الملائكة تصلى على أحدكم مادامت مأثنته موضوعة بين يديه حتى ترفع» الطبراني في الأوسط من حديث عائشة، وفي الاحياء روى عن بعض علماء خراسان «انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لا يقدرّون على أكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله ﷺ انه قال «ان الاخوان اذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك الطعام فاما أحب ان أستكثره مما أقدمه اليكم لتأخذ فضل ذلك قال العراقي: لم أقف للحديث على أصل وعز على لأن أجمع اخواني على صاع من طعام أحب الى من ان اعتقر رقبة، وقيل: اجتماع الاخوان على الكفاية من الانس والالفة ليس هو من الدنيا وقد ورد «ان الجنة غر فايرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام» الترمذى من حديث علي، وعنه عليه السلام «من أطعم أخاه حتى يشبعه ومساها حتى يرويه بعده الله من النار سبعة خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام» الطبراني من حديث ابن عمر ﴿والتكلف﴾ أى تكلف المضيف للضيف ﴿كالاستقراض﴾ ففى البخارى عن عمر «نهينا عن التكلف» وفي رواية البيهقي عن سلمان مرفوعا «لا يتكلفن أحد لضيفه ما لا يقدر عليه» والمعنى انه يقدم له ما حضر من الطعام فان لم يحضره شيء ولم يملك شيئا فلا يستقرض لأجله فيشق على نفسه، وقال بعض السلف في تفسير التكلف أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعوا أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه، وقال بعضهم: ما أبالي من أتاني من اخواني فاني لا أتكلف

وتقديم شيء يحتاج اليه العيال ولا تسامح النفس به ، فهو يورث الانقطاع .
و يقدم ما يشتهى ، فورد « من صادف من اخيه شهوة فقضاها غفر له »

له وانما أقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت صحبته وللمتة وقال بعضهم كنت ادخل على أخ لي فيتكلف فقلت له انك لا تاكل وحدك هذا ولا أنا قبالنا اذا اجتمعنا أكلناه فاما أن تقطع هذا التكلف أو أقطع المجيء فقطع التكلف ودام اجتماعهما بسبب ذلك ﴿ وتقديم شيء يحتاج اليه العيال ﴾ أى بان يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذى قلوبهم فى مآله ، وروى « ان رجلا دعا عليا رضى الله عنه فقال : أجيئك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما فى البيت ولا تجحف بالعيال » ﴿ أولا تسامح النفس به ﴾ فانه من جملة التكلف ﴿ فهو يورث الانقطاع ﴾ أى انقطاع الصحبة . والالفة . والاطعام . والضيافة قال الثورى : اذا أردت أن لا تقطم عيالك مما تاكله فلا تحذهم به ولا يروونه منك ، وعن بعضهم دخلت على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزا وخلا وقال : لولا اننا بيننا عن التكلف لتكلفت انكم ، رواه أحمد وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وان استزرت فلا تبقى ولا تذر . وعن سلمان أمرنا رسول الله ﷺ أن لا تتكلف للضيف ما ليس عندنا وأن نقدم اليه ما حضرناه وروى أبو بكر بن لال فى مكارم الأخلاق من حديث سلمان « لا يتكلف احد لضيفه ما لا يقدر عليه ، وعن أنس وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون : لا ندرى أيهما أعظم وزرا الذى يحقر ما يقدم اليه أو الذى يحتقر ما عنده أن يقدم ﴾ ويقدم ﴾ أى المضيف ﴿ ما يشتهى ﴾ أى ما يحبه لنفسه لقوله تعالى : ﴿ ان تناولوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ أو ما يشتهيه الضيف اذا علم من حاله ، ففى الشئام انه عليه السلام « زار بعض أصحابه فذبح له شاة فقال اعلوها انا نحب اللحم ويستحسن أن يشهى المزور اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة بفعل ما يقترح ، قال أبو بكر الكنانى : دخلت على السدى فجاء بقتيت واحد لجمل نصفه فى القدح فقلت : أى شيء تعمل أنا أشربه لك كله فى مرة واحدة فضحك فقال : هذا أفضل من حجة ﴾ فورد من صادف ﴾ أى وافق كفى رواية ﴿ من اخيه شهوة ﴾ أى عليها وقدر عليها ﴿ فقضاها ﴾ أى فاطعمها اياه ﴿ غفر له ﴾ البزار . والطبرانى من حديث أبى الدرداء ، وما ينبغى للزائر أن لا يقترح بشيء بعينه فربما يشق على المزور .

فروى الأعمش عن أبي وائل أنه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان فقدم إلينا خبز شعير وملحاً جريشاً فقال صاحبي: لو كان في الملح سعترا لكان أطيّب فخرج سلمان فرفه من مطهرته وأخذ سعتراً فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان: لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة، هذا وإن خيرته أخوه بين طعامين فليتحير إيسرهما عليه ففي الخبر «ما خير عليه السلام بين شيئين إلا اختار إيسرهما» متفق عليه من حديث عائشة، ثم إذا علم الضيف فرح المضيف باقتراحه عليه وتيسره لديه فلا بأس به بل يحصل زيادة الانبساط بسببه وقد فعل ذلك الشافعي مع الزعفراني إذ كان نازلاً عليه ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الألوان ويسلمها إلى الجارية فاخذ الشافعي الرقعة في بعض الأيام وألحق فيها لونا آخر بخطه فلما رأى الزعفراني ذلك اللون أنكره وقال: ما أمرت بهذا فمرضت عليه خط الشافعي ملحفاً في الرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح به واعتق الجارية سروراً باقتراح الشافعي عليه وذلك لأنه يدل على صداقته كما يشير إليه قوله تعالى: (أوصديقكم) وقد قصد رسول الله ﷺ. وأبو بكر. وعمر منزل أبي الهيثم بن التيهان كما في الشئان للترمذي وقال حسن صحيح، ومنزل أبي أيوب الأنصاري كما رواه الطبراني في المعجم الصغير عن ابن عباس بسند ضعيف لأجل طعام يا كلونه وكانوا جاياعاً، والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة الثواب وهي عادة السلف، وكان عون بن عبد الله المسعودي لثلاثمائة وستون صديقاً يدور عليهم في السنة وآخر ثلاثون يدور عليهم في الشهر وآخر سبعة يدور عليهم في الجمعة ثم إن دخل ولم يجد صاحب الدار وكان وثاقاً بصداقته عالماً بفرحه من حسن حاله إذا أكل من ماله فله أن يأكل بغير إذنه إذ مدار الأذن على الرضا لا سيما في الأطعمة فأمره على السعة قرب رجل بصرح بالأذن ويحلف وهو غير راض فأكل طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن فأكل طعامه محبوب، وقد دخل عليه السلام دار بريرة وأكل طعامها وهي غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال: بلغت الصدقة محلها، وكان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير إذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسرو يقول: هكذا كانوا روى عن الحسن د أنه كان قائماً يأكل من متاع يقال يأخذ من هذه الخارقة تينة ومن هذه عنبه فقال له هشام: ما بالك يا أبا سعيد في الورع تأكل متاع الرجل بغير إذنه؟ فقال: يا الكع اتل على آية الأكل فتلا قوله (أوصديقكم) فقال فن الصديق يا أبا سعيد؟ قال: من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب، وجاء قوم إلى منزل

وَيُضِيفُ ، فُورِدَ «لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُضِيفُ» وَيَقْصِدُ بِهِ الْإِتْقِيَاءَ اعَانَةً عَلَى الْبَرِّ

سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وأنزلوا السفرة وجعلوا يا كلون فدخل الثوري فجعل يقول: ذكر تمنى أخلاق السلف هكذا كانوا، وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فظفر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزوه وغير ذلك لحمله كله وقدمه الى أصحابه فقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل: قد أخذه فلان فقال: قد أحسن فلما التقيا قال: يا أخي ان عادوا فعد * هذا ومن الخصال الذميمة أن تقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فتدخل وقت أكلهم لم رامهم فان ذلك من الفجعة حال الفجأة فقد قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه) أى غير منتظرين حينه ومتربصين فضجه، وفي الخبر: من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما، البيهقي من حديث عائشة. ولأبي داود من حديث ابن عمر «من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغبرا» (ويضيف) أى بما قدر عليه وحضر لديه (فورد لا خير فيمن لا يضيف) احمد من حديث عقبة بن عامر وقال أنس وكل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة، ومر عليه السلام برجل له ابل كثيرة وبقر كثيرة فلم يصفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام: انظروا اليها انما هذه الاخلاق بيد الله تعالى فمن شاء أن يمنحه خلقا حسنا فعل، رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من رواية أبي المنهال مرسلأ، وقال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ «نزل به عليه السلام ضيف فقال قل لفلان اليهودى نزل بي ضيف فأسلفنى شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودى: والله لأسلفه الابرهان فأخبرته فقال عليه السلام والله انى لامين فى السماء أمين فى الأرض ولو أسلفنى لأدبته اذهب بدرعى فارهنها عنده، رواه ابن مردويه فى تفسيره. واسحق بن راهويه فى مستدركه، فان قلت قد تقدم المنع عن الاستقراض فكيف الجمع؟ قلت محله اذ لم يكن له ما يستفكه ويستخلصه فيكون تكلفا زائدا لا يحمله هذا وكان ابراهيم الخليل اذا أراد أن يا كل خرج ميلا يلتمس من يتخذى معه وكان يبنى أبا الضيفان ولصدق نيته وحسن مقصده دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا فى بلده فلا تنقض ليلة الاوى كل عنده جماعة من ثلاثة الى عشرة الى مائة» (ويقصده) أى باطعامه (الاتقياء) من الفقراء (اعانة على البر) وزيادة الطاعة فقد ورد فى دعائه عليه السلام «أكل طامعكم الابرار» وفى قوله

دُونَ الْأَغْنِيَاءِ ، فَوَرَدَ أَنَّهُ «شَرُّ الطَّعَامِ» ، وَلَا يَهْمِلُ الْأَقْرَبَاءَ وَالْأَخْوَانَ :
وَلَا يَخْصُ بَعْضَهُمْ تَحَامِيًا عَنِ الْوَحْشَةِ وَقَطَعَ الرَّحِمَ . وَيَنْوِي اسْتِمَالَةَ الْقُلُوبِ .
وَأَقَامَةَ السَّنَةِ دُونَ الْمُبَاهَاةِ . وَلَا يَدْعُو مَنْ يَسْتَقِلُّ الْحُضُورَ وَلَا مَنْ يَتَأَذَى بِهِ
الْحَاضِرُونَ . وَلَا الْفَاسِقَ فَإِنَّهُ أَعَانَةٌ عَلَى الْإِثْمِ ، وَيُجِيبُ نَاوِيًا أَكْرَامَ
الْمُؤْمِنِ ، فَوَرَدَ «مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَأَمَّا يُكْرَمُ اللَّهُ»

وَلَا يَأْكُلُ طَعَامَكَ إِلَّا تَقَى ، وَقَدْ تَقَدَّمَ (دُونَ الْأَغْنِيَاءِ) وَلَوْ كَانُوا مِنَ الصُّلَحَاءِ
(فَوَرَدَ أَنَّهُ) أَيْ عَكْسُهُ (شَرُّ الطَّعَامِ) يَعْنِي بِهِ حَدِيثُ «شَرُّ الطَّعَامِ الْوَلِيَّةُ يَدْعُو إِلَيْهِ
الْأَغْنِيَاءُ دُونَ الْفُقَرَاءِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ (وَلَا يَهْمِلُ الْأَقْرَبَاءَ) أَيْ
لَا يَتْرَكُهُمْ فِي الطَّلَبِ لِضِيَاةِ الْغُرَبَاءِ (وَالْأَخْوَانَ) أَيْ الْأَحْبَابَ مِنَ الصُّلَحَاءِ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى : (الْإِخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ لِبَعْضٍ مِنْ بَعْضٍ عَدُوٌّ لِلْمُتَّقِينَ) (وَلَا يَخْصُ بَعْضُهُمْ) بَلْ
يَعْمَهُمْ (تَحَامِيًا عَنِ الْوَحْشَةِ) أَيْ النِّفَرَةِ عَنِ الصُّبْحَةِ (وَقَطَعَ الرَّحِمَ) لِأَسِيْمَا
إِذَا كَانَ الْمَدْعُو أَعْبَدَ فِي النَّسَبَةِ (وَيَنْوِي) أَيْ بِالضِّيَاةِ (اسْتِمَالَةَ الْقُلُوبِ) أَيْ
مِيلَ قُلُوبِ الْأَخْوَانِ وَالْأَقْرَابِ إِلَيْهِ بِالْمَحَبَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَحَبَّتِهِ تَعَالَى لَدَيْهِ وَهُوَ يَنْوِي أَكْرَامَ
أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ اتِّبَاعًا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَكَأَنَّمَا يَكْرُمُ اللَّهُ وَيَنْوِي
إِدْخَالَ السُّرُورِ عَلَى قَلْبِهِ امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ سَرَّ مُؤْمِنًا فَقَدْ سَرَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ ، ابْنُ حَبَانَ . وَالْعَقِيلِيُّ فِي الضَّعْفَاءِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (وَأَقَامَةَ السَّنَةِ)
أَيْ الطَّرِيقَةَ الْحَسَنَةَ (دُونَ الْمُبَاهَاةِ) أَيْ لَا الْمَفَاخِرَةَ بِكَثْرَةِ النِّعَةِ وَلَا قَصْدَ الرِّيَاءِ
وَالسَّمْعَةِ وَلَا ارَادَةَ الْعَوَظِ وَحَمْلَ الْمَنَةِ (وَلَا يَدْعُو مَنْ يَسْتَقِلُّ الْحُضُورَ) أَيْ
حُضُورَ مَجْلِسِ الضِّيَاةِ أَوْ مَحْفَلِ الْجَمَاعَةِ لِأَنَّ الثَّقِيلَ مَلِيلٌ كَالْعَلِيلِ (وَلَا مَنْ يَتَأَذَى
بِهِ الْحَاضِرُونَ) كَالْمَبْرُوصِ وَصَاحِبِ الْجَذَامِ أَوْ مَنْ يَكْثُرُ الضَّحْكُ وَالسَّكَّامُ
وَيُبْحَثُ بِالشَّدَةِ مَعَ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ (وَلَا الْفَاسِقَ فَإِنَّهُ أَعَانَةٌ عَلَى الْإِثْمِ) بَلْ عَلَى
الْآثَامِ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)
(وَيُجِيبُ) أَيْ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِلَى الْوَلِيَّةِ وَنَحْوَهَا إِنْ قَدَّرَ (نَاوِيًا أَكْرَامَ الْمُؤْمِنِ) فَوَرَدَ
مَنْ أَكْرَمَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فَأَمَّا يَكْرُمُ اللَّهُ (لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ مَرَّةً الْمُؤْمِنَ وَالْحَدِيثَ رَوَاهُ
الْإِسْهَافِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ . وَالْعَقِيلِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ

وَاسْرَارُهُ، فُورِدَ « مِنْ سِرِّ مُؤْمِنًا فَقَدْ سَرَّ اللَّهُ » وَالْحَذَرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ،
فُورِدَ « مَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ » وَأَقَامَةَ السُّنَّةِ فَهِيَ مُؤَكَّدَةٌ،
وَيَتَعَلَّلُ لَاسْتِثْقَالِ الدَّاعِي الْأَطْعَامَ وَقَصْدِهِ الْمُبَاهَاةَ وَالتَّحَامِي عَنْ ارْتِكَابِ
مَعْصِيَةٍ كَكَوْنِ الشُّبْهَةِ فِي الطَّعَامِ وَالْمُنْكَرِ فِي الْمَجْلِسِ، فَالْتِيَةُ إِنَّمَا تُؤَثِّرُ

﴿ واسرارہ ﴾ ای تفریحہ ﴿ فورد من سر مؤمنا فقد سر الله ﴾ وقد تقدم ﴿ والحذر
عن المعصية فورد من لم يجب الداعي فقد عصى الله ﴾ ای الله ورسوله كما في المتفق
عليه من حديث ابی هريرة ﴿ واقامة السنة فهي مؤكدة ﴾ ای قربة للوجوب والاول
دليل قولي والآخر دليل فعلي فلا يميز الغنى بالاجابة عن الفقير فان ذلك هو التكبر
المنهي عنه ولذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة، وقال بعضهم : انتظر المرققة مذلة
وقال: آخر اذا وضعت يدي في قصعة غیری فقد ذلت له رقبتي فقل هذا خلاف السنة
ودفع بان محله اذا كان الداعي لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها المنة ولذا قال بعض
الصوفية لا تجب الادعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه يسلم اليك الوديعة ويرى
لك في قبولها الفضل والمنة ، وقال السري السقطي ألح على لقمة ليس على الله فيها تبة
ولا مخلوق فيها منة ﴿ ويتعلل ﴾ أي ويتعذروا بأي نوع من العلة اذ الم يرد الاجابة
وذلك ﴿ لاستثقال الداعي الاطعام ﴾ وانما هو حياء من بعض الاثام ﴿ وقصده
المباهاة ﴾ أي ولا رادته المفاخرة فليس من السنة اجابة من يطعم مباهاة أو تكلفا
فروى أبو داود من حديث ابن عباس أنه عليه السلام « نهى عن طعام المتبايعين » أي
المتباهيين كما في رواية العقيلي، والمتبايعان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء كما قاله
أبو موسى المديني ﴿ والتحامي ﴾ أي ويتعلل أيضا للاحتراز والاحتباس ﴿ عن
ارتكاب معصية ﴾ أي عما يوجد عند الداعي ﴿ ككون الشبهة ﴾ أي القوية ﴿ في
الطعام والمنكر في المجلس ﴾ أي منكر الآثام من فرش ديباج أو آنية فضة أو تصوير
حيوان على حائط أو سماع شيء من المزامير أو الملاهي أو تشاغل بنوع من اللهو
والهزؤ والالعاب فكل ذلك مما يمنع من الاجابة واستجابها ويوجب تحريمها أو كراهتها
وكذلك اذا كان الداعي ظالما أو مبتدعا أو فاسقا أو شريرا أو متكلفا طالبا للمباهاة
والرياء والسمعة فلا تجاب له الدعوة ﴿ فالتي ﴾ أي تصحيحها أو تحسينها ﴿ انما تؤثر

فِي الْمُبَاحِ لِأَلْتَقْصَانِ الْجَاهِ وَلَا لِفَقْرِ الدَّاعِي فَهُوَ تَكْبَرٌ وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ يُجِيبُ دَعْوَةَ الْعَبْدِ وَالْفَقِيرِ، وَلَا لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ إِنْ اعْتِدَتْ ، فُورِدَ
«لَوْ دُعِيَ إِلَى كُرَاعِ الْغَنِيمِ لَأَجَبْتُ» لِأَلِصُّومِ فَيُفْطَرُ إِنْ أَلْحَ فَاسْرَارُ الْمُؤْمِنِ
يَعْدِلُ الصَّوْمَ،

فِي الْمُبَاحِ) فتجعله عبادة وتخبره عن كونه عادة بخلاف المعصية فانها لا تؤثر في
تغييرها النية فلا يصح له أن ينوي سرور اخوانه بمساعدتهم في شرب الخمر أو سماع
المزامير ونحوها (لا) أى لا يتعلله (لتقصان الجاه) أى في المدعو (ولا لفقر
الداعى فهو) أى كل منهما (تكبر و كان عليه الصلاة والسلام) مع كمال عزه
وجمال جاهه (يجيب دعوة العبد والفقير) وفي الاحياء « المسكين بدل الفقير »
و كلاهما ليس في أصل الحديث الذى رواه الترمذى . وابن ماجه من حديث أنس
وضعه الترمذى وصححه الحاكم ، وفي ذكر العبدغنية عنه ولقد أجاب دعوة خياط
كما في الشئائل ومرا الحسن بن على رضى الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون
الناس على قارعة الطريق وقد نثروا كسرا على الأرض وهم يأكلون وكان راكبا على
بغلته فلم عليهم فقالوا : هلم الى الغدأ يا ابن بنت رسول الله فقال : نعم ان الله لا يحب
المتكبرين فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل من طعامهم ثم سلم عليهم وركب
وقال : قد أجبتكم فاجيبوني فقالوا : نعم فوعدهم وقامعلوما فحضر واعنده فقدم اليهم فاخر
الطعام وجلس يأكل معهم (ولا) أى لا يتعلل (لبعد المسافة ان اعتدت) أى
الدعوة اليه والاجابة لديه (فورد) أى في البخارى من حديث أبى هريرة (لو دعيت
الى كراع الغنيم لاجبت) وتماهه « ولو اهدى الى ذراع لقبلت ، والظاهر أن المراد كراع
الشاة لكن في المتن مفيد بكراع الغنيم تبعاً لما في الاحياء وهو بفتح المعجمة وكسر
الميم واديين الحرمين على مرحلة من مكة وقيل اسم موضع قريب بالمدينة وانه مما يعتاد
مسافتها بالحضور اليها في الاجابة أو اريد بذكره غاية المبالغة الا أن العراقي قال ذكر
الغنيم لا يعرف ويرد هذه الزيادة مارواه الترمذى من حديث أنس لو اهدى الى كراع
لقبلت (لا اصوم) ولا يتعلل لأجل صومه (فيفطر) ان كان نفلا (ان ألح)
أى قبل الزوال (فاسرار المؤمن) أى فرحه بفطره (يعدل الصوم) مع ان الصوم

وَوَرَدَهُ تَكْلُفُ لِكَ أَخُوكَ وَقَوْلُ أَتَى صَائِمٌ» وَالْأَضْيَافَةُ بِالْعَطْرِ وَطِيبِ الْكَلَامِ
وَالْاِكْتِحَالِ . وَالْاِدْهَانِ . وَنَحْوَهَا ، وَيَجْلِسُ حَيْثُ يَجْلِسُ فَهُوَ تَوَاضَعٌ . وَلَا يَنْظُرُ
إِلَى جَانِبٍ يَأْتِي مِنْهُ الطَّعَامُ فَهُوَ شَرُّهُ . وَلَا يَطِيلُ اِتِّظَارُ الْمُضَيْفِ : وَلَا يَعَجَلُ
قَبْلَ اِلِسْتِعْدَادِ ، وَيَغْيِرُ مِنْكَرًا رَأَى أَنْ قَدَرَ . وَالْاَيْتُكِرُ بِاللِّسَانِ . وَيَرْجِعُ
وَيَبْتَدِيءُ الْمُضَيْفُ بِالْغَسْلِ قَبْلَ الْاَكْلِ لِأَنَّهُ دَاعٍ ،

له قضاء بخلاف كسر خاطر من له وفاء فانه جفاء (وورد تكلف لك أخوك)
أى بطيخ الطعام (وتقول انا صائم) قاله على سبيل التوبيخ على ترك الافطار
للضيف عند الاحاح ، والحديث رواه البيهقي من حديث أبى سعيد الخدرى صنعت
لرسول الله ﷺ طعاما فاتى هو وأصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم : انا
صائم فقال عليه السلام : دعاكم أخوكم وتكلف لكم الحديث وللدارقطنى نحوه من
حديث جابر (والا) أى وان لم يفطر (ضيافته بالعطر) أى طيب المشام
(وطيب الكلام والا كتحال والادهاات ونحوها) من أصناف الاكرام
(ويجلس حيث يجلس) فانه قد يكون رتب فى مجلسه موضع كل واحد فمخالفته
لديه تشو يش عليه وان أشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فلا يرتفع
(فهو تواضع) فقد ورد « ان من التواضع لله الرضى بالدون من المجلس ، الخرائطى
فى مكارم الأخلاق . رابونعيم فى رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبيدالله بسند
جيد ، ثم يخص من يحببه بالسلام والكلام (ولا ينظر الى جانب يأتى منه الطعام فهو
شره) أى دال على حرص فى الاكل (ولا يطيل) أى الضيف (انتظار المضيف)
اذا دعاه فان الانتظار أشد من الموت خصوصا عند توهم القوت (ولا يعجل) أى
الضيف فى المجيء (قبل الاستعداد) أى استعداد المضيف للطعام وتهيشته المقام
(ويغير منكرا رأى ان قدر) أى على تغييره بيده (والا) أى وان لم يقدر على تغييره
باليد (ينكر باللسان ويرجع) أى ولا يقنع بانكار الجنان فان ذلك من أضعف
الايمان حتى قال أحمد بن حنبل اذا رأى مكحلة رأسها مقضض فينبغى ان يخرج وكذا
اذا رأى على حيطان البيت ستورا من الديباج فاستر الكعبة (ويبتدىء المضيف
بالغسل) أى بغسل الأيدى تحاميا عن تنفر السامة (قبل الأكل لانه داع) فيكون

وَيَتَأَخَّرُ بَعْدَهُ انْتِظَارًا لِلدَّخْلِ . وَتَعْظِيمًا لِلضَّيْفِ ، وَيَقْدُمُ مَا يَكْفِي ، فَالْتَّقْصُ
تَرْكُ الْمَرْوَةِ . وَالزِّيَادَةُ رِيَاءٌ إِلَّا أَنْ يَحْجِزَ الذَّهَابُ بِهِ . وَيُمَيِّزُ أَوَّلًا نَصِيبَ
الْعِيَالِ تَحَامِيًّا عَنْ اهْتِمَامِهِمْ : وَلَا يَرْفَعُهُ الضَّيْفُ إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ

كَلْمُؤَذْنٍ يَتَوَضَّأُ قَبْلَ إِذَا نَهَ فَقَدْ غَسَلَ مَالِكُ يَدَهُ قَبْلَ الطَّعَامِ وَقَبْلَ الْقَوْمِ وَقَالَ : الْغَسْلُ
قَبْلَ الطَّعَامِ لِرَبِّ الْبَيْتِ أَوَّلَى لِأَنَّهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى كِرَامَتِهِ أَنْتَهَى ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذَا
عَيْبٌ فِي عَرَفِ زَمَانِنَا إِنْ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ فَالْأَوَّلَى أَنْ يَغْسَلَ قَبْلَ انْعِقَادِ الْمَجْلِسِ لَهُ أَوْ فِي
آخِرِهِ تَوَاضَعًا ﴿ وَيَتَأَخَّرُ ﴾ أَى فِي غَسْلِ الْيَدِ ﴿ بَعْدَهُ ﴾ أَى بَعْدَ فِرَاقِ الْإِكْلِ ﴿ انْتِظَارًا
لِلدَّخْلِ ﴾ أَى مِمَّنْ يَأْكُلُ مَعَهُ ﴿ وَتَعْظِيمًا لِلضَّيْفِ ﴾ أَى بِالتَّأَخُّرِ لِأَنَّهُ تَوَاضَعَ مَعَهُ فِي
مَحَلِّهِ وَلِهَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ آخِرُهُمْ أَكْلًا فَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْكِرَامِ يَقْدُمُ الطَّعَامَ فَإِذَا
قَارَبَ الْقَوْمَ مِنَ التَّجَامِ جَنَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَمَدِيدَهُ إِلَى طَعَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَاطَّلَ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ
سَاعِدُنِي بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَكَانَ السَّلَفُ يَسْتَحْسِنُونَ ذَلِكَ مِنْهُ هـ (وَيَقْدُمُ مَا يَكْفِي) هـ أَى
مِنَ الطَّعَامِ هـ (فَالْتَّقْصُ) هـ عَنْ قَدْرِ الْكِفَايَةِ هـ (تَرْكُ الْمَرْوَةِ) هـ أَى مَعَ وَجُودِ الْقُدْرَةِ
هـ (وَالزِّيَادَةُ) هـ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ هـ (رِيَاءٌ إِلَّا أَنْ يَحْجِزَ الذَّهَابُ بِهِ) هـ أَى بِطَبِيعِ نَفْسِهِ
بِاخْتِزَالِ فَضْلِ الطَّعَامِ أَوْ نَوَى أَنْ يَتَبَرَّكَ بِفَضْلِهِمْ ، وَقَدْ احْتَضَرَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدِيمٍ
طَعَامًا كَثِيرًا عَلَى مَائِدَةٍ فَقَالَ لَهُ سَفِيَانُ : يَا أَبَا سَحَاقٍ أَمَا تَخَافُ أَنْ يَكُونَ هَذَا سَرَفًا
فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ : لَيْسَ فِي الطَّعَامِ إِسْرَافٌ ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي تَضْيِيعِ وَأَثْلَافِ وَيُؤَيِّدُهُ
قَوْلُهُمْ لِأَخِيرٍ فِي سَرْفٍ وَلَا سَرْفٍ فِي خَيْرٍ فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ الْمُبَاهَاةِ وَالْمَذْمُومِ نِيَّةِ الْمُبَاهَاةِ
فَإِنْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةً صَحِيحَةً فَالْتَّكْثِيرُ تَكْلُفٌ وَتَضْيِيعٌ ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : نَهَيْنَا أَنْ نَحْبِثَ دَعْوَةَ
مِنْ يَبَاهِي بِطَعَامِهِ وَكَرِهَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ أَكْلَ طَعَامِ الْمُبَاهَاةِ وَهَذَا مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ
لَا يَرْفَعُ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَضْلَةَ طَعَامٍ قَطُّ لِأَنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَقْدُمُونَ إِلَّا قَدْرَ الْحَاجَةِ وَلَا يَأْكُلُونَ تَمَامَ الشَّيْءِ بَلْ حُدَّ الْكِفَايَةُ وَالْقَنَاعَةُ
هـ (وَيُمَيِّزُ أَوَّلًا) هـ أَى يَفْرِزُ مِنَ الطَّعَامِ ابْتِدَاءً هـ (نَصِيبَ الْعِيَالِ تَحَامِيًّا عَنْ اهْتِمَامِهِمْ) هـ
أَى لِثَلَاثَةِ أَهْلِهِمْ طَامِحَةً إِلَى رَجُوعِ شَيْءٍ مِنْهُ فَلَعَلَّهُ لَا يَرْجِعُ فَضْيُوقٌ صَدُورُهُمْ
وَتَنْطَلِقُ فِي الضِّيْفَانِ أَسْنَتُهُمْ وَتَقُومُ شُرُورُهُمْ فَيَكُونُ قَدْ اطْعَمَ الضِّيْفَانِ مَا يَتْبَعُهُ كِرَاهَةُ
قَوْمٍ وَتِلْكَ خِيَاةٌ فِي حَقِّهِمْ هـ (وَلَا يَرْفَعُهُ الضَّيْفُ) هـ أَى مَا بَقِيَ مِنَ الْإِطْعَمَةِ فَلَيْسَ
لِلضِّيْفَانِ أَخْذَهُ وَهُوَ الَّذِي تَسْمِيهِ الصُّوفِيَةُ الزَّلْمًا فِيهِ نَوْعٌ مِنَ الْمَزَلَةِ هـ (إِلَّا أَنْ يَعْلَمَ) هـ

بُسْرُورِهِ • وَإِذَا بَاتَ يَرِيهِ الْقَبْلَةَ : وَالْمُتَوَضَّاءُ وَيُكْرِمُهُ ، فُورِدَ « مِنْ كَانَ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » وَهُوَ بَازْطَارُ الْإِنْسَابِ وَالسَّرُورِ .

أى الضيف بقريته الحال (بسروره) أى بفرح المضيف اذا أخذه فرفعه حيثئذ
وان كان يظن كراهته لذلك فلا ينبغي ان يؤخذ شئ هنالك الا اذا صرح صاحب
الطعام بالاذن فيه عن قلب راض به واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفه مع
الرفقاء فلا ينبغي ان يأخذ كل واحد الا ما يخصه او يرضى به رفيقه عن طوع وسخاء
لا عن كراهة وحياء ، ويختار ايسر الطعامين اذا خير الضيف بينهما لانه عليه السلام كان
اذا خير بين امرين اختار ايسرهما ولا يترجى الضيف على المضيف الا اذا علم فرحه بذلك
كما فعله الشافعى فى بيت الزعفرانى (واذا بات) أى أقام الضيف عنده فى الليل
(يريه القبلة) أى يعلمه المضيف جهة الكعبة (والمتوضأ) أى محل الطهارة هكذا
فعل مالك بالشافعى ، وفيه اشارة الى قيام الليل بالتهجد ونحوه ، وكناية عن قضاء الحاجة
فى وقته (ويكرمه) أى المضيف الضيف بما أمكن من أنواع الاكرام (فورد)
اى عنه عليه السلام (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى بجميع ما يجب الايمان
به واكتفى بطرفى المؤمن به (فليكرم ضيفه) متفق عليه من حديث ابى شريح
(وهو) أى اكرامه اولاه (باظهار الانبساط والسرور) أى الفرح فى مقام النشاط
عند الدخول والخروج وعلى المائدة وسائر أوقات الصجبة ، قيل للاوزاعى ما كرامة
الضيف ؟ قال : طلاقة الوجه وطيب الحديث ، وقال زيد بن أبى زياد : ما دخلنا على
عبد الرحمن بن أبى لى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا وثانيا بتعجيل
الطعام فانه يقال السلام قبل الطعام والطعام قبل الكلام وهو أحد المعنيين فى قوله
تعالى (هل أتيتك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم
ودل عليه قوله سبحانه (فالبث ان جاء بعجل حنيد) أى مشوى وقوله (فراغ الى اهله
لجاء بعجل سمين) أى ذهب بسرعة أو بخفية وقد جاء بفخذ من لحم وانما سمي بعجل لانه
بعجله كذا فى الاحياء ، والظاهر ان العجل على حقيقته عبارة ويؤخذ منه العجلة اشارة ،
وقد ورد ، الاناة من الله والعجلة من الشيطان ، لما رواه الترمذى من حديث سهل بن
سعد الا ان أبا داود روى من حديث سعد بن أبى وقاص التؤدة فى كل شئ الا فى

وَصَبَّ الْمَاءَ عَلَى الْيَدِ . وَالتَّشْيِيعُ إِلَى الْبَابِ . وَأَخَذَ الرَّكَّابَ فَالْكَلُّ مُثَوَّرٌ .
وَيَرْجِعُ فَرَحًا وَإِنْ قَصَرَ فِي حَقِّهِ بِرِضَاءِ الْمُضِيفِ ، فَهُوَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ . وَلَا يَكُونُ أَكْثَرَ
مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تَحْرُزًا عَنِ السَّامَةِ . وَوَرَدَ الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَمَا زَادَ فَصَدَقَةٌ .
إِلَّا أَنْ يُلَحَّ : وَيُعَدَّ فَرَّاشَ الضَّيْفِ . وَيَسْتَأْذِنُ كُلُّ صَاحِبِهِ فِي صَوْمِ النَّفْلِ ، فَهُوَ
مُثَوَّرٌ . وَيُرْسَلُ الطَّعَامُ لِأَصْحَابِ الْمَصَانِبِ ، فَأَمْرٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ

عمل الآخرة قال الأعمش لا أعلم إلا أنه رفعه (وصب الماء) أي ويكبه المضيفه (على
اليده) أي يد المضيف وهو أحد المعنيين في الآية السابقة وقد وفد وفد النجاشي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال أصحابه : نحن نكفيك يا رسول الله
فقال : انهم كانوا لأصحابي مكرمين وأنا أحب أن أكافهم (والتشيع إلى الباب)
أي باب الدار قال عليه السلام : من السنة للمضيف أن يشيع إلى باب الدار ، كذا في
الاحياء وسكت عنه مخرجه (وأخذ الركاب) أي ركاب المضيف للركوب (فالكل
مأثور) والآخر مروي عن فعل ابن عباس يزيد بن ثابت (ويرجع) أي المضيف
(فرحاً) أي في نفسه (وان قصر في حقه) أي ولو قصر المضيف في حق المضيف
(برضاء المضيف) متعلق بيرجع (فهو من حسن الخلق) في عشرة الخلق فقد
ورد حديث حسن واسناده حسن عن الحسن عن ابن الحسن عن أبي الحسن عن جد
الحسن أن أحسن الحسن الخلق الحسن (ولا يكون) أي لا يثبت المضيف ولا يقيم
(أكثر من ثلاثة أيام تحرزا عن السامة) الموجبة للبلامة (وورد) في الصحيحين
من حديث أبي شريح الخزاعي (الضيافة ثلاثة أيام وما زاد فصدقة) يعني إن شاء
فعل وإن شاء ترك (الآن يلح) أي يبالي المضيف على المضيف بالعود عنده
زيادة على الثلاثة ويعرف أنه من صميم قلبه وطيب نفسه (ويعد فراش الضيف)
أي يهيئه فان رسول الله ﷺ قال : فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للمضيف
والرابع للشيطان مسلم من حديث جابر (ويستأذن كل) أي من المضيف والمضيف
(صاحبه في صوم النفل فهو مأثور) ويعتذر إذا كان فرضاً من قضاء أو نذر، وعن
عائشة في رواية الترمذي من نزل على قوم فلا يصوم تطوعاً إلا بأذنهم ، (ويرسل
الطعام لأصحاب المصائب) أي يموت بعض الأقارب (فأمر عليه السلام به)

لآل حمزة وجعفر إلا أن يكون منكراً محرراً عن الإعانة على الأثم .
ويجتنب طعام السلطان ويقبل لو أكره : ولا يقصد الأجود ، ونحو الثوم .
والبصل : والكراث لاسيما يوم الجمعة فهو منهي عنه لتنفير الملائكة
والناس عن ربحه

أى بارسال الطعام المسمى بالعرفة في لسان العام (لآل حمزة) أى عمه (وجعفر)
أى ابن عمه وهو أخو على بن أبى طالب من أبيه وأمه في وقت شهادتهما (إلا أن يكون)
أى هناك (منكراً) كالنوح ولطم الوجه وخرق الثوب وكشف العورة (محرراً
عن الإعانة على الأثم) أى المعصية ، وقد قال تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) والحديث معروف في جعفر دون حمزة فروى أبو
داود ، والترمذى . وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر بسند حسن وأنه لما جاء
نعى جعفر بن أبى طالب قال عليه السلام : ان آل جعفر شغلوا بيتهم عن طعامهم فاحلوا
اليهم ما ياكلون ، (ويجتنب طعام السلطان) أى أكله فإنه لا يذيقه نصيب من
الشیطان (ويقبل) أى طعامه (لو أكره) على قبوله وأكله فقد ورد رفع
عن أمتي الخطأ والسيان وما استكرهوا عليه ، ابن ماجه . وابن حبان . والحاكم
وصححه عن ابن عباس « وإذا ابتلى به فليقلل من أكله » (ولا يقصد الأجود)
أى الاطيب من الأطعمة هضم للفس ومخالفة للهوى ومتابعة للكفاية والقناعة لاسيما
إذا كان الطعام فيه نوع من الشبهة فقد رد بعض المزيكين شهادة من حضر طعام سلطان
فقال : كنت مكرها فقال : رأيتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها على
ذلك وأجبر السلطان هذا المزكى على الأكل فقال : أما آكل وأخلى التزكية أو أزي
ولا آكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه ، وحكى أن ذا النون المصرى حبس فلم
يأكل أياما في السجن وكانت له أخت في الله فبعثت اليه من غرلها طعاما على يدي
السجان فامتنع من أكله فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال : كان حلالا ولكنه جاءني على
طبق ظالم وأشار به الى يد السجان ، وهذا غاية الورع (ونحو الثوم) أى ويجتنبه
(والبصل والكراث) أى وسائر البقول التي لها رائحة خبيثة خصوصا إذا كان
يريد دخول المسجد قبل زوال الرائحة الكريهة (لاسيما يوم الجمعة) لكثرة الجماعة
(فهو منهي عنه لتنفير الملائكة والناس عن ربحه) ولذا يستحب التطيب في حضوره

وَالْأَكْلُ فِي السُّوقِ فَهُوَ دَنَاءَةٌ إِلَّا بِنَيْتِ التَّوَاضُّعِ وَهَضْمِ النَّفْسِ : وَالْإِحْتِمَاءُ فِي
الصَّحَّةِ ، فَهُوَ يَضُرُّ كَثْرَتَهُ فِي الْمَرَضِ . وَيَقْلُ الذُّبَابُ الْوَاقِعَ ، ثُمَّ يَنْقُلُ الذُّبَابُ
فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالْآخَرَ دَوَاءً ، وَيَذْكُرُ الْجَنَائِعَ . وَحِسَابَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ .

هـ (والأكل) هـ أى ويحْتَبُه هـ (في السوق) * وفي معناه محضر جماعة من المسجد وغيره
هـ (فهو دناءة) هـ أى دالة على قلة المبالاة وعدم الديانة فقد حكى عن إبراهيم النخعي
انه قال: الأكل في السوق دناءة وفي الأحياء واستند إلى رسول الله ﷺ وهو غريب لكن
قال مخرجه : رواه الطبراني من حديث أبي امامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى في
الكامل من حديثه وحديث أبي هريرة انتهى ، وتعدد طرقه بما يرتقيه الى حسنه كما
لا يخفى ، وأما قوله في الأحياء فقد نقل ضده عن ابن عمر أنه قال : كنا نأكل على عهد
رسول الله ﷺ ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام ، رواه الترمذى وصححه فلا يظهر
وجه التضاد اذ يمكن المشى والقيام أن يكونا في غير السوق ، وأما قوله تعالى : (ما لهذا
الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) فأنكار منهم عليه بكل واحد منهما لا
بالجمع بينهما فعنى قولهم يأكل الطعام انه ليس من الملائكة وقولهم يمشى في الأسواق
لاحتياجه الى المبايعة هـ (الابنية التواضع وهضم النفس) هـ وفيه ان الكراهة لما فيه
من الدلالة على الدناءة بأكله في نظر الجماعة فكيف ترتفع كراهة القضية بهذه النية
وقد صرح الأئمة بقدر ذلك في الشهادة هـ (والاحتماء) هـ أى ويحْتَبُه هـ (في الصحة
فهو يضر) هـ أى في الصحة هـ (كثرته في المرض) هـ فان وجوده فيه الدواء من كل
الدواء ، وقيل : من اجتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوائق ، ومن اللطائف
انه رأى رسول الله ﷺ صهيباً يأكل تمرًا واحداً عينه رمدة فقال : أتأكل التمر
وأنت أرمد فقال : يا رسول الله انما أمضغ بالثشق الآخر - يعنى الجانب السليم - فضحك
رسول الله ﷺ ، ابن ماجه من حديث صهيب باسناد جيد هـ (ويقل) هـ بضم القاف
أى يغمس هـ (الذباب الواقع) هـ في الشراب هـ (ثم ينقل) هـ أى يخرج هـ (الذباب
في أحد جناحيه داء والآخر دواء) هـ رواه البخارى . وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً
هـ اذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم ينزعه فان في أحد جناحيه داء وفي الآخر
شفاء هـ (ويذكر الجنائع) هـ حال أكله ووقت شبعه ويقول : اللهم لا تؤاخذنى
بحق الجنائعين هـ (وحساب يوم القيامة) هـ فان حلال الدنيا له حساب وحرامها له عقاب

وَلَا يَوَاقِلُ الْأَشْرَارَ . وَلَا يُشَارِبُهُمْ بَلِ الْإِتْقِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ . فَهُوَ يَوْرِثُ الْحِكْمَةَ .
وَلَا يَوَاطِبُ عَلَى الْبَرِّ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . فَهُوَ الْمَرْوِيُّ ، وَيَأْكُلُ الشَّعِيرَ فَهُوَ أَكْثَرُ
طَعَامِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَيَخْلُطُ الْبُرْبُ فَهُوَ سَبَبُ الْبَرَكَةِ . وَيَأْكُلُ مِنَ التَّمْرِ
الْأَوْتَارَ ، فُورِدَ « مِنْ تَصَبُّحِ سَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٌ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَمٌ وَلَا
سِحْرٌ » وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ التَّمْرِ وَالنَّوَى فِي طَبَقٍ وَكَفٍّ بَلْ يَجْعَلُهُ مِنَ الْقَمِّ فِي ظَهْرِ الْيَدِ
فِيْلَقَى ، وَكَذَلِكَ نَحْوَهُ . وَيَقْدَمُ الثَّمَارُ فُورِدَ (وَفَاكِهِةٌ مَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمٌ طَيْرٍ مَّا
يَشْتَهُونَ) *

يوجب الملامة والتدابة (ولا يواكل الاشرار ولا يشاربهم) (بل ولا يصاحبهم
ولا يقاربهم) (بل الاتقياء) (من الابرار) (والعلماء) (من الاخيار) (فهو يورث
الحكمة) (أى وأنواعا من الاسرار المنضمة الى الانوار الجمة) (ولا يواطب على
البر) (أى أكل عيش الحنطة) (ثلاثة أيام فهو المروى) (أى فى الصحيحين عن
أنى هريرة مابشيع آل محمد من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض) (ويأكل الشعير
فهو أكثر طعام الأنبياء عليهم السلام) (وعن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ
يبست الليالى المتتابعة وأهله طاوبا لا يجدون عشاء . وكان خبزهم الشعير . ورواه الترمذى
وصححه) (ويخلط البربة) (أى بالشعير فى أكله) (فهو سبب البركة ويأكل من التمر
الاولتار) (اما ثلاثا واما خمسا واما سبعا) (فورد من تصبح بسبع تمرات عجوة) (هو
جنس من تمر المدينة أو غيرها) (لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) (أحمد . والشيخان
وأبو داود عن سعد) (ولا يجمع بين التمر والنوى فى طبق) (أى مشترك بينه وبين
رفيقه) (وكف) (أى ولا فى كف لتقدر صاحبه) (بل يجعله) (أى النوى) (من
القم فى ظهر اليد) (أى لافى بطن الكف وأصابه) (فيلقى) (أى فى مكان يليق به
) (وكذلك نحوه) (أى نحو التمر أو نواته من الخوخ . والعنب وكذا فضلات
التين والرطب ، وفى رواية عبدان عن أنى موسى أنه عليه السلام « نهى عن فتح التمر
وقشر الرطب » (ويقدم الثمار) (أى أكل الفاكهة الرطبة) (فورد) (أى فى وصف
مافى الجنة) (وفاكهة مما يتخيرون) (أى يختارون) (ولحم طير مما يشتهون)

فَهُوَ الْمُرْوِيُّ، وَيَجُوعُ النَّفْسَ لَوْلِيَّةِ الْفَرْدُوسِ فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْقِدُ
الْحَجَرَ عَلَى الْبَطْنِ مِنَ الْجُوعِ،

والاستدلال به من حيث الترتيب الذكري بينهما وهو أيضا أقرب الى قواعد الطب
فانها أسرع استحالة فينبغي أن يقع في أسفل المعدة، وفيه أيضا اشارة الى تقديم اللفظ
الاولان من الطعام حتى يستوفى منه من يريده ولا يكسر الأكل بعده بخلاف عادة
المترفين من تقديم الغليظ من الاطعمة لتستأنف حركة الشهوة لمصادقة اللطيف بعده
وذلك خلاف السنة لانه حيلة في استكثار الأكل والوسعة، ثم الأفضل بعد ما تقدم
الفاكهة اللحم والثريد، وقد ورد سيد الادام اللحم وفضل عائشة على النساء كفضل
الثريد على سائر الطعام، فان جمع اليه الحلاوة فقد جمع الطيبات لقوله تعالى في وصف
الطيبات (وانزلنا عليكم المن والسلوى) فالمن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه
يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه في مقام المرام، قال أبو سليمان الداراني
اكل الطيبات يورث الرضا عن الله عز وجل من جميع الجهات، وتتم هذه الطيبات
بشرب الماء البارد فانه من اعظم اللذات، ولذا ورد في الدعاء النبوي اجعل حبك أحب
الى من الماء البارد، وقال بعضهم: اذا كان خبزك جيدا وخلتك حامضا وماؤك باردا
فبو كفاية، وقال آخر: الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان (وبأكل ما أصاب)
أى من الثمار في مواسمها (فهو المروي) لانه سبحانه ما خلقها في تلك الازمنة والامكنة
الا لحكمة بالغية في منفعة الخلق بها والتلذذ بسببها والتذكير بها على فواكه الجنة وكثرة
انواعها، وفي الاحياء وبأكل ما وجد من الطعام الحلال ان وجد تمر ادون خبز اكله
وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر أو شعير اكله وان وجد حلوا أو عسلا
اكله وان وجد لبن ادون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا اكله وان وجد رطبا
اكله (ويجوع النفس) أى يرتاضها ويهذبها بتقليل الأكل (لولىة الفردوس)
وذلك لان تلك الولية للمتجربين في الدنيا الزاهدين فيها والمراضين بانواع الرياضة على
انفسهم منها رضا للمولى، والله در القائل:

ويليك عن دار الخلود مطاعم • ولذة نفس غيبا غير نافع

فقد ورد «اجوعكم في الدنيا اشبعكم في العقبى» (فكان عليه السلام يعقد الحجر)

أى يربطه (على البطن) أى بطنه (من الجوع) أى من شدة ما به من الجوع وقد اشبعته

وَيَحْتَبُ الشُّرْبُ فِي أَثْنَاءِ الْأَكْلِ إِلَّا لَتَعْلُقَ لُقْمَةً أَوْ عَدَقَ عَطَشًا .
وَلَا يَكْثُرُ فَهُوَ يَقْلِلُ الْهَضْمَ . وَيَأْخُذُ الْكُوزَ بِالْيَمِينِ . وَيَشْرَبُ فِي ثَلَاثِ أَنْفَاسٍ
مُفْتَحًا بِالتَّسْمِيَةِ وَمُخْتَمًا بِالتَّحْمِيدِ فِي كُلِّ وَهُوَ السَّنَةُ ، وَورد «مُصَوِّ الْمَاءِ مَصًّا
وَلَا تَعْبُوهُ عِبًّا فَإِنَّ الْكِبَادَ مِنَ الْعَبِّ»

السلام عليه في جمع الوسائل شرح النماثل ((ويحْتَبُ الشُّرْبُ فِي أَثْنَاءِ الْأَكْلِ)) أى
لمنع أرباب الحكمة ((الا لتعلق لقمة أو صدق عطش)) أى لكثرة حرارة فقد يقال:
ان ذلك مستحب في الطب وانه دباغ المعدة من الغش ولا يشرب على الريق واذا عطش
ولم يقدر ان يصبر فلياكل لقمة ليوافق الحكمة ويشير اليه قوله تعالى: (كلوا واشربوا)
وان كان الواو لمطلق الجمع فان التقديم الذكري قد يفيد الترتيب كما حقق في قوله تعالى:
(ان الصفا والمروة) وقوله عليه السلام «ابدءوا بما بدأ الله سبحانه» ((ولا يكثر)) أى من
الشرب بعده ((فهو يقلل الهضم)) لانه يبرد المعدة ويفسدها بل يصبر قدر ساعة
ونحوها ((ويأخذ الكوز باليمين)) لما ورد من أن الشيطان يشرب بشماله كما في مسلم وغيره
((ويشرب في ثلاث أنفاس)) لما في الصحيحين وغيره عن انس انه عليه السلام «كان
اذا شرب تنفس ثلاثا» - ويقول - هو انا وامرا وبرا» وفي رواية الترمذى وابن ماجه
عن ابن عباس «كان اذا شرب تنفس مرتين» فتحمل القضية على مرتين والاولى أكثر
وأظهر وأشهر ((مفتحا بالتسمية)) وهو القياس على الأكل ، وعن ابن مسعود أنه
عليه السلام «كان اذا شرب يتنفس في الاثنا ثلاثا يسمى عند كل نفس ويشكر في آخرهن»
ابن السنن . والطبرانى ويقول: «الحمد لله الذى سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا
أجاجا بذنوبنا» الطبرانى في الدعاء مرسلا من رواية أبى جعفر محمد بن على بن الحسين
((ومختما بالتحميد في كل)) أى في كل نفس ((وهو السنة)) أى كما لها والا فالسنة
المعروفة هو التسمية في أول الشرب والتحميد في آخره ((وورد)) عن انس برواية
الدبلى مرفوعا ((مصوا الماء مصا)) أى اشربوه قليلا قليلا يشبه المص وفي رواية
أبى داود عن عطاء بن أبى رباح «اذا شربتم فاشربوا مصا» ((ولا تعبوه عبا)) أى ولا
تشرّبوه كثيرا يشبه الصب ((فان الكباد)) بالضم وهو وجع الكبد ((من العب))
أى من هذا النوع في الشرب، وفي رواية البيهقى عن ابن شهاب مرسلا انه عليه السلام

مِنْ آتِيَةِ الْخَرْفِ . وَمَنْ الْحَشَبُ ، ثُمَّ يَبْدَهُ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْكَرْعِ وَغَيْرِهِ
لَأَقَانِمًا وَلَا مَضْطَجَعًا . وَيَنْظُرُ فِيهِ قَبْلَ الشُّرْبِ . وَلَا يَتَنَفَّسُ فِيهِ . وَيَحْفَظُ
أَسْفَلَهُ عَنِ التَّرْشِيعِ عَلَيْهِ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ ، وَيَتَبَرَّكُ بِسُورِ الْمُسْلِمِينَ ، فُورِدَ
« سُورُ الْمُؤْمِنِ شِفَاءً » وَلَا يَرُدُّ الْمَاءَ . وَلَا يَعْرُضُ . وَيَدَارُ الْكَوْزُ . وَالطُّسْتُ

« نهى عن العب نفسا واحدا وقال: ذلك شرب الشيطان » (من آتية الخرف) متعلق
بیشرب أى من الكوز الفخار (ومن الحشَب) وهو القدح وهو الأنسب إلى مشرب
العرب أقرب (ثم يبدَهُ) أى ثم الأفضل أن يشرب يبدَهُ (فهو أفضل من الكرْع)
أى من الشرب بقمه (وغيره) أى وغير ما ذكر كما يشرب من آتية النحاس والصفير
وأما من آتية الفضة . والذهب فبالاجماع حرام على الذكور والنساء (لأقَانِمًا)
كما في حديث مسلم عن أنس وغيره وروى عنه « أنه شرب قَانِمًا » كما في الصحيحين
عن ابن عباس وحمل على عذرا أو يان جواز أو اختصاص بما زمزم (ولا مضطجعا) لأنه
خلاف السنة والحكمة اللازمة (وينظر فيه) أى فى الماء والكوز (قبل الشرب)
أى قبل أن يشرب منه حتى إذا كان فيه أذى دفعه عنه (ولا يتنفس فيه) أى فى داخل الاناء
بل يتنفس خارجه فى الاثناء كما سبق به الايمان ، وورد فى الشئامل وغيره (ويحفظ
أسفله) أى أسفل الكوز (عن الترشيع عليه) أى على بدنه وثوبه وغيره بما يكون
مكروها لديه (فالكل مأثور ويتبرك) أى يطلب البركة (بسور المسلمين فورد « سور
المؤمن شفاء ») هكذا اشتهر على الالسنه ويستأنس له بقوله عليه السلام « من التواضع
أن يشرب الرجل من سور أخيه » رواه الدارقطني فى الافراد عن ابن عباس ، وقال
القاضى عياض فى شرح حديث أم زرع و يروى عن جرير بن عبدالله أنه قال لبنيه : إذا
شربتم فادروا أى اتركوا فى الاناء سورا وهو بقية الشراب ، وفى حديث آخر فانه أجمل
ويروى عن النبي ﷺ « أنه قال : لا خير فى طعام ولا شراب ليس له سور » وفى الحلية
عن ابن عمر أنه عليه السلام كان يبعث إلى المطاهر أى السقايات - فيؤتى بالماء فيشربه
يرجو بركة أيدي المسلمين ، ونظيره ما وقع له عليه السلام عند زمزم والله أعلم (ولا
يرد الماء) أى ماء زمزم أو مطلقا تعظيما للعمة (ولا يعرض) أى الماء على غيره
تسكيرا للسنة (ويدار الكوز) وكذا القدح والمعلقة فى الأكل والشرب (والطست)

بِالْأَيْمَنِ . وَيَخْتَارُ الثَّوبَ الْبَيَضَ . فَهُوَ أَحَبُّ الْأَلْوَانِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَانَ يَلْبَسُ الْأَخْضَرَ وَالصُّوفَ . وَيَنْوِي فِيهِ سِتْرَ الْعَوْرَةِ . وَالتَّزِينَ لَتَوَدُّ الْمُسْلِمِينَ . وَيَبْدَأُ بِالْأَيْمَنِ فِي لُبْسِ كُلِّ شَيْءٍ . وَبِالْأَيْسَرِ فِي النَّزْعِ . وَيَفْتَحُ بِالتَّسْمِيَةِ وَيَخْتِمُ بِالتَّحْمِيدِ .

في وقت غسل اليد ((بالأيمن)) فقد شرب عليه السلام لبنا وأبو بكر عن شماله . وأعرابي عن يمينه . وعمرنا حيته فقال عمر: أعط أبا بكر فناول الأعرابي وقال الأيمن فالأيمن مالك . وأحمد والجماعة عن أنس ((ويختار الثوب الأبيض)) أي للبدن لاسيما يوم الجمعة وأما يوم العيد فيختار ما فيه القيمة أكثر والزينة أظهر ((فهو)) أي البياض ((أحب الألوان إليه ﷺ)) كما في شمائل الترمذي وغيره عن سمرة بن جندب مرفوعا « لبسوا البياض فانها أظهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم » وعن ابن عباس رفعه « عليكم بالبياض من الثياب ليلبسها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم » ((وكان يلبس)) الثوب ((الأخضر)) أي أحيانا كما في الشمائل والمراد به البحث لأنه من ثياب أهل الجنة والبرد الذي فيه خطوط خضر، وأما ما ورد « انه لبس الأحمر » فمحمول على ما فيه خطوط حمر من البرد فقد ورد عن أنس « كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ يلبسه الحبرة » وهو بوزن العبة نوع من برود اليمن فيه خطوط حمر أو خضر أو زرق ((والصوف)) أي في بعض الأحيان بأي لون كان من الألوان ((وينوي فيه)) أي في اللبس ((ستر العورة)) أي بالازار ((والتزين لتودد المسلمين)) أي يلبس الرداء ونحوه من العمامة . والقباء . والعباء . وقد قال تعالى : (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) ((ويبدأ بالأيمن في لبس كل شيء)) من نحو القميص والخف والنعل وغيرها ((وبالأيسر في النزاع)) أي نزاع كل شيء كرامة لليمين فيها فكان عليه السلام « يحب التيامن ما استطاع في طهوره وتعلمه وترجله وفي شأنه كله » رواه أحمد والجماعة عن عائشة، وفي الترمذي عن أبي هريرة « كان إذا لبس قميصا بدأ بيمينه » ((ويفتح)) اللبس ((بالتسمية ويختتم)) اللبس ((بالتحميد)) كما هو معروف من شمائله عليه السلام في الشمائل عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة أو قميصا أورداء ثم يقول أي بعد التسمية والبسملة

وَلْيَلْبَسُ السَّرَاوِيلَ قَاعِدًا كَيْلًا تُصَيِّهَ آفَةً . وَلَا يُسْبِلْهُ إِلَى مَا تَحْتَ الْكَعْبِ ،
فَقِيهِ الْوَعِيدُ بِالنَّارِ إِلَى نَصْفِ السَّاقِ : وَيَبْدَأُ بِلُبْسِ الْقَمِيصِ : وَيَلْبَسُ الْخُشْنَ ،
فُورِدَ « مِنْ رَقِّ ثَوْبِهِ رَقِّ دِينِهِ » وَلَا يَنْزِعُ حَتَّى يَرْقَعَهُ فَهُوَ السَّنَةُ »

اللهم لك الحمد كما كسوته نية أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له، وفي رواية أبي داود وغيره « من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » (ويلبس السراويل قاعدا) أي كالحنف (كيلا تصيه آفة) أي من جهة وقوعه على جانب أودابة (ولا يسبله) أي لا يسدل ثوبه من القميص والسروال والأزار ونحوها (إلى ماتحت الكعب فقيه) أي في أسبالة إليه (الوعيد بالنار) فقد ورد الأسبال في الأزار والقميص والعمامة « من جرم منها شيئا خيلا لم ينظر الله إليه يوم القيامة » أبو داود . والنسائي . وابن ماجه عن ابن عمر بل يرفع (إلى نصف الساق) فهو أفضل بالاتفاق ، وفي رواية أحمد عن أنس « الأزار إلى نصف الساق أو إلى الكعبين لا خير في أسفل من ذلك » وفي رواية ابن سعد عن يزيد بن أبي حبيب مرسل « كان يرخي الأزار من بين يديه ويرفع من ورائه ، وفي رواية الترمذي في الشمائل ويقول : دانه اتقى وأتقى وأبقى » (ويبدأ بلبس القميص) قبل كل شيء ، لأنه استرحب يقوم مقام الأزار والرداء فعن أم سلمة « كان أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص » ، رواه الترمذي في الشمائل ، وفيه أيضا أن كفه عليه السلام كان إلى الرسغ (ويلبس الخشن) أي الغليظ من الثوب أزارا ورداء وغيرهما وهو السنة أي فعلا وقولا ، وفي رواية الترمذي . والحاكم عن معاذ بن أنس « من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها » (فورِد) أي عن بعض السلف (من رق ثوبه) أي لطف (رق دينه) أي ضعف فكأنهما متلازمان كما يشير إليه حديث من أحب آخرته أضر بدنياءه ومن أحب دنياه أضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وورد من لبس ثوب شهرة البسه الله ثوب مذكلة يوم القيامة رواه أحمد . وأبو داود . وابن ماجه بسند حسن عن ابن عمر مرفوعا ، وفي رواية البيهقي عن أبي هريرة . وزيد بن ثابت أنه عليه السلام نهى عن الشترتين رقة الثياب وغلظتها ولينها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن سداد فيما بين ذلك واقتصاد (ولا ينزع) أي ثوبه (حتى يرقعه فهو السنة) لأنه

وَيَكْسُو الْمَزُوعَ فَقِيرًا لِيَكُونَ فِي حَرْزِهِ تَعَالَى . وَلَا يَتَّخِذُ ثَوْبَيْنِ . وَيَتَصَدَّقُ
بِأَحَدِهِمَا إِنْ اجْتَمَعَا . وَيَتَعَمَّمُ فَالْعَائِمُ تِيْجَانُ الْعَرَبِ . وَفِيهِ الْوَقَارُ . وَيُرْسِلُ
الذَّيْلَ بَيْنَ السَّكَتَيْنِ إِلَى قَدْرِ الشَّيْبِ أَوْ مَوْضِعِ الْقُعُودِ أَوْ نَصْفِ الظَّهْرِ وَهُوَ وَسْطُ مَرْضَى
وَالْكُلُّ مَرُوءٍ وَيَسْتَجِدُّ لِيَلْبَسَ الْجُمُعَةَ أَوْ يَوْمَهَا . وَيَلْبَسُ مَا أَصَابَ .

عليه السلام كان يركب الحمار ويخفف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف
ويقول « من رغب عن سنتي فليس مني » رواه ابن عساكر عن أبي أيوب (ويكسو المزروع
فقيرا ليكون في حزره تعالى) في رواية احمد عن عمر « من استجد قيصا فلبسه فقال
حين بلغ ترقوته الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي واتجمل به في حياتي ثم
عدت الى الثوب الذي اخلق فتصدق به كان في ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حيا
وميتا » (ولا يتخذ ثوبين) أي من جنس واحد كإزار بن ورداين وقيصين زهدا في
الدنيا (ويتصدق بأحدهما إن اجتمعا) ميلا الى ثواب العقبى ، واما حديث صاحب
القميصين لا يجد حلاوة الايمان فلا أصل له (ويتعمم فالعائم تيجان العرب) أي انها
بمنزلة التيجان للولوك لقلة العائم فيهم (وفيه) أي في لبس العائم (الوقار) أي ظهور العظمة
منهم ، ففي مسند الفردوس للدليلى عن ابن عباس العائم تيجان العرب فاذا وضعوا العائم
وضعوا عزمهم وفي رواية الماوردي عن ركانة العمامة على القلنسوة فصل ما بيننا وبين المشركين
يعطى يوم القيمة بكل كورة يدورها على رأسه نورا (ويرسل الذيل) أي ذيل العمامة
المسمى بالعذبة (بين السكتين) وجوز في أحد الشقيين مما يلي الاذنين (الى قدر الشبر
أو موضع القعود أو نصف الظهر وهو وسط مريض) أي عند المصنف والا فالاول
اشهر واكثر واطهر (والكل مروي) وقد جمعته في رسالة مستقلة (ويستجد)
أي يلبس الجديد (ليلة الجمعة أو يومها) وهو المعروف من حديث أنس « كان اذا استجد
ثوبا لبسه يوم الجمعة » رواه ابن حبان (ويلبس ما أصاب) أي وجده من جديد أو
غيره من غير تعلق بنوع منه أو تقيد بصف منه مالم يرد نهى عنه كالحرير ولون الاحمر
والاصفر مالم يكن من أحد الشهرتين فقد ورد « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه
في الآخرة ، متفق عليه ، وفي رواية لاحد عن جويرية « ألبسه الله يوم القيمة ثوبا من نار »
وفي رواية عبد الرزاق عن الحسن مرسل « الحرمة من زينة الشيطان » وفي رواية ابن

وَيَنْفُضُ الْخُفَّ قَبْلَ اللِّبْسِ . وَيَقْعُدُ فِي لُبْسِهِ . وَنَزَعَهُ . وَيَحْتَفِي أَحْيَانًا تَوَاضَعًا .
فَهُوَ مَأْثُورٌ وَيَلْبَسُ النَّعْلَ الْأَصْفَرَ ، فَهُوَ يَوْجِبُ السَّرُورَ وَيَطْبِيبُ وَلَا يَرُدُّ الطَّيِّبَ
فَهُوَ الْمُرَوِيُّ وَالْأَحَبُّ لِلرَّجُلِ مَا خَفِيَ لَوْنُهُ . وَظَهَرَ رِيحُهُ وَلِلْبَرَاءَةِ مَا يَنْعَكُسُ .

باجه عن ابى ذر « من لبس ثوب شهرة أعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه » وفي رواية أبى داود . وابن ماجه بسند حسن عن ابن عمر « من لبس ثوب شهرة البسه الله يوم القيامة ثوبا مثله ثم يلهب فيه النار » ونهى عليه السلام « عن لبستين المشهورة في حسنها والمشهورة في قبحها ، الطبراني عن ابن عمر « (وينفض الخف قبل اللبس) أى مخافة ان يكون فيه ما يؤذيه من دابة أو غيرها » (ويقعد في لبسه ونزعه) خوفا من وقوعه » (ويحتفى أحيانا تواضعا) أى الله سبحانه لقوله تعالى : (والله جعل لكم الأرض بساطا) وقوله تعالى : (الم نجعل الأرض مهادا) « فهو » الاحتفاء « مأثور » أى عن الصحابة والسلف الصالحين ومنهم بشر الخافي ، ومن كراماته ان الدواب في سكك بغداد لم يكن يرمين الروث مدة حياته وبوجوده فيها استدل على عمامته » (ويلبس النعل الاصفر فهو يوجب السرور) كأنه أخذ من قوله تعالى : (صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) وورد من لبس نعلا صفراء قل همه ذكره الكشاف عن علي ، ويروى عن ابن عباس مرفوعا بلفظ « لم يزل في سرور مادام لابساها » بدل قل همه « ويتطيب » أى ويستعمل الطيب وافضله المسك وماء الورد والعود « ولا يرد الطيب » كذا رواه احمد والبخارى والترمذى والنسائى عن أنس ، وفي صحيح مسلم وأبى داود وغيرهم « من عرض عليه طيب فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الرائحة » والترمذى عن ابن عمر مرفوعا « ثلاثة لا ترد اللابن والوسادة والطيب » (فهو) أى كل من التطيب وعدم رد الطيب « (المروى) » أى عنه عليه السلام فروى ابن سعد عن ابراهيم مرسل انه عليه السلام كان يعرف بريح الطيب اذا قبل يعنى سواء تطيب أو لم يتطيب كما قرر في محله وانما كان يتطيب لزيادة محبته في الطيب كما يدل عليه حديث « حُبُّ الِى مِنْ دُنْيَا كَمِ الطَّيِّبِ وَالنِّسَاءِ » الحديث « (والأحب) » من الطيب « (لِلرَّجُلِ مَا خَفِيَ لَوْنُهُ وَظَهَرَ رِيحُهُ) » كَاءُ الْوَرْدِ وَالْمَسْكِ « (وَلِلْبَرَاءَةِ مَا يَنْعَكُسُ) » أى ما ظهر لونه وخفى ريحه كالزعفران والصندل قيل : وهذا اذا اراد الخروج والا فلا حرج عليهما فى داخل بينهما والحديث رواه الترمذى عن أبى هريرة والطبرانى والضياء عن أنس مرفوعا بلفظ « طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب

ويُحْتَنَبُ الْخَنَاءُ فَهُوَ تَشْبَهُ بِالنِّسَاءِ لِأَنَّهُ سَتْنٌ وَالنِّصُّ وَالْإِتِمَاصُ فَهُوَ مَنِيٌّ
عَنْهُمَا . وَلَا يَبْنِي أَكْثَرَ مِنْ سَبْعَةِ أَذْرَعٍ ، فَوُرِدَ فِيهِ « نُوْدِي إِلَى أَيْنَ يَا قَاسِقُ » وَيَنْوِي
فِيهِ التَّعَبِدَ . وَدَفَعَ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ . وَلَا يَالِغُ فِيهِ

النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه ، (ويحْتَنَبُ الْخَنَاءَ) أى الخضاب به في يده ورجله (فهو تشبه
بالنساء لأنه ستنهن) أى عادت من أولانه ستة في حقهن فقد وردد كان يكره أن يرى المرأة
ليس في يدها أثر خاء أو خضاب ، البيهقي عن عائشة ، وفي رواية أحمد . وابن داود
والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين
من الرجال بالنساء » (والنص) وهو قلم الشعر بالخط من وجه الغير (والاتصاص) قلمه
من وجه نفسه أو طلبه من غيره ، وفي النهاية النامصة التي تنفث الشعر من الجبين
والمنتمصة التي تأمر من يفعل بها ذلك (فهو) أى ما ذكر من الفعلين (منهى عنهما)
فورد « لعن الله الواشيات والمستوشيات والمتمصصات والمتفججات للحسن المغيرات خلق
الله » أحمد والبيهقي عن ابن مسعود (وَلَا يَبْنِي أَكْثَرَ مِنْ سَبْعَةِ أَذْرَعٍ) في الارتفاع
لأنه قدر الكفاية ويعد من الاسراف والزيادة ، وفي الخبر « من بنى بناء فوق ما يكفيه
كلف يوم القيامة أن يحمله على عاتقه من سبع أرضين » رواه البيهقي في الشعب ؛
وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود مرفوعا وله شواهد (فورد فيه) أى في
حق مخالفه (نودى الى أين يا قاسق) وفي رواية يافسق الفاسقين لأن بناء القصر
والصرح ثبت عن شداد وفرعون ذي الاوتاد ، وفي رواية أبي داود عن أنس مرفوعا
« من بنى فوق عشرة أذرع نادى مناد من السماء يا عدو الله الى أين تريد » وعن الحسن
كنت اذا دخلت بيوت رسول الله ﷺ ضربت يدي الى السقف (وينوى فيه)
أى في بنائه (التعبد) أى الموضع الذي يتعبد فيه لربه ويعتزل عن غيره (ودفع
الحر والبرد) في الخبر « ثلاث لا يحاسب بهن العبد ظل خضر يستظل به كسرة
يشد بها صلبه وثوب يوارى بها عورته » أحمد في الزهد . والبيهقي عن الحسن مرسلا
(وَلَا يَالِغُ فِيهِ) أى في استحكام بنائه بالجص والتورة قال من بنى بالآجر فرعون
وهامان ، وقد قال تعالى : (إِنِّي أَنَا كَوْنُوا يَدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بَرُوجٍ مَّشِيدَةٍ) أى
محكمة ومرفعة ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام الى صرح قد بنى بجص وآجر فكبر
وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من يبني بنيان هامان لفرعون يعني به قول فرعون

فَلَمْ يَضَعْ عَلَيْهِ السَّلَامُ «لَبَنَةً عَلَى لَبَنَةٍ وَلَا قَصْبَةً عَلَى قَصْبَةٍ» وَيَبْدَأُ يَوْمَ الْاِحْدِ .
وَيَتَّخِذُ مَوْضِعًا لِلْوُضُوءِ وَالْغُسْلِ . وَمَوْضِعًا لِلْبَوْلِ وَالْعَائِطِ . وَمَوْضِعًا لِلضِّيَافَةِ ،
فَوَرَدَ «أَنَّهُ زَكَاةُ الْبَيْتِ» وَلَا يَتَوَطَّنُ فِي دَارِ الْحَرْبِ ، فَوَرَدَ «أَنَّا بَرِئُ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ
مُقِيمٍ بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَشْرُكِينَ تَرَامِي نَارَاهُمَا»

فاوقدلى ياها ممان على الطمين أراد به الآجر وورد «لدو اللوت وابنو للخراب» البيهقي
في الشعب عن أبي هريرة والوزير مرفوعا وأبو نعيم في الحلية عن أبي ذر موقوفا . وأحمد
في الزهد عن عبد الواحد قال قال عيسى عليه السلام قد ذكره ﴿ فلم يضع عليه السلام لبنة ﴾
بكسر لام فسكون موحدة ﴿ على لبنة ولا قصبه على قصبه ﴾ أى وانما بنى الحجرات
من الحجارة ولكن في السير ذكر انه اشتغل اللبن وبنى به المسجد والبيوت للازواج
الطاهرات ﴿ ويبدأ بيوم الأحد ﴾ لانه سبحانه بدأ فيه بخلق السموات والارض كما حقق في
تفسيره قوله تعالى (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض في ستة أيام) ﴿ ويتخذ موصعا
للوضوء والغسل ﴾ أى على حدة ﴿ وموصعا للبول والغائط ﴾ أى منفردا وكان مقتضى
الترتيب أن يعكس الموضعين لأن القصد بهما قضاء الحاجة وأداء النظافة ﴿ وموصعا
للضيافة فورد أنه ﴾ أى بناء موصع الضيافة ﴿ زكاة البيت ﴾ أى صدقته أى زكاته
ونماؤه . وبهاؤه . وضيأؤه ، وقد سبق لآخر فيمن لا يضيف وصح فراش للضيف
﴿ ولا يتوطن ﴾ أى لا يتخذ وطنا ﴿ في دار الحرب ﴾ أى بلاد الكفر ﴿ فورد أنا
برىء من كل مسلم . مقيم بين ظهراني المشركين ﴾ أى في دار الكافرين بفتح النون
ولا يجوز كسرهما وأصله بينهم ثم أدخل الظاهر مقحما أو اشعارا بأنه مظاهرهم ثم
زيدت ألف ونون في لفظ الظهر تأكيدا وكان القياس كسر النون كما في الرباني والاحياني
الأنه أريد هنا به الثانية ومعناه ان ظهرا منهم امامه وظهرا وراؤه فهو مكفوف من
جانبيه وحواليه واذا بولغ قيل بين أظهرهم ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين القوم
مطلقا ﴿ ترامى ناراها ﴾ أى يترامى نار المسلمين والمشركين من كمال قربهما وفيه
تنبيه على عذر من سكن فيه لبعده ما بينهما وعدم قدرته على الانتقال من أبعدهما الى
أسعدهما فقد قال تعالى : (الذين تتوفيه الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا
كننا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) الآية

وَيُنْظَفُ • وَلَا يَكْسُو • وَلَا يَزْخَرُفُ • وَيَقْرَأُ عِنْدَ الدُّخُولِ آيَةَ الْكَرْسِيِّ
وَالْإِخْلَاصَ فَإِنَّهُ يُورِثُ الْغَنَى • وَيَغْلِقُ الْبَابَ لَيْلاً مُسَمِياً مِياً • وَيُرْخِي السُّتْرَ •
وَيُطْفِئُ النَّارَ •

والحديث رواه أبو داود . والترمذي من حديث جرير «أنا بصرى من كل مسلم يقيم بين
أظهر المشركين قالوا : يا رسول الله ولم قال لا تراى ناراهما والمعنى لا ينبغي أن يتقارب
نارهما لا ينبغي أن يتباعد داراهما ، وأما قوله عليه السلام «لا هجرة بعد الفتح» فعنايه الهجرة
واجبة من مكة وغيرها الى المدينة بعد فتح مكة واستقرار الاسلام ﴿ وينظف ﴾ أى
البيت وما حوله من الملوأات والقاذورات ﴿ ولا يكسو ﴾ أى جدران البيت بالسارات
﴿ ولا يزخرف ﴾ أى بانواع الزينات فانها من الأمور الفانية الشاغلة عن الأحوال
الباقية وقد نهى عليه السلام «أن تستر الجدر» رواه البيهقي عن علي بن حسين مرسل
وقال تعالى : (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ليوهم
سقفا من فضة ومعازج عليها يظهرون وليوهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا
وان كل ذلك لما تمتاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للثقلين) وقد ورد «لو كانت
الدنيا تعدل جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء » الترمذي وغيره عن سهل
ابن سعد ﴿ ويقرأ عند الدخول آية الكرسي ﴾ لأنها آية الحفظ ﴿ والإخلاص
فانه ﴾ أى فقراتهما وقراءة كل منهما ﴿ يورث الغنى ﴾ أى عن السوى لاشتمالها على
توحيد ذاته وتفريد صفاته وقراءة الفاتحة أنسب فان فيها رائحة الابتداء والحد والشكر
والثناء فاتحة ﴿ ويغلق الباب ليلا ﴾ أى بعد المغرب أو العشاء ﴿ مسميا ﴾ لأن
الشیطان لا يفتح بابا أغلق عليه ويسمى لديه ﴿ ميامنا ﴾ أى مبتدأ برد المصراع الأول
إذا كان الباب ذامصراعين ويوافق هذا الغلق من غير الفلق ﴿ ويرخي الست ﴾ أى
فيما لم يكن له باب يغلق ﴿ ويطفىء النار ﴾ فى الصحيحين وغيرهما عن جابر مرفوعا
« إذا كان جنح الليل بكسر الجيم أى أوله فكفوا صيانتكم فان الشياطين تنتشر
حينئذ فاذا ذهب ساعة من الليل غلظوا وغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فان
الشیطان لا يفتح بابا مغلقا وأو كواقربكم واذكروا اسم الله وخمروا آيتكم واذكروا
اسم الله ولوان تعرضوا عليها شيئا واطفؤا مصابيحكم ، وفى رواية الطبراني . والحال
« إذا نمت فاطفؤا المصباح فان الفأرة تأخذ الفتيلة فتحرق أهل البيت ، الحديث ، وفى

وَيَتَوَضَّأُ لِلنَّوْمِ لَتَكُونَ رُؤْيَاهُ صَادِقَةً ، وَ يَسْتَأْكُ وَيُعِدُّ الطَّهَوْرَ وَالسَّوَاكَ
وَيَنْوِي الْقِيَامَ فَلِكُلِّ أَمْرٍ مَانَوَى ، وَيَسْتَأْكُ كُلَّمَا اسْتَيْقَظَ فَكَانُوا يَفْعَلُونَهُ
وَيَضَعُ وَصِيَّتَهُ مَكْتُوبَةً تَحْتَ الرَّأْسِ تَحَامِيًّا عَنْ هُجُومِ الْمَوْتِ دُونَهَا، وَيَتُوبُ
عَنِ الذُّنُوبِ ، وَيَنْوِي الْخَيْرَ لِلْمُسْلِمِينَ لِيَغْفِرَ لَهُ وَلَا يَبْسُطَ الْفِرَاشَ النَّعِيمَ
قَطْعًا لَغَلْبَةِ النَّوْمِ وَالْأَنَسِ بِالترَفَةِ ،

الصحيحين عن ابن عمر «لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون» (ويتوضأ) أي يتطهر
(للنوم) فقي الخبر «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة» رواه الستة عن البراء
(لتكون رؤياه صادقة) وذلك لما ورد «من بات على طهارة بات معه ملك»
(ويستأك) أي عند النوم لأنه من كمال الطهارة والنظافة ولأن النوم أخو الموت
ويسن للبحتضرن استأك كما فعله عليه السلام (وبعد الطهور) بفتح الطاء أي
يهيئ ما يتطهر به (والسواك) أي عند رأسه (وينوي القيام) أي للتمجد في وقته
(فلكل امرئ مأنوى) ونية المؤمن خير من عمله (ويستأك كلما استيقظ فكانوا)
أي بعض السلف (يفعلونه ويضع وصيته) أي بالله وعليه (مكتوبة تحت الرأس)
أي قريبا منه (تحاميا عن هجوم الموت) أي بحجته بغتة (دونها) أي من غير وصية
وقد ورد «ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته
مكتوبة عنده» رواه الشيخان عن ابن عمر، وروى «من لم يوص لم يؤذن له في الكلام
مع الموتى»، وروى «ترك الوصية عار في الدنيا ونار وشار في العقبى» (ويتوب عن
الذنوب) فلعلمه يكون آخر حياته فيصير صالحا عند عمامته (وينوي الخير للمسلمين)
أي ينوي ليستر يحوا عن أيدائه ولينفعهم عند ابتباهه ولذا قيل نوم الظالم عبادة لا ورد
«نوم العالم عبادة» (ليغفرله) أي بسبب التوبة (ولا يبسط الفراش النعيم)
أي اللين الناعم (قطعا لغلبة النوم والأنس بالترفة) أي بالتلذذ الزائد، فقي الشماثل
سئلت عائشة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك؟ قالت: من أدم حشوه
ليف، وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك؟ قالت: مسحا
بكسر الميم أي فراشا خشنا من صوف ثنيه فينام عليه فلما كان ذات ليلة قلت لو نثيته أربع
ثنيات كان أوطأ له فثنيه أربع ثنيات فلما أصبح قال ما فرشت مني الليلة؟ قلنا هو فراشك

وَلَا يُوَاظَبُ عَلَيْهِ فَمَوْرُوٌّ، وَيَنْفَضُّهُ قَبْلَ الْإِتْيَانِ وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَوَجْهَهُ
وَإِخْصَاصُ إِلَيْهَا أَوْ يَكُونُ ظَلِّ الْمَحُودِ، وَيَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ
(وَشَهِدَ اللَّهُ) إِلَى (الْإِسْلَامِ). (وَالْحُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ) إِلَى (يَعْقُلُونَ)

الا انا ثنياء باربع ثنيات قلنا هو أو طأ لك قال: ردوه لحاله الاولى فانه منعني وطأته
عن صلاتي الليلة، (ولا يواظب عليه) أى لا يداوم النوم على مطلق الفراش بل
ينبغي ان ينام تارة على الحصير كما ورد في السنة وتارة على الارض كما ثبت عن أبي تراب
(فهو المروى) أى عن النبي . والولى (وينفضه) أى فراشه (قبل الاتيان) أى
قبل قعوده لئلا يلقى ما يؤذيه في حال رقوده ففي صحيح مسلم «فليأخذ داخلة ازاره
فليفض بها فراشه» وفي اكثر الروايات قيده بثلاث مرات للبالغة في الاحتراس عن
المؤذيات (ويستقبل القبلة ووجهه وإخصاه) وفي نسخة «وإخصاه» أى بطن قدميه
(إليها) فيكون على هيئة الاستلقاء فقيل هو نوم الانبياء وقيل هو اردى النوم ولا يضر
الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم ، واردى منه ان ينام على وجهه منبطحا في سنن ابن
ماجه انه عليه السلام «مر برجل في المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله فقال: قم
واقعد فانه نومة جهنمية» ولكن المعروف في كتب الحديث ما ذكره بقوله (او يكون
كالملحود) وهو بان يضع يده اليمنى تحت خده ويضطجع على شقه الايمن كما في مسلم
 وغيره ويقول «بسمك ربى وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فأغفر لها وان
ارسلتها فأحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» رواه الستة (ويقرا آية الكرسي) لانها
للحفظ عن شياطين الانس والجن وهو في صحيح البخارى، ورواه الطبرانى عن ابن مسعود
 ومن قرأ عشر آيات اربع من البقرة وآية الكرسي واثنين بعدها وخوانيمهم لم يدخل ذلك البيت
 شيطان حتى يصبح، (وآيتين من آخر البقرة) فروى الاربعة عن أبي مسعود الانصارى
 مرفوعا «من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» أى من قيام الليل او من
 كل مكروه، وقال النووي: في الاذكار روى الامام الحافظ ابو بكر بن أبى داود باسناد
 عن علي رضى الله عنه قال ما كنت ارى احدا يعقل ينام قبل ان يقرأ الآيات الثلاث
 الا و اخر من البقرة، فالابتداء من قوله (لله مافى السموات ومافى الارض) (وشهد الله
 الى (الاسلام) أى (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة والعلم قائما بالقسط لا اله
 الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام) (وَالْحُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ إِلَى (يَعْقُلُونَ) أى

و (إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ) آيَةً . و (قُلْ ادْعُوا اللَّهَ) آيَةً
وعشراً من أول الكهف وعشراً من آخرها .

(لا اله الا هو الرحمن الرحيم) هـ (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحياه الارض
بعد موتها و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المستخر بين السماء
والارض آيات لقوم يعقلون) (وان ربكم الله الذي خلق السموات) الآيه تمامه
(والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامرہ ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا
ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه
خوفاً وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين) (وقل ادعوا الله الآيه) تمامه (وادعوا
الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنی ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين
ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي
من الذل وكبره تكبيرا) (وعشراً من أول الكهف) وهی بسم الله الرحمن الرحيم
(الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قميلاً لينذر بأساً شديداً من
لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسناً ما كثرين فيه ابداً
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من
افواههم ان يقولون الا كذباً فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملاً وانا لجالعون ما عليها
صعيداً جزواً) (وعشراً من آخرها) وهی (الخشب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي
من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلاً قل هل ننبئكم بالآخرين اعمالا
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين
كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ذلك
جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يغيغون عنها حولا قل لو كان
البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الحكم اله واحد فن كان يرجو لقاءه فليعمل

وَالْمُعَوِّذَيْنِ يَقْرَأُهُمَا فَيَنْفُثُ عَلَى الْيَدَيْنِ وَيَمْسَحُ الْوَجْهَ وَالْبَدْنَ فِي الْكُلِّ
فَضَائِلُ . وَيَذْكُرُ الْمَوْتَ وَالنُّشُورَ وَيَنَامُ عَلَى حَبِّ تَعَالَى وَذَكَرِهِ . وَهَكَذَا كُلَّمَا
يَسْتَيْقِظُ وَيَنَامُ فَهُوَ عَلَامَةُ حَبِّ تَعَالَى وَخَيْرِ الْعَاقِبَةِ وَلَا يَنَامُ وَحْدَهُ

عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) (والمعوذتين) بكسر الواو وتفتح (يقرأهما) اي اولا في رواية (فينث على الدين) بضم الفاء وتكسر اي ينفخ فخالطها عليهما بعد جمعهما ووصل كفه الي يمينه اليسرى وفي رواية البخاري والاربعة عن ابي هريرة «يجمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس» (ويمسح الوجه والبدن) وفي رواية الصحيح «ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات» (في الكل فضائل ويذكر الموت) لان النوم اخوه (والنشور) لانه قيام من القبور كالا ستيقاظ من النوم ويشير اليه قوله عليه السلام عند المنام اللهم باسمك اموت واحيا وبعد القيام الحمد لله الذي احيانا بعد ما ماتنا واليه البعث والنشور وفي الطبراني وليقرأ (قل يا ايها الكافرون) ثم ليتم على خاتمتها وفي رواية احمد وغيره اذا اخذت مضجعتك من الليل فاقرأ (قل يا ايها الكافرون) ثم تم على خاتمتها فانها براءة من الشرك» وفي رواية البزار عن انس «اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد امنت من كل شيء الا الموت» وفي رواية احمد عن شداد ابن اوس «ما من رجل يأوي الى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله الا بعث الله اليه ملكا يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهب متى هب» (وينام على حبه تعالى) اي في قلبه من غير مشاركة لربه (وذكره) اي بلسانه مقرونا بجمانه (وهكذا) اي في جميع شأنه (كلما يستيقظ وينام) اي في زمانه (فهو علامة حبه تعالى) يحتمل اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله مع انهما متلازمان كما يشير اليه قوله سبحانه (يحبهم ويحبونه) والعبرة بالناية السابقة المترتبة عليها الرعاية اللاحقة (وخير العاقبة) اي وامارة حسن الخاتمة فان النوم كال موت في الحالة السائلة (ولا ينام وحده) اي منفردا عن أهله فانه عليه السلام كان ينام مع نسائه أو المعنى لا ينام وحده في بيت لم يكن فيه غيره ففي مسند احمد عن ابن عمر أنه عليه السلام نهي عن الوحدة ان يبيت الرجل وحده

إِلَّا لَتَقْوَى الْحُضُورَ فِي الْقِيَامِ وَلَا عَلَى سَطْحٍ غَيْرِ مُحَوِّطٍ وَلَا فِيمَا لَا بَابَ لَهُ
وَلَا بَعْدَ الصُّبْحِ فَالْأَرْضُ تَشْتَكِي مِنْهُ إِلَيْهِ تَعَالَى وَلَا بَعْدَ الْعَصْرِ وَكَانَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ إِذَا أَطَالَ الْقِيَامَ يَنَامُ نَوْمَةً خَفِيفَةً قَبْلَ الصُّبْحِ . وَفِيهِ تَجَدُّدُ الشَّوْقِ
إِلَى آدَاءِ الْفَرَائِضِ . وَذَهَابُ أَثَرِ الْقِيَامِ عَنِ الْوَجْهِ . وَيَقِيلُ فِيهِ سَنَةٌ مُعِينَةٌ
عَلَى الْقِيَامِ كَالسَّحُورِ لِلصَّيَامِ

﴿الالتقوى الحضور في القيام﴾ لان الحضور الكامل انما هو في الغيبة عن مشاهدة الانام
لكن كم اقل كرم سطا و امش جانبا و كن قريبا غير با و كائنا باننا فغن ثوبان لا تسكن الكفور
فان سا كن الكفور كسا كن القبور البخارى فى تاريخه والبيهقى عن ثوبان والكفور
بالضم ما بعد من الارض عن الناس فقيه النهى عن الرهبانية والاعتزال عن الخلق
بالكلية ﴿ولا على سطح غير محوط﴾ اى بستره لما ورد فيه من النهى وورده من بات على
ظهر بيت ليس عليه حجاب فقد برئت منه الذمة رواه ابو داود بسند حسن ، وفى رواية
الترمذى عن جابر بنى عليه السلام ان ينام الرجل على سطح ليس بمحجور عليه ،
﴿ولا فيما لا باب له﴾ اى ولا ستارة فانها تقوم مقام الباب فى هذا الباب عند بعض
اولى الباب ﴿ولا بعد الصبح فالارض تشتكى منه اليه تعالى﴾ حيث انه صرف وقته
الشرىف فى غير العبادة وضيعه فى النوم وفق الطبيعة والعادة وقد ورد عن عثمان
مرفوعا برواية البيهقى وغيره «الصبحة تمنع الرزق ، اى المغنوى وكذا الحسى لانه
عليه السلام «قال بورك لامتى فى بكورها» ﴿ولا بعد العصر﴾ لانه ايضا وقت شريف
كما يشير اليه قوله سبحانه : (يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة
واصيلا) وفى رواية ابى يعلى عن عائشة « من نام بعد العصر فاخلس عقله فلا يلومن
الانفسه ، ﴿وكان عليه السلام اذا اطال القيام﴾ اى بالصلاة بعد المنام ﴿ينام نومة
خفيفة قبل الصبح﴾ او يضطجع ساعة لطيفة بعد ركعتى الصبح ﴿وفيه تجدد الشوق
الى آداء الفرائض وذهاب اثر القيام﴾ اى من الصفرة ﴿عن الوجه﴾ واثر الكسل عن
جميع البدن ﴿ويقبل﴾ بفتح اوله اى ينام وقت القيلولة ﴿ففى سنة﴾ اى مستحبة لفعله
عليه السلام وحسه عليها بالكلام حيث قال «قلوا فان الشيطان لا يتبل» ابو نعيم عن
أنس ﴿معينة على القيام كالسحور على الصيام﴾ وهو بفتح السين ما يتسحر به وبالضم
اكل الطعام فى وقت السحر وهو السدس الاخير من الليل لقوله عليه السلام : «استعينوا

مُتَضَمِّنَةٌ لِلسَّلَامَةِ . وَلَيْكُنِ النَّوْمُ ثُلُثَ اللَّيْلَةِ . وَالْيَوْمُ . وَلَا يَقْصُرُ
الرُّؤْيَا إِلَّا عَلَى عَالِمٍ نَاصِحٍ . وَلَا بِكُلِّ مَا يَرَى فَإِنْ رَأَى مَكْرُوهًا يَبْزُقُ عَنْ
يَسَارِهِ . وَيَتَعَوَّذُ

بطعام السحر على صيام النهار وبالقيولة على قيام الليل، رواه ابن ماجه وغيره عن ابن عباس (متضمنة للسلامة) أى من ضعف الدماغ وما هو مورث للملالة وموجب للسلامة أو للسلامة من مخالطة اهل الملاقة والتحدث معهم فى البطالة، فعن الثوري كانوا يستحبون اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة، ولذا قيل النوم خير من التهمة (وليكن النوم) أى ليقع مجموعه (ثلث الليلة واليوم) أى والباقي وهو ثلثاها مصروف الى اليقظة فيكون اكثر عمره للطاعة، وينبغي ان يتنبه قبل الزوال لاستعداد الصلاة على وجه السكال (ولا يقص الرؤيا) أى لا يحدثها اذا رأى ما يحجبها (الا على عالم) أى بتعير الرؤيا (ناصح) أى للرائى بان يكون محباله ومشافقا عليه فان الرؤيا لا تستقر مالم تعبر فاذا عبرت سقطت فاذا كان العابر غير محب فقد يعبرها بما يكره فيحصل بذلك هم وغم، وليس المراد ان يزيلها عما جعله الله عليه وقد تقع الرؤيا بقول اول عابر اذا كان خيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا ثانيا ويلين فأكثر فعبرها من يعرف تعبيرها على وجه يحتملها فتقع على ما نزلها فقد ورد أن امرأة اتت النبي ﷺ وقالت: رأيت كأن صائر بيتي أى عتبه قد انكسر فقال يرد الله عليك غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل هذا فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجده ووجدت ابا بكر فاخبرته فقال: يموت زوجك قد كرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هل قصصتها على احد؟ قالت: نعم قال: هو كما قال هذا وما في المتن رواية الترمذى عن أبى هريرة، وفي الصحيحين «اذا رأى فى منامه ما يحب فليحمد الله عليها ولا يحدث بها الا من يحب»، وفي رواية الحاكم عن أنس «ان الرؤيا تقع على ما تعبر ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها فاذا رأى احدهم رؤيا فلا يحدث بها الا ناصحا او عالما، (ولا بكل ما يرى) ولا يحدث بجميع ما رأى أى بل بما يحجب من الرؤيا لما سبق (فان رأى مكروها) أى ما يكرهه كما فى الرواية (يزق عن يساره) أى يصبق ثلاثا كما رواه الستة (ويتعوذ) أى بالله من الشيطان ومن شرها أى شر الرؤيا التى يكرها ثلاثا كما رواه الستة ايضا ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره كما فى الصحيحين

وَيَتَحَوَّلُ عَنْ جَنْبِهِ وَيَقُومُ وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ . وَيَتَصَدَّقُ بِشَيْءٍ وَيُرِدُّ الْمَعْبَرِ
إِلَى أَحْسَنِ تَأْوِيلٍ . وَلَا يَقْتَنِي كَلْبًا فَلَمَّا لَئِكَ تُنْفَرُ عَنْهُ إِلَّا لِمَاشِيَةٍ . أَوْ صَيْدٍ .
أَوْ زَرْعٍ . وَلَا يَسْتَقْبِلُ الشَّمْسَ فَهُوَ دَاءٌ . وَيَسْتَدْبِرُهَا فَهُوَ دَوَاءٌ ، وَيَخْرُجُ
مَسْمِيًّا مَتَعَوِّذًا قَارِئًا آيَةَ الْكُرْسِيِّ .

وغيرهما (ويتحول عن جنبه) الذي كان عليه (ويقوم ويصلي) كما رواه مسلم فيصلي
(رَكَعَتَيْنِ) فانهما اقل مما يطلق عليه الصلاة للنهي عن البتراء خلافا للشافعي في نحو تجوز به
الرَكعة المنفردة (ويتصدق بشيء) لان الصدقة تدفع البلاء (ويرد المعبر الى احسن
تأويل) لان الرؤيا تقع بقول اول عابرا اذا كان خيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا
تعبيرين أو أكثر كما تقدم ولا يبعد أن يكون المعنى يعبر المعبر أحسن تعبير من أنواع
العبرة فقد حكى أنه كان لسلطان معبران وظيفة احدهما ألف وللاخر نصفه مع
انها متساويان في الفضائل وتحسين الشياكل فسئل السلطان عن موجب تفضيل
احدهما على الآخر؟ لأن الحكميم لا يرجح الا لحكمة ومصلحة فقال: رأيت اسنان وقعت
قدامي فحكيت لها فقال صاحب الالف: ابشر فان عمرك اطول من أعمار أقاربك
وقال الآخر: يموت جميع أقاربك قبلك فانظر ان مؤدى كلاهما واحد ومختلف
حسن تعبيرهما ومقتضاها عند غواهما (ولا يقتني كلبا) أي لا يحفظه ولا يمسكه
عنده (فالملائكة) أي النازلة للرحمة (تنفر عنه) أي دون الحفظه لكنهم يتأذون
أيضا عنه الا انهم لا بد لهم من القرب منه (الاماشية) من غنم وابل وبقر ونحوها
(أو صيد) اذا كان معلما (أو زرع) لحفظه من الدواب وغيرها وفي الخبر من اقتنى كلبا
الا كلب ماشية او ضاريا أي طلبا معلما نقص من عمله كل يوم قيراطان، رواه الشيخان عن
ابن عمر، والمراد بـكلب الماشية ما يكون للحفظ فيشمل كلب الزرع ولذا اقتصر في الحديث عليه
(ولا يستقبل الشمس) أي في قعوده وقت الشتاء (فهو دواء يستدبرها فهو دواء) أي
للاستدفا ونهى عليه السلام « ان يقعد الرجل بين الظل والشمس » الحاكم عن ابي هريرة
وابن ماجه عن بريرة (ويخرج) أي من داره (مسميا متعوذا) فيقول « بسم الله توكلت
على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم اني اعوذ بك من ان ازل او ازل او اضل او اضل
او اجهل او يجهل علي » رواه ابن ماجه وغيره (قارئا آية الكرسي) أي للحفاظ

وَيُسْرِعُ فِي الْمَشْيِ إِلَى الْبَيْتِ . وَلَا يَمْشِي بَيْنَ الْمَرَاتِينِ ، وَيَتْرُكُ الطَّرِيقَ
لِلنِّسَاءِ . وَيَمِيطُ الْأَذَى ، فَفِيهِ أَجْرٌ جَزِيلٌ . وَلَا يَخْتَالُ ، فُورَدَ (وَلَا تَمْشِ
فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) « مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ وَاخْتَالَ فِي مَشْيِهِ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ
غَضَبَانُ » وَيَأْخُذُ الْعَصَا فِي الْكِبَرِ فَهُوَ سَنَةٌ .

عن شياطين الانس والجن ﴿ ويسرع في المشي الى البيت ﴾ أى حال كونه راجعا اليه
ليكون اسرع من حال خروجه منه فان دخوله فيه احسن احواله لديه فالعود احمد عليه
لان الزمان زمان البيوت ولزوم السكوت والقناعة بالقوت الى أن يموت ﴿ ولا يمشي بين
المرأتين ﴾ فانه ابعد من العصيان ، وقيل يورث النسيان في ابى داود ومستدرک الحاكم
عن ابن عمر انه عليه السلام « نهى أن يمشى الرجل بين المرأتين » وروى البيهقي عنه
مرفوعا « اذا استقبلك المرأتان فلا تم بينهما خديمتة أو يسرة » ، وهذا معنى قوله
﴿ ويترك الطريق للنساء ﴾ أى اللاتي ليس لهن شئ من الحياء والا فلا ليق بهن أن يتركن
الطريق للرجال ويلصقن بالجدران لستر الحجال ﴿ ويميط الاذى ﴾ أى ويزيل ما فيه
الاذى كالشوك والحجر ونحوهما عن الطريق ومنه نفسه المؤذية للرفيق ﴿ ففيه
اجر جزيل ﴾ وثناء جميل لاهل التوفيق فورد « الايمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها
قول لا اله الا الله وادائها امانة الاذى عن الطريق » ، رواه مسلم وغيره عن ابى هريرة ،
وعن معقل بن يسار مرفوعا « من اماط اذى عن طريق المسلمين كتب له حسنة
ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة » رواه البخارى في تاريخه ﴿ ولا يختال ﴾ أى تبختره اشيا
﴿ فورد ولا تمش في الارض مراحا ﴾ تمامه (انك ان تخرق الارض ولن تبلغ الجبال
طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وفي آية اخرى (واقصد في مشيك)
أى توسطه وفي اخرى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أى هينين
لينين متواضعين متخاشعين ﴿ من تعظم في نفسه ﴾ أى تكبر ﴿ واختال في مشيه ﴾
أى تبختر ﴿ لقي الله وهو عليه غضبان ﴾ رواه احمد وغيره عن ابن عمر ، وكانه مقتبس
من قوله سبحانه (ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا) ﴿ ويأخذ العصا في الكبر ﴾
وابتداءه من الاربعين ﴿ فهو سنة ﴾ أى للانبياء كما بينت في رسالة الانبياء ، وقد قال
الحسن في العصا ست خصال سنة الانبياء وزين الصلحاء وسلاح الاعداء وعون

وَيُعِيدُ فِي قَضَاءِ الْحَاجَةِ عَنِ الْأَعْيُنِ فِي الصَّحْرَاءِ . وَلَا يَكْشِفُ الْعَوْرَةَ
 قَبْلَ الْإِتِّهَاءِ إِلَى مَوْضِعِهِ . وَلَا يَسْتَقْبِلُ النَّيِّرِينَ . وَلَا الْقَبْلَةَ . وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا وَلَا
 يُبُولُ فِي الْمَاءِ الرَّا كِد . وَلَا تَحْتَ الشَّجَرَةِ الْمُثْمَرَةِ .

الضمة فاء والمساكين ورغم المناققين، ويقال إذا كان المؤمن معه العصا هرب الشيطان منه وامتنع المنافق والفاجر عنه وتكون قبلته إذا صلى وقوته إذا اعىا، وفيها منافع كثيرة كما قال موسى (ولى فيها مآرب أخرى) كذا في البستان، وأما ما اشتهر على اللسان من وصل الاربعين ولا يمسك العصا فقد عصى فلا أصل له (ويبعد) بضم اوله ((في قضاء الحاجة)) الانسانية من البول والغائط ((عن الاعين)) أى أعين الناظرين ان وجدوا ((في الصحراء)) كما ورد به السنة وان يستتر بشيء ان وجده من شجر أو حجر ولو استتر براحتة أو ذيله جاز كما في بعض الروايات، وأما في البنيان فالغالب عليه أن يكون مستترا مكان الخلاء ((ولا يكشف العورة قبل الاتيه الى موضعه)) أى عمل جلوس القضاء في الخلاء والقضاء اذ ليس من الأدب كشفها قبل الحاجة اليه ((ولا يستقبل النيرين)) أى الشمس والقمر تهظيا للبلائكة الذين يجرونهما اولانها آيتان عظيمتان وهو لا ينافي قوله عليه السلام «شرقوا أو غربوا» كما لا يخفى على الاعلام ((ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها)) فان فيهما تحقيرا لها سواء يكون في الصحراء أو في البناء، وفي رواية احمد وغيره انه عليه السلام «نهى أن يستقبل القبلتين يبول أو غائط» وفي الصحيحين «إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقا أو غربا» وهذا أمر لأهل المدينة ومن كانت قبلته على ذلك سمت عن هوى جهة الشمال والجنوب فاما من كانت قبلته في جهة الشرق أو الغرب فلا يجوز له أن يشرق ولا يغرب وإنما يجتنب أو يشتمل كذا في النهاية ((ولا يبول في الماء الراكد)) أى الواقف سواء كان مأواه قليلا أو كثيرا، وكذا لا ينبغي أن يبول في الماء الجارى ولعله اقتصر على الاول لورود الحديث فيه بناء على قلة الماء الجارى في الحرمين حيثئذ، ففى صحيح مسلم وغيره عن جابر «أنه عليه السلام نهى أن يبالي في الماء الراكد»، وفي رواية الطبراني في الاوسط بسند ضعيف عنه «أنه نهى أن يبالي في الماء الجارى» وفي الاحياء قال ابن المبارك: ان كان الماء جاريا فلا بأس به، وقد يقال: اذا كان الراكد عشرا في عشر فلا بأس به والاولى لا لعموم النهى على ما لا يخفى ((ولا تحت الشجرة المثمرة)) فروى ابن عدى عن ابن

ولا في الجحر . ولا موضع صلب . ولا مهاب الريح . ولا المغتسل ويتكى
على الرجل اليسرى . ويقدمها داخلا . ويؤخرها خارجا . ولا يبول قائما ، ولا
يستصحب شيئا عليه اسمه تعالى أو اسمه عليه السلام . ولا يدخل حاسر الرأس .

عمر أنه عليه السلام «نهى أن يتخلى الرجل تحت شجرة مشمرة» ونهى أن يتخلى على
ضفة نهر جار أى حافته وهو بكسر أوله وفتح هـ ، وكذا لا ينبغي أن يتخلى تحت شجرة
مظلة يستظل تحتها الناس لأن مدار النهى اذى المسلمين ، ولذا ورد النهى أن يبال في
قبلة المساجد وأبوابها كما رواه أبو داود في مراسيله (ولا في الجحر) بضم
الجيم وسكون المهملة أى ثقب الجدار أو الأرض مخافة أذى الدابة ، فروى أبو داود
والحاكم في مستدركه عن عبد الله بن سرجس أنه عليه السلام «نهى أن يبال في الجحر ،
وقد قالوا افتادة: ما يكره من البول في الجحر قال كان يقال انها مساكن الجن (ولا)
في (موضع صلب ولا مهاب الريح) أى في حال الريح استنواها من رشاشه ، فروى
أبو داود ، والبيهقي عن أبي موسى إذا أراد أحدكم أن يبول فليترد لبوله مكانا ليسا
أى يطلبه وروى أبو يعلى بسنده مرفوعا إذا بال أحدكم فلا يستقبل الريح يبوله
فترده عليه ولا يستجى يمينه (ولا المغتسل) أى ولا يبول في مغتسله لأنه يورث
الوسوسة ويوجب الشبهة ، ولورود النهى في السنة (ويتكى ، على الرجل اليسرى)
أى في جلوسه (ويقدمها داخلا) في الخلاء (ويؤخرها خارجا) عنه إذا كان في بنيان
مراعاة لليمين عكس دخول المسجد وخروجه (ولا يبول قائما) فمن عائشة «من
حدثكم أنه عليه السلام كان يبول قائما فلا تصدقوه» الترمذى وغيره وقال عمر: «ورأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بول قائما فقال يا عمر لا تبول قائما» ابن ماجه باسناد
ضعيف وابن حبان من حديث ابن عمر ، وفيه رخصة أذرى حذيفة «أنه عليه السلام
بال قائما ، وهو اما لعذر أوليان الجواز وكذا لا يبول في المغتسل فانه عليه السلام قال:
« عامة الوسواس منه » أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل وقال ابن المبارك قد وسع
في البول في المغتسل إذا جرى الماء عليه ذكره الترمذى (ولا يستصحب شيئا عليه اسمه
تعالى أو اسمه عليه السلام) والظاهر انه كذلك أسماء سائر الانبياء العظام (ولا يدخل)
أى بيت الخلاء (حاسر الرأس) أى كاشف قفله عليه بمنزرجاء من الله تعالى وملائكته

وَيَتَوَضَّعُ قَبْلَ الدُّخُولِ وَيُحْمَدُ بَعْدَ الْخُرُوجِ وَيُعَدُّ النَّبِيلَ قَبْلَ الْجُلُوسِ وَلَا يَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ فِي مَوْضِعِهِ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ وَيُزِيلُ وَسَخَ الشَّعْرِ وَدُودَهُ بِالْأَدِهَانِ وَالتَّسْرِيجِ ، فُورِدَ « أَدْهَنُوا غَبًّا مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرَةٌ فَلْيَكْرِمْهَا »

فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَفْعَلُهُ لِذَلِكَ (وَيَتَوَضَّعُ قَبْلَ الدُّخُولِ) فَيَقُولُ بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ (وَيُحْمَدُ بَعْدَ الْخُرُوجِ) فَيَقُولُ غُفْرَانُكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي مَا يُؤْذِينِي وَابْقَى عَلَيَّ مَا يَنْفَعُنِي ، رَوَاهُمَا النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ (وَيُعَدُّ النَّبِيلَ) بِضَمِّ النُّونِ وَفَتْحِهَا أَيْ يَهَيِّئُ الْحَجَرَ أَوِ الْمَدْرَ لِلِاسْتِنْجَاءِ (قَبْلَ الْجُلُوسِ) فَهُوَ سَنَةٌ أَوْ لَا يَشَارُ مُسْتَحَبٌّ وَقِيلَ وَاجِبٌ (وَلَا يَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ فِي مَوْضِعِهِ) أَيْ مَحَلِّ الْغَائِطِ وَالْبَوْلِ إِلَّا إِذَا كَانَ مَحْفُورًا بِحَيْثُ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَثَرُهُمَا (فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ) وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَبْرَأَ بِالتَّحَنُّجِ وَالنَّثْرِ ثَلَاثًا أَوْ أَمْرًا أَيْ عَلَى أَسْفَلِ الْقَضِيبِ ثُمَّ يَسْتَنْجِي فَإِذَا وَجَدَ مِنْ بَلٍّ فَيَقْدِرُ أَنَّهُ بَقِيَّةُ الْمَاءِ فَإِنْ كَانَ يُؤْذِيهِ ذَلِكَ فَلْيَرْشِ عَلَيْهِ الْمَاءَ حَتَّى يَقْوَى فِي نَفْسِهِ ذَلِكَ وَلَا يَتَسَلَّطُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ بِالْوَسْوَاسِ ، وَفِي الْخَبَرِ « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَهُ » أَعْنِي رَشَ الْمَاءِ كَذَاتِي الْأَحْيَاءِ وَقَالَ يَخْرُجُهُ : حَدِيثٌ رَشَ الْمَاءَ بَعْدَ الْوُضُوءِ وَهُوَ الْإِتِّصَاحُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ مَاجَةَ وَكَانَ أَخْفَهُمْ اسْتِبْرَاءَ أَفْقَهُهُمْ فَيَدُلُّ الْوَسْوَاسُ فِيهِ عَلَى قِلَّةِ الْفَقْهِ ، وَقَدْ قَدَّمْنَا كَيْفِيَّةَ الْاسْتِنْجَاءِ فِي ابْتِدَاءِ آدَابِ الْوُضُوءِ أَوَّلَ الْكِتَابِ (وَيُزِيلُ وَسَخَ الشَّعْرِ) أَيْ شَعْرَ لَحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ (وَدُودَهُ) أَيْ مِنَ الْقَمَلِ وَنَحْوِهِ (بِالْأَدِهَانِ) بِتَشْدِيدِ الدَّالِ أَيْ اسْتِعْمَالَ الدَّهْنِ لِلطَّبِيبِ وَغَيْرِهِ أَوْ بِالْأَدِهَانِ جَمْعَ دَهْنٍ (وَالتَّسْرِيجِ) فِي شِمَائِلِ التَّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَكْثُرُ دَهْنُ رَأْسِهِ وَتَسْرِيجَ لَحْيَتِهِ ، وَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالتَّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْفَلٍ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « نَهَى عَنِ التَّرَجُّلِ الْأَغْبَا » (فُورِدَ أَدْهَنُوا) بِتَشْدِيدِ الدَّالِ وَبِتَخْفِيفِهَا مَعَ فَتْحِ الْهَاءِ (غَبًّا) أَيْ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ وَقْتُاً دُونَ وَقْتٍ ، وَمِنَهُ حَدِيثُ « زُرْ غَابًا زِدَّ حَبًّا » أَخْرَجَهُ جَمَاعَةٌ وَقِيلَ الْغَبُّ فِي الْأَدِهَانِ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ اسْبُوعٍ مَرَّةً وَالحَدِيثُ ذَكَرَهُ فِي الْأَحْيَاءِ وَقَالَ ابْنُ الصَّلَاحِ لَمْ أَجِدْ لَهُ أَصْلًا ، وَقَالَ النَّوَوِيُّ : غَيْرُ مَعْرُوفٍ ذَكَرَهُ الْعِرَاقِيُّ (مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرَةٌ فَلْيَكْرِمْهَا) كَذَا فِي النُّسخِ تَبَعًا لِلْأَحْيَاءِ وَلَا مَعْنَى لِلْوَحْدَةِ عَلَى مَا لَا يَخْفَى فَصَوَّبَهُ مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيَكْرِمْهُ كَمَا هُوَ رَوَايَةُ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ « وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ نَازِلًا الرَّأْسَ أَشْعَثَ اللَّحْيَةَ فَقَالَ إِنَّمَا كَانَ هَذَا دَهْنٌ يَسْكُنُ بِهَا شَعْرُهُ » ثُمَّ قَالَ يَدْخُلُ أَحَدُكُمْ عَلَى كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ

وَمَا فِي الْأَنْفِ وَالْأُذُنِ لَتَلَايَصُمُ . وَتَحْتَ الْأَظْفَارِ . وَيَدْخُلُ الْحَمَامُ فَهَمُ دَخْلُهُ
وَيَصُونُ عَوْرَتَهُ عَنْ نَظَرٍ

أبو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر وقد سبق أنه عليه السلام كان لا يفارقه المشط في سفر ولا حضر ، وقد بسطت الكلام عليه في رسالة سميتها بالتصريح في التصريح ﴿ وما في الأنف ﴾ أي ما يجتمع من الرطوبات المتعقدة المتلتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار ﴿ والأذن ﴾ أي وما يجتمع من الوسخ في معاطف الأذن والمسح ما يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر صماخي أذنيه فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام ونحوه من الاستحمام ﴿ لتلايصم ﴾ فإن كثرة ذلك ربما تضر بالسمع ، وأما ما يجتمع على الأسنان وأطراف اللسان فيزيله بالخلخال والمضمضة والاستياك وقد ورد « ما لي أراكم تدخلون على قلح استاكوا ، البزار والبيهقي من حديث العباس ، والقلح محرّكة صفرة الأسنان ﴾ ﴿ وتحت الأظفار ﴾ فقي الطبراني عن وابصة بن معبد سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن كل شيء حتى سألت عن الوسخ الذي يكون في الأظفار فقال « دعم ما يريك إلى ما لا يريك » وقد أمر عليه السلام بغسل البراجم والرواجب فروى الحكيم الترمذي في النوادر من حديث عبد الله بن بسر « نقوا براجمكم » ولمسلم من حديث عائشة « عشر من الفطرة ، وفيه غسل البراجم » ، ولاحمد من حديث ابن عباس « أنه قيل يا رسول الله لقد أباطعك جبريل فقال ولم لا يبطي عنى واتم لا تستنون ولا تقلمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم » فالاول معاطف ظهور الأنامل والثاني رؤس الأنامل ، وقيل الآف وسخ الظفر والثف وسخ الأذن ، وقوله تعالى (ولا تنقل لهما آف ولا تنهرهما) أي لا تعبهما بما تحت الظن من الوسخ ولا تأذيهما كما يتأذي بما تحت الظفر من الوسخ ؛ وأما الدرن الذي يجتمع على جميع البدن من الوسخ والعرق وغبار الطريق فذلك يزال بالحمام أو بالاستحمام ﴿ ويدخل الحمام ﴾ أي ويجوز دخوله ﴿ فهم ﴾ أي السلب من الصحابة والتابعين ﴿ دخوله ﴾ أي دخلوا حمامات الشام ، فمن ابن عباس « اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر » الطبراني والبيهقي والحاكم وقال بعضهم « نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار » روى ذلك عن أبي الدرداء وأبي أيوب الأنصاري وقال بعضهم « بش البيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء » فهذا بيان آفته وما سبق اظهار فائدته فلا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته كما بينه بقوله ﴿ ويصون عورته ﴾ وهي ما بين سرته وركبته ﴿ عن نظر

الْغَيْرَ وَنَظَرَهُ عَنْ عَوْرَةِ الْغَيْرِ. وَلَا يَكْشِفُهَا وَيَتَوَى التَّنْظِيفَ لِلصَّلَاةِ. وَيُعْطَى
 الْأَجْرَةَ قَبْلَهُ إِسْرَارًا لِلْحِمَايِ. وَإِعْلَامًا بِالْعَوِضِ، وَيَتَعَوَّذُ وَلَا يَسْلُمُ وَيَدْعُو بِالْمُعَاْفَةِ
 لِمَنْ سَلَّمَ. وَلَا بَأْسَ بِالْبُدَاةِ بِهِ وَلَا بِالْمَصَاحِفِ. وَلَا يَكْثُرُ التَّكْلُمُ. وَلَا يَقْرَأَ
 الْقُرْآنَ إِلَّا فِي النَّفْسِ،

الغیر ونظره عن عورة الغیر ولا يكشفها أي ولو لم يكن هناك غيره الا لضرورة
 غسلها بالتصاق جدرانه في خلوة من خلواته، ومن جملة الكشف رقة الازار لاسيما
 عند بلته وتلصقه بجلده وهذا أقبح في الأمرد ونحوه وكذا يصونها عن مس الغیر
 ولا يتعاطى أمرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة
 الى العانة، ثم من الواجب أن ينهى عن كشف العورة لأن النهي عن المنكر واجب
 ولا يسقط عنه وجوبه الا لخوف ضرب أو شتم وأما قوله اعلم أن ذلك لا يفيد ولا
 يعمل به فليس بعذر اذ لا يخلو قلب عن التأثير بسماع الانكار ويفتح الأمر الا لاهل
 الجهل وعديم العقل وفاقد الحياء وقليل المبالاة بالعلماء والصلحاء، ولمثل هذا صار الحزم
 ترك دخول الحمام في هذه الأيام أو تخلية عن الانام اذ لا يخلو من عورة مكشوفة
 لاسيما ماتحت السرة الى مافوق العانة لاختلاف العلماء في كونها عورة بل الفخذ
 ونحوها كذلك وقد الحقهما الشارع بالعورة وجعلهما كالحریم لها، ورؤى ابن عمر
 في الحمام ووجهه في الخائط وقد عصب عينه بعصا به (وينوى) بدخول الحمام (التنظيف
 للصلاة) لالعاجل الدين من اللذات (ويعطى الأجرة قبله) أي قبل دخوله (اسراراً
 للحمای) بعدم انتظاره وتطيبها لنفسه (واعلاماً بالعوض) لرفع الجهالة من أحد
 العوضين فان ما يستوفيه مجهول وقد ورد « اذا استأجر أحدكم أجيراً فليعلمه أجره »
 الدار قطنی فی الافراد عن ابن مسعود (ويتعوذ) أي يقول بسم الله أعوذ بالله من الرجس
 النجس الخبيث الخبيث الشيطان الرجيم ويقدم رجله اليسرى عند دخوله ويتعوذ بالله
 من شر حر النار بعد دخوله (ولا يسلم) أي على احد عند الدخول وان سلم عليه لم
 يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره (ويدعو بالمعافاة) أي يقول عافاك الله
 (لمن سلم) أي عليه ولم يجب عنه غيره (ولا بأس بالبداة به) أي يقول عافاك الله
 ونحوه (ولا بالمصاحفة) أي بان يصافح الداخل أحد أصحابه (ولا يكثر التكلم)
 بل لا يبدأ بالكلام كيلا يكثر الكلام في الحمام (ولا يقرأ القرآن الا في النفس) أي

وَلَا بَأْسَ بِإِظْهَارِ التَّعَوُّذِ . وَيَجْتَنِبُهُ وَقْتُ الْغُرُوبِ وَبَيْنَ الْعِشَاءِ فَهُوَ
وَقْتُ انْتِشَارِ الشَّيَاطِينِ : وَعَلَى الرِّيقِ فَهُوَ يُورِثُ الْمَوْتَ . وَلَا يُسْرِفُ فِي الْمَاءِ .
وَلَا بَأْسَ بِالذَّلَكِ فَهُوَ مَرُوءٌ وَيَذْكُرُ ظِلَّةَ اللَّحْدِ . وَحَرَارَةَ جَهَنَّمَ . وَيُحَمَّدُ بَعْدَ
الْخُرُوجِ قَالِمًا الْحَارَّ فِي الشِّتَاءِ مِنْ نَعِيمٍ يَسْأَلُ عَنْهُ وَلَا تَدْخُلُهُ الْمَرَأَةُ ، فَوَرَدَ « لَا يَحِلُّ
لِلرَّجُلِ أَنْ يَدْخُلَ حَلِيلَتَهُ الْحَمَامَ » وَيَحَاقُ الرَّأْسَ إِنْ أَرَادَ التَّنْظِيفَ

سرا (ولا بأس بإظهار التعوذ) أى من الشيطان الرجيم ومن الحميم في دار الجحيم
(ويجتنبه) أى دخول الحمام (وقت الغروب) أى قريب المغرب (وبين
العشاءين فهو وقت انتشار الشياطين) خصوصا في الحمام ونحوه (وعلى الريق فهو
يورث الموت) أى سريعا فمن الشافعي عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر
الأكل بعد أن يخرج منه كيف لا يموت انتهى، ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى
يعرق أولا (ولا يسرف في الماء) أى لا يكثر صب الماء عليه بل يقتصر على قدر
الحاجة اليه فإنه المأذون فيه بقرينة الحال فالزيادة على العادة لوعله الحمامي لم يرض به
لا سيما الماء الحار فله مؤنة وزيادة مشقة (ولا بأس بذلك) أى من غيره (فهو
مروى) أى عن بعض الصحابة «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل منزلا في
بعض أسفاره فقام على بطنه وعبدأ سود يغمز ظهره فقلت : ما هذا يا رسول الله؟ فقال
ان الناقة تقحمت بي» رواه الطبراني في الأوسط عن عمر بسند ضعيف (ويذكر
ظلمة اللحد) في مكان ظلمته (وحرارة جهنم) عند حرارته (ويحمد بعد الخروج
قالما الحار في الشتاء من نعيم يسأل عنه) يوم القيامة كالما البارد في الصيف، وقال
ابن عمر : الحمام من النعيم الذي أحدثوه (ولا تدخله المرأة) أى النساء (فورد
لا يحل للرجل أن يدخل حليلته) أى زوجته أو أمته (الحمام) روى الترمذى وحسنه
والنسائي والحاكم وصححه من حديث جابر «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا
يدخل الحمام الا بمنزور ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام»
وللحاكم من حديث عائشة «الحمام حرام على نساء أمتي» وقال صحيح اسناده، ولأبي
داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر «فلا يدخلنها الرجال الا بالازر وامنعوها
النساء الا مريضة او نفساء» (ويحاق الرأس) أى شعره (ان أراد التنظيف) أى

وَالْإِحْتِيَاظُ فِي الْغُسْلِ وَلَا يُرْسَلُ بِحَيْثُ يُشَبَّهُ بِالشَّرِيفِ وَيَقْصُ الشَّارِبُ ؛
فَوَرَدَ « قُصُوا الشَّوَارِبَ » وَلَا بَأْسَ بِإِبْقَاءِ السَّبَالِ ،

زيادته ((والاحتياط في الغسل)) كما اختاره على كرم الله وجهه حيث كان كثير
الإغتسال وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول تحت كل شعرة جنابة ، ولذا قال
ومن ثم عادت رأسي فان بقاء الشعر على الرأس أنفع للدماغ وادفع للبرد والحر
ولذا اختاره عليه السلام وسائر أصحابه الكرام فما حلقوا الا بعد الفراغ من أحد
النسكين وحيث قرر عليه السلام فعل على صار سنة مع أنه قال عليه السلام : عليكم
بستى وسنة الخلفاء الراشدين ، فيستحب تركه لمن يكرمه بدهنه وترجله الا اذا ترك
بعضه وحلق بعضه وجعله قزعا أى قطعاً فهو دأب أهل الشطارة ومنهى عنه للصغار
والكبار ، ولا عبرة بقول من يقول : ان حلقه يورث الصداع فانه نوع من الجباع
وتسويل للشيطان فى مقام الخداع ((ولا يرسل)) أى شعر الذوائب ((بحيث يشبه
بالشريف)) فانه نوع من التلبس والتزييف ((ويقص الشارب)) أى فى كل جمعة
((فورد قصوا الشوارب)) وهذا لفظ احمد من حديث أبى هريرة ، ولمسلم من حديث
أبى هريرة « جزوا ، أى اقطعوا ، وفى الصحيحين من حديث ابن عمر بلفظ « احفوا
الشوارب واعفوا اللحى » فلاحفاء يشعر بالاستقصاء ومنه قوله تعالى : (فيحفكم بخلوا) أى
يستقصى عليكم ، وفى رواية « حفوا » أى اجعلوها حفاف الشفة وحولها ومنه قوله
تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش) وأما الحلق فلم يرد والاحفاء قريب من
الحلق وقد نقل عن الصحابة ، ونظر بعض التابعين رجلاً احفى شاربه فقال ذكرتنى
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه إيماء الى أن مختار التابعين عدم الاستقصاء
ويؤيده رواية الطبرانى عن الحكم بن عمير « مرفوعاً قصوا الشارب مع الشفاء » وأما
قوله عليه السلام « اعفوا اللحى » أى كثروها ولا تقصوها ، وفى الخبر « أن اليهود يعفون
شواربهم ويقصون لحاهم يخالفوهم ، وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة)) ولا بأس
بإبقاء السبال)) أى اطراف الشارب فعل ذلك عمر وغيره كما فى الاحياء ولأن ذلك
لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام لعدم وصوله اليه لكن يشكل هذا بظاهر ما رواه
احمد من حديث أبى امامة قلنا يا رسول الله « أن أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون
سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب ، وفى صحيح ابن

وَلَا يُؤَخَّرُ حَلَقُ الْعَانَةِ وَتَفُّ الْإِبْطِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَهُوَ الْمَأْثُورُ .
وَيُزِيلُ الْعَانَةَ بِالطَّلَاءِ إِنْ اعْتَادَ لِحْصُولِ الْمَقْصُودِ . وَالتَّحَامِي عَنْ الْإِيْلَامِ .
وَيَبْتَدِي بِتَقْدِيمِ مَسْبِحَةِ الْيَمْنَى . أَوْ خِصْرِ الْيَسْرَى . وَخِصْرِ الرَّجْلَيْنِ :
وَالْمَسْبِحَةِ فِيهِمَا وَيَخْتِمُ بِالْأَبْهَامِ فِي الْكُلِّ فَهُوَ الْمَرْوِيُّ .

حبان من حديث ابن عمر في المجوس ، أنهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم خالفوهم ، اللهم
ألا أن يراد بالسبال الشوارب مجازا بقرينة مقابلته بالعنانين وهي جمع العنثون بمعنى اللحية
وورد «أحفوا الشوارب واعفوا اللحي واتفوا الشعر الذي في الأناف» ابن عدي واليهيقي
عن عمرو بن شعيب ، والقص يقوم مقام التف في الأتف ﴿ ولا يؤخر حلق العانة
وتف الإبط ﴾ وتقليم الظفر ﴿ أكثر من أربعين يوما فهو المأثور ﴾ أي المذكور في صحيح
مسلم من حديث أنس أنه عليه السلام «وقت لنا في قلم الأظفار وتف الإبط وحلق
العانة أربعين يوما» وورد «قص الظفر وتف الإبط وحلق العانة يوم الخميس والغسل
والطيب واللباس يوم الجمعة» الدليل على علي ، ويحلق الإبط أن لم يقدر على التف
باعتباره ثلثا يجتمع الوسخ في خلاله والمقصود النظافة في جميع حاله ﴿ ويزيل العانة ﴾
أي شعرها ﴿ بالطلاء ﴾ أي التورية ﴿ أن اعتاد لحصول المقصود ﴾ وهو فقد الأذى
الموجود ﴿ والتحامى عن الإيلام ﴾ أي مع تحصيل المرام ﴿ ويبتدىء بتقديم مسبحة
اليمنى أو خنصر اليسرى وخنصر الرجلين ولا مسبحة فيهما ﴾ أي في الرجلين
﴿ ويختتم بالأبهام في الكل ﴾ أي في جميع اليدين والرجلين ﴿ فهو المرئى ﴾ قال العراقي :
لم أجده أصلا وقد أنكره أبو عبد الله المازني في الرد على الغزالي وشنع عليه به
قلت : لا وجه للتشنيع عليه حيث قال : ولم أر في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم
الأظفار ولكن سمعت أنه روى عنه عليه السلام « أنه بدأ بمسبحة اليمنى وختم بأبهام
اليمنى وابتدأ في اليسرى بالخنصر إلى الأبهام ، ثم وجه هذا الترتيب بما وقع له من
الإلهام لما بسط عليه الكلام هذا وفي حديث جابر «قصوا أظافركم فإن الشيطان يجري
من أمين اللحم والظفر» الخطيب في الجامع بسند ضعيف لكن روى أحمد ومسلم والأربعة
عن عائشة وعشر من الفطرة . أي سنة الأنبياء التي أمرنا أن نفتدى بهم فيها قص الشارب
واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم وتف الإبط

وَيَكْتَحِلُ بِالْأُتْمَدِ ثَلَاثًا فِي كُلِّ عَيْنٍ فَهُوَ مَرُوءِيٌّ ، وَرُوءِيٌّ ثَنَانٌ فِي الْيُسْرَى
كَأَنَّ وَرَدَ ، وَوَرَدَ « عَلَيْكُمْ بِالْأُتْمَدِ عِنْدَ مَضْجَعِكُمْ فَإِنَّهُ يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ وَيَنْبِتُ
الشَّعْرَ » وَلَا يَكْثُرُ التَّرِينُ . وَالْأَكْتَحَالُ وَالْإِدْهَانُ . وَيَقْطَعُ اللَّحْيَةَ الطَّوِيلَةَ
فَالْمُفْرَطُ يَرَى سَمَجًا . وَيَفْتَحُ بَابَ الْغَيْبَةِ . وَيَبْقَى قَدْرُ الْقَبْضَةِ فَوْقَ الْوَسْطِ

وحلق العانة واتفاض الماء قال وليف يعني الاستنجاء به، قال مصعب ونسبت العاشرة
الآن تكون المضمضة، وذكر عمار بن ياسر الاختتان في العاشرة ﴿ ويكتحل بالأتمد ﴾
أي في كل ليلة ﴿ ثلاثا ﴾ أي ثلاث مرات متوالية ﴿ في كل عين ﴾ وابتدى باليمنى
﴿ فهو مروءي ﴾ أي في الثمائل وغيره من حديث ابن عباس وحسنه الترمذي ﴿ وروى ﴾
أي من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف الطبراني ﴿ ثننان في اليسرى ﴾ أي وثلاث في اليمنى
فلا يثار باعتبار العينين جميعا لا باعتبار كل واحدة منهما كما في الأول فأمل فإنه الأولى
قياسا على غسل اليدين ثلاثا ثلاثا ثم الابتداء باليمنى لشرفها وكذا الزيادة لها في رواية
لتعظيمها فهي أحق بها « وإن الله تعالى وتر يحب الوتر » * ﴿ لما ورد وورد عليكم
بالأتمد ﴾ وهو حجر يكتحل به أي الزمونه ولا تتركوه ﴿ عند مضجعكم ﴾ أي مرقدكم
بالليل ﴿ فإنه مما يزيد في البصر ﴾ أي في قوته ﴿ وينبت الشعر ﴾ أي شعر الاجفان
في طرف العين والحديث رواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس بلفظ « عليكم بالأتمد
فإنه يحلو البصر وينبت الشعر » وفي رواية ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر « عليكم
بالأتمد عند النوم » الحديث، وفي رواية الطبراني وغيره عن علي « عليكم بالأتمد فإنها
منبئة للشعر مذهبة للقدى مصفاة للبصر »، وفي رواية أحمد « اكتحلوا بالأتمد المروح »
أي المطيب بالمسك ﴿ ولا يكثر الترین ﴾ بالتسريح ونحوه * ﴿ والاكتحال والادهان ﴾ *
فإنه دأب المترفين، وقد نهى عليه السلام عن الترجل الاغبا * ﴿ ويقطع اللحية الطويلة ﴾ *
أي زيادة على القبضة فإنه مستحب وقيل واجب ﴿ فالمفرط ﴾ منها في الطول أو العرض
* ﴿ يرى ﴾ * بصيغة المجهول أي يظهر * ﴿ سمجا ﴾ * يفتح فكسر فحيم أي قبيحا فإنه يشوه
الحلقه ﴿ ويفتح باب الغيبة ﴾ أي في الحضور والغيبة فلا بأس بالاحتراس عنه على هذه
النية * ﴿ ويبقى قدر القبضة ﴾ * فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي
وابن سيرين * ﴿ فهو الوسط ﴾ * أي المتوسط المعتدل المحمود في كل شيء قال النخعي

المُسْنُونُ ، وَقِيلَ يَبْقَى بِحَالِهِ ، فَوَرَدَ « اَعْفُوا اللَّهِي » وَلَا يَجُوزُ تَصْفِيرُهَا
وَتَحْمِيرُهَا لِاخْفَاءِ الشَّيْبِ الْاِثْنِ فِي الْغَزْوِ ، فَوَرَدَ « هُمَا خَضَابُ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ »
وَيُكْرَهُ تَسْوِيدُهَا ، فَوَرَدَ « هُوَ خَضَابُ أَهْلِ النَّارِ »

عجبت لرجل عاقل طويل اللحية لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيته وقد قيل ما طالت
اللحية الا وقد نقص العقل * (المسنون) * فانه عليه السلام « كان يأخذ من لحيته طولا
وعرضا » كإرواه الترمذي عن ابن عمرو (وقيل تبقى بحالها فورد اعفوا الله) *
أى اتركوها وابقوها على حالها واختاره الحسن وقادة وقالوا: تركها عافية أحب
للحديث المتقدم (ولا يجوز تصفيرها وتحميرها) * بالحناء وغيرها (لاخفاء الشيب) *
أى يتوهم ان فيه العيب وهونور ووقار وسرور (الا في الغزو) * فان مبناء على مكر
وغرور ومنه حديث « الحرب خدعة » (فورد هما خضاب المسلمين والمؤمنين) * لا فرق
بين المسلم والمؤمن في عرف الشرع وانما هو التفتن في العبارة كما وقع اليه الاشارة
في قوله تعالى : ﴿ فاخرجنا من كان فيهما من المؤمنين فاما وجدنا فيها غيريت من المسلمين ﴾
وأما في أصل اللغة ففرق بينهما حيث ان الاسلام انقياد الظاهر والايمان انقياد
الباطن كما يدل عليه قوله تعالى (قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هذا كم
للإيمان) * ويقويه حديث جبريل « ان الاسلام هو ان تشهدان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وتقيم الصلاة » والخ والايمان ان تؤمن بالله وملائكته ورسوله النخ، ولما كان
الانقياد الظاهر لا ينفع بدون الانقياد الباطن كالمناقب ولا الانقياد الباطن بدون
الانقياد الظاهر كما في أبى طالب ونحوه فالمراد بالمؤمن والمسلم واحد وهو الجامع بين
الانقيادين في استحكام الاعتقادين ، وعبارة المتن يحتمل ان يكون المراد بها ان كل
واحد من الحرمة والصفرة خضاب أهل الاسلام والايمان وان يكون لهما ونشر امرتبا
فيوافق ما ذكره في الاحياء من قوله عليه السلام « الصفرة خضاب المسلمين والحرمة
خضاب المؤمنين » بناء على الفرق بينهما لغة ، أو اشعار بان نعت الايمان أكمل فالحرمة
افضل فانهم كانوا يخبضون بالحناء للحرمة وبالخلوق والسكتم للصفرة وحديث الاحياء
رواه الطبراني والحاكم بلفظ الافراد من حديث ابن عمر ، ثم هما جائزان تليسا للشيب
على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل لتشبه باهل الدين فهو مذموم
(ويكره تسويدا فورد هو خضاب أهل النار) كذا في الاحياء قال وفي لفظ « خضاب

وَتَبْيِضُهَا بِالْكِبْرِيتِ إِظْهَارًا لِلْكِبَرِ تَرْفَعًا وَتَفْهًا عَبَثًا وَتَشَبَهُ بِالْمُرْدِ فَهُوَ مُنْكَرٌ وَتَزِينُهَا لِلنَّاسِ بِالتَّدْوِيرِ وَالتَّسْرِيحِ وَالزِّيَادَةِ فِي الْعَارِضِينَ بِإِرْسَالِ الصَّدْعِ الْمُتَجَاوِزَةِ عَنْ عَظْمِهَا ، وَلَا يَأْكُلُ الْجَنْبَ وَلَا يَنَامُ دُونَ الْوُضُوءِ .

الكفار قال مخرجه رواه الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قيل وأول من خضب بالسواد فرعون ذى الاوتاد وورد « من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة الطبراني عن أبي الدرداء (وتبييضها بالكبريت) أى ويكره أيضا (اظهار الكبر) أى لكبر السن (ترفعا) على الشباب من اقرانه وتوصلا الى التوقير عند اخوانه واستعجالا لقبول الشهادة بعلو شأنه وتصديق الرواية عن مشايخ الدراية ظنا منه بان كثرة الايام تقطعه فضلا بين الأنام ولم يعرف أن الفضل بقلّة الآثام وأمثال ذلك من الأغراض الفاسدة والأعراض السكاسدة كما ينتها في التصريح بشرح التسريح (وتنفها عبثا) أى بلا منفعة (وتشبهها بالمرء فهو منكر) أى بدعة مستقبحة فان اللحية زينة الرجال كما ان شعر الرأس زينة النساء في جميع الأحوال أو استنكافا من الشبهة فقد نهى عليه السلام عن تنف الشيب وقال « هو نور المؤمن » رواه أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (وتزيينها للناس بالتدوير) وهو تقصيصها كالنعية طاقة على طاقة للتزوير (والتسريح) أى بالتكثير وقد قال بشر: في اللحية شر كان تسريحها للناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد (والزيادة) أى وبزيادة الشعر (في العارضين) أى الخدين (بإرسال الصدغ) بضم فسكون ما بين العين والاذن والشعر المتدلى عليه وهو من شعر الرأس (المتجاوزة عن عظمها) أى عظم اللحي المنتهية الى نصف الخد وذلك يبان هيئة أهل الصلاح وكثيرا ما يفعله بعض الاجام (ولا يأكل الجنب) أى لا ينبغي أن يأكل وهو جنب فاذا أراد أن يأكل فيغسل فيه أولا وكذا اذا أراد أن يشرب (ولا ينام) أى الجنب (دون الوضوء) أى أو ما يقوم مقامه من التيمم فمن عمر « قلت للنبي ﷺ أنام أحدنا وهو جنب قال نعم اذا تروضا » متفق عليه وهذا هو الاولى والا فلا بأس به وقد كان عليه السلام « ينام وهو جنب ولا يمس ماء » كما رواه أحمد وغيره عن عائشة ، وكان ذلك لبيان الجواز ورحمة على ضعفاء الأمة

وَلَا يَنْقُصُ مِنَ الْبَدَنِ شَعْرًا وَلَا ظْفُرًا وَلَا دَمًا، فَأَجْزَاءُ الْبَدَنِ تُعَادُ فِي
الْآخِرَةِ . وَالْمَزَالُ جَنْبًا يَكُونُ كَذَلِكَ، وَيَكُنُّ الْمَسْجِدَ وَيُنُورُهُ وَيُفْرِشُهُ
فَقِيهَا فَضَائِلُ، وَلَا يَزُخِرُهُ وَلَا يَنْقُشُهُ وَلَا يَصُورُهُ فَهُوَ مِنَ الْبِدْعِ . وَيَتَعَدَّى
النَّعْلَ . وَيَمَسُّ مَابَهُ مِنْ أَدَى . وَيَقْدُمُ الرَّجُلُ الْيَمْنَى دَاخِلًا فِيهِ

﴿ ولا ينقص من البدن ﴾ أى لا يقطع الجنب ﴿ شعرا ولا ظفرا ولا دما ﴾ مادام جنباً ﴿ فأجزاء البدن ﴾ أى جميعها ﴿ تعاد في الآخرة ﴾ أى كما كانت في الدنيا قال تعالى ﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ وقال عز وجل ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾ أى حفاة عراة غرلاً ﴿ والمزال جنباً يكون كذلك ﴾ وهو نقصان في المرتبة هنالك وإن كانت تزول عن المؤمنين ما لا يحتاج إليها إذا اغتسلوا على حيض وأنهار في باب الجنة قبل الدخول عليها ، وقد ورد أنه عليه السلام « كان يأمر بدفن الشعر والظفار » الطبراني عن وائل بن حجر ، وفي رواية الحسكيم عن عائشة « كان يأمر بدفن سبعة أشياء من الإنسان الشعر والظفر والدم والحيضة والسن والعلقة المشيمة » ﴿ ويكنس المسجد ﴾ أى ينظفه من القمامة فإنه أفضل أنواع الاماطة وقد قال تعالى : ﴿ وطهر بيتي ﴾ وورد « ابنوا المساجد وأخرجوا القمامة منها » بنى الله بيتاً بنى الله له بيتاً في الجنة ، وأخرج القمامة منها مهوور الحور العين رواه الطبراني وغيره ﴿ وينوره ﴾ بالسرج ونحوها فقد قال أنس بن مالك : « من أسرج في مسجد سراجاً لم تزل الملائكة وحملته العرش يستغفرون له مادام في ذلك المسجد ضوءه ، رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده وغيره به مرفوعاً وسنده ضعيف ، والحديث الضعيف يفعل به في فضائل الأعمال ﴾ ﴿ ويفرشه ﴾ بالحصر وأمثالها ﴿ فقيها ﴾ أى في الثلاثة ﴿ فضائل ﴾ فإنها كلها من عمارة المسجد وقد قال تعالى : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله ﴾ ﴿ ولا يزخرفه ﴾ أى لا يبالغ في زينته ﴿ ولا ينقشه ﴾ بحيث يشغل المصلى في إحدى هيئته ﴿ ولا يصوره ﴾ أى جدراناً وسقفه فضلاً عن قبلته ﴿ فهو ﴾ أى مجموع ما ذكر ﴿ من البدع ﴾ أى المستبعدة ﴿ ويتعدى النعل ﴾ أى يتفقدوها ويتفحصها عند بابها رعاية لجنبها ﴿ ويمسح ماباه من أذى ﴾ على أطرافه ﴿ ويقدم الرجل اليمنى داخلاً فيه ﴾ ويقول بسم الله أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ويسلم على النبي ﷺ ويقول

وَالْيُسْرَى خَارِجًا مِنْهُ ، وَيَجْهَرُ بِالِدُعَاءِ عَلَى مَنْ يَتَجَرَّفُ فِيهِ أَوْ يَنْشُدُ ضَلَاةً
وَيَنْظِفُهُ عَنِ النُّخَامَةِ وَالْبِزَاقِ ، وَلَا يَتَّخِذُهُ بَيْتًا وَلَا مَعْبَرًا فَالْكُلُّ مَرْوِيٌّ . وَلَمَّا
غَلَبَهُ النَّعَاسُ فِيهِ يَتَحَوَّلُ عَنْ مَوْضِعِهِ . وَيَضْرِبُ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ جَانِبَ رَأْسِهِ
الْأَيْمَنِ ثَلَاثًا ثُمَّ يَجْلِسُ وَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ فِي الْجُلُوسِ فَهُوَ عِبَادَةٌ .

اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك رواه أبو داود وغيره ﴿ واليسرى خارجا
منه ﴾ ويتعوذ ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك رواه الترمذي
 وغيره ، ولا يجلس حتى يصلي ركعتين كما في الصحيحين ونجية المسجد الحرام هي
 الطواف ان قدر عليه والا فالصلاة ان لم يكن وقت مكروه والا فيقول: سبحان
 الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر عملا بقوله عليه السلام: « اذا مررتهم برياض
 الجنة فارتعوا » ﴿ ويجهر بالدعاء على من يتجر فيه أو ينشد ضالة ﴾ أى يطلبها برفع
 صوت فورد « اذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك واذا
 رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا ردنا الله عليك » رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة
 مرفوعا ﴿ وينظفه ﴾ أى جدرانه عن النخامة أى ماء الأنف ﴿ والبزاق ﴾ أى ماء الفم
 ففي الخبر « البزاق في المسجد سيئة ودفعه حسنة ، أحمد والطبراني ، وفي الصحيحين « البزاق
 في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها » ﴿ ولا يتخذها بيتا ﴾ أى مسكنا الا اذا كان غريبا
 ولم يجد مكانا قريبا ﴿ ولا معبرا ﴾ أى طريقا وعمرا الا لضرورة داعية اليه أو حاجة
 باعثة عليه فينبغي أن ينوي الاعتكاف ولو ساعة لديه ﴿ فالكل مروي ﴾ ففي الطبراني عن
 ابن عمر لا تتخذوا المساجد طرقا الا لذكر أو صلاة ﴿ وان غلبه النعاس فيه يتحول
 عن موضعه ﴾ ليطير أثر نومه ، وفي الخبر « اذا نعس احدكم وهو في المسجد فليتحول من
 مجلسه ذلك الى غيره » أبو داود والترمذي عن ابن عمر هـ ﴿ ويضرب باطراف أصابعه
 جانب رأسه الايمن ثلاثا ثم يجلس هـ في موضع آخره ﴾ ويستقبل القبلة في الجلوس فهو
 عبادة هـ أى في خد ذاته فضلا عن أن يكون في حدود المسجد وجهاته وقد ورد أكرم
 المجالس ما استقبل به القبلة أخرجه أبو يعلى . وابن عدى . والطبراني في الأوسط وأورده
 الحاكم وقال انه صحيح وقال ابن حبان : انه خبر موضوع وقد كانت أحواله عليه السلام
 في مواعظ الناس أن يخطب لهم وهو مستدبر القبلة قلت : وفيه أنه لمصلحة سماع الناس

وَفِيهِ قُوَّةُ الْبَصَرِ ، وَيَجْلِسُ مَوْضِعًا أَقْرَبَ إِلَى التَّوَاضُّعِ لَابَيْنِ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ
فَهُوَ مَقْعَدُ الشَّيْطَانِ . وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَلَا يَقِيمُ أَحَدًا . وَإِنْ قَامَ لَا يَجْلِسُ
ثُمَّةً . وَيَجْلِسُ حَيْثُ أَصَابَ وَخَلْفَ الصَّفِّ إِنْ لَمْ يَجِدْ مَكَانًا فِيهِ وَلَا يَعُودُ

ولم يعكس إثارا للكثير فهو أيضا دليل على مدعانا (وفيه) أى فى الاستقبال (قوة
البصر) لأن وقوع القبلة بمنزلة الكعبة فى الظل (ويجلس موضعا أقرب الى التواضع)
أى وأبعد عن أهل الترفع (لابن الظل والشمس فهو مقعد الشيطان) أى يحبه
ويهمجه أن يقع من الانسان ، وفى مستدرك الحاكم عن أبى هريرة . وابن ماجه عن
بريدة أنه عليه السلام « نهى أن يقعد الرجل بين الظل والشمس » وفى رواية أحمد نهى
أن يجلس بين الضح والظل وقال يجلس الشيطان (ولا يفرق) بالجلوس (بين اثنين)
أى مخصوصين كابن واخوين وصاحبين فقد ورد انه عليه السلام نهى أن يجلس
الرجل بين الرجلين الا باذنهما رواه البيهقى عن ابن عمر (ولا يقيم أحدا) عن موضع
جلوسه فيجلس هو فيه ، فى البخارى عن ابن عمر أنه عليه السلام « نهى أن يقام الرجل
من مقعده ويجلس فيه آخر » (وان قام) أحد بنفسه جاء منه أو تأدبا معه (لا يجلس
ثمة) اما تواضعا أو عملا بظاهر النهى (ويجلس حيث أصاب) أى صادف محلا فارغا
فى الصف فهذا كان دأبه عليه السلام فى المجالس كما فى الثمائل ، وروى البغوى والبيهقى
والطبرانى عن شعبة بن عثمان مرفوعا « اذا انتهى أحدكم الى المجلس فان وسع له
فليجلس والا فلي نظر الى أوسع مكان يراه فليجلس فيه » * (وخلف الصف) أى
ويجلس (ان لم يجد مكانا فيه ولا يعود) كأنه أخذ من حديث صحابى اقتدى به
عليه السلام قبل أن يصل الى الصف فقال له عليه السلام : زادك الله حرصا ولا تعد
فروى من العود أى لا ترجع الى مثل ذلك الفعل فانه مكروه بل امش حتى تصل
الى الصف الذى يسلك فصل ، وروى من الاعادة أى ولا تعد صلاتك فانها صحيحة
حيث وقعت فى المسجد فان شرط صحة الاقتداء أن يكون مقام الامام والمقتدى
بقعة واحدة وقال الامام أحمد بطلان صلاة المنفرد خلف الصف اذا اقتدى بالامام .
وأما ما رواه الطبرانى عن وابصة « أيها المصلى وحده ألا وصلت الى الصف
فدخلت معهم أو جررت اليك رجلا ان ضاق بك المكان فقام معك أعد صلاتك
فانه لا صلاة لك » فمحمول على نفي السكال عند الجمهور وعلى نفي الصحة عند الامام احمد

وَلَا يَتَجَاوَزُ مِنْ سَبْقٍ وَيَحْيٍ مَنْ يَقْرَبُهُ وَلَا يَمْدُ الرَّجُلُ وَكَانَ أَكْثَرُ جُلُوسِهِ عَلَيْهِ
السَّلَامُ أَنْ يَنْصَبَ السَّاقَيْنِ . وَيَجْعَلُ الْيَدَيْنِ عَلَيْهِمَا وَيُلَازِمُ الْوَقَارَ .
وَالْتَوَاضِعَ . وَيَجْتَنِبُ الْجُلُوسَ عَلَى الْقَدَمَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَإِكْثَارَ النَّظَرِ إِلَى الْكَاهِلِ .
وَالْعَقَبِ . وَالْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْجَوَانِبِ . وَاللَّعِبِ مَعَ اللَّحْيَةِ . وَالْأَصَابِعِ . وَتَخْلِيلِ
الْأَسْنَانِ . وَإِدْخَالَ الْأَصْبُعِ فِي الْأَنْفِ وَإِخْرَاجِ الْبَزَاقِ وَالنُّخَامَةِ

وفي بعض الحواشي أى ولا يعود الى بيته حينئذ فهو تكبر لكن لا يخفى بعده (ولا يتجاوز من سبق) أى لا يتخطى رقاب الناس فقد ورد فيه وعيد شديد وهو أن يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه الناس الا اذا وجد فرجة فانه حينئذ يجوز له أن يتخطى ويصلى فيها فان التقصير من غيره فيستحق التقدم عليه (ويحى) أى ويخص بالسلام والتحية (من يقربه) أى فى ذلك المقام، وفى نسخة يقربه بصيغة المصدر (ولا يمد الرجل) أى قدام صاحبه فانه ترك الأدب (وكان أكثر جلوسه عليه السلام أن ينصب الساقين ويجعل اليدين عليهما) ويسمى هيئة الاحتباء وكان عليه السلام يترجم أحيانا ويقعد جلسة التشهد كثيرا وقد يرفع رجله اليمنى بدون اليسرى (ويلازم) أى فى قعوده (الوقار) أى السكينة والرزانة (والتواضع أى مع أهل المسكنة) (ويجتنب الجلوس على القدمين والركبتين) فى هيئة الاقواء وتسمى جلسة الكلب لكن نهي عنه مقيد بالصلاة، فروى الحاكم فى مستدركه والبيهقى عن سمرة أنه عليه السلام «نهى عن الاقواء فى الصلاة، وفى النهاية هو أن يلقى الرجل أليته بالأرض وينصب ساقيه وفخذه ويضع يديه على الأرض» (واكثر النظر) أى يجتنب تكثير نظره (الى الكاهل) بكسر الهاء وهو ما بين الكتفين (والعقب) أى الى ورائه (والإلتفات) أى واكثره أو يجتنبه (الى الجوانب) فانه يعد من المعائب (واللعب مع اللحية والأصابع) فانه من اللغو وضد حال أرباب الخشوع وأصحاب الخضوع، وقد رأى عليه السلام رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال: لو خشع قلبه لحشمت جوارحه (وتخليل الأسنان وإدخال الأصبع فى الأنف) وهذا كله مكروه فى الجوامع والمحافل لأرباب الفضائل والفرائض (واخراج البزاق) من الفم (والنخامة) من

وَالْتَّائِبُ عَلَى الْوُجُوهِ وَالْجُشَاءِ وَالْإِشَارَةِ بِالْيَدِ وَالْعَيْنِ وَنَحْوَهَا مِمَّا يَكْرَهُ
النَّاسُ . وَيَسْتَغْفِرُهُ تَعَالَى عِنْدَ الْقِيَامِ . وَلَا يَقْعُدُ فِي السُّوقِ بِلَا حَاجَةٍ . وَلَا فِي
الطَّرِيقِ ، وَيُؤَدِّي الْحُقُوقَ أَنْ جَلَسَ . وَيَفْتَحُ الْكَلَامَ بِالتَّسْمِيَةِ . وَالتَّحْمِيدِ
وَالِاسْتِعَاذَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،

الآلف ((والتائب على الوجوه)) أى فى مقابلتها دون أدبارها ((والجشأ)) أى كذلك
فورد « أقصر جشأك عنا » وهو بضم الجيم معدودا بخار يخرج من القم عند الأكل الكثير
((والإشارة باليد والعين)) بحيث يتوهم المصاحب مالا يليق باهل المناقب قال تعالى :
(يعلم خائنة الاعين) ((ونحوها)) أى ويجتنب امثال هذه المذكورات ((مما يكره الناس))
أى فى المحاورات والمحاضرات ((ويستغفره تعالى عند القيام)) أى من المجلس فى المعالم
عند قوله تعالى (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال سعد بن جبير . وعطاء . أى قل حين تقوم من
بجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان
كفارة له وروى البغوى باسناده الى أبى هريرة مرفوعا « من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال
قبل أن يقوم : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت أستغفرك وأتوب اليك
الا كان كفارة لما بينهما » وفى رواية أبى داود وابن حبان عن أبى هريرة « كفارة المجلس أن
يقول سبحانك اللهم وبحمدك الخ ثلاث مرات وزاد عملك سوء او ظلمت نفسى فاغفرلى
انه لا يغفر الذنوب الا أنت » ((ولا يقعد فى السوق بلا حاجة)) فانها أبفض البلاد الى
الرحمن واحبها الى الشيطان ((ولا فى الطريق)) أى الجادة للعامة ((ويؤدى الحقوق))
أى حقوق الجلوس أو حقوق الطريق ((ان جلس)) وهى اماطة الأذى وارشاد
الضال وقضاء حاجة الفقير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . ونصرة المظلوم
واغاثة الملهوف . واعانة الضعيف . ورد السلام . واعطاء السائل ولو بجميل
الكلام ، وفى رواية الطبرانى عن وحشى « اعلمكم ستفتحون بعدى مدين عظاما
وتتخذون فى أسواقها مجالس فاذا كان ذلك فردوا السلام وغضوا من ابصاركم
واهذوا الأعمى وأعينوا المظلوم » ((ويفتح)) وفى نسخة ويفتح أى يبتدىء . ((الكلام))
فى مجلس الكرام اذا كان ذابال من المرام ((بالتسمية والتحميد والاستعاذة)) والانصب
تقديم التعوذ ((والصلاة عليه عليه السلام)) أى على النبي عليه السلام ، فورد « كل

وَيَخْتَارُ الْعَرَبِيَّةَ . وَيَخْفِضُ الصَّوْتَ . وَلَا يُكْثِرُ . وَيَهْذُبُ اللَّفْظَ . وَيُبَيِّنُ
الْكَلَامَ . وَيَتَفَكَّرُ فِي الْحُجَّةِ . وَيَسْكُتُ عِنْدَ الْغَضَبِ . وَيَذْكُرُهُ تَعَالَى عِنْدَ
النَّسْيَانِ . وَيَسْتَتْنِي وَلَا يَخَافُ عَلَيْهِ تَعَالَى فَهُوَ اجْتِرَاءٌ وَيَحْتَرِزُ عَنِ الْقَصَصِ
وَالْحَلْفِ مَا أَمَكَنَ . وَإِنْ حَلَفَ وَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا فَلْيَأْتِ بِهِ .

أمر ذى بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع، رواه الراوى فى الأربعين
عن أبى هريرة ، وفى رواية له عنه ، كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة على فهو
أقطع أبتر محق البركة (ويختار العربية) أى اللغة المنسوبة الى العرب فقد ورد
« أحب العرب لثلاث لأنى عربى ولأن كلام الله عربى ولسان أهل الجنة فى الجنة
عربى » ، وقد قيل: العربية نصف العلوم النقية (ويخفض الصوت) أى فى كلامه
لقوله تعالى (واغضض من صوتك ان انكر الأصوات لصوت الخير) : (ولا يكثر)
أى من الكلام فان كثرة الكلام تميم قلب الأنام (ويهذب اللفظ) أى ينقى مبانیه
ويحسن ما فيه ويميز بين ما يوافقه المقام وينافيه (ويبين الكلام) بتعيين معانيه وتخليصه
من الزوائد الخلة والفوائد المملة (ويتفكر) أى أولاً (فى الحجة) أى الأدله ثم يحتاج
بها ويستمسك بسببها (ويسكت عند الغضب) لقوله تعالى: (ولما سكى عن موسى
الغضب أخذ الألواح) أى سكن كما فى قراءة شاذة ولهذا ورد النهى للقاضى أن يحكم
وهو غضبان لأنه حينئذ لم يفرق بين الحق والباطل والطاعة والعصيان (ويذكره تعالى
عند النسيان) لقوله تعالى: (واذا كررك اذانسيت) : (ويستتنى) أى يقول ان شاء
الله فيما بعده فى مستقبله لقوله تعالى: (ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء
الله) (ولا يخلف عليه تعالى فهو اجتراء) أى اظهار جراءة لديه فورد « ان رجلا
قال والله لا يغفر الله لفلان قال الله تعالى: من ذا الذى يتألى على أن لا أغفر لفلان فأنى
قد غفرت لفلان واحبطت عملك » ، رواه مسلم عن جندب البجلي (ويحترز عن القصص)
أى قصص الملوك وارباب الشجاعة واصحاب البطالة بل عن قصص الانبياء وحكايات
الاولياء اذالم تكن ثابتة مروية عن العلماء الاصفياء (والحلف) أى ويحترز عن
كثرة البين (ما أمكن) ولو كان صادقا اذ فيه خطر الحنث ووجوب الكفارة
وشبهة التهمة (وان حلف) أى على يمين (ورأى غيرها خيرا) منها (فليأت به)

وَلْيَكْفُرْ وَيُرَاعِيَ الْأَدَبَ وَيَتَكَلَّمْ بِالْقَصِيرِ الْجَامِعِ وَيَتَوَقَّفَ بَيْنَ كَلَامَيْنِ
لِيَحْفَظَ السَّامِعَ . وَلَا يَبْحَثْ قَبْلَ تَمَامِ الْكَلَامِ . وَيَسْتَأْذِنُ لِلسُّؤَالِ فَالْكُلُّ
مَأْثُورٌ وَيَكْثُرُ الْبُكَاءُ فَوَرَدَ « حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَعْيُنَ عَيْنِ سَهْرَتٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَعَيْنَ غَضَّتْ عَنْ مُحَارَمِ اللَّهِ وَعَيْنَ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ » دُونَ الضَّحْكِ
فَهُوَ يَمِيتُ الْقَلْبَ وَيَذْهَبُ النُّورَ ، فَوَرَدَ (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَكُونُوا كَثِيرًا)

أى بذلك الغير الذى هو الخير (وليكفر) أى عن حنث يمينه فى صحيح مسلم وغيره
عن أبى هريرة « من حلف على يمين فرأى غير ما خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر
عن يمينه » (ويراعى الأدب) أى مع الأصحاب والاحباب فى قوله وفعله وسائر
الأبواب (ويتكلم بالقصير الجامع) وهو الكلام الجامع المانع وقد ورد أعطيت
جوامع الكلام رواه أبو يعلى عن عمرو وهو الذى مبانيه يسيرة ومعانيه كثيرة ، وروى
« خير الكلام ما قل ودل » (ويتوقف بين كلامين) أى مركبين يصح سكوت على كل
منهما (ليحفظ السامع) أى ليدركه ويفهمه فى الصحيحين عن عائشة أنه عليه السلام
« كان يحدث حديثا لو عده العادلا حصاه » (ولا يبحث) مع الخصم (قبل تمام الكلام)
أى فى أثناء المرام اذ قد يكون له تعلق فى المقام يدفع المباحثة مع الخصم (ويستأذن للسؤال)
أى تأديما مع أرباب الكمال (فالكل مأثور) وفى الكتب المبسوطة مذكور (ويكثر
البكاء فورد « حرمت النار على ثلاثة أعين عین » بالجر على البدل أو بالرفع أى منها
أو أحداها عين « (سهرت فى سبيل الله) أى احتراسا لاهل الله (وعين غضت) أى
غمضتها (عن محارم الله) أى ابتغاء لوجه الله (وعين بكت من خشية الله) أى من خوف
يوم يلقاه الطبرانى والحاكم عن أبى ريمانة بلفظ « حرمت النار على عين بكت من خشية الله
وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله وحرمت النار على عين غضت عن محارم
الله أو عين فقتت فى سبيل الله » وفى رواية الحاكم عن أبى هريرة « ثلاثة أعين لاتمسها
النار عين فقتت فى سبيل الله وعين حرست فى سبيل الله وعين بكت من خشية الله »
(دون الضحك) أى لا يكثر الضحك بل يقلله (فهو يميت القلب ويذهب النور)
أى البهاء والضياء فى الخير أنه عليه السلام « كان طویل الصمت قليل الضحك » احمد عن
جابر بن سمرة (فورد فليضحكوا قليلا وليكثروا كثيرا) وهو أمر بمعناه خبر أى

وَيَخْفِضُ صَوْتَ الْعَطَاسِ فَالتَّصْرِيحُ بِهِ حَقٌّ وَيَسْتَرِ بِثَوْبِهِ أَوِيْدَهُ وَيَسْتَرِ

الْقَمَمَ فِي النَّثَاوِبِ . وَيُلْقِي الْبُزَاقَ فِي الْيَسَارِ أَوْ تَحْتَ الْقَدَمِ دُونَ الْقَبْلَةِ وَالْيَمِينِ .

يضحكون في الدنيا قليلا من الضحك أو الزمان ويكون كثيرا من البكاء أو الزمان وهذا اذا كان المراد به الخبر عن أهل الكفر في الدنيا والعقبي وأما ان كان المراد به الخبر عنهم في دار الآخرة فالمراد من القلة العدم والله سبحانه أعلم، فالمعنى من ضحك في الدنيا قليلا يبكي في الآخرة كثيرا فكيف حال من ضحك في الدنيا كثيرا فانه لا يشك أن أمره يكون عسيرا لا يسيرا (و) يخفض صوت العطاس فالتصريح به (أي بالصيحة عند الناس) (حق) أي حماقة وجهالة المقام الاستئناس، وقد ورد الثأوب الشديد والعطسة الشديدة من الشيطان، ابن السني عن أم سلمة (و) يستر (أي فمه عند العطاس) (ثوبه) أي بكفه أو منديله (أو يده) أي بكفه فورد «اذا عطس أحدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته» الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة (و) يستر الفم في الثأوب (أي بالثوب) لأنه أيضا يحصل المقصود ولأن الثوب أيضا لا يكون إلا بمساعدة الساعد ففي الصحيحين عن أبي هريرة «الثأوب من الشيطان فإذا تأمب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال هاجمك منه الشيطان» وفي رواية الترمذي «العطاس من الله والثأوب من الشيطان فإذا تأمب أحدكم فليضع يده على فمه وإذا قال آه آه فإن الشيطان يضحك من جوفه وإن الله عز وجل يحب العطاس» ويكره الثأوب، ولعل وجهه ان العطاس يطير النوم والكسل والثأوب يوجب النعاس والفشل، وأما ما ورد من أن العطاس والنعاس والثأوب في الصلاة من الشيطان فوجهه ان كلا منهما مانع من القراءة ونحوها (و) يلقي البزاق (أي ان لم يقدر على ابتلاعه) (في اليسار) أي ان لم يكن هناك أحد من الأبرار (أو تحت القدم) أي اليسرى اذا لم يكن أرض مسجد (دون القبلة) أي لا يلقى الى جهة القبلة مطلقا تعظيما للكعبة بيت الله الحرام، ففي الصحيحين «اذا كان أحدكم يصلي فلا يصبق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه اذا صلى» (و) واليمين (أي أصلا سواء يكون فيه أحد أم لا تعظيما لصاحب اليمين من الملائكة المقربين ولعل صاحب اليسار يتأخر في جانبه فانه مأمور بالنسبة الى صاحب اليمين كما قرر في محله، وفي رواية احمد وأصحاب السنن الأربعة عن طارق بن عبد الله المحاربي مرفوعا «اذا صليت فلا تبرقن بين يديك ولا عن يمينك ولين إبرق تلقاء شمالك ان كان فارغا

وَيَتَفَاءَلُ بِكَلِمَةٍ صَالِحَةٍ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ وَمَأْمُورٌ بِهِ وَلَا يَتَطَيَّرُ فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ.
وَيَفْتَحُ الْكِتَابَ بِالتَّحْمِيدِ وَالصَّلَاةِ. وَيَذْكُرُ أَوَّلًا نَفْسَهُ، ثُمَّ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ فَيُؤَيِّدُ
السَّنَةَ.

والافتحت قدمك اليسرى وادلكم قال أبو يزيد لبعض أصحابه : قم بنا حتى نُنْظِرَ إِلَى
هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي قَدْ أَشْهَرَ نَفْسَهُ بِالْوَلَايَةِ وَكَانَ رَجُلًا مَشْهُورًا بِالزُّهْدِ وَالدِّيانَةِ فَضَيْنَا
فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ رَمَى بِرَأْفَةِ تَجَاهِ الْقِبْلَةِ فَأَنْصَرَفَ أَبُو يَزِيدٌ وَلَمْ يَسْلَمْ عَلَيْهِ
وَقَالَ: هَذَا غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى أَدَبٍ مِنْ آدَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَيْفَ يَكُونُ
مَأْمُونًا عَلَى مَا يَدْعِيهِ؟ أَى مِنَ الْأَدَبِ مَعَ الرَّبِّ ﴿وَيَتَفَاءَلُ بِكَلِمَةٍ صَالِحَةٍ﴾ أَى بِسَمَاعِهَا
مِنْ غَيْرِهِ نَحْوُ صَلَاحٍ وَفَلَاحٍ وَمَنْصُورٍ وَمُظْفَرٍ فَانْهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «كَانَ يَعْجِبُهُ الْقَالَ
الْحَسَنُ وَيَكْرَهُ الطَّيْرَةَ» وَابْنَ مَاجَهَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَاكِمِ عَنْ عَائِشَةَ ﴿فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ﴾
أَى مَنْقُولٌ عَنْ فِعْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَمَأْمُورٌ بِهِ﴾ أَى بِمَا وَرَدَ عَنْهُ مِنَ الْكَلَامِ ﴿وَلَا
يَتَطَيَّرُ﴾ أَى لَا يَتَشَاوَرُ بِالْقَالَ الْقَبِيحِ وَأَصْلُهُ التَّطَيَّرُ بِالسَّوَانِحِ وَالْبُورَاحِ مِنَ الطَّيْرِ وَكَانَ
التَّطَيَّرُ يَصْدُقُ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ فِي زَمَنِ الْجَاهِلِيَّةِ فَقَاهُ الشَّرْعُ وَنَهَى عَنْهُ وَخَبَّرَ أَنَّهُ لَا تَأْثِيرَ
لَهُ فِي جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضَرٍّ، وَمِثَالُهُ أَنَّهُ خَرَجَ لِحَاجَةٍ وَسَمِعَ كَلِمَةً فَاسِدَةً دَالَّةً عَلَى
عَدَمِ قَضَائِهَا فَإِنْ رَجَعَ عَنْهَا بِسَبَبِهَا كَانَ ذَلِكَ تَطَيُّرًا ﴿فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ﴾ رَوَى أَحْمَدُ
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا «لَا يَتَطَيَّرُ فَنَفْعُ فِكْفَارَتِهِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ
وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْهُ بِلَفْظٍ «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ مِنْ حَاجَةٍ
فَقَدْ أَشْرَكَ وَكُفَّرَتْ أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ» الْخُ وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَلَفْظُهُ «إِذَا رَأَيْتُمْ
مِنَ الطَّيْرِ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَذْهَبُ بِالسَّيِّئَاتِ
إِلَّا أَنْتَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴿وَيَفْتَحُ الْكِتَابَ﴾
أَى إِذَا بَدَأَ مَكْتُوبًا إِلَى غَيْرِهِ ﴿بِالتَّحْمِيدِ وَالصَّلَاةِ﴾ بِأَنْ يَكْتُبَ الْحَمْدَ لِلَّهِ وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﴿وَيَذْكُرُ أَوَّلًا﴾ أَى بَعْدَهُمَا ﴿نَفْسَهُ ثُمَّ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ فَهُوَ السَّنَةُ﴾
الْمَعْرُوفُ فِي السَّنَةِ أَنْ يَبْدَأَ بِاسْمِهِ ثُمَّ الْمَكْتُوبَ إِلَيْهِ ثُمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ فَيَكْتُبُ مِثْلًا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ
فَلَانَ إِلَى فَلَانَ عَبْدُ اللَّهِ السَّلَامُ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهُ إِلَيْكَ وَهُوَ مُقْتَبَسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:
(إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وَقَدْ كَتَبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مُعَاذٍ
فِي ابْنِ لَهُ يَعْزِيهِ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُعَاذٍ سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي

وَيَتَرَبَّهُ فَهُوَ سَبَبُ النَّجَاحِ . وَيَتَعَفَّفُ عَنْ طَلَبِ الْحَاجَةِ مَا مَكَنَ وَحَقَّهُ أَنْ
يَتَوَضَّأَ وَيُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ . وَيَرْفَعُهَا إِلَيْهِ تَعَالَى وَيُخْرِجُ بِكَرَةِ الْخَيْسِ بَعْدَ التَّحْمِيدِ
وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ

أحمد إليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فاعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا
وياك الشكر الحديث رواه ابن مردويه والحاكم عن معاذ قالوا في الآية لمطلق
الجمع (ويتربه) بتشديد الراء أى يلقى التراب على الكتاب (فهو سبب النجاح) أى
وصوله الى الباب، وقد ورد واذا كتب احدكم الى انسان فليبدأ بنفسه واذا كتب
فليترب كتابه فهو أنجح الطبرانى فى الاوسط عن ابى الدرداء والترمذى الجملة الثانية
والطبرانى الاولى (ويتعفف) أى يطلب العفة (عن طلب الحاجة) أى بالمسئلة من الخلق
(ما مكن) أى مهما أمكن التعفف ولم تلجئه الضرورة الى التكسيف، وفى دعاء الامام
أحمد اللهم كما صنعت وجهى عن سجود غيرك فصن وجهى عن مسألة غيرك، وقد قال
بعض اهل التوفيق: السؤال ذل ولو أين الطريق (وحقه) أى حق طلب الحاجة
عند الضرورة من الخليفة (أن يتوضأ ويصلى ركعتين ويرفعها اليه تعالى) أى اولا
لأنه غياث المستغيثين وأرحم الراحمين وأكرم الاكرمين، وفى الخبر ليسأل احدكم ربه
حاجته حتى يسأل الملحق حتى يسأله شسعه، وقال الترمذى وغيره وقد ورد «من كانت له
حاجة الى الله اوالى احد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن وضوءه ثم ليصل ركعتين
ثم ليثني على الله وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل: لا اله الا الله هو الحليم الكريم
سبحان رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اسألك موجبات رحمتك وعزائم
مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لا تدع لى ذنبا
الا غفرته ولاهما الا فرجته ولا حاجة هى لك رضا الا قضيتها يا أرحم الراحمين» رواه
الترمذى عن ابن أبى أوفى، وفى رواية له ولغيره عن ابن حنيفة «من كانت له ضرورة
فليتوضأ فيحسن وضوءه ويصلى ركعتين ثم يدعو اللهم انى أسألك واتوجه اليك
بنبيك محمد نبى الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى فشفعة فى،
(ويخرج) أى ومن حقه ان يخرج فى طلب الحاجة (بكرة الخيس) أو بكرة غيره
فان البركة فى البكرة كما تقدم (بعد التحميد والصلاة) أى على النبي عليه السلام
(وقراءة الفاتحة) فان فيها رائحة قضاء الحاجة فاتحة (وآية الكرسي) فانها الدالة

وَأَخِرَ آلِ عِمْرَانَ وَالْقَدْرَ : وَيَقْصِدُ الْآتِقَى وَالْأَكْرَمَ وَالْأَسْمَحَ وَالْأَحْسَنَ .
وَالْأَرْحَمَ وَلَا يَرْتَكِبُ مَعْصِيَةً فِيهِ : وَلَا يَلِغُ وَيُشَاوِرُ الْعَاقِلَ الْعَالِمَ الصَّالِحَ الْمَلَامَ
ذَلِكَ الْأَمْرَ كَالسَّخِيِّ فِي الْمَالِ وَالشَّجَاعِ فِي الْحَرْبِ ،

على العظمة والمحافظة ((وأخر آل عمران)) أى من قوله (ان فى خلق السموات والارض)
الى آخر السورة أو من قوله : (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) أو من قوله :
(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) فقد روى
بعض المجاذيب انه يخرج بطاقة من جيبه وينظر فيها ثم يردّها فاذا هو مات فأروا
فيها آية (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) ((والقدر)) أى سورة القدر تنبئها له على
أن الاشياء كلها بالقضاء والقدر فلا يتبدل ولا يتغير ((ويقصد الاتقى)) شرعا لان
عطائه اتقى ((والاكرم)) طبعاً لان سخاءه ابقى ((والاسمح)) أى الأسهل بدا فان الخير
منه ارجى ((والأحسن)) أى خلقا وخلقاً فقد وردوا اطلبوا الخير عند حسان الوجوه ،
رواه البخارى فى تاريخه عن عائشة وجماعة عن غيرها ، وفى رواية ابن عدى والبيهقى
عن عبد الله بن جرادة بلفظ « اذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه » لان
الظاهر عنوان الباطن والغالب اجتماع حسن الخلق وحسن الخلق ومن لوازم حسن
الخلق الكرم مع الخلق ((والارحم)) قلباً فعن أبى سعيد « اطلبوا الخواص الى ذوى
الرحمة من أمى ترزقوا وتتجحوا فان الله تعالى يقول : رحمتى فى ذوى الرحمة من عبادى
ولا تطلبوا الخواص عند القاسية قلوبهم فلا ترزقوا ولا تتجحوا فان الله تعالى يقول
ان سخطى فيهم » رواه العقيلي والطبراني فى الأوسط ((ولا يرتكب معصية فيه)) أى
فى طلب الحاجة بان يكذب فى مقدار ما يحتاج اليه مثل قوله ان لى ميتا أريد دفنه او
عندى نفساء أو ما أكلت ايام كذا أو معى عيال ونحو ذلك اذا لم يكن صادقا فيما
هنالك ((ولا يلغ)) أى فى الطلب من الخلق قال تعالى : (لا يسألون الناس الخافا) أى
الحاحا وورده ان الله يبغض السائل الملهف ويحب الحيى العفيف المتعفف ، رواه البيهقى
عن أبى هريرة ((ويشاور)) أى فى أمر مشكل يقع له ((العاقل)) أى المجرب فى الامور
((العالم)) أى المعظم فى الصدور ((الصالح)) اذ عنده الخبر المستور ((الملام)) ذلك
الأمر ((أى الذى وقع له فى الدهر ويحتاج فيه النصح للنصر)) كالسخي فى المال ((أى
فى أمر يتعلق ببذل المال)) والشجاع فى الحرب ((لانه فى ذلك الأمر من أهل

فَوَرَدَ (وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ) ثُمَّ امْرَأَتُهُ وَيَخَالَفُ، فَوَرَدَ فِيهِ الْبَرَكَةُ وَيَقْدُمُ
الِاسْتِخَارَةَ وَيَخْتَارُ أَهْوَنَ الْأَمْرَيْنِ وَيُسِرُّهُمَا وَلَا يَجِبُ الْمَالُ أَكْثَرُ مِنَ الْعَرِضِ .
وَلَا يَنْزِلُ الدِّينَ بِالدُّنْيَا . وَلَا يَرْكَبُ بَقَرَةً : وَلَا يَحْرُثُ عَلَى حِمَارٍ

الكمال (وقد علم كل اناس مشربهم) وعرف كل فريق مذهبهم ﴿ فورد وشاورهم
في الامر ﴾ (وأمرهم شوري بينهم) (ثم امرأته) أى ان لم يجد أحدا كما في نسخة
﴿ ويخالف ﴾ أى رأيها ﴿ فورد فيه ﴾ أى في خلافها ﴿ البركة ﴾ لقلة عقلها ونقصان دينها ،
واخرج العسكري في الامثال عن عمر ﴿ قال خالفوا النساء فان في خلافهن البركة ﴾ وعن
أنس مرفوعا ﴿ لا يفعلن أحدكم امرا حتى يستشير فان لم يجد من يستشير فيستشير
امرأته ثم ليخالفها فان في خلافها البركة ﴾ رواه ابن لال ، وروى الديلمي والعسكري
والقضاعى عن عائشة مرفوعا ﴿ طاعة النساء ندامة ﴾ وفي مسند احمد هلك الرجال حين
أطاعت النساء ، وأخرجه الطبراني والحاكم وصححه من حديث ابى بكره مرفوعا
واخرج ابن عدى عن حديث أم سعد بنت زيد بن ثابت عن ابىها مرفوعا ﴿ طاعة المرأة
ندامة ﴾ واخرج العسكري عن معاوية قال : عودوا النساء لا فانها ضعيفة ان اطعها
اهلكتك ﴾ وقال بعض الشعراء هـ وترك خلافهن من الخلاف هـ وأما ما اشتهر على الالسنه
شاوروهن خالفوهن فباطل لا أصل له في مبناه لكن صح معناه فيما قدمناه ﴿ ويقدم
الاستخاره ﴾ أى على الاستشارة والمراد دعاؤه بجملا بان يقول اللهم خرنى واخترنلى ولا
تكننلى الى اختيارى أو صلاتها ودعاؤها المشهور المذكور فى الحصن وشرحه المصطور
وقد ورد ما خاب من استشار وما ندم من استخار ولا عال من اقتصد الطبرانى فى الأوسط عن
أنس ﴿ ويختار أهون الأمرين ﴾ كالتدريس والفتوى فالتدريس أهون من الفتوى
والفتوى أهون من القضاء والقضاء أهون من الخلافة ﴿ وايسرهما ﴾ فروى عن بعض
السلف الصبر عن النساء ايسر من الصبر عليهن والصبر عليهن ايسر من الصبر
على النار ، وقيل الفرق بين الاهون والايسر ان الاهون باعتبار النفع او الضرر
والايسر باعتبار سهولته على النفس وبعده عن الخطر ﴿ ولا يجب المال اكثر
من العرض ﴾ بل ينزل المال لحفظ العرض وحسن الحال ﴿ ولا ينزل الدين بالدنيا ﴾
لقوله تعالى : (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فماربحت تجارتهم وما كانوا
مهيئين) ﴿ ولا يركب بقرة ﴾ ويجوز الحمل عليها ﴿ ولا يحرق على حمار ﴾ لانه خلق

فَالْكُلُّ خُلِقَ لَعَمَلٍ. وَيَرْكَبُ عَلَى مَا أَصَابَ: وَيُرْدَفُ الْخَادِمَ فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « لَا يَدْخُلُ الْبَيْتَ حَتَّى يَتَصَدَّقَ بِفَاضِلِ النَّفَقَةِ وَيَسْعَى فِي الْحَاجَاتِ وَيَخْصِفُ النَّعْلَ وَيَخِيطُ الثَّوبَ وَيَقْطَعُ اللَّحْمَ وَيَشْتَغِلُ

للحمل والركوب) (فالكل خلق لعمل) أي على وفق العادة كما في الفرس والجمال وقد ورد « كل ميسر لما خلق له » رواه الشيخان (ويركب على ما أصاب) أي صادفه من الفرس والحمار والبغل والبعر والفيل من غير تعلق وتقيد بواحد منها قال تعالى : (والخيول والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) أي الفيل إذا كان الخطاب للعرب خاصة وأما البعير فقال تعالى : (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشئ الاقنص أن ربكم لروؤف رحيم) وقال عز وعلا : (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا : سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) أي مطيقين وقال عز وعلا : (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) وقال عز شأنه وعظم برهانه : (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) فالبعير سفينة البر كما أن الفلك سفينة البحر (ويردف الخادم) أي وغيره سواء كان المراكب جملا أو فرسا أو حمارا (فالكل مأثور) فقد أرفد النبي عليه السلام الفضل وإسامة في طريق عرفة عام حجة الوداع خلف ناقه وأردف أباهريرة على حمار في طريق قبا كما تقدم (وكان عليه السلام لا يدخل البيت) أي بيته (حتى يتصدق بفاضل النفقة) أي بما فضل من النفقة في يده أو في بيته (ويسعى في الحاجات) أي في قضائها بنفسه عند قدرته فاخرج أحمد عن أنس أنه عليه السلام كان يذبح أضحيته يده (ويخصف النعل) على حد صناعته (ويخيط الثوب) أي بقدر معرفته ، فقد أخرج ابن عساكر عن أبي أيوب أنه عليه السلام « كان يخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن ستي فليس مني » أي من تركها تكبرا فليس على طريقتي (ويقطع اللحم) أي إذا كان نيئا أو غير نضيج وهو ثابت في السنة كما سبق وفي الشئائل عن جابر بن طارق قال : دخلت على النبي ﷺ فرأيت عنده دباء يقطع فقلت ما هذا ؟ قال نكثرت به طعامنا ، (ويشغل

بِأَمْرِ الْبَيْتِ مَعَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ « وَلَا يَتَكَلَّفُ وَلَا يَجِبُ وَلَا يَصِيدُ وَيَجِبُ
وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُكَافِي عَلَيْهَا وَيُرَدُّ الْمَقْرُونَةُ بِالْمَنَّةِ وَأَنْ قُلْتَ وَيَغْنَمُ الْعَبْدُ أَيَّامَ
الرَّقِّ خَمْسَتَهُ بَعْثِينَ وَتَلْزِمُ الْمَرْأَةُ قَعْرَ الْبَيْتِ فَلَا تَرْتَفِعُ عَلَيْهِ وَلَا تَنْظُرُ إِلَى الْخَارِجِ
فَنَظَرُهَا إِلَى الرِّجَالِ فَتَنَةٌ وَأُمِرَتْ أُمُّ سَلَمَةَ

بأمر البيت مع أمهات المؤمنين ﴿ فروى أحمد عن عائشة ﴾ كان يخط ثوبه ويخفف
نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم ﴿ وروى ابن سعد عنها ﴾ كان يعمل عمل البيت
واكثر ما يعمل الخياطة ﴿ وفي رواية أبي يعلى عنها ﴾ كان يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم
نفسه ﴿ ولا يتكلف ﴾ أى وكان عليه السلام لا يتكلف فى شئ من الكسوة والطعام
والضيافة والوليمة ﴿ ولا يجبه ﴾ أى التكلف من غيره بل يغضه فاخرج الدارقطنى
بسنده ضعيف ﴿ أنا والانتقام من أمى بريئون من التكلف ﴾ ويقويه ما فى مسند الفردوس
من حديث الزبير بن العوام ﴿ الا انى برى ﴾ من التكلف وصالحو امى ﴾ واخرجه ابن عساكر
فى تاريخه عنه بلفظ ﴿ اللهم انى وصالحى امى برآء من كل متكلف ﴾ واخرجه عن الزبير
ابن ابي هالة - وهو ابن خديجة زوج النبی صلى الله عليه وسلم - بلفظ انا وامى برآء
من كل متكلف ﴿ ولا يصيد ﴾ أى بنفسه ﴿ ويجبه ﴾ أى يجبه من غيره ﴿ ويقبل الهدية
ويكافى عليها ﴾ أى بمثلها او بازيد منها لقوله تعالى : ﴿ واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن
منها اوردوها ﴾ أى او بمثلها على قول ، وفى البخارى وغيره عن عائشة ﴿ كان يقبل الهدية
ويشبع عليها ﴾ ﴿ ويرد المقرونة بالمنة وان قلت ﴾ أى الهدية او المنة فانها كثيرة المؤنة ثقيلة
المعونة ﴿ ويفتنم العبد ﴾ وكذا الجارية ﴿ ايام الرق ﴾ أى زمان العبودية مع القيام بحق
الربوبية ﴿ فخمسة بعشرين ﴾ أى فاجره مرتين كما فى حديث ثم اقل الاجر فى خمسة عشر
كما قال تعالى : ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ﴾ فاذا كان له اجران خمسة له بعشرين حسنة
﴿ وتلزم المرأة قعر البيت ﴾ أى من الخزن ونحوه ﴿ فلا ترتفع ﴾ أى هى ﴿ عليه ﴾ أى على
البيت والمعنى انها لا تسكن فى العوالى خصوصاً اذا كان فيها شبابيك مشرفة على الحوالى ﴿ ولا
تنظر الى الخارج ﴾ ولو كانت ساكنة فى الداخل ﴿ فنظرهن الى الرجال فتنة ﴾ أى فى حقهن
كما أن نظر الرجال اليهن فتنة فى حقهم قال تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا
فروجهم وقل للمؤمنات يغضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ﴾ ﴿ وأمرت أم سلمة

بِالْاِحْتِجَابِ عَنِ الْاَعْمَى وَلَا بِاسِّ بِالْخُرُوجِ فِي الْمُهَمِّ فِي اَسْوَأِ هَيْئَةٍ وَأَخْلَى
طَرِيقٍ مُتَكْرَرَةٍ لِمَنْ يَعْرِفُ غَيْرَ مُسْمَعَةٍ صَوْتِهَا، وَيَتَصَدَّقُ بِمَا بَقِيَ مِنْ طَعَامٍ
يَسْتَحِيلُ إِذَا تَرَكَ وَيَقْتَمُ الصَّحِيحُ بِطُولِ السَّلَامَةِ، فَوَرَدَ «لَا يَخْلُو الْمُؤْمِنُ مِنْ
عَلَّةٍ وَزَلَّةٍ وَقَلَّةٍ» فَلَا بُدَّ أَنْ يَبْتَلِيَ فِي كُلِّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا شَيْئًا مِنْهَا وَيَسْتَرْجِعُ
فِي الْمُصِيبَةِ فَهُوَ مَأْثُورٌ وَمَعْدُوحٌ فِي الْقُرْآنِ، وَيَحْتَرِزُ عَنِ الشَّقِّ وَالضَّرْبِ
وَالْحَلْقِ

بالاحتجاب عن الأعشى أي مع أنها من الأزواج الطاهرات ﴿ولابأس﴾ أي
للرأفة ﴿بالخروج في المهم﴾ أي الدينوى والآخرى أو الدينوى الضرورى ﴿في أسوأ
هيئة﴾ أي أخشنها من لباس الجمال ﴿وأخلى طريق﴾ أي من الرجال حال كونها
﴿متكررة لمن يعرف﴾ أي نسبها أو حسبها صيانة عن عرضها ﴿غير مسمعة صوتها﴾
أي إذا لم تكن ضرورة بها ﴿ويتصدق﴾ أي الشخص ﴿بما بقى من طعام يستحيل﴾
أي يتغير ويفسد من اللحم المطبوخ واللبن ونحوهما ﴿إذا ترك﴾ أي كثيرا فإنه
تضييع للبال وتقويت لمقام الكمال ﴿ويقتم الصحيح بطول السلامة﴾ فإن فرعون مضى
عليه أربعمائة سنة ولم يحصل له صداع ولا حى مقدار سنة ﴿فورد لا يخلو المؤمن
من عللة﴾ أي مرض وضعف قوة ﴿وذلة﴾ ضد عزة بأن يسلط عليه أحد من الطلبة
﴿وقلة﴾ أي فاقة وحاجة، وقد يجتمع عليه إذا كان من أهل عناية ورعاية وحماية وإذا
كان غالبا عنها في بعض الاوقات ﴿فلا بد وان يبتلى في كل أربعين يوما بشيء منها
ويسترجع﴾ أي يقول (انا لله وانا اليه راجعون) هـ ﴿في المصيبة﴾ أي الحادثة ﴿فهو
مأثور﴾ أي مروي عنه عليه السلام، وعن السلف الكرام ﴿ومعدوح في القرآن﴾
حيث قال تعالى (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون)
الآية «وفي الحديث يسترجع أحدكم في كل شيء حتى في شمع نعله» فإنها من المصائب
ابن السنى عن أبى هريرة، وقد ورد من أصيب بمصيبة فحدث استرجاعا وان تقدم
عهدا كتب الله له من الاجر مثله يوم أصيب رواء ابن ماجه عن الحسن بن على
﴿ويحترز عن الشق﴾ أي شق الجيب ﴿والضرب﴾ أي على الوجه والصدر ﴿والحلق﴾

وَالنَّوْحَ فَهِيَ مِنْهُي عَنْهَا أَذْهَى رُسُومِ الْجَاهِلِيَّةِ وَيُثْنُ الْمَرِيضُ إِنِنَّا يَخْفَفُ
بَعْضَ مَا بِهِ ذَاكَ كَرَامَاتُهَا وَيَعْصِبُ الرَّأْسَ . وَيَنَامُ عَلَى الْفِرَاشِ اسْتِعَانَةً عَلَى
الصَّبْرِ . وَتَوَقُّيَا عَنِ التَّشَدُّدِ . وَيَسْتَشْفِي بِالذِّكْرِ . وَالِدُعَاءِ . وَالصَّلَاةِ

أى حلق شعر الرأس للرأفة واللحمة للرجل ((والنوح)) وهو صباح أهل الميت
((قمى)) أى جميعها ((منهى عنها أذهى رسوم الجاهلية)) فى الصحيحين عن ابن مسعود
« ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ، ولا بنى داود ، ولا نساءى
عن أنى موسى » ليس منا من سلق ومن حلق ومن خرق » فالسلق رفع الصوت عند المصيبة
ومنه قوله تعالى : (سلقوا كم بالنسنة حداد) والحلق حلق الشعر ، والخرق خرق الثوب
((ويثن المريض)) فورد « المريض أنينه تسريح وصياحه تكبير ونفسه صدقة ونومه
عبادة وتقبله من جنب إلى جنب جهاد فى سبيل الله يقول الله تعالى للملائكة :
اكتبوا لعبدى أحسن ما كان يعمل فى صحته فإذا قام ثم مشى كان كمن لا ذنب له ،
الخطيب والديلمى عن أنى هريرة وقالوا رجاله معروفون بالثقة إلا حسين بن أحمد
البلخى فإنه مجهول ((أنينا يخفف بعض ما به)) أى من ثقل الألم ((ذاكرا)) أى حال
كونه ذاكر الله تعالى فيما أعطاه من النعم والمن ومن مستعينا به فيما ابتلاه من المحن
ومستغثا به فى أيام الفتن ومستعيذا به عن حلول القم ((لا متأوها)) أى بطريق
الضجر والفرح من كثرة الهم والغم والا فقد مدح الله سبحانه سيدنا إبراهيم الخليل
بقوله (إن إبراهيم لحليم أواه منيب) فإذا كان آه أوواه الله وفى تسليم أمر مولاه ورضاه
بقدره وفق ما قضاه يكون خيرا له فى دنياه وعقباه ((ويعصب الرأس)) أى يشده
بعصابة تبعا للسنة وإظهارا للعجز ولأنه يخفف الصداع ((وينام على الفراش))
أى ولو كان دأبه أن لا ينام عليه ((استعانة على الصبر)) أى على شدة المرض وحدة
الأمر ((وتوقيا)) أى واحترازا واحتراسا ((عن التشدد)) أى طلب شدة الأمر بإظهار
التجلد فى الابتداء للبلاء ((ويستشفى)) أى يطلب الشفاء ((بالذكور)) أى الجلى والخنى
لشفاء الظاهر والباطن فإن ذكر الحبيب شكر اللبيب وسكر الطبيب ((والدعاء)) فإنه
يرد البلاء ويهون القضاء والدعوات المأثورة للشفاء نحو اللهم عافنى وعاف عنى
واسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ((والصلاة)) لقوله تعالى (واستعينوا
بالصبر والصلاة) أو الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لأن فى ذكر الخليل شفاء

وَالْقُرْآنَ . لَاسِيَا الْفَاتِحَةِ ، فَوَرَدَ « أَنَّهُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ » وَيَحْتَمِي بِهِمْ
أَمْرُوأَبَهُ ، وَيَدَاوِي فَوَرَدَ « تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ مَا مِنْ دَاءٍ إِلَّا وَلَهُ دَوَاءٌ إِلَّا السَّامَ »
وَيَسْتَوْهَبُ مَهْرَ امْرَأَتِهِ : وَاسْتَوْهَبَ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ مِنْ امْرَأَتِهِ أَوْ اسْتَقْرَضَ
فِي الْعَارِضَةِ مِنْ مَهْرِهَا فَاشْتَرَى بِهِ الْعَسَلَ

العليل (والقرآن) لأنه شفاء أهل الإيمان ودواء أهل الإيقان وشفاء أهل الطغيان
وخسران أهل العدوان فقد قال تعالى: (وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) (الاسيا الفاتحة) لأنها فاتحة كل خير ودافعة كل شر
وحزير (فوردانه) أي فاتحة الكتاب (شفاء من كل داء) أخرجه البيهقي في الشعب
من حديث عبد الله بن جابر ، وروى القشيري أن آيات الشفاء هي (ويشف صدور
قوم مؤمنين ، وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ، فيه شفاء للناس) وتنزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، وإذا مرضت فهو يشفين ، قل هو للذين
آمنوا هدى وشفاء) يكتب ويغسل ويشرب فانه مجرب (ويحتمي) أي حال الابتلاء
خصوصاً وقت الامتلاء (فهم) أي السلف (أمروأبه) أي بالاحتماء، وقد قيل
الاحتماء رأس الدواء، وأخرج الخليل من حديث عائشة مرفوعاً «اللازم دواء والمعدة
بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتاده واللازم بالزاي الحية وأخرج ابن أبي الدنيا عن وهب
ابن منبه قال: أجمعت الأطباء على أن رأس الطب الحية فلا يبعد أن يكون التقدير (فهم)
أي الحكما (أمروأبه) أي بالاحتماء (ويداوى) أي فانه لا يناقض التوكل ولا يناقض
(فورد تداوا عباد الله) أي اطلبوا دواء بعضكم من بعض يا عباد الله (ما من داء
إلا وله دواء إلا السام) أي الموت ففي مسند أحمد والسنن الأربع وابن جبان والحاكم
عن أسامة بن شريك مرفوعاً «تداوا عباد الله فان الله لم يضع داءً إلا أوضع له دواء
غير داء واحد الهرم» (ويستوهب مهر امرأته) أي يطلب الهبة من بعض مهرها
ويأكله فقيه شفاء لقوله تعالى: (فان طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً)
أي سائغاً غير ضار أولاً تنقص فيه في الدنيا ولا تبعه معه في الآخرة (واستوهب
على رضى الله عنه من امرأته) أي من مهرها (أو استقرض في العارضة) أي العلة
(من مهرها) شك من الراوى (فاشترى به العسل) لقوله تعالى: (فيه شفاء للناس)

وَمَزَجُهُ بِمَاءِ السَّمَاءِ وَشَرِبَهُ فَصَارَ سَبَبَ الشِّفَاءِ هَذَا وَإِزَالَةُ السَّكَنْجَبِينَ الصَّفْرَاءِ لَا يُفَارِقُ أَرْوَاءَ الْمَاءِ إِلَّا بِالتَّعَلُّقِ بِالنَّظَرِ وَالتَّوَقُّفِ عَلَى الشُّرُوطِ وَيَحْتَجِمُ ،
فورد « مَا مَرَرْتُ بِمَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا بِشْرُ أَمْتِكَ بِالْحِجَامَةِ » وَالْأَحَبُّ
وَالْأَنْسَبُ فِي سَبْعِ عَشْرَةَ وَتِسْعَ عَشْرَةَ وَاحِدَى وَعِشْرِينَ فَهُوَ مَأْثُورٌ لَا سِيَّامَا

(ومزجه) أى خطه (بماء السماء) أى المطر لقوله سبحانه (وانزلنا من السماء ماء طهورا) (وشربه فصار سبب الشفاء) أى حيث اجتمع فيه أسباب الدواء (هذا) أى مضى أو خذ هذا (وازالة السكنجين الصفراء لا يفارق ارواء الماء) أى كما قال الحكماء (الا بالتعلق) أى تعلق السكنجين في ازالة الصفراء (بالنظر) أى بالتأمل (والتوقف على الشروط) أى المتبعة التي ذكرها الأطباء فمن عرف المزاج وغلبة العلة وجودة الدواء ومقداره بحسب المزاج واقتداره لم يبق عنده فرق بين ازالة السكنجين الصفراء وبين ارواء الماء بخلاف من لم يعرف ذلك فانه لا ينفعه هنالك، وهذا جواب سؤال مقدر يرد على قوله عليه السلام «ما من داء» الحديث فان السكنجين مثلاً ربما لا يوافق لدفع الصفراء ويؤدى الى عطش مفرط فتقول استعماله موقوف بالنظر الى احواله ومتوقف على شروط استعماله، والحاصل ان الدواء سبب لدفع الداء فهم ما حصل السبب فيتلوه المسبب لا محالة في الأغلب كمعالجة الجوع بالطعام والعطش بالماء الحلو البارد وانما يتخلف نحو السكنجين لتوقفه على شروط دقيقة يعرفها الأطباء والحكماء بخلاف اشباع الطعام وارواء الماء، وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وترتيبه في الأبواب بكامل قدرته وجمال حكمته فلا يضر المتوكل استعمال الدواء مع النظر الى مسيئه دون الطيب والدواء (ويحتجم) اذا كان المرض دموياً أو مطلقاً لما ورد بالحجامة تنفع من كل داء ألا فاحتجموا» الديلى عن أبى هريرة (فورد ما مررت بملاً) أى جمع عظيم يملأ العيون من كثرتهم (من الملائكة) أى المقربين (الا قالوا بشر أمتك بالحجامة) أى بالعافية والسلامة بسبب الحجامة (والأحب) أى الأولى أن تقع الحجامة في النصف الأخير من الشهر لما رواه ابن أبى حبيب عن عبد الكريم معضلاً «الحجامة تكره في أول الهلال ولا يرجى نفعها حتى ينقص الهلال» (والأنسب في سبع عشرة وتسع عشرة واحدَى وعشرين فهو مأثور لا سيما)

إِذَا اتَّفَقَ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ سَبْعَ عَشْرَةَ، فُورِدَ «هُوَ دَوَاءٌ مِنْ دَاءِ سَنَةِ» الْآفَى الْقَفَا
فَهُوَ يُورِثُ النَّسْيَانَ وَيَحْتَبُ الْكَيَّ فْقِيهِ خَوْفُ السَّرَايَةِ وَالرَّقِيقَةِ، وَنَهَى عَنْهُمَا

أى خصوصاً (إذا اتفق يوم الثلاثاء سبع عشرة) من الشهر (فوردهو) أى الاحتجام لسبع عشرة من الشهر في يوم الثلاثاء (دواء من داء سنة) رواه ابن سعد والطبراني وابن عدى عن معقل بن يسار ولفظه والحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر دواء لداء سنة (الآفى القفا فهو يورث النسيان) روى الديلمى عن أنس مرفوعاً (الحجامة في نقرة الرأس تورث النسيان فتجنبوا ذلك، وقد احتجم عليه السلام في يافوخه من وجع كان به ذكره ابن الربيع، ورواه ابن سعد عن أنس والحجامة في الرأس هي المغينة أمرني بها جبريل حين أكلت طعام اليهودية، وفي رواية العقيلي عن ابن عباس والحجامة في الرأس أمان من الجنون والجذام والبرص ووجع الأضراس والنعاس، ورواه الطبراني وابن السني في الطب عن ابن عمر، وفي رواية الطبراني وأبي نعيم عن ابن عباس (الحجامة في الرأس شفاء من سبع إذا مانوى صاحبها من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها في عينه، وفي رواية ابن ماجه والحاكم وابن السني وأبي نعيم عن ابن عمر والحجامة على الريق امثل وفيها شفاء وبركة وتزيد في الحفظ وفي العقل فاحتجموا على بركة الله تعالى يوم الخميس واجتنبوا الحجامة يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد واحتجموا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء فانه اليوم الذي عافى الله فيه أيوب من البلاء واجتنبوا الحجامة يوم الأربعاء فانه اليوم الذي ابتلى فيه أيوب وما يبدو جذام ولا برص إلا في يوم الأربعاء أو في ليلة الأربعاء، وفي الصحيحين عن جابر مرفوعاً أن كان في شئ من أدويتكم خير فني شرطة محجم أو شربة من عسل أو لذعة بنار توافق داء وما أحب أن أكتوى) (ويحتمل الكي فقيه خوف السراية) أى سراية الم الكي الى الموت أو سراية المرض الى سائر الجسد (والرقية) أى ويحتملها إذا لم يعرف معناها من مبناها (ونهى عنهما) أى عن الكي والرقية، فروى الترمذى والحاكم عن عمر أنه عليه السلام «نهى عن الكي» وفي الحلية عن ابن عباس انه عليه السلام «كان يكره الكي» وفي رواية البزار عن أنس «سبعون ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يكتبون ولا يكونون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون» وأما الرقية بالقرآن والأدعية المأثورة فلا شك في جوازها بل

و يوصى بثلث المال، وأرضاء الخصوم وقضاء الدين وفدية الصلاة والصوم
فمن مات دون الوصية لا يؤذن له في التكلم مع الموتي في القبر الى يوم القيامة
ويغتتم الموت

في استحبابها فكان عليه السلام يرقى اللذيع بالفاتحة سبع مرات رواه الترمذى وغيره
عن ابى سعيد، وكان أيضا يرقى المعتوه بالفاتحة ثلاثة ايام غدوة وعشية كلما ختمها
جمع بزاؤه ثم تفلّه، رواه ابو داود والنسائى، وفي صحيح مسلم وغيره عن أبى سعيد «بسم
الله اريقك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم
الله اريقك، وروى ابن ماجه والحاكم عن أبى هريرة «الارقيق برقية رقاى بها جبريل
يقول: بسم الله اريقك والله يشفيك من كل داء يأتيك من شر النفاثات في العقد ومن
شر حاسد اذا حسد ترقى بها ثلاث مرات، واما قوله عليه السلام: «لشفاء بنت عبد الله
على حفصة رقية النملة» كما رواه أبو عبيد في الغريب عن أبى بكر بن سليمان بن أبى
خيشمة فقال الجلال السيوطى في شرح أبى داود: رقية النملة شيء كانت تستعمله النساء
يعلم كل من يسمعه انه كلام لا ينفع ولا يضر ورقية النملة كانت تعرف بينهن ان
يقال العروس تحتضب وتنعل وتحتفل وتكتحل وكل شيء يفعل غير أن لا يعصى
الرجل فاراد عليه السلام بهذا الكلام تأنيب حفصة وتوبيخها لأنهلقى اليها سرا
فأفسته (ويوصى بثلث المال) أى يجوز ان يوصى به ولو كان الأفضل دونه، وفي
الصحيحين عن ابن عباس «الثلث والثلث كثير» وفيهما عن سعد «انك ان تذر ورثتك
اغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس» الحديث (وارضاء الخصوم) أى
بالمال والاستحلال (وقضاء الدين) أو طلب ابرائه (وفدية الصلاة والصوم) أى
وبمقدار ان يفدى به الصلاة والصيام الفاتية لكل فرض ووتر نصف صاع وكذا
لكل يوم صوم (فمن مات دون الوصية) أى الواجبة عليه، وفي نسخة «دونها، أى
بغير الوصية» (لا يؤذن له في التكلم مع الموتي في القبر الى يوم القيامة) رواه ابو الشيخ
في الوصايا عن قيس، ولفظه «من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتي» وفي رواية
ابن ماجه «من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات
مغفورا له» (ويغتتم الموت) أى علامات حلوله وامارات نزوله في الخبر «تحفة المؤمن
الموت» رواه الطبرانى باسناد جيد عن ابن عمر به مرفوعا «وذلك لانه وسيلة الى

وَلَا يَسْتَعْلُ عِنْدَهُ بَغِيرُهُ تَعَالَى ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَيَقْرَأُ سُورَةَ الْقُرْآنِ فِي الْحَبْرِ «أَقْرَأُوا عَلَى مَوْتَاكُمْ» وَيَحْضُرُ الصَّلَاةَ وَلَا يَكْرَهُ السَّكْرَاتِ وَيُطِيبُ مَا حَوْلَ الْبَيْتِ فَهُوَ مُحَضَّرُ الْمَلَائِكَةِ وَيَجْتَهِدُ فِي هُدُوءِ الْجَوَارِحِ، وَوَرَدَ «أَرْقُبُوا عِنْدَ ثَلَاثٍ إِذَا رَشَحَ جَبِينَهُ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ

وصول مولاه وحصول لقائه» وفي الصحيحين عن أبي موسى مرفوعاً «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» (ولا يستغل) أي المحتضر (عنده) أي وقت حضور الموت (بغيره تعالى ظاهراً وباطناً) لقوله تعالى: (ارجعني إلى ربك راضية مرضية) (ويقرايس) أي بنفسه أو يقرؤه غيره فيستمعها (في الخبر أقرءوا على موتاكم يس) أي على من أشرف على الموت رواه أحمد وغيره عن معقل بن يسار (ويحضر الصلاة) أي ليعينه بالتلقين ويغثوه بالدعاء في شدة البلاء (ولا يكره السكرات) أي لأنها من جملة المكفريات أو من موجبات رفع الدرجات ويستحب أن يقول «اللهم اغني عن غمرات الموت وسكرات الموت» رواه الترمذي عن عائشة مرفوعاً (ويطيب ما حول البيت) أي ينظفه ويبخره، وفي نسخة «ما حول الميت» وهو المحتضر أو بعد تحقق الموت (فهو محضر الملائكة) أي ملك الموت وأعوانه أو الملائكة المبشرة لقوله تعالى: (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهون أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم) (ويجتهد في هذو الجوارح) أي سكونها عن الاضطراب فقد روي «موتوا قبل ان تموتوا» وفي هذا الباب وينبغي أن يكثر الحد فغن ابن عباس «المؤمن بخير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو بحمد الله تعالى» رواه النسائي (وورد ارقبوا) بضم القاف أي انظروا الامن والامان على المريض وقت ظهور احوال تطرق عليه في ذلك الزمان (عند ثلاث) أي من علامات لكل احد من أهل الايمان والكفران كما فصله بقوله (إذا رشح جبينه) أي عرقه، وفي رواية أبي داود والترمذي والنسائي عن بريدة وصحبه ابن حبان «المؤمن يموت بعرق الجبين» (وذرفت عيناه) أي سالت وذلك لان الدمعة علامة الرحمة

وَيُسْتَشْفَتُهُ فَهُوَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى قَدْ نَزَلَتْ بِهِ وَإِذَا غَطَّ غَطِيطَ
الْمُنْحَقِّ وَاحْمَرَّ لَوْنُهُ وَازْدَبَتْ شَفَتَاهُ فَهُوَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ قَدْ نَزَلَ بِهِ « وَكَلِمَةُ
التَّوْحِيدِ ، فُورِدَ « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ » وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ،
فُورِدَ « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ » وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ ، فُورِدَ
« لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ الَّذِي يَرْجُوهُ وَأَمَنَهُ اللَّهُ الَّذِي يَخَافُ
مِنْهُ » حِينَ قَالَ مُحْتَضِرُ أَرْجُو اللَّهَ وَخَافُ ذُنُوبِي

﴿ وَيُسْتَشْفَتُهُ ﴾ لَانَهُ مِنْ خَوْفٍ مَوْلَاهُ ﴿ فَهُوَ ﴾ اِىْ مَا ذَكَرَ مِنَ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ ﴿ مِنْ
رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى قَدْ نَزَلَتْ بِهِ وَإِذَا غَطَّ ﴾ اِىْ وَارْقَبُوا إِذَا غَطَّ ﴿ غَطِيطَ الْمُنْحَقِّ ﴾ اِىْ
صَوْتُ كَصَوْتِهِ وَهُوَ الصَّوْتُ الَّذِي يُخْرَجُ مَعَ نَفْسِ النَّاسِمِ أَوْ حَالِ خَنْقِهِ وَصَرَعِهِ
﴿ وَاحْمَرَّ لَوْنُهُ وَازْدَبَتْ شَفَتَاهُ فَهُوَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ قَدْ نَزَلَ بِهِ ﴾ وَمَعَ هَذَا يَحْسَنُ الظَّنُّ بِشَأْنِهِ
وَيَحْكُمُ بِإِيمَانِهِ لِأَنَّ الدَّلِيلَ الْمَذْكُورَ ظَنِّيٌّ فِي مَقَامِ بَرَهَانِهِ وَلَعَلَّهُ يَحْمَلُ عَلَى غَالِبِ أَحْيَانِهِ ﴿ وَكَلِمَةُ
التَّوْحِيدِ ﴾ اِىْ وَيَجْتَهِدُ فِي كَثَارَتِهَا مِنْهُ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ تَلْقِينًا لَوْ بِنَايَةٍ عَنْهُ ﴿ فُورِدَ مِنْ مَاتَ
وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ اِىْ وَإِنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﴿ دَخَلَ الْجَنَّةَ ﴾ اِىْ اسْتَحَقَّ
دُخُولَهَا وَلَا يَبْدُلُهُ مِنْ وَصُولِهَا ، وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ « مَنْ مَاتَ لَا يَشْرِكُ بِاللَّهِ
شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ » وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ عَنْ مُعَاذٍ « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ
الْجَنَّةَ » ﴿ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ ﴾ اِىْ وَيَجْتَهِدُ فِي حَسَنِ ظَنِّهِ بَرَبِهِ أَنْ يَرْحِمَهُ وَيَعْفُو عَنْهُ جُرْمَهُ ،
فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ عَنْ جَابِرٍ « لَا يَمُوتُ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسَنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ تَعَالَى » ﴿ فُورِدَ ﴾
فِي الصَّحِيحِينَ ﴿ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ﴾ اِىْ فِي مُعَامَلَتِي مَعَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
﴿ فَلْيُظَنَّ بِي مَا شَاءَ ﴾ اِىْ مِنَ الْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ فَإِنْ مَصِيرُهُ إِلَى وَحْسَابِهِ عَلَى أَنْ قَضَيْتَ لَهُ
مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فَلَا مَرَدَ لَهُ لِي ﴿ وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ ﴾ اِىْ وَيَجْتَهِدُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا
﴿ فُورِدَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ ﴾ اِىْ وَهُنَّ ﴿ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ الَّذِي يَرْجُوهُ ﴾ اِىْ مِنَ الْعَفْوِ
﴿ وَأَمَنَهُ اللَّهُ الَّذِي يَخَافُ مِنْهُ ﴾ اِىْ مِنَ الْعُقُوبَةِ ﴿ حِينَ قَالَ ﴾ ظَرَفَ وَرَدَ اِىْ فِي زَمَانٍ
قَالَ ﴿ مُحْتَضِرُ أَرْجُو اللَّهَ وَخَافُ ذُنُوبِي ﴾ وَفِي رَوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ
مُرْسَلًا وَلَفْظُهُ « مَا اجْتَمَعَ الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ فِي قَلْبِ مَنْ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ الرَّجَاءُ

وَيَكْرَهُ الْمُخْلَطُ الْفُجَاءَةَ دُونَ الطَّاعُونَ فِي أَرْضِ طَاعُونَ، فورد «من صبر في أرض طاعون كان له مثل أجر شهيد» *

﴿الباب الثامن في الصَّحبة﴾

وامنه الخوف» (ويكره المخلط) أي الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً (الفجاءة) أي موت البغنة لقوله تعالى: (عسى الله أن يتوب عليهم) فموت الفجاءة تفوته التوبة، وأما رواية أحمد عن عائشة مرفوعاً «موت الفجاءة راحة للمؤمن وأخذة أسف على الكافر» فمحمولة على المؤمن الصالح إذ الفاجر في حكم الكافر ولو من بعض الوجوه (دون الطاعون) أي لا يكره لجأته في الصحيحين عن أنس «الطاعون شهادة لكل مسلم» (فورد من صبر في أرض طاعون) أي ولم يخرج فراراً منه (كان له مثل أجر شهيد) وفي مسند أحمد وصحيح البخاري عن عائشة «الطاعون كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء وإن الله جعله رحمة للمؤمنين فليس من أحد يقم الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد» وفي رواية لأحمد عنها «الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والنار منها كالنار من الزحف» وفي رواية الطبراني في الأوسط عنها «الطاعون شهادة لأمته ووخر أعدائكم من الجن غدة كغدة الأبل تخرج في الآباط والمراق من مات منه مات شهيداً ومن أقام فيه كان كالمرباط في سبيل الله ومن فر منه كان كالنار من الزحف» وفي مسند أحمد «الطاعون لا يدخل مكة والمدينة» أي لما فيهما من نزول السكينة *

﴿الباب الثامن في الصَّحبة﴾

للصحبة تأثير بليغ في المنفعة والمضرة وإن كان الشخص قويا في حال المرتبة قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وفي رواية النسائي عنه عليه السلام «ما بال قوم يصلون معنا لا يحسنون الطهور فانما يلبس القرآن علينا أولئك» وفي رواية أحمد ومسلم عن أبي سعيد «يا أيها الناس إنها كانت أبيت ليلة القدر وإني خرجت إليكم لا أخبركم بها لجأ رجلان يختفان معهما الشيطان فنسيتهما

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَرَدَ «أَنَّ الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ حَوْلَ الْعَرْشِ لِبَاسُهُمْ نُورٌ وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ يَغْطِيهِمُ النَّيُّونُ وَالشَّهَدَاءُ»

فالتسوها في التاسعة والسابعة والخامسة، وفي رواية أحمد، والبيهقي عن ابن عباس، وأنه قيل يا رسول الله أبطأ عنك جبريل فقال لم لا يطئ عني وأتم حولي؟ لا تستنون ولا تقلبون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تقننوا وجبكم أي مفاصل أناملكم، وهذا والنظر إلى أهل الدنيا مضر لأهل العقب كما يشير إليه قوله تعالى : (لا تمدن عينيك إلى ما متعناه أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) وذلك لأنه سبب الغفلة عن المولى ومن هنا قال سعيد ابن المسيب « لا تنظروا إلى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة » بخلاف ما ورد « النظر إلى الكعبة عبادة » كما رواه أبو الشيخ عن عائشة « والنظر إلى عبادة » كما رواه الطبراني. والحاكم عن أبي مسعود وعن عمران بن حصين ، وذلك لأنهما وسيلتان إلى ذكر الله ، وورد أولياء الله الذين إذا رأوا ذكر الله ، (بسم الله الرحمن الرحيم) فهو أولى ما يصحب به لأنه الكريم الحليم ويستعان به على دفع الشيطان الرجيم والصاحب اللئيم (ووردان المتحابين) بتشديد الموحدة (في الله) أي في سيده لا بتغاء رضاه (على منابر من نور) أي إلهي موجب لأنواع من سرور توضع المنابر (حول العرش) أي في مكان المقرين (لباسهم نور) أي مجرد أو حرير يعلوه نور (ووجوههم نور) أي كنور شمس وبدور (يغبطهم النيون والشهداء) أي يطلبون مراتبهم مع أنهم من أكابر السعداء وهذا للبالغة في علو البهاء، والمعنى أن حالهم عند الله بمثابة لو غبط النيون والشهداء يومئذ حال غيرهم مع جلالة قدرهم لغبطهم في علو أمرهم ولا يبعد أن يراد به النيون والشهداء الذين لم يتيسر لهم التحاب مع الأولياء والأصفياء ، ويؤيده ما في الأحياء أنه يروى « أن الله تعالى أوحى إلى نبي من الأنبياء أما زهدك في الدنيا فقد تعجلت به الراحة وأما انقطاعك إلى فقد تعززت بي ولكن هل عادت في عدوا أهل واليت في وليا » والحديث رواه الطبراني عن معاذ « أن المتحابين في الله في ظل العرش » وفي رواية له عن أبي أيوب « المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش » وقال أبو ادريس الخولاني لمعاذ: أتى أحبك في الله فقال له : أبشر سم أبشر فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة ووجوههم كالقمر ليلة البدر يفرح الناس وهم لا يفرحون ويخاف الناس وهم لا ينفون

فَالْحُبُّ فِيهِ تَعَالَى كَحُبِّ عَالَمٍ يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ وَحَالِهِ . وَصَالِحٌ يُتَبَرَّكُ بِهِ .

وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: هم المتحابون في الله ، كذا في الأحياء، وقال أخرجه رواه أحمد والحاكم في حديث طويل أن أبا إدريس قال قلت: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ فِي اللَّهِ قَالَ فَنَاقِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَنَّ الْمُتَحَابِّينَ لَجَلَالُ اللَّهِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ، قَالَ الْحَاكِمُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ عَنْ مُعَاذٍ بَلَفَظَ « الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِ اللَّهِ مِنْ نُورٍ يَغْطِيهِمُ النَّبِيُّونَ وَالشَّهَدَاءُ » ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ « أَنَّ اللَّهَ عِبَادًا لِيَسُوءَ بَانِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْطِيهِمُ الْإِنِّيَاءُ وَالشَّهَدَاءُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ وَقَرِيبِهِمْ مِنَ اللَّهِ ، الْحَدِيثُ وَفِيهِ تَحَابُّو فِي اللَّهِ وَتَصَافُوا بِهِ يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وَجُوهَهُمْ نُورًا وَيُثَابِهِمْ نُورًا يَفْرَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْرَعُونَ وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، وَرَوَى النَّسَائِيُّ فِي سَنَنِ الْكِبَرِيِّ وَرَجَالَهُ ثِقَاتٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ نَحْوَ الْعَرْشِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَيْهَا قَوْمٌ لِبَاسُهُمْ نُورٌ وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ لِيَسُوءَ بَانِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْطِيهِمُ النَّبِيُّونَ وَالشَّهَدَاءُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَفِّهِمْ لَنَا فَقَالَ: هُمُ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ وَالْمُتَجَالِسُونَ فِي اللَّهِ وَالْمُتَرَاوِرُونَ فِي اللَّهِ ، (فَالْحُبُّ فِيهِ تَعَالَى) كُلُّ حُبٍّ لَوْلَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ لَمْ يَتَصَوَّرْ وَجُودُهُ فَهُوَ مَنبَعٌ مِنَ الْإِيمَانِ وَمُسْتَزِيدٌ بِالْإِيْقَانِ فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْحُبَّ أَمَّا أَنْ يَكُونَ لِمَعْنَى فِي ذَاتِ الْمَحْبُوبِ كَحُبِّ الصُّورِ الْجَمِيلَةِ وَالسَّيْرِ الْحَمِيدَةِ الْجَمِيلَةِ وَهُوَ حُبٌّ بِالطَّبِيعِ وَشَهْوَةُ النَّفْسِ أَذْهَرُ مَنبَعٌ مِنْهَا وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ لِلتَّوَصُّلِ بِهِ إِلَى مَقْصُودٍ آخَرَ لَيْسَ فِي ذَاتِ الْمَحْبُوبِ وَذَلِكَ أَمَّا أَنْ يَكُونَ نَفْسُ الدُّنْيَا وَمَتَعْلَقًا بِالْآخِرَةِ وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مَتَعْلَقًا بِاللَّهِ فَالْأَوَّلُ لَيْسَ مِنَ الْحُبِّ فِي اللَّهِ لِأَنَّهُ مَنبَعٌ مِنَ الدُّنْيَا وَالثَّانِي عَدٌّ مِنَ الْحُبِّ فِي اللَّهِ (كَحُبِّ عَالَمٍ) أَيْ كَحُبِّ الْعَالَمِ الَّذِي (يُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ وَحَالِهِ) أَيْ مِنْ جَمَلَةِ أَقْوَالِهِ وَسَائِرِ أَعْمَالِهِ وَآخِلَاقِهِ وَأَحْوَالِهِ (وَصَالِحٌ يُتَبَرَّكُ بِهِ) أَيْ بِدَعَائِهِ وَإِبَاتِهِ وَحَسَنَ مَا لَهُ فِي مَنَالِهِ إِذَا الْعَالَمُ يُسْتَفَادُ مِنْ عَلَيْهِ وَالصَّالِحُ يُسْتَفَادُ مِنْ عَمَلِهِ وَحُلِهِ فِي الدُّنْيَا وَيَرْجَى شَفَاعَتُهُ فِي الْعَقْبَى فَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ اسْتَذْكُرُوا مِنَ الْإِخْوَانِ فَإِنْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ شَفَاعَةٌ فَلَمَّا كُنْتَ تَدْخُلُ فِي شَفَاعَةِ أَخِيكَ ، وَرَوَى فِي غَرِيبِ التَّفْسِيرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) أَيْ يَشْفَعُهُمْ فِي إِخْوَانِهِمْ فَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ مَعَهُمْ وَلِذَا حَثَّ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ عَلَى الصَّحْبَةِ وَالْإِفْتِرَاقِ الْمُخَالَطَةِ كَرَهُوا

وَأَمْرًا تَفَرُّغَ لِلْعِبَادَةِ بِتَدْيِيرِ أَمْرِ الْبَيْتِ . وَغَنَى يُعْطَى مَا لَا يَصُونُ الْوَقْتَ
عَنِ الضَّيَاعِ فِي الطَّلَبِ . وَتَتَعَبَّدُ لَهُ تَعَالَى ، فَالْحُبُّ لِلشَّيْءِ حُبٌّ لِحُبِّهِ وَمُحَبُّوهُ
وَكَذَا الْمُبْغِضُ .

الإنفراد والعزلة ، ولأبي عبد الرحمن السلي من حديث على مرفوعا « من سعادة
المرء ان يكون اخوانه صالحين ، فالأخ الصالح ان نسي ذكره وان ذكره اعانه ويشير
اليه قوله تعالى حكاية عن موسى : (واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي أشد به
أزرى واشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) وفي رواية أبي داود من
حديث عائشة رضي الله عنها « اذا اراد الله بالامير خيرا جعل الله له وزير صدق ان
نسي ذكره وان ذكره اعانه » ونقل في الاحياء معنى الحديث وعبر عنه بقوله : من اراد
الله به خيرا رزقه أخا صالحا الحديث والأخ الصالح يشمل العالم والمتعلم فمن عسى عليه السلام
من علم وعمل وعلم فذلك يدعى في الملكوت عظيما ﴿ وامرأة تفرغ ﴾ أي الرجل
﴿ للعبادة بتدبير أمر البيت ﴾ وما يتعلق به من اصلاح حاله وحفظ ماله وصيانة دينه
ولذا ورد في الاخبار « وفور الأجر والثواب للاتفاق على العيال حتى اللقمة يضعها
الرجل في في امراته ، كما تقدم والله أعلم ﴾ (وغنى يعطى مالا) أي قدر حاجة العالم أو
العابد ﴿ يصون الوقت ﴾ أي يحفظ وقتها ﴿ عن الضياع في الطلب ﴾ أي يحفظ
وقتها عن الضياع في الطلب أي طلب مالا بدلهما منه فقد كان جماعة من السلف
تكفل بكفالتهم جماعة من أولى الثروة وكان المواسي والمواسي جميعا من المتحايين في
الله ﴿ ومتعبد له تعالى ﴾ أي المبتدئ في العبادة والمظهر لها المشير الى انه من أهل
السعادة ﴿ فالحب للشئ محبة ومحبة ﴾ وقد ورد في الدعاء « اللهم اني اسألك حبك
وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك » ﴿ وكذا المبغض ﴾ أي للشئ مبغض
لمبغضه ومبغوضه ، وفي الجملة من أحب الله وأحب رضاه ولقائه اذا أحب غيره كان
محبا في الله لأنه لا يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضا الله
ومن هنا قيل : أحب العالم جميعه لأنه خلقه وصوره وأحسن خلقه وقد قال أبو مدين المغربي :

لاتنكر الباطل في طوره • فانه بعض ظهوراته

وقد قيل : ان المؤمن اذا أحب المؤمن أحب كلبه ، وقال جنون بنى عامر :

امر على الديار ديار ليلي • اقبل ذا الجدار وذا الجدارا

ويزدادان بقوة الطاعة . والمعصية ويتقصان بضعفهما ، فالأدنى ألا خوة ثم
الحبة . وهي ما يمكن في حبة القلب ، ثم الخلطة وهي ما تخلل

وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا
فالخلوقات بأسرها مظاهر للصفات الجمالية والتعوت الجلالية فليس في الكون
سوى الله ومصنوعاته فمن أحب انسانا أحب صنعته ، ولذا كان عليه السلام « اذا حمل
عليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وقال انه قريب عهد بربنا » الطبراني في الصغير
من حديث ابن عباس وهذا بالنظر الى التوحيد الصرف وحقيقته ، وأما في مقام
الشريعة وطريقته فلا بد من اعطاء كل ذى حق حقه فينادى ويقال : الهى ارنا الاشياء
كما هى والله ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه
وبذلك يتم الكمال فقد ورد « أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله » رواه
احمد من حديث البراء بن عازب ، وورد أيضا « من أحب لله وابغض لله وأعطى الله
ومنعه الله فقد استكمل الايمان » رواه ابو داود عن أبي امامة (ويزدادان) أى الحب
والبغض (بقوة الطاعة) وكثيرتها (والمعصية) أى في الحب والمحجوب (ويتقصان
بضعفهما) لانهما مترتبان على وجودهما ووجودهما يكون على قدر شهودهما ، وحد
الحب في الله ان كل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو
حب في الله وكذا زيادة الحب وقد يغلب الحب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما
هو حظ المحجوب وانشد :

أريد وصاله ويريد هجرى * فترك ما اريد لما يريد
وقال سمنون المحب :

فليس لى في سواك حظ * فكيف ماشئت فاخترنى
(فالأدنى) أى أدنى مراتب الحب المعبر عنه بالمصاحبة (الاخوة) فعن أنس
« ما أحدث عبد أخا في الله عز وجل الا أحدث الله عز وجل له درجة في الجنة » ابن أبي
الديان في كتاب الاخوان (ثم الحبة) وهى الموجبة لزيادة الصفة من الآخرة (وهى
ما يمكن في حبة القلب) أى سوداته وخاصة اجزائه وخلاصة اثنا عشر من أنس وماتحباب
اثنان في الله الا كان احبهما الى الله أشدهما حباً لصاحبه ابن حبان والحاكم وقال صحيح
الاسناد (ثم الخلطة) بالضم أى الصداقة والمحبة الصادقة (وهى ما تخلل) أى توسط

فِي سِرِّهِ وَلَا شَرَكَةَ فِيهَا، فَوَرَدَ « وَلَوْ كُنْتَ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَا تَتَّخِذُ أَبَا بَكْرٍ
 خَلِيلًا وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ » بِخِلَافِ مَا سَوَّاهَا، فَوَرَدَ « عَلَى مَنْ
 بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي » فَيَصَاحِبُ الْعَاقِلُ وَالْحَسَنُ الْخَلْقَ
 فَاشْتَرَا طَهُمَا مَأْتُورًا.

الحب وتداخل امره (في سره) بحيث لا يسع له محبة غيره وهذا معنى قوله (ولا شركة فيها) أي في الخلقة لا أحد سوى الله بل هي خاصة له سبحانه فلا بد من انفراد الخليل في حب الجليل الجليل (فورد ولو كنت متخذًا خليلًا) أي من المخلوقات (لا تتخذت أبا بكر خليلًا) لكونه عندي خليلًا (ولكن صاحبكم) يعني نفسه (خليل الرحمن) أي وحيه فلا نسع في قلبه خلقة غيره، والحديث رواه أحمد والبخاري عن أبي الزبير والبخاري عن ابن عباس بلفظ « لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لا تتخذت أبا بكر خليلًا ولكن أخي وصاحبي » وعن الزجاج الخليل هو الذي ليس في صحبته خلل، وقيل: الذي يوالى فيه ويعادى فيه، وقيل: الخليل هو المحب المحض لشيء غيره ولهذا قال عليه السلام: « اني ابرأ الى كل خليل من خلتي ولو كنت متخذًا الحديث، فهذا منه عليه السلام قطع المخالفة بينه وبين غيره من الأنام واستشكل قول أبي هريرة وبعض الصحابة خليلي عليه السلام واجيب بان المنفى ان يتخذ هو خليلًا وما نفي ان يتخذ غيره خليلًا (بخلاف ما سواها) أي غير الخلقة من المحبة والاخوة فانه يتصور الشراكة في كل منهما (فورد) أي في الاخوة وكال محبة (على منى بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي) رواه أبو بكر الطليري في جزئه عن أبي سعيد وفي رواية الطبراني عن ابن عمر « على أخي في الدنيا والآخرة، (فيصاحب العاقل) والعالم العامل (والحسن الخلق) وهو الفاضل الكامل وقد قال عليه السلام « يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق قال أبو هريرة وما حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك، اليه في الشعب من حديث الحسن، مرسلًا عن أبي هريرة اذ لم يسمع منه (فاشترطهما مأثور) وذلك لان مدار الصحة والالفة عليهما فالبعد عن اللاحق والسبي الخلق اولى واحق، وقد ورد من حديث أبي هريرة برواية أبي داود والترمذي وحسنه والحاكم وقال: صحيح ان شاء الله والمرء علي دين خليله فلينظر احدكم من يخاله، فلا بد ان يتميز بصفات يرغب

وَالْقَانِعُ فَصْحَةُ الْحَرِيصِ سُمِّ قَاتِلٌ وَالصَّالِحُ فَالْفَاسِقُ يُسْتَحَقُّ الْمَقْتُ ،

بسببها في صحبته اما العقل فهو رأس المال لتحصيل الكمال، وعن علي كرم الله وجهه: لا تصحب اخا الجمل فايالك واياه فكم من جاهل اردى حليما حين واخاه يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاهه وللشيء على الشيء مقاييس واشباهه وللقاب على القلب دليل حين يلقاه كيف واللاحق قد يضرك وهو يريد تفعل وقال الجنيد لان يصحبي فاسق حسن الخلق احب الى من ان يصحبي قارى سبى الخلق، اقول وذلك لانه اذا غلب عليه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه في ذلك فيعاملك بمقتضى ما غلب عليه من الاخلاق هنالك فاذا غلب عليه غضب اجترأ عليك أو شهوة آثر نفسه عليك أو بخل قطع بك أحوج ما يكون اليك أو جبن لم ينصرك بل ضرره يرد عليك ﴿ والقانع ﴾ أى يصاحبه ﴿ فصحة الحرص سم قاتل ﴾ أى يسرى من حيث لا يدري ﴿ والصالح ﴾ أى ويصاحب المتقى فعن أبى ذر مرفوعا «الوحدة خير من المجلس السوء والمجلس الصالح خير من الوحدة» رواه الحاكم ﴿ فالفاسق ﴾ وهو مرتكب الكبيرة والمصر على الصغيرة ﴿ يستحق المقت ﴾ وهو الغضب وهو ينافى الحب فقد قال الحسن: مصارمة الفاسق قربان الى الله وقد يقال: يجب الفاسق لأجل ايمانه ويغض بسبب عصيانه لكن لا بد من عدم قربانه، ثم المستدع أولى بان يحتنب في صحبته سراية البدعة، وعن عيسى عليه السلام تحببوا الى الله بيغض أهل المعاصي وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم واتمسوا رضى الله بسخطهم قالوا: ياروح الله فن نجاله؟ قال: جالسوا من تذكركم الله رؤيته ومن يزيد في عملكم كلامه ومن يرغبكم في الآخرة عمله وقد قال علي رضى الله عنه رجلا :

ان أخاك الحق من كان معك • ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب زمان صدك • شئت فيه شمله ليجمعك

وقال بعض العلماء: لا تصحب الا احد رجلين رجلا تعلم منه شيئا من أمردنك أو رجلا تعلمه شيئا في أمر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه فالمدار في الصفة على المنفعة فورده مثل الأخوين اذا التقيا مثل الدين تغسل احدهما الأخرى وما التقى مؤمنان قط الا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا، رواه السلى في آداب الصفة والديلى عن أنس، وفي الخبر «المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه» أبو داود عن أبى هريرة أى يجمع عليه معيشته ويحفظ عليه

حالته، بقوله «المؤمن مرآة المؤمن» أى يرى منه ما يرى من نفسه فيستفيد المرء
 باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب
 صورته الظاهرة، وقال الشافعي: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية
 فقد فضحه وشانه والله سبحانه يعاتب المؤمن يوم القيامة تحت كنفه وفي ظل ستره
 ويوقفه على ذنوبه سرا، وأما أهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد ويستنطق
 جوارحهم بفصائحهم بين العباد، وقيل: الاخوان ثلاثة احدهم مثل الغذاء لا يستغنى
 عنه والثاني مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثل الداء لا يحتاج
 اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع منه، وقال علقمة
 العطاردي في وصيته لابنه: يا بني ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من
 اذا خدمته صانك واذا صحبتك زانك وان قعدت بك مؤبة مانك اصحب من اذا مددت
 يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها، اصحب من
 اذا سأك أعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت
 صدق قولك واذا حاولنا أمرا أمرك واذا تنازعنا آثرك، قال ابن ابي عمير: لا تأكل
 فاك هذا فقيل له: اندرى لم أوصاه بذلك؟ قال: لا قال لأنه أراد أن لا تصحب احدا هنالك، هذا
 وعن الحسن بن علي لا يغرنك قول من يقول: المرء مع من أحب فانك لن تالحق الا برار الا
 باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم أقول: وربما يقال: ان
 الكفر حبيبهم ومنعهم وأما الايمان فيرجى أن يجمعهم فورد «من أحب قوما حشر
 معهم» كما أورده الحاكم وقد يقال: محبتهم لانبيائهم ليست خالصة لله بل لكونهم من
 أبنائهم، ولذا ورد من أحب أن يجد طعم الايمان فليحب المرء لا يحبه الا لله تعالى
 رواه الطبراني عن أبي هريرة وقال رجل لمحمد بن واسع: اني لأحبك في الله فقال احبك
 الذي أحببتني لأجله ثم حول وجهه وقال: اللهم اني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لى
 مبغض، وفي الجملة كما ورد الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
 اختلف، رواه مسلم من حديث أبي هريرة. والبخاري تعليقا من حديث عائشة، ورواه
 الطبراني في الأوسط عن علي «ان الارواح في الهواء جند مجندة تلتقي فتشام» وعنه
 عليه السلام «ان ارواح المؤمنين تلتقي على مسيرة يوم وما رأى أحدهم صاحبه»
 أحمد من حديث عبد الله بن عمرو فالجنسية علة الظم فروى «ان امرأة بمكة كانت
 تضحك النساء وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدينة فدخلت على عائشة رضى
 الله عنها فاضحكتها فقالت: اين نزلت؟ فذكرت لها فقالت صدق الله ورسوله سمعت

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «الأرواح جنود مجندة» الحديث رواه الحسن بن سفيان في مسنده، وعنه عليه السلام «لو أن مؤمنا دخل إلى مجلس فيه مائة منافق ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس إليه ولو أن منافقا دخل إلى مجلس فيه مائة مؤمن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه» البيهقي في الشعب موقوفا على ابن مسعود، ومن هنا قيل: إن الله ملائكة تجر الأهل إلى الأهل، ويشير إليه قوله تعالى: (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) وقال بعض الحكماء: كل إنسان يأنس إلى شكله كما أن كل طير يطير مع مثله، وإذا اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد أن يفتقرا في الاستقبال، ورأي يومًا ما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك وقال: اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال: من هنا اتفقا، هذا وقد اختلف طرق السلف في اظهار البغض مع أهل المعصية واتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله بمعصية تجاوزت منه إلى غيره فاما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة كلهم ومنهم من شدد الإنكار واختار المهاجرة فقد كان أحمد بن حنبل يهجر الاكابر في أدنى كلمة حتى يهجر يحيى بن معين في قوله اني لأسأل أجدا شيئا ولو حمل السلطان إلى شيئا لاخذته، وهجر الحارث المحاسبي في تصنيفه للرد على المعتزلة وقال: انك اولا توردهم وشبههم وتحمل الناس على التفكير فيها ثم ترد عليهم، وهجر ابا ثور في تأويله قوله عليه السلام كما في مسلم من حديث أبي هريرة «ان الله خلق آدم على صورته» كذا ذكره في الاحياء ولم يبين تأويله ف قيل على صفته الجلالية والجلالية أو على صفته من السمع والبصر والكلام وقيل الضمير في صورته لآدم والله أعلم والحاصل ان مختار الامام أحمد ان هذا الحديث من احاديث الصفات المشككات كالآيات المتشابهات تؤمن لمبناها ولا تتعرض لمعناها مع اعتقاد نزاهة الله سبحانه عن المشابهة بالمخلوقات ومقتضاها، واما الجمهور فاختاروا مهاجرة أهل المعصية للعلم بان الذين شربوا الخمر وتعاطوا فواجش الأمر في زمانه عليه السلام وايام أصحابه الكرام فلم يكونوا يهجرونهم بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم إلى من ينلظ القول فيه ويظهر البغض إليه وإلى من يعرض عنه ولم يتعرض لما لديه وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة ولا يؤثر التباعد والمقاطعة وهذا هو المناسب لهذه الأمة فانهم اتبعوا عني الرحمة، وما يدل على تخفيف الأمر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روى البخاري من حديث أبي هريرة «ان شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهو يوعده فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال عليه السلام: لا تكن عونًا للشيطان على أخيك»

وَيَقْدُمُ حَاجَتُهُ فِي الْمَالِ وَالنَّفْسِ وَهُوَ الْأَوَّلَى ثُمَّ التَّسْوِيَةُ ، ثُمَّ التَّأْخِيرُ وَإِنْ
عَدِمَ هَذَا فَلَا إِخَاءَ وَالْأَوَّلَانِ مَأْثُورَانِ ، وَوَرَدَ «مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِبًا
وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ إِلَّا سُئِلَ عَنْ صُحْبَتِهِ هَلْ أَقَامَ فِيهِ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ أَضَاعَهُ
حِينَ أُعْطِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقْدُومَ الْمُسَوِّاتَيْنِ إِلَى الْمُصَاحِبِ وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ
الصَّدِيقُ وَقَالَ أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ» أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ *

﴿وَيَقْدُمُ حَاجَتُهُ﴾ أى حاجة أخيه ﴿فِي الْمَالِ﴾ أى إعطائه ﴿وَالنَّفْسِ﴾ أى حفظها ﴿وَهُوَ﴾
أى التقديم ﴿الْأَوَّلَى﴾ أى لانه للمقام الأعلى لقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ
بِهِمْ خِصَاصَةٌ﴾ أى بجماعة، ولقد كان بعض الانصار بمن أخى النبي ﷺ يذنبون بينه وبين أحد
من المهاجرين انه أعطاه أحسن داريه وأتمن بستانيه واحسن امرأته، وقال ابن عمر
أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: أخى فلان اجوج منى فبعث
به اليه فبعثه ذلك الانسان الى آخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى رجع الى الاول
بعد ان تداوله سبعة، وقيل أربعون ﴿ثُمَّ التَّسْوِيَةُ﴾ أى المساواة فى المال بينه وبين أخيه
على السوية فقد عرض سعد بن الربيع نصف ماله واحدى زوجتيه على عبد الرحمن بن
عوف فقال لعبد الرحمن: بارك الله لك فى اهلك ومالك رواه البخارى من حديث
أنس ﴿ثُمَّ التَّأْخِيرُ﴾ أى تأخير حق صاحبه عن حق نفسه فان فضل منه شيء فليصرفه
الى أخيه ﴿وَأَنْ عَدِمَ هَذَا﴾ أى الاخير وهو التأخير ﴿فَلَا إِخَاءَ﴾ بل هو فى مقام التقصير
﴿وَالْأَوَّلَانِ﴾ أى التقديم والتسوية ﴿مَأْثُورَانِ﴾ أى مرويان عن السلف الكرام
كما قلنا ﴿وَوَرَدَ مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِبًا وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ إِلَّا سُئِلَ عَنْ صُحْبَتِهِ
هَلْ أَقَامَ فِيهِ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ أَضَاعَهُ﴾ وفى نسخة أم أضاعه ﴿حِينَ أُعْطِيَ﴾ أى ورد الحديث
المتقدم حين أعطى ﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقْدُومَ الْمُسَوِّاتَيْنِ﴾ أى اعدلهما ﴿إِلَى الْمُصَاحِبِ وَهُوَ
أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ وَقَالَ أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ﴾ فقال ما قال وفى الاحياء ان اقتداء الكل
فى الاثار برسول الله ﷺ فانه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سوا كين
احدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول الله كنت
أحق بالمستقيم منى فقال ما من صاحب الحديث قال مخرجه لم أقف له على أصل أقول
لكن رواه ابن جرير الطبرى كما ذكره ابن عطية فى تفسيره ﴿أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾

وَيَمَارِزُ قَسَائِمَهُمْ يَنْفَقُونَ ، وَكَانُوا لَا يُمَيِّزُونَ أَمْلًا كَهُمْ ، وَيُظْهِرُ الْبَشَاشَةَ فِيهِ
وَالسُّرُورَ . وَيَقْبَلُ الْمَنَّةَ . وَلَا يُحَوِّجُهُ إِلَى السُّوَالِ ، فَهُوَ تَقْصِيرٌ ،

وبما رزقاهم ينفقون) أى كانوا اخطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض،
وكان فيهم من لا يصحب من قال: نعلي لانه اضافته الى نفسه (وكانوا لا
يميزون املا كهم) كما حكى عن ابراهيم بن شيان كنا لانصحب من يقول نعلي،
وقال أبو محمد القلانسي وكان استاذ الجند: صحبت اقواما بالبصرة فاكرموني
فقلت مرة لبعضهم: اين ازارى؟ فسقطت من أعينهم ومن هنا قيل الصوفي لا يملك ولا يملك
فهو كالمالك (ويظهر البشاشة فيه) أى في اتفاق صاحبه (والسرور) أى الفرح
بسيبه فقد جاء فتح الموصلي الى منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه
فتفتحه فاخذ حاجته فاخبرت الجارية مولاهما فقال: ان صدقت فانت حرة سرورا بما فعل
وذلك لانه دل على صداقته كما حقق في قوله تعالى (أوصديقكم) وقال تعالى: (او ما ملكتكم
مفاتيحه) وكان الاخ يدفع مفاتيح بيته الى أخيه ويفوض اليه التصرف فيه وكان
يتخرج عن الأكل بحكم التقوى حتى انزل الله هذه الآية (واذن لهم) في الانبساط في طعام
الاخوان والاصدقاء (ويقبل المنّة) أى على نفسه بقبول المصاحب احسانه فقد جاء
رجل الى أبي هريرة وقال: اني أريد أن أواخيك في الله فقال: أتدرى ما حق الاخاء؟ قال
عرفني قال ان لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني فقال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال
فاذهب عني، وقال علي بن الحسين لرجل: هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه أو كيسه
فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه؟ قال لا قال فلست باخوان، وجاء رجل الى ابراهيم بن أدهم
وهو يريد بيت المقدس فقال له: أريد أن أرافقك فقال له ابراهيم: على أن اكون
أملك لشيتك منك قال لا قال أعجبني صدقك (ولا يحوجه) أى أخاه (الى السؤال)
أى أصل الطلب أو مقداره بل يبادره للبواساة بالمال قبل كشف الحال (فهو) أى
الاحواج الى السؤال (تقصير) في مقام الكمال فان أدنى الاعانة هو القيام بالحاجة
عند السؤال، وقد قال أبو سليمان الداراني: كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في
النواب فاقول: اعطني من مالك شيئا وكان يلقي الى كيسه فأخذ منه ما أريد لجنته ذات
يوم فقلت له: أحتاج الى شيء. فقال كم تريد؟ فخرجت حلاوة اخاته من قلبي، وقال بعضهم
اذا طلبت من أخيك مالا فقال: ماذا تصنع به؟ فقد ترك حق الأخاء، قال بعضهم: اذا

ويتودد باللسان ويتفقد الأموال ويظهر المشاركة معه في السرّاء والضراء.

استقضيت أخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فاعلمه أن يكون قد نسي فإن لم يقضها فتوضاً للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وقرأ هذه الآية (والموتى يبعثهم الله) وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله وكانوا لا يفقدون من أبيهم الا غيبته بل كانوا يرون منه مالا يرون من أبيهم في حياته، وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار أخيه ويسأل ويقول : هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة ؟ فكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه ، وقال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لا تبال بعداوته، وكان الحسن يقول : اخواننا أحب الينا من أهلنا وأولادنا لان أهلنا يذكروننا بالدنيا واخواننا يذكروننا بالعقبى ﴿ ويتودد باللسان ﴾ أى بالكلام مرة وبالسكوت تارة فقد ورد « رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر » الطبراني في الاوسط عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده فقال أنس : « كان عليه السلام لا يواجه أحدا بشيء يكرهه » رواه الترمذى وغيره ولكن مدار الصنعة والاخوة على النصيحة بل ورد « ان الدين النصيحة » فمن قنع بالسكوت صحب أهل القبور في البيوت ، وينبغي أن تعلم انك لو طلبت منزها عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجدد من تصاحبه ساعة كما ورد « الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة واخبر قلبه » وانشد :

أتمنى على الزمان محالا ان ترى مقتلئى طلعة حر

فما من أحد من الناس الا وله محاسن ومساوى فاذا غلبت المحاسن المساوى فهو الغاية والمنتهى في المني ، وفي الصحيحين « لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا » فالتجسس يتطلع الاخبار والتحسس بالمراقبة بالاخبار فستر العيوب والتجاهل والتغافل عن الذنوب شيمة أهل الدين من التخلق باخلاق علام الغيوب فورد « يا من أظهر الجميل وستر القبيح » . ﴿ ويتفقد الأحوال ويظهر المشاركة معه في السرّاء والضراء ﴾ فورد « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه » رواه الشيخان ، وقد نظر أبو الدرداء الى ثورين يحرثان في فدان فوقف أحدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى أبو الدرداء وقال : هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا رقت أحدهما واقفه الآخر ، وفي المثل لولا الوثام لهلك الأنام ، وقد

وَيَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ، وَوَرَدَ «إِذَا أَحْبَبْتَ أَحَدًا فَاسْأَلْهُ عَنْ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ
وَعَنْ مَنْزِلِهِ» وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُوهُمْ بِالْكُنَى «وَيْثْنَى عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ»
صَادِقًا مُقْتَصِدًا بَحِيثٌ يَبْلُغُ إِلَيْهِ فَهُوَ يُؤَكِّدُ الْمَحَبَّةَ وَيُنْبِئُ عَلَى الْعُيُوبِ مُتَلَطِّفًا فِي الْخَلَاءِ

ورد «المؤمنون كرجل واحد» اشتكى رأسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى
كله ، أحمد. ومسلم عن النعمان بن بشير، ولا تصحب أحدا لا يرى لك من الفضل كمثل
ما ترى له ((ويدعوه بأحب الأسماء)) أى أسمائه فى حال ندائه فعن عمر رضى الله عنه
ثلاث يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه إذا لقته وتوسع له فى المجلس وتدعوه
بأحب أسمائه إليه ((وورد إذا أحببت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله))
رواه البيهقى عن ابن عمر ولفظه «إذا آخيت رجلا فاسأل عن اسمه واسم أبيه فان كان
غائبا حفظه وان كان مريضا عدته وان مات شهدته» وفى رواية ابن سعد والبخارى
فى تاريخه والترمذى عن يزيد بن نعمة الضبي بلفظ «إذا آخى الرجل الرجل فليسأله
عن اسمه واسم أبيه وممن هو فانه أوصل بالمودة -ومن هو- أى من أى قوم أو قبيلة
هو» ((وكان عليه السلام)) يدعوم أى أصحابه الكرام ((بالكنى)) إذا كانوا معروفين
بالكنية كأبى بكر ونحوه حتى قال يا أبا عمير ما فعل الثغير ((ويثنى عليه)) أى على
أخيه ((وعلى أهله)) أى من أبيه وبنيه بل على صنعته وفعله وخلقه وهيبته وعقله
وجميع ما يفرح به حال كونه ((صادقا)) فى قوله ((مقتصدا)) أى متوسطا فى
مدحه لا مقصرا ولا مفرطا فى وصفه ويكون معلنا به ((بحيث يبلغ إليه
فهو يؤكّد المحبة)) أى يزيد بها لديه ((وينبئ على العيوب)) أى الناشئة من
الذنوب ((متلطفا)) فى بيانها ((فى الخلاء)) خوفا من الفضيحة فى الملاء فورد
«المسلم مرآة المسلم فاذا رأى به شيئا فليأخذه» ابن منيع عن أبى هريرة، وقد قيل
لمسعر: تجب من يخبرك بعيوبك فقال: ان نصحنى فيما بينى وبينه فنعلم وان قرعنى
فى الملاء فلا، وعن عمر رضى الله عنه «رحم الله من أهدى إلى عيوب نفسه» وقال لسلمان
وقد قدم عليه ما الذى بلغك عنى بما تكره؟ فاستغنى فالح عليه فقال: بلغنى ان لك حلتين
تلبس احدهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغنى انك جمعت بين ادا من على مائدة واحدة
فقال عمر: اما هذا فقد كفيتها فما فعل بلغك غيرهما فقال لا، وكتب حذيفة المرعى
إلى يوسف بن اسباط بلغنى انك بعت دينك بمحبتين وقفت على صاحب لبن فقلت بكم

فَفِي الْمَلَأِ إِفْضَاحٌ وَفِيهِ الْوَعْدُ بِعِقَابِهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَسْكُتُ إِنْ عِلِمَ عَلَيْهِ
وَعَدَمُ اتِّفَاعِ النَّصِيحِ لِكَوْنِهِ مَأْسُورَ الطَّبْعِ، وَالْقَطْعُ حَيْثُنَا سَلِمَ وَالْإِبْقَاءُ اقْرَبُ لِرَجَاءِ
تَأْثِيرِ الصُّحْبَةِ فِيهِ، فَوَرَدَ «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ صَاحِبِ الْمَسْكِ» وَلِأَنَّ الْقَطْعَ
مَنْهَى عَنْهُ بِخِلَافِ الْإِبْتِدَاءِ فَتَرْكُهُ مَأْمُورٌ بِهِ وَيَتَجَاهَلُ عَنْ تَقْصِيرِهِ إِلَّا إِذَا أَدَّى الْإِسْتِمْرَارُ
إِلَى الْقَطْعِ فَلَا أَوْلَى الْإِحْتِمَالِ

هذا فقال بسدس قلت بثن فقال: هو لك وكان يعرفك (في الملاء إفضاح) أى
إشاعة فيها فضاحة وإيضاح (وفيه) أى فى الإفضاح (الوعد بعقابه تعالى الى يوم
القيامة) لقوله سبحانه: (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب
أليم فى الدنيا والآخرة) وهذا كله فى عيب وهو غافل عنه فانه يرجى النفع منه (ويسكت
ان علم عليه به) أى بعينه (وعدم اتففاع النصيح) أى بسببه (لكونه مأسور
الطبع) لاميهور الشرع (والقطم حيثئذ) أى قطم مصاحبه (اسلم) بل انصب
(والابقاء) أى ابقاء اخوته (اقرب لرجاء تأثير الصحبة فيه) فيقبل النصيحة
بعده وقيل القطم أولى لمن كان ضعيفا والابقاء لمن كان قويا (فورد مثل الجليس
الصالح مثل صاحب المسك) البخارى عن أبى موسى ولفظه «مثل الجليس الصالح
والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكبير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك
أما تشتريه أو تجدر يجهو وكبير الحداد يحرق بدنك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة» (ولان
القطم منهى عنه) أى فى الانتهاء لحديث «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه» أحمد فى
مسنده (بخلاف الابتداء فتركه مأمور به) لتلايقع فى البلاء بحديث «لاتصاحب
الامؤنا» أى كاملا أحمد وغيره (ويتجاهل عن تقصيره) أى فى خدمته أو محبته
قال الاخنف: حق الصديق ان يتحمل منه ثلاثة ظلم المعصية وظلم اللذة وظلم الهفوة
(الا اذا أدى الاستمرار الى القطم) أى جواز مقاطعته (فالاولى الاحتمال)
وهو مختار أهل السكال فقد اختلف الصحابة والتابعون فى ادامة مودته أو مقاطعته
فذهب أبو ذرالى الانقطاع فقال: اذا انقلب أخوك عما كان عليه فانفض من حيث
احبته ورأى ذلك من مقتضى الحب فى الله والبغض فى الله، وأما أبو الدرداء وجماعة
من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال أبو الدرداء: اذا تغير أخوك وحاله عما كان عليه

ثُمَّ الْعَتَابُ فِي السَّرِّ وَالْكِتَابَةُ بِالْكِتَابَةِ، ثُمَّ التَّصْرِيحُ ثُمَّ الْمَشَافَهَةُ إِذَا الْمَقْصُودُ إِصْلَاحُ
النَّفْسِ بِرِغَايَةِ الْحَقِّ وَتَحْمِيلِ الْأَذَى . وَيَقْبَلُ الْمَعْدِرَةَ . فَعَلَى مَنْ لَمْ يَقْبَلْهَا مِثْلُ
إِثْمِ صَاحِبِ الْمَكْسِ ،

فَلَا تَدْعُهُ لِأَجْلِ ذَلِكَ فَإِنْ أَخَاكَ يَعْجُجُ مَرَّةً وَيَسْتَقِيمُ أُخْرَى، وَفِي الْخَبَرِ : « اتَّقُوا زَلَةَ الْعَالَمِ
وَلَا تَقْطَعُوهُ وَانْظُرُوا فَيْتَهُ » الْبَغْوِيُّ فِي الْمَعْجَمِ وَابْنُ عَدَى فِي الْكَامِلِ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو
ابْنِ عَوْفٍ الْمَزْنِيِّ (ثُمَّ الْعَتَابُ فِي السَّرِّ) حَكَى عَنْ أَخَوَيْنِ مِنَ السَّلَفِ انْقِلَابَ أَحَدِهِمَا
مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ فَقِيلَ لِأَخِيهِ الْإِتْقَانُ وَتَهْجَرُهُ فَقَالَ : أَحُوْجُ مَا كَانَ إِلَى فِي هَذَا الْوَقْتُ
لَمَا وَقَعَ فِي عَشْرَتِهِ أَنْ أَخَذَ يَدَهُ وَانْتَلَفَ لَهُ فِي الْمَعَاتِبَةِ عَلَى الْخَالَفَةِ وَادْعُوهُ بِالْعُودِ إِلَى
مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوَافَقَةِ (وَالْكُنْيَا بِالْكِتَابَةِ ثُمَّ التَّصْرِيحُ) أَيْ فِي السَّرِّ وَالْكُنْيَا
وَالْإِظْهَارِ أَنَّ السَّرَّ فِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةَ فِي الْعَلَانِيَةِ فِي حَدِيثِ عَمْرِو وَنَدَسْتُ عَنْ أَخٍ كَانَ أَخَاهُ
خَرَجَ إِلَى الشَّامِ فَسَأَلَ عَنْهُ بِهِضَ مِنْ قَدَمٍ عَلَيْهِ فَقَالَ : مَا فَعَلَ أَخِي فَقَالَ ذَلِكَ أَخُو الشَّيْطَانِ
قَالَ : مَهْ قَالَ : أَنَّهُ قَارَفَ الْكِبَارَ حَتَّى وَقَعَ فِي الْخُرْقِ فَقَالَ : إِذَا أُرِدْتَ الْخُرُوجَ فَاتَّذَنِّي فَكُتِبَ
عَمْرٌ عِنْدَ خُرُوجِهِ إِلَيْهِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَمْدُ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ . ذِي الطَّرْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ)
ثُمَّ عَاتَبَهُ تَحْتَ ذَلِكَ وَعَزَلَهُ فَلَمَّا فَرَأَى الْكِتَابَ بَكَى وَقَالَ صَدَقَ اللَّهُ وَفَصَحَ عَلَى عَمْرِو قَتَابَ وَرَجَعَ
(ثُمَّ الْمَشَافَهَةُ) أَيْ أَنْ كَانَ غَائِبًا وَلَمْ يَتَعَبَّ بِصَرِيحِ الْمَكَاتِبَةِ فِي الْمَعَاتِبَةِ (إِذَا الْمَقْصُودُ)
أَيْ الْأَصْلِي (إِصْلَاحِ النَّفْسِ بِرِغَايَةِ الْحَقِّ) أَيْ حَقِّ الْمَصَاحِبَةِ (وَتَحْمِيلِ الْأَذَى)
عَلَى رِجَاءِ الْمَرَاةِ قَدْ قِيلَ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ : لَا تَبْغُضْ أَخَاكَ وَقَدْ فَعَلَ كَذَا فَقَالَ : إِنَّمَا ابْغُضْ
عَمَلَهُ وَلَعَلَّهُ اقْتَبَسَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : (فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) حَيْثُ لَمْ
يَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ مِرَاعَاةَ لِحَقِّ الْقَرَابَةِ وَأَخُوَّةِ الدِّينِ آكَدَ مِنْ أَخُوَّةِ الْفَرَاةِ وَلِذَا قِيلَ
لِلْحَكِيمِ : إِيْمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ أَخُوكَ أَوْ صَدِيقُكَ فَقَالَ : إِنَّمَا أَحَبُّ أَخِي إِذَا كَانَ صَدِيقًا وَكَانَ
الْحَسَنُ يَقُولُ كَمْ مِنْ أَخٍ لَمْ تَلِدْهُ أَمْلَكَ وَلِذَا قِيلَ الْقَرَابَةُ تَحْتَاجُ إِلَى الْمُوَدَّةِ وَالْمُوَدَّةُ لَا تَحْتَاجُ
إِلَى الْقَرَابَةِ (وَيَقْبَلُ الْمَعْدِرَةَ) أَيْ وَجُوبًا (فَعَلَى مَنْ لَمْ يَقْبَلْهَا مِثْلُ إِثْمِ صَاحِبِ الْمَكْسِ)
وَهُوَ الَّذِي يَأْخُذُ بِالْمَالِ ظُلْمًا مِنَ التَّاجِرِ كَالْعَاشِرِ، وَقَدْ وَرَدَ : مَنْ عَظَرَ إِلَى أَخِيهِ بِمَعْدِرَةٍ
فَلَمْ يَقْبَلْهَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطِيئَةِ مِثْلُ خَطِيئَةِ صَاحِبِ الْمَكْسِ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهٍ وَأَبُو دَاوُدَ
فِي الْمَرَاةِ مِنْ حَدِيثِ جُودَانَ، وَاخْتَلَفَ فِي صِحَّتِهِ وَبَاقِي رِجَالِهِ ثِقَاتٌ ، وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ

وَيَدْعُو لَهُ فَيَسْتَجَابُ فِيهِ مَا لَا يُسْتَجَابُ لِنَفْسِهِ وَلَهُ مِثْلُ ذَلِكَ. وَيَحْفَظُ الْوَفَاءَ
بِالثَّبَاتِ عَلَى الْحُبَّةِ مَعَهُ وَمَعَ أَهْلِهِ . وَإِخْوَانُهُ فَكَانُوا يُبَالِغُونَ فِيهِ فَيُحِبُّونَ كَلْبَ
الْحَبِيبِ ، وَوَرَدَ « إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ وَإِنْ كَرَّمَ الْعَهْدُ مِنَ الْإِيمَانِ حِينَ
أَكْرَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعُجُوزًا » وَالْأَصْلُ تَسْوِيَةُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَالْغَيْبَةِ وَالْحَاضِرِ .
وَلَا يَغْيِرُ الْحَالُ

في الأوسط من حديث جابر بسند ضعيف ، هذا وقد قيل : ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك
سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فردا للوم على نفسك وقل لقلبك : ما اقساك
يعتذر اليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المغيب لا أخوك (ويدعو له)
أى فى الحضور والغيبة (فيستجاب فيه) أى فى حق أخيه (ما لا يستجاب لنفسه)
فعن عبد الله بن عمرو « ان اسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب ، أبو داود
والترمذى ، وعن أبى الدرداء « دعوة الاخ لأخيه مستجابة » رواه مسلم (وله مثل ذلك)
فى صحيح مسلم من حديث أبى الدرداء اذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قال
الملك ولك بمثل ذلك (وتحفظ الوفاء) أى وفاء العهد قال تعالى : (وأوفوا بعهد الله
اذا عاهدتم) بالثبات على المحبة معه ومع أهله وإخوانه (أى فى حال غيبته وبعد موته
وبعد زمانه) (فكانوا) أى السلف (يببالغون فيه) كما تقدم ، وورد « قبل الوفاء
بعد الوفاة خير من كثير فى الحياة » (فيحبون كلب الحبيب) أى مراعاة لقلب الحبيب
ويشير اليه قوله سبحانه (وطلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) والله در القائل :

رأى المجنون فى البيداء كلبا قد له من الاحسان ذبلا

فلاموه على ما كان منه وقالوا لم منحت الكلب نبلا

فقال دعوا الملامة ان عيني رأتة مرة فى حى ليلي

(وورد انها) أى العجوز (كانت تأتينا أيام خديجة وان كرم العهد) أى حسنة
وبقائه (من الايمان) أى كماله (حين) أى ورد حين (أكرم عليه السلام
بعجوزا) أى دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال : انها الحديث (والأصل) أى فى
حقوق الصفة (تسوية الظاهر والباطن والغيبة والحضور) والا فلا يكون مراعىا
موافقا بل يكون رأييا متافقا (ولا يغير الحال) أى من التواضع فى الفعل والقول

عند ارتفاع القدر فهو من اللؤم . ولا ينفرد عنه في أكل اللذيذ . وحضور السرور ويستوحش عند فراقه ويساعده إلا فيما يخالف الحق فالوفاء فيه هو الخلاف . ويشاوره . ولا يحفظ السر عنه ولا يحب عدوه لئلا يكون *

(عند ارتفاع القدر) أى باتساع الجاه أو زيادة المال (فهو من اللؤم) أى السوء والخساسة وأصل اللؤم ضد الكرم ، ولقد قال بعض أرباب السكال :

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن وأوصى بعض السلف ابنه فقال : يا بني لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك ، وحتى الربيع أن الشافعي آخى رجلا ينفد ثمن أخاه رلى السييين ومما نهران احدهما بالبصرة والآخر في ذنابة الفرات فتغير له عما كان عليه فكتب الشافعي هذه الايات اليه :

اذهب فودك من ودادى طالق أبدا وليس طلاق ذات البين
فان ارعويت فانها تطليقة ويدوم ودك لى على ثنتين
واذا امتعت شفعتها بمثلها فتكون تطليقتين في حيضين
فاذا الثلاث اتتك منى بنة لم يغرب عنك ولاية السييين
(ولا ينفرد عنه في أكل اللذيذ) وكذا شربه وفي لبسه بل ينبغي أن يؤثره على نفسه (وحضور السرور) لانه بحضوره يحصل نور على نور (ويستوحش) أى يحزن (عند فراقه) أى ليكمال اشتياقه اليه وقد قيل :

وجدت مصيبات الزمان جميعها سوى فرقة الاحباب هينة الخطب
اى سهلة الامر وانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقدمت اقرانا فارقهم منذ ثلاثين سنة ماتخيل لى ان حسرتهم ذهبت من قلبي وانشدت عائشة رضى الله عنها :
ه ذهب الذين يعاش في اكنافهم البيت (ويساعده) أى يوافقه في الأمور (الا فيما يخالف الحق) فقد ورد « لا طاعة لخلق في معصية الخالق » أحمد والحاكم عن عمران وفي الصحيحين عن علي « لا طاعة لاحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف » وفي رواية أحمد عن أنس « لا طاعة لمن لم يطع الله » (فالوفاء) أى الوفاق (فيه) أى في الخلاف (هو الخلاف) أى الشقاق (ويشاوره) لقوله تعالى : (وامرهم شورى بينهم) (ولا يحفظ السر عنه) حيث لا يخاف الشر منه (ولا يحب عدوه لئلا يكون

شريكاً له في العداوة ويخفف بترك التكلف والتكليف في أداء الحقوق وغيرها كنوافل العبادات تركاً وإتياناً ،

شريكاً له في العداوة) أى ومن الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه ، قال الشافعى : اذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك (ويخفف) أى ثقالة الصعبة ومؤنة الكلفة (بترك التكلف) أى في نفسه (والتكليف) لصاحبه (في أداء الحقوق وغيرها) والمراد بها ما يلزم مروءة لازوم شريعة قال بعض الحكماء : تمام التخفيف بطل بساط التكليف حتى لا يستحي منه فيما لا يستحي من نفسه ، ومن هنا قيل اذا ثبت المحبة سقط الأدب ، وقال على رضى الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراته والجأك الى اعتذار في حالاته ، وقال الفاضل : انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه ، وقيل لبعضهم من تصحب قال من يرفع عنك نفل التكلف يوترقه طينتك وينته مؤنة التحفظ ، وعن جعفر بن محمد أنفل اخوانى على من يتكلف لى واتحفظ منهم و اخفهم على قلبى من اكون كما اكون وحدى ه والحاصل انه لا ينبغي ان يكلف اخاه ما يشق عليه في حالاته بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفقه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ومشقاته وناناته ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تبر كابدعائه واستيناسا بلفائه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله تعالى في تقوية يقينه ، وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت يعنى لانهم كل ما يرونه انما يرونه من الرب ولا ينظرون الى السبب وقال آخر : لا تصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر عنك اذا أسأت ويحمل عنك مؤنة تفصك ويكفيك مؤنة نفسه وهذا عزيز الوجود في ميدان الشهود (كنوافل العبادات تركاً وإتياناً) أى فعلا قال الامام حجة الاسلام : ومن التخفيف وترك التكلف والتكليف ان لا يعترض في نوافل العبادات لان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين أربعة معان ان أكل احدهم الدهر كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان جلى الليل كله لم يقل له نم وتستوى حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت جرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة ، وقد قيل من سقطت كلفته دامت ألفته ومن خفت مؤنته دامت مودته ، ومن مفادات شيخنا العارف بالله الولي نور الدين على المتقى في هامش

فورد «أنا واتقياء أمتي براء من التكلف، ويرفع الآداب عند تمام الاتحاد
فالمقصود صفاء القلب والآداب عنوانه، ويزور غبا، فورد «زرعبا زردحبا»
إلا أن يأمن من الملل وينوي فيه الاستئناس باللقاء والاستعانة على الدين،

هذا الكتاب الموجز النقي: أعلم ان الله تعالى خفف على عباده في عبادات التوافل تخفيفين
احدهما انه خفف في اصل التكليف يعني اذا لم يأت الشخص بعبادة النفل رأسا لا
تكلف عليه ولا مؤاخذه لديه، وثانيهما في وصفه من التكلف لجواز صلاة النفل حالة
العود مع القدرة والر كوب متوجها الى أى جهة ونحوها فينبغي للمصاحب ان يتخلق
باخلاق الله تعالى ويخفف في حقوق الصلوة مثل هذا التخفيف في عبادة النافلة مثلا اذا
اشترب المصاحبان على انفسهما شرطين بان قال احدهما على مؤنة السلق والطبخ وقال
الآخر: على تحصيل الماء والخطب فاذا قصر احدهما في شرطه بان يأت باصل الشرط
مطلقا فلا يؤاخذه لان التكلف متروك في النفل واذا أتى باصل الفعل ولكن أتى بترك
التكلف بان طبخ طعاما مالحا أو قليل الملح فلا يؤاخذه لان التكلف متروك أيضا وعلى
هذا القياس ينبغى في جميع حقوق الصلوة مراعاة هذه القاعدة الصعبة، والله در المؤلف
حيث أتى بهذه العبارة الوجيزة في مبانيها مع كثرة معانيها ﴿فورد انا واتقياء أمتي
براء من التكلف﴾ الدار قطنى في الافراد من حديث الزبير بن العوام ولفظه «الا
أتى برى من التكلف وصالحوا متي» واسناده ضعيف ويقويه قوله تعالى: (قل ما أسألكم
عليه من اجر وما انا من المتكلفين) أى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى فمن يقول شيئا
من تلقاء نفسه فقد تكلف في امره وكذا الحكم في فعله ﴿ويرفع الآداب﴾ أى من
القيام والاعتذار ونحوهما مع أهل الوداد ﴿عند تمام الاتحاد﴾ فعند كمال الانبساط
مع الاصحاب يطوى بساط الآداب ﴿فالمقصود صفاء القلب﴾ مع اجاب الرب
﴿والادب﴾ أى الظاهر ﴿عنوانه﴾ فاذا عرف أصل المكتوب فلا يحتاج الى
عنوانه من المطلوب ﴿يزور﴾ أى صاحبه ﴿غبا﴾ أى يوما بعد يوم أو وقتا بعد
وقت ﴿فورد زرعبا زردحبا﴾ للحصول الاشتياق الى الوصال ﴿الا أن يأمن من
الملل﴾ أى الموجب للقطع فى الاستقبال ﴿وينوى فيه﴾ أى فى التزاور ﴿الاستئناس﴾
أى طلب الانس ﴿باللقاء﴾ أى لقاء أهل اليقين ﴿والاستعانة على الدين﴾ كما هو

والتقرب إليه تعالى بأقامة الحق وتحمل المؤنة ويسلم على المسلم وإن لقيه مرارا
أوحالت شجرة أو جدارا أو يا تجديد عهد الإسلام أن لا يؤذى في عرضه وماله
قبل الكلام، فورد « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجبه حتى يبدأ بالسلام،

شأن المجتهدين » والتقرب اليه تعالى بأقامة الحق أي حق الاخوة والصحة)) وتحمل
المؤنة)) أي كلفة الالفة، في مسند احمد وغيره عن ابن عمر « المؤمن الذي يخاطب الناس
ويصبر على أذاهم افضل من المؤمن الذي لا يخاطب الناس ولا يصبر على أذاهم » وفي رواية
الدارقطني عن جابر « المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف خير
الناس انفعهم للناس » وقد قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) الآية
هذا وجاء في الخبر « ان الله يقول حق محبي للذين يتزاوون من اجلي وحق محبي
للذين يتحابون من اجلي » احمد من حديث عمرو بن عتبة وعبادة بن الصامت والحاكم
وصححه، وعن أنس « ما زار رجلا في الله الا ناداه ملك من خلقه طبت وطابت لك
الجنة » رواه ابن عدي والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة « من عاد مريضا أو
زار اخا في الله ناداه مناد من السماء طبت وطاب لك شأنك وتبوات من الجنة منزلا »
وعنه عليه السلام « ان رجلا زار أخاه في الله فارصد الله له ملكا فقال اين تريد ؟ قال اريد
ان أزور اخي فلانا فقال الحاجة لك عنده ؟ قال لا قال القرابة بينك وبينه ؟ قال لا قال فلنعمه
له عندك ؟ قال لا قال فم قال احبه في الله قال فان الله ارسلني اليك يخبرك بانه يحبك
لحبك اياما وقد اوجب لك الجنة » رواه مسلم من حديث أبي هريرة « ويسلم على المسلم »
صغيرا او كبيرا غنيا او فقيرا الحديث « افشوا السلام واطعموا الطعام » الترمذي عن
أبي هريرة، وفي رواية الحاكم عن أبي موسى « افشوا السلام بينكم تحابوا » وفي رواية البيهقي
من حديث هاني بن يزيد « ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام » (وان
لقيه مرارا) أي مرة بعد مرة لعموم قوله عليه السلام « حق المسلم على المسلم ست اذا
لقيته فسلم عليه » رواه مسلم (اوحالت شجرة أو جدار) وكذا السطوانة (ناويا)
أي بهذا السلام (تجديد عهد الاسلام) أي بـ (ان لا يؤذى) بصيغة المعلوم أو
المجهول (في عرضه وماله) أي وسائر أحواله (قبل الكلام) متعلق بيسلم أي يأتي
بالسلام قبل ان يشرع في الكلام فانه تحية أهل الاسلام حتى في دار السلام (فورد
من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجبه) أي لا ترد عليه الكلام (حتى يبدأ بالسلام)

وَعِنْدَ الدُّخُولِ فِي بَيْتِهِ وَبَيْتِ غَيْرِهِ لَثَلًا يَدْخُلُ الشَّيْطَانُ مَعَهُ وَهُوَ مَأْمُورٌ بِهِ،
وَإِنْ كَانَ خَالِيًا فَتَحِيَّتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَالْمَلَأَتْكَ تَرْدَهُ وَالدُّخُولُ
فِي قَوْمٍ وَالْخُرُوجُ عَنْهُمْ لِيَكُونَ مُشَارِكًا لَهُمْ فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَيُبْدَأُ بِهِ فَهُوَ الْمُرَوِيُّ

أى ويترك الابتداء بالكلام، والحديث رواه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية
عن ابن عمر ولفظه « من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه » () وعند الدخول في
بيته () أى يسلم على أهله فللترمذى عن أنس أنه قال عليه السلام وله إذا دخلت على أهلك
فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك () وبيت غيره () أى كذلك () لثلا يدخل
الشيطان معه () لحديث جابر « إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فان الشيطان اذا
سلم أحدكم لم يدخل بيته ، الخرائطى في مكارم الاخلاق () وهو مأثور بد () أى فى
قوله تعالى : (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى على جنسكم من المسلمين () وان
كان () أى البيت () خاليا () وهو اعم من بيته وبيت غيره () فتحته () أى حينئذ
يكون بلفظ () السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فالملأته () أى الحفظة أو
الكتبة () ترده () فانهم من جملة عباد الله الصالحين () والدخول () أى ويسلم عند دخوله
() فى قوم () أى على قوم وهو ظاهر متعارف () والخروج () أى ويسلم أيضا عند
خروجه () عنهم ليكون مشاركا لهم فى كل خير () أى ابتداء وانتهاء ولان السلام الاول
للبلافة والثانى للموادعة ولعل هذا وجه التكرار فى قوله سبحانه : (لا يسمعون فيها
لغو ولا تأثيما إلا قلائدا سلا ماسلاما) ولاى داود والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة
« اذا انتهى أحدكم الى مجلس فليسلم فان بداله ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست
الاولى باحق من الآخري () ويبدأ به () أى بالسلام () فهو المروى () أى عنه عليه
السلام انه كان يبدأ بالسلام كما فى الشمائل ، وفى نسخة ويدير ، وفى مسند احمد عن أبى امامة
« من بدأ بالسلام فهو أولى بالله ورسوله » وقد قال العلماء : ان هذه سنة اجراها أكثر من
جواب السلام مع انه فرض وذلك لما فى البدء به من التواضع ولانه تسبب فى اداء
الفرض ، وقد ورد « اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل
درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا رد عليه ملا خير منهم واطيب ، البيهقى فى
الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا والبخاري عنه مرفوعا « السلام اسم من اسماء
الله تعالى وضعه الله فى الارض فافشوه بينكم فان الرجل المسلم اذا مر بقوم فسلم عليهم »

وَلَا يُسَلِّمُ عَلَى جَمْعِ النِّسَاءِ وَيُرَدُّ عَلَيْهِنَّ وَلَا عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَالْأَذَانِ وَقَضَاءِ
الْحَاجَةِ وَنَحْوِهَا فَلَا يَكَلِّمُ فِيهَا . وَلَا اللَّعِبَ بِالشَّطْرَنْجِ وَنَحْوِهِ إِهَانَةً . وَلَا يَرُدُّ
فِيهَا . وَيَزِيدُ فِي الْجَوَابِ ، فَوَرَدَ (وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها)
وَالْأَوَّلَى بِالْبَدَاةِ الدَّاخِلِ وَالْمَاشَى وَالرَّاكِبِ وَالصَّغِيرِ وَالْقَلِيلِ ،

الحديث (وَلَا يُسَلِّمُ عَلَى جَمْعِ النِّسَاءِ) أى من الاجانب (ويرد عليهن) أى اذا
سلمن عليه فان الرد فرض فلا يترك لتوهم الوقوع فى الريبة ، وكان أنس يمر على الصبيان
فيسلم ويروى عن رسول الله ﷺ انه فعل ذلك رواه الشيخان ، وفى النسائي عن أنس
« انه عليه السلام كان يزور الانصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤوسهم » (ولا)
أى ولا يسلم (عند تلاوة القرآن) أى لا على تاليه ولا على مستمعيه لئلا يقع خلل فيه
(والأذان) لاشتغال المؤذن والمجيب به (وقضاء الحاجة ونحوها) أى من الحمام
وكشف العورة وحالة الجماع (فلا يكلم فيها) أى مطلقا فضلا عن السلام ورده ،
وعن ابن عمر « أن رجلا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يرد عليه ،
(ولا اللعب) أى ولا يسلم عند اللعب (بالشطرنج) أى على لاعبه ومن معه من
صاحب (ونحوه) أى النرد ومجلس الشرب وآلات القناء وأمثالها (إهانة) ولا يرد
فيها) أى فى المذكورات التى لا يسلم فيها (ويزيد فى الجواب) أى بطريق الاستحباب
(فورد واذا حييتم بتحية) أى اذا سلم عليكم بسلام وقيل السلام عليكم (فحيوا باحسن
منها) أى بالزيادة عليها فقولوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته (أو ردوها)
أى قولوا فى جوابها مثلها (والاولى بالبداة) أى ببداة السلام (الداخل) على
المدخول عليه (والماشى) على القاعد ونحوه (والراكب) على النازل (والصغير)
على الكبير (والقليل) على الكثير ، ففى الصحيحين عن ابى هريرة « يسلم الراكب
على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير واذا بلغ
سلاما من أحد فليقل وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، رواه الستة عن عائشة أو
« وعليك وعليه السلام » رواه النسائي عن أنس كذا فى الحصن فيجوز الاكتفاء
بالأول والجمع بينهما أفضل وأو للتويع فى اختلاف الرواية ، وفى الاذكار يعنى اذا
بعث انسان مع انسان سلاما فقال الرسول: يسلم عليك فلان يجب عليه أن يرد على

وَرَدَّ « إِذَا سَلَّمَ وَاحِدٌ مِنَ الْقَوْمِ أَجْزَأَ عَنْهُمْ ، وَلَا يُشِيرُ بِالْأَصْبَعِ وَلَا كُفٌّ
فَهُوَ عَادَةُ الْكُفَّارِ مِنْهُيٌّ عَنْهُ ، وَلَا يَخْصُ الْمَعَارِفُ ،

النور ويستحب أن يرد على المبلغ أيضا فيقول عليك وعليه السلام، ثم الأفضل أن يقول المسلم السلام عليكم بصيغة الجمع وإن كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويأتي بواو العطف ويجوز تكثير السلام أيضا، وأما الجواب فقل الاستجاب عليك السلام أو وعليكم السلام فإن حذف الواو فقال عليكم السلام اجزأه ذلك، وفي الصحيحين عن أبي هريرة « خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال له اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحبونك فأنها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوا ورحمة الله، انتهى، وفيه دليل على أن السلام عليك يصلح للتحية وجوابها لكن بشرط أن يكون أحدهما بعد الآخر فلا تقامعا فإنه حيثنذ يجب على كل واحد جواب الآخر فتدبر ﴿ وورد إذا سلم واحد من القوم أجزأ عنهم ﴾ مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم مرسلا، ولا يروى من حديث علي يجرى عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزى عن الجلوس أن يرد أحدهم فلم أن السلام سنة كفاية فإن جوابه فرض كفاية، وفي الدليل على أن السلام تطوع والرد فريضة ﴿ ولا يشير بالأصبع ولا كف فهو عادة الكفار ﴾ أي من أهل الكتاب ﴿ منهي عنه ﴾ ففي الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « لا تشبهوا باليهود والنصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصبع وتسليم النصارى الإشارة بالكف » وفي رواية أبي يعلى وغيره عن جابر « تسليم الرجل بأصبع واحدة يشير بها فعل اليهود » والمعنى أنه لا يكتفى بها عند السلام فلو جمع بين الإشارة والسلام لزيادة الإعلام أو لبعد المقام أو لكون المسلم عليه لا يسمع الكلام فلا بأس به إلا أنه لا بد من إسماع كل منهما خلافا لما يفعله كثير من العامة وبعض الطلبة باخفاء السلام أورده والاكتفاء بإشارة بعض الأعضاء من اليد أو الرأس، ويؤيده حديث عبد الحميد ابن بهرام أنه عليه السلام « مر في المسجد يوما وعصبة من الناس قعود قالوا بيده بالتسليم أي مقرونا به وأشار عبد الحميد بيده » رواه الترمذي وقال حسن وقال أحمد لا بأس به ورواه أبو داود وابن ماجه من وجه آخر ﴿ ولا يخص المعارف ﴾ بالتسليم

فَهُوَ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ . وَلَا يَبْدَأُ بِعَلَيْكَ السَّلَامُ فَهُوَ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ . وَيُصَافِحُ
لَا سِيَّامَا الْكِبَرَاءُ فِي الدِّينِ فَهُوَ مِنْ تَمَامِ التَّحِيَّةِ ، وَوَرَدَ « فِيهَا قُسِمَتْ مِائَةٌ مَغْفِرَةٍ
تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ لِأَحْسَنِهَا بَشَرًا »

بل يعلم السلام على من يعرف ومن لا يعرف اذا عرف بالاسلام فان السلام من حقوق
المسلم على المسلم (فهو) أى تخصيص المعارف بالسلام (من اشراط الساعة)
اى علاماتها التى من جعلتها قلة العلم وكثرة الجهل (ولا يبدأ بعليك السلام فهو
تحية الميت) أى يجوز ان يقال له ذلك ويقال السلام عليك اذ صح انه عليه السلام
قال « السلام عليكم دار قوم مؤمنين » وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك
السلام فقال ان عليك السلام تحية الميت قاله ثلاثا ثم قال اذا لقي أحدكم أخاه فليقل
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » رواه الترمذى والنسائى فى اليوم والليلة . وقال
الترمذى : حسن صحيح (ويصافح) أى صاحبه من المتقين (لاسيما الكبراء والدين)
من العلماء والاولياء والشرفاء اذا كانوا من الضعفاء لالسلطين والامراء والوزراء
(فهو) أى التصافح (من تمام التحية) وعن الحسن المصافحة تزيد فى المودة ، وعن
أبي هريرة مرفوعا « تمام تحياتكم بينكم المصافحة » الخرائطى فى مكارم الاخلاق وهو
عند الترمذى من حديث أبى امامة وضعفه (وورد فيها) أى فى المصافحة (قسمت مائة
مغفرة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا) فعن أبى هريرة « اذا التقى المسلمان فتصافحا
قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لاشبهما واطلقهما وابرهما واحسنهما مساواة
باخيه » الطبرانى فى الأوسط ، وعن أنس « اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة
رحمة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا » الخرائطى بسند ضعيف ، وعن عمر مرفوعا
« اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادى
تسعون وللمصافح عشرة » البزار فى مسنده والخرائطى واللفظ له والبيهقى فى الشعب
وقد ورد « قبله المسلم اخاه المسلم المصافحة » الخرائطى وابن عدى من حديث أنس وقال
غير محفوظ والمعنى ان المصافحة تقوم مقام قبلة اليد وفى الاحياء ولا بأس بقبلة يد
المعظم فى الدين تبركاه وتوقيرا له فعن عمر « قلنا يا نبي الله صلى الله عليه وسلم » أبو داود بسند
حسن ، وعن كعب بن مالك « قال لما نزلت توبى آتيت النبي صلى الله عليه وسلم وقبلت يده » أبو بكر
ابن المقرئ فى كتاب الرخصة فى قبيل اليد بسند ضعيف وروى ان اعرايا قال يا رسول الله

وَيَجْعَلُ الْأَصَابِعَ فِي الْأَصَابِعِ . وَلَا يَدْعُ حَتَّى يَدْعَ صَاحِبَهُ فَهُوَ السَّنَةُ لِأَمِنْ
وَرَاءِ الثَّوْبِ فَهُوَ جَفَاءٌ مِنْ عَادَةِ الْكُفَّارِ وَيُعَانِقُ الْقَادِمَ . وَيَأْخُذُ رِكَابَ الْعُلَمَاءِ
لِلتَّوْقِيرِ . وَيُوسِعُ الْمَجْلِسَ

أَتَذُنْ لِي فَأَقْبِلْ رَأْسَكَ وَرَجْلَيْكَ قَالَ فَاذْنُلْهُ فَقَعَلَ الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ بَرِيدَةَ وَقَالَ صَحِيحُ
الْإِسْنَادِ وَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ « أَنَّهُ سَلَّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ حَتَّى
فَرَغَ مِنْ وَضُوئِهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ وَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ فَصَاحَهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كُنْتُ أَرَى هَذَا إِلَّا
مِنْ أَخْلَاقِ الْأَعَاجِمِ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ إِذَا اتَّقَى وَتَصَالَحَا تَحَاتَّ ذُنُوبُهُمَا »
الْحَرَاظِيُّ بِسَدِّ ضَعِيفٍ وَهُوَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَةَ مَحْتَصَرًا « مِمَّنْ مُسْلِمِينَ
يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافِحَانِ الْإِغْفَرُ لِمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا » (وَيَجْعَلُ الْأَصَابِعَ فِي الْأَصَابِعِ) أَيِ
أَصَابِعِهِ فِي أَصَابِعِ أَخِيهِ وَهَذَا غَيْرُ مَحْفُوظٍ فِي السَّنَةِ وَلَا هُوَ مَأْخُوذٌ مِنَ اللَّغَةِ إِذْ مَفْهُومُهَا
وَضَعُ صَحْفَةِ الْكَفِّ وَالْيَدِ أَوْ أَصَابِعَهَا فِي كَفِّ صَاحِبِهِ وَنَحْوِهِ (وَلَا يَدْعُ) أَيِ يَدِ أَخِيهِ
(حَتَّى يَدْعَ صَاحِبَهُ) أَيِ يَدِهِ فَيَدُلُّ عَلَى كَالِ التَّوَاضُعِ وَإِظْهَارِ الْمُسْكِنَةِ وَلِلطَّيْرَانِ فِي الْاَوْسَطِ
بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « كَانَ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ يَدَهُ فَيَنْزِعُ يَدَهُ حَتَّى
يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِي يَرْسُلُهُ وَلَمْ يَكُنْ تَرَى رِكْبَتَهُ خَارِجَةً عَنْ رِكْبَةِ جَلِيسِهِ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ
يَكَلِّمُهُ إِلَّا أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ ثُمَّ لَمْ يَصْرِفْهُ عَنْهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ كَلَامِهِ » وَلَا فِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ
وَابْنِ مَاجَةَ نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ (فَهُوَ السَّنَةُ) الْمُرُوءِيَّةُ فِي شِمَائِلِهِ مِنْ فَضَائِلِهِ (لَا مِنْ
وَرَاءِ الثَّوْبِ) أَيِ لَا يَصَافِحُ مِنْ وَرَاءِ الْأَكْمَامِ (فَهُوَ جَفَاءٌ مِنَ الْعَادَةِ الْكُفَّارِ) أَيِ
الْمُسْكِرِينَ مِنَ الْأَعْجَامِ وَالْأُرَومِ (وَيُعَانِقُ الْقَادِمَ) أَيِ الْوَاصِلِ مِنَ السَّفَرِ وَفِي الْأَحْيَاءِ
إِنَّ الْإِلْتِزَامَ وَالتَّقْيِيلَ وَرَدَّ بِهِ الْحُزْنَ عِنْدَ الْقُدُومِ مِنَ السَّفَرِ وَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ
عَائِشَةَ قَالَتْ قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، الْحَدِيثُ فِيهِ فَاعْتَقَهُ وَقَبْلَهُ وَقَالَ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ
« مَا لَقِيْتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا صَافِحَنِي وَطَلَبَنِي يَوْمًا فَلَمَّا كُنْتُ فِي الْبَيْتِ فَلَمَّا أَخْبَرْتُ جِئْتُ وَهُوَ
عَلَى سَرِيرٍ فَالْتَزَمَنِي فَكَانَتْ أَجُودُ وَأَجُودُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (وَيَأْخُذُ رِكَابَ الْعُلَمَاءِ
لِلتَّوْقِيرِ) فَقَدْ فَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ ذَلِكَ بِرِكَابِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَأَخَذَ عُمَرَ بْنُ زَيْدٍ
أَيِ بِرِكَابِهِ حَتَّى رَفَعَهُ وَقَالَ هَكَذَا فَعَلُوا بِزَيْدٍ وَأَصْحَابِهِ (وَيُوسِعُ الْمَجْلِسَ) مُسْجِدًا كَانَ
أَوْ غَيْرَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَإِذَا قِيلَ لَكُمْ) بِلِسَانِ الْقَالَ أَوْ بَيَانِ الْحَالِ . (فَتَسَحَّوْا فِي الْمَجَالِسِ
فَانسَحَّوْا يَفْسَحُ اللَّهُ لَكُمْ) وَالْفَسْحُ الْوَسْعُ ، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ « لَا يَقُمُ

وَيُكْرَمُ الدَّاحِلُ فَيَسُطُ الثَّوبُ وَيَخْفَفُ الصَّلَاةُ وَيَشْتَغِلُ بِهِ ، ثُمَّ يَعَاوِدُ فِيهَا
فَالْكُلُّ مَرُوءٍ ،

الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا ، وعنه عليه السلام :
« إذا أخذ القوم بمجالسهم فإن دعا رجل أخاه فأوسع له فليأته فانما هي كرامة من الله عز وجل أكرمها أخاه فإن لم يوسع له فلينظر الى أوسع مكان يجده فليجلس فيه ، بغوى في معجم الصحابة من حديث ابن أبي شبة ورجاله ثقات ، وابن أبي شبة هذا ذكره أبو موسى المديني في ذيله في الصحابة (ويكرم الداخل) ان كان من ذوى الفضائل أو الفواضل (فيبسط له الثوب) أى من الرداء ونحوه ، فروى انه عليه السلام « دخل بعض بيوته فدخل عليه أصحابه حتى وحش المجلس فامتلا فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقعده على الباب فلف عليه السلام رداءه فالتفاه اليه فقال له اجلس عليه فاخذه جرير ووضع على وجهه وجعل يقبله ويبكى ثم لفه ورمى به اليه عليه السلام وقال : ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله يا أكرمى فتنظر النبي عليه السلام يمينا وشمالا ثم قال : اذا أنا كم كريم قوم فاكرموه ، الحاكم من حديث جابر وقال : صحيح الاسناد ، وروى « ان ظن رسول الله عليه السلام الى ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال مرحبا بامى ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعى تشفعى وسلى تعطى فقالت قومى فقال اما حقى وحق بنى هاشم فبولك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله سم وصلها بعدد وهب لها سهمانه بخير وهى احد عشر سهما فبيع ذلك من عثمان بن عفان بمائة ألف درهم ، كذا فى الاحياء ، ورواه أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبى الطفيل مختصرا في بسط رداءه لها ذور . ما بعده ، ولاحمد من حديث ابن عمر انه دخل عليه عليه السلام فالتقى له وسادة من ادم حشوها من ليف ، الحديث واسناده صحيح ، والطبرانى من حديث سلمان « دخلت على رسول الله عليه السلام وهو متكئ على وسادة فالتفاه اليه الحديث وسنده ضعيف (ويخفف) أى المدخول عليه (الصلاة) فريضة او نافلة (ويشغل به) أى باكرامه من سلامه وكلامه وتحصيل مرامه (ثم يعاود فيها) أى فى اتمام صلاته (فالكل مروي) الا أن تخفيف الصلاة الخ ليس له أصل فى السنة (ولا ينحنى) فان الانحناء يكره للسلطين وغيرهم ولانه صنيع أهل الكتاب كذا فى المحيط والذخيرة ولانه شبه بال كوع الذى هور كن من ار كان الصلاة فكما لا يجوز ان يسجد احد للاحد

وَلَا يَقُومُ فَهُوَ مِنْهُ عَنْهُ مِنْ عَادَةِ الْأَعَاجِمِ . وَيُوقِرُ الْكِبَرَاءَ كَالْعُلَمَاءِ
وَالصُّلَحَاءِ وَالشُّرَفَاءِ وَالشُّيُوخِ وَيَقْدِمُهُمْ فِي الْمَشِيِّ ، وَالْكَلَامِ وَالْجُلُوسِ ، فُورِدَ
«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوقِرْ كَبِيرَنَا وَلَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا»

لا يجوز أن ير كمْ له، وكذا القيام على هيئة الوقوف في الصلاة لحديث «من سره أن
يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار» أبو داود والترمذي وحسنه من حديث
معاوية، وعن أنس «قلنا يا رسول الله انتحى بعضنا لبعض؟ قال: لا قال فيقبل بعضنا
بعضاً؟ قال لا قال فنصافح؟ قال نعم» الترمذي وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقي
وفي الأحياء «لابأس بالانحناء لدفع شر الأشقياء» (ولا يقوم) أى للدخول كما هو
عادة أهل المحافل (فهر منهى عنه) أى في الحديث معلل بأنه (من عادة الأعاجم)
فمن أبى إمامة «إذا رأيتهم في فلان تقوموا كما يقوم الأعاجم» أبو داود وابن ماجه، وعن
أنس «ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما
يعلمون من كراهيته لذلك» الترمذي وقال حسن صحيح، وفي الأحياء أن القيام مكروه
على سبيل الأعظام لا على سبيل الأكرام، أقول وقد صار هذا القيام من ابتلاء العام إذا
يترتب على تركه أنواع الملام فيكون النهي للتنزيه في هذا المقام، وعن ابن
مسعود مرفوعاً موقوفاً ومأراه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وإماماً في صحيح
مسلم عن أم هانئ «أنها سألت على النبي ﷺ فقال من هذه؟ فقيل له أم هانئ فقال عليه
السلام مرحباً بأم هانئ» فمحمول على زيادة الترحيب للأكرام بعد جواب السلام
(ويوقر الكبراء) أى العظام في الرتبة أو السن (كالعلماء) والعاملين (والصلحاء)
الكاملين (والشرفاء) الطاهرين (والشيوخ) السابقين لتقدمهم في دخول
الاسلام فلهم قدم صدق وبينهم سبق في هذا المقام وقد قال تعالى: (والسابقون السابقون)
ليكن تقدم الرتبة من العلم والتقوى والنسب على مجرد كبر السن في الحسب، وإشار المصنف
إلى الترتيب في غاية من التهذيب فالعلماء كما قال تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
أوتوا العلم درجات) والمتقون كما قال عز وعلا: (إنا أكرمكم عند الله اتقاكم)
(ويقدمهم في المشي) إذا ضاق المقام (والكلام والجلوس فورديس منا) أى من
اتباعنا وأشياعنا (من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا) رواه أحمد والترمذي عن

وَأَوْعَدَ فِي التَّقْدِيمِ عَلَى الْكَبِيرِ بِالْفَقْرِ • وَيُرَاعَى قَلْبَ الصَّغَارِ • فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُبَالِغُ فِيهِ ، وَيَتَكَفَّلُ الْيَتِيمَ . فُورَدَ « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ »

ابن عباس واحمدو الحاكم عن عباد بن الصامت بزيادة « ولم يعرف لعالمنا حقه ، وفي رواية لاحد والترمذى والحاكم عن ابن عمرو بلفظ « من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا » ، وللبخارى في تاريخه . وأبى داود عن ابن عمرو بلفظ « من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا » (واوعد) بصيغة المجهول أى جاء الوعد (في التقديم) أى تقديم الصغير (على الكبير بالفقر) أى بسبب فقر الكبير او المعنى أوعد بالفقر بخلاف من عظم الكبير فانه يقدر له من يعظمه في كبره ، وفي الخبر « ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قبض الله له في سنه من يكرمه » وهذا بشارة له بطول عمره وسهولة امره ، والحديث رواه الترمذى عن أنس ، ومن تمام توفيق المشايخ ان لا يتكلم بين أيديهم الا باذن قال جابر : « قدم وفد جهينة على النبي ﷺ فقام غلام ليتكلم فقال عليه السلام مه فابن الكبير ؟ » الحاكم وصححه مسلم (ويراعى قلب الصغار) أى الاطفال وغيرهم دون البلوغ (فكان عليه السلام يباليغ فيه) أى في مراعاة قلوبهم فكان يمسح رؤوسهم ويدعو لهم ويجلسهم في حجره ويحسبهم وقد كان يقدم من السفر فيلتقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه وخلفه ويأمر أصحابه بان يحملوا بعضهم فرما تفاخر الصبيان بعضهم لبعض حملنى رسول الله ﷺ » رواه مسلم من حديث عبدالله بن جعفر . كان اذا قدم من سفر تلقى بنا قال فتلقى بي وبالحسن أو بالحسين قال : فحمل احدا بين يديه والآخر خلفه ، وفي رواية « تلقى بصبيان أهل بيته وانه قدم من سفر فسبقني اليه فجعلني بين يديه ثم جئى باحد ابني فاعلمته فارادته خلفه » وفي الصحيحين وان عبدالله بن جعفر قال لابن الزبير اتذكر اذ تلقانا رسول الله ﷺ انا و انت وابن عباس قال نعم لحملنا وتركك ، هذا لم يظ مسلم وقال البخارى ان ابن الزبير قال لابن جعفر قاله أعلم كذا قاله مخرج الاحياء ، ولا يبعد ان يحمل على قضيتين فيكون في كل منهما جبر لحاظ الآخر فتدبر ، ولاحد بن منيع من حديث حسن بن على « عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا اذ بال قيامت لنا خذه وتضربه فقال دعيه ائتوني بكوز من ماء » الحديث واسناده صحيح (ويتكفل اليتيم) قريبا او اجنبيا (فورد انا و كافل اليتيم) أى مربيه ومصلمه

كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ وَأَشَارَ إِلَى الْمُسْبَحَةِ وَالْوُسْطَى « وَيُظْهِرُ الْبَشَاشَةَ ، فُورِدَ
« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ السَّهْلَ الطَّلَقَ ، وَيُشَمِّتُ الْعَاطِسَ الْمُحَمَّدَ بِدُعَاءِ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ »
وَيُجِيبُ بِدُعَاءِ الْهُدَايَةِ وَالصَّلَاحِ فَفِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ إِلَّا إِذَا زَادَ عَلَى الثَّلَاثِ ، فُورِدَ
« إِنَّهُ زَكَامٌ »

﴿ كهاتين في الجنة وأشار إلى المسبحة والوسطى ﴾ وهو كناية عن كمال الرتبة وجمال القربة ، والحديث رواه أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي عن سهل بن سعد بلفظ : « أنا وكافل اليتيم في الجنة ، هكذا ولابن ماجه من حديث أبي هريرة « خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » ولأحمد والطبراني من حديث أبي امامة « من وضع يده على رأس يتيم كانت له بكل شعرة يمر عليها يده حسنة » ولابن حبان من حديث ابن أبي أوفى « من مسح يده على رأس يتيم رحمة له » الحديث ﴿ ويظهر البشاشة ﴾ أي الانبساط إذا حضر مع أصحابه في بساط النشاط ﴿ فورد أن الله يحب السهل ﴾ أي اللين الهين ﴿ الطلق ﴾ بفتح فكسر أي صاحب طلاقة الوجه ، والحديث رواه البيهقي عن أبي هريرة بلفظ الطليق ، وقد ورد « أتدرون على من حرمت النار ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال على الهين السهل القريب » الترمذي وحسنه عن ابن مسعود ﴿ ويشمت ﴾ أي يجيب ﴿ العاطس المحمد ﴾ أي الذي قال الحمد لله بعد عطاسه ﴿ بدعاء الرحمة والمغفرة ويجيب بدعاء الهداية والصلاح ﴾ « اتفق العلماء على أنه يستحب للعاطس أن يقول : الحمد لله عقيب عطاسه ويستحب عند الشافعي ويجب عندنا على من سمعه أن يقول له يرحمك الله ويستحب للعاطس بعد ذلك أن يقول يهديكم الله ويصلح بالكم أو ينفر الله لنا ولكم ، والإحاديث في هذا الباب كثيرة كما بيناها في شرح الحصن وأما إذا لم يحمد العاطس فلا يستحق الجواب لما في الصحيحين عن أنس « أنه عليه السلام شمت عاطسا ولم يشمت آخر فساء له عن ذلك فقال أنه حمد الله وأنت سكت ﴾ فقيه فضل كثير ﴿ أي وأجر كبير ﴾ إلا إذا زاد على الثلاث فورد أنه زكام ﴿ فعن أبي هريرة « شمت أخاك ثلاثا فإن زاد فهو زكام » أبو داود ، وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الأكوع « أنه شمت عاطسا فعطس أخرى فقال أنك مزكوم » وعن أبي هريرة كان عليه السلام « إذا عطس غصص صوته واستتر بثوبه أو بده » أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح ، وفي رواية لابي نعيم في اليوم الليلة وخم-

وَيُصْلِحُ ذَاتَ الْبَيْنِ فَهُوَ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ وَيَسْتَرُ الْعُيُوبَ، فُورِدَ «مَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سِتْرَهُ
 اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، وَيَتَقَى مَوَاضِعَ التَّهْمِ تَحْرِزًا عَنْ سُوءِ ظَنِّهِمْ وَوُقُوعِهِمْ فِي الْغِيْبَةِ

وجهه وفاءه، وفي الصحيحين «التَّائِبُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا تَابَ أَحَدُكُمْ فَلْيُضَعِ يَدَهُ عَلَى
 فِيهِ إِذَا قَالَ آهَ آهَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ مِنْ جَوْفِهِ»، وعن علي «مَنْ عَطَسَ عِنْدَهُ
 فَسَبَقَ إِلَى الْحَمْدِ لَمْ يَشْكُ خَاصَرَتَهُ»، الطبراني في الأوسط في الدعاء ﴿ وَيُصْلِحُ ذَاتَ
 الْبَيْنِ ﴾ أي أحوالاً ناشئة مما بينه وبين غيره وبين أحد من المسلمين بالمودة وترك
 المنازعة قال الله تعالى: (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مِنْ أَمْرِ بَصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ
 إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ) وقال عز وجل: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) ﴿ فهو أفضل
 الصَّدَقَةِ ﴾ فلطبراني والبيهقي عن ابن عمرو «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ» ولأبي
 داود والترمذي وصححه من حديث أبي الدرداء «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ
 وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ قَالُوا: بَلَى قَالَ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَافْسَادُ ذَوَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ
 وَلِلشَّيْخَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ كَلْثُومَ بِنْتِ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ لَيْسَ بِكَذَابٍ مِنْ أَصْلَحَ بَيْنِ
 اثْنَيْنِ فَقَالَ خَيْرًا أَوْ نَمَى خَيْرًا ﴿ وَيَسْتَرُ الْعُيُوبَ ﴾ أي عيوب غيره وكذا عيوب
 نَفْسِهِ ﴿ فُورِدَ ﴾ أي في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﴿ مَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سِتْرَهُ اللَّهُ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ وللشيخين عن ابن عمر «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»
 وللطبراني عن أبي سعيد «لَا يَرَى أَمْرٌ مِنْ أَخِيهِ عَوْرَةً فَيَسْتَرُهَا عَلَيْهِ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»
 وروى أحمد عن أحمد بن رجل «مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وللطبراني
 والفضلاء عن شهاب «مَنْ سَتَرَ عَلَى مُؤْمِنٍ عَوْرَةً فَكَأَنَّمَا أَحْيَا مَيِّتًا، وَلِلْبَخَارِيِّ فِي
 تَارِيخِهِ: وَأَبِي دَاوُدَ. وَالْحَاكِمُ عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ مَنْ رَأَى عَوْرَةَ فَيَسْتَرُهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا
 مُوْتَدَةً مِنْ قَبْرِهَا»، وللترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث علي «مَنْ أَذْنَبَ
 ذَنْبًا فِي الدُّنْيَا فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَفَا عَنْهُ فَاللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ أَنْ يَرْجِعَ فِي شَيْءٍ قَدْ عَفَا
 عَنْهُ وَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فِي الدُّنْيَا فَعُوقِبَ عَلَيْهِ فَاللَّهُ أَعْدَلُ مَنْ أَنْ يَتَنَبَّهَ عَلَى عِبْدِهِ»
 وعنه عليه السلام «اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يُصْلِحُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ» الحاكم وصححه وضعفه البخاري وابن حبان، وللطبراني من حديث ابن عمر أن
 «مَنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالَ إِلَى اللَّهِ ادْخَالَ الْمَرْوَرُ عَلَى الْمُؤْمِنِ» ﴿ وَيَتَقَى مَوَاضِعَ التَّهْمِ تَحْرِزًا
 عَنْ سُوءِ ظَنِّهِمْ ﴾ أي بالريية ﴿ وَوُقُوعِهِمْ فِي الْغِيْبَةِ ﴾ فأنهم إذا عصوا الله بذكروه وكان

و يشفع ، فورد « اشفعوا تؤجروا » ويرشد الضال وينشد ضالته ويفرج
المكروب وينصر المظلوم ، فورد من فرج عن مغموم أو أعان مظلوما غفر الله له
ثلاثا وسبعين مغفرة » ويسعى في حاجته فالمشي فيها

هو السبب فيه كان شريكا في وزرهم قال تعالى : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم) وقال عليه السلام : « كيف ترون من يسب أبويه ؟ فقالوا
وهل من أحد يسب أبويه ؟ قال نعم يسب الرجل أبوى غيره فيسب أبويه » متفق عليه من
حديث عبد الله بن عمر ، وعن أنس « انه عليه السلام كلم إحدى نسائه فمر به رجل فدعاه
فقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت أظن فيه فاني لم أظن
فيك فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم » رواه مسلم ، وفي رواية للشيخين
عن صفية « اني خشيت ان يقذف في قلبك شيئا » وفي نسخة وسرا ، وكانا رجلين وقال
على رسلكما انها صفية » الحديث وكانت قد زارته في العشر الاواخر من رمضان ، وعن
عمر رضي الله عنه « من اقام نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل
يكلم امرأة على الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المؤمنين : انها امرأتى قال : فهلا بحيث
لا يراك الناس » (ويشفع) أى في غير الحدود لقوله تعالى : (من يشفع شفاعا حسنة
يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعا سيئة يكن له كفل منها) (فورد اشفعوا تؤجروا)
تمامه « ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء » رواه الشيخان من حديث أبي موسى ، وورد
« ماصدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم وتجربها
المنفعة الى آخره ويدفع بها المكروه عن آخر » الخرائطي والطبراني عن سمرة (ويرشد
الضال) أى يهديه الى طريقه الحسى او المعنوى (وينشد ضالته) أى يطالبها لكن
في غير المسجد لما تقدم ، ويقول : يا هادى الضال ويا راد الضالة أردد على ضالتي
بعزتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك ، رواه ابن أبي شيبة موقوفا من قول ابن
عمر والطبراني عنه مرفوعا (ويفرج المكروب) أى يزيل هم المغموم (وينصر
المظلوم) في الصحيحين « انصر اخاك ظالما أو مظلوما قليل : كيف ينصر ظالما ؟ فقال
يمنعه من الظلم » قلت وفي منعه من الظلم نصر المظلوم ايضا (فورد من فرج عن مغموم
أو أعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة) الخرائطي في مكارم الاخلاق وابن حبان في
الضعفاء وابن عدى من حديث أنس بلفظ « من أعان مظلوما غفر الله له » (ويسعى في حاجته فالمشي فيها

سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ اِعْتِكَافِ شَهْرَيْنِ وَإِنْ لَمْ تَقْضَ وَيَعِينُ الضَّعِيفَ وَالْمَحْسَنَ وَيَحْفَظُ الْغَنِيَّةَ

ساعة خير من اعتكاف شهرين وان لم تقض ﴿ فللحاكم ﴾ وصححه من حديث ابن عباس « لان يمشى احدكم مع أخيه في قضاء حاجته وأشار بأصبعه افضل من ان يعتكف في مسجدى هذا شهرين » وللطبرانى فى الأوسط « من مشى فى حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكاف شهرين » وكلاهما ضعيف ، وروى البخارى فى تاريخه والطبرانى والخرائطى عن أنس بن سدى ضعيف « من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره » ولابن المبارك فى الزهد والرقائق باسناد ضعيف مرسلا « من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة » وقال أنس « عرضت له عليه السلام امرأة وقالت : لى معك حاجة و كان معه ناس من أصحابه فقال : اجلسى فى أى نواحى السكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس إليها حتى قضيت حاجتها » رواه مسلم ﴿ ويعظه ﴾ أى يبشر الناس بالثواب فى الطاعة وينذرهم بالعقاب على المعصية قال تعالى : (واذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) الآيات ، وقال تعالى : (يعظهكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات) وورد « ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم وغيره عن تميم الدارى ، وقال عليه السلام لمعاذ : « أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وصدق الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام » البيهقى فى كتاب الزهد وأبو نعيم فى الحلية ﴿ ويعين الضعيف ﴾ أى فى عمله وصنعيته ﴿ والمحسن ﴾ أى بزيادة معرفته أو يعين الضعفاء والفقراء والمحسن الى العلماء والصلحاء ليكون مشاركا لهم فى ثواب يوم الجزاء فقد صح « من كان فى عون أخيه كان الله فى عونه » ﴿ ويحفظ الغنية ﴾ أى غنية أخيه فيمنع احدا عن ان يقع فى غيبة فيه ، وفى الخبر « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو كان فى جوف بيته » أبو داود من حديث أبى برزة باسناد جيد ، وللترمذى نحوه من حديث ابن عمر وحسنه ، وعن أبى الدرداء « من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار » الترمذى وحسنه وللطبرانى عن أبى الدرداء بلفظ « ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان حقا على الله ان يردعنه نار جهنم يوم القيامة » ولاحمد من حديث اسماء بنت يزيد نحوه ، ولابن أبى الدنيا فى الصمت عن أنس « من ذكر عنده أخوه المسلم وهو يستطيع

وَيَبْرُ الْخَلْفَ • وَيُحِبُّ التَّائِبَ • وَيَسْتَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِ • وَيُعَامِلُ عَلَى حَسَبِ

حَالِهِ فَعَرَضُ الْفَقْهِ لِأَهْلِ اللَّهْوِ وَالْيَبَانِ

نصره فلم ينصره ولو بكلمة اذله الله عز وجل بها في الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة ، ولابي داود من حديث معاذ بن أنس « من جئ عرض أخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيامة من النار » ولابي داود من حديث جابر وأبي طلحة « ما من امرئ ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمة الأنصره الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ خذل مسلما في موطن ينتهك فيه حرمة الاخذله الله في موطن يحب فيه نصرته » (ويبر الخلف) أي يمين صاحبه في الحضور والغيبة بان وعد اخوه بشخص باعطاء شيء وحلف عليه ولم يتسرله فالمصاحب يمطيه ذلك لئلا يقع صاحبه في الخلل هنالك وهو من جملة اخلاق الله مع من اتبع رضاه كما ورد في الصحيحين عن أنس « ان من عباد الله من لو اقسام على الله لآبره ، أي لجعله بارا في يمينه بما قدره وقضاه ، وفي الصحيحين من حديث البراء « امرنا رسول الله ﷺ بسبع فذكر منها وابرار القسم او المقسم » (ويحب التائب) لقوله تعالى : (ان الله يحب التوابين) خصوصا الشباب فورد « ان الله يحب الشباب التائب » أبو الشيخ عن أنس ، ولابي نعيم في الحلية عن ابن عمر « ان الله يحب الشباب الذي يفني شبابه في طاعة الله » ولاحدوا الطبراني عن عقبة بن عامر « ان الله يعجب من الشباب ليست له صبرة » (ويستغفر للمذنب) اقتداء بالملائكة المقربين (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) الآية ، وللطبراني عن عبادة « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة » وله وللضياء عن أبي الدرداء « من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به اهل الارض » وأما حديث أنس « اربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمديرهم وان تحب تائبهم » فقد ذكره صاحب الفردوس ولم اجد له اسنادا قاله العراقي (ويعامل على حسب حاله) أي حال صاحبه في اعلی مناقبه أو ادنى مراتبه (فعرض الفقه) أي مسائله الغامضة (لاهل اللهو) أي لارباب الاشتغال بما يلهيهم عن العلم والفهم والكمال (والبيان) أي وعرض الفصاحة

لثَقِيلُ اللِّسَانِ إِذَاءُ النَّفْسَيْنِ ، وَيَتَنَصَّفُ مِنْ نَفْسِهِ فَهُوَ مِنْ ثَلَاثِ خَصَالٍ
يَسْتَكْمِلُ بِهِ الْإِيمَانَ . وَلَا يَعْلَمُ أَحَدًا مَقْدَارَ مَالِهِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، فَالْعِلْمُ
بِالْقِلَّةِ يُورِثُ الْإِهَانَةَ وَبِالكَثْرَةِ عَدَمُ الرِّضَاءِ ، وَوَرَدَ « اسْتَرُ ذَهَبَكَ وَذَهَابَكَ
وَمَذَهَبَكَ » وَلَا يَسْتَحْقِرُ أَحَدًا فَالْعَاقِبَةُ مَسْتُورَةٌ وَلَا يَسْتَعْظِمُ الدُّنْيَا فَهِيَ
حَقِيرَةٌ وَمَافِيهَا ، وَلَا يَتَكَبَّرُ

والبلاغة واصناف البديع وأنواع البيان ﴿ لثَقِيلُ اللِّسَانِ إِذَاءُ النَّفْسَيْنِ ﴾
بل المناسب أن يعرض عليهم ما يكتسب من الطاعات وما يجتنب من المحرمات
﴿ وَيَتَنَصَّفُ مِنْ نَفْسِهِ ﴾ وفي نسخة وينصف من الانصاف بالكسر أى يعمل
بالنصفة بفتحين أى العدالة ﴿ فَهُوَ مِنْ ثَلَاثِ خَصَالٍ يَسْتَكْمِلُ بِهِ الْإِيمَانَ ﴾ وفي
نسخة ويستكمل الإيمان ، وفي الخبر « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون فيه ثلاث خصال
الاتفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام ، الخرائطى من حديث عمار
ابن ياسر ووافقه البخارى عليه ﴾ (ولا يعلم احدا مقدار ماله وان كان من أهل البيت) أى
المطلعين على حاله ﴿ فَالْعِلْمُ بِالْقِلَّةِ يُورِثُ الْإِهَانَةَ ﴾ أى يعمده من الفقراء (وبالكثرة
عدم الرضاء) أى باتفاقه وعده من البخلاء (وورد استر ذهبك) أى ونحوه من
الفضة وغيرها (وذهابك) أى انتهاء سفرك من حضرك (ومذهبك) أى فى موضع
تخاف اظهاره فظاهر مشربك والحديث لم أجده اصلا ﴿ وَلَا يَسْتَحْقِرُ أَحَدًا ﴾ أى من
الفجار بل من الكفار ﴿ فَالْعَاقِبَةُ مَسْتُورَةٌ ﴾ وورد « انما الاعمال بالخواتيم » كما فى صحيح
البخارى عن سهل بن سعد ﴿ وَلَا يَسْتَعْظِمُ الدُّنْيَا ﴾ فان الله قد استحقها حيث قال :
(متاع الدنيا قليل) وورد « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا
منها شربة ماء » الترمذى وغيره عن سهل بن سعد ، والمعنى انه لا ينظر الى أهل الدنيا بعين
التعظيم لهم فى حال دنياهم وهما عظم أهل الدنيا فى نفسك فقد عصمت الدنيا فتسقط
من عين الله عز وجل وللحكيم الترمذى عن أبى هريرة « اذا عظمت امتى الدنيا
نزعت منها هبة الاسلام » (فهى حقيرة ومافىها) (الاذ كر الله وما والا له حديث
« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان الله منها » أبو نعيم فى الحلية عن جابر وفى مسند احمد
عن عائشة « الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له » (ولا يتكبر

عَلَى الْفَقِيرِ بَلٌّ عَلَى الْمُتَكَبِّرِ . وَيَجَالِسُ الْفَقِيرَ فَهُوَ السُّنَّةُ دُونَ الْغَنَى وَحَبِيبُ
الْعَافِيَةِ وَالْعَامَى وَإِذَا ابْتُلِيَ لَا يَخْوَضُ فِي كَلَامِهِ وَيَتَغَافَلُ عَمَّا يَجْرِي عَلَيْهِ وَالسُّلْطَانُ
وَإِذَا ابْتُلِيَ بِهِ يَكْثُرُ الْحَذَرُ وَإِنْ أَظْهَرَ الْحُبَّةَ وَلَا يَعْتَمِدُ فَيُرَافِقُهُ مِرَافَقَةَ الطِّفْلِ وَيَتَكَلَّمُ
عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ وَلَا يَدْخُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ بَيْتِهِ فَهُوَ مُضَرٌّ وَيَبَالِغُ فِي الْأَدَبِ .
وَيَتَبَرَّكُ بِالْعَادِلِ .

على الفقير (أي لفقره فانه موجب لفخره) (بل على المتكبر) أي بماله وجهه على الفقير
فروى «التكبر على المتكبر صدقة» (ويجالس الفقير فهو السنة) فلا ينفيم عن ابن عمر
«تواضعوا واجالسوا المساكين تكونوا من الكبراء وتخرجوا عن الكبر» (دون الغنى)
أي لا يجالس الغنى فضلا عن أن يصاحبه فورد «اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى؟
قال الاغنياء» الترمذي وضعفه والحاكم وصححه اسناده من حديث عائشة «اياكم ومجالسة
الاغنياء» (وحبيب العافية) أي الذي يكره المرض أو الذي ماتت له الحى ونحوها من
الصداع فان فرعون مكث اربع مائة سنة ماحم ولا حصل له صداع ولا كسر له ظرف في
مطبخه وقد ورد «انه عليه السلام مدح له امرأة حسنة فرغب فيها فاقيل من نعتها أنها
لا يأتينا مرض فقال ما لي اليها حاجة» وفي صحيح مسلم «من يرد الله به خيرا يصيب منه»
(والعامى) أي وغير الجاهل (وإذا ابتلى) أي بمجلس العامى (لا يخوض في كلامه)
أي ويكتفى بما يحصل من مرامه (ويتغافل عما يجري عليه) أي بحسب مقامه (والسلطان)
عطف على قوله الغنى أي ودون السلطان والمعنى لا يجالس (وإذا ابتلى به يكثر
الحذر) أي عن غضبه (وان أظهر المحبة) أي في وجهه (ولا يعتمد) أي على أقباله
ولا على جاهه واعطاء ماله (فيرافقه مرافقة الطفل) فيتحمل منه ما يتحمل عنه
(ويتكلم على حسب إرادته) وفق طاعته واطاعته لكن لا بما يضره في دينه وآخرته
(ولا يدخل بيته وبين أهل بيته) في معاملته ومجاملته (فهو مضر ويبالغ في الأدب)
ومن آدابه لأصحابه ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب
الالفاظ والمباني وتحسين البيان والمعاني وتصحيح الاعراب في الخطاب والمذاكرة
باخلاق الملوك السابقة واللاحقة . وقلة المداعبة في مجالس المصاحبة . وان لا يتجشئ
بحضرته ولا يتخلل بعد الاكل في محبته (ويتبرك بالعاقل) فهو من السبعة الذين «يظلمهم

وَيَدْعُو لَهُ بِالصَّلَاحِ فَفِيهِ صَلَاحُ الْعَامَّةِ وَيَسْتَعِيدُ عِنْدَ الدُّخُولِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ
الْإِحْتِمَالُ إِلَّا فِي كَشْفِ السَّرِّ وَالْقَدْحِ فِي الْمُلْكِ وَالتَّعَرُّضِ فِي الْحَرَمِ وَالْعَاةُ لِفَسَادِ
الزَّمَانِ ، وَوَرَدَ « خَالَطُوا النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ وَزَايَلُوا الْقُلُوبَ » ، وَلَا يَعْتَمِدُ إِلَّا
عَلَى مَنْ جَرَّبَ تَحْقِيقًا فِي الْأَحْوَالِ الْمُتَخَلِّفَةِ فَلَا يَجِدُ جُزْمًا

الله يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله)) (و يدعو له بالصلاح)) ولو كانت له دعوة واحدة
مستجابة ((ففيه صلاح العامة)) ونفع العام خير من نفع الخاص مع ان الخاص
داخل في العام ((ويستعيد)) أى بالله الملك العلام ((عند الدخول عليه)) خوفا من
الزلل والخطال لديه ((وعليه)) أى ويجب على السلطان ((الاحتمال)) أى التحمل
عن مجالسة ومؤانسة ((الا في كشف السر)) أى لغير المحرم ((والقدح في الملك))
أى الطعن فيه بما ينافيه ((والتعرض في الحرم)) أى من امرأته أو جاريته أو ولده
أو عبده ((والعامة)) أى ودون عامة الناس فلا يجالسهم ((لفساد الزمان)) أى أهله
فانهم لا يقبلون لك عثرة ولا يقبلون منك معذرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون
عورة ويحاسبون على التقير والقطمير ويحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا
ينتصفون ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون يغفرون الاخوان بالنسيمة والبهتان
فصحة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا
فباطنهم الخلق لا يؤمنون في خفتهم ولا يرجون في ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم
ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويطربصون بصديقهم من الحسد
ريب المنون يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم
فان ابتلى بهم فادبه معهم ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل
عما يجرى من سوء ألقاظهم ومبانيهم وعدم درك تعارفهم ومعانيهم وقلة اللقاء لهم
منع الحاجة اليهم وعدم التودد والتجيب لديهم ((وورد خالطوا الناس بأعمالهم وزايلاوا
القلوب)) أى وجانبوها عن ملاحظة أحوالهم ومحافظة أقوالهم، والحديث لم أجده
وللطبراني عن أبي جحيفة مرفوعا « جالسوا الكبرام وسائلوا العلماء وخالطوا الحكماء »
((ولا يعتمد)) أى في المحاوراة والمجالس المؤتلفة ((الا على من جرب)) أى امتحنه
((تحقيقا في الأحوال المختلفة)) كالفقر والغنى والحضر والسفر وغير ذلك من البعد
والقرب والمحبة والعداوة فانه يظهر حقيقة كل أحدهنالك ((فلا يجد جزأ)) أى سهما

مِنْ مَائَةٍ مَّا يَظْهَرُ وَهُوَ لَا يَطْمَعُ رِعَايَةَ الْحَقِّ وَلَا مَافِي أَيْدِيهِمْ وَلَا يَعْتَابُ مَنْ لَمْ يَقْضِ حَاجَتَهُ وَلَا لَطَالَ الْأَمْرُ وَلَا يَعْظُ مَنْ لَمْ يَتَوَقَّعْ مِنْهُ الْقَبُولَ إِلَّا بِجَمَلٍ تَحْرُزًا عَنْ تَعْصِبِهِ وَيَحْمَدُهُ تَعَالَى إِنْ رَأَى مِنْهُمْ كَرَامَةً وَيَكْلَهُمْ إِلَيْهِ إِنْ رَأَى مَكْرُوهًا

واحداً ((من مائة)) بل من الف جزء ((مما يظهره)) من المودة وفي الخبر « أخبر تقيه » وفي حديث آخر « الناس كأبل مائة لا تجد فيها راحلة » فلا يعول على مودة من لم يختبره حق الخبرة بأن يصحبه مدة في دار أو موضع وأحد من قرار فيجر به في عزله وولايته وغناؤه وفاقته أو سافر معه أو يعامله أو يقع في شدة وبلية فيحتاج إليه في دفع الغضب ، ثم اياك ان تمازح ليلاً أو غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترى. لديك ولان المزاح يخرق الهية ويذهب بحلاوة المودة ويشين فقه الفقيه ويحرك داعية السفيه ويورث الذلة ويوجب الزلة ويسقط المنزلة وهو اذا كثر يمت القلب ويباعد عن ذكر الرب وبه تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب وتظهر الذنوب ، ومن بلى بمجلس فيه مزاح أو لفظ فليذكر الله عند قيامه ليكون كفارة لما وقع في مقامه فورد « من جلس في مجلس فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك كله » الترمذي من حديث أنى هريرة وصححه ((ولا يطعم)) أي من العامة ((رعاية الحق)) أي مراعاة حقه من الأدب في قربه ((ولا مافي أيديهم)) أي ولا يطعم مافي أيديهم من المال والجاد فعن سهل بن سعد مرفوعاً « ازهدي الدنيا يحبك الله وازهدي فيما في أيدي الناس يحبك الناس » ابن ماجه وغيره ، والمعنى لا تبذل لهم دينك لتتال من دنياهم فتصغر في أعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير ((ولا يعاتب)) من لم يقض حاجته والاطال الأمر ((أي أمر المعاتبة لأن كثرة المعاتبة ربما تجر الى المقاطعة في المصاحبة)) ولا يعظ من لم يتوقع منه القبول الا بجملاً ((أي تلويحاً)) تحرزا عن تعصبه ((اذا وعظ تصريحا وقد قال تعالى : (فذكر ان نفعت الذكري) أي الموعظة الحسنى)) ويحمده تعالى ان رأى منهم كرامة ((أي احساناً وتعظيماً واقبالاً وتكريماً)) ويكلهم اليه ((أي ويترك أمرهم الى الله سبحانه)) ان رأى مكروهاً ((تفويضاً اليه وتوكلاً عليه)) وقد

وَيَسْتَعِذُّ بِهِ مِنْ شَرِّهِمْ. وَيُشَارِكُهُمْ فِي حَقِّهِمْ. وَيَتَغَاوُلُ عَنْ بَاطِلِهِمْ وَيَحْسَبُ
 الْكَبِيرَ كَالْأَبِ وَالصَّغِيرَ كَالْأَبْنِ وَالْمَسَاوِي كَالْأَخِ وَيُبَالِغُ فِي الْإِحْتِمَالِ
 وَالْإِحْسَانِ إِلَى أَهْلِهِ وَغَيْرِ أَهْلِهِ ، فَوَرَدَ « اصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَى أَهْلِهِ وَغَيْرِ أَهْلِهِ
 فَإِنْ لَمْ تُصِبْ أَهْلَهُ فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ » وَالْأَصْلُ أَنَّ يُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَلَا
 يَهْجُرُهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَوَرَدَ « إِنَّهُ لَا يَحِلُّ » وَيَسْتَأْذِنُ لِلدُّخُولِ ثَلَاثًا يَمْكُثُ
 بَعْدَ كُلِّ

قال تعالى في مؤمن آل فرعون (فستذكرون ما أقول لكم وافوض أمري الى الله
 ان الله بصير بالعباد فوقه الله سيئات ما مكروا) وقال عيسى عليه السلام :
 (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) (ويستعذبه
 من شرهم ويشاركهم في حَقِّهم) (أى في حق صدر عنهم) (ويتغافل عن باطلهم)
 (أى منكرو ظهور منهم) (ويحسب الكبير كالأب) (أى في التوقير) (والصغير كالابن)
 (أى في الترحم) (والمساوى كالأخ) (أى الشقيق في الشفقة والرفق) (ويبالغ في الاحتمال)
 (أى في التحمل عن اذاهم) (والاحسان) (بالاعطاء وغيره) (الى أهله وغير أهله فورد)
 عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده « اصنع المعروف الى أهله » (أى مستحقه) (وغير
 أهله فان لم تصب) (أى في احسانك) (أهله فانت من أهله) (أى من اهل الاحسان الى
 افراد الانسان ولو باللسان ذكره الدارقطني في العلل وهو ضعيف) (والاصل)
 (أى القاعدة المطردة في حقوق المسلم) (ان يحب له ما يحب لنفسه) (أى مثل ما يحب و كذا
 يكره له ما يكره لنفسه كما سبق في الحديث وورد « من سره ان يزحزح عن النار ويدخل
 الجنة فلتأته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليأت الى الناس ما يحب
 ان يؤتى اليه » رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر وقال عليه السلام « يا أبا هريرة احسن
 مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما » الخرائطي
 في مكارم الاخلاق (ولا يهجره) (أى اذا غضب عليه) (فوق ثلاثة ايام فورد) (أى
 في الصحيحين عن أبي أيوب) (انه) (أى الشأن) (لا يحل) (أى لمسلم ان يهجر اخاه فوق
 ثلاث يلتقيان) (ويستأذن للدخول ثلاثا) (أى ثلاث مرات لما سألني) (يمكث بعد كل)

قَدَرَ أَنْ يُصَلِّيَ رُكْعَتَيْنِ أَوْ أَرْبَعَ رُكْعَاتٍ وَأَنْ يَفْرَغَ مِنَ الْأَكْلِ وَالتَّوَضُّعِ،
فَوَرَدَ «الاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ فَأَلَا أُولَى يَسْتَنْصِتُونَ وَالثَّانِيَةُ يَسْتَصْلِحُونَ وَالثَّلَاثَةُ يَأْذَنُونَ
أَوْ يَرُدُّونَ» وَلَا يَطْلُعُ عَلَى الْبَابِ وَيَدْفَعُ لَنَا وَلَا يَقُولُ أَنَا عِنْدَ الْبَابِ وَلَا يَأْغْلَامُ
بَلْ يَحْمَدُ وَيُسَبِّحُ وَيَتَنَحَّجُ وَيَعُودُ الْمَرِيضَ فِي ثِيَابٍ نَظِيفَةٍ غَيْرِ عَابِسٍ وَيَجْلِسُ عِنْدَ
رُكْبَةِ الْمَرِيضِ دُونَ رَأْسِهِ،

أي كل استئذان (قدر أن يصلي ركعتين) وهو الأقل (أو أربع ركعات) وهو
الأكثر (وأن يفرغ من الأكل) أن كان مشغولاً به (والتوضي) أو الغسل أو الصلاة
أو أمر آخر من المهمات (فورد) عن أبي هريرة كما رواه الدارقطني في الأفراد
بسنن ضعيف (الاستئذان ثلاث) أي ثلاث مرات (فالأولى) وفي رواية فالأولة
(يستنصتون) أي يطلبون السكوت ليستكشفوا من المستأذن وما غرضه وفي رواية
«يستمعون» أي يسمعون (والثانية يستصلحون) أي يطلبون صلاحهم في الأذن
بدخوله أو بعده ويتشاورون (والثالثة يأذنون أو يردون) أي وفق ما يختارون
وفي الصحيحين من حديث أبي موسى «الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع» وقد قال
تعالى: (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أَرْزَأُ لَكُمْ) (ولا يطلع على الباب) أي
لا يقف بحيث ينكشف الحجاب (ويدفع لنا) أي بظفر ونحوه هيناً (ولا يقول أنا)
أي فلان (عند الباب) أو لا يقول أنا إذا قيل من بل يقول أنا فلان ونحوه (ولا يا غلام)
أي من وراء الاستار بأن ينادي أحد غلمان صاحب الدار أو عبده في مقام الإظهار
(بل يحمده ويسبح) أي ويذكر الله بالنهلل ونحوه (ويتنحج) أي إذا كان معروفاً
بتنحجه أو إيماء بأنه هناك من يريد دخوله (ويعود المريض) فهو من جملة حقوق
المسلم على المسلم، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة «حق المسلم على المسلم خمس رد
السلام وعبادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة وتشميت العاطس» (في ثياب
نظيفة) بل في ياض لطيفة لثلاث يوم المريض من ثياب كشيقة أنه حزين عليه لما رأى
علامة الموت لديه (غير عابس) أي في وجهه بل يدخل عليه ببشاشة تشرح صدره وتفتح
أمره (ويجلس عند رُكبة المريض) أي إذا كان مضطجماً ليقع نظر المريض على وجهه
زائره (دون رأسه) أي لا يجلس فوق رأسه لئلا يحوجه إلى التكلف في توجيهه إليه وتلفته

وَيَضَعُ الْيَدَ عَلَى جَبْهَةِ أَوِيدَهُ . وَيَسْأَلُهُ كَيْفَ هُوَ ، فَهُوَ السَّنَةُ وَلَا يَحْدُثُ إِلَّا بِمَا يَسِرُّهُ وَمَا هُوَ خَيْرٌ فَالْمَلَائِكَةُ يُؤْمِنُونَ عَلَيْهِ وَيُسْرُهُ بِطُولِ الْعُمُرِ وَسُرْعَةُ الصَّحَّةِ ، وَيَغْتَنِمُ دُعَاءَهُ فَهُوَ كَدُّعَاءِ الْمَلَائِكَةِ ، وَيَدْعُو لَهُ بِالشِّفَاءِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَقَبِيهِ الشِّفَاءُ أَنْ لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ .

عليه ﴿ ويضع اليد على جبهته أويده ﴾ يعنى على نبضه اذا كان له معرفة ببسطه وقبضه ﴿ ويسأله ﴾ أى يسأل غيره عنه ﴿ كيف هو ﴾ أى كئلا يكون تكلفا عليه في جوابه وهذا اذا كان مغلوبا في بابه والافيقول : كيف اتم وما حالكم أو كيف تجدك ونحو ذلك ﴿ فهو السنة ﴾ أى المروية عنه عليه السلام تمام عيادة المريض ان يضع أحدكم يده على جبهته أو على يده ويسأله كيف هو ﴿ ولا يحدث ﴾ أى عنده ﴿ الا بما يسره ﴾ أى لا بما يضره ﴿ وما هو خير ﴾ من الدعاء له ولنفسه ﴿ فالملائكة يؤمنون عليه ﴾ أى يقولون فيه آمين فيكون علامة الاجابة في ذلك الحين ﴿ ويبشره بطول العمر وسرعة الصحة ﴾ أى وسهولة الامر وبأن المرض كفارة للسيئات أو رفع للدرجات وانه انما يكون في قليل من الاوقات فينبغي الصبر عليه بل الشكر لديه فورد « اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فقال : انظرا ما يقول لمراده فان هو اذا جاءوه حمد الله واتى عليه رفعا ذلك الى الله وهو أعلم فيقول لعبدى على ان توفيته ان ادخله الجنة وان اتانا شفيت ان أبدل له لما خير الله من لحمه وما خير الله من دمه وان اكفر عنه سيئاته » مالك في الموطأ من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر في التمهيد من روايته عن أبي سعيد الخدري ، وفيه عباد بن كثير الثقفي ضعيف الحديث ، ولليهيقي من حديث أنى هريرة ، قال الله تعالى « اذا ابتليت عبدي المؤمن فلم يشكني الى عواده اطلقته من أسارى ثم أبدلته لما خيرا من لحمه وما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل » واستاده جيد وجملة آداب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى وعدم الضجر والفرع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الداء والدواء وسائر الاشياء ﴿ ويغتتم دعاءه ﴾ أى المريض ﴿ فهو كدعاء الملائكة ﴾ في كونه مستجابا وقد سبق كون دعاء المريض مجابا ﴿ ويدعو له بالشفاء سبع مرات فقيه الشفاء ان لم يحضر اجله ﴾ فلا بنى داود وغيره عن ابن عباس مرفوعا « من عاد مريض لم يحضر اجله فقال عنه سبع مرات اسأل الله العظيم رب العرش العظيم

وَيُغْبِ فِيهَا وَهِيَ مَرَّةٌ سَنَةً ، وَالزِّيَادَةُ فَضْلٌ ، وَوَرَدَ النَّهْيُ فِي عِيَادَةِ صَاحِبِ
الرَّمَدِ . وَالْدَّمْلِ وَوَجَعِ الضَّرْسِ . وَالْجَرَبِ . وَالْعِرْقِ الْمَدْنِيِّ وَيُسَمَّعُ الْمُحْتَضِرُ

أى يشفيك الإعاقة الله من ذلك المرض « (ويغيب فيها) بضم أوله أى يعود يوم ما
بعديوم أو وقتا بعد وقت لما سبق من حديث « زرغبان زددجا ، وعن جابر » اغبوا
في العيادة واربعوا الآن يكون مغلوبا » ابن أبى الدنيا وأبو يعلى واسناده ضعيف ، وقال
بعضهم: عيادة المريض بعد ثلاث وينبغي أن يخفف فيها فروى ابن أبى الدنيا فى كتاب
المرض من حديث أنس بإسناد فيه جهالة عيادة المريض فواق ناقة ، ورواه البيهقى عنه
بلفظ « العيادة فواق ناقة » وقال طاوس: أفضل العيادة أخفها « (وهى مرة سنة) عند
الشافعى وفرض كفاية عندنا « (والزيادة فضل) وأما ما فى الإحياء من أن ابن عباس
قال « عيادة المريض مرة سنة ، فمحمول على أن ثبوتها بالسنة وأما الزيادة فمستحبة والأجر
الكثير عليها مرتبة فى التعمية الكتابية والحساية أن العيادة فيها الزيادة على العيادة
وقد تقدم حديث « إذا عاد المسلم أخاه أو زاره ناداه مناد طبت وطاب مَثْوَاكَ وتبوات
منزلا فى الجنة ، الترمذى وابن ماجه عن أبى هريرة وفى السنن الإربع والحاكم من حديث
على « من أتى أخاه المسلم عائدا مشى فى خرقه الجنة حتى يجلس فإذا جلس غمرته الرحمة
فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي وإن ظن مساء صلى عليه سبعون
ألف ملك حتى يصبح » واللفظ لابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذى ، ولمسلم
من حديث ثوبان « من عاد مريضاً يزل فى خرقه الجنة » والحاكم والبيهقى من حديث
جابر « إذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فإذا قعد عنده أنفخ فىها » وقال
الحاكم: صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر ، وذكره مالك فى الموطأ بلاغا
بلفظ قرت فيه ورواه الواقدي بلفظ استقر فيها ، والطبرانى فى الصغير من حديث أنس
« فإذا قعد عنده غمرته الرحمة » وله فى الأوسط من حديث كعب بن مالك وعمر بن
حزم استنقع فيها « (ورود النهى فى عيادة صاحب الرمد) بفتحين أى وجمع العين
(والدمل) بضم فتشديد ميم مفتوحة « (ووجع الضرس) أى السن « (والجرب) بفتحين وهو الحسك « (والعرق) بالكسر « (المدنى) منسوب الى المدينة اذ لم
توجد غالباً فى القرية لان منشأها العفونة الكثيرة التى تبدو من الجاعة الكبيرة
(ويسمع) أى العائد « (المحتضر) أى الذى احتضره الموت بعلامات ذالته على القوت

كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَالْحَاحِ وَيُجَلُّ تَغْطِيَةٌ وَجْهَ الْمَيِّتِ . وَتَغْمِيضُ عَيْنِهِ . وَتَجْهِيْزُهُ
وَتَكْفِيْنُهُ بِأَطْيَبِ الثِّيَابِ . وَأَيُّضُهَا لَأَنَّ كَثْرَتَهَا قِيَمَةٌ . وَيُعْزَى الْمَصَابُ ،
وَهِيَ تَسْكِينُ قَلْبِهِ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْأَعْلَامِ بِجَزِيلِ الثَّوَابِ مُصَاحَفًا

وهي سواد الظفر وبرودة الرجلين والتفافهما واعوجاج الالتف وانفتاح العينين وانخفاض
الصدغين ﴿ كلمة التوحيد ﴾ وهي لا اله الا الله فتقدم حديث « من كان آخر كلامه
لا اله الا الله دخل الجنة » وفي صحيح مسلم وغيره « لقنوا موتاكم لا اله الا الله » أي
المشرفين على الموت كحديث « اقرأوا على موتاكم يس » احمد وغيره ﴿ دون الحاح ﴾ أي
لا يبلغ على المختصر بان يقول له قل لا اله الا الله بل يقول عنده ليسمعها ويتفجع بها اذ لا
يبعد انه حال الغلبة والشدة يمتنع عن قبول الكلمة فيتوهم له سوء الخاتمة فنعوذ بالله من
ذلك مع ان المدار على ايمان القلب هنالك وانما يستحب النطق باللسان لانه ترجمان الجنان
على اختلاف في الاقرار انه شرط أو شرط الايمان في أول دخول المسلم في ميدان
الاحسان وايوان الايقان والله المستعان ﴿ ويمجل تغطية وجه الميت ﴾ أي بعد ربط
حنكه ورجليه ﴿ وتغميض عينيه ﴾ فان الميت اذا برد تيسر اعضاؤه وتوحش
اجزأؤه ﴿ وتجهيزه ﴾ أي غسله وما يتعلق به ﴿ وتكفينه بأطيب الثياب ﴾ بان يكون
من وجهه حلال لا يقع فيه العتاب والعقاب ﴿ واييضها ﴾ لاحاديث وردت في هذا الباب
كقوله عليه السلام « البشوا الثياب البيض فانها اطهر واطيب و كفنوا فيها موتاكم »
رواه احمد وغيره عن سمرة ، وفي رواية له عنه بلفظ « عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها
احياؤكم و كفنوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم » وفي رواية الدارقطني في الافراد
عن أنس « خير ثيابكم البياض فالبسوها احياءكم و كفنوا فيها موتاكم » ﴿ لاكثرها
قيمة ﴾ بل اوسطها المعتبر في جميع الباب ﴿ ويعزى المصاب ﴾ أي المتبلى بموت احد
من الاقارب والاحباب ﴿ وهي ﴾ أي التعزية المعبر عنها بالتسلية ﴿ تسكين قلبه ﴾ أي
قلب المصاب ﴿ بالموعظة ﴾ أي بما وقع من الكتاب ﴿ والاعلام بمجزيل الثواب ﴾
حيث قال تعالى : (وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة) ، (وانما يوفى الصابرون
أجرهم بغير حساب) وبان الجزع لا ينفع ويفوت به الاجر ويقع في مقام الحجاب
ففي الترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا « من عزى مصابفا له مثل أجره »
وللترمذي عن أبي هريرة ولفظه « من عزى ثكلى كسى برداً يوم القيامة » ﴿ مصاحفا ﴾

بِالتَّوَّاضِعِ وَإِظْهَارِ الْحُزَنِ وَقِلَّةِ التَّكَلُّمِ وَتَرْكِ التَّبَسُّمِ . وَيَشْهَدُهُ بِالْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ :
وَيَدْعُوهُ عِنْدَ الذِّكْرِ ، فَرَدَّ « لَا تَذْكُرُوا مَوْتَكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ » وَيُشِيعُ الْجَنَازَةَ خَاشِعًا
مُتَفَكِّرًا فِي الْمَوْتِ وَالْإِسْتِعْدَادِ لَهُ غَيْرَ مُتَكَلِّمٍ . وَيُصَلِّي عَلَيْهِ . وَيَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ

أي لا معاظنا كما يفعله عامة أهل مكة ﴿ بالتواضع ﴾ أي بإظهاره معه ﴿ وإظهار الحزن ﴾
أشعارا بمشاركته له فيه ﴿ وقلة التكلم ﴾ أي بأمور الدنيا ﴿ وترك التبسم ﴾ لانه
دلالة على الغفلة عن أحوال العقبى ﴿ ويشهده ﴾ أي للبيت ﴿ بالخير ﴾ أي بأعمال
الخير ظاهرا ﴿ والإيمان ﴾ أي باطنا تحسينا للظن بالمسلم ﴿ ويدعوه عند الذكر ﴾
أي عند ذكره ﴿ فرد لا تذكروا موتاكم إلا بخير ﴾ ففي أبي داود وغيره عن ابن عمر
« اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم » ﴿ ويشيع الجنابة ﴾ ففي
الصحيحين عن أبي هريرة « من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف حتى يدفن
فله قيراطان » ولمسلم من حديث ثوبان « القيراط مثل جبل احد » ولما روى أبو هريرة
الحديث وسمعه ابن عمر قال « لقد فرطنا الى الآن في قراريط كثيرة » ﴿ خاشعا ﴾
أي حال كونه مقرونا بالخشوع والخضوع ﴿ متفكرا في الموت ﴾ أي وفيما بعده
وقبله من الفوت ، وكان مكحول الدمشقي اذا رأى جنازة قال اغد فانار انحون موعظة
بليغة وغفلة سريرة بذهب الاول والاخر لا عقل له ، وخرج مالك بن دينار خلف جنازة
أخيه وهو يبكي ويقول : والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ماصرت ولا والله لا اعلم
مادمت حيا ﴿ والاستعداد له ﴾ أي للوت للحديث « كفى بالموت واعظا » الطبراني عن
عمار ، ولاحمد في الزهد « كفى بالموت مزهدا في الدنيا ومرغبا في الآخرة » ولابن
السني عن انس « كفى بالدهر واعظا بالموت مفقرا » (غير متكلم) أي من كثرة الحزن
والملال واشتغال البال في أمر المآل ، قال الاعمش : كنا نشهد الجنائز فلا ندري
لمن نمزي لحزن القوم كلهم ، واما كلام الغزالي وان يمشي امام الجنازة بقربها وملاحظة
الميت فذهب الشافعي واختار عندنا ان يمشي ورائها فان الجنازة متبوعة لاتابعة كما
ورد ، وملاحظة الميت انما تتصور اذا كان وراءه مع ما فيه من الإشارة الى أنه من
السابقين وانامن اللاحقين ولانه ربما احتيج الى مساعدة حمل الميت فهو حيثئذ انسب
واقرب ﴿ ويصلي عليه ﴾ أي صلاة الجنازة فهي فرض كفاية ﴿ ويقرأ الفاتحة

عند رأسه وأول البقرة عند رجله ويدعوله ويتبرك به . ويجتهدان يكون
عدد المصلين أربعين، فهو علامة قبول الشفاعة ولا يرجع حتى يفرغ من الدفن .
ويقعد بعد وضع الجنازة في القبر مخالفة لأهل الكتاب . ويتصدق الولي قبل
مضى ليلة بشيء إن تيسروا إلا يصلي ركعتين بالفاتحة وآية الكرسي . والتكاثر
عشراني كل ويهبه الثواب . ويسلم ويقف مستدبر القبلة . ويواظب على

عند رأسه) أى بعد دفنه (وأول البقرة) أى إلى المفلحون (عند رجله ويدعو
له) أى بالرحمة والمغفرة أو بالتثبيت في جواب المالكين (ويتبرك به) أى حيث أنه
خرج من الدنيا محل الفتنة والبلوى فقد نظر إبراهيم الزيات إلى الناس يترحمون على
ميت فقال: لو ترحمون على أنفسكم لكان أولى لأنه نجمان أهوال ثلاثة وجه ملك الموت
قد رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد أمن (ويجتهد) أى المصاب
(أن يكون عدد المصلين) أى على جنازة قريبه (أربعين) أى لا أقل من ذلك
(فهو علامة قبول الشفاعة) أى لأنه يبعد عن كرم الله أن لا يقبلها من هذه
الجماعة ولعله رواية والافقي ابن ماجه عن ابى هريرة « من صلى عليه مائة من المسلمين
غفر له » (ولا يرجع) أى من غير ضرورة (حتى يفرغ من الدفن) ليحوز القيراطين
(ويقعد) أى لا يقف (بعد وضع الجنازة) أى لا قبله واختلف أن المراد به وضعها
عن الرقاب أو كما قال المصنف (في القبر مخالفة لأهل الكتاب) في هذا الأمر
(ويتصدق الولي قبل مضى ليلة بشيء) أى من الصدقات والخيرات (أن تيسر)
فإن الميت حينئذ كالغريق المتغوث يريد الخلاص والنجاة (والا) أى وإن لم تيسر
التصدق الحسى فيصدق بالمعنوى وهو أن (يصلي ركعتين بالفاتحة وآية الكرسي)
أى لأجل حفظه من العذاب (والتكاثر) أى وسورة الها كم التكاثر حتى زرعهم المقابر
للاعتبار والتذكرو ترك المفاخر (عشرا) أى عشر مرات (في كل) أى من الركعتين
(ويهبه الثواب) رجاء النجاة من العذاب (ويسلم) أى على صاحب القبر (ويقف
مستدبر القبلة) أى ومستقبل الميت كما هو في آداب السلام مع الأنام ويجوز أن يجلس
عنده حتى يستأنس به ، وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فقليل لفى ذلك فقال : اجلس
إلى قوم يذكرون معادى وإن قتت عنهم لم يغتابوني (ويواظب) أى الولي (على

الصدقة سبعة أيام ويזור القبر ناويا به الدعاء والرقعة والعبرة ، فورد
« زوروا القبور فانها تذكر الآخرة وتدمع العين وترق القلب » من لم ينس
المقابر والبلى حين قيل من ازهد الناس؟ وبقرا القرآن ما تيسر ثم يسبح ويدعو،

الصدقة سبعة ايام ويזור القبر) اى قبر صاحبه أو القبور (ناويا به الدعاء)
لا اله (والرقعة والعبرة) لنفسه (فورد زوروا القبور فانها تذكر الآخرة) وفي
رواية ابن ماجه عن ابى هريرة « فانها تذكركم الآخرة » (وتدمع العين وترق القلب)
وفي رواية الحاكم عن انس « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فانها ترق
القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا » وفي رواية ابن ماجه عن ابن
مسعود « فانها ترهق الدنيا وتذكر الآخرة » (من لم ينس) اى وورد ايضا من لم ينس
(المقابر والبلى) اى الفتنة فى عالم البلاء (حين قيل من ازهد الناس) ظرف لورد
المقدر فتدبر ، وفي رواية اليهقى عن الضحاك مرسلا « ازهد الناس من لم ينس القبر
والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه
فى الموتى » وفي رواية الترمذى وغيره عن أسماء بنت عميس « بنس العبد عبد نخيل واختال
ونسى الكبير المتعال بنس العبد عبد نجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بنس العبد
عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى بنس العبد عبد عتاروطفا ونسى المبتدأ والمنتهى
بنس العبد عبد يختل الدنيا بالدين اى يطلب بنس العبد عبد يختل الدين بالشبهات بنس
العبد عبد طمع يقوده بنس العبد عبد هوى يضله بنس العبد عبد رغب يذله » والحاصل
ان المقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بهذا البلاء وللزور والارتفاع بالدعاء ، وعن عمر
ابن عبد العزيز انه دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورة الخليفة لكثرة الجهد والعبادة
فقال عمر الفقيه : لو رأيتى بعد ثلاثة ايام وقد ادخلت فى قبرى وقد خرجت الحدقتان
فسالتا على الحدين وتقبلت الشفتان وخرج الدود والصديد من الفم وتتن البطن وعلا
الصدر وافتتح الفم وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت اعجب مما تراه الآن
(وبقرا القرآن ما تيسر) فى صحيح مسلم عن ابى امامة الباهلى « اقرءوا القرآن فانه
يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه » (ثم يسبح ويدعو) اى بالرحمة والمغفرة لنفسه
وللمؤمنين والمؤمنات فان الاذكار كلها نافعة له فى تلك الدار ، وعن حاتم الاصب
« من مر بالمقابر فلم يعتبر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم » وقال سفيان : من اكثر

وَوَرَدَ قِرَاءَةُ يَسٍ فِي الْمَشَاهِيرِ وَالْأَخْلَاصِ سَبْعًا فَوَعَدَ فِيهِ مَغْفَرَةً الْمَيِّتِ
وَالْقَارِيءِ إِنْ غَفَرَ لِلْيَتِّ وَيَعِينُ لَهَا يَوْمَ الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ . وَالْاِثْنَيْنِ
فَالْمَوْتَى يَعْلَمُونَ زَوَارِهِمْ فِيهَا . وَلَا يَطْوُهُ وَلَا يَمْسُ ، فَوَرَدَ النَّهْيُ وَلَا يَقْبَلُ وَيَبْرُ
الْوَالِدَيْنِ فَالْعُقُوقُ مِنَ الْكِبَارِ

ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر
النيران » (وورد قراءة يس في المشاهير) اى فى الاحاديث المشهورة أو الروايات
المأثورة فقد تقدم حديث « اقموا على موتاكم يس » وحمله الجمهور على ان المراد بالموتى
المشرفون على الموت ولا يبعد حمله على الحقيقة واما الجمع بين الحقيقة والمجاز فلا
يجوز عندنا خلافا للشافعى (والاخلاص سبعا) اى سبع مرات (فوعده فيه مغفرة الميت
والقارىء ان غفر لليت) اى ان كان الميت مغفورا ولم اجده اصلا والمشهور انه يقرأ
ثلاث مرات لانه بمنزلة ختم القرآن بجميع الآيات فى مسند احمد وغيره عن ابى « من
قرأ قل هو الله احد فكذا تقرأ ثلث القرآن » وفى رواية العقيلى عن رجاء الغنوى « من قرأ
قل هو الله احد ثلاث مرات فكذا تقرأ القرآن اجمع » وفى رواية لاحد عن معاذ بن
انس « من قرأ قل هو الله احد عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة » (ويعين لها) اى
لزيارة القبور (يوم الخميس والجمعة) فى رواية ابن عدى عن ابى بكر من زار قبر
والديه او احدهما يوم الجمعة فقرأ عنده يس غفر له (والسبت) اى لقربه الى الجمعة
(والاثنين) فانها ايام فواضل وللعبادة فيها زيادة فضائل (فالموتى يعلمون زوارهم
فيها) اى زيادة علم بها (ولا يطوّه) اى لا يدوس القبر ولا يقعد عليه فللخطيب عن
ابى هريرة لان اطاع على جرة احب الى من ان اطاع على قبر (ولا يمس) اى القبر ولا التابوت ولا
الجدر (فورد النهى) اى عن مثل ذلك بقبوره عليه السلام فكيف بقبور سائر الانام
(ولا يقبل) فانه زيادة على المس فهو اولى بالنهى فالتقيل محتص بالحجر الاسود
وبايدى الانبياء والعلماء والصلحاء (ويبر الوالدين) اى يحسن اليهما فان فيه خير
الدارين قال تعالى : (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) وفى قراءة احسانا (فالعقوق) اى مخالفة
احدهما على وجه لا يحتمل لها (من الكبار) وقلة الادب معهما من الصغائر وقد سئل
عليه السلام عن الكبار « فقال سبع الاشر الك بالله وعقوق الوالدين » الحديث وقال عز وجل

لَأَسِيمًا أُمًّا ، قَوَّرَدَ «بِرَّهَا ضَعْفَانِ عَلَى الْوَالِدِ» مُقَدِّمًا عَلَى الْمُنْدُوبَاتِ لِأَلْوَابِجَاتِ ،
فَهُوَ الْمُرَادُ بِمَا وَرَدَ «بِرَّ الْوَالِدَيْنِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْعُمْرَةِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ ،
وَيَسْتَأْذِنُ لِلدُّخُولِ عَلَيْهِمَا وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمَا وَيَنْفِذُ عَهْدَهُمَا وَوَصَايَاهُمَا وَيُكْرِمُ
أَصْدَقَاهُمَا» قَوَّرَدَ

(وقضى ربك الاتعبوا الاياها وبالوالدين احسانا) وللطبراني في الصغير من حديث ابى هريرة ان الجنة يوجد ربحها من مسيرة خمسمائة عام لا يجدر بحماها قال: (لا سيما الام فورد برها ضعفان على الوالد) اى على حقه كذا فى الاحياء وقال مخرجه: غريب بهذا اللفظ وقد ورد فى معناه حديث بزر بن حكيم عن ابيه عن جده «من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم الاقرب فالاقرب» ابوداود والترمذى والحاكم وصححه، وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة «قال رجل من اهل حق الناس بحسن الصلوة؟ قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك» ولعله مقتبس من قوله تعالى (حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) فان مشقة الحمل والوضع والقطام من زيادة حق الوالدة مع ما لها من كمال الشفقة والرحمة، هذا وللنسائي من حديث طارق المحاربى واحمد والحاكم من حديث ابى رزمة، برامك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك ، (مقدما) حال من فاعل ير (على المندوبات لا الواجبات) اى الفرائض العينية من العبادات (فهو المراد بما ورد بر الوالدين افضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد) اى اذا كانت هذه الطاعات نوافل ولا يبعد ان يراد به المبالغة او يزاد به من حيث انه من حقوق العباد المستلزمة لحق الله سبحانه افضل من مجرد حقوق الله تعالى فان العفو فى ترك حقوق الرب اقرب ويؤيده ما فى الاحياء من ان الله تعالى «اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى انه من بروالديه وعفى كتبت بارا ومن برنى وعق والديه كتبت عاقا ، واما حديث المتن فكذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اجده هكذا وروى ابو يعلى والطبراني فى الصغير والاولى من حديث انس «اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: انى اشتهى الجهاد ولا اقدر عاياه قال: هل بقى من والديك احدا؟ قال اى قال لجاهد فى برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ومعتبر ومجاهد ، واسناده حسن (ويستأذن للدخول عليهما) اى ادا بمعهما حال حياتهما (ويستغفر لهما) اى بعدما تمها (وينفذ عهودهما ووصاياهما) بل يقضى حقوقهما ولو من غير عهدهما (ويكرم اصديقاهما فورد) اى فى صحيح مسلم من حديث

«إِنَّ مِنْ أَمْرِ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدَّايِهِ بَعْدَ أَنْ يُولَى الْآبَ»
وَيَتَصَدَّقَ لَهْمَا وَيُزَوِّرُهُمَا حَيًّا وَمَيِّتًا، فُورِدَ «مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبِيهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فِي كُلِّ
جُمُعَةٍ غُفِرَ لَهُ وَكُتِبَ بِرًّا» وَيَقْطَعُ لِسَانَ السَّفِيهِ عَنْهُمَا بِمَالِهِ، فَهُوَ مِنَ الْبِرِّ وَيَقْدُمُ
حَقَّ الْمَعْلَمِ عَلَى حَقِّهِمَا فَهُوَ حَيَاةُ الرُّوحِ وَلَا يَقْرَعُ بَابَ دَارِهِ، فُورِدَ (وَلَوْ أَنَّهُمْ
صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) وَيَصِلُ الرَّحِمَ بِمَا أَمَكَنَ

ابن عمر (ان من ابر البر) اى من افضل الاحسان واكمل الامتان بالنسبة الى
الوالدين للانسان (ان يصل الرجل) اى الشخص (اهل ودايه بعد ان يولى الاب
اى فى غيبته سواء كان فى حال حياته او موته ، و كذا حكم الوالدة بل هو الاولى كما لا يخفى
فروى أبو داود وابن ماجه وابن حبان. والحاكم وقال صحيح الاسناد عن مالك
ابن ربيعة «قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ اذ جاءه رجل من بنى سُلَيمَةَ فقال: هل
بقى على من بر والذى شئى ابرهما بعد وفاتهما؟ قال: نعم الصلاة عليهما والاستغفار
لهما واتفاذهما وكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا يوصل الا بهما» (و يتصدق
لهما) لحديث الطبرانى فى الاوسط و ما على احد اذا اراد ان يتصدق بصدقة أن
يجعلها لوالديه فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص
من أجورهما شئ. « (و يزورهما حيا وميتا) وأقله فى كل جمعة مرة (فوردمن
زار قبر أبويه أو أحدهما فى كل جمعة) أى بخصوصهما وهو الأفضل لتضاعف الحسنة
فيه بسبعين مرة أو فى كل أسبوع (غفر له وكتب برا) الحكيم الترمذى عن أبى
هريرة (ويقطع لسان السفية عنهما بماله فهو من البر) أى فى حقه وحقهما فى رواية
العسكرى والقضاعى عن جابر مرفوعا «ما وفى به المرء عرضه فهو له صدقة» (ويقدم
حق المعلم) أى للعلوم الشرعية (على حقهما) فان حقهما من الامور الشرعية (فهو)
أى المعلم سبب (حياة الروح) أى فى الأبد وهما سبب إيجاد الجسد فى دار النكد
والكبد (ولا يقرع باب داره) بل يقف كالعبد فى انتظاره فروى «الشيخ فى قومه
ثالثي فى أمته» (فوردمن) أى فى آى التنزيل (ولو أنهم) أى المؤمنون الذين أتوا النبي
ﷺ (صبروا) أى من غير خطاب ولا دق باب (حتى تخرج اليهم) وقت ذهاب
أو اياهم (لكان خيرا لهم) فى كثرة ثواب وحسن آب (ويصل الرحم بما أمكن

مَنْ عَطَا وَزِيَارَةَ وَدُعَاءَ، فَوَرَدَ «مَنْ كَانَ يَوْمَنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ
بُلُوًّا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ» قِيلَ يُكْرَهُ جَوَارُ الْقَرِيبِ فَهُوَ يَرْفَعُ الْحَرَمَةَ وَيُورِثُ
الْقَطِيعَةَ

من عطاء وزيارة ودعاء وكذا ما يعرض له من هناء وعزاء (فورد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه) لم أجد أصله، وفي الصحيحين من حديث عائشة عنه عليه السلام «يقول الله تعالى: أنا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها تبته أي قطعت البتة» وفيهما من حديث أنس «من سره أن ينسأله في أثره أي يؤخر في أجله - ويوسع في رزقه فليصل رحمه» وزاد أحمد والحاكم بإسناد جيد من حديث علي «فليقلق الله وليصل الرحم» والاحمد والطبراني من حديث ذرة بنت أنى لخب بأسناد حسن «أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الناس أفضل؟ قال: اتقاهم الله وأوصلهم للرحم وأمرهم بالمعروف وأنهم عن المنكر» وللطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو «ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافى ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها» وهو عند البخارى دون قوله «الرحم معلقة بالعرش» فرواها مسلم من حديث عائشة، ولاحمد من حديث معاذ، وللطبراني من حديث أبي أمامة «أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفيح عن ظلمك» وقالت أسماء بنت أبي بكر «قدمت على امي فقلت: يا رسول الله ان امي قدمت على مشركه أفواصلها؟ قال نعم صليها» رواه الشيخان، وفي رواية «افاعطيها قال نعم صليها» وهو مقتبس من قوله تعالى: (وصاحبهما في الدنيا معروفا) وللترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبي «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة» (بلوا) أي وورد بلوا وهو بضم الباء واللام المشددة أي جددوا وفي رواية صلوا (أرحامكم ولو بالسلاام) أي مشافهة أو مكتابة، والحديث رواه العسكرى من حديث أنس مرفوعا (قيل يكره جوار القريب) أي مجاورته وكذا مسافرته (فهو يرفع الحرمة ويورث القطيعة) أي بسبب الملالة كما قيل في كراهة مجاورة مكة والمدينة انها سبب قلة الحشمة والعظمة، وعن عمر رضى الله عنه أنه كتب الى عماله مروا الاقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا، ونظيره أنه كان يقول في الحج

ويزوره غبا ويراعى حق الكبير كحق الأبوين والصغير كالولد، ويشتره
 مملوكا ليعتق لآسيا الوالدين فهو قضاء حقهما . ويبالغ في استرضاء الجار،
 فورد « مازال جبريل يوصيني في الجار حتى ظننت أنه سيورثه »

يا أهل اليمن بمنكم ويا أهل العراق عراكم ويا أهل الشام شامكم (ويزوره غبا)
 أى ليزداد حبا (ويراعى حق الكبير) من الأخ والاخت والعم والعمة والحال
 والحالة (كحق الأبوين والصغير) أى منهم (كالولد) أى والمساوى كالأخ
 (ويشتره) أى قربه (مملوكا ليعتق) أى لاجل أن يعتقه أوليعتق عليه
 إذا كان من ذى رحم محرم منه كما هو مذهبنا (لآسيا الوالدين فهو قضاء
 حقهما) وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة « لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا
 فيشتريه فيعتقه » أى بان ينوى عتقه أو يصير سيدا لعتقه (ويبالغ في استرضاء الجار)
 قليل الجار ثم الدار، واستنبط هذه النكته من قول آسية امرأة فرعون (اذ قالت
 رب ابن لى عندك يتتافى الجنة) . (فورد) أى فى الصحيحين عن عائشة . وابن عمر
 (مازال جبريل يوصيني فى الجار) أى الاحسان فى حقه بالماء وغيره (حتى ظننت أنه)
 أى الجار (سيورثه) أى الجار الآخر، وفيهما عن أبى شريح « من كان يؤمن بالله
 واليوم الآخر فليكرم جاره » وللبخارى عنه « لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه »
 والبخاري . وأبو الشيخ وأبو نعيم عن جابر « الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له
 ثلاثة حقوق فالجار الذى له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار
 وحق الاسلام وحق الرحم وأما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام
 وأما الذى له حق واحد فالجار المشرك » أقول : فلهل حقه أقوى من غيره لانه لا يساعده
 فى تقصيره وكان هذا هو الموجب فيما نقله ابن مجاهد « كنت عند عبد الله بن عمر و غلام له
 يسلم شاة فقال : يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا فقال له
 كم تقول هذا ؟ فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى
 خشينا انه سيورثه » رواه أبو داود والترمذى وقال حسن غريب، ولاحمد والحاكم
 وصححه من حديث أبى هريرة « انه قيل له عليه السلام ان فلانة تصوم النهار وتقوم
 الليل وتؤذى جيرانها فقال: هى فى النار » وللخراطى . وابن عدى عن عمرو بن شعيب
 عن أبيه عن جده « أتدرون ما حق الجار ؟ ان استعان بك أعتته وان استقرضك

وَيَمْنُ الدَّارِ سَعَتُهُ وَحَسَنُ جَوَارِ أَهْلِهِ، وَوَرَدَ فِي حَدِيثِهِ بَعُونَ دَارًا، وَرَوَى أَرْبَعُونَ

أَفْرَضَتْهُ وَإِنْ أَفْقَرَتْ عَدَتْ إِلَيْهِ وَإِنْ مَاتَ شِيعَتْ جَنَازَتُهُ وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَأَتْهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّتْهُ وَلَا تَسْتَطِلُّ عَلَيْهِ بِالْبِنَاءِ فَتُحْجَبُ عَنْهُ الرِّيحُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَإِذَا اشْتَرَيْتَ فَاكْهَةً فَاهْدِلْهَا فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَادْخُلْهُ سِرًّا وَلَا تَخْرِجْ بِهَا وَلَدَكَ لِيُغِظَ بِهَا وَلَدَهُ وَلَا تُؤْذِهِ بِقِتَارِ قَدْرِكَ إِلَّا أَنْ تَعْرِفَ لَهُ مِنْهَا اتَدْرُونَ مَا حَقَّ الْجَارُ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَبْلُغُ حَقَّ الْجَارِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: إِذَا طَبَخْتَ فَافْكَرْ الْمَرْقَ ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتِكَ مِنْ جِيرَانِكَ فَاغْرِفْ لَهُمْ مِنْهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا «يَأْتِيَنَّ الْمَسَلَمَاتُ لَا تَحْقِرْنَ جَارَةَ لَجَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسْنَ شَاةً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَجَمَلَتْهُ أَنْ يُحِبَّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ فَقَدْ حَكَى أَنَّ بَعْضَهُمْ شَكَكَ كَثْرَةَ الْفَارِ فِي دَارِهِ فَقِيلَ لَوَاقْنِيَتْ هَرَا فَقَالَ: أَخَشَى أَنْ يَسْمَعَ الْفَارَ صَوْتَ الْمَرْءِ فَيَهْرَبُ مِنْهُ إِلَى دَارِ الْجَارِ فَكَوْنُ قَدْ أَحْبَبْتَ لَهُ مَا لَا أَحِبُّ لِنَفْسِي ((وَيَمْنُ الدَّارِ)) أَيْ وَوَرَدَ بِرُكْنِهِ ((سَعَتُهُ)) أَيْ وَسَعَتُهُ بِقَدْرِ كِفَايَتِهِ ((وَحَسَنُ جَوَارِ أَهْلِهِ)) أَيْ بِمَجَاوِرَتِهِ فِي مَحَاوِرَتِهِ، وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ الشَّوْمُ فِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ قِيلَ فَيَمْنُ الدَّارِ سَعَتُهُ وَحَسَنُ جَوَارِ أَهْلِهِ وَشَوْمُهُ ضَيْقُهُ وَسُوءُ جَوَارِ أَهْلِهِ وَشَوْمُ الْمَرْأَةِ عَقْمُ رَحِمِهَا وَسُوءُ خَلْقِهَا وَيَمْنُهَا خَفَةُ مَهْرِهَا وَيَسَرُّ نِكَاحِهَا وَحَسَنُ خَلْقِهَا وَيَمْنُ الْفَرَسِ ذَلُّهُ وَحَسَنُ خَلْقِهِ وَشَوْمُهُ صَعُوبَتُهُ وَسُوءُ خَلْقِهِ، وَلِلدِّمَاطِيِّ مِنْ رِوَايَةِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَرْسَلًا إِذَا كَانَ الْفَرَسُ ضَرْبًا فَوُجُوهُهُ مَشْوُومٌ وَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ قَدْ عَرَفَتْ زَوْجًا قَبْلَ زَوْجِهَا لَحُذَتْ إِلَى الزَّوْجِ الْأَوَّلِ فِي مَشْوُومَةٍ وَإِذَا كَانَتِ الدَّارُ بَعِيدَةً مِنَ الْمَسْجِدِ لَا يَسْمَعُ مِنْهَا الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ فِيهِ مَشْوُومَةٌ وَاسْتَدَاهُ ضَعِيفٌ وَوَصَلَهُ صَاحِبُ الْفَرَدُوسِ بِذِكْرِ ابْنِ عُمَرَ فِيهِ وَهُوَ لَا يَنَاقِ مَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَنُكْتَبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ) وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا بَنِي سُلَيْمَةَ دِيَارَكُمْ دِيَارَكُمْ تَكْتُبُ آثَرَكُمْ» فَانْهَمَوْا عَلَى أَنْ لَا جَزَاءَ عَلَى قَدْرِ الْمَشَقَّةِ فِي هَذَا الْإِعْتِبَارِ مَبَارَكَةٌ وَمَقْبُولَةٌ ((وَوَرَدَ فِي حَدِيثِهِ أَرْبَعُونَ دَارًا)) فَعَنْ الزَّهْرِيِّ مَرْسَلًا: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْكُو جَارَهُ فَأَمَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَنَادِيَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ إِلَّا أَنْ أَرْبَعِينَ دَارًا جَارًا، أَبُو دَاوُدَ فِي مَرَاتِيلِهِ قَالَ الزَّهْرِيُّ: «أَرْبَعُونَ هَكَذَا وَأَرْبَعُونَ هَكَذَا وَأَرْبَعُونَ هَكَذَا وَأَوْمَأَ إِلَى أَرْبَعِ جِهَاتٍ، وَوَصَلَهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ رِوَايَةِ الزَّهْرِيِّ عَنْ ابْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلَى مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ أَرْبَعُونَ: ذَرَاْعًا وَكَلَامُهُمَا ضَعِيفٌ ((وَرَوَى أَرْبَعُونَ

فِي كُلِّ جَهَةٍ وَيَحْتَرِزُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى بَيْتِهِ وَإِجْرَاءِ الْمِيزَابِ إِلَيْهِ وَوَضَعَ السَّارِيَةَ
عَلَى حَائِطِهِ وَالْمُضَايِقَةَ فِي إِقْلَاءِ التُّرَابِ بَيْنَ يَدَيْ دَارِهِ وَلَا يَمْنَعُ عَنْهُ الرِّيحُ بَرْفَعِ الْبِنَاءِ
وَلَا نَحْوِ الْمَلْحِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ وَيُرْسِلُ إِلَيْهِ ثَمَرَةً يَشْتَرِيهَا أَوْ يُخْفِيهَا وَلَا يَبْلُغُهُ رِيحُ
الْقَدَرِ إِلَّا أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ وَيُسَامِحَ مَا أَمَكَنَ

في كل جهة)) وهذا قد علم ما تقدم فكانه يشير الى ما قبل من أن المراد باربعين في مجموع الجهات
بان يكون عشرة في كل جهة، وعن عائشة « قلت يا رسول الله انى لى جار ين أحدهما
مقبل ببابه والآخر نائبا به عنى وربما كان الذى عندى لا يسمعهما فإيهما أعظم حقا
قال: المقبل عليك ببابه » رواه البخارى فيه تنبيه الى مراعاة الاقرب كما يشير اليه قوله
تعالى (والجار ذى القربى والجار الجنب) وعن ابن مسعود « قال رجل يا رسول الله كيف
لى أن أعلم اذا أحسنت أو أسأت قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت
واذا سمعت جيرانك يقولون أسأت فقد أسأت » أحمد والطبرانى باسناد جيد، ولاحمد
وغيره عنه عليه السلام « من أراد به خيرا غسله قبل وما غسله قال يحببه الى جيرانه »
وفى رواية البيهقى « يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله » واسناده
جيد « ويحترز عن النظر الى بيته » بان لا يطلع من السطح وغيره على عوراته وان
اطلع من غير قصد فيصفح عن زلاته « واجراء الميزاب اليه » بان يكون ضررا
الانصباب عليه « ووضع السارية » أى الأسطوانة « على حائطه » أى جداره، وفى
الصحاحين عن أبى هريرة « لا يمتنع أحد كم جاره أن يغرز خشبة فى جداره » وفى
مكارم الاخلاق للخرائطى عن أبى هريرة « قضى عليه السلام أن الجار يضع جذعة
فى حائط جاره شاء أم أبى » واسناده جيد « والمضايقة فى القاء التراب » أى ونحوه
من الرماد وغيره « بين يدى داره ولا يمتنع عنه الریح برفع البناء » وكذا الضوء
بسد الهواء « ولا نحو الملح والماء والنار » فان منعها مطلقا من العار فكيف عن الجار
« ويرسل اليه ثمره » أى فاكهة « يشتريها أو يخفيها » بان لا يبيدها لانه اذا رآها رما
بشتمها ولم يكن قادرا على ان يشتريها « ولا يبلغه » أى لا يوصله « ریح القدر » أى
غليانه ودخانه « الا ان يرسل اليه » والا فيقال فى حقه : احسانه ما يأتينا دخانه يعمينا
« ويسامح ما أمكن » أى من تقصيراته لانه ليس حق الجار مجرد كفى الاذى بل احتمال

وَيُحَسِّنُ الْمَعَاشِرَةَ مَعَ الْمَرْأَةِ، فَوَرَدَ (وَاعْشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) مَنْ صَبَرَ عَلَى سُوءِ خُلُقِ امْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ أَيُّوبَ عَلَى بَلَائِهِ وَهَنْ صَبَرَتْ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهَا أَعْطَاهَا اللَّهُ ثَوَابَ آسِيَةِ »

الآذَى وَلَا يَكُنْ فِي احْتِمَالِ الْآذَى بَلْ لَا بَدَمَنْ الرِّفْقِ وَبِذَلِكَ النَّدَى ﴿ وَيُحَسِّنُ الْمَعَاشِرَةَ مَعَ الْمَرْأَةِ ﴾ فَيُحَسِّنُ الْخُلُقَ مَعَهُنَّ وَيَحْتَمِلُ الْآذَى عَنْهُنَّ تَرْحَمًا عَلَيْهِنَّ لِقُصُورِ عَقْلِهِنَّ ﴿ فَوَرَدَ ﴾ أَيْ فِي الْقُرْآنِ ﴿ وَاعْشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ تِمَامُهُ (فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) وَفِي آيَةٍ أُخْرَى (فَمَا سَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِجُ بِإِحْسَانٍ) وَفِي أُخْرَى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ) وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنِّي أَحَبُّ أَنْ أَتَزِينَ لِمَرْأَتِي كَمَا تَحِبُّ لِمَرْأَتِي أَنْ تَتَزِينَ لِي لِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿ (مَنْ صَبَرَ) أَيْ وَرَدَ مِنْ صَبَرِ ﴿ (عَلَى سُوءِ خُلُقِ امْرَأَتِهِ أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ أَيُّوبَ عَلَى بَلَائِهِ وَهَنْ صَبَرَتْ عَلَى سُوءِ خُلُقِ زَوْجِهَا أَعْطَاهَا اللَّهُ ثَوَابَ آسِيَةِ) امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ كَذَبَتْ فِي الْأَحْيَاءِ وَقَالَ مَخْرَجُهُ: لَمْ أَجِدْ لَهُ أَصْلًا قُلْتُ: وَمَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ ثَبُوتِهِ فَقَدْ الْمَلَأْتُهُ بَيْنَ الْفَقْرَتَيْنِ فَإِنَّ امْرَأَةَ أَيُّوبَ كَانَتْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَالصَّابِرَاتِ عَلَى الْمَشَقَّاتِ فَحَسَنَ الْمُقَابَلَةِ أَنْ يُقَالَ مِثْلُ مَا أُعْطِيَ نُوحٌ أَوْ لُوطٌ عَلَى بَلَائِهِ أَيْ ابْتِلَائِهِ بِامْرَأَتِهِ فَيَكُونُ مَشِيرًا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى (ضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا لِلَّذِينَ ظَفَرُوا امْرَأَاتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطَ كَاتَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَفَّتَاهُمَا) أَيْ بِالْكَفْرِ لِأَنَّ حَرَمَ الْأَنْبِيَاءِ مَصُونَاتٌ عَنِ الزِّنَا إِلَى أَنْ قَالَ (وَضَرَبَ اللَّهُ مِثْلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ) الْآيَةُ وَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ « أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَالطُّفْهَمَ بِأَهْلِهِ » التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ وَصَحَّحَهُ « خَيْرَكُمْ خَيْرَكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرَكُمْ لِأَهْلِي » ثُمَّ لَيْسَ حَسَنُ الْخُلُقِ مَعَهَا بِمَجْرَدِ كَفِّ الْآذَى عَنْهَا بَلْ تَحْمِلُ الْآذَى مِنْهَا وَالْحِلْمُ عِنْدَ طَيْشِهَا وَغَضَبِهَا وَقَلَّةُ أَدْبِهَا اقْتِدَاءً بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّ أَزْوَاجَهُ كُنَّ يَرَاجِعُنَّهُ فِي الْكَلَامِ وَتَهْجُرُهُ الْوَاحِدَةُ مِنْهُنَّ إِلَى اللَّيْلِ كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ فِي الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَأَنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ) أَيْ عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ وَفِي زَوَايَا أَبِي يَعْلَى فِي مُسْنَدِهِ وَأَبِي الشَّيْخِ فِي كِتَابِ الْأَمْثَالِ وَفِيهِ ابْنُ اسْحَقَ وَقَدْ عَنَّهُ قَالَتْ عَائِشَةُ لَهُ مَرَّةً فِي كَلَامٍ « غَضِبْتَ عَنْده أَنْتَ الَّذِي تَزْعُمُ أَنَّكَ نَبِيُّ اللَّهِ فَتُبْسِمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاحْتَمَلْتَ ذَلِكَ خَلْبًا وَكِرْمًا » أَقُولُ: وَهَذَا لَعَلَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهَا مَا خَرَجَتْ بِهَذَا الْكَلَامِ مِنَ الْإِسْلَامِ لَمَّا أَطْلَعَهُ اللَّهُ

وَيَبْسُطُ لَبًا وَمَرَا حًا ، فَوَرَدَ « هَلَّا بَكْرًا تَلَاعِبَهَا وَتَلَاعِبَكَ » وَلَا يَدْعُ

الْإِنْقِبَاضَ ،

سبحانه من علم الغيب في الأحكام والا فظا هره ردة لو صدر مثله من غيرها لحكم بكفرها وكان عليه السلام يقول لها « انى لأعرف غضبك على من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا والله محمد واذا غضبت قلت لا والله ابراهيم قالت صدقت انما أجهز اسمك » وراجعت امرأة عمر في الكلام « فقال أوتراجعيني فقلت ان أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعته فقال عمر خابت عمر خابت حفصة وخسرت ، أى ان راجعته ثم قال لحفصة : « لا تغترى بآبنة ابن أبى قحافة فانها حب رسول الله ﷺ » وروى « أنه وقعت احداهن في صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزبرتها امها فقال عليه السلام : دعها فانهن يصنعن أكثر من ذلك » . « وينبسط لعبا ومزاحا » فانه يوجب اصلاحا ويفيد فلاحا « (فورد) » أى خطابا للجا بر « (هلا بكرا) » أى أخذتها « (تلاعبها وتلاعبك) » وفي نسخة « تداعبها وتداعبك » وكان عليه السلام « يمزح معهن وينزل الى درجة عقولهن » حتى روى « أنه كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الأيام فقال عليه السلام : هذه بتلك » أبو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة بسند صحيح ، وقالت عائشة : « سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم يلعبون في يوم عيد فقال لى : اتحبين أن ترى لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجأوا وقام عليه السلام بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده وجعلت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : حسبك يا حميراء أو قل لا تعجل مرتين » والحديث رواه الشيخان والنسائي مع اختلاف في بعض الألفاظ ، وقال عمر رضى الله عنه مع خشوته : ينبغى للرجل أن يكون في أهله كالصبي فاذا التمس ما عنده وجد رجلا ، وكذا روى عن لقمان ووصفت أعرابية زوجها وقد مات فقالت : كان ضحوكا اذا ولج سكونا اذا خرج آكلا ما وجد غير سائل عما فقد « (ولا يدع الانقباض) » أى بالمرحة حتى لا يصير محكوما للبرأة واسيرا لها في الحرمة فكانت نساء العرب يعلنن بناتهن اختبار أزواجهن وتقول لبنتها اختبرى زوجك قبل الاقدام والجرأة عليه انزعى زج رحمه فان سكنت فقطعى اللحم على ترسه فان سكنت فكسبرى العظام بسيفه فان صبر فاجعلى الاكاف على ظهره فانما

فورد «وخالفوهن فالبركة في خلافهن» ويغار بمبادئ الأمور ولها غوائل،
 وورد «إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم
 الله عليه»

هو حمارك في أمره طول عمره، هذا وفي البخاري عن أبي بكرة «لا يفلح قوم تملكتهم
 امرأة» وروى أن أسماء بنت خزيمة الفزاري قال لأبنته عند زفافها إنك خرجت
 من العش الذي فيه درجت وصرت إلى فراش لم تعرفه وقرين لم تألفه، فكوني له
 أرضاً يكن لك سماء وكوني له مهاداً يكن لك عماداً وكوني له أمة يكن لك عبداً
 لا تلحن به فيقلاك ولا تباعدى عنه فينسأك إن دنا فاقربي منه وإن نأى فابعدى عنه
 واحفظي أهله وسمعه وعينه لا يشم منك إلا طيباً ولا يسمع منك إلا حسناً ولا
 ينظر منك إلا جميلاً، وقال رجل لزوجته :

خذى العفو منى تستدبى مودتى ولا تنطقى في سورتى حين أغضب
 ولا تتقربنى نقرة الدف مرة فانك لا تدريين كيف المغيب
 لأنى رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

﴿فورد﴾ أى كما سبق ﴿وخالفوهن﴾ أى في المشورة وأصل الحديث «شاوروهن
 وخالفوهن» ﴿فالبركة في خلافهن﴾ أى لقلّة عقلهن ونقصان دينهن وهن تمتع كلام
 عمر رضى الله عنه «خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة» وقال الحسن «والله ما أصبح
 رجل يطيع امرأته بما تهوى إلا أكبه الله في النار» وأما ما أورده الغزالي من حديث
 «تعس عبد الزوجة» فلا أصل له وإنما ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة
 «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم» والله سبحانه أعلم ﴿ويغار بمبادئ الأمور﴾
 لثلاث تأدى إلى مناهى الشرور ﴿ولها غوائل﴾ جملة حالية أى والحال إن للمرأة مناكر
 ورذائل فأنهن كما ورد «للشيطان حبات» فالغيرة بعد ظهور الزينة من أخلاق الرجال
 وأرباب الفضائل وأصحاب الفواضل بل من باب التخلق بأخلاق الله ﴿وورد أن الله تعالى
 يغار والمؤمن﴾ أى الكامل ﴿يغار﴾ أى على امرأته وجاريته وقرابته وهذا
 ظاهر ﴿وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه﴾ أى من الزنى وغيره والحديث
 متفق عليه من حديث أبي هريرة إلا أن البخاري لم يقل والمؤمن يغار والحاصل أن الغيرة
 كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو من حقه وغيرة الله أن يكون مخالفة أمره

وَلَا يُفِرُّ ، فَوَرَدَ « مِنْ الْغَيْرَةِ غَيْرَةُ يَبْغِضُهَا اللَّهُ » وَهِيَ غَيْرَةُ الرَّجُلِ
مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ ، وَيَمْنَعُ عَنِ الْحُضُورِ فِي الْمَسْجِدِ

((ولا يفرط)) أى لا يبالغ فى الغيرة لئلا يقع فى محذور ((فورد)) أى فى رواية
أبى داود والنسائى . وابن حبان من حديث جابر بن عتيك ((من الغيرة غيرة يبغضها الله
وهى غيرة الرجل)) أى على أهله ((من غير رية)) أى شك وشبهة ، وفى رواية
« أن من الغيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله » الحديث وجاء فى حديث عنه
عليه السلام « انى لغيرور وما من امرئ لا يغار الا مذكوس القلب وقد قال على رضى الله
عنه « لا تكثر الغيرة على أهلك فترى بالسوء من أجلك » وقد ورد نهي عليه السلام
« عن تتبع عثرات النساء » الطبرانى ولان الغيرة من غير الرية من سوء الظن الذى
نهينا عنه فان بعض الظن اثم ، ثم اعلم ان مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب
الاعصم من مائة غراب كما رواه الطبرانى من حديث أبى امامة بسند ضعيف ، والاعصم
الايض البطن ، ولأحمد من حديث عمرو بن العاص « كنا مع رسول الله ﷺ
بمر الظهران فاذا بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار فقال : لا يدخل الجنة
من النساء الا مثل هذا الغراب فى هذه الغربان » واسناده صحيح وهو فى السنن الكبرى
للنسائى ، وورد « استعينوا من الفواقر الثلاث جار ان رأى حسنة دفنها وان رأى
سيئة اذاعها وامام ان أحسنت لم يرض عنك وان أسأت غضب منك وامرأة ان
دخلت عليها لستك وان غبت عنها خاتك » الديلمى عن أبى هريرة بسند ضعيف
وجاء بلفظ آخر رواه الطبرانى من حديث فضالة بن عبيد « ثلاث من الفواقر - فذكر
منها - وامرأة ان حضرتك أذنتك وان غبت عنها خاتك » وسنده حسن ((ويمنع))
أى المرأة الشابة ((عن الحضور فى المسجد)) وجوز بعض فقهاءنا حضور العجوز
من غير زينة فى الصبح والعشاء حال الظلمة والمتأخرون اطلقوا منعهم لفساد الزمان
خصوصا فى حق النسوان وفى الاحياء كان عليه السلام « قد أذن للنساء فى حضور
المساجد » وهو متفق عليه من حديث ابن عمر « ائذنوا للنساء بالليل الى المساجد »
والصواب الآن المنع فالمنع حسن الا للعجائز بل استصوب ذلك فى زمن الصحابة حتى
قالت عائشة رضى الله عنها : « لو علم النبي ﷺ ما أحدث الناس بعده لمنعن
الخروج » متفق عليه ، ولما قال ابن عمر كفى الصبيحين قال عليه السلام : « لاتمنعوا

وَيَعْتَدِلُ فِي النَّفَقَةِ ، فَرَدَّ (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ) (الآية وَلَا يَخْتَصُّ بِأَجُودِ الطَّعَامِ وَيَشْتَكَانَ فِيهِ ، فَرَدَّ فِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ وَيَعْلَمُ

امام الله مساجد الله » قال بعض بنيه وهو بلال وقيل سالم: بلى والله لنمنعن فضر به وغضب عليه وهجره وقال : تسمعنى أقول قال عليه السلام «لاتمنعوا» فتقول بلى وانما استجراً على المخالفة لعله بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهراً من غير اظهار العذر قال : والخروج الآن أيضاً مباح للمرأة العفيفة برضاء زوجها ولكن القعود أسلم والله أعلم ، فاذا خرجت فيذبني ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول: ان وجه الرجل في حقها عورة كوجهها في حقه بل هو كوجه الصبي الأمرد في حق الرجل فيحرم النظر اليه عند خوف الفتنة فان لم تكن فتنة فلا اذلم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوف الوجوه والنساء يخرجن متنقيات ولو كانت وجوه الرجال عورة في حق النساء لامروا بالتقب أو منعوا من الخروج الا للضرورة انتهى ، وقد بالغ النووي وحرّم النظر الى الأمرد الحسن الوجه ولو بغير شهوة ﴿ وَيَعْتَدِلُ فِي النَّفَقَةِ ﴾ ففى الخبر «الاتصاف فى النفقة نصف المعيشة» الطبرانى والبيهقى عن ابن عمر ﴿ فَرَدَّ ﴾ أى فى القرآن ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ وهى كناية عن البخل ﴿ (الآية) ﴾ أى (ولا تبسطها كل البسط) وهى كناية عن الاسراف والتبذير (فتقعد ملوماً محسوراً) وقال عز وعلا فى نعت عباد الرحمن : (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) وقيل : كان اعلى أربع نسوة يشتري لكل واحدة منهن فى كل أربعة ايام لحماً بدرهم ، وقال ابن سيرين : يستحب للرجل ان يعمل لأهله فى كل جمعة فالودجة فان الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتسير باعتبار العادات ﴿ (ولا يختص) ﴾ أى الرجل ﴿ (باجود الطعام) ﴾ أى لا ينبغي له ان يستأثر عن أهله بما كول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوجب الضرر الا اذا رضى أهله وطاب عندهم عمله والا فليأكله فى خفية بحيث لا يطالع عليه غيره ولا ينبغي أن يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه بل اذا وصف عنده طعاما فينبغى أن يطعمهم اياه ﴿ (ويشتركان) ﴾ أى هو والعيال ﴿ (فيه) ﴾ أى فى الأكل على ما نذته ﴿ (فررد) ﴾ فيه فضل كثير ﴿ (ومنه ما تقدم من ان خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي وقال سفيان «بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون فى جماعة» (ويعلم) ﴾ أى المرأة

مَا يَجِبُ عَلَيْهَا، وَيَعْدِلُ بَيْنَ النِّسَاءِ فِي الْيَتُومَةِ وَالْأَعْيَانِ، فَوَرَدَ فِي الْمَائِلِ «جَاءَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاحِدٌ شَقِيهٌ مَائِلٌ» بِخِلَافِ الْمُبَاشَرَةِ وَالْحُبَّةِ فَلَا اخْتِيَارَ فِيهِمَا، وَوَرَدَ
«اللَّهُمَّ هَذَا جُهْدِي فِيمَا أَمْلِكُ وَلَا طَاقَةَ لِي فِيمَا لَا أَمْلِكُ» بَعْدَ الْقَسَمِ

(ما يجب عليها) من علم الحيض وأحكامه واحكام الصلاة وما يقضى منها في الحيض وما لا يقضى فانه أمر بان يقبها النار لقوله تعالى : (قرأ أنفسم وأهلكم ناراً) فعليه أن يلقبها اعتقاد أهل السنة ويزيل عن قلبها البدعة ويخوفها الله اذا تساهلت في أمر دينها، وفي الأحياء مهما انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء انتهى وهذا مذهب الشافعي وأما عندنا فلا يجب عليها إلا قضاء العصر والعشاء ثم إن قصر عن ذلك علم الرجل ناب عنها بالسؤال عن أهل العلم والجواب لها والا فيجب عليها الخروج ويعصى الرجل بمنعها في تلك الحال (ويعدل بين النساء في اليتومة) أي في ميت الليل عندهن (والاعطاء) أي من نفقتهن وكسوتهن فلا يميل الى بعضهن دون غيرهن حتى لو خرج الى سفر واراد استصحاب واحدة منهن أقرع بينهن كذلك كان يفعل عليه السلام كما في الصحيحين عن عائشة وذلك لقوله تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) أي كمال العدل (ولو حرصتم) أي من طريق الفضل (فلا تميلوا كل الميل) أي الى واحدة عن أخرى (فتدروها كالمعلقة) بين المزوجة والمطلقة (فورد في المائل) أي في القسم (جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل) أصحاب السنن وابن حبان من حديث أبي هريرة مرفوعا «من كان له امرأتان قال الى احدهما دون الأخرى» وفي رواية (قال مع احدهما) وفي أخرى «فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل» أي ساقط (بخلاف المباشرة) استثناء معنوي من اليتومة والاعطاء أي لكن المجامعة بل الملازمة والملاعبة (والحبة) أي التي يتفرع عليها غالب اسباب الملازمة (فلا اختيار فيهما) أي طبعا فلا حرج في عدم العدل فيهما شرعا (وورد) أي عنه عليه السلام أنه كان يعدل بينهن ويقول (اللهم هذا) أي الذي فعلته من القسم (جهدى) بالضم الطاقة وبالفتح المشقة أي غاية اجتهدى (فيما أملك) أي من العدل بينهن (ولا طاقة لي فيما لا أملك) أي من زيادة الحبة أو المجامعة الى بعضهن (بعد القسم) ظرف لورد أي قال هذا الكلام بعد القسم، والحديث رواه

وَلَوْ وَقَعَتِ الْخُصُومَةُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ أَوْ جَانِبِهِ وَلَا تَلْتَمِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ حَكَمَيْنِ مِنْ أَهْلِهِ
وَأَهْلِهَا، فَوَرَدَ (إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا)

أصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة أنه عليه السلام «كان يعدل بينهن ويقول: اللهم هذا جهدي فيما أملك ولا طاقلي فيما أملك ولا أملك، ولا بن سعد في الطبقات من رواية محمد بن علي بن الحسين «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحمل في ثوب ويطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن» وفي مرسل آخر له «لما نفل عليه السلام قال: أين أنا غدا؟ قالوا عند فلانة قال: فإن أنا بعد غدا قالوا عند فلانة فعرف أزواجه أنه يريد عائشة، الحديث، والبخاري من حديث عائشة «كان يسأل في مرضه الذي مات فيه أين أنا غدا؟ أين أنا غدا؟ يريد يوم عائشة فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء، وفي الصحيحين «لما نفل استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له»، وهذا وقال تعالى: (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير) ولأن داود من حديث عائشة «قالت سودة وهي بنت زمعة حين أسئت وفرقت أن يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله يومئذ لعائشة» الحديث، وللطبراني «فأراد أن يفارقها»، وهو عند البخاري باللفظ «لما أن كبرت سودة وهبت يومها لعائشة فكان يقسم لها يوم سودة» وللبهقي مرسل «طلق سودة فقالت: أريد أن أحشر في أزواجك» الحديث ثم أنه عليه السلام بحسن عدله وقوة فضله كان إذا تأقت نفسه إلى واحدة من نسائه في غير يومها جامعها ثم طاف من يومه ذلك أو ليلته على سائر نسائه فن ذلك ما في الصحيحين عن عائشة «طاف على نسائه في ليلة واحدة»، والبخاري «كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة» ولابن عدي في الكامل عن أنس «أنه عليه السلام طاف على تسع نسوة في صغرة نهار» قيل: وهذا من خصوصياته عليه السلام «ولو وقعت الخصومة» أي المخالفة «من الجانبين» أي جانبي الزوجين «أو جانبه» أي الرجل وحده «ولا تلتئم» أي خصوصتهما ولا يجتمع أمرهما «فلا بد من حكمين من أهله وأهلها فورد» في القرآن «(إن يريدَا) صدر الآية (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدَا)» «إصلاحا يوفق الله بينهما» وضمير يريدَا إلى الزوجين كضمير بينهما أو الأول إلى الحكمين والثاني إلى الزوجين، ويؤيده أن عمر رضى الله عنه

وَإِنْ كَانَ مِنْ جَانِبِهَا يَعِظُ الزَّوْجَ ثُمَّ يَخُوفُ ثُمَّ يَسْتَدْبِرُ فِي الْفِرَاشِ ثُمَّ يَعِزُّ لَهَا
دُونَ الْبَيْتِ ثُمَّ يَهَاجِرُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَجَاءَ عَشْرَةٌ أَوْ عِشْرِينَ أَوْ شَهْرًا إِنْ كَانَ لِلدِّينِ
ثُمَّ يَضْرِبُ

بعث حكيمين الى زوجين فعادا ولم يصلحا أمرهما فعلاهما بالدرة وقال: ان الله يقول
(ان يريدنا اصلاحا يوفق الله بينهما) فعادا وأحسننا النية وتلطفا في القضية فانصلح
ما بينهما ، وقد جرى بينه عليه السلام وبين عائشة نوع من الكلام حتى
ادخلا بينهما أبا بكر حكما فاستشهده فقال لها عليه السلام : تكلمين أو أتسكلم
فقال: تكلم أنت ولا تقول الا حقا فلطمها أبو بكر حتى دمي فها فقال : يا عديّة
نفسها أو يقول غير الحق فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خائف ظهره
فقال له عليه السلام: لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك « (وان كان) أى النشوز (من
جانبها) أى المرأة فقط فقد قال تعالى: (وللرجال عليهن درجة) وقال (الرجال
قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم فالصالحات
قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واجبروهن
في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا) وهذا معنى قوله (يعظ
الزوج) أى ينصحها ويلطف معها أولا لقوله تعالى: (ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة) (ثم يخوف) أى يحذر المرأة من الضرب ونحوه (ثم يستدبر
في الفراش) بان يوليها ظهره في المضجع (ثم يعزلها) أى يفرد بفراشه عنها (دون
البيت) أى من غير أن يخرج هو أو هي من البيت (ثم يهاجر) أى يهجرها وهو مع
ذلك في البيت معها (ثلاثة ايام) أى من ليلة الى ثلاث ليال (وجاء) أى وردانه
جازان يهجرها (عشرة أو عشرين أو شهرا ان كان للدين) كترك صلاة وغسل جنابة
واباء عن فراش ونحوها « فعل ذلك رسول الله ﷺ اذ أرسل بهدية الى زينب
فردتها عليه فقالت له التى هو في بيتها لقد أقمتك اذ ردت عليك هديتك أى أذلكت
واستصغرتك فقال عليه السلام: أتئن أهون على الله ان تقمئتنى ثم غضب عليهن كلمن
شهر الى ان عاد اليهن « كذا في الاحياء وذكره ابن الجوزى بغير اسناد في الوفاء وفى
الصحيحين من حديث عمر « كان أقدم ان لا يدخل عليهن شهر من شدة موجدته عليهن »
وفى رواية « آلى منهن شهرا » ولمسلم من حديث جابر « ثم اعترلن شهرا » (ثم يضرب)

غَيْرَ جَارِحٍ وَلَا كَاسِرٍ وَلَا مُلْطَخٍ بِدَمٍ، فَوَرَدَ فِيهِ «وَقَدْ قِيلَ لَهُ مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ يَطْعُمُهَا إِذَا طَعِمَ وَيَكْسُوها إِذَا اكْتَسَى وَلَا يَقْبِحُ وَجْهَهُ وَلَا يَضْرِبُ إِلَّا ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ وَلَا يُطَلِّقُ، فَوَرَدَ «أَبْغَضُ الْمُبَاحَاتِ عِنْدَ اللَّهِ الطَّلَاقُ» وَلَأنَّهُ إِذَا لَمْ يَلْزَمِ لُزُومَةً مِنْهُ أَوْ جَنَائَةً مِنْهَا وَأَمَرَ الْأَبَّ بِهِ إِنْ صَحَّ الْغَرَضُ وَهُوَ مَا ثَوَّرَ

أى المرأة ضرباً (غير جارح ولا كاسر) لعظم ((ولا ملطخ بدم)) ولا على وجهه أيضاً ((فورد فيه)) أى فى بيان هذا الحكم من أمره ونهيه عنه عليه السلام ((وقد قيل له ما حق المرأة على الرجل فقال يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الاضر با غير مبرح)) أى غير مؤلم ولا يهجر الا فى البيت أبوداود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال: لا يضرب الوجه ولا يقبح أى لا يقول قبحك الله أو قبح الله وجهك» وفى رواية لآبى داود «ولا يقبح الوجه ولا يضرب» ((ولا يطلق)) أى من غير احتياج الى اختيار الفراق ((فورد أبغض المباحات عند الله الطلاق)) رواه أبوداود وابن ماجه والحاكم فى مستدركه عن ابن عمر ولفظه «أبغض الحلال الى الله الطلاق» وفى رواية للحاكم ما أحل الله شيئاً أبغض اليه من الطلاق، وعند الديلمى من حديث معاذ بن جبل «ان الله يبغض الطلاق ويحب العتاق» وفى روايه «ما أحل الله حلالاً أحب اليه من النكاح ولا أحل حلالاً أكره اليه من الطلاق» قد يقال: المباح ما استوى فعله وتركه ولا يتصور أن يكون أحد طرفيه مبغوضاً فلا بد من التجوز فى المباح بأرادة ما يشمل المكروه، ففى الكافى أن الطلاق محظور فى أصل مباح نظراً الى الحاجة فاطلاق المباح نظر الى الحاجة والوصف بالمبغوضية نظر الى أصله انتهى، وحاصله أنه عند الحاجة مباح وعند غيرها مكروه، ونظيره السؤال عن الناس فانه محرم باصله ويباح عند الضرورة الى فرعه ((ولأنه)) أى الطلاق ((إيذاء)) أى فى مقام الافتراق ولا يباح إيذاء الغير ((إلا لضرورة منه)) أى من جانبيه (أو جنائيه منها) أى من جانبها بان كانت تؤذى زوجها أو أهله أو تكون سيئة فى خلقها أو فاسدة فى دينها والا فقد قال تعالى: (فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً) ((أو امر الأب)) أى أو لأجل أمر أب الزوج ((به)) أى بطلاقها (ان صح الغرض) أى غرض الأب ولا يكون عن حفظ النفس أو الغضب ((وهو ما ثور

وَوَرَدَ (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) الْآيَةُ فَيُطَاقُ فِي طَهْرِ خَالٍ عَنِ الْجَمَاعِ وَاحِدَةً فَقَطَّ بِلَا

تَعْنِيفٍ وَاسْتِخْفَافٍ وَيُسِرُّ بِهَدِيَّةٍ جَبْرًا لِلْبُصِيَّةِ

أى مروى عن ابن عمر أنه قال: «كان تحتى امرأة أحبها وكان أبى يكرها ويا أمرى بطلاقها فراجعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا ابن عمر طلق امرأتك» أصحاب السنن وقال الترمذى حسن صحيح (وورد فلا جناح عليهما الآية) وتماها فان خفتم الا يبقيا حدود الله فلا جناح عليهما فيما اقتدت به (والمعنى اذا كان الاذى من الزوج فلها ان تقتدى ببذل مال ويكره للرجل أن يأخذ منها اكثر مما اعطاها فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على بضعها فالالاتق بالفداء رد ما أخذته من العطاء (فيطلق) أى حينئذ (فى طهر خال عن الجماع) فان الطلاق فى الحيض والطهر الذى جامعها فيه بدعى حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة وتحصيل المضرة فان فعل ذلك فليراجعها فقد طلق ابن عمر امرأته فى الحيض فقال عليه السلام لعمر: مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التى امر الله ان تطلق لها النساء وانما امره بالصبر بعد الرجعة من طهرين ثلثا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط كذا فى الاحياء وهو موافق لمذهب الشافعى ان الخلع فسخ او طلاق رجعى، واما على مذهبنا - انه طلاق بائن - فلا يمكن ان يراجعها اذا كان الطلاق رجعيا ، واما حديث ابن عمر فحمل على الطلاق الرجعى (واحدة فقط) أى يقتصر على طلقة واحدة ولا يجمع بين الثلاث فانه طلاق بدعى أيضا وهو حرام عندنا ومكروه عند الشافعى ، ولأن الطلقة الواحدة تفيد المقصود من المفارقة ويستفيد بها الرجعة ان ندم فى العدة وتجديد النكاح ان أراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج فى أن يتزوجها الى محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهى عنه مكروه فيه ويكون هو الساعى له ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير ومطلقة أعنى زوجة المحلل بعد أن زوجت منه فيورث كل ذلك تنفيرا فى الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع بين الطلاقات الثلاث (بلا تعنيف واستخفاف) أى ينبى ان يتلطف فى التعلل لتطبيقها ولا يستعجل فى امر تفريقها (ويسر بهدية) أى ويخفى بارسال هدية على سبيل المتعة فى القضية (جبرا للبصية) أى لما اصابها من البلية وقد قال تعالى: (ومتعوهن بالمعروف) وذلك واجب فى بعض الصور

وَلَا تَطْلُبِ الْمَرْأَةَ فَفِيهِ الْوَعِيدُ

ومستحبة في بعضها، وفي الكتب الفقهية يذكر تفصيلها، وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلقا منكاحا قائلًا: أتى وجدت الغنى فيها حيث قال سبحانه: (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وقال (وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته) وقد وجه ذات يوم بعض أصحابه بطلاق امرأتين من نسائه وقال: قل لهما: اعتديا وادفع إلى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع إليه قال: ماذا فعلتا فقال اما احدهما فسكتت ونكست رأسها واما الاخرى فسكتت وانتجت وسمعتها تقول: متاع قليل من حبيب مفارق فاطرق الحسن ورحمها: وقال لو كنت مراجعا امرأة بعدما أفارقها لراجعتها، ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له في المدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضي الله عنها حيث قالت لو لم أسر مسيرى ذلك لكان أحب إلى من أن يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث فدخل الحسن في بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه واكرمه فقال: الا ارسلت إلى فكنت آتيك فقال الحاجة لنا فقال وما هي؟ قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه فقال والله ما على وجهه الأرض أحد يمشی عليها اعز على منك ولكن تعلم ان ابنتي بضعة مني وانت مطلق فاخاف ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبي في محبتك واكره ان يتغير قلبي عليك لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فان شرطت ان لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام فخرج فقال بعض أهل بيته سمعته وهو يمشی ويقول: ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا في عنقي، وكان على رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه، وكان يعتذر منه على المنبر الى ان قال في خطبة ان حسنا مطلق فلا تنكحوه فقام رجل من همدان فقال: والله يا امير المؤمنين لننكحه ما شاء فان احب امسك وان احب ترك فسر ذلك عليا فقال: لو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام ﴿ ولا تطلبه ﴾ أي الطلاق ﴿ المرأة ﴾ أي من غير الضرورة ﴿ فقيه الوعيد ﴾ أي التهديد الشديد فلا تني داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث توبان « ايما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة، وفي لفظ « فالجنة عليها حرام، وما ينبغي للزوج ان لا يفشى سرها عند النكاح ولا عند الطلاق فقد ورد في افشاء سر النساء في الخبر الصحيح

وَتَطِيعُ الزَّوْجَ، فَوَرَدَ «إِذَا أَمْرَأَةٌ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ» وَلَا تَمْنَعُ
نَفْسَهَا وَتَتَّقِي لَتَمْتَعَهُ وَتَسْتَأْذِنَهُ فِي الْإِعْطَاءِ مِنَ الْبَيْتِ

وعيد عظيم كذا في الأحياء ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد « قال عليه السلام
ان أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم يفشي
سرهما » يعني أوتفشي سره فان المجالس بالأمانة كما ورد ، وروى ان بعض الصالحين
أراد طلاق امرأته فقيل له : ما الذى يريك منها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته
فلما طلقها قيل له لم طلقها قال : مالى وامرأة غيرى ، وهذا يان ماعلى الزوج واما
حق الزوج على المرأة فكما بينه بقوله ﴿ وتطيع الزوج ﴾ أى مطلقا فى كل ماطلبه
منها فى نفسها مما لامعصية فيه ﴿ فورد ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت
الجنة ﴾ الترمذى وابن ماجه من حديث أم سلمة ، وقال الترمذى : حسن غريب
﴿ ولا تمنع نفسها ﴾ أى عنه ولو كانت على تنور أو قتب مستور ، فلان حبان من
حديث أبي هريرة « اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت
زوجها دخلت جنة ربها » وفى الصحيحين من حديث ابن عباس « اطاعت فى النار فاذا
أكثر أهلها النساء فقلن : لم يارسول الله فقال يكثرن اللعن ويكفرن العشير » يعنى
الزوج المعاشر ، ولا حدم من حديث أبي امامة « اطاعت فى الجنة فاذا أقل أهلها النساء فقلت
أين النساء قال شغلن الاحمران الذهب والحرير » ولأبى نعيم « ويل للنساء من الاحمرين
الذهب والزعفران » يعنى الحلى وسائر الاسباب ومصبغات الثياب ﴿ وتنقى ﴾ أى
نفسها وتزيناها ﴿ تمتعه ﴾ أى لا تتفاحه بها مستعدة فى الأحوال كلها فعن الأصمعى
رأيت فى البادية امرأة عليها قميص أحمر وهى محتضبة ويدها سبعة فقلت : ما أبعد
هذا من هذا فقالت :

ولله منى جانب لأضيعه وللهمنى والبطالة جانب

قال : فعلمت انها امرأة صالحة لها زوج تزين له ﴿ وتستأذنه فى الإعطاء من البيت
أى من متاعه بل ومن متاعها عند بعض العلماء ، وفى الأحياء عنه عليه السلام
لا يحل لها أن تطعم الا الرطب الذى يخاف فسادة ، ولأبى داود من حديث سعد قالت
امرأة : يارسول الله انا كل على آباتنا وأبنائنا وأزواجنا فما يحل لنا من أموالهم قال
الرطب تأكله وتمديه » وصحح الدارقطنى فى العلل أن سعدا هذا رجل من الأنصار

وَالْخُرُوجِ عَنْهُ وَصَوْمِ النَّفْلِ، وَلَا تَعْيِيهِ بِالْقَبْحِ وَتَقْدَمُ حَقَّهُ عَلَى الْإِقْرَابِ

ليس ابن أبي رُقَاصٍ ، وذكر البزار في مسنده أنه ابن أبي وقاص واختاره ابن القطان، ولمسلم من حديث عائشة « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب » (والخروج عنه) أى وفي خروجها عن البيت ولوالى المساجد ونحوها (وصوم النفل) أى إذا كان عندها فليليهقى عن ابن عمر « أتت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: انى امرأة أيم وأريد ان أتزوج فما حق الزوج على المرأة قال من حق الزوج على المرأة إذا أرادها على نفسها وهى على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن حقها ان لا تمطى شيئاً من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان عليها الوزر وله الأجر، ومن حقها أن لا تصوم تطوعاً الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها ومن حقها أن لا تخرج من بيتها بغير اذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها أو تتوب » وللحاكم وصححه عن أبى هريرة « أتت فتاة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يابى الله انى امرأة فتاة أخطب وأنا أكره النزويج فما حق الزوج على المرأة قال: لو كان من قرنه الى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره قالت: فلا أتزوج اذا » وللترمذى وابن حبان من حديث أبى هريرة « لو امرت احدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقها عليها » (ولا تعييه بالقبح) أى لا فى صورته ولا فى سيرته ولا تؤذيه فى سره وعلايته، فللترمذى وابن ماجه عن معاذ بن جبل « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه فانك الله فانما هو عندك رحيل يوشك ان يفارقك الينا » ولا تتفاخر على الزوج بما لها وجهها فقد روى الأصمعى قال: « دخلت البادية فاذا أنا بامرأة من احسن الناس تحت رجل من اقبح الناس فقلت لها : يا هذه اترضين لنفسك ان تسكونى تحت مثله فقالت يا هذا اسكت فقد أسأت فى قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالفه لجماعى ثوبه او لعل أسأت فيما بينى وبين خالتي لجمعه عقوبتى افلا ارضى بما رضى الله لى فاسكتتنى » وفى رواية له « رأيت فى البادية اعرابية من احسن الناس ورأيت زوجها من اقبح الناس وهى تقول لزوجها بشرى لك فانت وانا فى الجنة فقلت : ما اعليك بذلك فقالت ابتليت أنا بقبحك فصبرت وموضع الصابرين فى الجنة وابتليت انت بحسنى فشكرت وموضع الشاكرين الجنة » (وتقدم حقه) أى حق الزوج (على الاقارب) حتى على الوالدين ، فللطبرانى فى الاوسط عن انس كان رجل خرج الى

وَلَا تَنْبَسُطْ مَعَ حَبِيْبِهِ وَتَنْقَبِضْ فِي غَيْبَتِهِ بِتَرْكِ الْمُلَاعَبَةِ وَالْاِلْتِذَاذِ وَتَقُومْ

بِأُمُورِ الْبَيْتِ وَلَا تَسْتَبْدِلْ زَوْجًا بَعْدَ وَفَاتِهِ لِتَكُونَ زَوْجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ

سفر وعهد الى امرأته ان لا تنزل من العلو الى السفلى وكان ابوها في السفلى فمرض فارسلت المرأة الى رسول الله ﷺ تستأذن في النزول الى ايها فقال عليه السلام: اطيعي زوجك فمات ابوها فاستأذنته فقال: اطيعي زوجك فدفن ابوها فارسل عليه السلام يخبرها ان الله غفر لايها بطاعتها لزوجها «(ولا تنبسط)» اي بالكلام والسلام «(مع حبيب)» اي صديق زوجها لاسيما في حال غيبته عن بلدها «(وتنقبض في غيبته بترك الملاعبة)» في حال المصاحبة «(والالْتِذَاذ)» بانواع من الطعام واصناف من الزينة في ذلك المقام لان الوقت يقتضي الحزن والاهتمام «(وتقوم بامور البيت)» اي بكل خدمة في الدار تقدر عليها من غير نظر الى عار اهل الديار، فقد روى عن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما «انها قالت تزوجني الزبير وماله في الارض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقى الماء واخرزه له عربي واغن وكنت انقل النوى هاءى اجمعه على رأسى - من ثلثي فرسخ حتى ارسل الى ابو بكر بخادم فكفاني سياسة الفرس فكأتما اعتقني ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على رأسى فقال عليه السلام: اخ اخ لينبج ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني استحييت فجئت لحكيك له ماجرى فقال: والله لملك النوى على رأسك اشد من ركوبك معه عليه السلام» رواه الشيخان، ومن جملة القيام بامور بيتها دوام لزوم سكونها وعدم خروجها من غير ضرورتها فلا بن حبان من حديث ابن مسعود «اقرب ما تكون المرأة من ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها افضل من صلاتها في المسجد» «(ولا تستبدل زوجا بعد وفاته لتكون زوجته في الجنة)» اي على تقدير ايمانها بالجنة واما اذا تزوجت بعده فاختلف في انها تكون للاول او الثاني او تغير فيهما وهما الاظهر، وفي البستان امامنا قاله لى لا آخر منهما فذهب الى ما روى عن معاوية بن ابي سفيان «انه خطب ام الدرداء فقالت: سمعت ابا الدرداء يحدث عن رسول الله ﷺ انه قال: المرأة لآخر ازواجها في الآخرة

وقال لي: ان اردت ان تكوفي زوجي في الآخرة فلا تزوجي بعدي» واما من قال انها تخير فقد ذهب الى ما روى عن ام حبيبة « سألت النبي ﷺ قلت: يا رسول الله المرأة منار بما يكون لها زوجان لايهما تكوز في الآخرة؟ قال: تخير فتختار احسنهما خلقا. معها ثم قال عليه السلام ذهب حسن الخلق بخيرى الدنيا والآخرة هذا ولا يداود من حديث ابى مالك الاشجعي «انا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين في الجنة» اراد امرأة تأيمت عن زوجها وحبست نفسها على اولادها حتى باتوا أوماتوا وللخراطينى عن أبى هريرة «حرم الله على كل آدمى الجنة ان يدخل قبله غير انى انظر عن يميني فاذا امرأة تبادرنى الى باب الجنة فاقول ما لهذه تبادرنى؟ فيقال يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فتصبرت عليهم حتى بلغ أمرهم الذى بلغ فشكر الله لها ذلك»، وما يجب عليهما من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحسد عليه أكثر من أربعة أشهر وعشر ليل فتجنب في تلك المدة الطيب والزينة قالت زينب بنت أبى سلة: «دخلت على أم حبيبة زوج النبی صلى الله عليه وسلم حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق أو غيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضتها ثم قالت: والله مالى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحسد على ميت أكثر من ثلاثة ايام الاعلى زوج أربعة أشهر وعشراء رواه الشيخان، ومن أهم آداب المرأة ترك المطالبة بما وراء الحاجة كما يشير اليه قوله تعالى: (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) الآية، والاهتمام بالتعفف عن كسبه الحرام وهذه كانت عادة النساء في السلف الكرام كان الرجل اذا خرج من منزله يقول امرأته وابنته: اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار، وهم رجل من السلف بالسفر ففكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته: لم تدعينه ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته اكالاً وما عرفته رزاقاً ولى رزاق وهو الخلاق فيذهب الاكال ويبقى الرزاق، وخطبت رابعة بنت اسمعيل أحمد بن أبى الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة فقال لها والله مالى مهمة في شئ لشغل بحالى فقالت: والله انى لاشغل بحالى منك ومالى شهوة ولكنى ورثت مالا كثيرا من زوجي فاردت ان تتفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون طريقا الى الله تعالى فقال: حتى استأذن أستاذي فرجع الى أبى سليمان الداراني قال: وكان ينهاني عن الزوج ويقول ما تزوج أحد من أصحابنا الا تغير فله اسمع كلامها فقال تزوج بها.

وَيَحْفَظُ حَالَ الْوَلَدِ وَلَا يَشْتُمُهُ لَا سِمًا سَمَى الْأَنْبِيَاءُ وَيَلْقَنَهُ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ فِي
أَوَّلِ مَا يَنْطَلِقُ بِهِ اللِّسَانُ وَيَعْلَمُهُ عُلُومَ الدِّينِ وَالْكِتَابَةِ وَالرَّمْيَ وَالسَّبَاحَةَ وَيُؤَدِّبُ
لَسْتُ سَنِينَ

هذه ولية الله هذا كلام الصديقين قل : فتزوجها فكان في منزلها كرم من جص نقى
من غسل أيدي المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عن غسل بالاشنان قال وتزوجت
عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمني الطيبات وتطينني وتقول اذهب بنشاطك وقوتك
الى أزواجك وكانت هذه تشبه في أهل الشام برابعة العدوية في أهل البصرة ﴿ ويحافظ
حال الولد ﴾ أى من صفه في الطبراني من حديث ابن عمر « قال رجل يا رسول الله
من أبر قال بر والدك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك فكما ان لو والدك عليك
حقا كذلك لولدك عليك حق ﴾ ﴿ ولا يشتمه ﴾ أى لا يصير طبعه له في كبره ﴿ لا سيما
سمى الأنبياء ﴾ لانه حينئذ قد يقال بكفره ﴿ ويلقنه كلمة التوحيد في أول ما ينطق به
اللسان ﴾ ففي رواية ابن السني عن ابن عمرو مرفوعا « اذا أفصح الولد فليعلمه لا اله
الا الله » وهو شامل لتلقين مبناه وتبيين معناه وفي رواية له أيضا عن أنس « انه عليه السلام
كان اذا أفصح الولد من بني عبد المطلب علمه ﴾ (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم
يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيرا) أقول : ويناسبه أيضا
تعليم سورة الاخلاص والفاطحة ﴿ ويعلمه علوم الدين ﴾ أى أصول الشريعة
وفروعها ويمنعه من تعلم المنطق والكلام والهيئة والحكمة وسائر علوم الفلاسفة لما
ورد عنه عليه السلام « سألك علما فإياهم أعود بك من علم لا ينفع ﴾ ﴿ والكتابة ﴾ فانها
وسيلة لوقاية الرواية والدراية وهما من أسباب الهداية في البداية والنهاية ﴿ والرمي ﴾
لقوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وقوله عليه السلام « الا ان القوة الرمي »
وقد سبق ماورد في فضل فعله وذم تركه ﴿ والسباحة ﴾ وهي معرفة الفوص في الماء ولعله
للاحتياج اليه في سفر البحر للحج والنزول سيما وقد ورد ان شهداء البحر افضل من شهداء
البر ومن اللطائف ان نحويا خاطب بحريا فقال هل تعلمت البحر فقال لا قال ضيقت
نصف عمرك فسكت حتى ما ج البحر فقال هل تعلمت السباحة يا نحوى فقال لا قال
ضيقت جميع عمرك ﴿ ويؤدب ﴾ أى ولده بضرب ونحوه ﴿ لست سنيين ﴾ أى اذا
خالف في آداب الصالحين وأخلاق المحسنين أو فيما يتعلق بحقوق الوالدين والأقربين

وَيَعْزِلُ الْفَرَّاشَ لِسَبْعِ سَنِينَ وَيَضْرِبُ عَلَى الصَّلَاةِ لِعَشْرِ ، وَرَوَى
لثَلَاثَ عَشْرَةَ ، وَيَزُوجُ لِسِتِّ عَشْرَةَ وَيَسُوِي بَيْنَ الْأَوْلَادِ فِي الْإِهْدَاءِ وَيَبْدَأُ
بِالْأَطْفَالِ وَالْبَنَاتِ

فليبقى عن ابن عباس مرفوعاً «من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه»
وأما ما دون ست سنين فتأديه باللسان والاحسان ﴿ويعزل الفراش﴾ أى عن أمه
وأخته ونحوهما ﴿لسبع سنين﴾ لانه حينئذ وقت تمييزه بين النساء وغيرهن ﴿ويضرب
على الصلاة﴾ أى على تركها ﴿لعشر﴾ أى حتى يتدرب بفعلها وتحمل ثقلها ، ولأبى
داود والبيهقى عن رجل من الصحابة مرفوعاً «إذا عرف الغلام يمينه من شماله فمروه
بالصلوة» ﴿وروى لثلاث عشرة﴾ أى فانه قارب البلوغ ﴿ويزوج لست عشرة﴾ لتحقيق
البلوغ حينئذ فيجب صيأته ، ولابن السنى عن أنس مرفوعاً «اضربوه على الصلاة لسبع
واعزلوا فراشه لتسع وزوجوه لسبع عشرة فإذا فعل ذلك فليجلسه بين يديه ثم
ليقل لاجعلك الله على فتنة ، ورواه أبو الشيخ عن أنس بلفظ «فإذا بلغ سبع سنين
عزل فراشه فإذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلاة فإذا بلغ ستة عشر زوجته أبوه
ثم أخذه يده وقال قد أدبتك وعلمتك وإنك حكت أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك
في الآخرة» ﴿ويسوى بين الأولاد في الإهداء﴾ فعنه عليه السلام «رحم الله والد الأعان
ولده على بره ، أى لم يحمله على عقوبة بسوء عمله في حقوه أبو الشيخ وابن حبان
في كتاب الثواب عن علي . وابن عمر رضى الله عنهم ، وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك
فشكى إليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه فقال نعم فقال انت أفسدته ﴿ويبدأ﴾ أى
في الإعطاء. ﴿بالأطفال﴾ أى لصغرهم وقلة صبرهم ﴿والبنات﴾ لجبرهن عن كسرهن
فروى «ساووا بين أولادكم في العطية» كذا في الإخياء ولم يتعرض له مخرجه ، وفي
الجامع الصغير بلفظ «ساووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلاً أحداً لفضات
النساء» الطبرانى والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس ، والظاهر أن القبلة
ونحوها في حضورهم ينبغي فيها التسمية قياساً على العطية بخلاف زيادة المحبة القلبية .
فانها ليست من الأفعال الاختيارية كما وقع ليعقوب في يوسف وأخوته في تلك
القضية ، ثم الظاهر أن التسمية في الإعطاء إنما هو إذا كانوا كلهم فقراء أو أغنياء
واما إذا كان بعضهم فقراء فزادهم في العطاء فلا بأس به بل يجب عليه نفقة ذوى الرحم

المحرم عندنا ، هذا وفي الجلة الولد محل المرحمة فقد عثر الحسين - وهو عليه السلام على منبره - فنزل فحملة وقرأ قوله تعالى : (انما اموالكم واولادكم فتنة) كذا في الاحياء وقال مخرجه : رواه أصحاب السنن من حديث أبي بريدة « في الحسن والحسين يمشيان ويعثران » قال الترمذى : حسن غريب وللنسائي من رواية عبد الله بن شداد عن ابيه « قال بينما رسول الله ﷺ يصلى بالناس اذ جاء الحسن أو الحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظننا أنه قد حدث أمر فلما قضى صلاته قالوا : قد أطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث أمر فقال : ان بنى قد ارتحلنى فكرهت ان اجعله حتى يقضى حاجته » أى يفرغ غرضه من ملاعبته ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ، ورأى الأقرع بن حابس النبی عليه السلام « وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم » البخارى عن ابى هريرة ، وللحافظ الذهبى فى ترجمة أسامة من كتابه سير النبلاء عن مجاهد عن الشعبي عن عائشة « قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلنى وجهه اسامة فجعلت اغسله وأنا آنفة فضرب يدي ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارياً » يعنى اثلا يحوجنا الى الحلية وكسوة الزينة والتزويج ونحوها من المحنة لحديث احمد عن عائشة « ان اسامة عثر بعتبة الباب فدمى فجعل النبی صلى الله عليه وسلم يمسه ويقول : لو كان اسامة جارياً لحليتها ولكسوتها حتى أنفقها » واسناده صحيح ، وعنه عليه السلام « الولد من ریح الجنة » الخرائطى وابن حبان فى الضعفاء عن ابن عباس ، وقد قيل : ولدك ريحاتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك أو شريكك ، وقال يزيد بن معاوية أرسل أبى الى الأحنف بن قيس فلما صار اليه قال له يا أبا الحسن مات قول فى الولد فقال يا أمير المؤمنين : ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض ذليلة وسما ظليلة وبهم تحول على كل خليفة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم بمنحوك ودهم ويحجوك جهدهم ولا تمكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية : لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وانا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الأحنف من عنده رضى على يزيد وبعث اليه بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب فارسل يزيد الى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب فقامسه اياها على الشطر : ثم اعلم ان أكثر العلماء على ان طاعة الوالدين واجبة فى الشبهات حتى اذا كما يتنقصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تأكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر

وَيَتَوَضَّأُ فِي مَوْتِهِ وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيَأْخُذُ بِنَاصِيَةِ الْمُشْتَرَى وَيَدْعُو بِالْبَرَكَةِ
وَيَذِيْقُهُ الْخُلُوءَ أَوَّلًا وَيَطْعُمُهُ مِمَّا يَطْعُمُ وَالْأَوَّلَى أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ

في مباح أو نافلة إلا باذنها، والمبادرة إلى الحج الذي هو فرض اسلام نقل على القول بالتراخي والخروج لطلب العلم نقل إلا اذا كنت تطلب علم الفرض العيني من الصلاة والصوم ونحوهما ولم يكن في بلدك من يعلمك بذلك كن يسلم ابتداء في بلد ليس فيه من يعلمه شريعة الاسلام فعليه الهجرة من ذلك المقام ولا يتقيد بحق الوالدين قال أبو سعيد الخدري: «هاجر رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن وأراد الجهاد فقال عليه السلام باليمن أبواك قال: نعم قال هل أذن لك فقال لا قال عليه السلام فارجم إلى أبويك فاستأذنها فان فعلا فجاءد والافبرهما فان ذلك خير مما تلقى الله بعد التوحيد أحمد . وابن حبان، وجاء آخر إليه صلى الله عليه وآله وسلم يستشير في الذرؤ فقال لك والدة قال: نعم قال فإلزمها فان الجنة تحت قدميها، ابن ماجه . والحاكم من حديث معاوية بن جاهمة اذ جاهمة أن النبي قال الحاكم صحيح الاسناد، وجاء آخر « وطلب البيعة على الهجرة ، وقال : ما جئتك حتى أبكيت والدي فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما أبكيتهما » أبو داود . والنسائي . وابن ماجه . والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح الاسناد ﴿ ويتوضأ في موته ﴾ أي في موت ولده ﴿ ويصلي ركعتين ﴾ عند فقده لقوله تعالى : (واستعينوا بالصبر والصلاة) ﴿ ويأخذ بناصية المشتري ﴾ أي من العبد والجارية والدابة ﴿ ويدعو بالبركة ﴾ ويقول: اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيره واكفنا شره واجعله طويلا العمر كثير الرزق اللهم أعطني خير ما أنت آخذ بناصيتها انك على صراط مستقيم ﴿ ويذيقه ﴾ أي العبد أو الجارية ﴿ الخلوء ﴾ أي شيئا من الخلوء (أولا) أي تفاؤلا بجلالته آخرها ولحديث معاذ « اذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول شيء يطعمه الخلو فانه أطيب لنفسه الطبراني في الأوسط والخراطي ﴿ ويطعمه مما يطعم ﴾ أي مما يؤكله بنفسه ﴿ والأولى أن يأكل معه ﴾ أي تواضعا لربه ولما في الصحيحين « وليأكل معه فان أبي فليأكله » وفي رواية « اذا كفى أحدكم مملوكه عنعة طعامه وكفاه حره وموته وقربه إليه فليجلسه وليأكل معه أو ليأخذ أكلة فيروغها وأشار بيده وليضمها في يده وليقل كل هذه » وللبخاري في تاريخه والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعا « ما استكبر من أهل مع خادمه

وَيَكْسُوهُ مَائِكَتَيْ وَلَا يَكْلِفُهُ مَا لَا يُطِيقُ وَيُمْسِكُ مَا أَحَبَّ وَلَا يُعَذِّبُ
فَالْكُلُّ مَأْثُورٌ، وَوَرَدَ «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَلَا يَضْرِبُ غَضَبًا
بَلْ تَأْدِيًّا

وركب الحمار بالاسواق واعتقل الشاة فحلبها ﴿ ويكسوه مما يكتسى ولا يكلفه
مالا يطيق ﴾ وكان عمر رضى الله عنه يذهب الى العوالى في كل سبت فاذا وجد عبدا
في عمل لا يطيقه وضع عنه، وروى عن ابي هريرة «أنه رأى رجلا على دابته وعلامة
يسمى خلفه فقال له: يا عبد الله احمله فانه اخوك روحك مثل روحه ثم قال لا يزال العبد
يزداد من الله بعدا ما مشى خلفه، وقد دخل رجل على سلمان وهو يهجن فقال: يا عبد
الله ما هذا قال بعثنا الخادم في شغل وكرهنا أن نجتمع عليه عماين ﴿ ويمسك ما أحب ﴾
أى مادام يحب امساكه ﴿ ولا يعذب ﴾ أى علو كهذا لم يحب امساكه بل يبيعه
﴿ فالكل مأثور ﴾ نفى أبى داود من حديث على ؓ كان آخر كلامه عليه السلام الصلاة
وصيته عليه السلام حين حضرته الموت الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم، ولما من
حديث أبى ذر ؓ أطمعهم مما تأكلون والبسوم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان
كلفتموهم فاعينوهم، وهذا لفظ مسلم، وفي رواية لابی داود ؓ من يلائمكم من ملوككم
فاطمعهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ومن لم يلائمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق
الله تعالى فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم واسأده صحيح وفي رواية لمسلم من
حديث ابي هريرة ؓ للملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولا يكاتب من العمل ما لا يطيق،
﴿ وورد لكل راع وكلكم مسؤول عن رعيته ﴾ ورواه الشيخان عن ابن عمر ؓ ولا يضرب
غضبا ﴿ أى من طريق الغضب ﴾ بل تأدييا ﴿ أى يضربه على سبيل الادب فيكون
تهذبا لا تعذيبا، ففي صحيح مسلم عن ابى مسعود الانصارى ؓ قال بينا انا اضرب غلاما
لى فسمعت صوتا من خلفى اعلم اعلم ايا مسعود مرتين قالت فاذا رسول الله ﷺ
فالتفت السوط من يدي فقال: والله الله أقدر عليك منك على هذا، وعن ابن المنكدر
ء أن رجلا من أصحابه عليه السلام ضرب عبدا له فجعل العبد يقول: أسألك بالله
أسألك بالله أسألك بوجه الله فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
صياح العبد فانطلق اليه فلما رآه أمسك يده فقال عليه السلام: يسألك بوجه الله فلم

لَا عَلَى زَلَّةٍ وَنِسْيَانٍ وَلَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثٍ فَإِنَّهُ قَصَاصُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَوَرَدَ «اعْفُ
عَنْهُ سَبْعِينَ مَرَّةً لِمَنْ قَالَ كَمْ أَعَفُّو وَيَعْتَقُ

تعفه فلما رأيتني أمسكت يدك قال : فانه حر لوجه الله يا رسول الله فقال: لو لم تفعل
لسفعت وجهك النار، ابن المبارك في الزهد هكذا مرسلًا، وفي صحيح مسلم من حديث
أبي سعيد «فجعل يقول أعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه»
وفي رواية له «فقلت: هو حر لوجه الله فقال: أما أنتك لو لم تفعل للفتحك النار أو لمستك
النار، وللترمذي عن أبي سعيد «إذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله فارتفعوا أيديكم»
(لَا عَلَى زَلَّةٍ) أي لا يضربه على ما صدر منه من عثرة أو غفلة (ونسيان) أي تخلقا باخلاق
الله حيث عفا عن الخطأ والنسيان كما يشير إليه قوله : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو
أخطانا) وحديث «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» وقيل للأخف
ابن قيس ومن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم قيل: فما بلغ من حله؟ قال: بينما
هو جالس في داره إذ أنه جارية بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على
إن له فمقره فمات فدهشت الجارية فقال : ليس يسكن روع هذه الجارية إلا العتق فقال:
أنت حرة لوجه الله لا بأس عليك وكان عنده ميمون بن مهران ضيف فاستعجل
على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعهما قصعة مملوءة فعدت وأراقتها على رأس
سيدتها فقال: يا جارية أحرقتيني قالت : يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع إلى ما قال
الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت : (والسكاظمين الغيظ) قال قد كظمت غيظي
قالت (والعافين عن الناس) قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله يقول (والله
يحب المحسنين) قال أنت حرة لوجه الله . (ولا يزيد على ثلاث) أي ضربات
ثلاث إذا كان الذنب صغيرا وأما إذا كان كبيرا فيقتص من الأربعين فانه غاية التمييز
(فانه) أي المزيّد عليه (قصاص) أي مقتص منه (يوم القيامة وورد اعف عنه)
أي عن الخادم (سبعين مرة لمن قال كم أعفو) فلاّبي داود والترمذي وقال حسن
غريب عن ابن عمر «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كم
نعفو عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة» وكان عرن بن عبيد الله
إذا عصاه غلامه قال : ما أشبهك بمولايك مولايك يعصى مولاه وأنت تعصى مولايك
فأغضبه يوما فقال إنما تريد أن أضربك اذهب فانت حر، (ويعتق) أي المملوك

إِنْ طَالَتِ الْمُدَّةُ فِيهِ الْعَتَقُ مِنَ النَّارِ وَلَا يَهْزُلُ مَعَهُ فَهُوَ يَسْقُطُ الْوَقَارُ وَيَهْذِبُ
 أَهْلَ الْبَيْتِ بِالرِّيَاضَةِ لَا سِيَّمَا الْوَلَدَ الْمَرَاهِقُ فَهُوَ أَيْسَرُ ، وَوَرَدَ (قُوا أَنْفُسَكُمْ
 وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) وَلَا يَطَأُ حَيَوَانًا فَإِنَّهُ يَسْأَلُ عَنْهُ
 وَيُطَوِّفُ طَوَافَاتِ الْبَيْتِ فَهُوَ مَأْثُورٌ

(ان طالت المدة) وطول المدة تكون لسبع سنين فأكثر على ما في الشريعة (فيه
 العتق من النار) لقوله عليه السلام: « من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منها
 عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه ، رواه الشيخان عن أبي هريرة ، وفيهما أيضا عنه
 عليه السلام » من كانت عنده جارية فعالمها وأحسن اليها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران »
 وقالت جارية لأبي الدرداء: إني سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا فقال: لم فعلت ذلك
 فقالت: أردت الراحة منك قال: اذهبي فانت حرة لوجه الله ، أقول وكأنها كانت مدبرة
 (ولا يهزل معه) أي لا يمزح مع مملوكه (فهو يسقط الوقار) أي الهيبة والرياسة
 فلا يعجبه بعد ذلك الخدمة والمهابة. هذا وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا « إذا نصح العبد
 لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين ، ولما أعتق أبو رافع بكى وقال كان لي أجران فذهب
 أحدهما » (ويهذب أهل البيت) من الولد والزوجة والخادم (بالرياضة) أي بتحسين
 الأخلاق (لاسيما الولد المراهق) أي القريب إلى البلوغ الذي وقع فيه تكليف الخالق
 (فهو) أي التهذيب في حال الصغر (أيسر) أي أسهل على كل منهما (وورد) أي
 في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا) قوا أنفسكم وأهليكم (أي احفظوها) نارا وقودها
 الناس والحجارة (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون
 ما يُؤمرُونَ) (ولا يبطأ حيوانا) أي لا يدوسه (فانه يسأل عنه) أي هل كان عبثا
 أو عمدا أو خطأ أو نسيانا ، وقد قال تعالى : حكاية عن النمل (لا يحطمنكم سليمان وجنوده
 وهم لا يشعرون) ، وقد قيل البر من لا يؤذي الذر (ويطوف طوافات البيت) أي يجوزان
 يدخلوا في بيته الاماء والعبيد الصغار دون الخصى والعبيد الكبار (فهو مأثور)
 أي مروى في الكتاب والسنة قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا ألبسوا الذين الذين ملكت أيمانكم
 والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من
 الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن

وَلَا يَضْرِبُ شَيْئًا عَلَى الْوَجْهِ وَلَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ فَنَهَى عَنْهُمَا وَيَعْرِضُ الْمَاءَ
وَالْعَلْفَ عَلَى الْفَرَسِ سَبْعِينَ مَرَّةً ، وَوَرَدَ « يَمْنُ الْفَرَسِ ذَلَهُ وَحَسَنَ خَلْقَهُ »
وَلَا يَدْخُلُ عَلَى الظَّلْمَةِ تَحَامِيًّا عَنْ اسْتِعْمَالِ دَارِهِمْ وَمِظْلَتِهِمْ وَفِرَاشِهِمْ فَلَا يَخْلُو عَنْ

حَرَامٍ

طوافون عليكم بعضكم على بعض) ولا يبعد ان يراد بالطوافات المرات، فعن كبشة بنت كعب بن مالك «وكانت تحت ابن أبي قتادة دخل عليها فسكنت له وضوء الجاهات هرة تشرب منه فاصغى لها الأبناء حتى شربت قالت كبشة فرآني انظر فقال: اتعجبين يا ابنة أخي؟ فقلت: نعم قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انها ليست بنجسة انها من الطوافين عليكم والطوافات» رواه الأربعة ، وقال الترمذى حسن صحيح ﴿ ولا يضرب شيئا ﴾ أى حتى الدواب ﴿ على الوجه ولا يعذب ﴾ أى الوجه وغيره ﴿ بالنار ﴾ أى بالكي ونحوه ، واختلف في تجوز تحريق الزنديق ﴿ فنهى عنهما ﴾ فلا بد داود عن أبي هريرة « اذا ضرب أحدكم فليلق الوجه » وللترمذى والحاكم عن عمران « أنه عليه السلام نهى عن الكي » ﴿ ويعرض الماء والعلف على الفرس ﴾ أى فى الجهاد ونحوه ﴿ سبعين مرة ﴾ ولعله أريد به الكثرة للمبالغة والافتقار سبق حديث « للملوك طعامه وكسوته بالمعروف » ﴿ وورد يمن الفرس ذله ﴾ أى انقياده لراكبه ﴿ وحسن خلقه ﴾ أى لصاحبه وقد تقدم والله أعلم ﴿ ولا يدخل على الظلمة ﴾ أى الشاملة للكفرة والفجرة قال تعالى: ﴿ ولا تكونوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ فالاولى والا سلم من الأحوال ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك ودون هذه الحالة ان يدخلوا عليك ويترددوا اليك وشر الأحوال ان تدخل عليهم وتتوسل اليهم وهذا مذموم فى الكتاب والسنة ﴿ تحاميا عن استعمال دارهم ﴾ أى المخصوصة من اهل دارهم ﴿ ومِظْلَتِهِمْ ﴾ أى ومكان ظل خيمهم واشجارهم ﴿ وفراشهم ﴾ أى بساطهم ودفنهم ﴿ فلا يخلو عن حرام ﴾ وقد قال تعالى: ﴿ وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم ﴾ وهو بعموم مبناه يشمل الاحياء والاموات وان كان الكفار الاموات تراد فى معناه ولما وصف عليه السلام الأمراء الظلمة قال: فمن نابذهم نجاة ومن اعتزلهم سلم او كاد يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم ، الطبرانى من حديث أنس بسند ضعيف

والتواضع لهم فوراً «من أكرم فاسقاً فقد أعان على هدم الإسلام» والسكوت على منكر رآه عندهم والدعاء لهم بالبقاء، فوراً «من دعى لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه»

وفي رواية «من خالطهم هلك، وإنما قاله أو كاد يسلم» فإن من اعتزلهم سلم من أثمهم ولكن ربما لا يسلم من عذاب نقمة معهم أن نزل بهم لتركه المناهضة والمنازعة (والتواضع لهم) أى وعن اظهار المذلة والمسكنة المستازم لا كرام الظلمة لاسيما إن كم أو سجد أو تمثل له قائماً في الخدمة والتواضع للظالم من المعصية بل من تواضع لغنى ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى آخر يقتضى التواضع نقص ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح له الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء فلا الا عند خوف، ولقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم في السلام قال في الاحياء: وفيه نظر لأن ذلك واجب فلا ينبغي أن يسقط بالظلم قلت: قد سقط بآدنى من ذلك ومن جملته «أنه عليه السلام مارد جواب من لبس ثوبا أحمر» (فوراً من أكرم فاسقاً) وهو مرتكب الحرام وكان الاكرام من غير ضرورة في ذلك المقام (قد أعان على هدم الإسلام) أى على تعطيل بعض أركانه بتعظيم الظالم الذى يجب الاهانة في شأنه والحديث غريب بهذا اللفظ والمعروف «من قر صاحب بدعة» رواه ابن عدى من حديث عائشة والطبرانى في الأوسط وأبو نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن بسر باسانيد ضعيفة (والسكوت) أى وعن عدم الانكار بلسانه (على منكر رآه عندهم) أى وقدر على أنه ينكره باللسان عليهم كان يكون من العلماء أو المشايخ العظماء وذلك لأنه يرى في مجلسهم من الفراش الحرير وأواني الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام من خاتم الذهب ونحوه، وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك في تلك السيئة، فإن قلت: أنه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق لكنه مستغن عن أن يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا لعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر، وعند هذا يقال من علم فسادا في موضع وعلم أنه لم يبق دبر على ازالته فلا يجوز له أن يحضر ذلك الموضع ليجرى ذلك الفساد بين يديه وهو يشاهد فيسكت عليه (والدعاء لهم بالبقاء) أى حال التحية أو وقت الاعطاء (فوراً من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه)

وَالْمَدْحِ وَإِنْ صَدَقَ فَهُوَ إِعَانَةٌ عَلَى الْإِثْمِ، وَوَرَدَ «إِنَّ اللَّهَ لَيَغْضَبُ إِذَا

مَدَحَ الْفَاسِقُ» وَالْحُجَّةُ لَهُمْ فِي إِرَادَةِ الظُّلْمِ

أى من الابتداء الى الانتهاء، والحديث ذكره الرمخشى في تفسيره والغزالي في الاحياء قال السخاوى: ولم نرمه في المرفوع بل أخرجه أبو نعيم في الحلية من قول سفيان الثوري وقال العراقي: رواه ابن أبي الدنيا من قول الحسن البصري وكذا قال العسقلاني في تخريج الكشف (والمدح) أى وعن ثناء الفاسق (وان صدق) أى فى مدحه أى وكذا أن صدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله أو بتحريك رأسه أو باستبشار فى وجهه (فهو اعانة على الاثم) وتحريك للرغبة فى المعصية والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة لانه بسبب مدحه يجرى على ظلمه وفسقه (وورد ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق) ابن أبي الدنيا وابن عدى وأبو يعلى والبيهقى عن أنس ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك فى برية هل يسمى شريرة ماء فقال: لادعه حتى يموت لأن ذلك اعانة له وقال غيره يسقى إلى أن تثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه وانما يجوز له أن يدعو بقوله اصلحك الله فى الاوقات أو وفقك الله للخيرات أو طول عمرك فى الطاعات (والحجة لهم) بان يظهر لهم الموالة والاشتياق الى الملاقاة (ففى ارادة الظلم) أى منهم فيكون شريكاهم فى الاثم معهم ثم ان كان كاذبا عصى معصية الكذب والافتاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء ظالم فى الآفاق، وحقه ان يغضه فى الله ويمقتة فالغضب فى الله واجب ومحبة المعصية والراضى بها عاص، ومن أحب ظلما فان احبه لظلمه فهو عاص بمحبته وان احبه بسبب آخر فهو عاص من حيث أنه لم يغضه وان اجتمع فى شخص خير وشر وجب أن يحبه لذلك الخير ويغضه لذلك الشر، وقد حكى عن بعض عباد البصرة أنه كان يأخذ أموالا من الأمراء ويفرقها على الفقراء فقيل له ألا تخاف أن تحبهم فقال: لو اخذ رجل يدي وأدخلني الجنة ثم عصى ربه ما أحبه قلبي لأن الذى سخره للاخذ يدي هو الذى أبغضه لأجله شكرا له على تسخيره اياه، أقول وهذا مقام دقيق لأن الطبع يميل الى من يحسن اليه كما روى عن عائشة «جملت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها» وكذا فى الاحياء، وهو من رواية البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ويؤيده حديث «اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا في حبه قلبي» رواه ابن مردويه فى التفسير

وَاسْتَحْقَارَ نِعْمَتِهِ تَعَالَى عَلَى نَفْسِهِ بِرُؤْيَا التَّوَسُّعِ عَلَيْهِمُ إِلَّا لِرِعَايَةِ اطَاعَةِ الرَّعِيَّةِ

عن رجل لم يسم، والدليلي عن معاذ، وروى أن بعض الأمراء أرسل إلى مالك بن دينار بعشرة آلاف فأخذها كلها فأتاه محمد بن واسع فقال: ما صنعت بما آتاك هذا المخلوق فقال: نسل أصحابي فسألهم فقالوا: أخرجه كله فقال: أنشدك أقبلك أشد حباله الآن أم قبل أن أرسل إليك فقال: بل الآن فقال إنما كنت أخاف هذا وقد صدق فانه إذا أحبه أحب بقاءه وكرهه عزله وفناه وكل ذلك حب لأسباب الظلم وهو مذموم عند أهل العلم (واستحقار نعمة تعالى على نفسه) أي وعن استصغار نعمة سبحانه الظاهرة والباطنة عليه من العلم والعمل أو اختيار الفقر والقناعة بالكفاية للقيام بالطاعة (برؤية التوسع عليهم) ومشاهدة أسباب التعم لديهم فللحاكم من حديث عبد الله بن الشخير وصححه «أقلوا الدخول على الأغنياء فانه أجدر أن لا تزددوا نعم الله عز وجل، وقد تقدم حديث أن هريرة «أبغض القراء إلى الله عز وجل الذين يأتون الأمراء» وحديث أنس «العلماء أمناء الرسول على عباد الله ما لم يخالفوا السلطان فإذا فعلوا ذلك فقد خانوا الله ورسوله فاحذروهم واعتزلوهم» ولأبي عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسل «لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه ما لم يمالقوا أمراءها» ورواه الدليلي عن علي وابن عمر بلفظه ما لم يعظم إبرارها فجارها ويدهن خيارها شرارها، ولأبي داود والترمذي، وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا فجاء السوء في مجالسهم وواكلهم وشار بهم فغضب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم» ولفظه للترمذي، وقال: حسن غريب، والحاصل أن الأفضل في حقه أن يغفل عنهم وإذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الأصم أن ما بيني وبين الملك يوم واحد أما أمس فلا يجودون لذته وإني وإياهم في غد على وجل وإنما هو اليوم فعسى أن يكون في اليوم، وما قال أبو الدرداء: إن أهل الأموال يا كلون ونا كل ويشربون ونشرب ويلبسون وتلبس لهم فضول أموال ينظرون إليها ونظر معهم إليها وعليهم حسابها ونحن منها برآء، قلت: وهو مقتبس من قوله تعالى (إن تكونوا تآلمون فهم يآلمون كما تآلمون وترجون من الله ما لا يرجون) (الاستثناء من قوله ولا يدخل على الظلة إلا) (لرعاية اطاعة الرعية) فلبخاري من حديث أنس «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه

وَدَفَعَ النَّاذِي وَالظَّالِمَ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ فَيَدْخُلُ مُرَاعِيًا حَقَّهُ تَعَالَى وَيُكْرَمُ
 أَنْ دَخَلُوا عَلَيْهِ مُكَافَأَةً لَا كَرَامَةً عِزًّا لِلدِّينِ وَرِعَايَةً لِلْحَشْمَةِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ وَتَجُوزُ
 الْإِهَانَةُ فِي الْخَلَاءِ وَعِنْدَ الْعِلْمِ بَعْدَ اضْطِرَابِ الرَّعِيَّةِ بِنِةِ اعْزَازِ الدِّينِ وَتَحْقِيرِ
 الظُّلْمِ وَظَهَارِ الْغَضَبِ لَهُ تَعَالَى، وَالْأَصْلُ الْإِسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ وَنِةُ الْإِصْلَاحِ

زبينة ، ولمسلم من حديث أبي هريرة « عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك » وله أيضا
 عنه « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ميتة جاهلية » (ودفع الناذي)
 أي ولدفع شر الذاذي (والظلم عن نفسه أو غيره) من أهله ونحوه (فيدخل) أي حينئذ
 (مراعيًا لحقه تعالى) حيث قال: (بأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
 الأمر منكم) (وبكرم) أي بالقيام ونحوه كرها (ان دخلوا) أي الظلمة (عليه)
 أي معتقدين لما في يديه (مكافأة) علة للاكرام أي مجازاة (لا كرامه) أي اكرام
 الظالم له (عزاً للدين) أي لعز أهله من أهل العلم والعمل به ، وقد قال تعالى :
 (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) وقد سبق حديث « اذا أناكم كريم قوم
 فاكرموه » (ورعاية للحشمة بين الرعية) أي في الملأ (وتجوز الإهانة في الخلاه)
 أي بترك القيام وزيادة الكلام بعد رد السلام (وعند العلم بعد اضطراب الرعية)
 أي من الأمراء والوزراء اذا كانت اهانتهم (بنية اعزاز الدين) وأهله من العلماء
 المجتهدين (وتحقير الظلم) أي في نظرهم (واظهار الغضب له تعالى) كما هو
 واجب على أهل العلم وغيرهم كما ورد في احاديث « الحب في الله والبغض في الله »
 ولقد دعى سعيد بن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان فقال
 لا ابايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين
 فقال: ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر قال : لا والله لا يقتدى بي أحد من
 الناس فجعلد مائة وألبس المسوح ورواه ابو نعيم في الحلية باسناد صحيح ، والحاصل انه لا
 يجوز الدخول عليهم الا بعذر ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم
 انه لو امتنع أودى أو فسد عليهم طاعة الرعية واضطراب أمر السياسة العرفية
 فيجب عليه حينئذ الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لا يضطرب أمر
 الولاية (والأصل الاستفتاء من القلب) أي في جهة رضا الرب (ونية الاصلاح)

لَا الْأَشْتَهَارَ وَهُوَ يُعْرَفُ بِالْفَرَحَةِ عِنْدَ حُصُولِ الْمَوْعِظَةِ مِنْ غَيْرِهِ وَالْأَوَّلَى
الْاجْتِنَابُ عَنْهُمْ وَعَنْ خَوَاصِّهِمْ وَالتَّغَافُلُ عَنْ أَحْوَالِهِمْ

أى حملهم على صلاح حالهم وفلاح ما لهم ﴿ لا الاشتهار ﴾ أى بانه من أهل العلم
والصلاح وانه من الفائزين بالنجاة والنجاح فاز العاقبة مستورة فينبغى أن تكون النية
في هذه الأمور صحيحة مبرورة ﴿ وهو ﴾ أى ما ذكر من نية الاصلاح وعدم الاشتهار
﴿ يعرف بالفرحة عند حصول الموعظة ﴾ أى المظلة ﴿ من غيره ﴾ أى الموجودين
من الوعاظ الأبرار والعلماء الكبار ثم اذا ابتلى بالدخول عليهم يجب أن ينصحهم
فقد ورد « ان الدين النصيحة قيل : لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المؤمنين وعامتهم »
روى عن محمد بن صالح قال : كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير
وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه غلبه ومطهرة يتوضأ فيها فيتنا انا
عنده اذ قد دق الباب فاذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال مالى
اذا رأيتك ام ثلاث منك رعبا قال حماد : لانه قال عليه السلام : ان العالم اذا أراد بعلمه
وجه الله هابه كل شئ وان أراد ان يكثر به الكنوز هاب كل شئ ثم عرض عليه
أربعين الف درهم وقال تأخذها وتستعين بها قال : أرددها على من ظلمته بها قال : والله
ما أعطيك الا ما ورثته قال : لا حاجة لى فيها قال فتأخذها وتقسمها قال لعلى ان
عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فيائم فازوها على
كذا في الأحياء وقال مخرجه : حديث حماد بن سلمة مرفوعا هذا معضل ، وروى أبو
الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث واثلة بن الأسقع « من خاف الله خوف
الله منه كل شئ ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شئ » وللعقيلي في الضعفاء من حديث
أبي هريرة نحوه ﴿ والاولى الاجتناب عنهم وعن خواصهم ﴾ لئلا يقع في طمع
من جاههم وأموالهم ﴿ والتغافل عن أحوالهم ﴾ بالتجاهل عن أفعالهم وأقوالهم
والاشتغال بعيوب نفسه ومحاسبة يومه وامسه ومذاكرة الموت وما بعده من حال
رسمه ، فعن حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل : وما هي ؟ قال أبواب الامراء يدخل احدكم
على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه ، وقال أبو ذر اسلمة : لا تنفش أبواب
السلطين فانك لا تصيب من دنياهم شيئا الا أصابوا من دينك أفضل منه ، وقال
سفيان في جهنم وادلايسكنه الا القراء الزوارون للملوك والامراء . وقال الاوزاعي :

ما من شيء أبغض الى الله عز وجل من عالم يزور عالماً وقال سمعون: ما أسمع بالعالم يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال: انه عند الامير قال: وكنت اسمع انه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذا دخلت قط على هذا السلطان الاوحاسبت نفسي بعد الخروج فأرى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهمواهم ، وقال أبو ذر في حديث : من كثر سواد قوم فهو منهم اى من كثر سواد الظلمة، وقال ابن مسعود : ان الرجل يدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولادين له قيل له : لم قال لانه يرضيه بسخط الله، وقال الفضيل: ما ازداد رجل من ذى سلطان قربا الا ازداد من الله بعداء، وقال وهب: هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم أضر على الأمة من المقامرين ، وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارى على باب هؤلاء الجورة، ولما خالط الزهرى السلطان كتب أخ له فى الدين اليه عافانا الله وإياك أبا بكر من الفن فقد أصبحت بحال يذبحى لمن عرفك أن يدعو لك ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وفد أثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء فقال عز وجل (واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) واعلم ان أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت انك آنت وحشة الظالم وسهلت سبيل النى بدنوك بمن يؤد حقا ولم يترك باطلا حتى اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلاتهم واغوائهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقنادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك فى جنب ما خبروا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم : (خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) الآية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداودينك فقد دخله سقم وهى زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شيء فى الأرض ولا فى السماء والسلام فان قلت: فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فأقول: نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد عى ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال اترونى برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا قال فن التابعين فأتى بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بأمر المؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بازائه وقال كيف أنت يا هشام ففضب هشام حتى هم بقتله فقيل له

أنت في حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال له: يا طاووس ما الذي حملك على ما صنعت؟ فقال: وما الذي صنعت فازداد غضبا وغيفا فقال: خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم على بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست بإزائي بنير اذني وقلت كيف أنت يا هشام فقال اما ما فعلت من خلعت نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبني ولا يغضب علي؛ واما قولك لم تقبل يدي فاني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه يقول: لا يحل لرجل ان يقبل يد أحد إلا امرأته من شهوة أو ولده من رحمة ، واما قولك لم تسلم على بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرئك فكرهت ان أكذب وأما قولك لم تكنني فان الله سمي أوليائه وقال يادود يا يحيى يا عيسى وكفى أعداءه فقال تبت بدا أبي لهب، وأما قولك جلست بإزائي فاني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول إذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظمي فقال: سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول ان في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبالغال تلدغ كل أمير لا يمدل في رعيته ثم قام وهرب عن صحبته، وعن سفيان الثوري قال أدخلت على أبي جعفر بمنى فقال لي ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا قال فطأ رأسه ثم رفع رأسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واصل اليهم حقوقهم قال فطأ رأسه ثم رفع رأسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت: حج عمر رضى الله عنه فقال لحازنه كم أنفقت؟ قال بضعة عشر درهما وأرى هنا أموالا لا تطيقها الجبال ، ولما استعمل عثمان بن عفان العباس أتاها أصحاب النبي عليه السلام وأبطأ عنه أبوذر - وكان له صديقا - فعاتبه فقال أبوذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ان الرجل إذا ولي ولاية تباعد الله عنه كذا في الاحياء وقال مخرجه: لم أقف له على أصل ، وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد فقزع ووضع صدره على مقدم الرجل فقال عمر هذا صوت رحمتي فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس يوم عرفة فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا أمير المؤمنين فقال سليمان ابتلاك الله بهم وحكى ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال سليمان يا أبا حازم مالنا نكره الموت فقال لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكبرتم ان تنقلوا من العمران الى الخراب فقال يا أبا حازم كيف القدوم

وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ

على الله قال : يا أمير المؤمنين أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم به على موله فبكي سليمان وقال : ليت شعري مالى عند الله ؟ فقال أبو حازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال (ان الأبرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا أبا حازم أى عباد الله أكرم قال أهل المروءة والتقى قال فأى الأعمال أفضل قال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فأى المؤمنين أكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس إليها قال فأى المؤمنين أخسر قال : من باع آخرته بدنياه غيره قال سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال أو تعاقبنى قال لا ولكن نصيحة تلقىها الى قال : يا أمير المؤمنين ان آباءك قهروا الناس بالسيف فاخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم حتى قتلوا قتلة عظيمة وقد ارتجلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه : بش ما قلت قال أبو حازم : ان الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبينته للناس ولا يكتُمونه فقال فكيف لنا ان نصلح هذا الفساد فقال ان تأخذ المال من حله فتضعه فى حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك قال من يطلب الجنة ويخاف النار قال سليمان ادعنى فقال اللهم ان كان سليمان وليك فيسر له خيري الدنيا والآخرة وان كان عدوك نؤذ بناصيته الى ماتحب وترضى فقال سليمان أوصنى فقال : أوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك وحقى ان أبا بكره دخل على معاوية فقال : اتق الله يا معاوية واعلم انك فى كل يوم يخرج عنك وفى كل ليلة تأتى عليك لانزاد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا وعلى أثرك طالب لا تقوته وقد نصب علم لا تجوزه فما أسرع ما تبلغ العلم وما أوشك ما يلحق بك الطالب واننا وما نحن فيه زائل وفى الذى نحن اليه صائرون باق ان خيرا فخير وان شرا فشر (ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر) لقوله تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس) أى أظهرت تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقوله : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) الآية ، وقوله : (الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور) وقوله عليه السلام (المؤمنون كالبنيان يشد بعضه ببعض) زواه الشيخان عن أبى موسى (وهو) أى ما ذكر من الأمر والنهى وافرد الضمير باعتبار التلازم بينهما

فَرَضَ عَلَى الْكِفَايَةِ فِي الْفَرَضِ فَعَلًا وَتَرَكًا وَمَنْدُوبٌ فِي الْمَنْدُوبِ ، وَوَرَدَ
(وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) الْآيَةِ

((فرض)) أى بالاجماع والكتاب والسنة ((على الكفاية)) أى اذا اطلع على الأمر جماعة وأمر أو نهى واحد منهم سقط عن الباقيين وإلا أثم الجميع واذا كانوا معذورين باليد واللسان فحينئذ عليهم ان ينكروا بالجنان وذلك أضعف زمان الايمان أو أهله في مقام الاتقان أو مراتب أرباب الاحسان ((في الفرض)) أى من المعروف ((فعلا)) كالصلاة والصيام ((وتركا)) كاجتناب ما عرف من الحرام ((ومندوب)) أى وهو مستحب ((في المندوب)) أى من المعروف فعلا وتركا ((وورد)) في التنزيل ((ولتكن منكم أمة)) أى جماعة منكم وهو دليل كونه من الكفاية ((يدعون الى الخير)) أى المحض وهو الايمان ((ويأمرون بالمعروف الآيَةِ)) أى (وينهون عن المنكر) وأولئك هم المفلحون (أى التاجون عن العذاب والمظفرون بالثواب هم هؤلاء القائمون به والمباثرون له وهو القطب الاعظم في الدين والامر المهم الذي بعث الله له النبيين أجمعين ، فلوطوى بساطه وأهمل علمه وعمله بالمرة تعطلت النبوة وعمت الفترة واضمحلت الديانة وارتفعت الامانة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة وظهر الفساد وخربت البلاد وهلك العباد وان لم يشعروا بالهلاك الى يوم التناد ولاصحاب السنن عن أبي بكر الصديق أنه قال في خطبة خطبها: ايها الناس انكم تقرأون هذه الآية وتأولونها على خلاف تأويلها (يا ايها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر على أن ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك أن يعصمهم الله تعالى بعذاب من عنده» ولأبي داود والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي ثعلبة الخشني « أنه سال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تفسير قوله تعالى: (لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال : يا أبا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شحنا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتا كقطع الليل المظلم للتمسك فيها بمثل الذى أتم عليه أجر خمسين منكم قيل : بل منهم بارسول الله قال بل منكم لانكم تجدون على الخير أغوانا» وللبخاري من حديث عمر والطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة مرفوعا

وَإِنْ عَدِمَ الْعَدَالَةَ تَحَرَّزَ عَنْ أَسَدَادِ بَابِ الْاِحْتِسَابِ لِتَعَذُّرِ الْعَصْمَةِ وَلَآنَ
الْوَاجِبَ عَلَيْهِ الْاِمْتِنَاعُ وَالْمَنْعُ فَلَا يُسْقِطُ تَرْكُ أَحَدِهِمَا الْآخَرَ، وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي ذِمِّ
الْقَائِلِ بِمَا لَا يَعْمَلُ

و لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلط الله عليكم شراركم ثم يدعو
خياركم فلا يستجاب لهم. وللترمذى وحسنه من حديث حذيفة نحوه إلا أنه قال
«أو ليوشكن الله بيعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم» ولابن ماجه
باسناد جيد مرفوعا «إن الله تعالى ليسال العبد ما منعك إذا رأيت المنكر أن تنكره
فاذا لقن الله العبد حجته قال يارب وثقت بك وفرقت من الناس» وللطبرانى والبيهقى
وحسنه عن عكرمة عن ابن عباس «لا تقفن عند وجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل
على من حضره حين لم يدفعوا عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فإن اللعنة
تنزل على من حضره» وللبيهقى عن ابن عباس بسند حسن «لا ينبغي لأمرى شهيد
مقاما وفيه حق إلا تكلم به فإنه لن يقدم أجله ولن يحرمه رزقه هو له» ورواه
الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابى سعيد بلفظ «لا يمنع رجلا هية الناس
أن يقول بحق إذا علمه» ولابن عدى من حديث أبى هريرة «من حضر معصية
فكرها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكأنه حضرها» ثم الأمر والنهى
يجب على العبد (وإن عدم العدالة) أى منه بفقد عمله بها (تحرزا عن اسداد
باب الاحتساب) أى الحسبة بالأمر والنهى لاجل الثواب (لتعذر العصمة)
أى عن جميع المعصية إلا لارباب النبوة دون الصحابة فضلا عن دونهم والأنبياء
كما قال الحجة قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على نسبة آدم الى المعصية
وكذا جماعة من الأنبياء ولذا قال سعيد بن جبير: إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر
إلا من لا يكون فيه شيء لم يأمر أحد بشيء فاعجب ذلك مالكا من سعيد بن جبير
(ولأن الواجب عليه) شيان وهما (الامتناع) أى بنفسه عن المعصية (والمنع)
أى لغيره عنها (فلا يسقط ترك أحدهما) وهو الامتناع (الآخر) وهو المنع كما في
عكسهما فلا تلازم بينهما (وأما ما ورد في ذم القائل بما لا يعمل) كقوله تعالى:
(يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون)
وقوله: (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)

فَلَعْدَمِ الْعَمَلِ وَاذْنِ الْأَمَامِ لِعُمُومِ الْأَدَلَّةِ وَاطِّلاقِهَا حَتَّى يَحْتَسِبَ عَلَى الْأَمَامِ أَيْضًا

وكحديث «مررت ليلة أسرى بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من أنتم فقالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه ونهى عن الشر ونأتيه»، وكناروى «أن الله تعالى أوحى إلى عيسى عظم نفسك فإن اتعظت فعض الناس والافاستحي مني» وكقول القائل:

لاتلم المرء على فعله وأنت منسوب إلى مثله

من ذم شينا وآتى نحوه فانما يزرى على عقله

﴿ فلعدم العمل ﴾ أى لا مجرد الامر والقول كما توهمه قوم ﴿ واذن الامام ﴾ أى وان عدم اذنه بالحسبة ﴿ لعوموم الأدلة واطلاقها ﴾ أى من غير تقييد باحد دون آخر ﴿ حتى يحتسب على الامام أيضا ﴾ كما يدل عليه حديث أبى سعيد الخدرى « أفضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر » أبو داود وابن ماجه والترمذى وحسنه فاذا جاز الحكم على الامام على مراغميه فكيف يحتاج الى اذنه ، وقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للاتحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصي اين ما رآه وكيف ماراه على العموم فالنخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له ، والعجب أن الروايف زادوا على هذا فقالوا : لا يجوز الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مالم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم ، وهؤلاء اخس رتبة من أن يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذا جاءوا الى القضاء طالبين لحقوقهم فى دماهم وأموالهم : أن نهضتكم أمر بالمعروف واستخراج حقوكم من أيدي من ظلمكم نهى عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج ، هذا واستمرار عادات السلف فى الحسبة على الولاية قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من أمر بمعروف فان كان الوالى راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه فى الانكار عليه ، ومن جملة ما أنكر السلف على الأمراء ما روى ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلاة فى العيد فقال له رجل : انما الخطبة بعد الصلاة فقال له مروان : ترك ذلك يا فلان فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليذكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » ، وروى ان المهدي لما

قدم مكة لبث ماشاء الله فلما أخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله ابن مرزوق فلبه بردائه وقال له : انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت أحق من أتاه من البعد حتى اذا صاروا عنده حلت بينهم وبينه من جعل لك هذا فنظر في وجهه وكان يعرفه لانه من مواليتهم فقال له : أعبد الله بن مرزوق فقال نعم فاخذ فجىء به الى بغداد ففكره ان يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه في العامة فجعله في اصطبل الدواب ليسوسها وضموا اليه فرسا عضوضا سبي الخلق ليعقره الفرس فلين الله له الفرس قال ثم صيره الى بيت وأغلق عليه وأخذ المهدي المفتاح عنده فاذا هو قد خرج بعد ثلاث الى البستان يأكل البقل فاذن به المهدي فاستدعاه فقال : من أخرجك قال الذي حبسني قال من حبسك قال الذي أخرجنى قال فضج المهدي وصاح وقال : أمانتخاف ان أقتلك فرفع عبدالله اليه رأسه وضحك وهو يقول : لو كنت تملك حياة أو موتا لكان ذلك فما زال محبوسا حتى مات المهدي ثم خلى عنه فرجع الى مكة قال : وكان قد جعل على نفسه نذرا ان يخلصه الله من أيديهم ان ينحر مائة بدنة فكان يعمل في ذلك حتى نحر مائة بدنة وروى عن جنان بن عبدالله قال تنزه هارون الرشيد بالدوير ومعه رجل من بني هاشم - وهو سليمان بن أبي جعفر - فقال له هارون قد كانت لك جارية تغني فتحسن فجئنا بها قال فجاءت ففنت فلم يحمد غناها فقال ما شانك قالت ليس هذا عودي فقال للخادم جئها بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال : الطريق يا شيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فاخذه وضرب به الأرض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبه أمير المؤمنين فقال له صاحب الربع : ليس ببغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبه أمير المؤمنين فقال له : اسمع ما أقول لك ثم دخل على هارون فقال اني مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فاخذه فضرب به الأرض فمكسره فاستشاط هارون وغضب وأحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبي جعفر ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين ابعت الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به في دجلة فقال لا ولكن نبعث اليه ونأظره أولا لجأه الرسول وقال أجب أمير المؤمنين فقال نعم قال : اركب قال لا فجاء يمشي حتى وقف على باب القصر فقبل لهارون قد جاء الشيخ فقال للندماء أي شيء ترون نرفع ما قدما منا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو تقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له : تقوم الى مجلس ليس فيه منكر أصلح بنا قماموا صغرة أي اذلاء الى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ

وَحَقُّهُ الْعِلْمُ لِيَعْلَمَ الْحُدُودَ وَالْحَقُوقَ وَالْوَرَعَ لَعَدَمِ تَأْثِيرِ

فادخل وفي كه الكيس الذي فيه النوى فقال له الخادم: أخرج هذا وادخل على أمير المؤمنين فقال هذا عشائي الليلة قال: نحن نعشيك قال لا حاجة لي في عشائك فقال له هرون أى شيء تريد منه فقال في كه نوى فقلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين فقال دعه لا يطرحه قال فدخل فسلم وجلس فقال له هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت فقال وأى شيء صنعت وجعل هرون يستحى ان يقول كسرت عودنا فلما اكثر عليه، قال: انى سمعت آباءك وأجدادك يقرمون هذه الآية على المنبر (ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاه ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) رأيت منكرا فغيرته قال فغير فوالله ما قال الا هذا فلما خرج أعطى رجلا بدرة فقال له اتبع الشيخ فان رأيتة يقول قلت لأمير المؤمنين وقال لي فلا تعطه شيئا وان رأيتة لا يكلم أحدا فاعطه البدره فلما خرج من القصر اذا هو بنواة فى الأرض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم أحدا فقال له يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدره فقال قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها، ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج قلعها من الأرض وهو يقول:

أرى الدنيا لمن هى فى يديه هموما كلها كثرت لديه
تهين المكرمين بها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغثت عن شيء فدعه وخذ ما أنت محتاج اليه

(وحقه) أى وحقوق وجوب الاحتساب ثلاثة (العلم) أى معرفة خطأ الأمور وصوابها (ليعلم الحدود) أى بمراتبها (والحقوق) المتعلقة باصحابها فالجمال بمعزل عن هذا الباب بل شرط أن يكون مسلما مكلفا قادرا على الاحتساب، ومن هنا قال بعض علمائنا: ان العامى انكاره بالجنان. والعالم انكاره باللسان. والأمير انكاره بالآركان فانه يجب أن يعلم المحتسب مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها ليقصر على حد الشرع فى أبوابها، وذلك معنى قوله (والورع) أى عن المنكرات مطلقا أو عن ذلك المنكر والاول أظهر ليردعه ورعه عن مخالفة معلومه فاكل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف فى الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض الفاسدة أو عوض من الاعراض الكاسدة وليكن كلامه ووعظه مقبولا (لعدم تأثير

قَوْلِ الْفَاسِقِ وَسُقُوطِ اعْتِبَارِهِ وَحَسَنِ الْخَلْقِ وَهُوَ الْأَسَاسُ

قول الفاسق وسقوط اعتباره ﴿ عند الخلاق لان الحسبة تارة تكون بالنهي بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينفع وعظ من لا يتعظ أولا وكذا ان قهر بالفعل فقد قصر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال : فانت لم تقدم عليه فينفر الطباع عن قهره بالفعل فلا يفيد فائدة لاسما مع ارباب الجبل والا فلا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل آباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا، فتحصل من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ به واذ لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان في عرضه بالانكار فنقول : ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعي الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه وأما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق في اراقة الخمر وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه. قال الغزالي : وهذا غاية الانصاف والكشف في المسألة انتهى، ولا يخفى ان هذا يخالف لما تقدم من ان العدالة ليست بشرط في هذا الباب بل هو من باب الكمال والله أعلم بالصواب، وقد ورد عن أنس «قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهي عن المنكر حتى نجتنبه كله قال عليه السلام بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانها عن المنكر وان لم تجنبوه كله، الطبراني في المعجم الصغير والاوسط ﴿ وحسن الخلق ﴾ أى ليقدر به على ترتيب الحسبة على الخلق بالحكمة أولا وبالموعظة ثانيا وبالمجادلة من المدافعة والمضاربة والمقاتلة ثالثا ﴿ وهو الاساس ﴾ أى مدارس سياسة الناس، وفي الاحياء ورد «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه» الحديث قال منخرجه لم أجده هكذا، والبيهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده من أمر بمعروف فليكن بمعروف، والحاصل ان العلم والورع لا يكفي فيه بل لابد من حسن الخلق ايضا فان الغضب اذا هاج لم يقيم العلم والورع في قمعه مالم يكن في الطبع قبول له لحسن الخلق، وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على دفع الشهوة ومنع الغضب وبه يصبر المحتسب على ما أصابه في دين الله كما قال تعالى حكاية عن لقمان (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور) وعن بعض السلف إذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف فليوطن

فهيجان الغضب لا يسكن دونه، وورد (فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى)

نفسه على الصبر وليثق من الله بالثواب والأجر فمن وثق باجر المولى لم يجد مس
الآذى والا فاذا أصيب عرضه أو نفسه بشتم أو ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين
الله وتصحيح النية وتحسين الطوية فاشتغل بنفسه الردية وأخلاقها الدنية بل ربما
تقدم عليه ابتداء لطلب الجاه أو طمع المال أو اللرباء والسمعة ولعل هذا وجه قول
القائل هذا زمان السكوت ولزوم البيوت ، وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني
« كيف منزلتك عند قومك قال حسنة ، قال ان التوراة يقول ان الرجل اذا أمر
بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال أبو مسلم : صدقت التوراة
وكذب أبو مسلم (فهيجان الغضب) أى منه أو من غيره (لا يسكن دونه)
أى عند أمر من الأمور بل يتحرك فيه أنواع من الشرور (وورد) أى فى طه
(فقولا له قولاً لنا) أى ملايما هينا (لعله يتذكر) أى يتعظ فيترك الكفر
ابتداء (أو يخشى) أى عقاب ربه فينتهى عن خلافه انتهاء فاذا كان الانبياء مأمورين
بالرفق مع شر الخلق فكيف بالعلماء مع أهل الحق ؟ وحكى عن المأمون اذ وعظه
واعظ وعنفله فى القول فقال : يا رجل ارفق فقد بعث الله تعالى من هو خير منك الى من هو
شر منى وأمره بالرفق فقال (فقولا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى) وقد روى
أبو أمامة « ان غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا نبي الله أتأذن لى
فى الزنا فصاح الناس به فقال عليه السلام : أقروه اذن فدنا حتى جلس بين يديه
فقال عليه السلام : أتحب لأمك قال لا جعلنى الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه
لامهاتهم قال أتحب لابتك ، قال لا جعلنى الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه
لبنائهم قال أتحب لاختك ؟ قال لا جعلنى الله فداك : قال كذلك الناس لا يحبونه
لاخواتهم ، وزاد ابن عوف أنه ذكر العمة والخالة وهو يقول « فى كل ذلك : لا
جعلنى الله فداك وهو عليه السلام يقول كذلك الناس لا يحبونه ، وقالا جميعا
فى حديثهما اعنى ابن عوف والراوى الآخر « فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم يده على صدره وقال : اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحسن فرجه فلم يسكن
شيء ابغض اليه منه « أى من الزنا رواه أحمد بإسناد جيد رجاله رجال الصحيح ، وقيل
للفضيل بن عياض أن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال ما أخذ منهم الا دون
حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان يا أبا على ان لم تكن من الصالحين فانا لنحب

وَأَوَّلُهُ التَّعْرِيفُ ثُمَّ الْوَعْدُ وَالتَّخْوِيفُ مِنْهُ تَعَالَى لَا يَتَجَاوَزُ عَنْهُ إِنْ كَانَ عَلَى الْوَالِدَيْنِ أَوْ الْمَوْلَى أَوْ الْبَعْلِ أَوْ السُّلْطَانِ بَلْ يَشْتَغِلُ بِالْدُّعَاءِ وَالْإِسْتِغْفَارِ ثُمَّ التَّعْنِيفُ

الصالحين ﴿ وأوله ﴾ أى بدء الحسنة ﴿ التعريف ﴾ أى تعريف قبح المعصية ﴿ ثم الوعد ﴾ أى النصيحة بالكلام اللطيف ﴿ والتخويف منه تعالى ﴾ أى بالعقوبة في الدنيا والآخرة ﴿ لا يتجاوز ﴾ أى المحتسب ﴿ عنه ﴾ أى عما ذكر من الآمور الثلاثة ﴿ أن كان ﴾ احتسابه ﴿ على الوالدين ﴾ وقد سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده؟ قال يعظه ما لم يغضب فإذا غضب سكت عنه ، قيل وفي معنى الوالدين التليذ والاستاذ وأما ما في الإحياء من الأخبار الواردة في أن الجلاد ليس له أن يجلد أباه في الزنا ولا أن يباشر إقامة الحد عليه ولا أن يباشر قتل أبيه الكافر وأنه لو قطع يده لم يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالإجماع فقال مخرجه لم أجده في الحديث « لا يقاد الوالد بالولد » رواه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر ﴿ أو المولى ﴾ أى المالك من العبد ﴿ أو البعل ﴾ أى الزوج من المرأة ﴿ أو السلطان ﴾ أى أوعلى الخليفة ومن في معناه من الرعية من امرائه ووزرائه فإنه يكاد يفضى الى خرق هيئته واسقاط حشمته وترتب عليه الفساد من جهة حميته والغضب على رعيته فللجأكم في مستدرکه من حديث عياض ابن غنم الأشعرى « من كانت عنده نصيحة لذى سلطان فلا يكلمه بها علانية ولا يأخذ بيده فليخل به فان قبلها والا كان أدى الذى عليه والذى له » وقال: صحيح الاسناد والترمذى وحسنه من حديث أبى بكر « من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله في الأرض » وهذا منه عليه السلام طريق راقية ورحمة على الأنام والافقد ورد عنه من حديث أبى عبيدة قلت : « يا رسول الله أى الشهادة أكرم على الله ؟ قال رجل قام الى وال جائر فامر به بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله » الحديث رواه البزار وللحاكم في مستدرکه وصححه اسناده من حديث جابر « سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ورجل قام الى امام جائر فامر به ونهاه فقتله » ويقويه ما سلف من السلف حتى قارب أمرهم الى الهلاك والتلف ، والحاصل انه لا يجب عليه الا انه يستحب له ويثاب عليه ﴿ بل يشتغل بالدعاء ﴾ أى لتوفيقهم بالمعروف ﴿ والاستغفار ﴾ أى المجاوزة عنهم في المنكر فان هذين الأمرين نفعهما أكثر خصوصاً في هذا الزمان فتدبر ﴿ ثم التعنيف ﴾ أى الكلام

وَالسَّبُّ دُونَ الْفَحْشِ مِثْلُ يَاجَاهِلٍ يَأْخُذُ بِأَحَقِّ لَاتَجَاوُزُ عَنْهُ إِنْ كَانَ عَلَى الْمُسْلِمِ مِنَ الذَّمِّ
تَحْرِزًا عَنْ اسْتِيلَاءِ الْكَافِرِ ثُمَّ التَّغْيِيرُ كَكَسْرِ الْمَلَاهِي وَإِرَاقَةِ الْخَرِّ ثُمَّ التَّهْدِيدُ ثُمَّ
الضَّرْبُ وَهُوَ بِقَدْرِ الْوُسْعِ وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ فَالْكِرَاهَةُ ، فَوَرَدَ «فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ
وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»

الحُشْنُ (وَالسَّبُّ) أَيْ الشَّتْمُ (دُونَ الْفَحْشِ) فَلَا يَقُولُ لَهُ : يَا كَافِرُ يَا هُودِي يَا نَصْرَانِي
يَا خَنْزِيرَ يَا كَلْبَ يَافَاسِقَ بَلْ يَقُولُ (مِثْلُ يَاجَاهِلٍ يَأْخُذُ بِأَحَقِّ) الْإِتِّخَافُ مِنَ اللَّهِ وَمَا يَجْرِي بِجِزَاهِ
(لَا يَتَجَاوَزُ عَنْهُ) أَيْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ (إِنْ كَانَ) الْإِحْتِسَابُ (عَلَى الْمُسْلِمِ مِنَ الذَّمِّ) تَحْرِزًا
عَنِ اسْتِيلَاءِ الْكَافِرِ (فَإِنَّ الذَّمَّ) إِذَا مَنَعَ الْمُسْلِمُ بِفِعْلِهِ دُونَ قَوْلِهِ فَهُوَ يَسْلُطُ عَلَيْهِ فَيَمْنَعُهُ مِنَ الْوُصُولِ
إِلَيْهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا) وَابْتِجَاءً لِقَوْلِهِ لَا تَزِنُ وَنَحْوِهِ
مِنَ النَّصِيحَةِ وَالتَّخْوِيفِ مِنَ الْفَضِيحَةِ فَلَا مَحْذُورَ فِيهِ بَلْ بِمَا يَكُونُ سَبِيلًا لِلْإِمْتِنَاعِ عَمَّا فِيهِ (ثُمَّ
التَّغْيِيرُ) أَيْ تَغْيِيرَ الْمُنْكَرِ بِالْبَدْوِ الْمُبَاشِرَةِ عَلَى سَبِيلِ الْمُنْعِ بِالقَهْرِ (كَكَسْرِ الْمَلَاهِي) أَيْ مِنْ
آلَاتِ الْمُنَاهِي كَالْمَزَامَرِ وَالْأَوْتَارِ (وَإِرَاقَةِ الْخَرِّ) أَيْ الَّتِي هِيَ أُمُّ الْخَبَائِثِ وَأَصْلُ
الْمَعَاصِي وَأَسَاسُ الشَّرِّ ، وَكَذَا اخْتِطَافُ الثَّوْبِ الْحَرِيرِ مِنْ رَأْسِهِ وَاسْتِلَابُ الشَّيْءِ
الْمَغْصُوبِ مِنْ يَدِهِ وَرَدُّهُ عَلَى صَاحِبِهِ ، فَلِلتَّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّهُ قَالَ «يَا نَبِيَّ
اللَّهُ إِنِّي اشْتَرَيْتُ خَمْرًا لَا يُتَامُ فِي حَجْرِي قَالَ : أَهْرِقِ الْخمرَ وَاسْكُرِ الدُّنْيَانِ» (ثُمَّ التَّهْدِيدُ)
أَيْ التَّخْوِيفُ بِالضَّرْبِ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ مِنَ الْحَاكِمِ وَنَحْوِهِ (ثُمَّ الضَّرْبُ)
أَيْ بِمُبَاشَرَتِهِ إِنْ كَانَ قُدْرَةً لَدَيْهِ حَتَّى يَمْتَنِعَ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ (وَهُوَ بِقَدْرِ الْوُسْعِ) أَيْ الطَّاقَةِ فِي
تَأْدِيَةِ الطَّاعَةِ كَالْمَوَاطِبِ عَلَى الْقَذْفِ وَالْغِيَةِ فَانْ سَلَبَ لِسَانَهُ لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ عَلَى
اخْتِيَارِ السُّكُوتِ بِالضَّرْبِ وَهَذَا قَدْ يَحْجُجُ إِلَى اسْتِعَانَةِ وَحُصُولِ اعَانَةٍ (وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ)
أَيْ عَلَى الضَّرْبِ وَنَحْوِهِ (فَالْكِرَاهَةُ) أَيْ بِقَلْبِهِ كَافِيَةً (فَوَرَدَ) أَيْ فِي حَدِيثِ أَوَّلِهِ «مَنْ
رَأَى مِنْكُمْ مَنْكَرًا فَلْيَغْيِرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ» (فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ
أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) أَيْ أَضْعَفُ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَوْ أَضْعَفُ زَمَانِهِ أَوْ أَضْعَفُ مَرَاتِبِهِ
فِي شَأْنِهِ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالْأَرْبَعَةُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ الْعَاجِزَ لَيْسَ
عَلَيْهِ حِسْبَةُ الْإِيمَانِ إِذَا كَانَ مِنْ أَحِبِّ اللَّهِ يَكْرَهُ مَعَاصِيَهُ وَيَنْكَرُهَا ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ :
وَجَاهِدُوا الْكُفْرَ بِأَيْدِيكُمْ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا فِي وَجْهِهِمْ فَأَفْعَلُوا ،

فَإِنْ ظَنَّ الْأَصْرَارَ لَا يَجِبُ بَلْ يُسْتَحَبُّ إِظْهَارُ الْأَمْرِ الدِّينِيِّ وَإِنْ ظَنَّ إَصَابَةَ مُكْرُوهِهٖ أَوْ فَعَلَ مُنْكَرَ آخَرٍ يَحْرُمُ إِلَّا أَنْ يَظُنَّ الْاِمْتِنَاعَ أَيْضًا فَيَسْتَفْتِي مِنَ الْقَلْبِ وَيَنْظُرُ فِي صَلَاحِهِ مَبَالِغًا

ثم اعلم انه لا يتوقف سقوط الوجوب على العجز الحسى فقط بل يلحق به ما يخاف عليه مكروهه وهايناله فذلك في معنى العجز وكذا اذا لم يخف مكروهها ولكن علم ان انكاره لا ينفع وهذا معنى قوله ﴿ فان ظن الاصرار لا يجب ﴾ اى الانكار بالقول ﴿ بل يستحب اظهار الامر الدين ﴾ نعم يلزمه ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا الحاجة مهمة او واجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد ويحمل على مساعدة السلاطين في الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في حق من يقدر على الهرب من الاكراه ﴿ وان ظن اصابة مكروه ﴾ من ضرب ونحوه ﴿ او فعل منكر آخر ﴾ اى بسببه كضرب غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه ﴿ يحرم ﴾ اى حينئذ الاحتساب ﴿ الا ان يظن الامتناع ايضا ﴾ فاذا تعارض الظن ان ﴿ فيستفتى من القلب ﴾ في اختيار ما ياهمه الرب ﴿ وينظر في صلاحه ﴾ اى صلاح الامر من حاله ﴿ مبالغا ﴾ في تحسين ما له فروى عن العالم الرباني ابى سلمان الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر عليه وعلت انى اقتل ولم يمنعني القتل ولا كن كان في ملا من الناس فخشيت ان يعتري التزير للخلق فاقتل من غير اخلاص في الفعل للحق فان قيل :فما معنى قوله تعالى : (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) اجيب بانه لاخلاف في ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الآية وليس كذلك فقد قال ابن عباس :ليس التهلكة ذلك بل ترك الثقة في طاعة الله تعالى : أى من لم يفعل ذلك فقد اهلك نفسه ؛ ويؤيده الجملتان السابقة واللاحقة اذ قال تعالى : (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا) ولا يبعد ان تفسير التهلكة باسراف المال وتضييع العيال ، وقال أبو عبيدة : هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى يهلك ذكره في الأحياء وهو صحيح في المعنى لكن يبعد مأخذه من الآية بحسب إرادته من المبني ثم اذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جازله أيضا ذلك في الحسبة

وَالْإِعْتِبَارُ لِلظَّنِّ الْغَالِبِ مِنْ مُعْتَدِلِ الْحَالِ فَالْجَبَانُ يُسْتَقْرِبُ الْبَعِيدَ وَالْمُتَوَرُّعُ
يَعَكْسُ وَلَا يَتَجَسَّسُ كَوَضْعِ الْأُذُنِ وَالْأَنْفِ لِحَسَاسِ صَوْتِ الْأَوْتَارِ وَرَائِحَةِ
الْخَمْرِ وَطَلَبِ إِرَاءَةِ مَانَحَتِ الثَّوبِ فَهُوَ مِنْهُي عَنْهُ

﴿وَالْإِعْتِبَارُ لِلظَّنِّ الْغَالِبِ﴾ في حصول فائدة من المحارب والمحتسب ﴿من معتدل الحال﴾
بأن يكون في طبعه من أرباب الكمال ﴿فالجبان﴾ وهو ضعيف القلب في ميدان البيان
﴿يستقرب البعيد﴾ أي من الامكان فيرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه
ولا يجاهده ﴿والمتهور يعكس﴾ أي الامر بأن يستبعد القريب في الزمان والمكان فيبعد
وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن أمله وأصل طبعه حتى انه لا يصدق به
الابعد وقوعه، والحاصل ان الجبن مرض وهو ضعف في القلب بسبب قصور في القوة
وتفريط و التهور افراط في القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان
وانما الكمال في الاعتدال الذي يعبر عنه بالشجاعة فلا التفات الى الطرفين في الأخلاق
والاحوال ﴿ولا يتجسس﴾ فيشترط ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تفحصه
فكل من ستر على معصية في داره وأغلق على بابه لا يجوز لاحد ان يتجسس عليه
من طاقته وجداره وأمثاله ﴿كوضع الاذن﴾ لسماع الملاهي ﴿والانف﴾ لشم
الخنز والمناهي ﴿لاحساس صوت الاوتار﴾ متعلق بوضع الاذن ﴿ورائحة الخمر﴾
في تلك الدار ﴿وطلب اراءة مانتحت الثوب﴾ فاذا روى فاسق وتحت ذيله شيء نحو
ظرف خمر او خشب عود لم يجزان يكشف عنه مالم يظهر بعلامة خاعة بان كانت له رائحة
فانتحة أو تشكل العود اذا كان الثوب الساتر رقيقا والاف مجرد الظن لا يعمل به فانه
قد يستر قارورة الخمر في الكم وتحت الذيل ولا يدل فسقه على ان الذي معه خمر يشرب
منها اذ الفاسق يحتاج ايضا الى الخل وغيره ولا يجوز ان يستدل باخفائه وانه لو كان
خلالما أخفاه لان الاغراض في الاخفاء لا تنحصر بالاستقصاء كذا في الاحياء ﴿فهو﴾
أي التجسس ﴿منهى عنه﴾ أي في قوله تعالى : ﴿يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من
الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا﴾ وروى د ان عمر رضى الله عنه تسور دار
رجل فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال: يا أمير المؤمنين ان كنت قد عصيت
الله من وجه فقد عصيته أنت من ثلاثة أوجه فقال : ما هي؟ فقال قد قال الله تعالى
﴿ولا تجسسوا﴾ وقد تجسس وقال (وأتوا البيوت من أبوابها) وقد تسورت من السطح

وَيَدْخُلُ الدَّارَ عِنْدَ ارْتِفَاعِ الْأَصْوَاتِ وَيَحْتَسِبُ عَلَى غَيْرِ الْمُكَلَّفِ فِي
الْمَحْتَسَبِ عَلَيْهِ لَا يَشْتَرُطُ التَّكْلِيفُ لَا فِي مَحَلِّ الْخِلَافِ

وقال تعالى (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) وما سلمت
فتركه عمر وشرط عليه التوبة ، وقد شاور عمر الصحابة وهو على المنبر وسألهم عن الامام
اذا شاهد نفسه منكرا فهل له اقامة الحد؟ فاشار على بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفي
فيه واحد (ويدخل الدار عند ارتفاع الاصوات) أى أصوات الملاحى وما يدل على
بجائس المنكرات من المناهى ، وهذا بمنزلة الاستثناء من الحكم السابق والمعنى انه
لا يجوز الدخول على من أغلق باب داره وتستر بحيطان جداره الا ان ظهر في الدار
ظهورا يعرفه من هو خارجها كاصوات المزامير والاوتار إذا ارتفعت بحيث جاوز
ذلك حيطان الدار فن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاحى وقطع الاوتار وكذا
اذا ارتفعت أصوات السكرى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعونهم أهل الشوارع
فهذا الاظهار ، وجب للحسبة والانكار (ويحتسب على غير المكلف) اذ شرط
المحتسب عليه أن يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه في حقه منكرا ولو لم يكن
معصية بالنسبة اليه ولعله يكفي في ذلك أن يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ
تقرر أن الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط
كونه مميزا لما تحقق ان المجنون لو كان يزنى بمجنونة أو يأتى بهيمة أو يشرب الخمر وجب
منعه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا في حق المجنون كترك الصلاة والصوم وغيره
(ففى المحتسب عليه لا يشترط التكليف) أى بخلاف المحتسب فانه يشترط تكليفه
في حق الوجوب عليه وأما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعى الا العقل حتى ان
الصبي المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله أن يريق الخمر
ويكسر الملاحى فاذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس
بمكلف فان هذه قرينة وهو من أهلها كالصلاة والامامة وسائر القربات وليس حكمه
حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك أثبتوا الحسبة للعبد وآحاد الرعية
نعم في المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان
كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبي أن يفعل ذلك حيث لا
يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر (لا في محل الخلاف) أى لا يحتسب

كَأَكْلِ الشَّافِعِيِّ الضَّبِّ وَلَا قَبْلَ الْارْتِكَابِ فَهُوَ مَشْكُوكٌ فِيهِ وَلَا

الافى المتفق على كونه منكرا فيكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه ﴿كأكل الشافعي الضب﴾ فليس للحنفي أن ينكر عليه أكله وكذا في أكل الضبع ومتروك التسمية عمدا ولا للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس بمسكرو تناوله ميراث ذوى الارحام وجلوسه في دار أخذها لشفعة الجوار الى غير ذلك من مجارى الاجتهاد نعم لو رأى الشافعي شافعييا يشرب النبيذ أو ينسجح بلا ولى ويطأ زوجته، أو رأى الحنفي حنفييا يلعب بالشطرنج أو يلبث الثوب الاحمر فهذا في محل النظر كما في الاحياء والاظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب أحد من المحصلين الى أن المجتهد يجوز له أن يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذى أدى اجتهاده في التقليد الى شخص رآه أفضل العلماء أن له أن يأخذ بمذهب غيره فينتقى من المذاهب اطيها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده في كل تفصيل فاذن مخالفته بالمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا أنه جوز له تقليد غيره من الأئمة في بعض المسائل فاذا اعتذر وقال: أنا مقلد للشافعي أو الحنفي في هذا الباب يرتفع عنه الاحتساب والله أعلم بالصواب وقد ذهب جمع الى أنه لا حسبة الا في مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما كأكل الميتة والدم وما أجمع على تحريمه حيث جوزوا لكل مقلد أن يختار من المذاهب ما أراد رفقا به ولعل وجه كلامهم ما ورد من أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه وقد قال تعالى: (فأسلوا أهل الذكرا ان كنتم لا تعلمون) فمن تبع عالما لقى الله سالما ومن المعلوم أن الله سبحانه ما كلف أحدا أن يكون حنفيًا أو مالكيًا أو شافعيًا أو حنبليًا بل كلفهم أن يعملوا بالكتاب والسنة ان كانوا علماء وأن يقلدوا العلماء اذا كانوا من الجهلاء ﴿ولا قبل الارتكاب﴾ أى ولا يحتسب قبل مباشرة ما يجب عليه الاجتناب فيشترط أن يكون المنكر موجودا في الحال لانه يتوقف منه في المال (فهو) أى وجوده قبل الارتكاب ﴿مشكوك فيه﴾ فلا يجوز فيه الاحتساب كمن يعلم بقرينة حاله وهيئته انه عازم على الشرب في ليلة فانه لا حسبة عليه الا بوعظه ونصيحته فان انكر عزمه عليه لم يجوز وعظه ايضا لديه فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما يرمز عليه لعائق عن فعله وليتنبه للدقيقة المتفرعة على هذا الاصل، وهي ان الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجرى مجراه من سائر الاشياء ﴿ولا

بعده فهو حق الإمام وعلى المحتسب عليه القبول والاعتذار فهو المأثور
ويغض المصرفيه تعالى بالأعراض عنه والأهانة وترك الاعانة وإبطال أغراض
تعين على المعصية دون غيرها ولو أعان تحريضا على قبول النصيحة أو لحق
الاسلام فحسن فالحال مختلف بالنية كما في الترك للفسق إلا أن يعلم الاقتداء
كما في المبتدع والمعلن بالفسق في الملا حتى يترك السلام فهو يسقط بآذني
غرض ،

بعده (أي ولا يحتسب بعد الارتكاب وفراغه عن هذا الباب (فهو) أي هذا النوع من
الاحتساب (حق الإمام) أي ومن جعله من الثواب (وعلى المحتسب عليه القبول
والاعتذار) أي واجبان عليه ولا زمان لديه (فهو المأثور) أي عن السلف الأبرار
(ويغض المصرف) أي الملازم على المعصية من غير رجوع بالتوبة سواء كان كافرا
أو فاجرا أو مبتدعا ولم يكن داعيا (فيه) أي في الله (تعالى) أي شأنه وتعاظم برهانه
(بالأعراض عنه) أي في السلام والكلام (والأهانة) أي بزيادة المهانة (وترك
الاعانة) أي في ما يظهر من الاغاثة (وابطال أغراض تعين على المعصية دون غيرها)
أي غير المعصية (ولو أعان) أي في الأغراض التي تعين على غير المعصية (تحريضا
على قبول النصيحة) أي فيما يذكركه من الكلام (أو لحق الاسلام فحسن) أي فاعانته
مستحسنة قال تعالى : (لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاثلوك في الدين ولم يخرجوكم من
دياركم ان تبوءوا دينكم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) فهذا في زماننا يتصور
في حق أهل الذمة (فالحال يختلف بالنية) أي باختلافها وتفاوت الطرية (كما
في الترك للفسق) أي كما يختلف في ترك الاحسان لحرف الفسق (الان يعلم) مخرج
من قوله ولو أعان أي الان يعلم المبغض (الاقتداء) أي اقتداء الناس كما في نسخة
فلا يعينه حينئذ (كما في المبتدع) أي الداعي لايمنه (والمعلن بالفسق في الملا)
تأكيد للإعلان أو قيد للمبتدع والمعلن فهو احتراز من البدعة والفسق في الخلاء،
والأظهر انه ظرف ليغض المصرف كما يشير اليه قوله (حتى يترك السلام) أي
في الابتداء ورده في الانتهاء (فهو) أي حق السلام ورده (يسقط بآذني غرض)

فورد « من أتته صاحب بدعة ملائكة قلبه إيماناً ومن أهانه آمنه الله يوم
الفرع الأكبر ومن لان له أو أكرمه أو لقيه ببشر فقد استخف بما أنزل الله
على محمد صلى الله عليه وسلم » ويستفتي من القلب في الخلاء إن إظهار البغض
أقرب إلى الانزجار أم التلطف بالنصح ولا يحسن إلى من جنى في حق الناس
فهو إساءة في حق المظلوم بخلاف حقه ويضطر الذمي إلى أضيق الطرق
ولا يبدأ بالسلام عليه ولا يزيد في جوابه ويسلم على من اتبع الهدى

كالبول في الحمام ونحوه (فورد من أتته) أي زجر وقهر (صاحب بدعة) أي
منكرة (ملائكة قلبه إيماناً) أي معرفة وإيقاناً (ومن أهانه آمنه الله) أي جعله
آمناً من عذابه (يوم الفرع الأكبر) وهو القيامة الكبرى (ومن لان له) أي في
الكلام (أو أكرمه) أي بالقيام (أو لقيه ببشر) أي في حال السلام (فقد استخف بما
أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم) أي فلم يعمل بما يجب عليه من الأحكام وإن
استحل ذلك فقد خرج عن دائرة أهل الإسلام والحديث لم أجده في كتب الأعلام ولكن ورد
عنه عليه السلام « من قر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام » (ويستفتي من
القلب في الخلاء) أي إذا كان وحده أو في حكم الخلاء (إن إظهار البغض أقرب إلى
الانزجار) أي امتناع المبتدع والفاسق عن حالهما (أم التلطف بالنصح) أنسب
إلى إصلاح أمرهما فيفعل بمقتضى ذلك (ولا يحسن إلى من جنى) أي ظلم (في حق
الناس) أي لا بالحماية ولا بالشفاعة والعناية (فهو) أي الإحسان إلى الظالم
(إساءة في حق المظلوم) أي الأولى بالرعاية كما في نسخة (بخلاف حقه) أي فله
أن يعاقبه بمثله وله أن يحسن إليه في مقابلة ظلمه عليه بل هذا من الخلق الممدوح لديه
قال تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن) (ويضطر الذمي إلى أضيق الطرق) أي بنية أهانه
وعزة المسلم وغلبته فالإسلام يعلو ولا يعلى عليه (ولا يبدأ بالسلام عليه) لأنه من
باب الأكرام لديه والإحسان إليه (ولا يزيد في جوابه) أي على قوله وعليك أو عليك
لحسب، وبعبارة المصنف موهمة أن يقول له وعليك السلام من غير زيادة ورحمة الله
وبركاته وليس كذلك فإنه مخالف للرواية والدراية (ويسلم على من اتبع الهدى

إِنْ كَانَ فِي جَمْعِ الْمُسْلِمِينَ وَيَدْعُو فِي تَشْمِيَّتِهِ بِالْهُدَايَةِ لَا بِالرَّحْمَةِ وَلَا يَرْشُدُهُ إِلَى مَعْبَدِهِ وَلَا يَصَاحِفُهُ وَيَعِيدُ الْوُضُوءَ إِنْ صَاحِفَهُ وَلَا يَسْتَقْبِلُ جَنَازَتَهُ بِالْوَجْهِ *

﴿البَابُ التَّاسِعُ فِي الصَّمْتِ وَآفَاتِ اللِّسَانِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . «وَرَدَ إِنْ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ»

ان كان ﴿الذمي أو الحر أو الفاسق أو البدعي﴾ (في جمع المسلمين) وكأنه مقتبس من قول موسى عليه السلام (والسلام على من اتبع الهدى) وكذا في العكس بان كان المسلم بين الكافرين أو الفاجرين ، وقيل يقول السلام عليكم وينوي المسلمين الكاملين ﴿ويدعو في تشميته﴾ أي جواب عطسته ﴿بالهداية﴾ أي بان يقول يهدينا ويهديكم الله ﴿لا بالرحمة﴾ فلا يقول يرحمكم الله ﴿ولا يرشده﴾ أي لا يبدله ﴿إلى معبده﴾ أي من البيعة لليهود والكنيسة للنصارى فإنه إعانة على المعصية وقال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ﴿ولا يصاحفه﴾ لان المصاحفة من باب كمال المصاحفة ﴿ويعيد الوضوء﴾ أي اللغوى وهو غسل اليد ﴿ان صاحفه﴾ أي كافرا لظاهر قوله تعالى: (إنما المشركون نجس) ﴿ولا يستقبل جنازته بالوجه﴾ أي بالمواجهة بل يدير عنها وجهه اذا اتته في المقابلة هـ

﴿البَابُ التَّاسِعُ فِي الصَّمْتِ وَآفَاتِ اللِّسَانِ﴾

المراد بالصمت السكوت في ميدان البيان فقد ورد «من صمت نجا» رواه الترمذی من حديث عبد الله بن عمر بسند فيه ضعف ، والطبرانی بسند جيد ، الصمت حكمة وقليل فاعله الدليلی عن ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث أنس بلفظ «حكم بدل حكمة» قال: والصحيح عن أنس أن لقمان قال ، ولا بني نعيم في الحلية من حديث ابن عمر «من كثر كلامه كثرت سقطه» وما أحسن قول القائل :

ما ان ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ خير كلام صدر من كل حكيم ﴿ورد ان اكثر خطايا ابن آدم في لسانه﴾ الطبرانی وابن أبي الدنيا في الصمت ، والبيهقي في الشعب بسند حسن والترمذی وصححه وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث

فَنِ الصَّمَتِ الْوَقَارُ وَاجْتِمَاعُ الْهَمَّةِ وَالْفَرَاغُ لِلْعِبَادَةِ وَالسَّلَامَةُ مِنْ آفَاتِ الدَّارَيْنِ فَإِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ * مِنْهَا مَا لَا يَغْنَى وَهُوَ مَا لَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَا ثَوَابَ فِيهِ تَضْيِيعُ الْوَقْتِ

معاذ «قلت : يا رسول الله أتواخذ بما نقول ؟ فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد السنتهم » وللترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر « قلت يا رسول الله ما النجاة قال أملك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » وفي الصحيحين « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » ولابن أبي الدنيا وغيره من حديث أنس مرفوعا « رحم الله عبدا تكلم فغتم أو سكت فسلم » (ففي الصمت الوقار) أى حصول الرزاة والطمانينة (واجتماع الهمة) أى للامور المهمة (والفراغ للعبادة) التى هى وسيلة الى سيادة السعادة (والسلامة من آفات الدارين) أى عن الكونين وقتن المحلين (فان البلاء) أى فى الدنيا والاخرى (موكل بالمنطق) مصدر ميمى أى بطق اللسان الصادر عن الانسان فى معرض البيان فاللسان صغير جرمه وكبير جرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان والطاعة والعصيان الا بشهادة اللسان ، ثم الذى أدرجه المصنف فى كلامه حديث رواه الخطيب فى تاريخه عن ابن مسعود بلفظ «البلاء موكل بالمنطق فلو أن رجلا غير رجلا برضاع كلبه لرضعها» قال السنخاوى ضعيف أقول ويقويه ما نسب الزركشى الى ابن لال فى مكارم الاخلاق من حديث ابن عباس والديلى من حديث أبى الدرداء قال السيوطى والديلى ايضا من حديث ابن مسعود مرفوعا وأحمد فى الزهد عنه موقوفا وابن السمعاني فى تاريخه من حديث على مرفوعا، وبهذا تبين خطأ ابن الجوزى حيث ذكره فى الموضوعات لكن «لفظه البلاء موكل بالقول» ولعل هذا سبب نسبته الى الوضع (منها) أى من آفات اللسان (ملا يعنى) أى ما لا ينفع الانسان من البيان (وهو) أى ما لا يعنى (ملا اثم عليه ولا ثواب) أى لا أجر لديه، ويذبحى أن يزداد ولا حاجة اليه وقد يعبر عنه باللغو ومنه قوله تعالى: (والذين هم عن اللغو معرضون ه واذا مروا باللغو مروا كراما) والأصل فى اللغو وما لا يعنى كلاهما شمول القول والفعل بل خطور القلب وتصوره فى ميدان العقل الا أن الاكثر استعمالها فيما يتعلق باللسان (ففيه) آفات كثيرة وعاهات شهيرة ذكر المصنف منها ثلاثة عشر آفة ، الاولى (تضييع الوقت)

وَقَسَاوَةُ الْقَلْبِ وَوَهْنُ الْبَدَنِ وَتَأْخِيرُ الرِّزْقِ وَإِذَاءُ الْحَفَظَةِ وَإِرْسَالُ
كُتُبِ اللَّغْوِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَقِرَاءَتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُسِ الْأَشْهَادِ
وَالْحَبْسُ عَنِ الْجَنَّةِ وَالْحِسَابُ

وهو يوجب المقت فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك فرأس مال العبد
أوقاته ومهما صرفها الى مالا يعنيه ضاعت حالاته ومضت أيامه في الدنيا ولم يدخر
فيها ثوابا للعقبى، ومن هنا قال الصديق الاكبر : ليتنى كنت أخسر الا عن ذكر الله، وفي
الحديث « ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها »
رواه الطبراني والبيهقي عن معاذ وجاء في حديث ضعيف « ان الله أمرني أن يكون نظمي ذكرا
وصمتي فكرا ونظري عبرة » (وقساوة القلب) لانها بالغفلة عن ذكر الرب قال تعالى :
(فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) وقال عز وجل : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أي تسكن وتلين وقال عز وجل في بيان القرآن
وذكره (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله)
(ووهن البدن) أي ضعفه بضعف بعض جسده فانه اذا اشتكى بعض الاعضاء يتألم معه
سائر الاجزاء (وتأخير الرزق) أي المعنوي أو الحسي أيضا جزاء لما فاتته من الرفق (وإيذاء
الحفظة) أي الكرام الكاتبين بالقائه كلامه واملاء مرامه من غير فائدة في تمامه قال عطاء بن
أبي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يبعدون منه ما عدا كتاب
الله وسنة رسوله أو أمرهم بمعروف أو نهيهم عن منكر أو نطقا بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك
منها أتسكرون ان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وعن اليمين وعن الشمال
قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحي أحدكم ان لو نشرت صحيفته التي أملى
صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه (وارسال كتب) أي
صحائف من (اللغو اليه تعالى) أي للعرض عليه قبل القيامة (وقراءته بين يديه تعالى
يوم القيامة على رؤس الاشهاد) كما يشير اليه قوله تعالى (اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم
عليك حسبي) ومن هنا قال عمر رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وهو مستفاد من
قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغدوا اتقوا الله) وتكرار
الامر بالنقوى لانها مطلوبة في الدنيا والاخرى فافهم (والحبس عن الجنة) أي بمقدار
ما اختاره في الدنيا من الغفلة عن الحضرة (والحساب) أي لما أثبتته في الكتاب

وَاللُّومُ وَالتَّعْيِيرُ وَإِقْبَاعُ الْحِجَّةِ وَالْحَيَاءُ مِنْهُ تَعَالَى، وَوَرَدَ « مِنْ حُسْنِ
إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » هـ وَمِنْهَا الْفُضُولُ وَهُوَ زِيَادَةُ فِيمَا يَعْنِي ، فَوَرَدَ
« طُوبَى لِمَنْ أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ » *

من استحقاق الثواب أو استيجاب العقاب (واللوم) كما يشير إليه قوله سبحانه
(لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) فانها تلوم نفسها على وجه الندامة
فانها ان عملت خيرا تلوم نفسها لماذا ما زادت عليه وان عملت شرا فظاهر في حقها
الملامة (والتعير) أى التوبيخ على التقصير (وإيقاع الحجّة) أى إبطالها في تلك
الحالة (والحياء منه تعالى) لئلا من الخجالة (وورد) أى من حديث أبى هريرة في رواية
الترمذى وابن ماجه (من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) بل ورد ما هو أشد
من هذا فعن أنس « استشهد غلام منا يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة
من الجوع فسحت أمه التراب عن وجهه وقالت : هنيئا لك الجنة يا بنى وقال عابه
السلام وما يدريك لعسله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يمنع مالا يضره ، ابن أبى الدنيا
والترمذى مختصرا ، وفي حديث آخر « انه عليه السلام فقد كتب فسأل عنه فقالوا
مريض فخرج يمشى حتى أتاه فلما دخل عليه قال له أبشر يا كعب فقالت أمه هنيئا
لك الجنة يا كعب فقال عليه السلام من هذه المقالية على الله قال هى أمى يا رسول الله
قال وما يدريك يا أم كعب لعل كتبنا قال مالا يعنيه أو منع مالا يعنيه » والمعنى ان الجنة
انما تنهى لمن لا يحاسب ولا يعاقب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه
مباحا فلا تنهى الجنة له لاسيما مع المناقشة فى الحساب فانه نوع من العذاب (ومنها
الفضول) أى فضول الكلام (وهو زيادة فيما يعنى) يعنى على قدر الحاجة فان
من يعنيه أمر يمكنه ان يذكره بكلام مختصره ويمكنه ان يبسطه ويعزوه ويكرره ومهما
تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول أى فضل على الحاجة ، فعن
ابن مسعود « أنذركم فضول الكلام بحسب امرى ما بلغ به حاجته » أى من المرام فى
المقام « (فورد طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله) رتمامه
« ووسعت السنة ولم تستهوه البدعة » رواه البغوى والبيهقى وقال ابن عبد البر : حديث
حسن وفضول الكلام لا ينحصر ولا يحصى بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى
(لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس)

وَمِنْهَا الْخَوْضُ فِي الْبَاطِلِ كَمَحَاسِنِ النِّسَاءِ وَمَقَامَاتِ الْفُسَاقِ وَتَنَعُّمِ الْأَغْنِيَاءِ
وَتَجَبُّرِ الْمُلُوكِ وَحُرُوبِ الصَّحَابَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْبَاطِلَةِ فَوَرَدَ «أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَايَا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ» وَهُوَ حَرَامٌ

وقد ورد الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا امراب معروف أو نهيا عن منكر أو ذكر الله،
البيزار عن ابن مسعود والطبراني عن أبي الدرداء بلفظ «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها
الاما بتغى به وجه الله عز وجل» (ومنها الخوض في الباطل) وهو الكلام في المعاصي
(كمحاسن النساء) أي حكايات أحوالهن من قدهن وخدعن وجملهن (ومقامات
الفساق) من مجالس الخمر وسماع الزمر (وتنعم الاغنياء) أي بالمأكول والمشروب
من الاشياء (وتجبر الملوك) أي واتباعهم من الامراء والوزراء (وحروب الصحابة)
كقصص الجمل وصفين على طريق الاخباريين لا على رواية المحدثين (والمذاهب الباطلة)
وما يتعلق بها من المشارب العاطلة فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه (فورد
أعظم الناس خطايا) جمع خطيئة كقضية وقضايا (يوم القيامة أكثرهم خوضا في
الباطل) ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسل اورجالة ثقات ورواه هو والطبراني
موقوفاً على ابن مسعود بسند صحيح وهو في حكم المرفوع ولابن ماجه والترمذي وقال
حسن صحيح من حديث بلال بن الحارث «ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله
ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم
بالكلمة من سخط الله ما يظن ان تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها عليه سخطه الى
يوم القيامة» وكان علقمة يقول : كم من كلام قد منعه حديث بلال بن
الحارث ، ولابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة بسند حسن مرفوعاً «ان الرجل ليتكلم
بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا» وللشيخين والترمذي واللفظ
له وقال حسن غريب «ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوى بها سبعين
خروجاً في النار» (وهو) أي الخوض في الباطل (حرام) كما يشير اليه قوله تعالى :
(وكننا نخوض مع الخائضين) وقوله : (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره)
وقال سلمان «أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً في معصية الله» وقال ابن سيرين :
«كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول : توضعون فان بعض ما تقولون شر من
الحدث» يعني فان الحدث مباح وكلام المعصية منكرو ولذا كان بعض السلف يتوضأ من

وَالْأُولَان مَكْرُوهَان وَسَبَبُ الْكُلِّ هُوَ الْحَرَصُ عَلَى عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَالْإِنْسَاطُ
بِالْكَلَامِ لِلتَّوَدُّدِ وَإِمْضَاءُ الْوَقْتِ وَالْعَلَّاجُ ذِكْرُ إِتْيَانِ الْمَوْتِ وَالسُّوَالُ وَلِحُوقِ
الْخُسْرَانِ بِتَضْيِيعِ الْوَقْتِ . وَالْعَزَلَةُ وَهُوَ الْإِنْفَعُ وَالْقَاءُ نَوَاةٌ فِي الْقَمِّ . وَهُوَ مَرُورِي
عَنِ الصَّدِّيقِ ، وَالسُّكُوتُ عَنْ بَعْضِ الْمُهِمَّاتِ ، وَمِنْهَا الْمِرَاءُ وَهُوَ الطَّعْنُ فِي
الْكَلَامِ

الغبية والنسيمة والمقصود الطهارة الظاهرة والباطنة عن المعصية الذميمة (والاولان)
أى مالا يعنى وفضول الكلام (مكروهان) كراهة تنزيه لانهم ترك الاولى كما
لا يخفى (وسبب الكل) أى باعث جميع ماذكر مما لا يعنى والفضول والخوض
(هو الحرص على علم لا ينفع) بل انه يضر ولا يدفع ومن هنا قال عليه السلام «أنتم أعلم
بأمور دنياكم وقال الانساب بيان علم لا ينفع وجهل لا يضر» (والانبساط بالكلام للتودد)
أى للتجيب مع الانام والغفلة عن ذكر الملك العلام (وامضاء الوقت) من الليالي والايام من
غير منفعة للخاص والعام (والعلاج) أى معالجة الكل ستة (ذكر إتيان الموت)
لانه يتدارك الفوت في الاوقات وقد ورد «أكثر واذا كره اذم للذات» (والسؤال)
أى وذكّر السؤال عن الاحوال يوم العرض على الملك المتعال (ولحوق الخسران
بتضييع الوقت) أى الزمان في الهذيان فقد قال تعالى: (قل هل ننبئكم بالآخسرين
أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) هـ
(والعزلة وهو الانفع) أى فى المعالجة لان أكثر الضرر فى الصجبة والخاططة (والقاء
نواة فى القم) أو حصة (وهو مروي عن الصديق) رضى الله عنه ، ففى الأحياء عنه «انه
كان يضع حصة فى فيه يمنع بها نفسه عن الكلام فيما لا يعنيه» فكان يشير الى لسانه
ويقول : هذا الذى أوردنى الموارد أى المهالك الصادرة من شأنه (والسكوت عن
بعض المهمات) حذرا من كل الآفات لانه لا نجاة من هذا الامر الا بالسكوت عن كل
مالا يأتى به لو سكت فى المقامات وعن بعضهم جعلت على نفسى بكل كلمة فيما لا يعنى
صلاة ركعتين فسهل ذلك على فجعلت لكل كلمة صوم يوم فسهل على ولم تنه حتى
جعلت على نفسى بكل كلمة ان اتصدق بدرهم فصعب على فانتبهت كذا فى شرح
الخطيب (ومنها المراء وهو) فى هذا المقام (الطعن فى الكلام) أى كلام الغير

بِأُظْهَارِ خَلَلٍ أَوْ طُعْيَانٍ وَهُوَ حَرَامٌ وَالْوَاجِبُ السَّكُوتُ أَوْ السُّؤَالُ
مُسْتَفِيدًا أَوْ التَّعْرِيفُ مُتَلَطِّفًا ، وَوَرَدَ « مِنْ تَرَكَ الْمَرَاءَ وَهُوَ مُحَقٌّ بَنَى لَهُ بَيْتٌ فِي
أَعْلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَهُ وَهُوَ مُبْطِلٌ بَنَى لَهُ فِي أَسْفَلِ الْجَنَّةِ » وَمِنْهَا الْجِدَالُ وَهُوَ مَرَاءٌ
مُتَعَلِّقٌ بِأُظْهَارِ الْمَذَاهِبِ

﴿ باظهار خلل ﴾ أى نقصان ﴿ او طغيان ﴾ أى زيادة فى معرض بيان بحسب المبنى
أو من جهة المعنى ﴿ وهو حرام ﴾ قال تعالى : ﴿ فلا تمار فيهم الا مرأ ظاهرا ﴾ وعنه
عليه السلام « لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده وعدا فتخلفه » الترمذى من حديث
ابن عباس ، وللطبرانى من حديث أبى الدرداء وأبى أمامة وأنس بن مالك وواثلة
ابن الأسقع وابن أبى الدنيا موقوفا على ابن مسعود وذكروا المرأ فانه لا تفهم حكمته
ولا تؤمن فتنه ، ﴿ والواجب السكوت ﴾ باظهار كونه معترفا أو متوقفا وهذا اذا لم
يكن بامور الدين متعلقا ﴿ أو السؤال مستفيدا ﴾ أى متعرفا ﴿ أو التعريف ﴾ أى تعريف
الحلل ﴿ متلطفا ﴾ أى لا متعتاولا متكلفا ﴿ وورد من ترك المرأ وهو محق ﴾ أى صاحب
حق ﴿ بنى له بيت فى أعلى الجنة ومن ترك وهو مبطل بنى له فى أسفل الجنة ﴾ وفى رواية
« بنى له بيت فى ربض الجنة ، رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف
قال الترمذى : حديث حسن ، ولا بن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة « لا يستكمل
عبد حقيقة الايمان حتى يذر المرأ وان كان محتما ، وهو عند احد بلفظ ولا يؤمن العبد
حتى يترك الكذب فى المزاحه والمرأ وان كان صادقا » وللدبلى من حديث أبى مالك
الأشعري « ست خصال من الخير من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام فى الصيف
وتعجيل الصلاة فى يوم الدجن - أى الغيم - والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على
المكاره وترك المرأ وهو صادق ، وللطبرانى من حديث أبى أمامة « تكفير كل لحاء
ركعتان » واللباء مصدر لاحتى بمعنى مارى ، وآفات المرأ كثيرة ومضراته مستطيرة قال
سفيان : لو خالفت أخى فى رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسمى بى الى السلطان وقال
أيضا صاف من شئت ثم اغضبه بالمرأ فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن أبى
ليل لا أمارى صاحبى فاما ان أكذبه واما أن أغضبه ﴿ ومنها الجدال ﴾ أى البحث لترجيح
كلامه كيف ما كان على وفق مرأه ﴿ وهو ﴾ أى فى العرف أو الغالب ﴿ مرأ
متعلق باظهار المذاهب ﴾ أى الفروعية الخلافية أو الاصولية الاعتقادية قال تعالى :

وَهُوَ يُعْرِفُ بَكَرَاهَةِ إِصَابَةِ الْخَصْمِ وَارَادَةَ إِخْطَاةِ وَإِظْهَارِ فَضْلِ النَّفْسِ، وَوَرَدَ
 إِنَّ أَوَّلَ مَا عَاهَدَ إِلَى رَبِّي وَنَهَانِي عَنْهُ بَعْدَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ مَلَا حَاتِ
 الرِّجَالِ، وَالسَّبَبُ التَّرْفُعُ وَالْغَضَبُ وَعِلَاجُ كُلِّ فِي مَوْضِعِهِ ۝

(ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا)
 وقال عز وعلا : (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) وقال عز وعلا
 (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) فهو
 مأذون فيه مع أهل الكفر والبدعة ومنهى عنه في حق المسلمين من أهل
 السنة والجماعة ، فللزمذى من حديث أنى أمامة وصحة د ما ضل قوم بعد
 هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ، (وهو) أى الجدال المذموم (يعرف بكراهة
 اصابة الخصم) أى الحق والصواب فى أثناءه (واردة اخطائه) وهو
 قد يوجب ظهور كفره واغوائه (و اظهار فضل النفس) فى اموائه (وورد)
 أى من حديث أم سلة (ان أول ما عهد الى ربى ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب
 الخمر . ملاحاة الرجال) أى مجادلتهم ومنازعتهم ومعاراتهم فى محاوراتهم رواه
 ابن أبى الدنيا والطبرانى والبيهقى وأبو داود ورسلا من حديث عروة بن رويم (والسبب)
 أى الباعث للمراء والجدال (الترفع) باظهار الفضل والكمال والتهجم على الغير باظهار
 نقصه فى العلوم والأعمال (والغضب) أى وتيجيه فى محافل الرجال (وعلاج كل)
 أى من الترفع والغضب (فى موضعه) أى الالىق به وبجمله ان علاج الترفع ترك الكبر
 والتواضع وعلاج الغضب تصور قدرة الرب ، ويروى ان الامام الهمام أبا حنيفة
 قال لداود الطائى أحد تلاميذه : لم آثرت الانزواء ؟ فقال لاجاهد نفسى بترك الجدال
 والمراء فقال أحضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم فى الاثناء قال : ففعلت ذلك فما
 رأيت مجاهدة أشد مما هنالك قال فى الاحياء وهو كما قال لازم سمع من غيره خطأ وهو
 قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ، ولذا قال عليه السلام « من ترك المراء وهو
 محق بنى له بيت فى أعلى الجنة ، لشدة ذلك على النفس وما يحصل لها من المحنة ثم قال :
 وينبغى للانسان ان يكف اللسان عن أهل القبلة واذارأى أحد المتدعة تلطف فى نصحه
 على الخلوطة بطريق المجادلة الحسنة والمحاورة المستحسنة فعنه عليه السلام « رحم الله
 من كلف لسانه عن أهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه » ابن أبى الدنيا من حديث هشام

وَمِنْهَا الْخُصُومَةُ وَهِيَ الْجَاحُ فِي الْكَلَامِ لَا سِتِفَاءَ حَقِّ ابْتِدَاءٍ أَوْ اعْتِرَاضًا ، فَوَرَدَ
«أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلْدُخْصِمُ» وَهُوَ حَرَامٌ لِلْمَظْلُومِ يَنْصُرُ حُجَّتَهُ بِطَرِيقِ
الشَّرْعِ مُقْتَصِرًا عَلَى الْحَاجَةِ وَالْأَوَّلَى التَّرْكُ لِعُسْرِ ضَبْطِ اللِّسَانِ عَلَى الْإِعْتِدَالِ
وَالْإِحْتِرَازِ عَنْ مُوجِبَاتِ الْأَثْمِ كَالْحَقْدِ وَالْغَضَبِ وَالسَّبِّ وَالْفَرَحِ بِنِعْمِ الْمُسْلِمِ وَفَوَتْ
طِيبِ الْكَلَامِ

ابن عروة مرسلًا، وقال هشام بن عروة : كان يردد قوله هذا سبع مرات (ومنها الخصومة) وهي من الصفات المذمومة والأخلاق المشنومة (وهي لجاح) أي غاصصة زائدة (في الكلام) مع أصحابه الكرام (لاستيفاء حق) أي له أو لغيره أصالة أو نيابة (ابتداء أو اعتراض) كآيات الوراثة ودفع الخصومة انتهاء فالأول نعت المدعى بالكسر والثاني وصف المدعى عليه ومن هنا قيل الصوفي لا يخاصم ولا يخاصم (فورد) أي في البخاري عن عائشة (أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم) أي اللجوج الشديد الخصومة والحديث مقتبس من قوله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) ولابن أبي الدنيا وغيره عن أبي هريرة «من جادل في خصومة بغير علم يزل في سخط الله حتى يفرغ» (وهو حرام المظلم ينصر حجته بطريق الشرع مقتصرًا على الحاجة) أي قدر حاجته من غير تعد إلى حد لجاحته لقوله تعالى : (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) وقوله : (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) (والأولى الترك) أي إذا وجد إليه سبيلا في مكان الامكان (لعسر ضبط اللسان على الاعتدال) في ميدان البيان (والاحتراز عن موجبات الأثم) أي والاحتراز عن مقتضيات أنواع العصيان (كالحقد والغضب والسب) وغيرها من نحو الكذب والبهتان (والفرح بنعم المسلم) في ذلك المقام (وفوت طيب الكلام) أي وفوته، وقد قال عليه السلام «يوجب الجنة إطعام الطعام وحسن الكلام، الطبراني من حديث هاني بن شريح بإسناد جيد ، وقال عمر رضى الله عنه :

بني ان البر شيء هين وجه طليق وكلام لين

ولاجل ما تقدم قال تعالى : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وقال عز وعلا : (وقولوا للناس حسنا) وقد قال بعضهم : ما خاصم قط ورع في الدين ، وقال ابن

وَمِنْهَا التَّشْدُّقُ بِتَكْلُفِ السَّجْعِ وَالتَّصْنَعِ فِيهِ ، فَوَرَدَ « شَرَارُ أُمِّي الَّذِينَ
يَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ » وَالسَّبَبُ إِظْهَارُ الْفَصَاحَةِ ، وَأَمَّا تَحْسِينُ الْأَلْفَاظِ فِي
الْمَوَاعِظِ لِلتَّأْثِيرِ فِي الْقُلُوبِ فَجَائِزٌ دُونَ الْأَفْرَاطِ .

قضية : مرى بشر بن عبدالله بن أبي بكر فقال : ما يجلسك ؟ قلت : خصومة بيني وبين
ابن عم لي قال : ان لا يلك عندى يذا واتى أريد أن أجزيك بها وانى والله ما رأيت
شيئا أذهب للدين ولا أنقص للرومة ولا أضيع للذة ولا أشغل للقلب من الخصومة
قال : فممت لأرجع فقال لي خصمى مالك فقلت لا أخاصمك فقال عرفت أنه حقى
فقلت لا ولكنى أكرم نفسى عن هذا قال فانى لا أطلب منه شيئا هو لك (ومنها
التشديق) أى التكلف فى الكلام والتوسع فى المرام (بتكلف السجع والتصنع فيه)
أى من غير أن يكون فى سجيته سجع الطبع فاقيل لبعض المشايخ فى ذم السجع
فقال : رجعت عما سجمت ، واما اصل السجع فغير مذموم فى الشرع لما نزل فى
فواصل آى القرآن الكريم وورد فى كثير من حديث النبى الكريم ، ومنه « اعوذ بك
من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع ومن هؤلاء الاربع »
واما ماورده من انه عليه السلام قضى بغرة فى الجنين فقال بعض قوم الجاني :
كيف ندى من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل - اى
يهدر ويطل - فقال عليه الصلاة والسلام : اسجعا كسجع الأعراب » وانكر ذلك لان اثر
التكلف والتصنع بين عليه فى هذا الباب ، والحديث رواه مسلم من حديث المغيرة
ابن شعبة وأبى هريرة واصلهما عند البخارى ايضا (فورد شرار اُمى الذين
يتشدقون فى الكلام) ابن ابى الدنيا من حديث فاطمة « شرار اُمى الذين غدوا
فى النعيم يأطون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون فى الكلام » ولمسلم
من حديث أبى مسعود « الا هلك المتطعمون ثلاث مرات ، والتطعم هو التعمق
والاستقصاء ، ولا حمد من حديث أبى ثعلبة وهو عند الترمذى من حديث جابر وحسنه
« ان أبغضكم الى الله وأبعدكم منى مجلسا الثرثارون المتفهبون المتشدقون » (والسبب
اظهار الفصاحة) والبلاغة (واما تحسين الالفاظ فى المواعظ) وكذا فى الخطب
والتصنيف (للتأثير فى القلوب فجائز دون الافراط) أى من غير الاطناب فى
الاعراب لان المقصود تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها وتحقيقها وتدقيقها ،

وَمِنْهَا الْفُحْشُ وَهُوَ التَّصْرِيحُ بِالذَّمِّ كَلَفْظِ الْجَمَاعِ وَالْبَوْلِ وَالْجَذَامِ وَزَوْجَتِكَ،
فَوَرَدَ «الْفُحْشُ لَيْسَ مِنَ الْأِسْلَامِ» وَمِنْهَا السَّبُّ، فَوَرَدَ «سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسْقٌ»

ولرئاسة الالفاظ والمباني تأثير في ميدان المعاني، واما المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات فلا يليق بها السجع فيما بين الكلمات فلا اشتغال به من التكلف المذموم اذ لا باعث عليه الا الرياء المعلوم ((ومنها الفحش وهو التصريح بالذمائم)) أى بالكلمات الذميمة ((كلفظ الجماع)) أى تصريحاً لا تلويحاً، فعن ابن عباس «ان الله حى كريم، ويكنى كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصعبة كنيات عن الوقاع وليست بفاحشة بالاجماع ((والبول)) وكذا الخرم بالاولى فينبغي ان يكنى عنهما بقضاء الحاجة أو بالغائط فانه من كنيات القرآن اذ حقيقته الموضع المنخفض من الأرض مع ما فيه من التنيه ان مثل هذا المكان يليق بقضاء حاجة الانسان ((والجذام)) ونحوه من البرص والقرع والبواسير والقولنج والاسهال بل يقال العارض الذى يشكوه ((وزوجتك)) وكذا امرأتك وسريتك بل يقال من في البيت أو العيال أو أهل البيت أو أم الاولاد أو نحو ذلك ، والظاهر ان زوجك من كنيات القرآن حيث قال تعالى : (اسكن أنت وزوجك الجنة) وقال : أمسك عليك زوجك ((فورد الفحش ليس من الاسلام)) أحمد . وابن أبى الدنيا باسناد صحيح من حديث جابر بن سمرة بلفظ «ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شيء» الحديث وللنسائي والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو دايا كم والفحش فان الله لا يحب الفحش، ولا التفحش ولا ابن أبى الدنيا . وأبى نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن عمرو باسناد لين والجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها، قال العلاء بن زياد : وكان عمر بن عبد العزيز يتحفظ فى منطقه فخرج جراح فى ابطنه فقلنا : نسأله ماذا يقول ؟ فقلنا من أين يخرج فقال من باطن اليد، ومن هذا القليل قوله عليه السلام لامرأة رفاعة «حتى تدوق عسيلته ويدوق عسيلتك» رواه البخارى من حديث عائشة ، ومن ذلك ما اتفق الشيخان عليه من حديثها فى المرأة التى سألت عن الاغتسال من الحيض «خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها» الحديث ((ومنها السب)) أى الشتم ((فورد سباب المؤمن فسق)) رواه الشيخان عن ابن مسعود ولفظه «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» ولمسلم من حديث أبى هريرة «المستبان ما قالا فعلى البادى مالم يتعد المظلوم» ولاحد وأبى يعلى والطبرانى من حديث ابن عباس

وَالرُّخْصَةَ فِي مَثَلِ هَلْ أَنْتَ إِلَّا مِنْ بَنِي فُلَانٍ يَأْسِيءُ الْخُلُقَ لِحَيَاءٍ لَكَ يَا أَحْمَقُ
يَا جَاهِلُ فَكُلُّ لَيْتَخْلُو عَنْ جَهْلٍ وَحَقِّ * وَمِنْهَا اللَّعْنُ وَهُوَ الْإِبْعَادُ عَنْهُ تَعَالَى
فَهُوَ حُكْمٌ عَلَيْهِ تَعَالَى فَلَا يَجُوزُ لَأَعْلَى مَيِّتٍ كَافِرٍ لِحُجُوزِ أَنَّهُ أَسْلَمَ إِلَّا إِذَا أَعْلِمَ مَوْتَهُ
كَافِرًا كَأَبِي جَهْلٍ وَفِرْعَوْنَ

باسنا جديد «ملعون من سب والديه، وفي رواية الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو
«من أكره الكبار أن يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه؟
قال يسب أبا الرجل فيسب الآخرا أباه» ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم «عن أن
يسب قتي بدر من المشركين وقال: لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شيء مما تقولون
وتؤذون الأحياء» رواه ابن أبي الدنيا من حديث محمد بن علي الباقر مرسلًا ورجاله
ثقات، وللنسائي من حديث ابن عباس باسناد صحيح «أن رجلاً وقع في آب للعباس كان
في الجاهلية فلطمه» الحديث وفيه «لا تسبوا أمواتنا تؤذوا أحياءنا» ولا في داود الترمذي
وقال: غريب من حديث ابن عمر «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم»
وللنسائي من حديث عائشة «لا تذكروا موتاكم إلا بخير» واسناده جيد، والبخاري
من حديث عائشة «لا تسبوا الأموات فإنهم قد أنضوا إلى ما قدموا» (والرخصة في
مثل هل أنت الامن بنى فلان) أى اذا كان بنو فلان من القبائل الدينية وأهل
القبائل الردية فيكون صادقاً في قوله (يا سيء الخلق) لان الخلق لا يخلو من سوء
الخلق (لاحياء لك) أى حق الحياء (يا أحمق) اذا يخلو أحد من نوع حماقة
(يا جاهل) لان كل أحد جهله أكثر من علمه لقوله تعالى: (وما أوتيتم من العلم
الا قليلاً) (فكل) أى من افراد الانسان (لا يخلو عن جهل وحق) ولو في بعض الأحيان
والله المستعان (ومنها اللعن) بمعنى الطرد (وهو الإبعاد عنه تعالى) أى طلب بعد الغير
عز رحمة سواء يكون بجملة خبرية كلعنه الله أو دعائية كاللهم العنه (فهو حكم عليه
تعالى) لان الخبر أيضاً بمعنى الامر (فلا يجوز) أى على أحد من فاسق ومبتدع وفاجر
بل لا يجوز (لأعلى ميت كافر) أى بحسب حكم ظاهر (لجواز انه أسلم) أى ولم يطالع
على إيمانه أحد (الا اذا علم موته كافراً) بنص قطعي من كتاب كافي لخب أو بتواتر
في حديث (كأبي جهل وفرعون) فان كفره ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة

وَلَا حَيَّ لَاحْتِمَالٌ أَنَّهُ يُسَلِّمُ بِخِلَافِ التَّرَحُّمِ لِلْإِسْلَامِ الْحَالِي لِأَنَّهُ سُؤَالُ
الْثَّبَاتِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَهُوَ مُسْتَحَبٌّ وَسُؤَالُ الثَّبَاتِ عَلَى الْكُفْرِ، وَيَجُوزُ
التَّعْمِيمُ مِثْلُ لَعْنِ اللَّهِ الْكَافِرِينَ، وَالْأَوَّلَى التَّرُكُ مُطْلَقًا إِذْ هُوَ تَمَامٌ لَا يَعْنيهِ،

و لا التفات الى كلام ابن العربي ومن تبعه كما بينته في رسالة مستقلة ﴿ ولا حي ﴾ أى
ولا على كافر حي ﴿ لا احتمال انه يسلم ﴾ فى آخر عمره وخاتمة أمره ﴿ بخلاف الترحم للإسلام
الحالى ﴾ جواب سؤال مقدر وهو انه ينبغي ان لا يجوز الترحم للمسلم فى الحال لجواز انه
يكفر فى المآل فقال انما يجوز ﴿ لانه ﴾ أى الدعاء بالرحمة للمسلم ﴿ سؤال الثبات على الاسلام
وهو مستحب ﴾ باجماع الاعلام ﴿ وسؤال الثبات على الكفر كفر ﴾ لانه يدل على
رضاء به بخلاف الدعاء لاحد بالموت على الكفر فان رضاه ليس بكفره بل بموته على
كفره اغبطا فى أمره ، ويدل على جوازه دعاء موسى وهارون على فرعون وقومه
بقولهما (ربنا أطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الاليم) ومن المعلوم أن إيمانهم عند رؤية العذاب إيمان بأس وتوبة بأس فلا
يقبل لقوله تعالى : (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) وقوله : (حتى اذا حضر
أحدهم الموت قال انى تبت الآن) وقوله عليه السلام « أن الله يقبل توبة العبد ما لم
يغرر » وأما اذا قيل اغفر وارحم فلانا وهو كافر واراد به الدعاء له بان يجعله
سبحانه أهلا للغفرة والرحمة بالايمان والمعرفة قليل : لا بأس والظاهر أنه لا يجوز
انهى الشارع أن يقال فى جواب عطسة الكافر : يرحمك الله بل يقال يهديك الله
﴿ ويجوز التعميم مثل لعن الله الكافرين ﴾ لقوله تعالى : (فلعنة الله على الكافرين)
و (ألعنة الله على الظالمين) بل يجوز التعميم أيضا فى حق الفاجرين من غير تعيين بان يقال :
لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود
مرفوعا « ولعن الله الخمر وشاربها وساقياها وباعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها
وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها » كما أخرجه أبو داود والحاكم عن ابن عمر ولعن
القدرية على لسان سبعين نبيها رواه الدارقطنى فى العلل عن علي رضى الله عنه « ويجوز
لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى الخوارج والروافض » (والاولى الترك)
أى ترك اللعن (مطلقا) أى عموما وخصوصا فيما لم يرد فى الكتاب والسنة
لعنة ﴿ اذ هو عملا يعنيه ﴾ قال مكى بن ابراهيم كنا عند ابن عوف فذكروا بلال

وَوَرَدَ «الْمُؤْمِنُ لَيْسَ بِلَعَّانٍ» *

ابن أبي بردة فجهلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عوف ساكت فقالوا : يا ابن عوف انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عوف : انهما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان تخرج من صحيفتي لا اله الا الله أحب إلى من أن تخرج لعن الله فلانا، وعلى الجملة فقي لعنة الأشخاص خطر فليجتنب في أمره ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس فضلا عن غيره هـ (وورد المؤمن) هـ أى الكامل هـ (ليس بلعان) هـ أى بذى لعن فالصيغة للنسبة كالتمار واللبان اول للبالغة فانه بما يصدر عن المؤمن في حالة من أحوال الغضب أو الغفلة وهو مذموم سواء يكون لانسان أو جهاد أو حيوان ، والحديث رواه الترمذى وحسنه من حديث ابن عمر «لا يكون المؤمن لعانا» ولأبى داود والترمذى من حديث سمرة بن جندب وقال الترمذى : حسن صحيح «لا تلعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم» وقال عمران بن الحصين : «بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض أسفاره اذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعننها فقال عليه السلام :خذوا ما عليها وأعروها فانها ملعونة قال فكانت أنظر الى تلك الناقة تمشى في الناس ولا يتعرض لها أحد» رواه مسلم، وابن أبي الدنيا باسناد جيد من حديث أسد «كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال : يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون» قال ذلك انكارا عليه كذا في الاحياء ، وعن أبى ذر : «وأبى الدرداء» «مالعن الارض أحد إلا قالت لعن الله أعصانا لله» وعن عائشة قالت : «سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال : يا أبا بكر ألعانين وصديقين كلا ورب الكعبة العانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثا فاعتق أبو بكر يومئذ رقيقه وجاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال : لا أعود» رواه ابن أبي الدنيا ، ولمسلم من حديث أبى الدرداء «ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة»، وشرب نعيان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤقى به فقال عليه السلام : لا تكن عوناً للشيطان على أخيك» وفي رواية «لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله» ابن عبد البر في الاستيعاب، والبخارى من حديث ابن عمر «أن رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اسمه عبيد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم وكان قد جلده في الشراب فأتى به يوما فامر به لجلد فقال رجل من القوم: اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال عليه السلام: لا تلغوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله، وهذا يدل على أن لعن فاسق بعينه لا يجوز، وفي الصحيحين من حديث ثابت بن الضحاك «لعن المؤمن كقتله» والتحقيق أن اللعن غير جائز إلا على من يتصف بصفة تبعده عن الله وهو الكفر والفسق والظلم والبدعة؛ وذلك غيب باعتبار الخاتمة إذ ربما يموت صاحبه على التوبة فلعن الأعيان فيه خطر لأن الأحوال تنقلب على الأعيان إلا أنه عليه السلام يجوز أن يعلم من يموت على غير الإسلام ولذا كان يقول في دعائه على قريش: اللهم عليك باني جهيل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهما ممن قتلوا على الكفر يدر كافي الصحيحين من حديث ابن مسعود، وأما من لم يعلم عاقبته وكان يلغنه فنهى عن ذلك إذ روى «أنه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء) أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) يعني أنهم ربما يتوبون فمن أين تعلم أنهم ملعونون، كذا في الأحياء، وقال بخبره رواه الشيخان من حديث أنس ودعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث، وفي رواية لهما «قتل شهرا يدعو على رعل وذكوان» الحديث ولهما من حديث أبي هريرة «كان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه» الحديث وفيه «اللعن لحيان ورعلا» الحديث، وفيه أيضا ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل الله (ليس لك من الأمر شيء) ولفظه لمسلم، وأما من بان موته على الكفر فجاز لعنه إن لم يكن فيه أذى على مسلم لما روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر عن قبر مرية - وهو ير يد الطائفت - فقال: هذا قبر رجل كان عانيا على الله وعلى رسوله - وهو سعيد بن العاص - فغضب ابنه وهو عمرو بن سعيد وقال: يا رسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهمام من أبي قحافة فقال أبو بكر: يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال عليه السلام لعمرؤ: اكفف عن أبي بكر وانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال: يا أبا بكر إذا ذكرت الكفار فعمموا فانكم إذا خصصتم غضب الأبناء للآباء فكف الناس عن ذلك» كذا في الأحياء وقال بخبره: رواه أبو داود في المراسيل من رواية علي بن ربيعة قال: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة توجه من فوره ذلك إلى الطائف ومعه أبو بكر ومعه ابن سعيد بن العاص فقال أبو بكر: لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال أبو بكر: لعن الله صاحب هذا القبر فإنه كان يحاد الله

وَمِنْهَا نِسْبَةُ الذَّنْبِ إِلَى الْمُسْلِمِ إِلَّا الذَّنْبَ بَعْدَ التَّحْقِيقِ، * وَمِنْهَا الدَّعَاءُ عَلَى أَحَدٍ، فَوُرِدَ «إِنَّ
الْمُظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَى الظَّالِمِ حَتَّى يُكَافِيَهِ» ثُمَّ يَبْقَى لِلظَّالِمِ عِنْدَهُ فَضْلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ *

ورسوله، الحديث وفيه «فاذا سببتم المشركين فسبواهم جميعا» وللترمذى من حديث المغيرة
ابن شعبه ورجاله ثقات «لا تسبوا الاموات فتؤذوا الأحياء» فان قيل : هل يجوز لعن
يزيد لكونه قاتل الحسين أو أمرا به ؟ فقال الغزالي : هذا لم يثبت أصلا فلا يجوز ان
يقال انه قتله أو أمر به مالم يثبت فضلا عن اللعن لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة
من غير تحقيق وبصورة نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا رضي الله عنه وقتل
أبولؤلؤة عمر رضي الله عنه لان ذلك ثبت متواترا ولا يجوز ان يرمى مسلم بكفر وفسق
من غير تحقيق «فعنه عليه السلام لا يرمى رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتد
عليه ان لم يكن صاحبه كذلك» رواه الشيخان من حديث أبي ذر ، وللدلي من حديث
أنس «ما شهد رجل على رجل بالكفر الا اتى أحدهما ان كان كافرا فهو كإكافا وان
لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه» وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن
انه كافر بصدقة أو غيرها كان مخطئا لا كافرا ، فان قيل : فهل يجوز ان يقال قاتل
الحسين لعنه الله أو الأمر بقتله لعنه الله قلت : الصواب ان يقال قاتل الحسين ان
مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة قتله
وهو كافر ثم تاب عن القتل والكفر جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا ينتهى
الى رتبة الكفر فاذ لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر ، كذا في الاحياء ، وقد تقدم
عنه أنه لا يجوز لعن أحد الا اذا تحقق موته على الكفر فالصواب ان يقال : قاتل
الحسين ان مات على الكفر لعنه الله اذ لا يجوز لعنه ان مات على الايمان وتاب
عن العصيان والله المستعان ﴿ ومنها نسبة الذنب الى المسلم ﴾ يعنى وهو برىء منه
﴿ الا الذنب بعد التحقيق ﴾ أى الا الذنب الذى تحقق وقوعه منه فقد قال تعالى :
(ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) ﴿ ومنها
الدعاء على أحد ﴾ قال تعالى : (ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا)
﴿ فورد ان المظلوم ليدعو على الظالم ﴾ أى فيقول : لاصح الله جسمه ولا سلم الله
روحه ونحوه ﴿ حتى يكافيه ﴾ أى يماثله فى الظلم ﴿ ثم يبقى للظالم عنده فضلة ﴾
أى زيادة ﴿ يوم القيامة ﴾ أى ان زاد على مثله لقوله تعالى : (فن اعتدى عليكم

وَمِنْهَا الْمَزَاحُ وَهُوَ مُطَايَبَةُ الْقَلْبِ وَهُوَ مَذْمُومٌ لِأَنَّهُ يُولَدُ كَثِيرًا مِنَ الذُّنُوبِ
وَالْعُيُوبِ كَحَقْدِ الْعَاقِلِ وَجُرْأَةِ السَّفِيهِ وَسُقُوطِ الْوَقَّارِ وَذَهَابِ حِلَاوَةِ الْحَبَّةِ
وَالْغَفْلَةِ عَنْهُ تَعَالَى وَظُلْمَةِ الْقَلْبِ، وَوَرَدَ «لَا تُمَارِ أَخَاكَ وَلَا تُمَارِحْهُ» إِلَّا النَّادِرَ الْخَالِيَ

عَنِ الْبَاطِلِ

فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمَثَلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) والحديث كذا في الاحياء، وقال مخرجه:
لم أقف له على أصل، وللتزمذي من حديث عائشة بسند ضعيف «من دعى على من
ظلمه فقد انتصر، قلت: وهو مطابق لقوله تعالى: (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم
من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس) أى ابتداء أو بالتجاوز عن الحد
انتهاء. (ومنها المزاح) بكسر الميم مصدر مزح أو مازح، وبالضم اسم ما يمزح
به وهو المطايبية في الكلام باللسان إلا أنه لما كان اللسان كالترجمان عن حال الجنان
قال المصنف (وهو مطايبية القلب) ولا يبعد أن يكون المعنى وهو سبب لطيب
القلب (وهو) أى كثيره أو أصله (مذموم) أى وفاعله ملوم (لأنه يولد)
أى يهيج (كثيرا من الذنوب والعيوب) أى الظاهرة والباطنة (كحقْدِ العاقل
وجرأة السفیه) أى الجاهل. فعن سعيد بن العاص لابنه «يا بني لا تمارح الشريف
فيحقد عليك ولا الدنيا فيجتريء لديك» (وسقوط الوقار) أى الهية والعظمة
في نظر الأبرار فعن عمر رضى الله عنه «من مزح استخف به، (وذهاب حلاوة المحبة)
لأنه لا يخلو عن مرارة في الصبغة ويقال: المزاح مذهب للبهاء ومقطعة للأصدقاء
(والغفلة عنه تعالى) أى عن ذكر الرب بحسب الأغلب (وظلمة القلب) أى الناشئة
عن الغفلة (وورد لا تمار أخاك ولا تمارح) التزمذي (إلا النادر الخالي عن الباطل)
أى فإنه غير مذموم كما ورد «إني لا مزح ولا أقول إلا حقا» لكن مثله يقدر على أن
يمازح ولا يقول إلا حقا وأما غيره فإذا فتح باب المزاح كان غرضه أن يضحك الناس
كيف كان وكثرة الضحك تميم القلب وتدل على الغفلة عن أحوال الآخرة وأهوالها
وقد ورد «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» متفق عليه من حديث أنس
وعائشة، وقال الفاسم مولى معاوية «أقبل اعراني إلى رسول الله ﷺ على قلوب
له فسلم فجعل كلما دنا إلى النبي عليه السلام ليسأله نقر به وجعل الصحابة يضحكون

منه ففعل ذلك ثلاث مرات : ثم وقصه فقتله ، فقيل : يا رسول الله ان الاعراب قد صرعه قلوبهم فهلك قال وأقواهم ملائ من دمه ابن المبارك في الزهد والرفاق وهو مرسل (كاهو المأثور) عن الحسن قال : « أتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام : لا تدخل الجنة عجوز فبككت فقال انك لست بعجوز يومئذ قال تعالى (انا أنشأناهم انشاء فجعلناهم أبكارا) » الترمذى في الشئائل هكذا مرسلًا واسنده ابن الجوزى في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف ، وروى زيد بن أسلم « ان امرأة يقال لها أم أيمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : ان زوجي يدعوك فقال ومن هو الذي بعينه يياض فقالت والله ما بعينه يياض قال بلى ان بعينه يياض فقالت لا والله فقال عليه السلام ما من أحد الا بعينه يياض » أراد به الياض المحيط بالخدقة الزير بن بكار ، وجاءته امرأة أخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال عليه السلام نعم لك على ابن البعير فقالت ما أصنع به لا يحملني فقال عليه السلام وهل من بعير الا وهو ابن البعير » ابوداود والترمذى وصححه من حديث أنس بلفظ « انا حاملوك على ولد الناقة » وروى ان الضحاك بن سفيان الكلاني كان رجلا ذميما فيجأ فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : عندي امرأتان أحسن من هذه الخمراء أفلا أنزل لك عن احدهما فتزوجها وعائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت : هي أحسن أم أنت ؟ فقال بلى أنا أحسن منها وأكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسألة عائشة اياه لانه كان ذميما الزير بن بكار من رواية عبد الله بن حسن مرسلًا أو معضلا ، وللدارقطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصين الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث أبي هريرة ، وقال عليه السلام « لصيب وبه رمد وقد رآه يأكل تمرًا فقال أنا كل التمر وأنت رمد ؟ فقال انما آكل بالشق الآخر فتبسم عليه السلام » قال بعض الرواة « حتي بدت نواجذه » ابن ماجه والحاكم من حديث صيب ، وروى « ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطاع عليه النبي عليه السلام فقال : يا أبا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضعيفا للجل الى شرود قال فضى عليه السلام لحاجته ثم طلع عليه فقال يا أبا عبد الله أمارك ذلك الجل ذاك الشراد بعد قال : فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك أنقرر منه كما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع على وأنا أصلي في المسجد فجلس الى

وَمِنْهَا الاسْتِهْزَاءُ وَهُوَ اسْتِحْقَارُ الْغَيْرِ بِذِكْرِ عِيُوبِهِ عَلَى وَجْهِ يَضْحَكُ قَوْلًا
وَفِعْلًا ، وَهُوَ حَرَامٌ لِأَنَّهُ إِذَا مَا ، وَوَرَدَ (لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ
يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ)

فطولت صلاتي فقال : لا تطول صلاتك فاني أنتظرُك فلما فرغت قال : يا أبا عبد الله
أما ترك ذلك اجل الشراء بعد فسكت واستحييت قال وكنت أتفر منه حتى لحقني
يوما وهو على حمار وقد جعل رجله في شق واحد فقال : يا أبا عبد الله أما ترك
ذلك اجل الشراء بعد ؟ فقلت : والذي بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت قال الله
أكبر الله أكبر اللهم اهد أبا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله « الطبراني
في الكبير من رواية زيد بن أسلم عن خوات بن جبير ورجاله ثقات وكان نعيان
الأنصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فيضربه بنعله ويأمر أصحابه فيضربونه بنعالم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من
الصحابة : لعنك الله فقال النبي ﷺ : لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان يشتري
الشيء ويهديه إلى النبي ﷺ ثم يجيء بصاحبه فيقول اعطه ثمن متاعه فيقول عليه
السلام : أولم تهده لنا فيقول : يا رسول الله والله لم يكن عندي ثمنه وأحببت أن تأكله
فيضحك عليه السلام ويأمر لصاحبه بثمنه ، رواه الزبير بن بكار فهداه مطايات
يباح مثلها بل يستحب أحيانا ومن الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة على الدوام
وتمسك بفعله عليه السلام فهو كمن يدور مع الزوج أبدا ينظر إلى رقصهم ويتمسك
بأذنه عليه السلام لعائشة في النظر إلى رقصهم في يوم عيدهم فهذا خطأ ومن الصغائر
ماتصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ماتصير صغيرة بالاصرار كذا في الاحياء
﴿ ومنها الاستهزاء وهو استحقار الغير بذكري عيوبه على وجه يضحك ﴾ أي منه على
الملا ﴿ قولا وفعلًا ﴾ متعلقان بذكري عيوبه تنبيهًا على أن ذلك قديكون بالمحاكاة
في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والایماء فعن عائشة « حكيت انسانا فقال
عليه السلام ما يسرقني أني حكيت انسانا ولي كذا وكذا ، رواه أبو داود والترمذي
وصححه (وهو) أي بجميع أنواعه (حرام لأنه إذا ما) وأيضا هو عمل السفهاء ولذا
قال موسى : « أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » حين قال قومه (اتخذنا هزوا) أي
مهزوا بئنا (وورد) في سورة الحجرات (لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم)

مَنْ عَیَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ یَمُتْ حَتَّى یَعْمَلَهُ إِلَّا فَمِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ مَسْخَرَةً یَمْزَحُ بِهِ فَهُوَ كَالْزَّاحِ * وَمِنْهَا إِظْهَارُ السَّرِّ فَوَ مِنْ لُؤْمِ الطَّعْنِ وَفِيهِ الْإِيْذَاءُ وَالْإِسْتِحْقَارُ، وَوَرَدَ «لَا یَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ یَفْشَى عَلَى صَاحِبِهِ مَا یُكْرَهُ» إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ التَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ * وَمِنْهَا الْوَعْدُ عَلَى عَزْمِ الْخُلْفِ فَهُوَ مِنْ ثَلَاثٍ هِيَ عَلَامَاتُ النِّفَاقِ أَمَّا الْوَاجِبُ

تمامه (ولا نساء من نساء عسى أن یکن خیر امنهن) (من عیر أخاه بذنب لم یمت حتی یعمله) الترمذی عن معاذ بن جبل وحسنه و ذکر عن أحمد بن منیع قالوا من ذنب قد تاب منه وعنه علیه السلام «ان المستهزئين بالناس یفتح لاحدهم باب من الجنة فیقال: هلم هلم فیجیء بکربه وغمه فاذا أتاه أغلق دونه فما یزال كذلك حتی أن الرجل لیفتح له الباب فیقال له: هلم هلم فما یأتیه» ابن أبی الدنیا مرسلًا، وعن عبد الله بن عباس فی قوله تعالی (باو یلتنا مال هذا الكتاب لا یغادر صغیرة ولا کبیرة الا أحصاها) الصغیرة التسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبیرة القهقهة بذلك وذلك کالضحک علی حظه وصنعته أو علی صورته وخلقته (الا) استثناء من حرام أى انما یحرم فی حق من یتأذى به لا (فمن جعل نفسه مسخرة یمزح به) و ربما یفرح بسببه (فهو) أى السخریة فی حق (کالمزاح) الذى فی أصله من جنس المباح (ومنها أظهار السر) أى افشاء سر لغير صاحبه واذا عتته واشاعته (فهو من لؤم الطبع) ومنه عن لسان الشرع (وفیه الإیذاء والاستحقار) أى التهاون بحق المعارف والأصدقاء (وورد لا یحل لأحد أن یفشى علی صاحبه ما یکره) لم یعرف بهذا اللفظ لکن ورد الحدیث «بینکم امانة» رواه ابن أبی الدنیا من حدیث ابن شهاب مرسلًا وللخطیب عن علی «المجالس بالامانة» ولابی داود عن جابر «المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس سفک دم حرام أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق» وورد من حدیث جابر (إذا حدث الرجل الحدیث ثم التفت فهی امانة) أبو داود والترمذی وحسنه (ومنها الوعد علی عزم الخلف فهو من ثلاث) أى خصال (هی علامات النفاق) فعن أبی هريرة مرفوعا « ثلاث من کن فیہ فهو منافق وان صام وصلى وزعم أنه مسلم اذا حدث کذب ، واذا وعد أخلف واذا اتمن خان» متفق علیه (أما الواجب) أى شرعاً ومروءة

الْوَفَاءُ فِي كُلِّ وَعْدٍ فَهَمَّ مِنْهُ الْجَزْمُ وَإِنْ اسْتَنْتَى، فَوَرَدَ (أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)
«الْعِدَّةُ دِينَ أَوْعُطِيَّةٌ» وَيَعْذَرُ إِنْ تَرَكَ بَعْذُرَ،

(الوفاء في كل وعد فهم) أى صاحب الوعد (منه الجزم وان استثنى) أى وقال ان شاء الله لانه قد يقال للتبرك أوللتبرى من الحول والقوة كما يشير اليه قوله تعالى: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله) أى الامقرون انذ كر مشيئته و ارادته (فورد) أى فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) (أوفوا بالعقود) أى بالعهود، وورد فى السنة (العدة) أى الوعد (دين) أى قرض كقرض (أو عطية) شك أو اختلاف رواية وهو الاظهر، وقد اقتصر فى الاحياء على الثانى وقال يخرج به أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود ورواه غيره أيضا واما اللفظ الاول فرواه الطبرانى فى الأوسط عن علي وعن ابن مسعود، وفى رواية ابن عساکر عن علي «العدة دين ويل لمن وعد ثم أخلف كرهه ثلاثا»، ولابن أبى الدنيا من رواية ابن لهيعة مرسله والوأي مثل الدين أو أفضل، وقال الوأي يعنى الوعد ورواه الديلمى أيضا عن علي وقد أثنى الله على نبيه اسماعيل بقوله انه كان صادق الوعد يقال: انه واعدنا ساناالى موضع فلم يرجع اليه فبقى اثنين وعشرين وما ينتظره، وعن عبد الله بن أبى الحساء «بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فوعده انه آتية بها فى مكانه ذلك فسيئت يومى والغد فآتيت اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال يافى قد شققت على انا ههنا منذ ثلاث أنتظر ك» رواه أبو داود «وكان عليه السلام جالسا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل فقال: ان لى عندك موعدا قال: صدقت فاحتكم ماشئت فقال أحتكم ثمانين ضانية وراعيها فقال: هى لك ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التى دلته على عظام يوسف كانت أجزم منك وأجزل حكما حين حكمها موسى فقالت: حكمى ان تردنى شابة وادخل معك الجنة» ابن حبان والحاكم فى مستدركه من حديث أبى موسى مع اختلاف، وقال الحاكم: صحيح الاسناد وأجزم بالجيم والزأى أوجب ولا يبعد ان يكون بالحاء المهملة أى أحوط والزم (وبعذر) أى يمد معذورا (ان ترك) أى الوفاء (بعذر) أى شرعى أو فرعى فكان ابن مسعود لا يبعد وعدا الا و يقول: ان شاء الله أى تعليقا لئلا يكون الوعد تحقيقا وقيل لآبراهيم بن أدهم: الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيى. قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلاة التى تجيى. قلت: وهذا من قبيل الإيجاب وما سبق من باب

فَوَرَدَ فِيهِ نَفْيُ الْأَثْمِ إِنْ كَانَ فِي نَيْتِهِ الْوَفَاءُ لَكِنَّهُ مُتَّصِرٌ بِصُورَةِ الْخُلْفِ
فَالْأَوَّلَى الْإِحْتِرَازُ وَمِنْهَا الْكَذِبُ وَهُوَ حَرَامٌ إِلَّا إِذَا وَقَعَ فِي تَرْكِ الْخَشْيِ مِنْهُ كَمَا
فِي سِتْرِ الْأَسْرَارِ وَالْإِنْكَارِ عَنِ الْعِلْمِ بِمَكَانٍ مَنِ اخْتَفَى عَنْ ظَالِمٍ قَصَدَ قَتْلَهُ

الاستحباب ((فورد فيه)) أى فى المعذور ((نفى الاثم ان كان فى نيته الوفاء)) أى من
أصله فى الوعد المذكور، فلا بد داود والترمذى من حديث زيد بن أرقم اذا وعد
الرجل أخاه وفى نيته ان يفى فلم يف فلا اثم عليه ((لكنه متصور بصورة الخلف فالأولى
الاحتراز)) أى احتراسا من التهمة فى خلف الوعد، وأما ما فى الأحياء انه عليه السلام
«كان اذا وعد وعدا قال عسى» فقال أخرجه لم أجد له أصلا ((ومنها الكذب)) بفتح
فكسرو بكسر فسكون وقد عد من قبائح الذنوب وفواحش العيوب ((وهو حرام))
بالكتاب والسنة. قال تعالى : (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) وفى
الصحيحين «أربع من كن فيه فهو منافق اذا حدث كذب» وفيهما عن ابن مسعود
«لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا» ولا بن عبد البر
فى التمهيد بسند ضعيف عن عبد الله بن جراد انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم هل
يزنى المؤمن؟ قال : قد يكون من ذلك قال هل يكذب؟ قال لا ثم أتبعها رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال هذه الكلمة : (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات
الله) وفى حصره مبالغة فى نفيه عن المؤمن أو مقيد بالكامل، ويؤيده ما رواه ابن
أبى شيبة فى مصنفه من حديث أبى امامة وابن عدى من حديث سعد بن أبى وقاص
على كل خصلة يطبع أو يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب، وقيل لخالد بن
صديق : من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم ((الا)) استثناء من قوله
وهو حرام أى ولا يحرم بل يجب ((اذا وقع فى تركه)) أى حصل فى ترك الكذب
((أخش منه)) أى منكر أعظم من الكذب ((كما فى ستر الأسرار)) أى بان يسأل عن ستر
أخيه فله أن يذكره ويكذب فيه وكذا فى ستر أسرار نفسه من كشف عوراته فعنه عليه السلام
«اجتنبوا هذه الفاذورات التى نهى الله عنها فمن عمل شيئا فليستتر بستر الله» رواه الحاكم
واسناده حسن وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة أخرى بل أعظم من الأولى فالرجل
أن يحفظ دمه وماله الذى يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا ((والانكار عن
العلم)) أى وكفى عدم الاقرار ((بمكان من اختفى عن ظالم قصد قتله)) وأضر به أو أخطأه

أَوْفِيهِ أَحْسَنُ مِنَ الصَّدَقِ ، فَوَرَدَ الْإِسْتِثْنَاءُ فِي الْحَرْبِ وَالْإِصْلَاحِ وَالْحَدِيثِ
مَعَ الْمَرْأَةِ لِأَعْنَدَ اسْتِوَاءَ الظَّرْفَيْنِ فَاصْلَهُ قَبِيحٌ وَالْأَوَّلَى التَّرْكُ فِي حَاجَتِهِ لَا فِي
حَاجَةِ الْغَيْرِ إِنْ أَمَكَنَ لِنُغْمُوضِ الْأَمْرِ

أو كشف عرضه وحاله فعن ميمون بن مهران ان الكذب في بعض المواطن خير أى من
الصدق أرايت لو أن رجلاً يسمى وآخر وراءه بالسيف فدخل دارك فاتمى اليك فقال
أفرايت فلاناً ما كنت قاتلاً له أأست تقول له لم أره وما تصدق فهذا الكذب واجب
(أوفيه) أى أوفى تركه (أحسن من الصدق) كما في إصلاح ذات البين (فورد الاستثناء)
أى استثناء حرمة الكذب (في الحرب والإصلاح) أى إصلاح ذات البين
(والحديث مع المرأة) ففى صحيح مسلم عن أم كلثوم قالت : « ما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يرخص فى شيء من الكذب الا فى ثلاث الرجل يقول القول
يريد الإصلاح ، والرجل يقول القول فى الحرب ، والرجل يحدث امرأته ، والمرأة
تحدث زوجها » ولعل المراد بتحدث الزوجين ما يقع بينهما من الوعد فى أحدا الأمرين
بنية عدم الوفاء فى الخبرين لما رواه ابن عبد البر فى التمهيد من رواية صفوان بن
سليم عن عطاء بن يسار مرسل « قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أ كذب
أهلى قال لا خير فى الكذب قال : أعدها وأقول لها قال لا جناح عليك » ولأن
أسرار الحرب لو وقفت عليه العدو اجتراً وأسرار الزوج لو وقفت عليه المرأة نشأ
عنه فساد أعظم من فساد الكذب ، وكذا المتخاصمان تدور بينهما المصيبة والعداوة
فاذا أمكن الإصلاح بينهما بكذب فذلك أولى من الصدق الذى لم يترتب عليه
خير ، ثم لا يجوز الكذب ولو كان بطريق اللعب فعن عبد الله بن عامر « جاء عليه
السلام الى بيتنا وأنا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت أمى يا عبد الله تعال أعطك
فقال عليه السلام ما أردت تعطيه فقالت : تمرأ فقال : أما انك لو لم تفعل كذبت عليك
كذبة ، رواه أبو داود (لا) أى لا يجوز الكذب (عند استواء الطرفين فاصله
قبيح) أى فى الأمرين فلا بد من ترجيح (والأولى الترك) أى ترك الكذب
(فى حاجته) أى أمر نفسه لأن الصدق أنجى والخلاص فيه أرجى (لا
فى حاجة الغير) وهو تصریح بما علم ضمناً (ان أمكن) أى تركه (لنغموض الأمر)
أى لحفاء جواز أمر الكذب فانه يختلف باختلاف الذوات وتفاوت الاوقات

وَلَوْ تَعَرَّيْضًا لِأَنَّهُ تَقْرِيرٌ عَلَى ظَنِّ كَاذِبٍ وَإِلَّا فَلَا مَعَارِيضَ مِثْلُ اللَّهِ يَعْلَمُ
مَاقَلَتَهُ وَمَذْفَارَقَتَكَ مَارَفَعْتُ الْجَنْبَ عَنِ الْفَرَّاشِ إِلَّا مَارَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْإِنْكَارِ
عَنِ الْقَوْلِ وَالصَّحَّةِ

والحالات ((ولو تعريضاً)) غاية من قوله والاولى التترك ((لانه)) أى التعريض بمعنى التلويح ((تقرير على ظن كاذب)) وقد ورد «من حدث بالحديث رهو يرى انه كذب فهو أحد الكاذبين» رواه مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب هذا وقد جوزوا الكذب للضرورات المبيحة للمحظورات ((والا)) أى وان لم يمكن ترك الكذب ((فالمعاريض)) متعينة وهى بفتح الميم ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيئاً ومراده شيء آخر كذا في البستان، وتحقيقه في قوله تعالى : (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء) وفي المغرب التعريض خلاف التصريح ، والفرق بينه وبين الكناية هو ان التعريض يضمن الكلام دلالة ليس فيها ذكر كقولك فلان طويل النجاد كثير الرماد والنجاد حمائل السيف ، والمعنى انه طويل ومضيف ، وقد ورد انه في المعاريض لمدحوعة عن الكذب « ابن عدى والبيهقى عن عمران بن حصين مرفوعاً وفي الأحياء وقد نقل عن السلف ان في المعاريض ممدوحة عن الكذب وغفل يخرجها أيضاً عن ايراد حديثه ((مثل الله يعلم ماقلته)) لاحتمال كبر ما نافية أو موصولة أو استفهامية ((ومذفارقتك مارفعت الجنب عن الفراش الا مارفعه الله تعالى)) فانه يشمل الرفع الاختيارى والاضطرارى ((في الانكار عن القول)) بالنسبة الى الاول ((والصحة)) بالاضافة الى الثانى فهما لف ونشر مرتب في بديع المباني ومنيع المعاني وفي الأحياء ومن أمثلة المعاريض ما روى ان مطرفاً دخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال : مارفعت جنبي مذ فارقت الأمير الا مارفعنى الله ه وقال ابراهيم : اذا بلغ الرجل عنك شيئاً فكرهت ان تكذب قلت ان الله ليعلم ماقلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف نفى عند المستمع وعنده الابهام ، وكان معاذ عاملاً لعمر رضى الله عنهما فلما رجع قالت امرأته : ماجئت به بما يأتى به العمال من غرضة أهلهم ولم يكن جاء به فقال كان معى ضاغط فقالت : كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنى بكر فبعث معك عمر ضاغطاً فقامت بذلك في نساءها فاشتكت عمر فلما سمع عمر

ثُمَّ التَّصْرِيحُ، وَالْمُعْتَبَرُ النِّيةُ وَالِاسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ وَمِنْهُ التَّسَامُحُ فِي الْعَدَدِ مَبَالِغَةً مِثْلَ قَلْتَهُ مِائَةً مَرَّةً وَنَحْوَهَا لَا بِالْمُتَجَاوِزِ عَنِ الْحَدِّ الْمَعْهُودَةِ وَلَكِنْ لَا يَعْتَادُهُ فَفِيهِ خَطَرُ الْوُقُوعِ فِي الْإِثْمِ وَفِي شَهْوَةِ الطَّعَامِ،

بذلك دعا معاذًا فقال: بعثت معك ضاغطا فقال لم أجدا ما اعتذر به إليها إلا ذلك فضحك عمرو وأعطاه شيئا وقال أرضها به، وقوله ضاغطا يريد به ربه تعالى أي محاسبا ضابطا، وكان النخعي لا يقول لابنته اشترى لك سكرا ولوزا ولكن يقول رأيت لوشريت لك فانه ربما لا يتفق له ذلك، وكان إبراهيم إذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قول له: اطلبه في المسجد ولا تقولي ليس هنا كيلا يكون كذبا، وكان الشعبي إذا طلب في البيت وهو يكرهه يخط دائرة ويقول للجارية ضعي أصبعك فيها وقولي ليس هنا، ومن المعارض ما أخرجه الحسن بن سفيان، والديلمي عن أبي هريرة قال: «ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ناقة أبي بكر وقال: يا أبا بكر ول الناس عني فانه لا ينبغي لني أن يكذب لجمل الناس يسألونه من أنت قال باغ ينبغي قالوا ومن وراءك؟ قال هاديدي، (ثم التصريح) أي بالكذب عند عدم امكان التلويح (والمعتبر النية) أي تحسين الطوية في التصحيح (والاستفتاء من القلب) أي السليم من الغرض السقيم (ومنه) أي من جنس الكذب الملحق به ولا يوجب الفسق بسببه (التسامح في العدد) أي بذكره (مبالغة) أي زائدة (مثل قلته مائة مرة) وقديراد في المبالغة ويقال ألف مرة فيأثم بالمرة (ونحوها) أي العشرة (لا بالمتجاوز عن الحد) أي حد الكثرة (المعهودة) في المحاورة (ولكن لا يعتاده) أي لا ينبغي اعتياد المبالغة (ففيه خطر الوقوع في الإثم) أي اثم الكذب اذا لم يصل في العرف الي حد الكثرة وكذا الاستعارة مرتبة من هذا القسم من الكذب في المبالغة ولكنها ليست بكذب فان علماء البيان قد حققوا ذلك بالبرهان وقالوا: الاستعارة تفارق الكذب من وجهين أحدهما البناء على التأويل وثانيهما نصب الدليل من القرينة على ارادة خلاف الظاهر نحو رأيت أسدا في الحمام والله أعلم بحقائق المرام ولكن عليك بالاختياط في مثل هذا الكلام، فمن خوات التيمي قال: جاءت أنخت الريع بن خنيم عائدة الى بني فانكبت وقالت كيف أنت يا بني؟ فقال ربيع أرضعتيه قالت لا قال ما عليك لوقلت يا ابن أخي فصدقت، (وفي شهوة الطعام) أي من الكذب التسامح في نفى

فورد «لا يجتمع من جوعاً وكذباً» والأخفش وقوعه في اليمين فهو من الكبائر
وفي مثل الله يعلم أنه كذاب، فعن عيسى عليه السلام أنه من أعظم الذنوب وفي
الأخبار

شهرة الطعام وذلك كان يقال لانسان كل الطعام فيقول لا أشتهيه وذلك منهي عنه
ان لم يكن له غرض صحيح فيه (فورد) أى عن مجاهد عن أسماء بنت عميس «كنت
صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله ﷺ ومعى نسوة قالت: فوالله
ما وجدنا عنده قرى - أى ضيافة - الا قدحاً من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحييت
الجارية قالت : فقلت لا تردى يد رسول الله ﷺ خذى منه قالت فاخذته على
حياء فشربت منه ثم قال لى : ناولى صواحبك فقلان: لانتهى فقال عليه السلام:
(لا يجتمع من جوعاً وكذباً) كذا في الاصل من باب الاقتران والرواية الصحيحة
«لا يجتمع من جوعاً وكذباً» فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا شئاً نشتهيه لا
اشتهيه أيعد ذلك كذباً؟ فقال عليه السلام: ان الكذب ليكتب كذباً حتى تكتب
الكذبة كذبة» والحديث أخرجه ابن ابى الدنيا والطبرانى في الكبير، وله نحوه من
رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب فان أسماء بنت عميس كانت
اذذاك بالحبشة لكن في طبقات الأصهبانيين لابي الشيخ من رواية عطاء بن ابي رباح عن
أسماء بنت عميس وزفنا الى النبي ﷺ بعض نساءه، الحديث فاذا كانت غير عائشة
من تزوجها بعد خير فلا مانع من ذلك (والأخفش) من أنواع الكذب (وقوعه
في اليمين فهو من الكبائر) فورد «ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم
يوم القيامة ولا يزكهم المنان بعطيته والمنفق سلته بالخلف الكاذب والمسبل إزاره»
رواه مسلم من حديث أبي ذر، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود «من حلف
على يمين ما لم يقطع بها مال امرئ مسلم وقال عليه السلام : وكان متكئاً الأبتك
بأكبر الكبائر الاشرار بالله وعقوق الوالدين ثم قد فقال ألا و قول الزور» متفق
عليه من حديث أبي بكر وهو أعم من شهادة الزور (وفي) أى وكذا الأخفش وقوعه
(مثل الله يعلم أنه كذاب) قال النووي في الأذكار : وهذه العبارة فيها خطر وان كان
صاحبها متيقناً ، (فعن عيسى عليه السلام أنه من أعظم الذنوب) فانه نسبة الجهل إلى
علام الغيوب فان الله تعالى تعلق بعدم وقوعه (وفي الاخبار) أى وكذا الأخفش الكذب

وَالرُّؤْيَا فِيمَا عُدَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفَرَى، وَمِنْهَا الْغِيْبَةُ وَوَرَدَ فِيهَا «ذِكْرُكَ أَخَاكَ
بِمَا يَكْرَهُ» وَيَجُوزُ الْأَجْمَالُ فُورَدَ «مَا بَالَ أَقْوَامٌ يَفْعَلُونَ كَذَا» إِلَّا أَنْ يُفْهَمَ الْمَعْنَى

صدوره في الأخبار وهو بفتح الهمزة أو بكسرها أى الاعلام لا سيما الكذب
على النبي عليه السلام ((والرؤيا)) أى وفي الاحلام ((فهما عدا من أعظم الفرى))
أى الافتراء ففى البخارى «ان من أعظم الفرى أن يدعى الرجل الى غير أبيه أو يرى
عينه مالم تر أو يقول على مالم أقل» وفي الاحياء وقد ظن ظانون أنه يجوز وضع
الاخبار في فضائل الاعمال وفي التشديد في المعاصى وزعموا ان القصد فيه صحيح وهو
خطأ محض إذ قال عليه السلام: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» يعنى
وهو متفق عليه من طرق قاربت أن يكون متواترا فهذا لا يترك الا لضرورة اذنى
الصدق مندوحة عن الكذب، وفيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها، وقول
القائل ان ذلك تكرر على الاسماع وسقط وقعه وما هو جديد فوقعه أعظم فهذا هو
اذ ليس هذا من الأغراض التى تقام محذور الكذب على الله ورسوله ويؤدى فتح
بابه الى أمور تشوش الشريعة ولا يقوم خير هذا بشره أصلا فالكذب على رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم من الكبائر، أقول وقد صرح الجوينى والدامام الحرمين
بانه كفر، وهذا عن أسماء بنت أبى بكر «سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وتقول: ان لى ضرة وانى أتكثر من زوجى بمالم يفعل أضرارها بذلك
فهل على فيه شيء فقال المتشبع بمالم يبط كلابس ثوبى زور» متفق عليه، ولا بن عبد البر
فى الاستيعاب عنه عليه السلام «لا يستكمل المؤمن إيمانه حتى يحب لآخيه ما يحب
لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه» ((ومنها الغيبة)) بكسر الغين ((وورد فيها))
أى فى حدها وتعريفها ((ذكرك أخاك بما يكره)) أى على سبيل المنقصة فى حال الغيبة،
فن أبى هريرة «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أتدرون ما الغيبة قالوا الله
ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أرايت ان كان فى أخى ما أقول قال
ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته، رواه مسلم)) ويجوز
الاجمال)) أى الابهام فى الغيبة ((فوردا ما بال اقوام يفعلون كذا)) رواه أبو داود عن
عائشة بسند صحيح «انه عليه السلام كان اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون
كذا وكذا» ((الا ان يفهم المعنى)) أى من المبهم بقرينة فقوله بعض من قدم من السفر

وَكَذَا مِثْلُ الطَّائِفَةِ الَّذِينَ مَضَوْا عَلَى الْيَوْمِ، وَأَنَوَّاعُهَا التَّصْرِيحُ، وَالتَّعْرِضُ
 مِثْلُ فَلَانِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَصَمَنِي عَنْ مَخَالَطَةِ السُّلْطَانِ، وَالْإِشَارَةُ،
 فُورِدَ « تَسْمِيَتُهُ غِيَةً » وَالْغَمَزُ، وَالْحَاكَاةُ وَكُلُّ مَا يَنْبِئُ عَنْهَا فَهُوَ حَرَامٌ، فُورِدَ
 (وَلَا يَغْتَبُ بَعْضُكُم بَعْضًا)

وبعض من يدعى العلم وبعض من رأيناه اذ كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو
 غيبة لأن المحذور تفهمه دون مابه التفهم (وكذا مثل الطائفة الذين مضوا على اليوم)
 من جملة الابهام فان الطائفة بمعنى القوم (وأنواعها) أى الغيبة ستة (التصريح) وهو
 ظاهر ، ومنه « أن عائشة ذكرت امرأة فقالت : انها قصيرة فقال عليه السلام : اغتبتها »
 رواه أحمد وأصله عند أبى داود والترمذى وصححه (والتعريض) أى التلويح (مثل
 فلان تاب الله عليه) فقيه تنبيه على أنه يرتكب ما يجب عليه التوبة وقد يقول ذلك المسكين
 قديلاً باقة عظيمة تاب الله علينا وعليه (الحمد لله الذى عصمني عن مخالطة السلطان)
 وهذا من غيبة القراء المرائين وأتباع الشيطان وهو أخبت أنواع الغيبة فانهم يفهمون
 المقصود على صيغة أهل الصلاح ليظهروا من أنفسهم التعفف عن الغيبة ولا يدرون
 بحملهم أنهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة (والاشارة فورد تسميته غيبة)
 وفى نسخة تسميه غيبة ، ومن ذلك قول عائشة دخلت علينا امرأة فلما ولت أومات
 يدي أى قصيرة فقال عليه السلام قد اغتبتها ، ابن أبى الدنيا وابن مردويه ورجاله
 ثقات (والغمز) أى بالعين للتشبيه أو أخذ البدن للتنبيه (والحكاة)
 فورد حين حكّت عائشة انسانا فقال ما يسنن ، وفى رواية « ما أحب أني حكيت انسانا
 وانلى كذا وكذا ، وقد تقدم يقال حكاه وحاكاه اذا فعلت مثل فعله واكثر ما يستعمل
 فى القبيح قال النووى ومن الغيبة المحرمة المحاكاة بان يمشى متعارجاً أو متطأطأاً رأسه
 أو غير ذلك من الهيئات بل هو أشد أنواع الغيبة لانه أعظم فى التصوير والتفهم
 على مافى الاحياء (وكل ما ينبئ عنها فهو حرام) كذكر المصنفين فى تصنيفاتهم شخصا معينا
 وتهجين كلامه وتهوين مراده الا ان يقترن به شئ من الاعذار المحوجة الى ذكره
 وذلك لان القلم أحد اللسانين وتحصل به الغيبة تصريحاً وتلويحاً (فورد) أى
 فى سورة الحجرات (ولا يغترب بعضكم بعضاً) أى لا يتناول بعضكم بعضاً فى ظهر الغيب

﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ (الآية: الغيبة أشد من ثلاثين زينة في الإسلام

بما يسوءه بما فيه) (يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا الآية) أي فكرهتموه والاستفهام للانكار كما قال مجاهد لما قيل لهم: (يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) قالوا لا أي بلسان القول أو ببيان الحال قيل فكرهتموه، والمعنى فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج: وتأنوا إليه أن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس به وقالت عائشة «الأيامتان منكم أحدا جاد فاني قلت لا امرأة مرة وأنا عنده عليه السلام أن هذه لطوية الذيل فقال الفطى الفطى فلفظت بضعة من لحم أحر» ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير «ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه: اقصص كما يقصص الكلب أي قتل مكانه فمر النبي صلى الله عليه وسلم وهما معه بحيفة فقال: انتهشان منها فقالا لا يا رسول الله نهش حيفة فقال ما أصبنا من أخيكما أنتن من هذه» أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة باسناد جيد وعن أبي هريرة موقوفا ومرفوعا «من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال كله ميتا كما أكلته حيا» ابن مردويه في التفسير، وروى عن أبي بكر وعمر «أن أحدهما قال لصاحبه أن فلانا لتؤرم ثم طلبا أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلاه مع الخبز فقال عليه السلام: قد اتدمنما فقالا: ما نعلمه فقال: بلى ما أكلتما من لحم صاحبكما» رواه أبو العباس الثعالب أو الدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى نحوه كذا في تخريج الأحياء، وقال الامام الدميري هو من كبار الحفاظ توفي سنة خمس وعشرين وثلثمائة وله مسند مشهور، ففي هذا الحديث وحديث المرجوم جميعهما، وكان القائل أحدهما تنبيه على أن المستمع أحد المغتابين وأن المستمع لا يخرج من اثم الغيبة إلا بان ينكر بلسانه فإن خاف فيقلبه وأن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر في ذلك المقام فلم يفعل لزمه الاثم ولا يكفي أن يشير باليد أي اسكت أو يشير بحاجبه وجبينه فإن ذلك استحقار للذكر بل ينبغي أن يعظمه ويذب عنه صريحا ففعله عليه السلام من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله يوم القيامة على رموس الخلائق أحمد والطبراني عن سهل بن حنيف ولابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء «من رد عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يرد عن عرضه يوم القيامة»، ولا أحد والطبراني عن أسماء بنت يزيد «من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعفقه من النار، (الغيبة أشد من ثلاثين زينة في الإسلام)» وانما قيده بحال الإسلام لأنه أفجع مما قبله

وَالسَّبَبُ التَّشْفِيُّ مِنَ الْغَيْظِ

في الأحكام وقيل لأن الزنا في دار الحرب وفي عسكر أهل البغي لا يوجب الحد وفيه بحث اذ عدم وجوب الحد ليس الالكونه في خطر انتقاله الى أهلها والا فلا يسقط عنه بالكلية ولأنه أخف من زناه في دار الاسلام والله سبحانه أعلم بحقائق المقامه والحديث رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير وبلغظ اياكم والغيبه فان الغيبه أشد من الزنا ان الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبه لا يفر له حتى يغفر له صاحبه وأما الحديث بلغظ المسأت فقد اشتهر على وجه المبالغة وليس له أصل صريح لكن قد يؤخذ من حديث أنس قال: «خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر الربا وعظم شأنه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان أربى الربا عرض الرجل المسلم فالغيبه تناول العرض» والحديث رواه أحمد وابن أبي الدنيا، وعن مجاهد في تفسير قوله تعالى: (ويل لكل همزة لمزة) الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس، وقال الحسن: والله للغيبه أسرع فسادا في دين المؤمن من الأكلة في الجسد، وقال بعضهم: أدركت وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكر في الكف عن اعراض الناس السلف، وقال ابن عباس: اذا أردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك، ولعله مقتبس من قوله عليه السلام: «طوبى لمن شغله عيه عن عيوب الناس» الديلمي عن أنس، وقال أبو هريرة «يصر أحدكم القذا في عين أخيه ولا يصر الجذع في عين نفسه» وسمع علي بن الحسين رجلا يفتاب آخر فقال اياك والغيبه فانها ادام كلاب الناس» وقال الحسن «ذكر الغير ثلاثة الغيبه والبهتان والافك والكل في كتاب الله فالغيبه ان تقول ما فيه والبهتان ان تقول ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك، ولعل الاخير مأخوذ من القصة المعروفة وتعميمه مستفاد من حديث «كفى بالمرء كذبا واثمانا يحدث بكل ما سمع» (والسبب) أي الباعث على الغيبه سبعة مشهورة (التشفي من الغيظ) أي الغضب الكامن في القلب فيسبق اللسان بالطبع الى الطعن الذي ان لم يكن له مانع من الدين القوى والورع الجلي فللبرار وابن أبي الدنيا وابن عدى والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس «ان لجهنم بابا لا يدخله الا من شقي غيظا بمعصية الله» وللاديلي عن سهل بن سعد «من أتى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه، ولا بني داود والترمذي

وَمُوَافَقَةُ الْأَقْرَانِ خَوْفًا عَنِ التَّثْقِيلِ وَالتَّحَامِي عَنْ رَدِّ قَوْلِهِ لِسَبْقِ الْغَيْرِ
فِي تَقْيِيحِهِ وَالتَّبَرِّي عَنْ فَاحِشَةٍ مِّنْسُوبَةٍ إِلَيْهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْغَيْرِ وَالْمُبَاهَاةُ
وَالْحَسَدُ وَالِاسْتِهْزَاءُ وَنَحْوُهَا، وَالْعِلَاجُ ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِيهَا

وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس ومن كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه
أى يمضيه كفى رواية ودعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أى الحور
شاء، ((وموافقة الاقران)) أى اخوان الزمان ((خوفا عن التثقيل)) أى عن عده ثقلا
في ذلك المكان اذا أنكر الغيبة أو قطع مجلس الصحبة، ويرى ذلك من حسن المعاشرة
وجميل المحاورة ولم يعلم بان الله يغضب عليه اذا طلب سخطه في رضى المخلوقين
((والتحامى)) أى المحافظة ((عن رد قوله لسبق الغير في تقيحيه)) أى تقييح قوله
وبيانه أن يستشعر من انسان أنه سيقصده ويطول لسانه ويقبح مقالته ويفضح حاله
عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيأدره قبل أن يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط
أثر مقالته وشهادته، وكما اذا ذكر زيد مسألة فاعترض عليها عمرو فيكون باعثا
لزيد أن يفتاب عمرا بان يقول: هو جاهل أو أحمق ونحوهما ليحامي ماسبق من
كلامه عن بطلان مراده ((والتبرى عن فاحشة منسوبة اليه بالنسبة الى الغير)) أى
بنسبته الى غيره ليخلص عن عيبه وضره، وحاصله أنه ينسب الى شىء فيريد أن يتبرأ
منه فيذكر الذى فعله وكان من حقه أن يبرىء نفسه ولا يذكر الذى فعله ولا ينسب
غيره اليه فيكون بهذا جمابين الذنوب لديه وقد قال تعالى: (ومن يكسب خطيئة أو اثما
ثم يرم به بريثا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) ((والمباهاة)) أى التصنع والمفاخرة بان يرفع
نفسه بتنقص غيره وخفض أمره فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف
وعقله خفيف، وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويرى أنه أعلم منه ((والحسد))
وهو أنه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبهونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة
عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه والطعن عليه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند
الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء على حاله ومقالته لانه يثقل عليه أن يسمع
علوم مراده ((والاستهزاء)) أى الاستحقار له فان ذلك قد يجرى في الحضرة فيجرى أيضا
في الغيبة ((ونحوها)) أى من اللعب والهزل والمطايبة وترجية الوقت باسباب الوقت
((والعلاج)) أى الذى به يمنع اللسان من الغيبة ((ذكر ما ورد فيها)) أى في ذم الغيبة

ودفع السبب بما في موضعه والمرخص التظلم فوراً (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) الآية إن لصاحب الحق مقالاً والاستعانة على تغيير المنكر وإصلاح العاصي فهو مأثور والاستفتاء فلم تمنع هند امرأة أبي سفيان أن الحرب ذا كرة بخل أبي سفيان لأخذ ماله بغير علم

من الكتاب والسنة (ودفع السبب) أي من نحو الحسد والحقد والتكبر والغضب (بما في موضعه) أي بما يذكر من كتب الاخلاق في محله فان مساوى الاخلاق كلها إنما تعالج بمعجون العلم والعمل المركب لها وإنما علاج كل علة بمضادة سببها فليحص عن سببها ويعالج بضدها هذا والمغتاب فاسق وإذا كان من عادته ردت شهادته الآن الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكثر ثواب تناول أعراض الخلق وهذه بلية عامة شاملة للعباد في جميع البلاد فهي من أكبر الفساد الامن حفظه الله من العباد (والمرخص) أي في ذكر مساوى الغير سبعة أمور (التظلم فوراً) في سورة النساء (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الآية) فمن ذكر قاضياً بالظلم والخيانة وأخذ الرشوة كان مغتاباً عاصياً وأما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسب الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا بذلك، وقد قال عليه السلام: (ان صاحب الحق مقالاً) ومطل الغنى ظلم وكلاهما متفق عليه من حديث أبي هريرة وولاي داود والنسائي وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح «ان الواجد بخل عرضه وعقوبته» (والاستعانة) أي بالحاكم ونحوه (على تغيير المنكر) أي ازالته (واصلاح العاصي) بتركه وتوبته (فهو مأثور) أي مروى عن الصحابة كما قيل لعمر بن الخطاب ان أبا جندل قد باشر الخمر بالشام فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسم الله الرحمن الرحيم (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير) فتاب الله عليه ورجع بالرحمة اليه (والاستفتاء) كما تقول للمفتي ظلمي أبى أو أخى أو زوجى وكيف طريق الخلاص لى (فلم تمنع هند امرأة أبي سفيان بن الحرب) أي لم يمنعها النبي صلى الله عليه وسلم عن الغيبة حال كونها (ذا كرة بخل أبي سفيان لأخذ ماله) أي لأجل أخذها من ماله (بغير علم) في الصحيحين من حديث عائشة «ان هنداً قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: ان أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى أنا وولدى فقال عليه السلام خذى ما يكفيك وولدك

والتعريض أولى والتحذير عند خوف سرية الفسق أو الضرورة إلى الغير،
 فورد « اذكروا الفاجر بما فيه ليحذر الناس » أمام معاوية فرجل صعلوك لا مال له
 وأما أبو جههم فلا يرفع العصا عن أهله أنكحى أسامة بن زيد واشتار المذكور
 باسم العيب كالأعشى والأعرج والعدول أولى وإظهاره الفسق، فورد « من ألقى
 جلباب الحياء فلا غيبة له »

بالمعروف، وهذا كان بطريق الفتوى لا على سبيل الحكمة والدعوى (والتعريض أولى)
 بان يقول: كيف من تأخذ مال زوجها بغير إذنه لأجل بخله (والتحذير عند خوف سرية
 الفسق) فإذا رأيت متعففا يتردد إلى فاسق أو مبتدع وخفت أن يسرى إليه فسقه
 أو تتعدى إليه بدعته فلك أن تكشف له بدعته وفسقه (أو الضرورة) أي أو عند خوف
 الضرر الكثير المنجر (إلى الغير فورد) أي من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده
 « اذكروا الفاجر بما فيه ليحذر الناس » رواه الطبراني وغيره بلفظ « أترعون عن
 ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذر الناس » وهذا دليل السراية وأما دليل الضرورة فقوله
 عليه السلام لامرأة استشارت النبي في تزوج معاوية أو أبي جههم أو أسامة (أمام معاوية
 فرجل صعلوك) أي فقير جدا (لا مال له) تأكيد لحاله (وأما أبو جههم فلا يرفع
 العصا عن أهله) وهو كناية عن كثرة ضربه وسوء خلقه، وفي رواية « عن عنقه » وهو
 يحتمل المعنى المذكور أو الكناية عن كثرة سفره وقلة إقامته في حضرته (أنكحى أسامة
 ابن زيد) أي فانه خير منهما في حسن عشرته وطيب ففته (واشتار المذكور باسم
 العيب) أي من الاعتذار المرخصة (كالأعشى والأعرج) وكذا الأعشى والأعور
 والاصم والابكم والارص والاحمر والاصفر (والعدول) أي إلى وصف آخر
 أو عبارة أخرى (أولى) أي أخرى ولذا يقال البصير للأعشى عدولا عن اسم النقص
 في المبنى وإن كان المآل واحدا في المعنى، وقد ذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل
 الأسود ثم قال استغفر الله أني أراني قد اغتبهته، وذكر ابن سيرين إبراهيم فقال النخعي:
 ولم يقل الأعور (واظهاره الفسق) أي إعلانه وعدم مبالاته به من المرخص
 كالخنث والقواد المجاهر بشرب الخمر والزنا والربا ومصادرة الناس باخذ أموالهم
 (فورد) من حديث أنس (من ألقى جلباب الحياء) أي غطاءه (فلا غيبة له) رواه

وَنَحْوُهُ مِنَ الْغَرَضِ الصَّحِيحِ وَالْأَصْلُ الاسْتِفْتَاءُ مِنَ الْقَلْبِ

ابن عدى وأبو الشيخ نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به ائمه قال عوف: دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين: ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج من اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غدا كان أصغر ذنب اصبتاه اشد عليك من أعظم ذنب اصابه الحجاج، وقال قوم: لا غيبة في الدين لانه ذم ماذمه الله فذكره بالمعاصي وذمه يجوز بدليل ما روى «انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذى جيرانها فقال: هي في النار» ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة «وذكر امرأة أخرى بانها بخيلة قال فماخيرها اذا» رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسل قال في الاحياء: وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يسكن غرضهم النقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقول: وفيه بحث لان الصحابة كانوا عارفين بان اذى الجار والبخل من الصفات الذميمة، واما قوله: والدليل عليه اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب فقيه ان هذا عام وقد خص منها احكام فلا حجة فيه ولا الزام (ونحوه) أى ونحو المذكور (من الغرض الصحيح) بان يقول لمن يريد أن يودع عند احد: انه خائن (والاصل) أى في الغرض الصحيح (الاستفتاء من القلب) أى في التصريح والتلويح بذكر العيب، ثم اعلم ان الواجب على المغتاب ان يتوبه ويندم ويتأسف على ما فعل ليخرج عن حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله، وقال الحسن: يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج في ذلك بما روى انس ابن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفارة من اغتابه أن تستغفر له» ابن أبي الدنيا والحاثر بن أسامة في مسنده من حديث أنس بسند ضعيف، وقال مجاهد: كفارة أكلك لحم أخيك ان تئني عليه وتدعوله بخير، أو يؤيده قوله تعالى (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) والاحسن التفصيل وهو ان لا يحتاج الى الاستحلال اذا لم يصل الكلام الى المغتاب منه بخلاف ما اذا وصله الا اذا كان يتشوش بذكره فقد يكون الاعتذار أكبر من الذنب عند بعض الأبرار، واما قول عطاء بن أبي رباح حين سئل عن التوبة عن الفرية قال: تمشى الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت أخذت بحقك وان شئت عفوت فهو خاص بالافتراء بل ينبغي ان يعترف

بالخطأ في حضور الملاء بالخلاء أو الملاء فقول صاحب الأحياء : وهو الأصح مبنى على أنه لا فرق بين الغيبة والفرية وهو بعيد بلامرية ، وأما إطلاق قول القائل العرض لا عرض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال فكلام ضعيف اذ في الحديث الصحيح المتفق عليه عن أبي هريرة « من كانت لأخيه عنده مظلة في عرض أو مال فليتحللها من قبل أن يأتي يوم ليس هنالك دينار ولا درهم فيؤخذ من حسنه فان يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فريدت على سيئاته فان كان صاحب الغيبة غائباً أوميتاً فينبغي أن يكثر الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات تكفيراً للسيئات فان الحسنات يذهبن السيئات » وكان بعض السلف لا يحل للظالم قال سعيد بن المسيب : لا أحل من ظلمني ، وقال ابن سيرين : اني لم أحرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لأحل ما حرم الله أبداً ، والظاهر ان المراد بالاستحلال جعله في حل بمعنى عفو عنه لينقلب حرامه بمنزلة الحلال المباح له وهذا يحمل قوله عليه السلام « أيعجز أحدكم أن يكون كافي ضمضم كان اذا خرج من بيته قال : اللهم اني تصدقت بعرضي على الناس » رواه البزار وابن السنن في اليوم والليلة والعقيل في الضعفاء من حديث أنس ، وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسل عند ذكر أبي ضمضم في الصحابة قال العراقي : وإنما هو رجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعقيل ، والمعنى اني لا أطلب مظلة في القيامة منه ولا أخاصمه ولا أفلا نصير الغيبة حلالاً به بل ولا تسقط المظلة بسببه لانه عفو قبل وجوبه الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم فان رجع وخصم كان له ذلك قياساً على سائر الحقوق بل صرح بعض الفقهاء بان من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمته ومظلة الآخرة مثل مظلة الدنيا ، وعلى الجملة فالعفو أفضل وثوابه أكمل ؛ وقال الحسن : اذا جئت الامم على الركب بين يدي الله يوم القيامة نودوا ليقيم من كان أجره على الله فلا يقوم الا من عفا عن مظلمة في الدنيا وكأنه مستفاد من قوله (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وجاء في قوله تعالى (خذ العفو) الآية أنه عليه السلام « قال يا جبريل ما هذا العفو ؟ قال : ان الله يأمرك أن تعفو عن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك » وقد روى عن الحسن « أن رجلاً قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقاً من الرطب وقال : قد باغى أنك قد اهديت الى حسناتك فاردت أن أكافيك عليها فاعذرتني فاني لا أقدر أن أكافيك على التماس » وقال بعضهم : « لو كنت اغتاب أحداً لا غتبت أمة فانها أولى بان تأخذ حسناتي

وَمِنْهَا النَّمِيمَةُ وَهِيَ تَبْلِيغُ كَلَامٍ يُقَالُ فِي حَقِّ الْغَيْرِ إِلَيْهِ وَهُوَ حَرَامٌ، فَوَرَدَ
 (هَمَّازٌ مَشَاءُ بَنَمِيمٍ) الْآيَةُ «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِشَرِّ أَرْكَمِ الْمَشَاوُنَ بِالنَّمِيمَةِ» وَالسَّبَبُ إِرَادَةُ
 الشَّرِّ فِي الْقَائِلِ أَوْ إِظْهَارُ حُبِّ السَّامِعِ أَوْ التَّفَرُّجُ بِالْحَدِيثِ فَعَلَى السَّامِعِ التَّكْذِيبُ

أَوْ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ : ﴿ وَمِنْهَا النَّمِيمَةُ وَهِيَ تَبْلِيغُ كَلَامٍ ﴾ أَيْ مَذْمُومٌ
 ﴿ يُقَالُ فِي حَقِّ الْغَيْرِ إِلَيْهِ ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِتَبْلِيغِ أَيْ إِلَى الْغَيْرِ وَهُوَ الْمَقُولُ فِيهِ كَأَنْ يَقُولَ فُلَانٌ كَانَ
 يَتَكَلَّمُ فِيكَ بِكَذَابٍ وَكَذَا ﴿ وَهُوَ حَرَامٌ ﴾ سِوَاهُ كَانَ التَّبْلِيغُ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا أَوْ كِتَابَةً أَوْ رَمَزًا أَوْ
 إِشَارَةً ﴿ فَوَرَدَ ﴾ فِي سُورَةِ ن ﴿ هَمَّازٌ ﴾ أَيْ عِيَابٌ أَوْ مُغْتَابٌ ﴿ مَشَاءُ بَنَمِيمٍ الْآيَةُ ﴾ وَهِيَ
 (مَنْعٌ لِلْخَيْرِ مَعْتَدًا نَبِيٌّ عَتَلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنٌ) وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ مَزْجُ بَيْنِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْوَصْفِ الذَّمِّ
 وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ﴿ أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِشَرِّ أَرْكَمِ الْمَشَاوُنَ
 بِالنَّمِيمَةِ ﴾ آخِرُهُ «الْمُفْرَقُونَ بَيْنَ الْأَخْوَانِ الْمُتَمَسِّكِينَ لِلْبِرِّ الْعَثَرَاتِ» وَفِي الصَّحِيحَيْنِ
 مِنْ حَدِيثِ حَذِيفَةَ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَامٌ» وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ «قَتَاتٌ» وَهُوَ النَّمَامُ قَالَ
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ «وَلَدَ الزُّنَا لَا يَكْتُمُ الْحَدِيثَ» وَأَشَارَ بِهِ إِلَى أَنْ كُلَّ مَنْ لَا يَكْتُمُ الْحَدِيثَ
 وَيَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ وَلَدُ زُنَا اسْتِنْبَاطًا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (زَيْنٌ) فَتَنَاهُ الدَّعَى، وَلِلْحَاكِمِ
 مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى «مَنْ سَعَى بِالنَّاسِ فَوَ لَغَيْرِ رَشْدِهِ أَوْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهَا» وَلِلطَّبْرَانِيِّ بِإِذْنِهِ
 «لَا يَسْعَى عَلَى النَّاسِ إِلَّا وَلَدُ بَغْيٍ وَالْأَمْنُ فِيهِ عَرَقٌ مِنْهُ» وَقَالَ تَعَالَى (حَمَالَةُ الْحَطَبِ) قِيلَ
 كَانَتْ نَمَامَةً حَمَالَةً لِلْحَدِيثِ، وَقَالَ تَعَالَى : (نَخَاتِنَا هَافِلٌ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنْ اللَّهِ شَيْئًا) قِيلَ
 كَانَتْ أَمْرًا لَوْ طُحْخِرَ بِالضُّيْفَانِ وَأَمْرًا نُوْحَ كَانَتْ تَحْزِيرَ بَنَاهُ بِجَنُونٍ ﴿ وَالسَّبَبُ ﴾
 أَيْ الْبَاعْثُ عَلَى ذَلِكَ ثَلَاثَةٌ ﴿ إِرَادَةُ الشَّرِّ فِي الْقَائِلِ ﴾ أَيْ قَصْدُ السُّوءِ بِالْحَكْمِيِّ عَنْهُ فَعَنْ
 أَبِي ذَرٍّ مَنْ أَشَارَ عَلَى مُسْلِمٍ كَلِمَةً لِيُشِينَهُ بِهَا بِغَيْرِ حَقٍّ شَانَهُ اللَّهُ بِهَا فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ أَبَى
 الدُّنْيَا وَالطَّبْرَانِيُّ، وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ إِمَارَ جُلَّ اشَاعَ عَلَى رَجُلٍ كَلِمَةً وَهُوَ مِنْهَا بَرٌّ لِيُشِينَهُ
 بِهَا فِي الدُّنْيَا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُشِينَهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ، وَلَعَلَّ الْحَدِيثَيْنِ مُقْتَبَسَانِ
 مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : (إِنَّ الَّذِينَ يَجْحَدُونَ أَنْ تُشَاعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) ﴿ وَإِظْهَارُ حُبِّ السَّامِعِ ﴾ وَهُوَ الْحَكْمِيُّ لَهُ وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ : لَوْ صَحَّ
 مَا نَقَلَهُ النَّحْوِيُّ لَكَانَ هُوَ الْمُجْتَرِئُ بِالشَّتْمِ عَلَيْكَ وَالْمَنْقُولُ عَنْهُ أَوَّلَى بِجَلْدِكَ حَيْثُ لَمْ يَقَابِلَكَ
 بِشَتْمِكَ ﴿ أَوْ التَّفَرُّجُ بِالْحَدِيثِ ﴾ أَيْ التَّنَزُّهُ بِحِكَايَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا ﴿ فَعَلَى السَّامِعِ التَّكْذِيبُ ﴾
 أَيْ تَكْذِيبُ قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَدَمُ قَبُولِهِ ، فَعَنْ مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ نَحْنُ نَرَى أَنْ قَبُولَ

لأنَّ النَّامَ فَاسِقٌ لَا يَقْبَلُ قَوْلُهُ، وَمِنْهَا التَّكَلُّمُ مَعَ كُلِّ مِنَ الْمُتَعَادِينَ بِمَا يُوَافِقُهُ

السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء
فاخبر به كمن قبله وأجازه ﴿لأنَّ النَّامَ فَاسِقٌ لَا يَقْبَلُ قَوْلُهُ﴾ لقوله تعالى : (يا أيها الذين
آمَنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيدوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)
وعلى السامع ان ينهاء عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال تعالى : (وأمر بالمعروف وانه
عن المنكر) وان يغيضه في الله وان لا يظن بأخيه الغائب السوء لقوله تعالى : (اجتنبوا كثيراً
من الظن) وان لا يحمله ما حكي له على التحقيق والتفحص لقوله تعالى : (ولا تجسسوا)
وان لا يرضى لنفسه بما صدر عن النمام في حقه فلا يحكي نميمته بقوله فلان قد حكي
لي كذا وكذا فيكون به نماماً ومتابواً يكون قد أتى بما عنه نهي، فقد روى كعب بن وهان
أصاب بني إسرائيل فحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما أجيب فأوحى الله
اليه اني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام وقد أصر على النيمة فقال موسى : يا رب
من هو حتى نخرجه من بيننا؟ فقال : يا موسى أنها كم عن النيمة وأكون نماماً فتابوا
بأجمعهم فسقوا » وقال الحسن : من نهم اليك نهم عليك، وروى عن عمر بن عبد العزيز انه دخل
اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئاً فقال له عمر : ان شئت نظرنا في أمرك فان كنت كاذباً
فانت من أهل هذه الآية (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وان كنت صادقاً فانت من أهل
هذه الآية (همان مشاء بنميم) وان شئت عفونا عنك فقال : العفو يا أمير المؤمنين لا أعود
اليه أبداً ، ومثله روى عن علي كرم الله وجهه « ان رجلاً أتاه يسعى اليه برجل فقال له :
يا هذا نحن نسأل عما قلته فان كنت صادقاً مقتناك وان كنت كاذباً عاقبتاك
وان شئت ان نقيك أفلناك فقال : أفلني يا أمير المؤمنين » فالسعاية قبيحة وان كانت صحيحة
وقد ذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال : ما ظنكم بقوم يحمد الصدق في كل
طبقة من الناس الا منهم وقد بلغ سعاية بعض الى أحد من العلماء فقال : الموت يعمنا
والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ، هذا قال تعالى
(ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون في الأرض) والنمام منهم وقال عليه
السلام « ان من شر الناس من اتقاء الناس لشره » متفق عليه من حديث عائشة ، والنمام
منهم ، وقال عليه السلام « لا يدخل الجنة قاطع » رواه الشيخان من حديث جابر بن مطعم
قيل أى قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وقيل قاطع الطريق والله ولي
التوفيق ﴿ ومنها التكلم ﴾ أى تكلم ذى اللسانين ﴿ مع كل من المتعادين بما يوافقه ﴾

فَهُوَ نِفَاقٌ فُورِدَ «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ فِي الْآخِرَةِ» وَمِنْهَا
الْمَدْحُ فَهُوَ يَضُرُّ الْمَادِحَ بِخَطَرِ إِسْرَارِ الْفَاسِقِ وَالرِّيَاءِ وَالْكَذِبِ، فُورِدَ «إِنْ كَانَ
لَا بَدَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مَادِحًا فَلْيَقُلْ أَحْسَبُ فَلَانًا» وَالْمَدْمُوحُ بِحُدُوثِ الْكِبَرِ
وَالْعُجْبِ، فُورِدَ فِيهِ

أَي تَكَلَّمَ كُلُّ وَاحِدٍ بِكَلَامٍ يُوَافِقُهُ (فَهُوَ نِفَاقٌ) أَوْ نَوْعٍ مِنَ النِّفَاقِ وَصَنَفَ مِنَ الشَّقَاقِ
(فُورِدَ) عَنْ عِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ مَرْفُوعًا (مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ
فِي الْآخِرَةِ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ، وَأَبُو دَاوُدَ بَسَنَدٍ حَسَنٍ بِلَفْظِهِ «مَنْ
كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ لِسَانَانِ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي الْأَحْيَاءِ،
وَفِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ «تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا الْوَجْهَيْنِ
الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءُ بِحَدِيثٍ وَهَؤُلَاءُ بِحَدِيثٍ»، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ «يَأْتِي هَؤُلَاءُ بِوَجْهِ
وَهَؤُلَاءُ بِوَجْهِ»، وَقِيلَ لِابْنِ عَمْرٍو: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى أَمْرَاتِنَا فَنَقُولُ الْقَوْلَ فَإِذَا خَرَجْنَا قُلْنَا
غَيْرَهُ قَالَ: كُنَّا نَعْدُ ذَلِكَ نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ
مِنْ طَرُقٍ وَاصِلَةٍ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ «إِنَّا لَنَكْشُرُ فِي وَجْهِهِ أَقْوَامٌ وَإِنْ قُلُوبُنَا
لَتَأْمَنُ مِنْهُمْ»، وَقَالَتْ عَائِشَةُ «اسْتَأْذِنَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: اسْتَأْذِنُوا لَهُ فَبُذِئَ
رَجُلُ الْعَشِيرَةِ هُوَ فَلَمَّا دَخَلَ الْآنَ لَهُ الْقَوْلُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَلَمَّا خَرَجَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ
قُلْتَ مَا قُلْتَ ثُمَّ أَلْتِ لَهُ الْقَوْلَ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ إِنْ شَرَّ النَّاسِ الَّذِي يَكْرَهُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (وَمِنْهَا الْمَدْحُ) وَهُوَ مَنُوعٌ عَنْهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ (فَهُوَ يَضُرُّ الْمَادِحَ)
إِذَا كَانَ الْمَدْمُوحُ ظَالِمًا أَوْ فَاجِرًا (بِخَطَرِ إِسْرَارِ الْفَاسِقِ) أَي فَرَحَهُ بِمَدْحِهِ فَلَا يَنْ
أَبَى الدُّنْيَا وَالبَّهْقَى مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ «إِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ إِذَا مَدَحَ الْفَاسِقُ» (وَالرِّيَاءُ)
فَإِنَّهُ بِالْمَدْحِ مَظْهَرٌ لِلْحُبِّ وَقَدْ لَا يَكُونُ مُضْمَرًا لَهُ وَلَا مُتَّفَقًا لِجَمِيعِ مَا يَقُولُهُ فَيَصِيرُ بِهِ
مَرَاتِبًا مُنَافِقًا (وَالْكَذِبُ) أَي حَقِيقَةُ أَوْ حِكْمًا حَيْثُ يَذْكُرُهُ بِالظَّنِّ وَقَدْ لَا يَكُونُ
مُطَابِقًا (فُورِدَ أَنْ كَانَ لَا بَدَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ مَادِحًا) أَي لِأَحَدٍ (فَلْيَقُلْ أَحْسَبُ فَلَانًا)
أَي كَذَا وَكَذَا أَنَّهُ صَالِحٌ أَوْ مُتَّقٍ أَوْ نَحْوَهُمَا (وَالْمَدْمُوحُ) أَي وَيَضُرُّ الْمَدْمُوحَ (بِحُدُوثِ
الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ) أَي وَالْفُرُورُ فِي قَلْبِهِ بِسَبَبِ مَدْحِهِ (فُورِدَ فِيهِ) أَي فِي ضَرَرِ الْمَدْمُوحِ
بِرَوَايَةِ الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ «إِنْ رَجُلًا مَدَحَ رَجُلًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ

«قَطَعْتُ عَنْقَ صَاحِبِكَ لَوْ سَمِعَ مَا أَفْلَحَ» وَلَوْ سَلِمَ عَنْهُ فَمَذُوبٌ إِلَيْهِ، فَرَدَّ «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا نَخَرُ» أَيُّ أَقْوَلِهِ أَتَمَّارًا لَا أَفْتَخَارًا لَوْ زَنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ الْعَالَمِ لَرَجَحَ * وَمِنْهَا التَّكْلُمُ بِالْمُنْهَى عَنْهُ كَالْحَلْفِ بِالْآبَاءِ

ويحك ﴿قَطَعْتُ عَنْقَ صَاحِبِكَ﴾ وزاد ابن أبي الدنيا ﴿لو سمع﴾ أي لو بلغه وقبله ﴿ما أفلح﴾ لحديث المملاك، وقال عمر رضي الله عنه: المدح هو الذبح ﴿ولو سلم﴾ أي المدح ﴿عنه﴾ أي عن الضرر ﴿فمذوب إليه فورداً أناسيد ولد آدم﴾ أي يوم القيامة كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة، وزاد الترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري والحاكم من حديث جابر وقال: صحيح الإسناد ﴿ولانخر﴾ وله من حديث عبادة بن الصامت «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا نخر» ﴿أي أقوله افتخاراً﴾ أي امتثالاً لأمره سبحانه (وأما بعمدة ربك فحدث) ﴿لا افتخاراً﴾ أي تفاخراً كما يقصده الناس بالثناء على أنفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبقربه في مقام أنسه لا بكونه مقدماً على أبناء جنسه ﴿لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان العالم﴾ وفي نسخة العالمين ﴿لرجح﴾ أي إيمان أبي بكر وغلب على إيمان غيره من غير الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين أخرجه ابن عدي في الكامل من حديث ابن عمر مرفوعاً ولفظه «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبي بكر» ورواه اسحاق بن زاهويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن عمر موقوفاً للترمذي وحسنه من حديث عقبة بن عامر «لو كان بعدى نبي لكان عمر بن الخطاب» ولا بن عدي عنه «لو لم أبعث فيكم لبعث عمر فيكم» وللدبلي عن أبي هريرة «لو لم أبعث لبعثت يا عمر» قال سفيان بن عيينة: لا يضر المدح من عرف نفسه وأثنى على رجل من الصالحين فقال: اللهم ان هؤلاء لا يعرفونني فانت تعرفني وقال على كرم الله وجهه لما أثنى عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيراً مما يظنون ﴿ومنها التكلم بالمنهى عنه﴾ أي من الأقوال الصادرة على لسان العامة وبعض الخاصة الناشئة عن الغفلة عن دقائق الخطأ في الكلام لاسيما فيما يتعلق بالله من ذاته وصفاته ﴿كالخلف بالآباء﴾ ففى الصحيحين من حديث عمر «أن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم» ولا بن عمر «من حلف بغير الله فقد أشرك» أحمد والترمذي والحاكم في مستدركه وفي رواية أحمد والبيهقي عن قتيلة بنت صفى «من حلف فليحلف برب الكعبة» وفيه تنبيه على أنه لا يجوز الحلف بالكعبة ولا بالمصحف ولا بالنبي

وَتَسْمِيَةِ الْعَنْبِ بِالْكَرَمِ، وَقَوْلُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَعَبْدِي وَأُمِّي وَرَبِّي
وَرَبِّي فَالْصَّوَابُ ثُمَّ شِئْتُ وَغُلَامِي وَجَارِيَّتِي وَسَيِّدِي وَسَيِّدَتِي وَنَحْوَهَا *

ولا بالامانة ونحوها (وتسمية العنب بالكرم) بفتح فسكون فروى الكرم قلب المؤمن،
وفي الصحيحين من حديث وائل بن حجر «لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم»
ومسلم من حديثه «لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبة» ولا في داود من حديث
أبي هريرة «لاية ولان أحدكم الكرم فان الكرم الرجل المسلم ولكن قولوا أحداثى الاعناب»
(وقوله ما شاء الله وشئت) لان في العطف المطابق بالواو تشريكا ونسوية في
الكلام وهو خلاف ما يوجب الاحترام فعن حذيفة «لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت
ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت» وقال ابن عباس «جادرجل الى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فكلمه في بعض الامور فقال ما شاء الله وشئت فقال عليه السلام اجعلتنى
الله عبد لقل ما شاء الله وحده» وفي صحيح مسلم من حديث عدى بن حاتم «خطب رجل
عند النبي ﷺ فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى
فقال عليه السلام قل : ومن يعص الله ورسوله فقد غوى» وفي الاحياء فكره قوله
ومن يعصهما لانه نسوية وجمع انتهى وفيه بحث لا يخفى، ولعل الاوجه ان يقال
العدول عن الاسمين الثريفين غير لائق وان كان المقام يقتضى الضمير اختصارا
ولله در القائل :

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع

ولهذا ورد في كثير آى القرآن ومن يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله (وعبدى
وأمتى وربى وربى) فعن أبي هريرة قال : «قال رسول الله ﷺ لا يقل أحدكم
عبدى وأمتى كلكم عباد الله وكل نساءكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفنائى
ولا يقول المملوك ربى ولا ربى ولكن ليقل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد والرب هو الله
سبحانه» رواه الشيخان (فالصواب) أى في مقام الخطاب (ثم شئت) بدل قوله وشئت
فكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل أعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول أعوذ بالله ثم بك ويجوز
ان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان (وغلامى وجاريتى) بدل عبدى
وأمتى (وسيدى وسيدتى) بدل ربى وربى (ونحوها) أى من الكلمات المنبهة
واللنسانى وابن هاجه من حديث بريدة باسناد صحيح «من قال أنا برىء من الاسلام

وَمِنْهَا سُؤَالُ الْعَامَّةِ عَمَّا يَتَعَذَّرُ إِدْرَاكَهُ كَسْرُ الرُّوحِ، وَحَقَائِقِ الصِّفَاتِ، أَوْ

يُضَرُّ كَسْرُ الْقَدْرِ *

فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام» فهذا وأمثاله مما يدخل في مذموم الكلام ولا يمكن حصره في هذا المقام، وقال ابراهيم: اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيامة: احارار يايتنى خلقة اخنزيرا رأيتنى خلقة، وعن ابن عباس «ان أحدكم يشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة، ولاحمد من حديث البراء «من سعى المدينة يثرب فليستغفر الله هي طابة هي طابة» ولأبي داود من حديث بريدة بسند صحيح «لا تقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد أسخطم ربكم» وكاروى «لا يقولن أحدكم زرعت ولكن ليقل حرثت» والحديث في الاكمال للسيوطي ولعله مقتبس من قوله: (أفرايتم ماتحرون أم تم تزرعونه أم نحن الزارعون) وكان يقول على فيه وفي نظائره بل أنت، وفي الحديث «لا يقل أحدكم خبت نفسي وليقل لقست» وفي الحديث «لا يقل أحدكم نسيت بل ليقل نسيت» ومنها سؤال العامة عما يتعذر ادراكه (أي حتى للخاصة) (كسر الروح) وقد قال تعالى: (قل الروح من أمرى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) والمعتقدان الارواح أجسام لطيفة تدخل في أشباح كثيفة وتخرج منها كما اخبر سبحانه عنها بقوله: (ارجعنى الى ربك راضية مرضية فادخلنى عبادى وادخلنى جنتى) وانما خلقت قبل الاجساد بخمسائة عام فهى حادثة غير قديمة خلافا للحكماء ومن تبعهم من الجهلاء (وحقائق الصفات) كحقيقة كلامه سبحانه، وكذا كنهه معرفة سمومه وبصره وسائر كمالاته وقد قال تعالى: (ولا يحيطون به علما) و (ليس كمثل شئ) فكل ما خطر ببالك فانه وراء ذلك، وقد قال عليه السلام: سبحانه لا احصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك أى من قوله (قل هو الله أحد) وسائر آيات الصفات من الجمالية والجلالية الدالة على كمال الذات (أوبضر) أى عما يضره ولولم يتعذر (كسر القدر) فانه بالنسبة الى الاغلب قد يتعسر فهو بحر عميق كم فيه من غريق ولا يخلص منه الا بان يقال فيه: (يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد) ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون قل لله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالى وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالى وانما شأن العوام الاشغال بالعمل بما فى القرآن والتسليم بما جاءت به الرسل من تفاصيل الاسلام والايمان، ولذا قال عليه

وَالْقَوْلُ بِالظَّنِّ وَهُوَ مَا تَغَيَّرَ بِهِ الْقَلْبُ فُورِدَ (اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ) الْآيَةَ إِلَّا إِذَا

أَخْبَرَ عَدْلًا وَعِلْمًا عَدَمُ الْعَدَاوَةِ وَحَامِلٌ آخَرَ فَيُعْذَرُ إِذَا تَكْذِيبُهُ سَوَاءُ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ

السلام: «ذروني ما تركتكم فإني ما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فأنهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» متفق عليه من حديث أبي هريرة، وقال أنس: «سأل الناس رسول الله ﷺ يوما حتى أكثروا عليه وأغضبوه فصعد المنبر فقال: سلوني فما تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به فقام إليه رجل فقال يا رسول الله من أبي فقال: أبوك حذافة فقام إليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من أبونا فقال: أبوكما الذي تدعيان إليه ثم قام إليه رجل فقال: يا رسول الله أفى الجنة أبي أو في النار فقال: لا بل في النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمسكوا فقام إليه عمر فقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً فقال: أحسنت يرحمك الله أنك ما علمت لموفق» متفق عليه، وفي الحديث «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن القيل والقال وإضاعة المال وكثرة السؤال» متفق عليه من حديث المغيرة، وعنه عليه السلام «يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا: هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فإذا قالوا ذلك فقولوا: الله أحد الله الصمد حتى تختموا السورة ثم لينقل أحدكم عن يسارة ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم»، والحاصل أن السؤال ينبغي أن يكون من أهل السكال فيما يكون من الضروريات في الاعتقادات والعبادات والمعاملات والله أعلم بحقائق الحالات ﴿وَالْقَوْلُ بِالظَّنِّ﴾ لاسيما في العقائد المتعلقة بالرب قال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنَىٰ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (وهو) أي القول بالظن أو نفس الظن ﴿مَا تَغَيَّرَ بِهِ الْقَلْبُ﴾ أي بسماعه عما كان به ويحصل التردد في بابه وإنما جوز في الفروع دون الأصول للضرورة في قلة المنقول ﴿فُورِدَ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ الْآيَةَ﴾ أي (ان بعض الظن اثم) ولما كان هذا الظن يشمل ما إذا بنى عليه خبر من موت أحد أو قدومه أو سفره أو أمر غيره استثنى بقوله ﴿إِلَّا إِذَا أَخْبَرَ عَدْلًا﴾ أي بالموت أو القدوم أو السفر ونحوه ﴿وَعِلْمًا عَدَمُ الْعَدَاوَةِ﴾ أي بالنسبة إلى الميت وأهله ﴿وَحَامِلٌ﴾ أي وعلم عدم باعث ﴿آخَرَ﴾ كالعضية في نسبه والدعوة إلى ملته ومذهبه ﴿فَيُعْذَرُ﴾ أي إذا أخبر عن ظن وقوعه ﴿إِذَا تَكْذِيبُهُ سَوَاءُ الظَّنِّ﴾ أي به وبكلامه ﴿وَالْتَجَسُّسُ﴾ عطف على القول بالظن

فَهُوَ هَاتِكُ السِّرِّ، فُورَدَ (وَلَا تَجَسَّسُوا) وَالْأَسْتِمَاعُ، فُورَدَ (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) «الْمُسْتَمِعُ شَرِيكَ الْقَائِلِ» وَفِيهِ هَيْجَانُ الْوَسَاوِسِ وَبَقَاؤُهُا فِي النَّفْسِ وَلَا اقْصَاصَ فِي نَحْوِ الْغِيَةِ وَالسَّبِّ وَالتَّجَسُّسِ لَا نُحْصَارُهُ عَلَى مُورَدِ الشَّرْعِ، وَوَرَدَ «إِنْ أَمْرُؤُ عَيْرِكَ بِمَا فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا فِيهِ» وَقِيلَ يُقَابَلُ بِمَا لَا كَذِبَ فِيهِ وَالْأَوَّلَى التَّرْكُ وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ لِحُرْمَةِ فِي الْأَشْعَارِ لِلْإِنْدَازِ وَالْحُرْمِ كُلِّ لَذَّةٍ وَلَا لِلْوِزْنِ

أَيُّ وَكَالتَفْحَصُ عَنْ حَقِيقَةِ الْأَمْرِ (فَهُوَ هَاتِكُ السِّرِّ) أَيُّ كَاشِفُهُ وَفَاضِيهِ فِي الْخَبَرِ (فُورَدَ) فِي سُورَةِ الْحَجَرَاتِ (وَلَا تَجَسَّسُوا وَالْأَسْتِمَاعُ) أَيُّ وَكَاسْتِمَاعِ الْقَوْلِ بِالْإِظْنِ (فُورَدَ) فِي سُورَةِ الْقَصَصِ (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ) تَمَامُهُ (وَقَالُوا إِنَّا أَعْمَانَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) (الْمُسْتَمِعُ شَرِيكَ الْقَائِلِ) لَمْ أَرَلَهُ أَصْلًا، وَفِي الْأَحْيَاءِ وَالْمَغْتَابِ وَالْمُسْتَمِعُ شَرِيكَانَ فِي الْأَتْمِ، وَلَمْ يُخْرِجْهُ الْعِرَاقِي، وَفِي الطَّبْرَانِيِّ مَرْفُوعًا نَهَى عَنِ الْغِيَةِ وَعَنِ الْأَسْتِمَاعِ إِلَى الْغِيَةِ (وَفِيهِ) أَيُّ فِي اسْتِمَاعِهِ (هَيْجَانُ) الْوَسَاوِسِ (أَيُّ ثَوْرَانِهَا) (وَبَقَاؤُهَا فِي النَّفْسِ) عَلَى طَرِيقِ الْهَوَاجِسِ (وَلَا اقْصَاصَ فِي نَحْوِ الْغِيَةِ) فَلَا مُخَالَصَ لِمَنْ يَقُولُ: إِنَّا اغْتَابَ النَّاسَ وَهُمْ يَغْتَابُونِي فَيَكُونُ الْمَقَاصَصَةُ فِي الدُّنْيَا دُونَ الْعَقَبِ (وَالسَّبِّ وَالتَّجَسُّسِ) مِنَ الْأَقْوَالِ الرَّدِيَةِ وَالْأَفْعَالِ الدُّنْيَا (لَا نُحْصَارُهُ) أَيُّ اقْصَاصَ (عَلَى مُورَدِ الشَّرْعِ) أَيُّ فِي النَّفْسِ وَالْأَطْرَافِ وَنَحْوِهَا مِنْ تَضْيِيعِ الْأَمْوَالِ فَيَقْتَصُّ بِالضَّرْبِ وَالْقَطْعِ وَالْقَتْلِ وَأَخَذِ الْأَمْشَالِ وَالْإِبْدَالِ (وَوَرَدَ أَنَّ أَمْرُؤَ عَيْرِكَ بِمَا فِيكَ) أَيُّ مِنَ الْخَصَائِلِ الذَّمِيمَةِ (فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا فِيهِ) أَيُّ فَانَّهُ لَا تَجُوزُ فِيهِ الْمَقَاصَصَةُ، وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مَحْذُورًا عَلَى التَّحْرِيزِ عَلَى مَا هُوَ الْأَوَّلَى مِنَ الْهَفْوِ (وَقِيلَ يُقَابَلُ) أَيُّ نَحْوِ الْغِيَةِ وَمَا عَظَفَ عَلَيْهِ (بِمَا لَا كَذِبَ فِيهِ) لَظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) (وَالْأَوَّلَى التَّرْكُ) لِقَوْلِهِ (فَنَ عَنِّي وَأَصْلَحَ فَاجِرُهُ عَلَى اللَّهِ) وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَأَنْصِرْ صَبْرًا لِمَا خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) (وَالْتَحْقِيقُ) فِي سَمَاعِ الْأَبْرَارِ (أَنَّ لِحُرْمَةِ فِي الْأَشْعَارِ) أَيُّ فِي نَفْسِهَا مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَمَّا فِيهَا فَإِنَّ الشَّعْرَ كَالشَّرِّ كَلَامُ صَرِيحٍ حَسَنِهِ حَسَنٌ وَفِيهِ حَقِيقَةُ بَيْعِ (الْإِنْدَازِ) أَيُّ لَا يَحْرَمُ لِأَجْلِ التَّلَذُّبِ (وَالْحُرْمِ كُلِّ لَذَّةٍ) يَلْتَذُّ مِنْهَا كَالْمَاءِ الْجَارِيِ وَالْخَضِرَةِ وَنَحْوِهَا وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِحُرْمَتِهَا (وَالْوِزْنِ)

وَالْأَلْحَرَمَ سَمَاعُ صَوْتِ الْعَنْدَلِيبِ وَالْقَمْرَى فَهُوَ مَوْزُونٌ لَتَنَاسِبَ مَطَالَعَهُ
وَمَقَاطَعَهُ وَلَا لَفْهَمَ وَلَا لَحْرَمَ كُلِّ مَفْهُومٍ هَذَا وَالشَّعْرُ كَلَامٌ وَالْأَنشَادُ مَا ثَوَّرَ

أى ولا يحرم بمجرد التقابل والتعادل بين الكلمتين أو الجملتين أو المصراعين (والألحرم سماع صوت العندليب) أى المسمى بالبلبل المعبر عنه بالهزار ستان فان انغامها بلغت الالف فى الاشجار والبستان (والقمرى) وكذا الفاخنة والحمامة واغرب من الكل الطوطى المسمى بالدرة التى تنفصح حتى تقرأ الآية والسورة وتتكلم بما وقع فى البيت من أمور الضرورة طبق ما وقع فى المعنى والصورة (فهو) أى صوتهما ونحوهما (موزون) أى متلائم بينى أوائله وأواخره (لتناسب مطالعته ومقاطعته) أى مبادئه وما يشعر بتناهي (ولاللفهم) أى ولا يحرم لمجرد فهم الكلام من الصوت فى ذلك المقام (والألحرم كل مفهوم) من المرام ولم يقل به أحد من الاعلام (هذا) أى مضى أوخذ هذا أو الأمر هذا (والشعر كلام) أى كسائر الكلام من حيث هو مباح فى أصل الأحكام (والأنشاد ما ثور) وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه مروى ومنشور فكان عليه السلام ينقل الابن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول هذا الجمال لا جمال خير هذا أبرر بنا وأظهر

رواه البخارى فى قصة الهجرة من رواية عروة مرسلًا قال ابن شهاب ولم يبلغنا فى الأحاديث أنه عليه السلام نطق ببيت شعر تام غير هذا البيت، وفى الصحيحين من حديث أنس يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقول اللهم انه لا خير الاخير الاخير الآخرة فانصر الانصار والمهاجرة، قال العراقى: وليس البيت الثانى موزونًا يعنى باعتبار المصراع الاول فتأمل وفى رواية «اللهم ان العيش عيش الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة» وفى الصحيحين أيضًا أنه قاله فى حفر الخندق بلفظ «فبارك فى الانصار والمهاجرة» وفى رواية فاغفرو وفى رواية لمسلم فاكرم، ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين والانصار» وللبخارى تعليقاً وأبى داود والترمذى والحاكم متصلان حديث عائشة «كان عليه السلام يضع لسان منبراً فى المسجد يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأينافح ويقول رسول الله ﷺ ان الله يؤيد حسنا بروح القدس ما نافع أو فاجر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» قال الترمذى حسن صحيح، وقال الحاكم صحيح الاسناد؛ ولمسلم من حديث عائشة انشاد حسان:

هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء فشر كما لحـير كما الفداء
القصيدة ، وانشاد حسان أيضا :

وان سنالمجد من آل هاشم بنوبنت غزوم والذك العبد
وللبخارى انشاد ابن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه اذا انشق معروف من الفجر ساطع
الآيات ، وللترمذى في الشرائع انشاده أيضا بين يدي رسول الله ﷺ حين دخل مكة :
خلوا بني الكفار عن سيده اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خيلـه
وللبخارى في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب من حديث النابغة قال : أنشدت
النبي صلى الله عليه وآله وسلم شعرا فقال : أحسنت لا يفضض الله فاك ، وفي الصحيحين
عن عائشة « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وعك أبو بكر
وبلال وكان بها وباء فقلت يا أبت كيف تجدك وبابلال كيف تجدك فكان أبو بكر
إذا أخذه الحى يقول :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله
وكان بلال إذا أقامت عنه الحى يرفع عقيرته أى صوته ويقول :

ألا ليت شعرى هل آيتن ليلة بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يدون لى شامة وطفيل

وهما جبلان بمكة قالت عائشة « فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بذلك فقال : اللهم حبب اليها المدينة كحبنا مكة أو أشد وانقل حماها فاجعلها فى
الجحفة » ومن انشاد عائشة :

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الاجرب
وللترمذى من حديث جابر بن سمرة « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم يتناشدون الاشعار وهو يتبسم » وللبخارى فى دلائل النبوة « أن النساء انشدن
عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا مادعا لله داع
وأما ذكر السطوح والدف والالخان كما ذكره فى الاحياء فما لا أصل له كما
صرح به مخرجه ، وفى الجملة اشعار بفرح قدمه وسرور قدومه عليه السلام الى ذلك

وَالنَّهْيُ لِلتَّجَرُّدِ لَهُ فَهُوَ اشْتِغَالٌ بِمَا لَا يَعْنِيهِ، فَوَرَدَ «لَاَنْ يَمْتَلِئَ بطنُ أَحَدٍ كُمٍ قِيحًا حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرَ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شَعْرًا» وَتَضَمَّنَهُ فُحْشًا وَهَجَاءٌ وَافْتِرَاءٌ كَنَظْمُ الْكُفَّارِ وَالْمُبْتَدِعَةِ وَيَجُوزُ هِجَاؤُهُمْ فَعَلَهُ حَسَنٌ وَأَمْرٌ بِهِ وَالتَّوَسُّعُ فِي الْمَدْحِ إِنْ وَجَدَ الْوَصْفُ الْمَذْكُورُ فِي الْمَمْدُوحِ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِكَذِبٍ لِفَقْدِ قَصْدِ اعْتِقَادِ صُورَتِهِ

المقام، ومن هذا القبيل قوله عليه السلام: «أني لا أدري بفتح خير أفرح أم بقدم جعفر»، ولمسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال: «أنشدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم مائة قافية من قول أمية بن الصلت في كل ذلك يقول هيه هيه أي استزادة ثم قال إن كاد في شعره ليسلم، ففس الانشاد والسماع جائزان بالاجماع، ولأبي داود الطيالسي عن أنس: «كان يحدى له في السفروان أنجشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال فقال عليه السلام يا أنجشة رويدك سوفك بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب في زمانه عليه السلام واصحابه الكرام وما هو الا أشعار تؤدي باصوات طيبة والحان موزونة» (والنهي) أي عن الشعر (للتجرد له فهو اشتغال بما لا يعنيه فورد لان يمتلئ بطن أحدكم قيحًا) أي صديداً (حتى يريه) بفتح فكسر من وري ورياً كرمي رمياً أي يفسده (خير له من أن يمتلئ شعراً) رواه أحمد وأصحاب الكتب الستة (وتضمنه) عطف على التجرد أي وتضمن الشعر (فحشاً) من الكلام (وهجاء) أي ذم لآحد من أهل الاسلام (وافترأ) أي في مقام المرام (كنظم الكفار والمبتدعة) في ذم المسلمين وأهل السنة والجماعة (ويجوز هجاؤهم) أي ابتداء وانتهاء (فعله حسن وأمر به) كما تقدم، ففي الصحيحين من حديث البراء «أنه عليه السلام قال لحسان: اهجم أو هاجهم وجبريل معك» وقد قال تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون) الا الذين آمنوا وعلو الصالحات وذكروا الله كثيراً واتصروا من بعد ما ظلموا (والتوسع) أي وتجاوز المبالغة (في المدح ان وجد الوصف المذكور في الممدوح) أي في الجملة (لانه ليس بكذب) أي حيثئذ بل مبالغة وتسامح لاسيما في الشعر (لفقد قصد اعتقاد صورته)

وَتَوَارِثِ اسْتِمَاعِ الْمُبَالَغَاتِ بِلَا نَكِيرٍ وَوَصْفِ نَحْوِ الْحَدِّ وَالْقَدِّ وَالصُّدْغِ
عَلَى الْأَقْرَبِ إِنْ لَمْ يُحْمَلْ عَلَى مُعَيَّنَةٍ سِوَى أَمْرَاتِهِ وَأَمْتِهِ أَوْ اسْتِعَارِ الْعَارِفِ سَوَادِ
الصُّدْغِ لظُلْمَةِ الذَّنْبِ وَبَيَاضِ الْحَدِّ لِنُورِ الطَّاعَةِ وَالْوَصَالِ لِلْقَائِنَةِ تَعَالَى وَالْفِرَاقِ

أى صورة الكذب وحقيقته ﴿ وتوارث استماع المبالغات ﴾ أى وتواتر استماعها
في اشعار العرب وغيرهم ﴿ بلا نكير ﴾ أى بلا انكار على قائلها ومنشدها بل عد
الكذب من مستحسّنات الشعر كما قيل « أكذب الشعر أحسنه » ويشير اليه قوله تعالى:
(والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا
يفعلون) وقد سبق التسامح في الذنوب أيضا اذا أريد به المبالغة مثل مائة مرة وألف مرة
ويراد به الكثرة، ونظير هذا قولهم: ليك وسعديك في اطلاق الشبهة وقصد التكرير
والتكثير كقوله تعالى: (ثم ارجع البصر كرتين) ومن هذا الثبيل أيضا قوله تعالى:
(ان تستغفر لهم سبعين مرة) فانه لم يرد به حقيقة العدد اذ لا مفهوم له عند أرباب
الوصول بل أريد به الكثرة هنا بدليل آية أخرى (سواء عليهم أستغفرت لهم أم
لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) ﴿ ووصف نحو الحد ﴾ وجاز نعت نحو الوجه والوجه
من البياض والحرمة ﴿ والقَدِّ ﴾ أى القامة باعتدالها في جمالها وكماهاه (والصدغ)
أى الشعر المتدلى على الوجه المسمى بالزلف (على الاقرب) أى جاز ما ذكر على
القول الاقرب الى الصواب أو الانسب في بيان الرخصة المحتاج اليها في هذا الباب،
وقيل : لا يجوز مطلقا وان وجد التفصيل الآتي وهو قوله: ﴿ ان لم يحمل ﴾ أى صاحب
الحد والقَدِّ وكذا السامع ﴿ على معينة سوى امراته وأمته ﴾ وذلك كمن يعشق
زوجته أو سريته فيصنف الى غنائها لتضاعف لذته في لقائه وهذا إذا كان السامع
أو المغنى في بيته واما اذا كان في مجلس من جماعته فلا يجوز له ذكر امراته ولا
جاريته، وكذا لا يجوز ان يحمل على امرد صبيح الوجه بخصوصه مطلقا ﴿ او
استعار ﴾ أى جاز ما تقدم ان استعاره (العارف) بالبحار والحقيقة والصريح
والكناية (سواد الصدغ لظلمة الذنب) وهو جنس المصيبة الناشئة من ظلمة الغفلة
﴿ وبياض الحد لنور الطاعة ﴾ وسرور الحالة ﴿ والوصال ﴾ وفي معناه الوصل والاتصال
﴿ للقائنه تعالى ﴾ أى في دار البقاء أو مقام الفناء (والفرق) وكذا الحداء والانفصال

لِلْحِجَابِ وَنَحْوَهَا وَالنَّظْرُ إِلَى الْأَثَرِ فِي الْمُنْتَفَى بِهِ عَلَى الْأَقْرَبِ قَدْ دُوبٌ إِنْ شَوْقٌ إِلَى الْحَجِّ وَالْغَزْوِ إِنْ كَانَ قُرْبَةً بِخِلَافٍ مَا إِذَا لَمْ يَجِبْ أَوْ الْإِبْوَانُ لَا يَأْذَنَانِ أَوْ غَلَبَ الْهَلَاكُ فِي الطَّرِيقِ وَنَحْوَهُ أَوْ حَزَنَ عَلَى التَّقْصِيرِ فِي الدِّينِ كَالْمُرَوِّى عَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا أَنْشَدَهُ الْوَعَاظُ عَلَى الْمَنَابِرِ

هـ (للحجاب ونحوها) هـ من أنواع العذاب هـ (والنظر) هـ مبتدا هـ (الى الاثر) هـ أى اثر التأثير هـ (فى المنتفى به) هـ من الشعور وغيره ففيه تفصيل هـ (على الاقرب) هـ أى بناء على القول الاقرب وقد قيل لا عبرة بالنظر الى التأثير بل هو حرام مطلقا (فندوب) خبر أى فستحب سماعه ومطلوب لكن بشروط بينها بقوله (أن شوق) أى المنتفى به (الى الحج أو الغزوان كان أى أحدهما) (قربة) أى واجبا (بخلاف ما إذا لم يجب) بأن لم يوجد شرائط وجوب الحج (أو الابوان لا ياذنان) فإنه عذر فى التأخير على القول بالتراخي فى الحج (أو غلب الهلاك فى الطريق) أى براو بحرا (ونحوه) من فقدان سائر شروط الاداء وفى الاحياء ومن الغناء المباح غناء الحجيح فانهم يدورون أولا فى البلاد والطلب والشاهين والغناء وهو جائز لأنها أشعار نظمت فى وصف الكعبة والمقام وزمزم والحرم وسائر المشاعر العظام ووصف البادية وغيرها من الامور الكرام وتأثير ذلك تهيج الشوق الى بيت الله واشتعال نيرانه ان كان ثمة تشوق حاصل أو استتارة الشوق بكل ما يشوق اليه محمودا (أو حزن) أى ان أوقع المنتفى به حزنا وتأسفا (على التقصير فى الدين كالمروى عن داود عليه السلام) وقد ورد فى معرض المدح لداود عليه السلام أنه كان حسن الصوت فى النياحة على نفسه وفى تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطيور لسماع صوته، وكان يحمل من مجلسه أربع مائة جنازة وما يقرب من ذلك فى تلك الحالة ، وفى الحديث فى مدح أبى موسى الاشعرى «لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود» وقد تقدم وذكر فى تفسير قوله تعالى : (يزيد فى الخلق ما يشاء) هو حسن الصوت، وقد قرئ بالحاء المهملة، وقد ورد الله أشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قيته، وقوله تعالى : (ان أنكر الاصوات لصوت الخمر) يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن وهذا أمر مجمع عليه، وفى الاحياء ان الطائر كانت تقف على رأس داود عليه السلام (وما) أى وكما (أنشده الوعاظ على المنابر)

أَوْ أَكَّدَ حُبَّهُ تَعَالَى مُبَاحٌ إِنْ أَكَّدَ السُّرُورَ فِيمَا يُبَاحُ فِيهِ تَالْعِيدِ وَالْعُرْسِ
وَالْوِلَادَةِ وَالْحَتَانِ وَحَفِظَ الْقُرْآنَ فَهُوَ مَأْثُورٌ أَوْ شَوْقٌ إِلَى الْإِخْوَانِ أَوْ الْمَرْأَةِ
أَوْ الْأَمَةِ حَرَامٌ إِنْ شَوْقٌ إِلَى الزَّنا أَوْ حَزَنٌ عَلَى الْمَوْتِ وَالْبَلَايَا، فَوَرَدَ (كَيْلًا
تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ)

من نظم أو شمس جمع من الترغيبات والترهيبات في الحج والعمرة ونحوهما (أو أكد)
أى ان زاد المتغنى به (حبه تعالى) بذكره والتأمل في أمره والاشتغال بفكره فانه
مندوب في كل من التشويق والتحزين (مباح) أى مستوطر فاه لا ثواب ولا عقاب (ان
أكد) المتغنى به (السرور) والفرح (فما يباح فيه كالعيد والعرس والولادة) أى أولها
(والحنين وحفظ القرآن) أى تمامه، وكذا اجتماع الاخوان في بعض الزمان للطعام
والكلام وكذا قدوم بعض الاصحاب من السفر لما تقدم وتقرر (فهو مأثور) أى
مذكور عن السلف والخلف بل عن النبي ﷺ أما العيد ففي الصحيحين عن عائشة
«ان أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جارتان في أيام منى تدفقان وتضربان
والنبي صلى الله عليه وآله وسلم متغش بثوبه فاتتهما أبو بكر» وفي رواية قال «مزامير
الشیطان فكشف النبي عليه السلام عن وجهه فقال: دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد
قلت: وكان يوم عيد تلعب فيه السودان بالدرق والحراب فانا سألت رسول الله
ﷺ أوقال أماتشتين تنظرين؟ فقلت: نعم فقامنى وراءه وخدى على خده ويقول:
دونكم أى افعلوه يا بنى ارفدة حتى اذا ملك قال: حسبك قلت نعم قال فاذهبي» وفي
صحيح مسلم «فوضعت رأسى على منكبه فجعلت أنظر الى لعنهم حتى كنت أنا التى
انصرفت» وأما العرس فقد تقدم حديث «أعلنوا بالنكاح واضربوا عليه بالدف»
وفي معناه الولادة والختان وما يؤيد الولادة والختان ذبح العقيقة وهو لأصحاب الطريقة
في الحقيقة واما حفظ القرآن فهو أكبر سرورا وأعظم نورا (أو شوق) المتغنى به
(الى الاخوان) من الأحياء الانتقاء في القرية أو البلدان (أو المرأة أو الامة) من
غير تعينهما للاجنبى فانه حيثئذ مباح (حرام ان شوق) المتغنى به (الى الزنا) أو توابعه
(أو حزن) المتغنى به (على الموتى) أى فيحصل به الجزع والفرع (والبلايا) أى على
البلايا المقدمة (فوردد) فى الحديد (كيلا) وفى التنزيل لكيلا (تأسوا على ما فاتكم)

وَأَدْنَى رُتَبِهِ الْإِسْتِمَاعُ لِلشَّهْوَةِ وَهُوَ بِنَفْخِ الشَّيْطَانِ ثُمَّ لِلتَّلْهِى بِمَجْرَدِ النَّغْمَةِ
وَالْمُوَاطَّاةِ عَلَيْهِ ذَنْبٌ*

تمامه (ولا تفرحوا بما آتاكم) بالمد والقصر، وفي آل عمران (لئلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم) (وأدنى رتبة) أي مراتب التفتى وسماعه (الاستماع للشهوة) ويحرم حيثن سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب لانه لا يسمع وصف نحو الحد والقدر والوصل والهجر الاويحرك ذلك شهوته وينزله على صورة معينة وفق لذته، ولذلك سئل حكيم عن العشق؟ فقال : دخان يصعد الى دماغ انسان يزيله الجماع ويهيج السماع (وهو بنفخ الشيطان) المنافي لنفخ الرحمن فلا دليل على من حديث على « كان ابليس أول من ناح وأول من تغنى » ولابن أبي الدنيا والطبراني عن أبي أمامة ومارفع أحد عقيرته بغناء الابعث الله اليه شيطانين على منكبيه يضران على أعقابهما بصدره حتى يمسك » (ثم للتلهى) أى الاشتغال (بمجرد النغمة) وهو المعنى بقوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) الآية (والمواطاة عليه) أى من غير تخل التوبة لديه (ذنب) أى عند الكل من العلماء والصوفية من الصلحاء، وهذا محمل لكلام الأئمة المجتهدين من الفقهاء فقد حكى القاضى أبو الطيب الطبرى عن أبي حنيفة . ومالك . والشافعى . وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا استدل بها على أنهم رأوا تحريمه قال: وقال الشافعى فى كتاب أدب القضاء : ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته ، وقال الشافعى صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته؛ قال وحكى عن الشافعى : انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن قال : وأما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له أن يردّها وهو مذهب سائر أهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده، قال وأما أبو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذا سائر أهل الكوفة وسفيان الثورى وحماد و ابراهيم النخعى والشعبي وغيرهم انتهى كلام الطبرى ، ويؤيده ماورد من الاحاديث فى ذم القينة -وهى الجارية المغنية- فللطبراني من حديث عائشة « ان الله حرم القينة ويبيعها وثمنها وتعليمها، ويقويه ما رواه أبو داود عن نافع » كنت مع ابن عمر فى طريق فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه ثم عدل عن الطريق ولم يزل يقول يا نافع

ثُمَّ لَتَرَوْحِ النَّفْسَ قَطْعًا لِلْمَلَلَةِ مِنَ الْعِبَادَةِ ثُمَّ لِمُقَابَلَةِ حَالِهَا فِي الْمَعَامَلَةِ

مَعَهُ تَعَالَى

اتسمع ذلك ؟ حتى قلت لا فاخرج أصبعه ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «رواه أبو داود» وعن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا «الغناء يثبت النفاق في القلب كما يثبت الماء البقل» رواه البيهقي ، ولابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى ابن كثير مرسل ما امتلأت دار منها حبرة الامتلات عبرة ، والحبرة الغناء ومنه قوله تعالى (في روضة يحبرون) أى يغنون أو يسرون ومر على ابن عمر قوم محرمون وفيهم رجل يتغنى فقال الا لا أسمع الله لكم الا لا أسمع الله لكم وقال الشبلي السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة أى ومحنة ، وأما ما نقل أبو طالب المكي اباحة السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين كعبد الله بن جعفر وابن الزبير ومعاوية وغيرهم فاما يحمل على سماع ليس فيه شيء من الغناء كسماع القرآن وأشعار العرب ولو بالالخان وأما على أنه مذهبهم المختار عندهم فان المسألة خلافية لا اجماعية وفعلهم ليس بحجة عند غيرهم فكذا ماروى عن بعض المشايخ الصوفية ، وقد ذكرت هذه المسألة في رسالة مستقلة وقد رأيت رسالة منسوبة الى الشيخ أحمد الغزالي أخو حجة الاسلام محمد الغزالي متضمنة لتكفير منكر السماع بادلة سخيفة ظاهرة الفساد وأفتية ضعيفة ماله عند الأئمة رواج وكساد ، هذا وقد يكون مراد المصنف ان التلهى صغيرة والمواظبة والاصرار على الصغيرة كبيرة وقد يراد ان التلهى مباح والمواظبة على المباح قد تصير كبيرة كما اذا دام على الطبل طول الايام أو تبع الحبشة في رقصهم على الدوام « ثم لترويح النفس » أى لراحتها وازاحة تعبها « قطعاً للمللة » والسآمة « من العبادَةِ » كما يجرى ويسرى في العادة لأهل الارادة وهى للعابدين « ثم لمقابلة حالها » أى حال النفس ومقامها « في المعاملة معه تعالى » من تحصيل مرادها ، وهذا حالة العارفين وفيها خطر باعتبار تمامها ودوامها ، وتحقيق ذلك ان الاناء يترشح بما يكون فيه سواء صاحبه يوافقه أو ينافيه فالسماع يشبه الخمر في اخراج ما في الباطن وبه يعرف ما في القلب من خوف ورجاء وقلق وسكون وشوق وذوق ونشاط وانبساط فيقابل المريد حال نفسه في المعاملة مع ربه فاذا كان في باطنه خوف يظهر معه آثاره من نحو البكاء والحزن والحزن واذا كان رجاء يتبين أنواره من الفرح والسرور ويقال الحضور ، ومن هنا قال أبو سليمان :

وَيَشْتَرُطُ رَعَايَةَ السَّنَةِ بِالْحُلِّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ تَعَالَى ثُمَّ لِحَبِّهِ تَعَالَى فَقَطُّ وَهُوَ لِمَنْ
فَقِيَ عَنْ حُظُوظِ نَفْسِهِ وَغَابَ عَمَّا سِوَاهُ حَتَّى عَنْ شُهُودِهِ مَعَهُ أَيْضًا وَمِنْهُ تَوْلَدَ الْوَجْدُ
وَهُوَ مَا صَادَفَ الْقَلْبَ مِنْ شَوْقٍ وَخَوْفٍ وَحُزْنٍ وَقَلَقٍ وَيُجَدِّى نَقَاءَ الْقَلْبِ
وَحُصُولَ الْعِلْمِ وَالْمُكَاشَفَةَ وَرُبَّمَا لَا تَمُكِّنُ الْعِبَارَةُ عَنْهُ كَمَا عَنِ الْفَصَاحَةِ وَالْمَلَاَحَةِ

السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما فيه (ويشترط رعاية السنة)
أى الشريعة الغراء والطريقة الزهراء (بالحل) أى بحمل الاستماع (على ما يليق به
تعالى) أى على وجه الكمال ففى يياض الخد ونحوه يتذكر صفات الجمال وفى الزلف
ونحوه يتفكر فى نعوت الجلال (ثم لحبه تعالى فقط) أى مع قطع النظر عن لوازمه
وتفصيل مكارمه (وهو) أى هذا المقام (لمن فنى عن حظوظ نفسه) أى بالسكينة
(وغاب عما سواه) أى عن خطوط غير الله تعالى (حتى عن شهوده معه أيضا) المبرر عنه
بالقناء عن الغناء وذلك فانه مهمافنى عن نفسه فهو من غيره أفنى فكأنه فنى عن كل شئ
الا عن الواحد المشهود ، وفنى أيضا عن الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود
والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود كالسكران لا خبر له عن سكره
وهو نهاية مقام العارفين فى حال البقاء ، وقد يعبر عن هذا بمقام اللقاء ولكن هذا
كالبرق الخساطف من ظهوره فى عالم السماء فان دام لا تطيقه القوة البشرية
(ومنه) أى ومن حبه تعالى (تولد الوجد) أى حصول الذوق ووصول الشوق
(وهو) أى الوجد (ما صادف القلب) أى وجد القلب (من شوق) أى الى الله
ورضاه (وخوف) أى من حجابيه وسخطه (وحزن) أى تأسف على ما فات
(وقلق) أى اضطراب فى حال آت (ويجدى) من الاجدء أى يفيد الوجد
(نقاء القلب) أى طهارته عن السوى من كمال الصماء (وحصول العلم) أى زيادته
المقرونة بالحلم (والمكاشفة) وهى العلم بالله وصفاته الماخرة وبأحوال الآخرة
(وربما لا تمكّن العبارة عنه) أى اذا كان متعلقا بالذات أو بكنه الصفات (كما عن
الفصاحة والملاحة) فانهما من المعانى الدقيقة يعجز التعبير عنها ولو بالمبانى الرشيدة
ثم لا يبعد ان يكون السماع سبب الكشف بما لم يكن مكشوفًا قبل الاستماع فان للكشف
أسبابا ولفتحه أبوابا منها التنبه والسماع تنبيه للنبيه، ومنها تغير الأحوال ومشاهدتها

وَالْتَوَاجِدُ مَذْمُومٌ لِلرَّيَاءِ لَا لِقَصْدِ الْوُصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ لَوْ رُودَ «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ مَنْ يَقْرَبُنِي إِلَى حُبِّكَ» وَمَا سَبَقَ مِنَ التَّبَاكِي فِي التَّلَاوَةِ وَمُشَاهَدَةِ دَوَامِ إِفْضَاءِ ذِكْرِ الشَّيْءِ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ وَالْفِكْرِ فِي فَضَائِلِهِ إِلَى عَشْقِهِ حَتَّى يَمْتَنِعَ الْخَلَاصُ عَنْهُ

في الاقوال والافعال وادراكها نوع علم يفيد ايضاح أمور لم تكن معلومة قبل ذلك من الاحوال، ومنها انبعاث وانبساط ونشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان قصر عنه دركه كما يقوى الجمل على الحمل بحيث يطلع على الجمل بسبب سماع الحداء بأنواع الغناء، وحمل القلب استكشاف جماله وملاحظة أسرار الملكوت وأنوار الجبروت طبق جماله ووفق جلاله، ومنها الصفاء وهو سبب الكشف لأرباب الوفاء وهذا نوع أسباب وفتح أبواب ورفع حجاب أي بمثل الحق لعبده في لفظ منظوم لقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف أو بالالهام أو في صورة مشاهدة منزهة عن صورة الانام والسماع شبكه للحق يصيد به الخلق هذا وكما يسمع صوت الهاتف عند سماع القلب يشاهد أيضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لأرباب القلوب بصور مختلفة، وفي مثل هذه الحالة تتمثل الملائكة للأنبياء اما على حقيقة صورتها أو على مثال يحاكي صورتها بعض المحاكاة (والتواجد) أي التكلف في الوجد واظهاره من غير تحصيل القصد (مذموم للرياء) لتعلقه برؤية الخلق (لأن قصد الوصول إلى الحقيقة) أي حقيقة الوجود لتعلقه برؤية الحق وذلك (لورود اللهم ارزقني حبك) يحتمل الاضافة الى الفاعل والمفعول لذا حق في قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) وكذا قوله (وحب من يحبك وحب من يقربني الى حبك) أي من القول والعمل وغير ذلك، والحديث قد ذكر (وما سبق) أي ولورود ما تقدم (من التباكي) أي ومدحه وهو التكلف بالبكاء (في التلاوة) أي في فصل التلاوة وذلك للتشبه باهل البكاء من الأنبياء والاولياء حال القراءة «ومن تشبه بقوم فهو منهم» (ومشاهدة دوام إفشاء ذكر الشيء) أي ايصاله واتصاله (والنظر اليه) في اختلاف أحواله (والفكر في فضائله) وما يترتب عليه من تحسين آماله (الى عشقه) متعلق بإفشاء أي بانجراره الى محبته ومودته (حتى يمتنع الخلاص عنه) أي عن

وَحَقُّهُ أَنْ لَا يَكُونَ الْمُسْتَمْعُ مِنْ حَرَمِ النَّظَرِ إِلَيْهِ إِلَّا لِلشَّيْخِ الْإِمَامِ عَلَى نَفْسِهِ
كَأَنَّ فِي قُبْلَةِ الصَّائِمِ وَلَا آلَةَ مَزْمَارًا فَهُوَ شَعَارُ أَهْلِ الشُّرْبِ حَرَمٌ تَبَعًا لِحَلْوَةِ
الْأَجْنَبِيَّةِ وَالنَّظَرِ إِلَى خُذْهَا وَلَآئِهْ يَذْكُرُهُ كَالْمَرْفُوتِ وَالْحَتَمِ

تفكره وتذكره ولو تكلف بالدفع في تضرره (وحقه) أى حق السماع وواجبه (ان
لا يكون المستمع) أى المغنى (من حرم النظر اليه) كالنسوان والمردان (الشيخ)
أى الكبير الفاضل (الآمن على نفسه) أى من الشهوة (كفاي قبلة الصائم)
من التفصيل بين الآمن وغيره وقال القاضي أبو الطيب استماعه من المرأة التى ليست
بمحرمه له لا يجوز عند أصحاب الشافعى بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء سترة
وسواء كانت حرة أو مملوكة انتهى ، ولعل وجهه أن صورة العورة عورة لا تحل الا
للضرورة ولا يخفى أن الامرء الحسن الوجه خطره أقوى فانه عند الشيطان أشهى
وللخلق أغوى حتى قال النووي : ان النظر اليه حرام ولو بلا شهوة ، وأما قول الغزالي :
« ان صوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء في زمن الصحابة يكلمن
الرجال في السلام والاستفتاء في الاحكام والمشاورة في الكلام فمحمول على أن
الضرورات تبيح المحظورات (ولا الآلة) أى ولا تكون آلة الغناء (مزماراً) ركذا
طبل الكوبة أو تاراً وهذا يجمع عليه لانه من شعار الاشرار ، وأما نصب الراعى فيختلف
فيه فاباحه الرافعى وحرمه النووي من اتباع الشافعى وصرح علماؤنا بان الدف مباح
في محله اذ لم يكن له جلال في طرفيه لان اباحته وقعت على خلاف القياس فيقتصر
على موردده وقال يزيد بن الوليد : اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه
لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لابد فاعلين لجنبوه النساء فان الغناء
داعية للزنا : (فهو) أى الغناء باعتبار أصله (شعار أهل الشرب) في مجلسه (حرم
تبعا) أى لحرمة شرب الخمر فانه قد يفضى الى فساد الامر وينجر الى مباشرة الشر
(كحلوة الأجنبية) لانها مقدمة الجماع (والنظر الى خذها) لاتصاله بالسوءتين
ثم انهما حرامان لالذاتهما بل تبعا لحرمة الزنا اذ هما قد يكونان وسيلتين الى فعله
(ولانه) أى الغناء المذموم (يذكره) أى الشرب ويفكره (كالمرقت) بتشديد الفاء
المنفوحة أى ظرف المقير (والحنتم) أى الظرف الأخضر ونحوهما من الدباء والنقير
فان الشرع حرم استعمال هذه الاشياء ولذا أمر بكسر دنان الخمر وظروفها تبعا

وَفِيهِ التَّشْبَهُ بِأَهْلِ الشُّرْبِ كَمَا فِي الْاجْتِمَاعِ لِلسَّمَاعِ وَإِحْضَارِ الْأَلَاتِ وَنَصَبِ
السَّاقِ فِي إِدَارَةِ السَّكَنْجَبِينَ بِخِلَافِ نَحْوِ الدَّفِّ وَالطَّبْلِ وَلَا الْمُنَغْنِي بِهِ قُرْآنًا إِذْ لَا يَجُوزُ
فِيهِ مَدٌّ مَقْصُورٌ وَقَصْرٌ مَمْدُودٌ لِتَوَافُقِ الصَّوْتِ

لحرمة الخمر تغليظاً في أمرها ثم أحلها بعد بعد المدة، وفيه أنه أسيح هذه الأشياء بخلاف
آلات الغناء فهو حجة على مبيح مطلق السماع من العناء فالسمع حينئذ حرام كقليل
الخمر وإن كان لا يسكر لانه يدعو الى السكر وما من حرام الاوله حريم يطيف به حكم
الحرمة لا ينسحب على حريمه ليسكون حى للحرام ووقاية له واطاراً مانعاً حوله كما
ورد «ان لكل ملك حى وإن حى الله محارمه» (وفيه) أى ويقع فيما اذا كانت الآلة
مزمارة (التشبه بأهل الشرب) «ومن تشبه بقوم فهو منهم» حتى حرم تشبه الرجال
بالنساء كعكسه وحتى قيل تترك السنة اذا صارت شعار أهل البدعة، ثم قال في الاحياء:
بل للتشبه بأهل الفساد ينهى عن لبس القباء في بلاد صار فيها من لباس الاجناد ولا
ينهى عن ذلك في ما وراء النهر لاعتقاد أهل الصلاح من الزهاد والعباد قال: فلهذه
المعاني حرم المزمارة العراقي والاوتار كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها وأما
ماعدا ذلك فليس في معناه كالشاهين للرعاة والحجيج وشاهين الطبايين وكالطبل
والقصب سوى ما يعتاده أهل الشرب فانه اذا ارتفع علة المشابهة بقى على أصل الاباحة
(كما) أى كالتشبه (في الاجتماع للسمع واحضار الآلات ونصب الساقى) أى
المناول (في ادارة السكنجبين) ونحوه من اللبن والماء والقهوة الحادثة المصنوعة من
البن وقشره فانه اذا اجتمع قوم في مجلس والساقى على قاعدة يدور بكأس واحد على
جماعته واحداً بعد واحد وفق عادته فانه يحرم السكنجبين وأمثاله للتشبه (بخلاف نحو
الدف) بضم الدال ويفتح (والطبل) أى طبل الحج والغزو، وأما طبل السكوبة
فحرام لانه من شعار الفسقة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين ولعل
هذين لم يكونا من شعار أهل الشرب في زمنه عليه السلام أو في أيام المصنف أو ذكره
تبعا للغزالي لجوازهما في مذهبه، وأما اذا كانا من شعار أهل الفسق فينبغى أن يقال
بحرمتهم للتشبه فان العلة مشتركة (ولا المنغني به قرأنا إذ لا يجوز فيه) أى في القرآن (مد
المقصور وقصر الممدود) أى في الجمع عليهما وهما لازمان في اللغنى المندوم (لتوافق
الصوت) عليهما أى بالالحن الفسقية والانغام الموسيقية والا فالصحابة الكرام تبعوا الله

وَلَا النَّهْيُ عَنْ آيَةٍ لَا تُوَافِقُ السَّمْعَ كَأَحْكَامِ الْمَعَامَلَاتِ وَالْحُدُودِ

عليه السلام كانوا يأمرون في مجلس سماعهم أن يقرأ واحد بصوت حسن ما تيسر من القرآن عملاً بقوله عز وجل: (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) وقد أخبر الله سبحانه عن حال الأنبياء بقوله (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) وعن حال الأولياء من الأصفياء (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا) إلى قوله (يكونون يزيدهم خشوعا) وفي الصحيحين «إن ابن مسعود قرأ على النبي عليه السلام بأمره فلما انتهى إلى قوله (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال حسبك الآن ورأيت عينيه تذرفان أي تسيلان دما» ولمسلم من حديث ابن عمر أنه قرأ (إن تعذبهم فإنهم عبادك) فبكى، ولابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب أنه قرأ عنده (إن لدينا أنكالا وججيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما) فصعق أي بكى بصوت، ولابن داود والنسائي والترمذي في الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير «أنه كان يصلي وأصدره أزيز كأزيز المرجل» وأما حديث اختصاص علي وجعفر وزيد بن حارثة في حضانة ابنة حمزة فقال لعلي: أنت مني وأنا منك فنجل وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي فنجل وقال لزيد: أنت اخونا ومولانا فنجل» الحديث فرواه أبو داود من حديث علي وهو عند البخاري دون ذكر النجمل وعلى تقدير صحته فالمراد به إظهار الفرح والسرور بما وقع من المدح في الحضور وإن كان النجمل في أصله نوعا من الرقص وهو على رجل واحد فلا ينبغي أن يحمل عليه لقولهم الرقص نوع من النقص، وما أبعد من استدلال على جواز الرقص على الدوام بهذا الحديث الذي وقع ندرة من الصحابة الكرام في مجلسه عليه السلام مع عدم كونه نصا في مقام المرام وقد ورد «ليس منا من لم يتغن بالقرآن وزينوا أصواتكم بالقرآن وزينوا القرآن بأصواتكم» (ولانهي) أي وإنما قلنا: إنه لا يجوز أن يكون المتغنى به قرآنا إذ لا يجوز فيه مد المقصور إلى آخره ولا يجوز النهي (عن آية) أي عن قراءتها حيث (لا توافق السامع) بالنسبة إلى ماله من الحالات والمقامات (كأحكام المعاملات والحدود) في باب السياسات، وهذا لقصور فهم السامع عن الآيات البيّنات وما يتضمنها من اللطائف والاشارات، وأما العارف فيلاحظ هذه المعاني من جميع المباني كما قاله سبحانه (فبشر

عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) وأما الموحّد فينظر الى كلام ربه كأنه يسمع منه فانياً عن غيره فيكون قلبه مطمئناً بذكره ومشتغلاً به فكره كما قال تعالى (الابذ كرا لله تطمئن القلوب) وقال (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) وقال (إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وقال (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) ومن المقرر أن القرآن أفضل الذكر لاشتماله على ذكر الله باعتبار توحيد ذاته وأنواع صفاته وأصناف حكوماته واجناس أخباره من مبدأ مخلوقاته ومنتهى مصنوعات فالطمانينة وكذا الاقشعرار والخشية ولين القلب والوجل والخشوع من ذكر الله وسمع عمر رجلاً يقرأ (إن عذاب ربك لو اقع ماله من دافع) فصاح صيحة وخر مغشياً عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريراً شراً وروى ان زرارَةَ بن أبى أوفى من التابعين كان يؤم الناس بالركة فقرأ ليلة (فاذا نقر في النافور) فصعق ومات في محرابه، وسمع الشافعى قارئاً يقرأ (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) فغشى عليه وكان السبلى في مسجده ليلة من رمضان وهو يصلى خلف أمام له فقرأ الامام (ولكن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) فزعق السبلى زعقة ظر الناس أنه قد طارت روحه وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب وسمع رجل من أهل التصوف قارئاً يقرأ (يا أيها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية) فاستعادها من القارىء وقال كم أقول لها ارجعى فليست ترجع وتواجد فزعق زعقة فخرجت روحه وسمع على بن الفضيل قارئاً يقرأ (يوم يقوم الناس لرب العالمين) فسقط مغشياً عليه وسمع بكر بن معاذ قارئاً يقرأ (وانذرهم يوم الآزقة) فاضطرب ثم صاح وقال ارحم من أنذرته ولم يقبل اليك بطاعتك بعد الانذار ثم غشى عليه وسمع ابراهيم بن آدم احداً يقرأ (اذا السماء انشقت) فاضطربت أوصاله وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل في الفرات فر به رجل على الشط يقرأ (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات وقال بعض الصوفية كنت ليلة أقرأ هذه الآية (كل نفس ذائقة الموت) فجعلت أرددها فاذا هاتف يهتف بي كم تردد هذه الآية فقد قتلت أربعة من الجن لم يرففوا رؤسهم الى السماء منذ خلقوا وقال أبو على المغازلى للسبلى ربما يطرق سمعى آية من كتاب الله فاجدنى على الاعراض عن الدنيا ثم أرجع الى أحوالى والى الناس فلا أبقي على ذلك فقال ما طرق سمعك من القرآن فاجتذبك اليه فذلك عطف منه عليك

وَلَا يَجُوزُ ضَرْبُ الْيَدِ وَالذَّفِّ وَيَتَنَفَّى شَاغِلٌ مِنَ الزَّمَانِ كَوَقْتِ الصَّلَاةِ وَالطَّعَامِ
وَالْمَكَانِ كَالشَّارِعِ وَمَا فِيهِ صُورَةٌ قَبِيحَةٌ أَوْ رَاحَةٌ كَرِيهَةٌ ، وَالْإِخْوَانِ كَالْمُتَكَبِّرِ

ولطف منه بك وإذا ردك الى نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك التبرى من الحول والقوة في التوجه اليه ، وبالجملة لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن وذكر الرب فان كان القرآن لا يؤثر فيه أصلاً فمثله (كمثل الذي ينقض بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون) (ولا يجوز) أى حيثئذ وهو حال كون المتنفى به قرآناً (ضرب اليد والذف) لان القرآن حق محض فلا يقرن بصورة اللهو كما يشير اليه قوله تعالى (أفن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون) أى مغنون ويدل عليه قوله سبحانه (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) وقوله عز وجل (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) ثم في معنى القرآن كل ما يكون من ذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما يفعله بعض من مشايخ الدين من الجمع بينهما منكر ظاهر لكن خفى على جماعة بحيث يحسبه العامة أنه طريق الصوفية وقد يجتهدون على مثله في المسجد وفي المقبرة وفي الاسواق ومحاضر العشاق والله ولى دينه وناصر دين نبيه وزماننا هذا زمان السكوت وملازمة البيوت لظهور أهل الفساد وغلبة أهل العناد والله رؤف بالعباد وما يؤيد ما قدمنا أنه في البخارى ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جواريفتين فسمع احدها تقول وفيما نبي يعلم ما في غد فقال عليه السلام دعى هذا وقولى ما كنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها الى انشاء الذى هو لهُ لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فالفاعلون للجمع بينهما يصدق عليهم قوله سبحانه (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عمل الصالحين) وآخر شيئا عسى الله أن يتوب عليهم) (ويتنفى) عطف على أن لا يكون أى وحق السماع أن يتنفى فيه (شاغل) للخطر مما ينافيه (من الزمان كوقت الصلاة والطعام) أى حضوره (والمكان) أى وشاغل من المكان (كالشارع) أى الجادة والاسواق (وما فيه صورة قبيحة أو راحة كريهة) فانهما منفرتان للطبيعة المستقيمة ولتبعد الملائكة عنهما (والايخوان) أى وشاغل من الاخوان الحاضرين (كالتكبر

الْمُحْتَاجِ إِلَى رِعَايَتِهِ ، وَالْمُتَكَلِّفِ الْمَشْوَشِ بِالرَّقْصِ وَخَرَقِ الثَّوبِ وَالْمُتَزَهِّدِ
الْمُفْلِسِ فِي الْبَاطِنِ وَعَدِيمِ الذَّوْقِ فِي السَّمَاعِ وَالْجَاهِلِ الْحَامِلِ عَلَى مَا لَا يَلِيقُ بِهِ
تَعَالَى وَالْمُلُوثِ قَلْبَهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا وَالشَّهْوَةِ وَالْمُتَلَهِّىِّ بِالنِّعْمَةِ وَيَصْنَعِي بِالْحُضُورِ ،
وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْجَوَانِبِ وَوُجُوهِ الْمُتَغَنِّينَ وَيَشْتَغِلُ بِنَفْسِهِ بِرِعَايَةِ قَلْبِهِ وَمَافَتْحِ عَلَيْهِ
وَيَجْلِسُ عَلَى هَيْئَةِ الْمُتَأَمِّلِ الْمُسْتَغْرِقِ وَيَحْتَرِزُ عَمَّا يُشَوِّشُ

المحتاج الى رعايته) خصوصا اذا كان من ذوى الجاه والحكومة (والمتكلف) أى
من الفقهاء حيث تكلف فى حضوره (المشوش) فى خاطره (بالرقص) بناء على قول
بعض السوفية أيضا الرقص من النقص (وخرق الثوب) فانه من ضيق الحال وعدم
اتساع المجال مع ما فيه من تضيق المال أو المتكلف المتواجد من أهل التصرف المرائى
بالوجد والرقص وتمزيق الثياب وقد قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب
والسنة فهو باطل ، وروى أن موسى عليه السلام وعظ فى بنى اسرائيل فمزق واحد
منهم ثوبه فاوحى الله الى موسى عليه السلام قل له مزق قلبك ولا تمزق ثوبك
(والمتزهّد) أى المتكلف عن الزهد عن الدنيا والرغبة الى العقبى (المفلس فى الباطن)
عن محبة المولى (وعديم الذوق فى السماع) بان لا يكون فى طبعه لذة وشوق الى الاسماع
وقد عد هذا أضل من البهائم فانه حول محسوساته هائم (والجاهل الحامل على ما لا يليق به
تعالى) فان الصحبة قد تؤثر فى الباطن قبل الظاهر (والملوث قلبه بحب الدنيا) وهذا
يستغنى عنه بقوله والمتزهّد وإنما ذكره لاستيعاب الانواع المحذورة فى مجلس السماع
(والشهوة) أى وبحب ما يشتهى من المحمّدة والثناء (والمتلهى بالنعمة) أى
الاشتغل بمجرد النعمة وما به يتلهى (ويصنعى بالحضور) أى وحق السماع ان يستمع
بحضور القلب المفيد للسرور ونفى الخاطر المحذور (ولا يلتفت الى الجوانب) أى
ولا ينظر الى الداخل والخارج من الاقارب والاجانب (ووجوه المتغنين) لانه من
أبواب الفتور المانع عن الحضور الحاصل بسماعهم وكلامهم لا بملاحظة وجوههم
ومقامهم (ويشغل نفسه) وما يجب عليه من مقام أنسه (برعاية قلبه) عند ذكره
(ومافتح عليه) من كشف لبه (ويجلس على هيئة المتأمل) فى الكلام (المستغرق)
فى المقام من لجة التغريد وبحر التوحيد (ويحترز عما يشوش) أى عليه وعلى غيره

كَالسَّعَالِ وَالتَّثَاؤُبِ وَالمُنْكَرَاتِ كَضَرْبِ اليَدِ وَتَحْرِيكِ الْأَطْرَافِ وَالرَّقْصِ
وَحَرْقِ الثَّوْبِ إِلَّا إِنْ صَارَ مَغْلُوبًا بَحِثْ لَا يَعْلَمُ بِفَعْلِهِ أَوْ لَا يُطِيقُ الْأَمْتَنَاعَ عَنْهُ
لَطَرِيَانِ نَحْوِ هِيَّةٍ أَوْ إِجْلَالٍ أَوْ حَيَاءٍ فَيَعْذُرُ كَمَا غَلَبَ عَلَى عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَامَ
الْحَدِيدِيَّةِ وَيَوْمَ مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حِمَةَ الدِّينِ حَيْثُ أَنْكَرَ الصَّلَاحَ وَالصَّلَاةَ عَلَى
جَنَازَتِهِ وَالدُّعَاءَ وَالْقِيَامَ لَهُ عَلَى قَبْرِهِ

ان امكن له (كالسعال والتثاؤب) وكذا العطاس فانها من الشيطان (والمنكرات
كضرب اليد) أى على طبق الغناء (وتحريك الاطراف) أى التى هى مقدمة الرقص
المعبر عنه بالوجد (والرقص) نفسه وهو بالقيام ونحوه (وخرق الثوب) أى قطعه
ورميه (الا ان صار مغلوبا) على عقله (بحيث لا يعلم بفعله أو) أى ان كان مجذوبا
(لا يطيق الامتناع عنه لطريان نحو هية) أى عظمة الهية (أو اجلال) أى
خوف مع خشية ربانية (أو حياء) من نعم واردة على تواتر زمانية (فيعذر) أى
في هذه الحالات عن مخالفة ظاهر الشريعة من المنكرات (كما غاب على صرر رضى الله
عنه عام الحديبية) بالتخفيف أفصح (ويوم مات عبد الله بن أبى) رئيس المناهقين
(حية الدين) فاعل غلب أى حمايته ورعايته بحسب ما ظهر له من حسن رأيه وفق
عادته (حيث أنكر الصلح) أى عام الحديبية فقال عمر : كما فى صحيح البخارى « فانيت
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله ألسنت نبى الله حقا قال بلى قال ألسنا
على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم تعطى الدنيا فى ديننا اذا قال انى رسول
الله ولست أعصيه وهو ناصرى » قال العلماء لم يكن سؤال عمر وكلامه المذكور شكابل
طلبا لكشف ما خفى عليه من الأمر وحثا على اذلاله الكفار ، وظهور الاسلام
وعز أهله الأبرار كما عرف فى خلقه وقوته فى نصرة الدين واذلال المبطلين (والصلاة)
أى وأنكر عمر الصلاة (على جنازته) أى على جنازة ابن أبى (والدعاء) أى فى
الصلاة وغيرها (والقيام له على قبره) حيث هم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفعل
هذا كله وقد وافق قول عمر حكم الله حيث نزل (ولا تصل على أحد منهم مات
أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) ولعل همه عليه
السلام كان لظاهر ما كان يبدى من الاسلام أولئالف ولده فانه كان فى انقياد الاحكام

وَأَبَى طَيْبَةً حَيْثُ شَرِبَ دَمُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْحِجَامَةِ لَكِنَّهُ ضَرَبَ تَقْصِيرَ
جَلَّ قَدْرُ ذِي الْكَمَالِ عَنْهُ لَا سِيَّمَا الْأَنْبِيَاءَ فَهُمْ أَصْحَابُ شَرَائِعَ مَكْمُولُونَ وَيُسَاعِدُ
الْإِخْوَانَ فِي الْقِيَامِ وَرَفَعَ الْعِمَامَةَ إِنْ كَانَ مُعْتَادًا فَالْمُخَالَفَةُ مُوحِشٌ وَالْإِسْرَارُ
بِالْمُسَاعَدَةِ فِيمَا لَمْ يَنْهَ عَنْهُ وَصَارَ

ومنع عمر لما كان يترشح من أبي آثار الكفر والظلام (وأبى طيبة) رضى الله عنه
أى وكما غلب على أبى طيبة حب الاسلام (حيث شرب دمه عليه السلام بعد
الحجامة) تبركا بما برز من باطنه عليه السلام والحديث رواه الدارقطنى وقال
حسن صحيح ه وقد وقع شرب بوله ودمه عن جماعة من الصحابة الكرام ولم ينكر
عليهم بل نسب الخير اليهم فقال لواحد صحبة ولاحر لم يمسك النار وقد بسطت
عليه الكلام فى سيرته عليه السلام، وقد قال جماعة من العلماء للشافعية: ان
فضلاته عليه السلام طاهرة وأنه من خصوصياته ظاهرة وهو قول امامنا الاعظم
والله أعلم، ومن ذلك ما روى ابن حبان «أن غلاما كان فى بنى اسرائيل على جبل
فقال لأمه من خلق السماء فقالت الله فقال من خلق الأرض فقالت الله فقال من
خلق هذه الغنم قالت الله فقال انى اسمع الله تعالى شأنا ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع»
وهذا كأنه سمع مادل على جلال الله وعظمته وتعام قدرته فطرب لذلك ورمى
بنفسه من هنالك وفى الاحياء «رايت مكتوبا فى الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وازمرنا لكم
فلم ترقصوا» أقول المعنى يينا لكم الترغيب والترهيب فلم تمسكوا وشوقنا بذكرنا وتفكرنا
فلم تفتنوا (لكنه) أى وصف المغلوبة (ضرب تقصير) أى فيه نوع قصور منه
(جل قدر ذوى الكمال عنه لا سيما الانبياء) وكذا ورثهم من العلماء وأتباعهم من
الاولياء (فهم أصحاب شرائع) أى حقيقة وحكا (مكمولون) أى كاملون فى أنفسهم
مكمولون لغيرهم لقول عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم يدعى فى الملكوت عظيما
أى فينبغى أن يكون فى الملك كريما (ويساعد) أى وحق السماع أن يعاون (الاخوان
فى القيام) فى المجلس (ورفع العمامة) عن الرأس اذا سقطت عمامته (ان كان)
أى التعاون (معتادا) فيما بينهم (فالمخالفة موحش) أى بعدا الحضور (والاسرار)
مبتدا أى وادخال السرور (بالمساعدة فيما لم ينه عنه) أى نهيا صريحا (وصار

مُعْتَادًا بَعْدَ عَصْرِهِمْ حَسَنَةً وَإِنْ كَانَ بَدْعُهُ وَيَخْفَى بِهِ لَثَلًا يَقْتَدِي الْعَوَامُّ بِهِ وَيُظْهِرُ الْمَنَعُ
فَهُوَ يَضُرُّ لِلْعَانَةِ عَلَى الْهَوَى وَيَتَخَلَّفُ الْكَامِلُ الْمَعْرِفَةُ وَالْحُجَّةُ لِلِاسْتِغْنَاءِ
عَنِ الْمَحْرُكِ الْخَارِجِيِّ

معتادا بعد عصرهم أي بعد انقضاء زمان السلف و انتهاء الأمر الى الخلف (حسنة)
خبر المبتدأ أي مستحسن لما روى عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا «مارآه المسلمون
حسنا فهو عند الله حسن» ولقوله عليه السلام «خالفوا الناس باخلاقهم» رواه
الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (وان كان) أي ما ذكر (بدعة) أي في
نفس الأمر والأولى عدم حضور ذلك المجلس لثلا يحتاج الى خطر الخطير فقد قال
تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان) فاجتناب التعاون
على المباح أقرب الى النجاح وعدم الجناح لاسيما وقد قال عليه السلام «من أحدث
في أمرنا ما ليس منه فهو رد» أي مردود وقال «كل بدعة ضلالة فعليك باتباع السنة
وترك البدعة» نعم البدعة المحذورة ما تزامم السنة الماثورة ولم يقع نهى عن الصور
المذكورة (ويخفى به) أي وحق السماع بالنسبة الى المقتدى أن يخفى بالسماع (لثلا
يقتدى العوام به) في جواز مطلق الاستماع وعموم أنواع السماع (ويظهر المنع)
أي للعوام (فهو يضر) الأكثر (للعانة على الهوى) أي لغلبة هوى النفس حتى على
المبتدئين من المريدين (ويتخلف الكامل المعرفة) أي في لبه (والحجة) لربه
عن مجالس التفتي والسماع في غالب أمره (للاستغناء) أي لاستغناء الكامل في مقام
الفناء والبقاء (عن المحرك الخارجى) من سماع الغناء لما أشار اليه الصديق حيث
رأى الأعراب يقدمون ويسمعون القرآن فيكون فقال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا
أي اشتدت وقويت لتحمل ما نزل بنا وقيل للجنيذ ما بالك تركت السماع فقال (وترى
الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وقال بعضهم صحبت سهل بن عبد الله
ستين سنة فما رأيته تغير عند شيء كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان في آخر
عمره قرأ رجل بين يديه (قال يوم لا يؤخذ منكم ندية) الآية فرأيته قد ارتعد وكاد
يسقط فلما عاد على حاله سأله عن ذلك فقال نعم يا حبيبي ضمعتنا وكذلك سمع مرة
قوله تعالى (الملك يومئذ الحق للرحمن) فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من أصحابه
وقال قد ضعفت قليل وان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال لا يرد عليه

إِلَّا بَنِيَّةُ الْأَسْرَارِ بِالمُسَاعَدَةِ وَتَعْلِيمِ ضَبْطِ الْجَوَارِحِ مَعَ كَيْلِ الْحَالِ ، وَالْأَسْلَمُ
الاجْتِنَابُ عَنْ مُطْلَقِ السَّمَاعِ لِمَسْكَانِ الْاِخْتِلَافِ وَنَدْرَةِ تَحَقُّقِ الشُّرُوطِ لِدَقَّةِ
مَكَايِدِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ *

وارد الا وهو يتلعه بقوة حاله ، وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم
اذ فضل العلم اتم من الوجد (الابنية الاسرار) أى ادخال السرور فى قلوب أصحاب
مجلس التغنى بشروطه (بالمساعدة) فى الموافقة وترك المخالفة بالمساعدة (وتعليم) أى
والابنية تعليم (ضبط الجوارح) من الاقوال والافعال (مع كمال الحال والاسلم)
فى جميع الاحوال والاقوال (الاجتناب عن مطلق السماع) ولو بشروطه مع
الاصحاب (لمسكان الاختلاف) أى فى هذا الباب والصوفى طريقه اختيار
الغزينة دون الرخصة والخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع ومنه السماع
المشهور فى الاسماع (ونادرة تحقق الشروط) فى غالب مجالس الاستماع (لدقة
مكائد النفس) أى هو اجسها (والشيطان) يحملها على وساوسها ، وما أحسن قول
الحصرى ماذا أعمل بسماع ينقطع اذا مات من يسمع منه اشارة الى أن السماع من الله
هو الدائم فالانبياء وكل الاولياء فى لذة السماع على الدوام فلا يحتاجون الى تحريك
كلامهم ، وقال بعض المشايخ الكرام ليتنا نجونا من هذا المماع رأسا برأس . وقال
أبو القاسم النصر ابادى لابي عمرو بن نجيد أنا أقول اذا اجتمع القوم فيكون منهم
قوال يقول خيرا من ان يغتابوا فقال أبو عمرو الرباء فى السماع وهو أن ترى من نفسك
حالا ليس فيك شر من أن تغتاب ثلاثين سنة

فهرست

صفحة	صفحة
والاحاديث النبوية والآثار المروية	٣ خطبة مؤلف الكتاب
٢٦ بيان أن من حق علم المعاملة العمل به	٦ كلام الامام جعفر الصادق في تفسير قوله تعالى «في مقعد صدق»
٢٧ ذكر ماورد في ذم ترك العمل من الكتاب والسنة	١٢ حصر الكتاب في عشرين بابا
٢٩ آداب المعلم والتعليم	١٤ «المقدمة في العلم»
٣٣ بيان ما هو علم التصوف وذكر أقوال علماء السلف في ذلك	١٥ تقسيم العلم الى علم المكاشفة وعلم المعاملة
٣٥ فرض العين مقدم على فرض الكفاية وبيان مايسوغ له من فروض الكفاية	١٥ تفسير علم المكاشفة
٣٧ آداب المناظرة وصفات المناظر المقبولة	١٦ تفسير علم المعاملة
٣٩ التمسك بالأصول الثلاثة الكتاب والسنة والاجماع	١٧ الدليل على ان علم المعاملة مقدم على علم المكاشفة
٤١ سبب تزعزع عقيدة المتكلم المشتغل بالظن دون العلم المتقن	١٨ الدليل على أن علم المعاملة لا ينفك عن علم المكاشفة
	١٩ ماورد في فضل العلم والعلماء
	٢١ بيان حقيقة المعاملة
	٢٣ بيان ما هو العلم المطلوب للشخص
	٢٤ بيان ماورد في فضل التعلم والتعليم من الآيات القرآنية

صفحة	صفحة
٤٢	بيان أن على الانسان أن يبعد
عن ورود الشبهة والهووى	
والوسوسة	
٤٣	كلام علماء السلف والخلف
في علم الكلام	
٤٧	على الشخص أن يتمسك في
الفروع بالمجمع عليه أو المتفق عليه	
بين الأئمة الاربعة المجتهدين ثم	
يأخذ بالاحوط ثم الاوثق دليلا	
ثم قول من ظن أنه أفضل	
٤٨	ما ورد في فضل أى حنيفة
مؤسس المذهب وذكر بعض	
مناقبه وأحواله	
	(الباب الاول في الورد)
٥٥	تفسير الورد وبيان أنواع العبادة
المطلوبة من المكلف	
٥٦	ذكر أشياء من حق الصلاة
٥٧	تساهل الصحابة رضى الله عنهم
في الظاهر	
٦٠	مشروعية الوضوء بعد أشياء
ذكرها المصنف على مذهبه	
٦١	كيفية الطهارة
٦٣	مشروعية اعفاء اللحية وبيان حدها
وما كان عليه الصحابة رضى الله	
عنهم في ذلك	
٦٥	بيان ما يجتنبه الانسان عند
وضوئه	
٦٦	المواضع التى يشرع فيها السواك
٦٧	مشروعية المحافظة على الجماعة في
أقرب المساجد	
٦٨	بيان آداب الصلاة
٦٩	بيان أن الامامة أفضل من الأذان
٧٠	ينبغي أن تراعى الأعمال الباطنة
في الصلاة وهى ستة	
٧٢	مشروعية الاجتهاد في قطع
العلاق التى تعوق المصلى في	
صلاته	
٧٦	أقوال العلماء فيمن يصلى وقلبه
غير حاضر	
٧٨	الاولياء يكاشفون في الصلاة
على حسب الصفاء	
٧٩	من أنواع الورد قراءة القرآن
٨١	بيان الاحزاب المروية عن
الشارع	
٨٣	مشروعية قراءة الأوراد من
القرآن الحكيم	
٨٧	مشروعية تحسين الصوت
بالقراءة	
٨٩	مشروعية تدبر الآيات عند
تلاوتها والتأمل في معانيها	
٩٠	بيان أن للقرآن ظهرا وبطنا
٩٢	التشديد على من فسر القرآن برأيه
٩٤	آداب تلاوة القرآن
٩٦	مشروعية الصلاة على النبي ﷺ
والاكثر منها	

صفحة	صفحة
٩٧ من الاوراد المزوية الاذكار	١١٤ فضل قراءة القرآن في قيام
الثابتة عن الرسول ﷺ	الصلاة متديرا
٩٨ مشروعية الدعاء و بيان أنه	١١٥ فضل الاشتغال بالعلم وأنه
مع العبادة	أفضل من صلاة ألف ركعة
٩٩ من حق الدعاء أن يتصد به	وبيان ما المراد به
فضائل الأوقات وبيانها مفصلة	١١٦ مشروعية المداومة على الاوراد
١٠١ مشروعية استقبال القبلة ورفع	وان قلت
اليدين في الدعاء	١١٧ بيان أوراد الليل
١٠٢ مشروعية افتتاح الدعاء	١٢١ مشروعية الاجتهاد في قيام الليل
بالتحميد والصلاة على النبي صلى	وبيان حال السلف في ذلك
الله عليه وآله وسلم والختم بهما	١٢٢ بيان أن المعين على القيام تسعة
١٠٣ اجتناب الجهر والخافتة في الدعاء	اشياء وسردها مفصلة
١٠٤ النهي عن تكلف السجع في	١٢٤ يستحب مراعاة فواضل الليالي
الكلام وما ورد في ذلك	والايام وبيانها مفصلة
١٠٤ مشروعية التضرع والخفية	١٢٦ ما ينبغي فعله في يوم الجمعة
في الدعاء	١٢٨ ما ورد في فضل البكور
١٠٥ مشروعية رجاء الاجابة	١٣٤ مشروعية المحافظة على الرواتب
١٠٥ استحباب الالحاح في الدعاء	وسائر السنن وبيانها مفصلة
١٠٧ حديث ثلاثة لا ترد دعوتهم	١٣٦ مشروعية اختيار الانفراد
١٠٨ مشروعية التفكير في الدعاء	بالعبادة ان خاف الرياء والجماعة
وما ينشأ عنها من الثمرات	ان خاف الكسل ويخبر إن أمنهما
والفوائد	١٣٧ استحباب مراعاة كل ما فيه
١١٠ بيان أن مجرى التفكير شيان	فضيلة وذ كر أمثلة منها
وتفصيل ذلك	١٢٩ مشروعية الاحتراف في الاوقات
١١١ مشروعية مداومة العبادة	المكروهة عن إيقاع العبادة فيها
ظاهرا وباطنا	
١١٣ الاوقات التي يطلب فيها	١٤٠ (الباب الثاني في)
الذكر كثيرا	(الانفاق والقناعة)

صفحة	صفحة
١٤٠	ماورد في فضل الاتفاق وذم الامساك
١٤٢	من جملة الحكمة في الاتفاق
١٤٢	تنظيف القلب وتخليته عن البخل
١٤٢	بيان أسباب الحرص
١٤٤	ماورد في البخل والسخي من الذم والمدح
١٤٧	بيان ما يفيض الى المهلكات من الصفات القيحة والأفعال الفظيعة
١٤٨	بيان فوائد المال
١٥٠	بيان حقيقة السخي
١٥٠	بيان ار السخاوة تفارق الايثار والتبذير والتسخي والمروءة
١٥٢	حق النفقة والعطاء أن يعجل قبل الوجوب ودليل ذلك
١٥٣	استحباب تعيين وقت النفقات
١٥٣	أفاضل الاوقات كشهر رمضان وذى الحجة
١٥٣	استحباب الاسرار في الصدقات
١٥٤	ان خاف الرياء وذكر ماورد في ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية
١٥٤	بيان حقيقة المن في الصدقات
١٥٥	واقوال العلماء فيه
١٥٥	تعريف المحسن حقيقة
١٥٦	تعريف الأذى
١٥٦	بيان السبب الباعث على المن
١٥٧	والاذى
١٥٨	بيان أن أفضل الصدقة ما كانت عن طيب نفس وأجود مال
١٦١	من تصرف اليه الصدقات ويان أوصافهم
١٦١	الأولى في صرف الصدقة الى من هو جامع للأوصاف التي ذكرها المؤلف أو أكثرها
١٦١	مشروعية التصديق كل يوم وعدم رد السائل
١٦٢	آداب المتصدق عند دفع الصدقة لمستحقها
١٦٢	مشروعية تقديم نفقة النفس والعيال ودليل ذلك
١٦٣	مشروعية المباكرة بصرف الصدقة
١٦٥	الاجتهاد في تحصيل أنواع الصدقة حقيقة وحكما وبيان أنواعها مفصلة
١٦٦	عدم مشروعية النذر في الصدقات ودليل ذلك
	(الباب الثالث في)
	(الصوم وكسر الشهوة)
١٦٨	ما ورد في فضل الصوم
١٧٠	بيان أدنى رتب الصوم
١٧٠	ما يقطر الصائم من الأمور المعنوية

صفحة	صفحة
١٨٦	١٧٢ ما يقول الصائم اذا شامته أحد أو قاتله
١٨٩	١٧٣ مشروعية تقليل الاكل في الصوم عند الافطار والسحور وتعليل ذلك
١٩٠	١٧٥ اجتناب أمور في الصوم هي عاتقة عن وصول الثواب وبيانها مفصلة
١٩١	١٧٦ يياز وقت الاكل وعادة السلف في ذلك
١٩٣	١٧٧ بيان الاقتصاد في الأكل بحسب الوقت المناسب لأكثر العباد
١٩٨	١٧٨ بيان جنس المأكول وذكر مراتبه وكذلك ذكر مراتب الادام
١٩٩	١٨٠ التحذير لمن جعل همته الدنيا وأنواع الطعام والشراب
٢٠١	١٨٢ مشروعية تعجيل الافطار وتأخير السحور وما ينبغى له أن يتبدأ به في القطور
٢٠١	١٨٢ تخصيص رمضان بالصدقة والتلاوة والاعتكاف
٢٠٣	١٨٣ استحباب مراعاة سائر الاعمال في الايام الفاضلة كالاشهر الحرم والجمعة
٢٠٣	١٨٤ بيان أفضل أيام الصيام
٢٠٤	(الباب الرابع في)
٢٠٥	(السفر والحج والغزو)
٢٠٥	
١٨٦	تقسيم السفر الى ديني ودنيوي وتعريف كل منهما وذكر أمثلة منهما
١٨٩	عدم مشروعية شد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وبيانها
١٩٠	تفسير قوله من لم يتفعلك لحظه لم يتفعلك لفظه
١٩١	بيان السفر الدنيوي وذكر أمثلة منه
١٩٣	آداب السفر
١٩٨	ذكر اشياء لا يجوز مصاحبها في السفر
١٩٩	ما يجوز أن يكون مع المسافر في سفره
٢٠١	مشروعية دخول المسافر المسجد عند دخوله البلد وصلاة ركعتين
٢٠١	مشروعية نحر جزور أو بقرة عند دخول المسافر البلد ودليل ذلك
٢٠٣	مشروعية المشي الى أداء فريضة الحج ان قدر على ذلك
٢٠٣	كيفية مشي الحاج وصفة هيئته
٢٠٤	لا ينبغي للحاج أن يمسك في شراء الهدى والأضحية
٢٠٥	ما ينوي الحاج عند ذبح القداء
٢٠٥	مشروعية الاكثار من الاقفاق

صفحة	صفحة
(الباب الخامس في الزوج والتخلي)	في طريق مكة ذهابا وإيابا ومن
٢١٧ ذكر فوائد النكاح	علامات قبول ذلك
٢١٨ مشروعية الجمع بين أربع نسوة	٢٠٦ آداب مناسك الحج
إن لم يعتصم بواحدة وأقوال	٢٠٦ مشروعية تلقي الحاج بالترحيب
العلماء في ذلك	عند وصوله الى بلده
٢٢١ الأجر الكثير لمن احتمل جفاء	٢٠٧ مشروعية الذهاب الى المدينة
النساء.	وزيارة قبر الرسول ﷺ
٢٢٢ الفائدة العظمى والمقصود	وقبور الصحابة وأهل البيت
الأصلي من الزواج الولد	وسائر مشاهدتها رضي الله
٢٢٣ من فوائد النكاح الاستئذان	عنهم أجمعين
بسنته عليه الصلاة والسلام	٢٠٨ مشروعية الصلاة في مساجد
٢٢٤ بيان ثمرات الولد ومنافعه	المدينة والتبرك بآبارها
٢٢٥ متى يتعين النكاح	٢٠٨ بيان آبار المدينة وذكر أسمائها
٢٢٧ الأولى الجمع بين الزوج والعبادة	٢١٠ يستحب للحاج الإقامة بمكة
٢٢٨ كل عضو يصلح لنعمة أخرى	مع مراعاة حقوقها وكذلك
٢٢٩ ضرر النظر في الأمر أقوى	بالمدينة
من النظر الى المرأة	٢١٢ حق الجهادان ينوي نصره الدين
٢٢٩ ينبغي ان يراعى المتزوج	وبذل النفس في رضائه تعالى
الاعتدال في الوقاع لأن	٢١٣ مال للجهاد من الأجر والثواب
الافراط في الجماع يولد أشياء	في سبيله
كثيرة تضر	٢١٤ أرواح الشهداء في حواصل
٢٣٠ مقدمات النكاح كالخطبة	طير خضر الخ
ووقت العقد	٢١٥ لا يشرع الجهاد لمن كان مشغولا
٢٣١ اختيار المرأة الصالحة المتدينة	بتعهد الأهل وخدمة الأبوين
فهى خير له في دينه ودنياه	٢١٥ استحباب خدمة الغزاة
٢٣٢ من المشروع خفة مهر الزوجة	وتجهيزهم
وتقليله	٢١٦ مشروعية تعلم الفروسية
٢٣٣ يختار من النساء الولود البكر	والمسابقة والرمي

صفحة	صفحة
٢٤٥ استحباب تسمية اسماء المولود	٢٣٤ ما يكره من أوصاف النساء
٢٤٦ كراهة الجمع بين اسمه عليه السلام وبين كنيته	٢٣٥ يجب مراعاة أوصاف الزوجة
٢٤٦ مشروعية تسمية السقط	لان الطلاق بيد من له الساق
٢٤٧ يستحب أن يعق عن الولد	٢٣٦ مشروعية المهادت قبل الزواج
بشأتين وعن الاثني بشاة	من الزوجين لانه يورث المحبة
ودليل ذلك	٢٣٧ لا يجوز خطبة الرجل على
٢٤٨ مشروعية تحنيك الولد	خطبة أخيه وتعليل ذلك
﴿الباب السادس في﴾	٢٣٧ مشروعية نثر السكر والوزع على
﴿الكسب والورع﴾	رأس العروس
٢٤٨ الحديث على طالب الحلال	٢٣٨ مشروعية التسمية في ابتداء
والكسب منه والاعراض عن	الوقاع وقراءة الفاتحة وسؤال
الحرام وترك مباشرته وماورد	الذرية الطيبة ومجانبة الشيطان
في ذلك من الادلة	٢٣٩ الاوقات التي يستحب فيها الجماع
٢٥٠ يعطى القاضى والمفتى الكفاية	٢٣٩ استحباب المباشرة كل اربع ليال
من بيت المال	٢٤٠ مشروعية مضاجعة الحائض
٢٥١ مشروعية التبكير في الكسب	ومؤا كلتها مخالفة للمجوس
والعمل	٢٤٠ من المنهى عنه اتيان المرأة جانب
٢٥٣ بيان الحرف المقبولة الشريفة	دبرها لانه اللواط الصغرى
وما ليس كذلك	٢٤١ عدم مشروعية العزل الا في
٢٥٤ بيان أن ما يحرم استعماله من	أحوال مخصوصة
الاولى وغيرها لا يجوز بيعه	٢٤٣ مشروعية الفرح بالمولود
٢٥٤ استحباب معاملة الصالح المتدين	وعدم الاعتماد بالنت
المستتر حاله دون الفاسق	٢٤٤ استحباب التأذين في أذن
٢٥٤ كراهة المبالغة في مدح المبيع	المولود اليمنى والاقامة في
وعدم المشتري وان صدق	اليسرى وقطع سرتة واماطة
٢٥٥ كراهة الخلف في البيع والشراء	الاذى عنه
٢٥٥ يجب على المتبايعين أن يظهر	٢٤٥ مشروعية الاختتان في اليوم
	السابع من الولادة

صفحة	صفحة
ما كان عليه السلف الصالح رضى الله عنه وأرضاه	عيوب السلعة والتمن
(الباب السابع في الاتباع والمعيشة)	٢٥٧ لا تشرع الزيادة في الثمن ترغيبا
٢٧١ ماورد من الآيات القرآنية	لغيره بدون ان يقصد الشراء
والأحاديث النبوية في اتباع	٢٥٩ مشروعية التباهل في البيع
الذي ﷺ في آدابه في الأكل	والشراء
والشرب واللبس والنام	٢٦٠ استحباب المبادرة في اعطاء
والسلام وما لا يستغنى عنه في	الأجرة وقضاء الدين قبل الاجل
أمور الدنيا	وينوى القضاء ان عجز
٢٧١ بيان ان المسترسل في اتباع الهوى	٢٦١ مشروعية الاستقراض في
يشبه البهائم	ضعف قوة بان يكون في حج
٢٧٢ مشروعية غسل اليدين قبل	أو غزو وكذلك في تكفين
الأكل وبعده ودليل ذلك	الميت وتزويج الفقير الذي
٢٧٣ مشروعية افتتاح الأكل بالملح	يخاف على نفسه الزنا
والاختتام به	٢٦١ مشروعية كيل الطعام أخذوا اعطاء
٢٧٣ كراهية الأكل على خوان	٢٦٢ استحباب اختيار حرف
٢٧٣ بيان ان الاثنان والمنخل	السلف كالحرث والحمل والنجر
والخوان والشبع من البدع	والخياطة والرعي والكتابة
٢٧٤ كراهية الأكل متكأ إلا الفاكهة	وكل ما ينفع الأمة ويعزز مكرها
٢٧٦ كيفية الجلوس على الطعام	٢٦٣ مشروعية اتخاذ الغنم والدجاج
٢٥٧ تقديم الطعام على الصلاة ان	وغيرها للدر والنسل
أمن فواتها	٢٦٤ كراهية الحرص في البيع والشراء
٢٧٦ استحباب كثار الأيدي على	٢٦٥ كراهية ركوب البحر الا للحج
الطعام	أو غزو
٢٧٧ ما يجتنب من الأواني في الطعام	٢٦٥ مشروعية الورع في البيع
٢٧٧ مشروعية التسمية في ابتداء الأكل	والشراء وبيان مراتبه
٢٧٧ كراهية عيب المأكول وتجاوزه	٢٦٧ كراهة الوسوسة في البيع
عما يليه	والشراء ومثال ذلك
	٢٦٨ ينبغي التشدد في الاحتياط وبيان

صفحة	صفحة
٢٧٨	كراهية الأكل من أعلى القصعة
٢٧٨	وكذلك وسطها ولا بأصبعين
٢٧٨	ولا بأربع ولا بالشمال
٢٧٨	كراهية قطع الخبز واللحم
٢٧٩	بالسكين
٢٧٩	مشروعية تحضير البقل والخل
٢٨٠	في السفرة
٢٨١	ذكر أشياء من آداب الأكل
٢٨٢	مشروعية لعق الأصابع بعد
٢٨٢	الطعام وأكل السواقط
٢٨٣	استحباب الدعاء لمن أكل
٢٨٣	طعاما عنده
٢٨٣	آداب الطعام
٢٨٣	كراهية التكلف لتقديم الطعام
٢٨٧	تقديم الشيء الذي يحتاج اليه
٢٨٧	العيال أولا تسمع به النفس
٢٨٧	يورث الانقطاع
٢٨٧	استحباب تقديم ما تشتهيه
٢٨٩	النفس وما ورد في ذلك من الآثار
٢٨٩	استحباب الضيافة ودليل ذلك
٢٩٠	كراهية إهمال ضيافة الأقرباء
٢٩٠	والإخوان وتخصيص بعضهم
٢٩٠	اجابة الدعوة
٢٩٠	استحباب الاعتذار لمن لم
٢٩٣	يجب الدعوة
٢٩٣	ضيافة من لم يقبل الطعام بالعطر
٢٩٣	وطيب الكلام
٢٩٣	وجوب انكار المنكر على من
٢٩٤	حضر الوليمة ووجد فيها منكرًا
٢٩٦	آداب الضيافة زيادة على ما تقدم
٢٩٦	مدة الضيافة ثلاثة أيام
٢٩٦	استئذان كل من الضيف
٢٩٦	والضيف صاحبه في صوم النفل
٢٩٦	مشروعية ارسال الطعام الى
٢٩٧	أصحاب المصائب
٢٩٧	اجتناب طعام السلطان وقبول
٢٩٧	لواكره على ذلك
٢٩٧	كراهية أكل الثوم والبصل
٢٩٨	والسكرات لاسيما يوم الجمعة
٢٩٨	آداب الطعام زيادة على ما تقدم
٢٩٩	كراهية مؤاكلة الاشرار
٢٩٩	ومشاريتهم
٢٩٩	ما يأكله الشخص من أنواع
٣٠٠	الدقيق والتمر
٣٠٠	مشروعية تجويع النفس
٣٠١	اجتناب الشرب أثناء الأكل
٣٠١	آداب الشرب
٣٠٣	استحباب اختيار الثوب
٣٠٣	الايض وينوى ستر العورة
٣٠٣	آداب اللبس
٣٠٥	مشروعية لبس العمام مع
٣٠٦	ارخاء الذيل لها بين الكتفين
٣٠٦	الى قدر الثبر أو نصف الظهر
٣٠٦	آداب لبس الخف والنعل
٣٠٦	استحباب الطيب وعدم رده
٣٠٦	تعريف طيب الرجل وطيب المرأة

صفحة	صفحة
٣١٧ آداب المشى	٣٠٧ مشروعية اجتناب الجناء والنفس والاتصاص
٣١٨ مشروعية الابعاد عند قضاء الحاجة وستر العورة	٣٠٧ اجتناب رفع البناء أكثر من سبعة أذرع، ويبدأ أيوم الأحد
٣١٨ كراهية استقبال النيرين والقبلة والبول في الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة الخ	٣٠٨ مشروعية اتخاذ وضعية للوضوء والغسل والبول والغائط والضيافة
٣١٩ آداب البول	٣٠٨ كراهية التوطن في دار الحرب ودليل ذلك
٣٢٠ مشروعية الدعاء قبل دخول الخلاء ويعنه	٣٠٩ آداب دخول البيت
٣٢٠ آداب تنظيف البدن والاعضاء الظاهرة	٣١٠ مشروعية الوضوء للنوم والاستياك واعداد الطهور والسواك
٣٢٨ اباحة دخول الحمام ساتر العورة عن النظر	٣١٠ مشروعية وضع وضعية الرجل تحت رأسه خوفاً من هجوم الموت
٣٢٢ آداب دخول الحمام	٣١١ بيان ما يتلو من الآيات القرآنية عند النوم
٣٢٣ كراهية دخول المرأة الحمام	٣١٣ كراهية النوم مفترداً وعلى سطح وبعد العصر
٣٢٤ مشروعية قص الشوارب	٣١٤ مشروعية القيلولة
٣٢٥ مشروعية حلق العانة وتنف	٣١٥ استحباب قص الرؤيا على عالم ناصح
الايط وكراهية تأخيرهما أكثر من أربعين يوماً	٣١٥ استحباب البزق عن اليسار والتعود اذا رأى مكروها
٣٢٦ استحباب الاكتحال بالامد	٣١٦ كراهية اقتناء الكلاب الا لصيد أو ماشية أو زرع
٣٢٦ مقدار طول الاحية	٣١٦ كراهية استقبال الشمس واستدبارها
٣٢٧ خضاب الرأس واللحية بالسواد مكروه ويجوز بالحناء والكتم	
٣٢٨ استحباب الوضوء للجنب قبل النوم	
٣٢٩ كراهية ازالة الشعر والظفر حال الجنابة	
٣٢٩ استحباب كنس المساجد	

صفحة	صفحة
٣٤٢ استحباب قبول الهدية والمكافأة عليه -	وتنويرها وفرشها
٣٤٢ مشروعية التزام المرأة قعر البيت وعدم النظر خارجه	٣٢٩ كراهية زخرفة المساجد ونقشها ووضع الصور فيها
٣٤٣ استحباب الصبر ولزوم السكنية اذا أصيب المرء بمكروه ويحترز من شق ثوب أو ضرب خد أو حلق شعر	٣٢٩ آداب دخول المسجد والجلوس فيه
٣٤٤ آداب المريض وما ينبغي له	٣٣٣ كراهية الجلوس في الأسواق الا اذا أدى حقها
٣٤٥ مشروعية التداوى ولو باستقراض دراهم من أهله وزوجته	٣٣٣ استحباب افتتاح الكلام بالتسمية والتحميد والاستعاذة والصلاة على النبي ﷺ
٣٤٦ مشروعية الاحتجام وبيان أوقاته	٣٣٤ آداب التلاوة
٣٤٧ النهي عن الكي والرقية	٣٣٥ مشروعية البكاء من خشية الله وكراهية الضحك
٣٤٨ مشروعية الإيصال بثلث المال وارضاء الخصوم وقضاء الديون وفدية الصلاة والصوم	٣٣٦ آداب العطاس والتأثب والبزاق
٣٤٩ مشروعية قراءة يس على المحتضر والموتى	٣٣٧ مشروعية افتتاح الكتاب بالتحميد والصلاة
٣٥٠ مشروعية تلقين الميت كلمة التوحيد	٣٣٨ آداب السؤال لقضاء الحاجة
(الباب الثامن في الصعبة)	٣٤٠ مشاوراة المرأة ومخالفتها
٣٥١ فوائد الصعبة وثمراتها	٣٤٠ الاقتصاد في المال والكسب بحيث لا يترك دينه لدنياء
٣٥٢ بيان ان المتحايين في الله على منابر من نور حول العرش	٣٤١ مشروعية ارتداف الخادم خلف سيده
٣٥٣ بيان من يحب ويتخذ صاحباً	٣٤١ استحباب التصديق بفاضل الفقهاء والسعي في حاجات الناس
٣٥٥ شرح معنى الاخوة والمحبة والخلة	قبل أن يدخل بيته
	٣٤١ استحباب قيامه بمصالح البيت من خصف نعل وتخييط ثوب وقطع لحم

صفحة	صفحة
المظلوم واعانة الضعيف	٣٥٧ ماورد في حجة الفساق والاشرار
٣٨٢ بيان حقوق المؤمن على المؤمن	من الآثار
٣٨٥ استحباب مجالسة الفقير دون الغني	٣٦٠ يسأل الانسان يوم القيامة عن
٣٨٥ ما على العاقل اذا ابتلى بمجالسة	حقوق الصحة
العامي الجاهل وذى السلطان	٣٦١ حال السلف في الأخوة والصحة
٣٨٨ كراهية الهجر فوق ثلاثة	٣٦٣ مشروعية سؤال من أحب عن
٣٨٨ مشروعية الاستئذان للدخول	اسمه واسم أبيه ومنزله
ثلاثا	٣٦٤ آداب الصحة والمحبة
٣٨٩ استحباب عيادة المريض وبيان	٣٦٩ استحباب زيارة الاحباب
آدابها	والاصحاب غبا
٣٩٢ ما يفعل بالميت عند موته	٣٧٠ مشروعية السلام على المسلم
٣٩٢ مشروعية التعزية وتشيع	وان لقيه مرارا
الجنائزة	٣٧٢ كراهية السلام على النسوة
٣٩٤ الاجتهاد في أن يكون عدد من	وعند تلاوة القرآن والأذان
يصل على الميت أربعين	وقضاء الحاجة
٣٩٤ بيان ما يصنع في الميت بعد دفنه	٣٧٣ آداب السلام
٣٩٥ مشروعية زيارة القبور وآدابها	٣٧٤ مشروعية المصافحة وكيفيتها
وأوقاتها	٣٧٤ استحباب معاينة القادم واخذ
٣٩٧ ماورد في ر الوالدين وبيان الأدب	ركاب العلماء للتوقير
معهما وصلتهما بعد موتهما	٣٧٦ كراهية القيام
٣٩٨ مشروعية صلة الرحم وزيارته	٣٧٧ استحباب توقيف العلماء والصلحاء
٤٠٠ بيان حقوق الجار واسترضاء	والشيوخ
خاطره	٣٧٨ استحباب مراعاة الصف - ار
٤٠١ ماورد في حد الجار	وتكفل اليتيم
٤٠٣ مشروعية حسن المعاشرة مع	٣٧٩ مشروعية تسميت العاطس
المرأة وما ورد في ذلك	٣٨٠ مشروعية اصلاح ذات البين
٤٠٥ مشروعية الغيرة وكيفيتها	وستر العورة وارشاد الضال
٤٠٦ استحباب منع المرأة من حضور	وتفريق المكروب ونصر
المساجد	

صفحة	صفحة
والنهي عن المنكر وهو من	٤٠٧ مشروعية الاعتدال في النفقة
فروض الكفاية	٤٠٨ مشروعية العدل بين النساء
٤٣٥ شروط الأمر بالمعروف والنهي	في البيوت والاعطاء
عن المنكر	٤٠٩ مشروعية ارسال حكمين ليصلحا
٤٤١ مراتب الحسبة	بين الزوجين اذا وقع بينهما
٤٤٦ أقوال العلماء في كون المنكر	خصومة
يلزم أن يكون متفقا عليه أم لا	٤١٠ مشروعية نصيحة الزوج لزوجته
٤٤٧ كراهية المصر على الذنب وإن	اذا خالفت وعصت عليه
كان صغيرة وترك اعائه	٤١١ بيان حقوق الزوجين وتفصيل
٤٤٨ ماورد في ذم المبتدع وانتاره	ذلك
٤٤٨ مشروعية اضطرار الذي الى	٤١٦ قيام الزوجة بامور البيت وما
أضيق الطرق وعدم بدئه بالسلام	ورد في ذلك من الآثار
٤٤٩ تسميت الكافر بالهداية لا بالرحمة	٤١٨ المحافظة على حال الولد في التعليم
﴿ الباب التاسع ﴾	الديني والديني
﴿ في الصمت وآفات اللسان ﴾	٤٢٢ كراهية الضرب للغضب والعفو
٤٤٩ ماورد في فضل السكوت	خير
٤٤٩ بيان أن أكثر خطايا ابن آدم	٤٢٤ مشروعية تهذيب أهل البيت
في لسانه	بالرياضة لاسيما الولد المراهق
٤٥٠ فوائد الصمت	٤٢٥ كراهية الضرب على الوجه
٤٥٢ بيان حديث من حسن اسلام	والتعذيب بالنار
المرء تركه ما لا يعنيه	٤٢٥ مشروعية الرفق بالحيوان
٤٥٣ من المذموم الخوض في الباطل	٤٢٦ كراهية اكرام الفساق والدعاء
كمحاسن النساء ومقامات الفساق	لهم وبرهان ذلك
وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك	٤٢٩ مشروعية دفع الظلم عن نفسه
وحروب الصحابة والمذاهب	وغيره
الباطلة وما ورد في ذلك من	٤٣٠ مجانية الحكام والظلمة وأبواب
الآثار	الامراء وما ورد في ذلك
٤٥٤ بيان علاج ذلك ودوائه	٤٣٣ مشروعية الامر بالمعروف

صفحة	صفحة
وما ورد في ذلك	٤٥٤ الزجر عن المراء وتعريفه
٤٦٠ بيان خلف الوعد من علامات التفاق	٤٥٥ النهى عن الجدال الا في حق
٤٦١ ماورد في مدح من وعد فوفا ودم الخلف	٤٥٦ بيان ان أول ما عهد الاله الى الرسول ﷺ بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر
٤٦٢ تحريم الكذب وماورد فيه من الذم واستثناء أشياء يجوز الكذب فيها	٤٥٧ النهى عن الخصومة وتعريفها وما ورد فيها
٤٦٤ الكلام على المعاريض وأقوال العلماء في ذلك	٤٥٨ النهى عن التشدق بتسكف التسجع والتصنع فيه
٤٦٥ التصريح بالكذب عند عدم امكان التلويح مع اعتبار النية والاستفتاء من القلب	٤٥٩ ذم الفحش في الكلام وما ورد فيه
٤٦٥ الكلام على المبالغة في القول كقولهم جئتك ألف مرة	٤٥٩ النهى عن السب
٤٦٦ من أعظم الكذب الكذب في الاخبار والرؤيا	٤٦٠ النهى عن اللعن وتفسيره وبيان ما يرخص فيه وبسط الكلام في ذلك
٤٦٧ النهى عن الغيبة وذم مضارها وماورد في ذمها	٤٦٤ النهى عن نسبة الذنب الى المسلم وهو برىء منه
٤٦٨ ذكر أنواع الغيبة وبيان أنهاست من أنواع الغيبة التصريح والتعريض والاشارة والغمز والمحاكاة	٤٦٤ عدم مشروعية الدعاء على أحد وتعليل ذلك
٤٦٨ ماورد في ذم الغيبة من الكتاب والآثار	٤٥٧ النهى عن المازاح وتعريفه ومضاره وما ورد في ذلك من الآثار (١)
٤٧٠ بيان الباعث والسبب في الغيبة وأنها سبعة مشهورة	٤٥٩ كراهية الاستهزاء وتعريفه وما ورد في ذمه
	٤٦٠ النهى عن إظهار السر وتعريفه
	(١) ملزمة ٥٩ تسكرر في صحاحها من الأعلى سهواً ولذلك أبقينا رقم المسانيف في الفهرست على أصلها مكررة كما ترى فلينبه

صفحة	صفحة
٤٧٢	المرخص في ذكر مساوى الغير
٤٧٣	سبعة أشياء وبيانها مفصلة
٤٧٤	ذكر الفاجر بما فيه ليحذر الناس منه جائز
٤٧٤	والأصل في الغرض الصحيح
٤٨٤	عند ذكرك أخاك بما يكره
٤٨٦	الاستفتاء من القاب حال التصريح والتلويح
٤٨٦	ماذا على المقتاب من العمل
٤٨٦	وأقوال السلف في ذلك وماورد في ذلك من الآثار
٤٨٨	بيان أن النيمة حرام وذكر مضارها
٤٩٠	وما ينشأ عن ذلك من المفساد
٤٩٠	ما على ذي الوجهين من الائتم في الدنيا والآخرة
٤٩٠	النهي عن مدح ما لا يستحق المدح وبيان خطره وأنه يضر المادح والممدوح
٤٩٢	النهي عن التكلم بما لا يباح شرعا ومثاله
٤٩٣	النهي عن سؤال العامة عما يتعذر ادراكه ومثاله ذلك
٤٩٤	النهي عن القول بالظن والتجسس ومفاسد ذلك
٤٩٤	النهي عن استماع القول بالظن وبيان أن المستمع شريك القائل
٤٩٥	لاقصاص في نحو الغيبة والسب والتجسس لا تحصاره على مورد الشرع
٤٩٤	بيان عدم حرمة استماع الاشعار للالتذاذ ودليل ذلك
٤٩٤	ذكر ما ورد في انشاد الشعر بين يدي الرسول ﷺ وكذلك زمن الخلفاء الراشدين من بعده
٤٩٦	بيان أن ما ورد من النهي عن الشعر محمول على التجرد له أو اذا تضمن فحشا وهجاء واقتراء
٤٩٦	جواز المدح في الشعر اذا وجد الوصف المذكور في الممدوح وذكر الآثار في ذلك
٤٩٨	حكم الغناء وذكر أنواعه
٤٩٠	ذكر مراتب الاستماع وأقوال علماء السلف في ذلك
٤٩٠	كلام الشيخ أحمد الغزالي اخي حجة الاسلام في استماع الغناء
٤٩٢	يشترط في السماع رعاية السنة بالخل على ما يليق به تعالى
٤٩٣	بيان ان التواجد مذموم وذكر علة ذلك
٤٩٤	بيان حق السماع وواجبه
٤٩٥	لا يجوز التغنى بالقرآن وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم في ذلك ومن جاء بعدهم من التابعين فمن بعدهم
٤٩٨	كرهية ضرب اليد والدف عند قراءة القرآن
٤٩٨	من حق السماع أن يتنفي شاغل

صفحة	صفحة
رضى الله عنه وأبى طيبة	من الزمان والمكان والاخوان
مشروعية مساعدة الاخوان في	وبسط ذلك بآتم بيان وأوضح
القيام ورفع العمامة	لفظ
مشروعية التعاون على البر	٤٩٩ آداب قراءة القرآن واستماع
والتقوى وتجنب التماون على	تلاوته
الائثم والعدوان	٤٩٩ من آداب الاستماع الاحتراز
بيان ان الأسلم الاجتناب في	عما يشوش كالسعال والتشاوب
مطلق سماع الغناء لمكان	٥٠٠ من آداب الاستماع الاحتراز
الاختلاف فيه ونذرة تحقق	عن المنكرات كضرب اليد
الشروط	وتحريك الأطراف والرقص
خاتمة الجزء الأول من كتاب	وخرق الثوب الا اذا غلب عليه
شرح عين العلم ووزين الحلم	ذلك كما حصل لعمر بن الخطاب

